

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Quranic Studies



مُخْتَصِرَاتٌ مُحَرَّرَةٌ (١)

المختصر في التفسير

إشراف

مركز تفسير للدراسات القرآنية



مطبعة النور، جدة، المملكة العربية السعودية





مُخْتَصَرَاتٌ مُحَرَّرَةٌ (١)

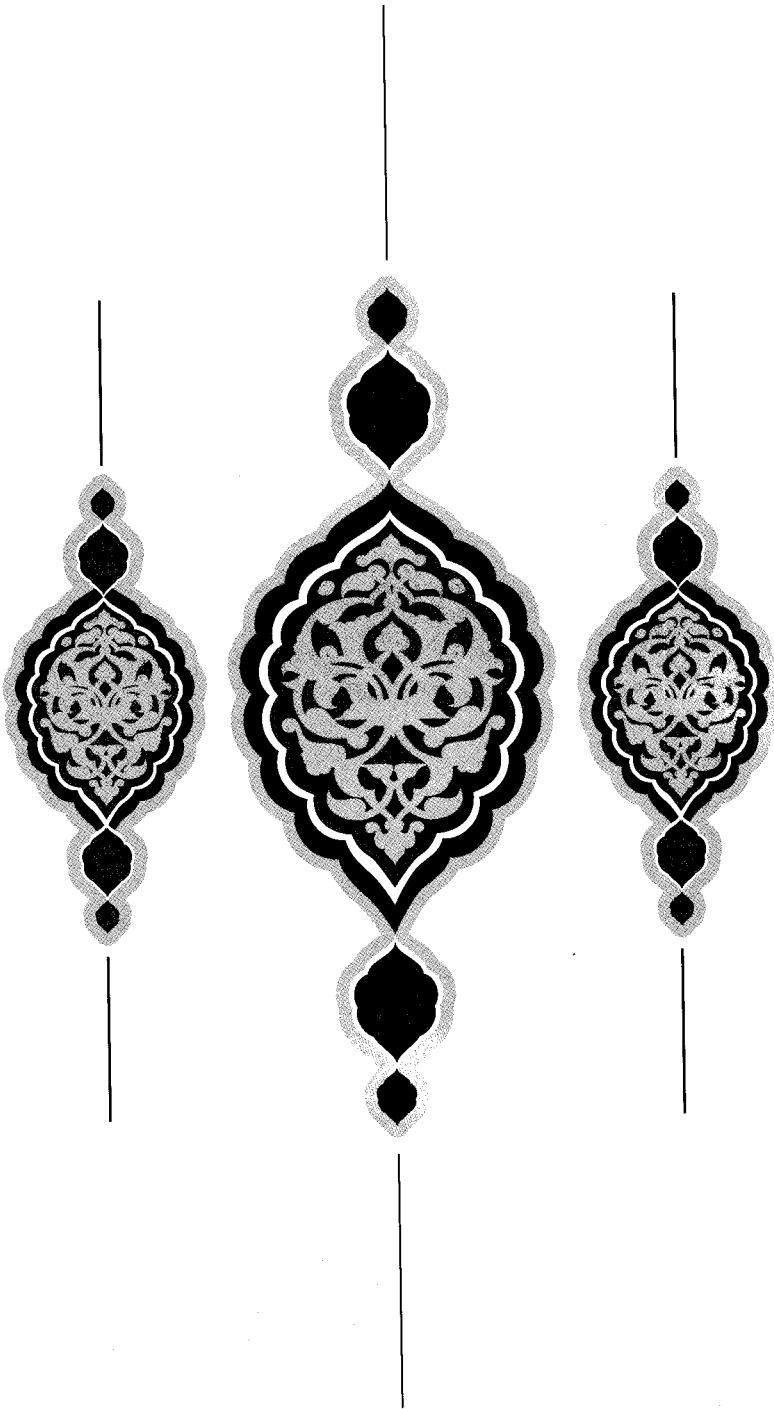
المختصر في التفسير

إشراف

مركز تفسير للدراسات القرآنية



مؤسسة الشيخ عبد الله بن زيد العجمي الخيرية



المختصر في التفسير

الطبعة الثانية
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



المملكة العربية السعودية - الرياض
حي الفديرة - طريق الملك عبدالعزيز
هاتف: ٢١٠٩٦٢٠ (٠١١) فاكس: ٢١٠٩٧١٣ (٠١١)
ص.ب. ٢٤٢١٩٩ الرمز البريدي ١١٢٢٢
البريد الإلكتروني: www.tafsir.net
البريد الإلكتروني: info@tafsir.net

جميع
الحقوق
محفوظة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد، فإن كتاب الله تعالى هو الحق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفل سبحانه بحفظه من التحريف، فقال عز سلطانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ولا ريب أن من وسائل حفظه تلك الجهود العظيمة التي قامت حوله ودارت في رحابه من حيث رسمه وضبطه وعد آيه وقراءته وتفسيره... إلى آخر أفنان علومه التي سخر الله من شاء من عباده لينالوا شرف تدوينها والعناية بها.

ولم تزل همم العلماء تسمو في كل عصر إلى تفسير كلام الله وتبيان معانيه بما يفتح الله عليهم به ويوفقههم إليه، ولكل غرضه الذي يعنه وهدفه الذي يرومه، فمن معتن بالجانب البلاغي قاصد إلى إظهار أسرار بيانه، وآخر مجتهد في بيان ما اشتمل عليه من أحكام التشريع، وثالث ولّى وجهه شطر الأحاديث والآثار الواردة في تفسير الآيات، وكنوز القرآن لا تنفد ومعارفه لا تنتهي.

وكان من المقاصد التي حملت العلماء على التصنيف في التفسير منذ القرون الأولى تقريب معاني آيات الكتاب لعامة الناس دون تطويل يمنعهم عن إكماله أو استغلاق عبارة تصرفهم عن فهمه، ولم تزل هذه الحاجة تتجدد بتجدد حياة الناس وتنوع مستويات ثقافتهم وبعدهم عن لسان العرب الأول وتذوق مفرداته وتراكيبه، واجتهد كل مفسر رام تحقيق هذه الغاية في صياغة تفسيره بما يلائم أهل عصره ويلبي حاجاتهم ويناسب لغتهم ومعارفهم، مستدركًا على من سبقه ما قد يكون وقع فيه من خطأ أو قصور في صياغة عبارة أو ترجيح معنى أو إيضاح مبهم بقدر اجتهاده وعلمه، ثم هم في ذلك بين مختصر بالغ في الاختصار حتى صار متنا يحتاج إلى شروح وحواشٍ تبين عن معانيه كتفسير الجلالين، ومقتصر على تفسير الآيات دون تعريج على ما فيها من هدايات وفوائد تستنبط منها وتعين على تدبرها، وفي كل خير، ولكل وجهة هو موليها. ولما رأى مركز تفسير للدراسات القرآنية حاجة الناس في هذا العصر ما تزال قائمة إلى تفسير مختصر يجمع بين الميزات التالية:

- وضوح العبارة وسهولتها، بعيدًا عن الحشو والتعقيد اللفظي.
- الاقتصاد على تفسير الآيات وبيان معانيها دون دخول في مسائل القراءات والإعراب والفقه ونحوها.
- شرح المفردات القرآنية أثناء التفسير وتمييز الشرح بلون مختلف ليسهل الوقوف عليه لمن أراد.
- انتهاز منهج سلف الأمة رضوان الله عليهم باتباع ما دلّ عليه القرآن والسنة.
- تحري المعنى الأرجح عند الاختلاف، مع مراعاة ضوابط التفسير وقواعد الترجيح.
- سياق جملة من هدايات الآيات وفوائدها بما يعين على تدبرها وتام الانتفاع بها، تحت عنوان مستقل: من فوائد الآيات.
- التقديم بين يدي كل سورة بيان مقصدها ومحورها العام الذي تدور حوله، وموضع نزولها.

- جمع ما سبق كله وكتابته على حاشية المصحف الشريف، ليكون عوناً لقارئ القرآن على فهم كلام الله تعالى بأيسر طريق دون حاجة للرجوع إلى كتاب آخر.

عهد المركز إلى الشيخ سيدي محمد بن محمد المختار الشنقيطي بكتابة متن التفسير، وإلى الشيخ أ.د. زيد بن عمر العيص (أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود) بكتابة فوائد الآيات وهداياتها، وإلى الشيخ د. محمد بن عبد الله الربيعة (عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم) بكتابة مقاصد السور.

ثم كلف المركز نخبة من أهل الاختصاص المشهود لهم بالكفاءة والعلم بهذا الفن من مختلف دول العالم الإسلامي لمراجعة التفسير وتقويمه، فقاموا بذلك خير قيام، وهم:

- ١ - أ.د. أحمد خالد شكري (الجامعة الأردنية - الأردن).
- ٢ - أ.د. أحمد سعد الخطيب (جامعة الأزهر - مصر).
- ٣ - أ.د. أحمد بزوي الضاوي (جامعة شعيب الدكالي - المغرب).
- ٤ - د. حسين بن علي الحربي (جامعة جازان - السعودية).
- ٥ - د. خالد بن عثمان السبت (جامعة الدمام - السعودية).
- ٦ - أ.د. زيد بن عمر العيص (جامعة الملك سعود - السعودية).
- ٧ - أ.د. سعيد الفلاح (جامعة الزيتونة - تونس).
- ٨ - أ.د. صالح بن يحيى صواب (جامعة صنعاء - اليمن).
- ٩ - أ.د. غانم قدوري الحمد (جامعة تكريت - العراق).
- ١٠ - د. محمد بن عبد الله القحطاني (جامعة الملك خالد - السعودية).

وتولت مهمة الإشراف على المشروع ومتابعته في جميع مراحلها لجنة علمية من مركز تفسير للدراسات القرآنية مكونة من أصحاب الفضيلة:

- ١ - د. أحمد بن محمد البريدي (جامعة القصيم).
- ٢ - د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري (جامعة الملك سعود).
- ٣ - د. مساعد بن سليمان الطيار (جامعة الملك سعود).
- ٤ - د. ناصر بن محمد الماجد (جامعة الإمام محمد بن سعود).

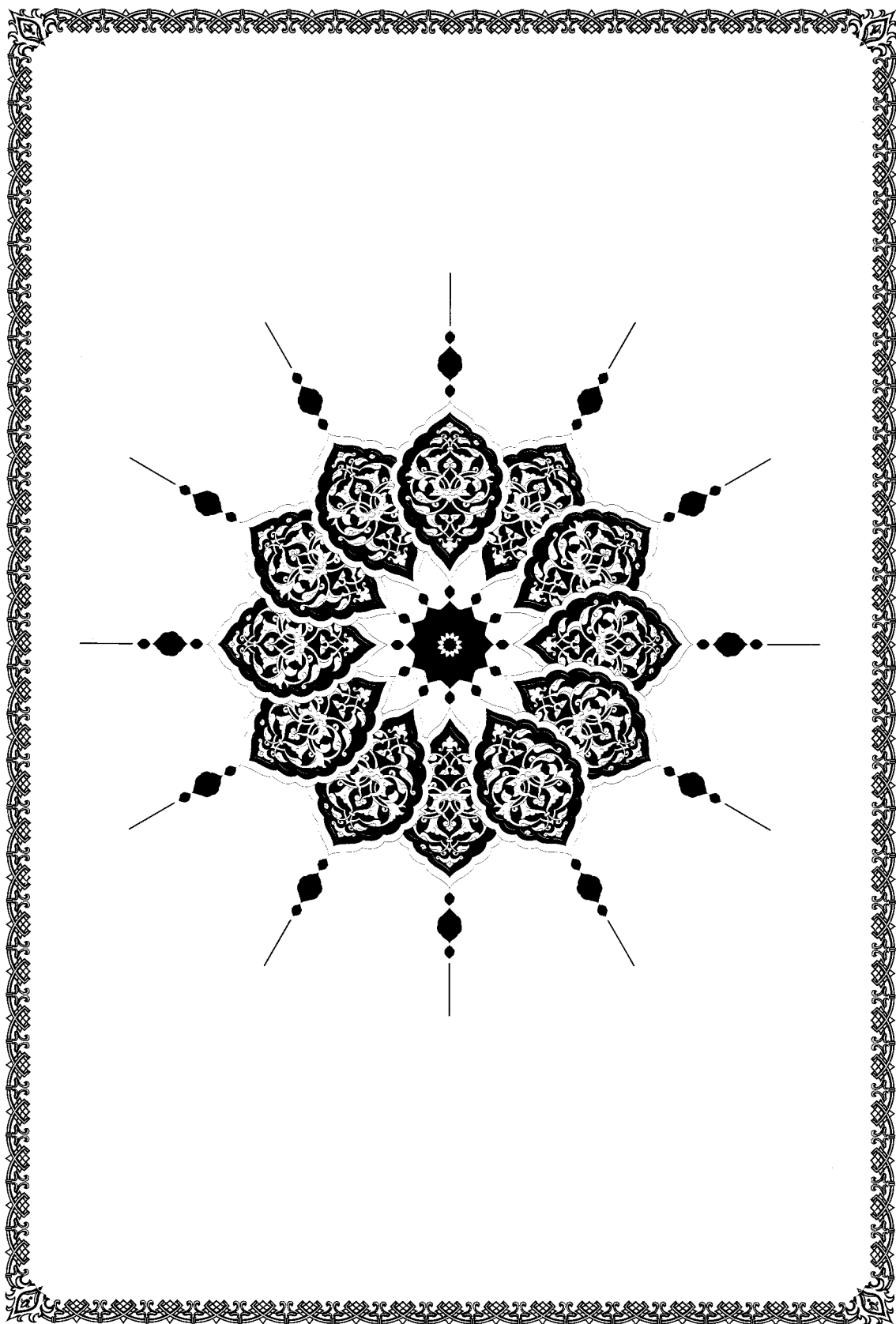
وكان لثلة كريمة من أهل الخير والبر فضل دعم المشروع وتحمل أعباء تكاليفه مادياً، فلهم من الله الأجر والثوبة على بذلهم وإحسانهم.

وقد روعي في تأليف هذا المختصر بميزاته المتقدمة صلاحيته ليكون أصلاً لترجمته إلى اللغات العالمية الأخرى مجتنباً الأخطاء والعقبات التي تعثرت بسببها كثير من الترجمات المنشورة لمعاني القرآن الكريم، وهو مشروع تمت دراسته واتخاذ الخطوات الأولى فيه، ونرجو أن يرى النور قريباً بإذن الله.

وختاماً، فهذا عملٌ حرص فيه المركز على تيسير فهم كتاب الله ﷻ، مع تحري الصواب قدر الطاقة، والاجتهاد في بلوغ ما يستطاع من الكمال، وكل البشر يخطئ ويصيب، فما كان من صواب فبفضل الله وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن أنفسنا، ونسأل الله تعالى مجده أن يغفر لنا الزلل، وأن ينفع بهذا المختصر، ويضع له القبول، إنه أكرم مسؤول وأعظم مرجو. والحمد لله رب العالمين.

د. صالح بن عبد الله بن حميد

رئيس مجلس إدارة مركز تفسير للدراسات القرآنية



﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :

تحقيق التوجه لله تعالى بكمال العبودية له وحده .

﴿٢﴾ التفسير :

سميت سورة الفاتحة لافتتاح كتاب الله بها ، وتسمى أم القرآن لاشتمالها على موضوعاته ، من أصول إيمان ، وعبادة ، وقصص وغير ذلك ، وهي أعظم سورة في القرآن كما ثبت عن النبي ﷺ .

﴿٣﴾ أبدأ مستعیناً بالله على القراءة ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ اسمان من أسمائه تعالى مشتقان من الرحمة ، دالان على كمال الرحمة التي انصف بها تعالى وسعتها ، حيث وسعت كل الأشياء ، وشملت كل الأحياء ، فكل ما هم فيه من نعم فمن آثار رحمته ، وأعظم ما تكون الرحمة وأكملها بالمؤمنين .

﴿٦﴾ الثناء التام لله ﷻ في ذاته وصفاته وأفعاله ؛ لأنه خالق الخلق كلهم ، ومالكهم ومدبر شؤونهم ، ومربيهم بنعمه العامة والخاصة .

﴿٧﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ اسمان له تعالى مشتقان من الرحمة ، دالان على كمال رحمته بعباده ، وأعظم ما تكون رحمته بعباده المؤمنين به .

﴿٩﴾ مالك يوم الحساب والجزاء ، وهو يوم القيامة ، حيث يحاسب كل الخلق على أعمالهم ، ويجازون عليها ، وفي ذلك اليوم ينادي الله تعالى : ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ، فلا يجيب أحد مهما علت مكانته ، وعندها يقول تعالى مجيباً ذاته : ﴿لِلَّهِ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر: ١٦] .



﴿١٠﴾ نخصك وحدك بأنواع العبادة والطاعة ، فلا نشرك معك غيرك ، ومنك وحدك نطلب العون في كل شؤوننا ، فبيدك الخير كله ، ولا معين سواك .

﴿١١﴾ أرشدنا ووفقنا إلى سلوك الطريق المستقيم طريق الإسلام الذي لا مِثْلَ فيه ، وثبتنا عليه .
﴿١٢﴾ طريق الذين أنعمت عليهم من عبادك بهدایتهم ؛ كالنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسَنَ أولئك رفيقاً ، غير طريق المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه كاليهود ، وغير طريق الضالين عن الحق الذين لم يهتدوا إليه لتفريطهم في طلب الحق والاهتداء إليه كالنصارى .

﴿١٣﴾ فَوَلِّدْنَا مِنَ الْآيَاتِ :

- ١ - افتتح الله تعالى كتابه بالبسملة ؛ ليرشد عباده أن يبدؤوا أعمالهم وأقوالهم بها طلباً لعونه وتوفيقه .
- ٢ - سورة الفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله تعالى ؛ لأنها تضمنت أنواع التوحيد الواجب له تعالى ، وبيان الطريق الموصل إليه .
- ٣ - الحمد الأتم والثناء الأكمل لا يكون إلا لله تعالى ؛ لأنه رب الخلق كلهم الذي أوجدهم ، وصرف شؤونهم ، ورباهم بنعمه .
- ٤ - دلت السورة على أن كمال الإيمان يكون بإخلاص العبادة لله تعالى وطلب العون منه وحده دون سواه .
- ٥ - يجب على المسلم أن يحذر سبيل اليهود المغضوب عليهم والنصارى الضالين .

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

إعداد الأمة لعمارة الأرض والقيام بدين الله، وبيان أقسام الناس، وفيها أصول الإيمان وكليات الشريعة.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

سميت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة بقرة بني إسرائيل فيها.

﴿الْمَرْءُ﴾ هذه من الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن، وهي حروف لا معنى لها، ولها مغزى، أما كونها لا معنى لها فلأن الحرف عند العرب لا معنى له، وأما كونها لها مغزى فلأنه لا يوجد في القرآن ما لا حكمة له، ومن أهم حكمتها: الإشارة إلى التحدي بهذا القرآن الذي يتكوّن من الحروف التي تتكوّن منها الكلمات التي تتكلمونها؛ لذا يغلب عليها أن يأتي بعدها أمر يتعلق بالقرآن الكريم، كما في هذه السورة.

﴿الْمَرْءُ﴾ ذلك القرآن العظيم لا شك فيه، لا من جهة مصدره، ولا من حيث معناه، فهو كلام الله، يهدي المتقين إلى الطريق الموصل إليه.

﴿الْمَرْءُ﴾ الذين يؤمنون بالغيب وهو كل ما لا

يدرك بالحواس وغاب عنّا، مما أخبر الله عنه أو أخبر عنه رسوله، كالיום الآخر، وهم الذين يقيمون الصلاة بأدائها وفق ما شرع الله من شروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وهم الذين ينفقون مما رزقهم الله، بإخراج الواجب كالزكاة، أو غير الواجب كصدقة التطوع؛ رجاء ثواب الله، وهم الذين يؤمنون بالوحي الذي أنزل الله عليك - أيها النبي - والذي أنزل على سائر الأنبياء ﷺ من قبلك دون تفریق، وهم الذين يؤمنون إيمانًا جازمًا بالآخرة وما فيها من الثواب والعقاب.

﴿الْمَرْءُ﴾ هؤلاء المتصفون بهذه الصفات على تَمَكُّنٍ من طريق الهداية، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة بنيلهم ما يرجون ونجاتهم مما يخافون.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - تضمن القرآن الكريم أنواعًا من الأدلة القاطعة لكل شك، الدالة على أن تنزيهه من لدن حكيم عليم.
- ٢ - لا ينتفع بما في القرآن الكريم من الهدايا العظيمة إلا المتقون لله تعالى المعظمون له.
- ٣ - من أعظم مراتب الإيمان الإيمان بالغيب؛ لأنه يتضمن التسليم لله تعالى في كل ما تفرد بعلمه من الغيب، ولرسوله بما أخبر عنه سبحانه.
- ٤ - كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الصلاة والزكاة؛ لأنَّ الصلاة إخلاص للمعبود، والزكاة إحسان للعبيد، وهما عنوان السعادة والنجاة.
- ٥ - الإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات يورث الهداية والتوفيق في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

ولما بين الله صفات المؤمنين المتقين الذين صلح ظاهريهم وباطنيهم، ذكر صفات الكافرين الذين فسد ظاهريهم وباطنيهم، فقال:

٦ إن الذين جحدوا ما أنزل الله على رسوله مستمررون على ضلالهم وعنادهم، فإنذارك لهم وعدمه سواء.

٧ لأن الله طبع على قلوبهم فأغلقها على ما فيها من باطل، وطبع على سمعهم فلا يسمعون الحق سماع قبول وانقياد، وجعل على أبصارهم غطاء فلا يبصرون الحق مع وضوحه، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ولما بين الله صفات الكافرين الذين فسد ظاهريهم وباطنيهم؛ بين صفات المنافقين الذين فسد باطنهم وصلح ظاهريهم فيما يبدو للناس، فقال:

٨ ومن الناس طائفة يزعمون أنهم مؤمنون، يقولون ذلك بالسنتهم خوفاً على دماءهم وأموالهم، وهم في الباطن كافرون.

٩ يخادعون الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهم لا يخدعون في الحقيقة إلا أنفسهم، ولكنهم لا يشعرون بذلك؛ لأن الله تعالى يعلم السر وأخفى، وقد أطلع المؤمنين على صفاتهم وأحوالهم.

١٠ والسبب أن في قلوبهم شكاً، فزادهم الله شكاً إلى شكهم، والجزاء من جنس العمل،

ولهم عذاب أليم في الدرك الأسفل من النار، بسبب كذبهم على الله وعلى الناس، وتكذيبهم بما جاء به محمد ﷺ.

١١ وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها؛ أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الإصلاح والإصلاح.

١٢ والحقيقة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد.

١٣ وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ؛ أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم:

أؤمن كإيمان خفاف العقول. والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

١٤ وإذا التقوا المؤمنين قالوا: صدقنا بما تؤمنون به، يقولون ذلك خوفاً من المؤمنين، وإذا انصرفوا من

المؤمنين إلى رؤسائهم منفردين بهم، قالوا مؤكدين ثباتهم على متابعتهم لهم: إنا معكم على طريقتكم، ولكننا

نوافق المؤمنين ظاهراً سخرية بهم واستهزاء.

١٥ الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، جزاءً لهم من جنس عملهم، ولهذا أجرى لهم أحكام

المسلمين في الدنيا، وأما في الآخرة فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم، كما يملي لهم ليتمادوا في ضلالهم

وطغيانهم، فيبقوا حائرين مترددين.

١٦ أولئك هم السفهاء لأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما

كانوا مهتدين إلى الحق.

﴿فوائد من الآيات﴾:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٧ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٩ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ إِلَّا أَنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَأَمِنُوا كَمَا ءَأَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَأَمَنَ السُّفَهَاءُ ١٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ الْآيَاتُ تُنذِرُونَ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ١٤ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ١٦

١٧ وإذا نهوا عن الإفساد في الأرض بالكفر والذنوب وغيرها؛ أنكروا وزعموا أنهم هم أصحاب الإصلاح والإصلاح.

١٨ والحقيقة أنهم هم أصحاب الإفساد، ولكنهم لا يشعرون بذلك، ولا يشعرون أن فعلهم عين الفساد.

١٩ وإذا أمروا بالإيمان كما آمن أصحاب محمد ﷺ؛ أجابوا على سبيل الاستنكار والاستهزاء بقولهم:

أؤمن كإيمان خفاف العقول. والحق أنهم هم السفهاء، ولكنهم يجهلون ذلك.

٢٠ وإذا التقوا المؤمنين قالوا: صدقنا بما تؤمنون به، يقولون ذلك خوفاً من المؤمنين، وإذا انصرفوا من

المؤمنين إلى رؤسائهم منفردين بهم، قالوا مؤكدين ثباتهم على متابعتهم لهم: إنا معكم على طريقتكم، ولكننا

نوافق المؤمنين ظاهراً سخرية بهم واستهزاء.

٢١ الله يستهزئ بهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين، جزاءً لهم من جنس عملهم، ولهذا أجرى لهم أحكام

المسلمين في الدنيا، وأما في الآخرة فيجازيهم على كفرهم ونفاقهم، كما يملي لهم ليتمادوا في ضلالهم

وطغيانهم، فيبقوا حائرين مترددين.

٢٢ أولئك هم السفهاء لأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، فما ربحت تجارتهم؛ لخسارتهم الإيمان بالله، وما

كانوا مهتدين إلى الحق.

٢٣ أن من طبع الله على قلوبهم بسبب عنادهم وتكذيبهم لا تنفع معهم الآيات وإن عظمت.

٢٤ أن إمهال الله تعالى للظالمين المكذبين لم يكن عن غفلة أو عجز عنهم، بل ليزدادوا إثماً، فتكون

عقوبتهم أعظم.

﴿١٧﴾ ضرب الله لهؤلاء المنافقين مثلين: مثل ناري، ومثل مائي، فأما مثلهم الناري: فهم كمثل من أوقد ناراً ليستضيء بها، فلما سطع نورها وظن أنه ينتفع بضوئها خمدت، فذهب ما فيها من إشراق، وبقي ما فيها من إحراق، فبقي أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون سبيلاً. ﴿١٨﴾ فهم صم لا يسمعون الحق سماع قبول، بكم لا ينطقون به، عمي عن إبصاره، فلا يرجعون عن ضلالهم.

﴿١٩﴾ وأما مثلهم المائي: فهم كمثل مطر كثير، من سحب فيه ظلمات متراكمة ورعد وبرق، نزل على قوم فأصابهم ذعر شديد، فجعلوا يصدون آذانهم بأطراف أصابعهم، من شدة صوت الصواعق خوفاً من الموت، والله محيط بالكافرين لا يعجزونه.

﴿٢٠﴾ يكاد البرق من شدة لمعانه وسطوعه يأخذ أبصارهم، كلما ومض البرق لهم وأضاء تقدموا، وإذا لم يضيء بقوا في الظلام، فلم يستطيعوا التحرك، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم بقدرته الشاملة لكل شيء؛ فلا تعود إليهم لإعراضهم عن الحق. فكان المطر مثلاً للقرآن، وصوت الصواعق مثلاً لما فيه من الزواجر، وضوء البرق مثلاً لظهور الحق لهم أحياناً، وجعل سد الآذان من شدة الصواعق، مثلاً لإعراضهم عن الحق وعدم الاستجابة له، ووجه الشبه بين المنافقين وأصحاب المثلين؛ هو عدم الاستفادة، ففي المثل الناري لم يستفد مستوقداً غير الظلام والإحراق، وفي المثل المائي لم يستفد أصحاب المطر إلا ما يروعهم ويزعجهم من الرعد والبرق، وهكذا المنافقون لا يرون في الإسلام إلا الشدة والقسوة.

ولما ذكر الله أنواع الناس من مؤمنين وكافرين ومنافقين؛ ناداهم جميعاً داعياً إليهم إلى إفراده بالعبادة، فقال: ﴿٢١﴾ يا أيها الناس اعبدوا ربكم وحده دون سواه؛ لأنه الذي خلقكم وخلق الأمم السابقة لكم، رجاء أن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية؛ بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢٢﴾ فهو الذي جعل لكم الأرض بساطاً ممهّداً، وجعل السماء من فوقها محكمة البنيان، وهو المنعم بإنزال المطر، فأثبت به مختلف الثمار من الأرض، لتكون رزقاً، فلا تجعلوا لله شركاء وأمثالا وأنتم تعلمون أنه لا يستحق العبادة غيره. ﴿٢٣﴾ وإن كنتم - يا أيها الناس - في شك من القرآن المنزل على عبدنا محمد ﷺ، فتحداكم أن تعارضوه بالإتيان بسورة واحدة مماثلة له، ولو كانت أقصر سورة منه، ونادوا من استطعتم من أنصاركم إن كنتم صادقين فيما تدعون. ﴿٢٤﴾ فإن لم تفعلوا ذلك، ولن تقدرُوا عليه أبداً، فاتقوا النار التي توقد بالناس المستحقين للعذاب، وبالحجارة التي كانوا يعبدونها من دون الله، فأوقدت بالعباد والمعبود، هذه النار قد أعدها الله وهبها للكافرين.

﴿٢٥﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - أن الله تعالى يخذل المنافقين في أشد أحوالهم حاجة وأكثرها شدة؛ جزاء نفاقهم وإعراضهم عن الهدى.
- ٢ - من أعظم الأدلة على وجوب إفراد الله بالعبادة أنه تعالى هو الذي خلق لنا ما في الكون وجعله مسجراً لنا.
- ٣ - عجز الخلق عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم يدل على أنه تنزيل من حكيم عليم.

﴿١٥﴾ وإذا كان الوعيد السابق للكافرين؛ فبشر أيها النبي المؤمنين بالله الذين يعملون الصالحات؛ بما يسرهم من جنات تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها، كلما أطمعوا من ثمارها الطيبة رزقاً؛ قالوا من شدة الشبه بثمار الدنيا: هذا مثل الثمار التي رزقنا من قبل، وقدمت لهم ثمار متشابهة في شكلها واسمها حتى يقبلوا عليها بحكم المعرفة بها، ولكنها مختلفة في طعمها ومذاقها، ولهم في الجنة أزواج مبرأة من كل ما تنفر منه النفس، ويستفقد طبعاً مما يتصور في أهل الدنيا، وهم في نعيم دائم لا ينقطع، بخلاف نعيم الدنيا المنقطع.

﴿١٦﴾ إن الله ﷻ لا يمنعه الحياء من ضرب الأمثال بما شاء، فيضرب المثل بالبعوضة، فما فوقها في الكبر أو دونها في الصغر، والناس أمام هذا نوعان: مؤمنون وكافرون، فأما المؤمنون فيصدقون ويعلمون أن من وراء ضرب المثل بها حكمة، وأما الكافرون فيتساءلون على سبيل الاستهزاء عن سبب ضرب الله الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة؛ كالبعوض، والذباب، والعنكبوت، وغيرها، فيأتي الجواب من الله: إن في هذه الأمثال هدايات وتوجيهات واختباراً للناس، فمنهم من يضلهم الله بهذه الأمثال لإعراضهم عن تدبرها، وهم كثير، ومنهم من يهديهم بسبب

اعتاظهم بها، وهم كثير، ولا يضل إلا من كان مستحقاً للضلال، وهم الخارجون عن طاعته.

﴿١٧﴾ الذين يتقصون عهد الله الذي أخذه عليهم بعبادته وحده واتباع شريعته، وذلك في قوله: ﴿وَأْمُرَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وأكد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، هؤلاء الذين يتنكرون لعهود الله يتصفون بأنهم يقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام، ويسعون لنشر الفساد في الأرض بالمعاصي، فهؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

﴿١٨﴾ إن أمركم - أيها الكفار - لعجب! كيف تجحدون وحدانية الله تعالى، وأنتم تشهدون دلائل قدرته في أنفسكم، فقد كنتم عدماً لا شيء، فأنتأكم وأحياكم، ثم هو يميتكم الموتة الثانية، ثم يحييكم الحياة الثانية، ثم يرجعكم إليه ليحاسبكم على ما قدمتم.

﴿١٩﴾ والله وحده الذي خلق لكم جميع ما في الأرض من أنهار وأشجار وغير ذلك مما لا يحصى عدده، وأنتم تتنفقون به وتستمتعون بما سخره لكم، ثم قصد إلى السماء فخلقهن مستويات سبع سماوات، وهو الذي أحاط علمه بكل شيء.

﴿٢٠﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - من كمال النعيم في الجنة أن ملذاتها لا يكدرها أي نوع من التنغيص، ولا يخالطها أي أذى.
- ٢ - الأمثال التي يضربها الله تعالى لا يتنفق بها إلا المؤمنون؛ لأنهم هم الذين يريدون الهداية بصدق، ويطلبونها بحق.
- ٣ - من أبرز صفات الفاسقين نقض عهودهم مع الله ومع الخلق، وقطعهم لما أمر الله تعالى بوصله، وسعيهم بالفساد في الأرض.
- ٤ - الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة؛ لأن الله تعالى امتن على عباده بأن خلق لهم كل ما في الأرض.

﴿٣١﴾ يخبر الله تعالى نبيه والناس أيضًا أنه سبحانه قال للملائكة: إنه سيجعل في الأرض بشرًا يخلف بعضهم بعضًا، للقيام بعمارتها على طاعة الله، فسأل الملائكة ربهم - سؤال استرشاد واستفهام - عن الحكمة من جعل بني آدم خلفاء في الأرض، وهم سيفسدون فيها، ويريقون الدماء ظلمًا، قائلين: ونحن أهل طاعتك، ننزهك حامدين لك، ومعظمين جلالك وكمالك، لا نفتخر عن ذلك، فأجابهم الله عن سؤالهم: إني أعلم ما لا تعلمون من الحكم الباهرة في خلقهم، والمقاصد العظيمة من استخلافهم.

﴿٣٢﴾ وليبيان منزلة آدم ﷺ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان والجماد؛ ألفاظها ومعانيها، ثم عرض تلك المسميات على الملائكة قائلًا: أخبروني بأسمائها إن كنتم صادقين فيما تقولون أنكم أكرم من هذا المخلوق وأفضل منه.

﴿٣٣﴾ قالوا - مُتغربين بنقصهم مُرجعين الفضل إلى الله -: نُنزهك يا ربنا عن الاعتراض عليك في حُكمك وشرعك، فنحن لا نعلم شيئًا إلا ما رزقتنا علمه، إنك أنت العليم الذي لا يخفى عليك شيء، الحكيم في قدرك وشرعك.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُبْحِحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَيْنِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٧﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾

﴿٣١﴾ وعندئذ قال الله تعالى لآدم: أخبرهم بأسماء تلك المسميات، فلما أخبرهم كما علمه ربه، قال الله للملائكة: ألم أقل لكم: إني أعلم ما خفي في السموات وفي الأرض، وأعلم ما تظهرون من أحوالكم وما تحدثون به أنفسكم.

﴿٣٢﴾ يبين الله تعالى أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم سجود تقدير واحترام، فسجدوا مسارعين لامتنان أمر الله، إلا ما كان من إبليس الذي كان أصلًا من الجن، لكنه لكثرة عبادته ألحقه الله بالملائكة، ثم عاد إلى طبيعه حيث امتنع اعتراضًا على أمر الله له بالسجود وتكبيرًا على آدم، فصار بذلك من الكافرين بالله تعالى.

﴿٣٣﴾ قلنا: يا آدم اسكن أنت وزوجك - حواء - الجنة، وكلا منها أكلًا هنيئًا واسعًا لا مُنْعَص فيه، في أي مكان من الجنة، وإياكما أن تقربا هذه الشجرة التي نهيتكما عن الأكل منها، فتكونا من الظالمين بعصيان ما أمرتكم به.

﴿٣٤﴾ فلم يزل الشيطان يوسوس لهما ويزين؛ حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء وتمتع بما فيها من خيرات إلى أن تنتهي أجالكم، وتقوم الساعة.

﴿٣٥﴾ فأخذ آدم ما ألقى الله إليه من كلمات، وألهمه الدعاء بهن، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنَا طَائِفًا لَنَا نَقَرٌ وَقَدْ بَدَأَ خَلْقَ الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٣]، فقبل الله توبته، وغفر له، فهو سبحانه كثير التوبة على عباده، رحيمٌ بهم.

﴿٣٦﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - الواجب على المؤمن إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض خلقه وأمره أن يسلم الله في خلقه وأمره.
- ٢ - رَفَعَ القرآن الكريم منزلة العلم، وجعله سببًا للتفضيل بين الخلق.
- ٣ - الكِبَرُ هو رأس المعاصي، وأساس كل بلاء ينزل بالخلق، وهو أول معصية عُصِيَ الله بها.

﴿٣٨﴾ قلنا لهم: انزلوا جميعاً من الجنة إلى الأرض، فإن جاءكم هداية على أيدي رسلي، فمن اتبعها، وآمن برسلي فلا خوف عليهم في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. ﴿٣٩﴾ وأما الذين جحدوا وكذبوا بآياتنا؛ فأولئك هم أصحاب النار المقيمون فيها.

﴿٤٠﴾ يا أبناء نبي الله يعقوب تذكروا نعم الله المتتالية عليكم واشكروها، والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم؛ من الإيمان بي وبرسلي، والعمل بشرايعي، فإن وفيتم به أوفيت بعهدي لكم فيما وعدتكم به؛ من الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن يوم القيامة، وإيادي وحدي فخافوني ولا تنقضوا عهدي.

﴿٤١﴾ وآمنوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ موافقاً لما جاء في التوراة قبل تحريفها في شأن توحيد الله، ونبوته محمد ﷺ، واحذروا من أن تكونوا أول فريق يكفر به، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمناً قليلاً من جاه ورتاسة، واتقوا غضبي وعذابي.

﴿٤٢﴾ ولا تخلطوا الحق - الذي أنزلته على رسلي - بما تفترون من أكاذيب، ولا تكتموا الحق الذي جاء في كتبكم من صفة محمد ﷺ، مع علمكم به ويقينكم منه.

﴿٤٣﴾ وأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها

﴿٣٨﴾ قُلْنَا أَهبطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَاْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِي ثُمَّ قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْتَقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسِنُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

وسنتها، وأخرجوا زكاة أموالكم التي جعلها الله في أيديكم، واخضعوا لله مع الخاضعين له من أمة محمد ﷺ. ﴿٤٤﴾ ما أفصح أن تأمروا غيركم بالإيمان وفعل الخير، وتعرضوا أنتم عنه ناسين أنفسكم، وأنتم تقرؤون التوراة، عالمين بما فيها من الأمر باتباع دين الله، وتصديق رسله، أفلا تنتفعون بعقولكم؟! ﴿٤٥﴾ واطلبوا العون على كل أحوالكم الدينية والدنيوية؛ بالصبر وبالصلاة التي تقربكم إلى الله وتصلكم به، فيعينكم ويحفظكم ويذهب ما بكم من ضرر، وإن الصلاة لشاقة وعظيمة إلا على الخاضعين لربهم.

﴿٤٦﴾ وذلك لأنهم هم الذين يوقنون أنهم واردون على ربهم وملاقوه يوم القيامة، وأنهم إليه راجعون ليجازيهم على أعمالهم.

﴿٤٧﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمي الدينية والدنيوية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني فضلتكم على أهل زمانكم المعاصرين لكم بالنبوته والملك.

﴿٤٨﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ذلك اليوم الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً، ولا تُقبلُ فيه شفاعة أحد بدفع ضرر أو جلب نفع إلا بإذن من الله، ولا يؤخذ فداء ولو كان ملاء الأرض ذهباً، ولا ناصر لهم في ذلك اليوم، فإذا لم ينفع شافع ولا فداء ولا ناصر، فأين المفر؟! ﴿٤٩﴾

﴿٤٩﴾ فَوَاظِعُوا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - من أعظم الخذلان أن يأمر الإنسان غيره بالبر، وينسى نفسه.

٢ - الصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد في شؤونه كلها.

٣ - في يوم القيامة لا يدفع العذاب عن المرء الشفعاء ولا الفداء، ولا ينفعه إلا عمله الصالح.

﴿٤١﴾ واذكروا يا بني إسرائيل حين أنقذناكم من أتباع فرعون الذين كانوا يذيقونكم أصناف العذاب؛ حيث يقتلون أبناءكم ذبحاً، حتى لا يكون لكم بقاء، ويتركون نساءكم أحياءً ليخدمهم إمعاناً في إذلالكم وإهانتكم، وفي إنجائكم من بطش فرعون وأتباعه اختبار عظيم من ربكم لكم لعلكم تشكرون.

﴿٤٢﴾ واذكروا من نعمنا عليكم أن شققنا لكم البحر فجعلناه طريقاً يابساً تسيرون فيه، فأنجيناكم، وأغرقنا عدوكم فرعون وأتباعه أمام أعينكم وأنتم تنظرون إليهم.

﴿٤٣﴾ واذكروا من هذه النعم موعدتنا موسى أربعين ليلةً ليبيّن فيها إنزال التوراة نوراً وهدى، ثم ما كان منكم إلا أن عبدتم العجل في تلك المدة، وأنتم ظالمون بفعلكم هذا.

﴿٤٤﴾ ثم تجاوزنا عنكم بعد توبتكم، فلم نؤاخذكم لعلكم تشكرون الله بحسن عبادته وطاعته.

﴿٤٥﴾ واذكروا من هذه النعم أن آتينا موسى ﴿٤٦﴾ التوراة فرقاناً بين الحق والباطل وتمييزاً بين الهدى والضلال لعلكم تهتدون بها إلى الحق.

﴿٤٧﴾ واذكروا من هذه النعم أن وفقكم الله للتوبة من عبادة العجل، حيث قال موسى ﴿٤٨﴾

لكم: إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلهاً تعبدونه، فتوبوا وارجعوا إلى خالقكم، وذلك بأن يقتل بعضكم بعضاً؛ والتوبة على هذا النحو خير لكم من التماسي في الكفر المؤدي إلى الخلود في النار، فقمتم بذلك بتوفيق من الله وإعانة، فتاب عليكم؛ لأنه كثير التوبة رحيم بعباده.

﴿٤٩﴾ واذكروا حين قال أبواؤكم مخاطبين موسى ﴿٥٠﴾ بجرأة: لن نؤمن لك حتى نرى الله عياناً لا يُحجب عنا، فأخذتكم النار المحرقة، فقتلتكم وبعضكم ينظر إلى بعض، ثم أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون الله على إنعامه عليكم بذلك.

﴿٥١﴾ ومن نعمنا عليكم أن أرسلنا السحاب يظلكم من حر الشمس لما تُهْتَمُّ في الأرض، وأنزلنا عليكم المَنِّ وهو شراب حلومثل العسل، والسَّلْوَى وهو طائر صغير طيب اللحم، وقلنا لكم: كلوا من طبيبات ما رزقناكم. وما نقصونا شيئاً بجحدهم هذه النعم وكفرانها، ولكن ظلموا أنفسهم بنقص حظها من الثواب وتعريضها للعقاب.

﴿٥٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - عِظْمُ نِعْمِ اللَّهِ وَكَثْرَتِهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَعَ هَذَا لَمْ تَزِدْهُمْ إِلَّا تَكْبُرًا وَعِنَادًا.

٢ - سَعَةً حَلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بَعْبَادِهِ، وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُمْ.

٣ - الْوَحْيُ هُوَ الْفَيْضُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

﴿٥٨﴾ واذكروا من نعم الله عليكم حين قلنا لكم: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا مما فيه من الطيبات من أي مكان شئتم أكلًا هنيئًا واسعًا، وكونوا في دخولكم راكعين خاضعين لله، واسألوا الله قائلين: ربنا حط عنا ذنوبنا؛ نستجب لكم، وسنزيد الذين أحسنوا في أعمالهم ثوابًا على إحسانهم.

﴿٥٩﴾ فما كان من الذين ظلموا منهم إلا أن بدلوا العمل، وحرّفوا القول، فدخلوا يزحفون على أديبارهم، وقالوا: حبة في شعرة، مستهزئين بأمر الله تعالى؛ فكان الجزء أن أنزل الله على الظالمين منهم عذابًا من السماء بسبب خروجهم عن حد الشرع ومخالفة الأمر.

﴿٦٠﴾ واذكروا من نعم الله عليكم لما كنتم في الثيّه، ونالكم العطش الشديد، فتضرع موسى ﷺ إلى ربه وسأله أن يسقيكم؛ فأمرناه أن يضرب بعصاه الحجر؛ فلما ضربه تفجرت منه اثنتا عشرة عينًا بعدد قبائلكم، وانبعث منها الماء، وبيّنا لكل قبيلة مكان شربها الخاص بها، حتى لا يقع نزاع بينهم، وقلنا لكم: كلوا واشربوا من رزق الله الذي ساقه إليكم بغير جهد منكم ولا عمل، ولا تسعوا في الأرض مفسدين فيها.

﴿٦١﴾ واذكروا حين كفرتم نعمة ربكم فمَلَلْتُمْ من أكل ما أنزل الله عليكم من المَنِّ والسَّلْوَى، وقلتم: لن نصبر على طعام واحد لا يتغير، فطلبتم من موسى ﷺ أن يدعو الله أن يخرج لكم من نبات الأرض من بقولها وحُضْرها وقثائها (يشبه الخيار لكنه أكبر) وجوبها وعدسها وبصلها طعامًا؛ فقال موسى ﷺ مستكرًا طلبكم أن تستبدلوا الذي طلبتم وهو أقل وأدنى، بالمَنِّ والسَّلْوَى وهو خير وأكرم، وقد كان يأتيكم دون عناء وتعب: انزلوا من هذه الأرض إلى أي قرية، فستجدون ما سألتكم في حقولها وأسواقها. وابتاعهم لأهوائهم وإعراضهم المتكرر عما اختاره الله لهم؛ لأزهم الهوان والفقر والبؤس، ورجعوا بغضب من الله؛ لإعراضهم عن دينه، وكفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءه ظلمًا وعدوانًا، كل ذلك بسبب أنهم عصوا الله وكانوا يتجاوزون حدوده.

﴿٦٢﴾ فَوَالَّذِينَ الْآيَاتِ:

- ١ - كل من يتلاعب بنصوص الشرع ويحرّفها فيه شبهة من اليهود، وهو مُتَوَعِّدٌ بعقوبة الله تعالى.
- ٢ - الاستهزاء بشرع الله تعالى وأمره من أخلاق اليهود التي استحقوا بها العقوبة الشديدة.
- ٣ - عَظُمَ فضل الله تعالى على بني إسرائيل، وفي مقابل ذلك شدة جحودهم وعنادهم وإعراضهم عن الله وشرعه.
- ٤ - كلما عَظُمَت نعمة الله على العبد عَظُمَ ما يجب عليه من الشكر، فإذا كفر بها كان كفرانه أشد جريمة وأبلغ عقوبة.
- ٥ - أن من شؤم المعاصي وتجاوز حدود الله تعالى ما ينزل بالمرء من الذل والهوان، وتسلب الأعداء عليه.

﴿١٢﴾ إن من آمن من هذه الأمة، وكذلك من آمن من الأمم الماضية قبل بعثة محمد ﷺ من يهود ونصارى وصابئة - وهم طائفة من أتباع بعض الأنبياء قيل: كانوا على ملة إبراهيم عليه السلام - لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه في الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهذا الحكم قبل بعثة النبي ﷺ، وأما بعد بعثته فإن الدين المرصّي عند الله هو الإسلام، لا يقبل غيره، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿١٣﴾ واذكروا ما أخذنا عليكم من العهد المؤكد، من الإيمان بالله ورسله، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفاً لكم وتحذيراً من ترك العمل بالعهد، أمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التوراة بجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتقون عذاب الله تعالى.

﴿١٤﴾ فما كان منكم إلا أن أعرضتم وعصيتم بعد أخذ العهد المؤكد عليكم، ولولا فضل الله عليكم بالتجاوز عنكم، ورحمته بقبول توبتكم؛ لكنتم من الخاسرين بسبب ذلك الإعراض والعصيان.

﴿١٥﴾ ولقد علمتم خبر أسلافكم علماً لا ليس فيه؛ حيث اعتدوا بالصيد يوم السبت الذي حرّم عليهم الصيد فيه، فاحتالوا على ذلك بنصب الشباك قبل يوم السبت، والصيد يوم الأحد؛ فجعل الله تعالى منهم قردة منبوذين عقوبة لهم على تحاليلهم.

﴿١٦﴾ فجعلنا هذه القرية المعتدية عبرة لما جاورها من القرى، وعبرة لمن يأتي بعدها؛ حتى لا يعمل بعملها فيستحق عقوبتها، وجعلناها تذكرة للمتقين الذين يخافون عقاب الله وانقمامه لمن يتعدى حدوده.

﴿١٧﴾ واذكروا من خبر أسلافكم ما جرى بينهم وبين موسى عليه السلام، حيث أخبرهم بأمر الله لهم أن يذبوا بقرة من البقر، فبدلاً من المسارعة قالوا مُتَعَبِّين: أتجعلنا موضعاً للاستهزاء! فقال موسى: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين الذين يكذبون على الله، ويستهزئون بالناس.

﴿١٨﴾ قالوا لموسى: ادع لنا ربك حتى يبين لنا صفة البقرة التي أمرنا بذبحها، فقال لهم: إن الله يقول: إنها بقرة ليست كبيرة السن ولا صغيرة، ولكن وسط بين ذلك، فبادروا بامتثال أمر ربكم.

﴿١٩﴾ فاستمروا في جدالهم وتعتنهم قائلين لموسى عليه السلام: ادع ربك حتى يبين لنا ما حقيقة لونها، فقال لهم موسى: إن الله يقول: إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة، تعجب كل من ينظر إليها.

﴿٢٠﴾ فإذ من الآيات:

١ - قد يُعَجِّلُ اللهُ الْعُقُوبَةَ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ لِتَكُونَ تَذَكُّرًا يَتَعَطَّ بِهَا النَّاسُ فَيَحْذَرُوا مَخَالَفَةَ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

٢ - تحريم الاحتيال على الشريعة؛ لأن الله تعالى لا يخادع.

٣ - أن من ضيق على نفسه وشدد عليها فيما ورد موسعاً في الشريعة قد يعاقب بالتشديد عليه.

﴿٧٥﴾ ثم تمادوا في تعنتهم قائلين: ادع لنا ربك حتى يبين لنا مزيداً من صفاتها؛ لأن البقر المتصف بالصفات المذكورة كثير لا يستطيعون تعيينها من بينها، مؤكدين أنهم - إن شاء الله - مهتدون إلى البقرة المطلوب ذبحها.

﴿٧٦﴾ فقال لهم موسى: إن الله يقول: إن صفة هذه البقرة أنها غير مدللة بالعمل في الحراثة، ولا في سقاية الأرض، وهي سالمة من العيوب، ليس فيها علامة من لون آخر غير لونها الأصفر، وعندئذ قالوا: الآن جئت بالوصف الدقيق الذي يعين البقرة تماماً، وذبحوها بعد أن أوشكوا ألا يذبحوها بسبب الجدل والتعنت.

﴿٧٧﴾ واذكروا حين قتلتم واحداً منكم فتدافعتم، كلٌ يدفع عن نفسه تهمة القتل، ويرمي بها غيره، حتى تنازعتم، والله مخرج ما كنتم تخفونه من قتل ذلك البريء.

﴿٧٨﴾ فقلنا لكم: اضربوا القليل بجزء من البقرة التي أمرتم بذبحها؛ فإن الله سيحييه ليخبر من القاتل! ففعلوا ذلك فأخبر بقاتله. ومثل إحياء هذا الميت يحيي الله الموتى يوم القيامة، ويربيكم الدلائل البينة على قدرته، لعلمكم تعقلونها فتؤمنون حقاً بالله تعالى.

﴿٧٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا لَئِن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَدَجُّوهُمَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْ تَمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٨١﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَى فَيُخْرَجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ أَفَنْظَمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٥﴾

﴿٨٥﴾ ثم قست قلوبكم من بعد هذه المواعظ البليغة والمعجزات الباهرة، حتى صارت مثل الحجارة، بل أشد صلابة منها؛ فهي لا تتحول عن حالها أبداً، وأما الحجارة فتتغير وتتحول، فإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يتشقق فيخرج منه الماء ينابيع جارية في الأرض، ينتفع بها الناس والدواب، ومنها ما يسقط من أعالي الجبال خشية من الله ورهبة، وليست كذلك قلوبكم، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو عالم به، وسيجازيكم عليه.

﴿٨٦﴾ لا تتوقعوا - أيها المؤمنون - بعد أن علمتم حقيقة حال اليهود وعنادهم أن يؤمنوا، ويستجيبوا لكم! وقد كان جماعة من علمائهم يسمعون كلام الله المنزل عليهم في التوراة؛ ثم يغيرون ألفاظها ومعانيها بعد فهمهم لها ومعرفتهم بها، وهم يعلمون عظم جريمتهم.

﴿٨٧﴾ من تناقضات اليهود ومكرهم أنهم إذا لقي بعضهم المؤمنين اعترفوا لهم بصدق النبي محمد ﷺ وصحة رسالته وهو ما تشهد له التوراة، ولكن حين يخلو اليهود بعضهم ببعض يتلامون فيما بينهم بسبب هذه الاعترافات؛ لأن المسلمين يقيمون عليهم بها الحجة فيما صدر عنهم من الاعتراف بصدق النبوة.

﴿٨٨﴾ هَوَافِظٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أن بعض قلوب العباد أشد قسوة من الحجارة الصلبة؛ فلا تلين لموعظة، ولا ترق لذكرى.
- ٢ - أن الدلائل والبيانات - وإن عظمت - لا تنفع إن لم يكن القلب مستسلماً خاشعاً لله.
- ٣ - كشفت الآيات حقيقة ما انطوت عليه أنفس اليهود، حيث توارثوا الرعونة والخداع والتلاعب بالدين.

﴿٧٧﴾ هؤلاء اليهود يسلكون هذا المسلك المشين وكأنهم يغفلون عن أن الله يعلم ما يخفون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون منها، وسيظهرها لعباده ويفضحهم.

﴿٧٨﴾ ومن اليهود طائفة لا يعرفون القراءة والكتابة، لا يعلمون التوراة وما جاءت به ودلت عليه، وليس معهم إلا أكاذيب أخذوها من كبرائهم، يظنون أنها التوراة التي أنزلها الله.

﴿٧٩﴾ فهلاك وعذاب شديد ينتظر هؤلاء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون - كذبًا -: هذا من عند الله؛ ليستبدلوا بالحق واتباع الهدى ثمنًا زهيدًا في الدنيا، مثل المال والرئاسة، فهلاك وعذاب شديد لهم على ما كتبتهم أيديهم، مما يكذبون به على الله، وهلاك وعذاب شديد لهم على ما يكسبونه من وراء ذلك من مال ورئاسة.

﴿٨٠﴾ وقالوا - كذبًا وغرورًا -: لن تمسنا النار ولن ندخلها إلا أيامًا قليلة، قل - أيها النبي - لهؤلاء: هل أخذتم على ذلك وعدًا مؤكدًا من الله؟ فإن كان لكم ذلك؛ فإن الله لا يخلف وعده، أم أنكم تقولون على الله - كذبًا وزورًا - ما لا تعلمون؟

﴿٨١﴾ ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء؛ فإن الله يعذب كل من كسب سيئة الكفر، وأحاطت به ذنوبه من كل جانب؛ ويجازيهم بدخول النار وملازمتها،

﴿٨٢﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، ثوابهم عند الله دخول الجنة وملازمتها، ماكين فيها أبدًا.

﴿٨٣﴾ واذكروا - يا بني إسرائيل - العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم، بأن توحداوا الله ولا تعبدوا معه غيره، وبأن تحسنوا إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين المحتاجين، وبأن تقولوا للناس كلامًا حسنًا، أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر بلا غلظة وشدة، وبأن تؤدوا الصلاة تامة على نحو ما أمرتكم، وبأن تؤتوا الزكاة بصرفها لمستحقها طيبة بها أنفسكم، فما كان منكم بعد هذا العهد إلا أن انصرفتم معرضين عن الوفاء بما أخذ عليكم.

﴿٨٤﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بعض أهل الكتاب يدعي العلم بما أنزل الله، والحقيقة أن لا علم له بما أنزل الله، وإنما هو الوهم والجهل.
- ٢ - من أعظم الناس إثماً من يكذب على الله تعالى ورسوله؛ فينسب إليهم ما لم يكن منهم.
- ٣ - عَرَّ اليهود وأضلَّهم ما خصَّهم الله به من النعم، فظنوا جهلاً منهم بالله وحكمته أنه لا يعذبهم بعد ما أنعم عليهم بتلك النعم.
- ٤ - مع عظم المواثيق التي أخذها الله تعالى على اليهود وشدة التأكيد عليها لم يزدهم ذلك إلا إعراضاً عنها ورفضاً لها.

﴿٨٤﴾ واذكروا العهد المؤكد الذي أخذناه عليكم في التوراة من تحريم إراقة بعضكم دماء بعض، وتحريم إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم، ثم اعترفتم بما أخذناه عليكم من عهد بذلك، وأنتم تشهدون على صحته.

﴿٨٥﴾ ثم أنتم تخالفون هذا العهد؛ فيقتل بعضكم بعضاً، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم مستعنين عليهم بالأعداء ظلماً وعدواناً، وإذا جاؤوكم أسرى في أيدي الأعداء سعيتم في دفع الفدية لتخليصهم من أسرهم، مع أن إخراجهم من ديارهم محرّم عليكم، فكيف تؤمنون ببعض ما في التوراة من وجوب فداء الأسرى، وتكفرون ببعض ما فيها من صيانة الدماء، ومنع إخراج بعضكم بعضاً من ديارهم؟! فليس للذي يفعل ذلك منكم جزاء إلا الذل والمهانة في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة فإنه يردّ إلى أشد العذاب، وليس الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، وسيجازيكم به.

﴿٨٦﴾ أولئك الذين استبدلوا الحياة الدنيا بالآخرة، إيثاراً للنفسي على الباقي، فلا يخفف عنهم العذاب في الآخرة، وليس لهم ناصر ينصرهم يومئذ.

﴿٨٧﴾ ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه برسول من بعده على أثره، وآتينا عيسى ابن مريم الواضحة المبينة لصدقه؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وقويناه بالملك جبريل ﴿٨٨﴾، أفكلما جاءكم - يا بني إسرائيل - رسول من عند الله بما لا يوافق أهواءكم استكبرتم على الحق، وتعاليتم على رسل الله؛ فريقاً منهم تكذبون، وفريقاً تقتلون؟! ﴿٨٩﴾ لقد كانت حجة اليهود في عدم اتباع محمد ﴿٩٠﴾ قولهم: إن قلوبنا مغلقة لا يصل إليها شيء مما تقول ولا تفهمه، وليس الحال كما زعموا، بل طردّهم الله من رحمته بكفرهم فلا يؤمنون أبداً.

﴿٩١﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - من أعظم الكفر: الإيمان ببعض ما أنزل الله والكفر ببعضه؛ لأن فاعل ذلك قد جعل إلهه هواه.
- ٢ - عظم ما بلغه اليهود من العناد، واتباع الهوى، والتلاعب بما أنزل الله تعالى.
- ٣ - فضل الله تعالى ورحمته بخلقه، حيث تابع عليهم إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم للرشاد.
- ٤ - أن الله يعاقب المعرضين عن الهدى المعاندين لأوامره بالطبع على قلوبهم وطردهم من رحمته؛ فلا يهتدون إلى الحق، ولا يعملون به.

﴿٨٦﴾ ولما جاءهم القرآن الكريم من عند الله وهو موافق لما في التوراة والإنجيل في الأصول العامة الصحيحة، وكانوا من قبل نزوله يقولون: سننتصر على المشركين ويُفتح لنا حين يُبعث نبي فنؤمن به ونتبعه، فلما جاءهم القرآن ومحمد ﷺ على الصفة التي عرفوها والحق الذي علموه؛ كفروا به، فلعنة الله على الكافرين بالله ورسوله.

﴿٨٧﴾ يتبس الذي استبدلوا به حظ أنفسهم من الإيمان بالله ورسوله؛ فكفروا بما أنزل الله وكذبوا رسله، ظلمًا وحسدًا بسبب إنزال النبوة والقرآن على محمد ﷺ، فاستحقوا غضبًا مضاعفًا من الله تعالى بكفرهم بمحمد ﷺ، وبسبب تحريفهم التوراة من قبل. وللكافرين بنبوته محمد ﷺ عذاب مذل يوم القيامة.

﴿٨٨﴾ وإذا قيل لهؤلاء اليهود: آمنوا بما أنزل الله على رسوله من الحق والهدى، قالوا: نؤمن بما أنزل على أنبيائنا، ويكفرون بما سواه مما أنزل على محمد ﷺ، مع أن هذا القرآن هو الحق الموافق لما معهم من الله، ولو كانوا يؤمنون بما أنزل عليهم حقًا لآمنوا بالقرآن. قل - أيها النبي - جوابًا لهم: لِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين حقًا بما جاؤوكم به من الحق.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

يَسْمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَن يُزِيلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَبِعَضْبٍ عَلَىٰ غَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٨٧﴾

وَإِذْ أَيْقَلَ لَهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ لِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٨٩﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٩١﴾ ولقد جاءكم رسولكم موسى ﷺ بالآيات الواضحات الدالة على صدقه؛ ثم بعد ذلك جعلتم العجل إلهاً تعبدونه بعد ذهاب موسى لميقات ربه، وأنتم ظالمون لإشراككم بالله، وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

﴿٩٢﴾ واذكروا حين أخذنا عليكم عهدًا مؤكدًا باتباع موسى ﷺ، وقبول ما جاء به من عند الله، ورفعنا فوقكم الجبل تخويفًا لكم، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بجد واجتهاد، واسمعوا سماع قبول وانقياد، وإلا أسقطنا الجبل عليكم، فقلتم: سمعنا بأذاننا وعصينا بأفعالنا، وتمكنت عبادة العجل في قلوبهم بسبب كفرهم. قل - أيها النبي -: يتبس الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر والإعراض عن أمر الله إن كنتم مؤمنين؛ لأن الإيمان الحق لا يكون معه كفر وإعراض.

﴿٩٣﴾ قوله من الآيات:

١ - اليهود أعظم الناس حسدًا، إذ حملهم حسدهم على الكفر بالله وردّ ما أنزل، بسبب أن الرسول ﷺ لم يكن منهم.

٢ - معرفة اليهود للحق الذي نزل على نبينا معرفة تامة، ولكنهم كفروا به حسدًا وبغيًا من عند أنفسهم.

٣ - أن الإيمان الحق بالله تعالى يوجب التصديق بكل ما أنزل من كتب، وبجميع ما أرسل من رسل.

٤ - من أعظم الظلم الإعراض عن الحق والهدى بعد معرفته وقيام الأدلة عليه.

٥ - مع كثرة ما أخذ الله على اليهود من العهود والمواثيق المؤكدة إلا أنهم نقضوا العهد، وأخلفوا الوعد مرات كثيرة.

﴿٩٤﴾ قل - أيها النبي -: إن كانت لكم - يا يهود - الجنة في الدار الآخرة خالصة لا يدخلها غيركم من الناس؛ فتمنوا الموت واطلبوه؛ لتنالوا هذه المنزلة بسرعة، وتستريحوا من أعباء الحياة الدنيا وهمومها، إن كنتم صادقين في دعواكم هذه.

﴿٩٥﴾ ولن يتمنوا الموت أبدًا؛ بسبب ما قدموه في حياتهم من الكفر بالله، وتكذيب رسله، وتحريف كتبه، والله عليهم بالظالمين منهم ومن غيرهم، وسيجازي كلا بعمله.

﴿٩٦﴾ ولتجدن - أيها النبي - اليهود أشد الناس حرصًا على الحياة مهما كانت حقيرة ذليلة، بل هم أحرص من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب، ومع كونهم أهل كتاب، ويؤمنون بالبعث والحساب؛ فإن الواحد منهم يحب أن يبلغ عمره ألف سنة، وليس بمبعده عن عذاب الله طول عمره مهما بلغ، والله مطلع على أعمالهم بصير بها، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بها.

﴿٩٧﴾ قل - أيها النبي - لمن قال من اليهود: «إن جبريل عدونا من الملائكة»: من كان معاديًا لجبريل فإنه هو الذي نزل بالقرآن على قلبك بإذن من الله، مصدقًا لما سبق من الكتب الإلهية؛ كالتوراة والإنجيل، ودالًا على

﴿٩٤﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾
 ﴿٩٥﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
 ﴿٩٦﴾ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الخير، ومبشرًا للمؤمنين بما أعده الله لهم من النعيم، فمن كان معاديًا لمن هذه صفته وعمله فهو من الضالين.

﴿٩٨﴾ من كان معاديًا لله وملائكته ورسله، ومعاديًا للملائكة المقربين: جبريل وميكائيل؛ فإن الله عدو للكافرين منكم ومن غيركم، ومن كان الله عدوه فقد عاد بالخسران المبين.

﴿٩٩﴾ ولقد أنزلنا إليك - أيها النبي - علامات واضحات على صدقك فيما جئت به من النبوة والوحي، وما يجحد بها مع وضوحها وبيانها إلا الخارجون عن دين الله.

﴿١٠٠﴾ ومن سوء حال اليهود أنهم كلما أخذوا على أنفسهم عهدًا - ومن جملته الإيمان بما دلت عليه التوراة من نبوة محمد ﷺ - نقضه فريق منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بما أنزل الله تعالى حقيقة؛ لأن الإيمان يحمل على الوفاء بالعهد.

﴿١٠١﴾ ولما جاءهم محمد ﷺ رسول من عند الله موافق لما في التوراة من صفته، أعرض فريق منهم عما دلت عليه، وطرحوها وراء ظهورهم غير مباليين بها، مشابهين حال الجاهل الذي لا يتنفع بما فيها من الحق والهدى، فلا يبالي بها.

﴿١٠٢﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - المؤمن الحق يرجو ما عند الله من النعيم المقيم، ولهذا يفرح بلقاء الله ولا يخشى الموت.
- ٢ - حرص اليهود على الحياة الدنيا حتى لو كانت حياة حقيرة مهينة غير كريمة.
- ٣ - أن من عادى أولياء الله المقربين منه فقد عادى الله تعالى.
- ٤ - إعراض اليهود عن نبوة محمد ﷺ بعد ما عرفوا تصديقه لما في أيديهم من الكتب.
- ٥ - أن من لم يتنفع بعلمه صح أن يوصف بالجهل؛ لأنه شابه الجاهل في جهله.

﴿١٦٦﴾ ولما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تَقَوْلُهُ الشَّيَاطِينُ كَذِبًا عَلَى مُلْكِ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ ﷺ، حيث زعمت أنه بُنِيَ ملكه بالسحر، وما كفر سليمان بتعاطي السحر - كما زعمت اليهود - ولكن الشياطين كفروا حيث كانوا يَعْلَمُونَ الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحانًا وابتلاءً للناس، وما كان هذان الملكان يعلمان أي أحد السحر حتى يحذراه ويبيّن له بقولهما: إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر، فمن لم يقبل نصحهما تعلّم منهما السحر، ومنه نوع يفرق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهم، وما يضر أولئك السحرة أي أحد إلا بإذن الله ومشيتته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم أولئك اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله ما له في الآخرة من حظ ولا نصيب، ولبس ما باعوا به أنفسهم حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه، ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل المشين والضلال المبين.

﴿١٦٧﴾ ولو أن اليهود آمنوا بالله حقًا، واتقوه بفعل طاعته وترك معصيته؛ لكان ثواب الله خيرًا لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم.

وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرُوا سُلَيْمَانَ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَءِينَا وَقُولُوا آنظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦٦﴾ يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلًا لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: «راعنا»؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي ﷺ، يقصدون به معنى فاسدًا، فنهى الله عن هذه الكلمة سدًا لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلاً عنها: «انظُرْنَا»؛ أي: انظر إلينا وتمهل بنا، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موجه.

﴿١٦٧﴾ ما يحب الكفار أيًا كانوا أهل كتاب أو مشركين أن ينزل الله عليكم أي خير من ربكم، قليلًا كان أو كثيرًا، والله يختص برحمته من النبوة والوحي والإيمان من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم، فلا خير يناله أحد من الخلق إلا منه، ومن فضله بعث الرسول وإنزل الكتاب.

﴿١٦٨﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أن من أعرض عن الهدى مع علمه به عاقبه الله باتباع الباطل والعمل به.
- ٢ - سوء أدب اليهود مع أنبياء الله حيث نسبوا إلى سليمان ﷺ تعاطي السحر، فبرأه الله منه، وأكذَّبهم في زعمهم.
- ٣ - أن السحر له حقيقة وتأثير في العقول والأبدان. والساحر كافر، وحكمه القتل.
- ٤ - لا يقع في ملك الله تعالى شيء من الخير والشر إلا بإذنه وعلمه تعالى.
- ٥ - الإيمان وتقوى الله تعالى خير ما يدخره المرء لنفسه.
- ٦ - سد الذرائع من مقاصد الشريعة، فكل قول أو فعل يوهم أمورًا فاسدة يجب تجنبه والبعد عنه.
- ٧ - أن الفضل بيد الله تعالى وهو الذي يختص به من يشاء برحمته وحكمته.

﴿١٦٦﴾ يبين الله تعالى أنه حين يرفع حكم آية من القرآن أو يرفع لفظها فينساها الناس فإنه سبحانه يأتي بما هو أنفع منها في العاجل والآجل، أو بما هو مماثل لها، وذلك بعلم الله وحكمته، وأنت تعلم - أيها النبي - أن الله على كل شيء قدير، فيفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

﴿١٦٧﴾ قد علمت - أيها النبي - أن الله هو مالك السماوات والأرض، يحكم ما يريد، فيأمر عباده، وينهاهم بما يشاء، ويُقرّر من الشرع ما شاء، وينسخ ما شاء، وما لكم بعد الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يدفع عنكم الضر، بل الله هو ولي ذلك كله والقادر عليه.

﴿١٦٨﴾ ليس من شأنكم - أيها المؤمنون - أن تسألوا رسولكم - سؤال اعتراض وتعت - كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل، كقولهم: ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣]، ومن يستبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق الوسط الذي هو الصراط المستقيم.

﴿١٦٩﴾ تمنى كثير من أهل الكتاب أن يردوكم من بعد إيمانكم كفارًا كما كنتم تعبدون الأوثان، بسبب الحسد الذي في أنفسهم، يتمنون ذلك بعد ما تبين لهم أن الذي جاء به النبي حق من الله، فاعفوا - أيها المؤمنون - عن أفعالهم، وتجاوزوا عن جهلهم وسوء ما في نفوسهم، حتى يأتي حكم الله فيهم، وقد أتى أمر الله هذا وحكمه، فكان إما الإسلام وإما دفع الجزية وإما القتال، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزونه.

ثم بعد أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر على الأذى أمرهم بالثبات على دينهم، وتقويه إيمانهم فقال:

﴿١٧٠﴾ أدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وسننها، وأخرجوا زكاة أموالكم إلى مستحقيها، ومهما تعملوا من عمل صالح في حياتكم، فتقدموه قبل مماتكم ذخراً لأنفسكم؛ تجدون ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به، إن الله بما تعملون بصير فيجازي كلًا بعمله.

﴿١٧١﴾ وقالت كل طائفة من اليهود والنصارى: إن الجنة خاصة بطائفتهم، فقال اليهود: لن يدخلها إلا من كان يهوديًا، وقال النصارى: لن يدخلها إلا من كان نصرانيًا، تلك أمنياتهم الباطلة وأوهامهم الفاسدة، قل - أيها النبي - رادًا عليهم: هاتوا حججكم على ما تزعمون إن كنتم صادقين حقًا في دعواكم.

﴿١٧٢﴾ إنما يدخل الجنة كل من أخلص لله متوجهًا إليه، وهو - مع إخلاصه - محسنٌ في عبادته باتباع ما جاء به الرسول، فذاك الذي يدخل الجنة من أي طائفة كان، وله ثوابه عند ربه، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا. وهي أوصاف لا تتحقق بعد مجيء النبي محمد ﷺ إلا في المسلمين.

﴿١٧٣﴾ فإذ من الآيات:

١ - أن الأمر كله لله، فيبدل ما يشاء من أحكامه وشرائعه، ويبقي ما يشاء منها، وكل ذلك بعلمه وحكمته.

٢ - حسدٌ كثيرٌ من أهل الكتاب هذه الأمة، لما خصّها الله من الإيمان واتباع الرسول، حتى تمنوا رجوعها إلى الكفر كما كانت.

﴿١١٦﴾ وقالت اليهود: ليست النصارى على دين صحيح، وقالت النصارى: ليست اليهود على دين صحيح، وهم جميعًا يقرؤون الكتب التي أنزلها الله عليهم وما فيها من الأمر بالإيمان بكل الأنبياء دون تفریق، مشابهين في فعلهم هذا قول الذين لا يعلمون من المشركين؛ حين كذبوا بالرسول كلهم وبما أنزل عليهم من الكتب، فلهذا يحكم الله بين المختلفين جميعًا يوم القيامة، يحكمه العدل الذي أخبر به عباده: بأنه لا فوز إلا بالإيمان بكل ما أنزل الله تعالى.

﴿١١٧﴾ لا أحد أظلم من الذي منع أن يذكر اسم الله في مساجده، فَمَنَعَ الصَّلَاةَ وَالذِّكْرَ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِيهَا، وَسَعَى جَاهِدًا مُتَسَبِّبًا فِي خَرَابِهَا وَإِفْسَادِهَا؛ بهدمها أو المنع من أداء العبادة فيها، أولئك الساعون في خرابها ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ترجف أفئدتهم؛ لما هم عليه من الكفر والصد عن مساجد الله، لهم في الحياة الدنيا ذل وهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم على منعهم الناس من مساجد الله.

﴿١١٨﴾ والله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، يأمر عباده بما شاء، فحيثما تتوجهون فإنكم تستقبلون الله تعالى، فهو المحيط بخلقه، فإن أمركم باستقبال بيت المقدس أو الكعبة، أو أخطأتم في القبلة، أو شق عليكم استقبالها؛

فلا حرج عليكم؛ لأن الجهات كلها لله تعالى، إن الله واسع يسع خلقه برحمته وتيسيره، عليم بنياتهم وأفعالهم. ﴿١١٩﴾ وقال اليهود والنصارى والمشركون: اتخذ الله له ولدًا. تنزهه وتقدس عن ذلك، فهو الغني عن خلقه، وإنما يتخذ الولد من يحتاج إليه، بل له بِطْنَانٌ ملك ما في السماوات والأرض، كل الخلائق عبيد له سبحانه، خاضعون له، يتصرف فيهم بما يشاء.

﴿١٢٠﴾ والله سبحانه مُنْشِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَإِذَا قَدَّرَ أَمْرًا وَأَرَادَهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ

لِذَلِكَ الْأَمْرِ: «كُنْ»؛ فيكون على ما أراد الله أن يكون، لا رادٌ لأمره وقضائه. ﴿١٢١﴾ وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركين عنادًا للحق: لِمَ لَا يَكْلَمُنَا اللَّهُ دُونَ وَسْطَةِ، أَوْ تَأْتِينَا مَعْجَزَةً حَسِيَّةً خَاصَةً بِنَا؟ ومثل قولهم هذا قالت الأمم المكذبة من قَبْلِ لُرْسُلِهَا، تشابهت قلوبهم، فالكفر ملة واحدة، وإن اختلفت أزمته وأمكنته، قد أوضحنا الآيات لقوم يوقنون بالحق إذا ظهر لهم، لا يعترفهم شك، ولا يمنعهم عناد.

﴿١٢٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - بِالْحَقِّ الَّذِي لَا مَرِيَةَ فِيهِ؛ لتبشر المؤمنين بالجنة، وتنذر الكافرين بالنار، وليس عليك إلا البلاغ المبين، ولن يسألك الله عن الذين لم يؤمنوا بك من أصحاب الجحيم.

﴿١٢٣﴾ فَوَلِّ مِنَ الْأَيْمَانِ:

١ - الكفر ملة واحدة وإن اختلفت أجناس أهله وأماكنهم، فهم يتشابهون في كفرهم وقولهم على الله بغير علم.

٢ - أعظم الناس جرماً وأشدهم إثمًا من يصد عن سبيل الله، ويمنع من أراد فعل الخير.

٣ - تنزهه الله تعالى عن الصاحبة والولد، فهو سبحانه لا يحتاج لخلقه.

﴿١٢٠﴾ يخاطب الله نبيه موجهًا محذرًا قائلاً له :
 لن ترضى عنكم اليهود ولا النصارى حتى تترك
 الإسلام، وتتبع ما هم عليه، ولئن حصل هذا
 منك أو من أحد من أتباعك بعد الذي جاءك
 من الحق الواضح فلن تجد من الله مناصرة أو
 معونة، وهذا من باب بيان خطورة ترك الحق
 ومجاراة أهل الباطل.

﴿١٢١﴾ يتحدث القرآن الكريم عن طائفة من أهل
 الكتاب يعملون بما في أيديهم من كتب منزلة
 ويتبعونها حق اتباعها، هؤلاء يجدون في هذه
 الكتب علامات دالة على صدق النبي محمد ﷺ،
 ولهذا سارعوا إلى الإيمان به، وطائفة أخرى
 أصرت على كفرها فكان لها الخسران.

﴿١٢٢﴾ يا بني إسرائيل، اذكروا نعمتي الدينية
 والدينية التي أنعمت بها عليكم، واذكروا أنني
 فضلتكم على أهل زمانكم بالنبوة والملك.

﴿١٢٣﴾ واجعلوا بينكم وبين عذاب يوم القيامة
 وقاية؛ باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، فإنه
 لا تُغني - في ذلك اليوم - نفس عن نفس
 شيئاً، ولا يُقبل منها فيه أي فداء مهما عظم،
 ولا تنفعها فيه شفاععة من أحد مهما علا
 مكانه، وليس لها نصير ينصرها من دون الله.

﴿١٢٤﴾ يحدثنا القرآن أن الله تعالى اختبر
 إبراهيم ﷺ بما أمره به من أحكام وتكاليف،

﴿١٢٥﴾ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ
 هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمْ
 الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
 فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٦﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي
 أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا
 لَا تَجْرَىٰ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
 شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ
 فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا
 يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٨﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ
 وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿١٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ
 أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ
 فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣٠﴾

فقام بها وأتم أداءها على أكمل وجه، قال الله لنبيه إبراهيم: إني جاعلك للناس قدوة يُقتدى بك في أفعالك
 وأخلاقك، قال إبراهيم: واجعل - يا رب - من ذريتي كذلك أئمة يقتدي بهم الناس، قال الله مجيباً إياه: لا ينال
 عهدي لك بالإمامة في الدين الظالمين من ذريتك.

﴿١٣١﴾ كما يبين القرآن أن الله جعل البيت الحرام مرجعاً للناس تتعلق به قلوبهم، كلما رحلوا عنه رجعوا إليه،
 وجعلناه آمناً لهم، لا يُعتدى عليهم فيه. وقلنا للناس: اتخذوا من الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم وهو
 بيني الكعبة مكاناً للصلاة. وأوصينا إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت الحرام من الأقدار والأوثان لمن أراد
 التعبد فيه بالطواف والاعتكاف والصلاة وغيرها.

﴿١٣٢﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم وهو يدعو ربه: رب اجعل مكة بلداً آمناً، لا يُتعرض فيه لأحد بسوء،
 وارزق أهله من أنواع الثمرات، واجعله رزقاً خاصاً بالمؤمنين بك منهم، قال الله: ومن كفر منهم فأمتعه بما أرزقه
 في الدنيا متاعاً قليلاً، ثم في الآخرة ألجئته مكرهاً إلى عذاب النار، وبئس المصير الذي يرجع إليه يوم القيامة.

﴿١٣٣﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أن من قرأ الكتاب بحق من اليهود والنصارى يعرف أن ما جاء به نبينا ﷺ هو الهدى وهو من عند الله تعالى.
 ٢ - أن المسلمين مهما فعلوا من خير لليهود والنصارى؛ فلن يرضوا حتى يخرجوهم من دينهم، ويتابعوهم
 على ضلالهم.

٣ - الإمامة في الدين لا تُنال إلا بصحة اليقين والصبر على القيام بأمر الله تعالى.

٤ - بركة دعوة إبراهيم ﷺ للبلد الحرام، حيث جعله الله مكاناً آمناً للناس، وتفضل على أهله بأنواع الأرزاق.

﴿١٢٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين كان يرفع إبراهيم وإسماعيل أسس الكعبة، وهما يقولان - في خضوع وتذلل -: ربنا تقبل منا أعمالنا - ومنها بناء هذا البيت - إنك أنت السميع لأقوالنا، العليم بنياتنا وأعمالنا.

﴿١٢٨﴾ ربنا واجعلنا مستسلمين لأمرك، خاضعين لك، لا نشرك معك أحدًا، واجعل من ذريتنا أمة مستسلمة لك، وعرفنا عبادتك كيف تكون، وتجاوز عن سيئاتنا وتقصيرنا في طاعتك؛ إنك أنت الثواب على من تاب من عبادك، الرحيم بهم.

﴿١٢٩﴾ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم من ذرية إسماعيل، يتلو عليهم آياتك المنزلة، ويعلمهم القرآن والسنة، ويظهرهم من الشرك والردائل؛ إنك أنت العزيز في ذاتك، الحكيم في أفعالك وأحكامك.

﴿١٣٠﴾ ولا أحد ينصرف عن دين إبراهيم ﷺ إلى غيره من الأديان إلا من جهل قدر نفسه، ورضي لها بالهوان. ولقد اخترناه في الدنيا رسولاً وخليلاً، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أدوا ما أوجب الله عليهم، فنالوا أعلى الدرجات. ﴿١٣١﴾ اختاره الله لمسارحته إلى الإسلام حين قال له ربه: أخلص لي العبادة، واخضع لي بالطاعة، فقال مجيباً ربه: أسلمت لله خالق العباد ورازقهم ومدبر شؤونهم.

﴿١٣٢﴾ ووصى إبراهيم أبناءه بهذه الكلمة: «أسلمت لرب العالمين»، ووصى بها كذلك يعقوب أبناءه؛ قالاً متادين أبناءهما: إن الله اختار لكم دين الإسلام، فاستمسكوا به حتى يأتكم الموت، وأنتم مسلمون لله ظاهراً وباطناً.

﴿١٣٣﴾ أم كنتم حاضرين خبر يعقوب حين حضرته الوفاة، حيث قال لأبنائه سائلاً إياهم: ما تعبدون من بعد موتي؟ قالوا جواباً لسؤاله: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق، إلهاً واحداً لا شريك له، ونحن له وحده مستسلمون ومنقادون.

﴿١٣٤﴾ تلك أمة قد مضت فيمن مضى قبلكم من الأمم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من حسن أو سيئ، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، ولا يؤاخذ أحد بذنوب غيره، بل يجازى كل واحد بما قدم، فلا يشغلكم عمل من مضى قبلكم عن النظر في عملكم، فإن أحدًا لن ينفعه غير عمله الصالح.

﴿١٣٥﴾ فوائد من الآيات:

- المؤمن المتقي لا يغير بأعماله الصالحة، بل يخاف أن ترد عليه، ولا تقبل منه، ولهذا يُكثِرُ سؤال الله قبولها.
- بركة دعوة أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ، حيث أجاب الله دعاءه، وجعل خاتم أنبيائه وأفضل رسله من أهل مكة.
- مشروعية التوسل إلى الله تعالى في إجابة الدعاء بأسمائه وصفاته تعالى، وليس بالوسائل البدعية؛ كحرق فلان وجاه فلان.
- دين إبراهيم ﷺ هو الملة الحنيفية الموافقة للفطرة، لا يرغب عنها، ولا يزهدها فيها إلا الجاهل المخالف لفطرته.
- مشروعية الوصية للذرية باتباع الهدى، وأخذ العهد عليهم بالتمسك بالحق والثبات عليه.

﴿١٢٥﴾ وقال اليهود لهذه الأمة: كونوا يهودًا تسلكوا سبيل الهداية، وقال النصارى: كونوا نصارى تسلكوا سبيل الهداية. قل - أيها النبي - مجيبًا إياهم: بل نتبع دين إبراهيم، المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، ولم يكن ممن أشركوا مع الله أحدًا.

﴿١٢٦﴾ قولوا - أيها المؤمنون - لأصحاب هذه الدعوى الباطلة من يهود ونصارى: آمنا بالله وبالقرآن الذي أنزل إلينا، وآمنا بما أنزل على إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وآمنا بما أنزل على الأنبياء من ولد يعقوب، وآمنا بالتوراة التي آتاها الله موسى، والإنجيل الذي آتاه الله عيسى، وآمنا بالكتب التي آتاها الله الأنبياء جميعًا، لا نفرق بين أحد منهم فؤم من يبعث ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم جميعًا، ونحن له سبحانه وحده متقادون خاضعون.

﴿١٢٧﴾ فإن آمن اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار إيمانًا مثل إيمانكم؛ فقد اهدوا إلى الطريق المستقيم الذي ارتضاه الله، وإن أعرضوا عن الإيمان بأن كذبوا بالأنبياء كلهم أو ببعضهم فإنما هم في اختلاف وعداء، فلا تحزن أيها النبي فإن الله سيكفيك أذاهم، ويمنعك من شرهم، وينصرك عليهم، فهو السميع لأقوالهم، والعليم بنياتهم وأفعالهم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ أَتَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَأَلْكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٢٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِهِ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾

﴿١٢٨﴾ الزموا دين الله الذي فطركم عليه ظاهرًا وباطنًا، فلا أحسن دينًا من دين الله، فهو موافق للفترة، جالب للمصالح، مانع للمفاسد، وقولوا: نحن عابدون لله وحده لا نشرك معه غيره.

﴿١٢٩﴾ قل - أيها النبي -: أتجادلوننا - يا أهل الكتاب - في أنكم أولى بالله ودينه منّا؛ لأن دينكم أقدم وكتابكم أسبق، فإن ذلك لا ينفعكم، فالله هو ربنا جميعًا لا تختصون به، ولنا أعمالنا التي لا تسألون عنها، ولكم أعمالكم التي لا تسأل عنها، وكلُّ سيجزى بعمله، ونحن مخلصون لله في العبادة والطاعة لا نشرك به شيئًا.

﴿١٣٠﴾ أم تقولون - يا أهل الكتاب -: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأنبياء من ولد يعقوب، كانوا على ملة اليهودية أو النصرانية؟ قل - أيها النبي - مجيبًا إياهم: أنتم أعلم أم الله؟! فإن زعموا أنهم كانوا على ملتهم فقد كذبوا؛ لأن مبعثهم وموتهم كان قبل نزول التوراة والإنجيل! وعلم بذلك أن ما يقولونه كذب على الله ورسوله، وأنهم كتموا الحق الذي نزل عليهم، ولا أحد أظلم من الذي كتم شهادة ثابتة عنده علمها من الله، كفعل أهل الكتاب، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٣١﴾ تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت من الأعمال، ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عن أعمالهم، ولا يسألون عن أعمالكم، فلا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا ينتفع بعمل غيره، بل كلُّ سيجازى على ما قدم.

﴿١٣٢﴾ فَوَارِضَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أن دعوى أهل الكتاب أنهم على الحق لا تنفعهم وهم يكفرون بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ.
- ٢ - يجب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله وبالأنبياء الذين بعثهم سبحانه للناس.
- ٣ - أن الله تعالى قد ركز في فطر خلقه جميعًا الإقرار بربوبيته وألوهيته، وإنما يضلهم عنها الشيطان وأعوانه.

﴿١٤١﴾ سيقول الجاهل خفأ العقول من اليهود، ومن على شاكلتهم من المنافقين: ما صرف المسلمين عن قبلة بيت المقدس التي كانت قبلتهم من قبل؟! قل- أيها النبي- محيياً إياهم: الله وحده ملك المشرق والمغرب وغيرهما من الجهات، يوجه من شاء من عباده إلى أي جهة شاء، وهو سبحانه يهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف.

﴿١٤٢﴾ وكما جعلنا لكم قبلة ارتضيناها لكم؛ جعلناكم أمة خياراً عدولاً، وسطاً بين الأمم كلها، في العقائد والعبادات والمعاملات؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء لرسول الله أنهم بلغوا ما أمرهم الله بتبليغه لأمرهم، وليكون الرسول محمد ﷺ كذلك شهيداً عليكم أنه بلغكم ما أُرْسِلَ به إليكم. وما جعلنا تحويل القبلة التي كنت تتجه إليها- وهي بيت المقدس- إلا لنعلم علم ظهور يترتب عليه الجزاء من يرضى بما شرعه الله، ويُذعن له، فيتبع الرسول، ونعلم علم ظهور- كذلك- من يرتد عن دينه، ويتبع هواه، فلا يُذعن لما شرعه الله. ولقد كانت حادثة التحويل عن القبلة الأولى عظيمة إلا على الذين وفقهم الله للإيمان به، وبأن ما يشرعه لعباده إنما يشرعه لحكم بالغة. وما كان الله ليضع إيمانكم بالله، وعملكم الصالح، ومنه صلاتكم التي صليتموها قبل تحويل القبلة، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، فلا يشق عليهم، ولا يضيع ثواب أعمالهم.

﴿١٤٣﴾ قدرنا- أيها النبي- تحوّل وجهك ونظرك إلى جهة السماء، ترقباً وتحريماً لنزول الوحي بشأن القبلة وتحويلها إلى حيث تُحب، فلنوّجْهكَ إلى قبلة ترتضيها وتحبها- وهي بيت الله الحرام- بدل القبلة التي أنت عليها الآن، فاصرف وجهك إلى جهة بيت الله الحرام بمكة المكرمة، وأينما كنتم- أيها المؤمنون- فتوجهوا إلى جهته عند أداء الصلاة. وإن الذين أتوا الكتاب من اليهود والنصارى ليعلمون أن تحويل القبلة هو الحق المنزل من خالقهم ومدير أمرهم؛ لثبوته في كتابهم، وليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء المعرضون عن الحق، بل هو سبحانه عالم بذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿١٤٤﴾ والله لئن جئت- أيها النبي- الذين أتوا الكتاب من اليهود والنصارى مصحوباً بكل آية وبرهان على أن تحويل القبلة حق؛ ما توجهوا إلى قبلك عناداً لما جئت به، وتكبّراً عن اتباع الحق، وما أنت بمتوجه إلى قبلتهم بعد أن صرفك الله عنها، وما بعضهم بمتوجه إلى قبلة بعضهم؛ لأن كلاً منهم يكفر الفريق الآخر، ولئن اتبعت أهواء هؤلاء في شأن القبلة وغيرها من الشرائع والأحكام من بعد ما جاءك من العلم الصحيح الذي لا مرية فيه؛ إنك حينئذ لمن الظالمين بترك الهدى، واتباع والهوى. وهذا الخطاب للنبي ﷺ للدلالة على شناعة متابعتهم، وإلا فإن الله قد عصم نبيه من ذلك، فهو تحذير لأمته من بعده.

﴿١٤٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

- ١ - أن الاعتراض على أحكام الله وشرعه والتغافل عن مقاصدها دليل على السفه وقلة العقل.
- ٢ - فضل هذه الأمة وشرفها، حيث أثنى عليها الله ووصفها بالوسطية بين سائر الأمم.
- ٣ - التحذير من متابعة أهل الكتاب في أهوائهم؛ لأنهم أعرضوا عن الحق بعد معرفته.
- ٤ - جواز نسخ الأحكام الشرعية في الإسلام زمن نزول الوحي، حيث نُسِخَ التوجه إلى بيت المقدس، وصار إلى المسجد الحرام.

﴿١٤٦﴾ الذين آتيناهم الكتاب من علماء اليهود والنصارى؛ يعرفون محمداً ﷺ معرفة تامة، كما يعرفون أولادهم ويميزونهم من غيرهم، ومع ذلك فإن طائفة منهم ليكتُمون الحق الذي جاء به، حسداً من عند أنفسهم، يفعلون ذلك وهم يعلمون أنه الحق. ﴿١٤٧﴾ هذا هو الحق من ربك فلا تكونن - أيها الرسول - من الشاكين في صحته.

﴿١٤٨﴾ ولكل أمة من الأمم جهة يتجهون إليها حسية كانت أو معنوية، ومن ذلك اختلاف الأمم في قبلتهم وما شرع الله لهم، فلا يضر تنوع وجهاتهم إن كان بأمر الله وشرعه، فتسابقوا أنتم - أيها المؤمنون - إلى فعل الخيرات التي أمرتم بفعلها، وسيجمعكم الله من أي مكان كنتم فيه يوم القيامة؛ ليجازيكم على عملكم، إن الله على كل شيء قدير، فلا يعجزه جمعكم ولا مجازاتكم.

﴿١٤٩﴾ ومن أي مكان خرجت وأينما كنت - أيها النبي - أنت وأتباعك، وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، فإنه الحق الموحى به إليك من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه وسيجازيكم به.

﴿١٥٠﴾ ومن أي مكان خرجت - أيها النبي - وأردت الصلاة، فاستقبل جهة المسجد الحرام، وبأي مكان كنتم - أيها المؤمنون -

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُومٌ لِّهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَاتِ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بَغِيفٍ لِّعَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَم مَّ يَعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

فاستقبلوا بوجهكم جهته إذا أردتم الصلاة؛ لئلا يكون للناس حجة يحتجون بها عليكم، إلا الذين ظلموا منهم، فإنهم سيقون على عنادهم، ويحتجون عليكم بأوهى الحجج، فلا تخشَوْهم واخلشوا ربكم وحده، بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن الله قد شرع استقبال الكعبة من أجل أن يتم نعمته عليكم بتمييزكم عن سائر الأمم، ولأجل هدايتكم إلى أشرف قبلة للناس.

﴿١٥١﴾ كما أنعمنا عليكم نعمة أخرى؛ حيث أرسلنا إليكم رسولاً من أنفسكم، يقرأ عليكم آياتنا، ويطهركم بما يأمركم به من الفضائل والمعروف، وينهاكم عنه من الرذائل والمنكر، ويعلمكم القرآن والسنة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أمور دينكم وديانكم.

﴿١٥٢﴾ فاذكروني بقلوبكم وجوارحكم؛ أذكركم بالثناء عليكم والحفظ لكم، فالجزاء من جنس العمل، واشكروا لي نعمي التي أنعمت بها عليكم، ولا تكفروني ببحودها، واستعمالها فيما حُرِّم عليكم.

﴿١٥٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، اسألوا العون من الله على كل شؤونكم، بالتخلُّق بالصبر الجميل، وإقامة الصلاة على نحو ما أمر الله، إن الله مع الصابرين يوفقههم ويعينهم.

﴿١٥٤﴾ فَاذْكُرُونِي مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ترك الجدال والاشتغال بالطاعات والمسارعة إلى الله أنفع للمؤمن عند ربه يوم القيامة.
- ٢ - أن الأعمال الصالحة الموصلة إلى الله متنوعة ومتعددة، ولا بأس أن يختار المؤمن ما يميل إليه منها، ويناسب حاله.
- ٣ - الاستعانة بالصبر والصلاة من أعظم ما يعين العبد على أمور دينه وديناه.

﴿١٥٢﴾ وَلَا تَقُولُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي شَأْنٍ مِنْ

يَقْتُلُونَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: إِنَّهُمْ أَمْوَاتٌ
مَاتُوا كَمَا يَمُوتُ غَيْرُهُمْ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ، وَلَكِنْ لَا تَدْرِكُونَ حَيَاتَهُمْ؛ لِأَنَّهَا حَيَاةٌ
خَاصَّةٌ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَتِهَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٥٣﴾ وَلَمْ تَحْتَنِكْكُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمَصَائِبِ؛ بِشَيْءٍ

مِنَ الْخَوْفِ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَبِالْجُوعِ لِقَلَّةِ
الطَّعَامِ، وَبِنَقْصِ فِي الْأَمْوَالِ لِذَهَابِهَا أَوْ مَشَقَّةِ
الْحَصُولِ عَلَيْهَا، وَبِنَقْصِ فِي الْأَنْفُسِ بِسَبَبِ
الْآفَاتِ الَّتِي تَهْلِكُ النَّاسَ، أَوْ بِالشَّهَادَةِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَبِنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تَنْبَتُهَا
الْأَرْضُ، وَبِشَرِّ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - الصَّابِرِينَ عَلَى
تِلْكَ الْمَصَائِبِ بِمَا يَسْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿١٥٤﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٥﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمْ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ
بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

فَلَا إِمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ بَيْنَهُمَا. وَفِي نَفْيِ الْإِيمَانِ هُنَا طَمَآنَةٌ لِمَنْ تَحَرَّجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا اعْتِقَادًا أَنَّهُمَا
مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّهُمَا مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ. وَمَنْ فَعَلَ الْمَسْتَحْبَاتِ مِنَ الطَّاعَاتِ مَتَطَوَّعًا بِهَا
مَخْلَصًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَهُ، يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَيَجَازِيهِ عَلَيْهَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ.

﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْفُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ وَمَا جَاءَ بِهِ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، مِنْ بَعْدِ مَا أَظْهَرْنَا لَهُ النَّاسَ
فِي كِتَابِهِمْ؛ أُولَئِكَ يَطْرُدُهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمُ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَتِهِ الدَّاعُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ كِتْمَانِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ، وَأَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَبَيَّنَّوْا
مَا كَتَمُوهُ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، فَأُولَئِكَ أَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، وَأَنَا التَّوَّابُ عَلَى مَنْ تَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.

﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ قَبْلَ أَنْ يَتُوبُوا مِنْهُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ يَطْرُدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَعَلَيْهِمْ
دَعَا الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ كُلِّهِمْ بِالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْإِبْعَادِ مِنْهَا.

﴿١٦٢﴾ مَلَازِمِينَ هَذِهِ اللَّعْنَةَ، لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا يُمَهَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٦٣﴾ وَمَعْبُودُكُمْ الْحَقُّ - أَيُّهَا النَّاسُ - وَاحِدٌ مَتَّفَرِّدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ غَيْرِهِ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ ذُو
الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ، حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ.

﴿١٦٤﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الْإِبْتِلَاءُ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عِبَادَتِهِ، وَقَدْ وَعَدَ الصَّابِرِينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَعْظَمِ الْجِزَاءِ وَأَكْرَمِ الْمَنَازِلِ.
- ٢ - مِنْ أَعْظَمِ الْآثَامِ وَأَشَدِّهَا عَقُوبَةً كِتْمَانُ الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَالتَّلْبِيسُ عَلَى النَّاسِ، وَإِضْلَالُهُمْ عَنِ الْهُدَى
الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالَةُ.
- ٣ - مَشْرُوعِيَّةُ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ لِمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ.

﴿١١٤﴾ إن في خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب الخلق، وفي تعاقب الليل والنهار وما يحملانه من حياة وموت، وفرح وحزن، وغنى وفقر، وفي السفن التي تجري في مياه البحار حاملة ما ينفع الناس من طعام ولباس وتجارة، وغيرها مما يحتاجون إليه، وفيما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بما ينبت فيها من الزرع والكلأ، وفيما نشره فيها من كائنات حية، وفي تحويل الرياح من جهة لجهة، وفي السحاب المذلل بين السماء والأرض، إن في كل ذلك للدلائل واضحة على وحدانيته سبحانه لمن يعقلون الحُجج، ويفهمون الأدلة والبراهين.

﴿١١٥﴾ ومع تلك الآيات الواضحة فإن من الناس من يتخذ من دون الله آنداداً يُجْبُونَهُمْ كَصَبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١١٥﴾

﴿١١٦﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّاءُ الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا لَنَاكَرَةٌ فَنَتَّبِرًا مِثْلَهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١١٧﴾

﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١١٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١١٩﴾

﴿١١٦﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَأْتِيهِمْ لِقَاءُ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ ﴿١١٦﴾

﴿١١٧﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَأْتِيهِمْ لِقَاءُ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ ﴿١١٧﴾

﴿١١٨﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَأْتِيهِمْ لِقَاءُ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ ﴿١١٨﴾

﴿١١٩﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَأْتِيهِمْ لِقَاءُ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ ﴿١١٩﴾

﴿١٢٠﴾ وذلك حين يتبرأ الرؤساء المتبوعون من الضعفاء الذين اتبعوهم؛ لما يشاهدونه من أهوال القيامة وشدائده، وقد تقطعت بهم كل أسباب النجاة ووسائلها.

﴿١٢١﴾ وقال الضعفاء والأتباع: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنبتبرأ من رؤسائنا كما تبرؤوا منا، وكما أراهم الله العذاب الشديد في الآخرة يريهم عاقبة متابعتهم لرؤسائهم على الباطل نذامات وأحزناً، وليسوا بخارجين أبداً من النار.

﴿١٢٢﴾ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض من حيوان ونبات وأشجار، مما كان كسبه حلالاً وكان طيباً في نفسه غير خبيث، ولا تتبعوا أعمال الشيطان ووساوسه، إنه لكم عدو واضح العداوة، ولا يجوز لعقل أن يتبع عدوه الذي يحرض على إيذائه وضلاله!

﴿١٢٣﴾ فهو إنما يأمركم بما يسوء من الآثام وما يعظم من الذنوب، وبأن تقولوا على الله في العقائد والشرائع بغير علم جاءكم عن الله أو رسله.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - في الكون مخلوقات وآيات كلها تدل على عظمة الله، وعلى قدرته، وعلى أنه المعبود بحق دون سواه، ولا يدرك هذا إلا العقلاء.
- ٢ - المؤمنون بالله حقاً هم أعظم الخلق محبة لله تعالى؛ لأنهم يطيعونه على كل حال في السراء والضراء، ولا يشركون معه أحداً.
- ٣ - في يوم القيامة تقطع كل الروابط، ويبرأ كل خليل من خليله، ولا يبقى إلا ما كان خالصاً لله تعالى.
- ٤ - لا عذر عند الله تعالى لمن يتابع رؤساء الضلال معطلاً عقله، مخالفاً فطرته.
- ٥ - عظم فضل الله تعالى على خلقه حيث سخر لهم ما في الأرض جميعاً، وجعله حلالاً طيباً.

﴿١٧٦﴾ وإذا قيل لهؤلاء الكفار: اتبعوا ما أنزل الله من الهدى والنور، قالوا معاندين: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والتقاليد، أيتبعون آباءهم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً من الهدى والنور، ولا يهتدون إلى الحق الذي يَرْضَى الله عنه؟! ﴿١٧٧﴾

﴿١٧٧﴾ ومثل الذين كفروا في اتباعهم لأبائهم كالراعي الذي يصيح منادياً على بهائمهم، فتسمع صوته، ولا تفهم قوله، فهم صُمُّ عن سماع الحق سماعاً سماعاً ينتفعون به، بكم قد خرست ألسنتهم عن النطق بالحق، عُمي عن إبطاره، ولهذا لا يعقلون الهدى الذي تدعوهم إليه. ﴿١٧٨﴾

﴿١٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، كلوا من الطيبات التي رزقكم الله وأباحها لكم، واشكروا لله ظاهراً وباطناً ما تفضل به عليكم من النعم، ومن شكره تعالى أن تعملوا بطاعته، وأن تجتنبوا معصيته، إن كنتم حقاً تعبدونه وحده، ولا تشركون به شيئاً. ﴿١٧٩﴾

﴿١٧٩﴾ إنما حرم الله عليكم من الأطعمة ما مات بغير ذكاة شرعية، والدم المسفوح السائل، ولحم الخنزير، وما ذُكر عليه غير اسم الله عند تذكيته، فإذا اضطر الإنسان إلى أكل شيء وهو غير ظالم بالأكل منها دون حاجة، ولا متجاوز لحد الضرورة؛ فلا إثم عليه ولا عقوبة، إن الله

غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أنه تجاوز عن أكل هذه المحرمات عند الاضطرار.

﴿١٨٠﴾ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتب وما فيها من دلالة على الحق ونبوة محمد ﷺ، كما يفعل اليهود والنصارى، ويشتركون بكتمانهم لها عوضاً قليلاً كرتاسة أو جاه أو مال؛ أولئك ما يأكلون في بطونهم حقيقة إلا ما يكون سبباً لتعذيبهم بالنار، ولا يكلمهم الله يوم القيامة بما يحبون، بل بما يسوؤهم، ولا يُثني عليهم، ولهم عذاب أليم.

﴿١٨١﴾ أولئك المتصفون بكتمان العلم هم الذين استبدلوا الضلالة بالهدى لما كتُموا العلم الحق، واستبدلوا عذاب الله بمغفرته، فما أصبرهم على فعل ما يسبب لهم دخول النار، كأنهم لا يباليون بما فيها من عذاب لصبرهم عليها.

﴿١٨٢﴾ ذلك الجزاء على كتمان العلم والهدى بسبب أن الله نزل الكتب الإلهية بالحق، وهذا يقتضي أن تُبين ولا تُكتم. وإن الذين اختلفوا في الكتب الإلهية فأمنوا ببعضها وكتُموا بعضها لفي جانب بعيد عن الحق.

﴿١٨٣﴾ قوله من الآيات:

- ١ - أكثر ضلال الخلق بسبب تعطيل العقل، ومتابعة من سبقهم في ضلالهم، وتقليدهم بغير وعي.
- ٢ - عدم انتفاع المرء بما وهبه الله من نعمة العقل والسمع والبصر، يجعله مثل من فقد هذه النعم.
- ٣ - من أشد الناس عقوبة يوم القيامة من يكتم العلم الذي أنزله الله، والهدى الذي جاءت به رسله تعالى.
- ٤ - من نعمة الله تعالى على عباده المؤمنين أن جعل المحرمات قليلة محدودة، وأما المباحات فكثيرة غير محدودة.

﴿١٧٧﴾ ليس الخير المرضي عند الله مجرد الاتجاه إلى جهة المشرق أو المغرب والاختلاف في ذلك، ولكن الخير كل الخير فيمن آمن بالله إلهاً واحداً، وأمن بيوم القيامة، وجميع الملائكة، وجميع الكتب المنزلة، وجميع الأنبياء دون تفریق، وأتى المال مع حبه والحرص عليه ذوي قرابته، واليتامى، والفقراء، والغريب الذي انقطع في السفر عن أهله ووطنه، والذين تعرض لهم حاجة توجب سؤال الناس، وأتى المال في تحرير الرقاب من الرق والأسر، وأقام الصلاة بالإتيان بها تامة على ما أمر الله، وأتى الزكاة الواجبة، والذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا، والذين يصبرون على الفقر والشدة، وعلى المرض، وفي وقت شدة القتال فلا يفرون، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا الله في إيمانهم وأعمالهم، وأولئك هم المتقون الذين امتثلوا ما أمرهم الله به، واجتنبوا ما نهاهم الله عنه. ﴿١٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، فَرِضْ عَلَيْكُمْ فِي شَأْنِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَمْدًا وَعُدْوَانًا، مَعَاقِبَةَ الْقَاتِلِ بِمِثْلِ جَنَاتِهِ، فَالْحَرُّ يُقْتَلُ بِالْحَرِّ، وَالْعَبْدُ يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ، وَالْأَنْثَى تُقْتَلُ بِالْأَنْثَى، فَإِنْ عَفَا الْمَقْتُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ أَوْ

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ عَنْهُ فَمِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتَغِ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّهِ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ عَتَدْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

عفا ولي المقتول مقابل الدية - وهي مقدار من المال يدفعه القاتل مقابل العفو عنه - فعلى من عفا اتباع القاتل في طلب الدية بالمعروف لا بالمرء والأذى، وعلى القاتل أداء الدية بإحسان، من غير ممانعة وتسويق، ذلك - أي العفو وأخذ الدية - تخفيف من ربكم عليكم، ورحمة بهذه الأمة، فمن اعتدى على القاتل بعد العفو وقبول الدية؛ فله عذاب أليم من الله تعالى.

﴿١٧٧﴾ ولكم فيما شرعه الله من القصاص حياة لكم؛ بحقق دمائكم، ودفع الاعتداء بينكم، يدرك ذلك أهل العقول الذين يتقون الله تعالى بالانقياد لشرعه والعمل بأمره.

﴿١٧٨﴾ فَرِضْ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ وَأَسْبَابُهُ، إِنْ تَرَكَ مَالًا كَثِيرًا أَنْ يوصي للوالدين ولذوي القرابة بما حده الشرع وهو أن لا يزيد عن ثلث المال، وفعلٌ هذا حقٌ مؤكد على المتقين لله تعالى. وقد كان هذا الحكم قبل نزول آيات الموارث، فلما نزلت آيات الموارث بينت من يرث من الميت ومقدار ما يرث.

﴿١٨١﴾ فمن غير في الوصية بزيادة أو نقص أو منع بعد علمه بالوصية؛ فإنما يكون إثم ذلك التبديل على المغيرين لا على الموصي، إن الله سميع لأقوال عبيده، عليم بأفعالهم، لا يفوته شيء من أحوالكم.

﴿١٧٧﴾ فإلا من الآيات:

- ١ - البرُّ الذي يحبه الله يكون بتحقيق الإيمان والعمل الصالح، وأما التمسك بالمظاهر فقط فلا يكفي عنده تعالى.
- ٢ - من أعظم ما يحفظ الأنفس، ويمنع من التعدي والظلم؛ تطبيق مبدأ القصاص الذي شرعه الله تعالى في النفس وما دونها.
- ٣ - عظم شأن الوصية، ولا سيما لمن كان عنده شيء يوصي به، وإثم من غير في وصية الميت وبدل ما فيها.

﴿١٨٧﴾ فمن علم من صاحب الوصية ميلاً عن الحق، أو جوراً في الوصية؛ فأصلح ما أفسد الموصي بنصحه، وأصلح بين المختلفين على الوصية، فلا إثم عليه، بل هو ماجور على إصلاحه، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨٨﴾ يا أيها آمنوا بالله واتبعوا رسوله فُرضَ عليكم الصيام من ربكم كما فُرضَ على الأمم من قبلكم؛ لعلكم تتقون الله بأن تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالأعمال الصالحة ومن أعظمها الصيام.

﴿١٨٩﴾ الصيام المفروض عليكم أن تصوموا أياماً قليلة من السنة، فمن كان منكم مريضاً مرضاً يشق معه الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، ثم عليه أن يقضي بقدر ما أفطر من الأيام، وعلى الذين يستطيعون الصيام فدية إذا أفطروا، وهي إطعام مسكين عن كل يوم يفطرون فيه. وصومكم خير لكم من الإفطار وإعطاء الفدية، إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضل. وكان هذا الحكم أول ما شرع الله الصيام، فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم، ثم أوجب الله الصيام بعد ذلك، وفرضه على كل بالغ قادر.

﴿١٩٠﴾ شهر رمضان الذي بدأ فيه نزول القرآن على النبي ﷺ في ليلة القدر، أنزله الله هادياً للناس، فيه الدلائل الواضحات من الهدى، والفرقان

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٨﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصَوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٩﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٩٠﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٩١﴾

بين الحق والباطل، فمن حضر شهر رمضان وهو مقيم صحيح فليصمه وجوباً، ومن كان مريضاً يشق عليه الصوم أو مسافراً؛ فله أن يفطر، وإذا أفطر فالواجب عليه أن يقضي تلك الأيام التي أفطرها، يريد الله بما شرع لكم أن يسلك بكم سبيل اليسر لا العسر، وتكملوا عدة صوم الشهر كله، وتكبروا الله بعد ختام شهر رمضان ويوم العيد على أن وفقكم لصومه، وأعانكم على إكماله، ولعلكم تشكرون الله على هدايتكم لهذا الدين الذي ارتضاه لكم.

﴿١٩١﴾ وإذا سألك - أيها النبي - عبادي عن قربي وإجابتي لدعائهم؛ فإني قريب منهم، عالم بأحوالهم، سامع لدعائهم، فلا يحتاجون إلى وسطاء، ولا إلى رفع أصواتهم، أجب دعوة الداعي إذا دعاني مخلصاً في دعائه، فليتقداوا لي ولأوامري، وليثبتوا على إيمانهم؛ فإن ذلك أنفع وسيلة لإجابتي، لعلهم يسلكون بذلك سبيل الرشد في شؤونهم الدينية والدنيوية.

﴿١٩٢﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

- ١ - فرض الله الصوم على هذه الأمة وعلى الأمم السابقة لها؛ لأنه يُحَقِّقُ التقوى، ويعين على لزومها.
- ٢ - فَضَّلَ اللهُ شهر رمضان بإنزال القرآن فيه، فهو شهر القرآن، ولهذا كان النبي ﷺ يتدارس القرآن مع جبريل في رمضان.
- ٣ - شريعة الإسلام قامت في أصولها وفروعها على التيسير ورفع الحرج، فما جعل الله علينا في الدين من حرج.
- ٤ - مشروعية التكبير ليلة العيد ويومه شُكْرًا لله على نعمه واعتراقاً له بالفضل.
- ٥ - قُرْبُ اللهِ تعالى من عباده، وإحاطته بهم، وعلمه التام بأحوالهم، ولهذا فهو يسمع دعاءهم ويوجب سؤالهم.

﴿١٨٧﴾ قد كان في أول الأمر يحرم على الرجل إذا نام في ليلة الصيام ثم استيقظ قبل الفجر أن يأكل أو يقرب أهله، فنسخ الله ذلك، وأباح الله لكم - أيها المؤمنون - في ليالي الصيام جماع نسائكم، فهن ستر وإعفاف لكم، وأنتم ستر وإعفاف لهن، لا يستغني بعضكم عن بعض، عَلمَ الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بفعل ما نهاكم عنه، فرحمكم وتاب عليكم، وخفف عنكم، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدر الله لكم من الذرية، وكلوا واشربوا في الليل كله، حتى يتبين لكم طلوع الفجر الصادق، ثم أكملوا الصيام بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر حتى تغيب الشمس، ولا تجامعوا النساء وأنتم معتكفون في المساجد؛ لأن ذلك يبطله. تلك الأحكام المذكورة هي حدود الله بين الحلال والحرام فلا تقربوها أبداً؛ فإن من اقترب من حدود الله يوشك أن يقع في الحرام، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياته للناس لعلهم يتقونه بفعل ما أمر وترك ما نهى.

﴿١٨٨﴾ ولا يأخذ بعضكم مال بعضكم بوجه غير مشروع، كالسرقة والغصب والغش، ولا تخصموا بها إلى الحكام لتأخذوا طائفة من أموال الناس متلبسين بالمعصية، وأنتم

تعلمون أن الله حرم ذلك، فالإقدام على الذنب مع العلم بتحريمه أشدُّ قُبْحًا وأعظم عقوبة.

﴿١٨٩﴾ يسألونك - أيها الرسول - عن تكوين الأهلة وتغير أحوالها، قل مجيباً إياهم عن حكمة ذلك: إنها مواقيت للناس، يتعرفون بها أوقات عباداتهم؛ كأشهر الحج، وشهر الصيام، وتَمَامَ الحَوْلِ في الزكاة، ويتعرفون على أوقاتهم في المعاملات؛ كتحديد آجال الديات والديون. وليس البر والخير أن تأتوا البيوت من ظهورها عند إحرامكم بالحج أو العمرة - كما كنتم تزعمون في الجاهلية -، ولكن البر حقيقة برٌّ من اتقى الله في الظاهر والباطن، وأتوا البيوت من أبوابها، فهو أيسر لكم وأبعد عن المشقة؛ لأن الله لم يكلفكم بما فيه عسر ومشقة عليكم، واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية من العمل الصالح، لعلكم تفلحون بنيل ما ترغبون فيه، والنجاة مما ترهبون منه.

﴿١٩٠﴾ وقاتلوا ابتغاء رفع كلمة الله الذين يقاتلونكم من الكفار ليصدوكم عن دين الله، ولا تتجاوزوا حدود الله بقتل الصبيان والنساء والشيوخ، أو بالتمثيل بالقتلى ونحو ذلك، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيما شرع وحكم.

﴿١٩١﴾ فَوَاظِبُوا مِنْهَا (الآيات):

- ١ - أحكام الشريعة قامت على التيسير والتخفيف؛ لما يعلمه الله تعالى من ضعف عباده.
- ٢ - مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد للعبادة، ولهذا يُنهى عن كل ما يعارض مقصود الاعتكاف، ومنها مباشرة المرأة.
- ٣ - النهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم كل الوسائل والأساليب التي تقود لذلك، ومنها الرشوة.
- ٤ - البر والتقوى حقيقة يكون باتباع الشريعة وتعظيم حدودها.
- ٥ - تحريم الاعتداء والنهي عنه؛ لأن هذا الدين قائم على العدل والإحسان.

﴿١٤١﴾ واقتلوهم حيث لقيتموهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه، وهو مكة، والفتنة الحاصلة بصدّ المؤمن عن دينه ورجوعه إلى الكفر أعظم من القتل. ولا تبدؤوهم بقتال عند المسجد الحرام تعظيماً له حتى يبدؤوكم بالقتال فيه، فإن بدؤوا بالقتال في المسجد الحرام فاقتلوهم، ومثل هذا الجزاء - وهو قتلهم إذا اعتدوا في المسجد الحرام - يكون جزاء الكافرين.

﴿١٤٢﴾ فإن انتهوا عن قتالكم وكفرهم فانتهوا عنهم، إن الله غفور لمن تاب فلا يؤاخذهم بذنوبهم السابقة، رحيم بهم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿١٤٣﴾ وقاتلوا الكفار حتى لا يكون منهم صدء عن سبيل الله ولا كفر، ويكون الدين الظاهر دين الله فإن انتهوا عن كفرهم وصددهم عن سبيل الله فاتركوا قتالهم، فإنه لا عدوان إلا على الظالمين بالكفر والصد عن سبيل الله.

﴿١٤٤﴾ الشهر الحرام الذي مكنتكم الله فيه من الدخول إلى الحرم وأداء العمرة فيه عام سب، هو عوض وبدل عن الشهر الحرام الذي صدكم فيه المشركون عن الحرم عام ست، والحرمات؛ كحرمه البلد الحرام والشهر الحرام والإحرام، يجري فيها القصاص من المعتدين، فمن اعتدى عليكم فيها فعاملوه بمثل فعله، ولا تتجاوزوا حد الممانلة، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده، وخافوا الله في تجاوز ما أذن لكم فيه، واعلموا أن الله مع المتقين له بالتوفيق والتأييد.

﴿١٤٥﴾ وانفقوا المال في طاعة الله من الجهاد وغيره، ولا تلتقوا بأنفسكم إلى الهلاك، بأن تتركوا الجهاد والبدل في سبيله، أو بأن تلتقوا بأنفسكم فيما يكون سبباً لهلاككم، وأحسنوا في عباداتكم ومعاملاتكم وأخلاقكم، إن الله يحب المحسنين في كل شؤونهم، فيعظم لهم الثواب، ويوفقه للرشاد.

﴿١٤٦﴾ وأدوا الحج والعمرة تأمّن، مبتغين وجه الله تعالى، فإذا منعتُم من إتمامهما بمرض أو بعدو؛ فعليكم بذبح ما تيسر من الهدى - من الإبل أو البقر أو الغنم - لتحللوا من إحرامكم، ولا تحلقوا رؤوسكم أو تقصروها حتى يبلغ الهدى الموضع الذي يحل فيه ذبحه، فإن كان ممنوعاً من الحرم فحيث منع، وإن كان غير ممنوع من الحرم ففي الحرم يوم النحر وما بعده من أيام التشريق، فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من شعر رأسه؛ كقمل ونحوه، فحلق رأسه بسبب ذلك فلا حرج عليه، وعليه أن يفدي عن ذلك؛ إما بصيام ثلاثة أيام، أو بإطعام ستة مساكين من مساكين الحرم، أو بذبح شاة توزع على فقراء الحرم، فإذا كنتم غير خائفين فمن استمتع منكم بأداء العمرة في أشهر الحج، وتمتع بما حرّم عليه بسبب الإحرام إلى أن يحرم بالحج من عامه؛ فليذبح ما تيسر له من شاة أو سُعْب بدنة أو سُعْب بقرة، فإذا لم يقدر على الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام من أيام المناسك بدلاً منه، وعليه صيام سبعة أيام بعد رجوعه إلى أهله، ليكون مجموع الأيام عشرة كاملة، ذلك التمتع مع وجوب الهدى أو الصيام للعاجز عن الهدى هو لغير أهل الحرم ومن يقيم قريباً من الحرم، وأما أهل الحرم ومن يقيم قريباً منه فلا يتمتعون بالعمرة إلى الحج؛ لأنه لا حاجة بهم إلى ذلك؛ فهم لوجودهم بالحرم يتمتعون به دائماً، واتقوا الله باتباع ما شرع، وتعظيم حدوده، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره.

﴿١٤٧﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مقصود الجهاد وغايته جعل الحكم لله تعالى وإزالة ما يمنع الناس من سماع الحق والدخول فيه.
- ٢ - ترك الجهاد والفتور عنه من أسباب هلاك الأمة؛ لأنه يؤدي إلى ضعفها وطمع العدو فيها.
- ٣ - وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيهما، وجواز التحلل منهما بذبح هدي لمن مُنع عن الحرم.

﴿١٤٧﴾ وقت الحج أشهر معلومات، تبدأ بشهر شوال، وتنتهي بعشر ذي الحجة، فمن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر وأحرم به؛ حَرَّمَ عليه الجماع ومقدماته، ويتأكد في حقه حُرْمَةُ الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي؛ لعظم الزمان والمكان، ويحرم عليه الجدال المؤدي إلى الغضب والخصومة، وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجازيكم به. واستعينوا على أداء الحج بأخذ ما تحتاجون إليه من طعام وشراب، واعلموا أن خير ما تستعينون به في كل شؤونكم هو تقوى الله تعالى، فخافوني بامتنال أوامري واجتنب نواهي يا ذوي العقول السليمة.

﴿١٤٨﴾ ليس عليكم إثم أن تطلبوا الرزق الحلال بالتجارة وغيرها في أثناء الحج، فإذا دفعتم من عرفات بعد وقوفكم فيها يوم التاسع، متوجهين إلى مزدلفة ليلة العاشر من ذي الحجة؛ فاذكروا الله بالتسبيح والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام بمزدلفة، واذكروا الله لهديته لكم إلى معالم دينه، ومناسك حج بيته، فقد كنتم من قبل ذلك من الغافلين عن شريعته.

﴿١٤٩﴾ ثم ادفعوا من عرفات كما كان يصنع إبراهيم عليه السلام، لا كما كان يصنع من لا يقف بها من أهل الجاهلية، واطلبوا المغفرة من الله

أَلْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ رَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا سَفُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَنْ تَقَلَّعُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَرَوْهُوَ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُوا أَنْ يَأْتُوا فِي الْأَلْبَابِ ﴿١٤٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا أَفْضَالَ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٤٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٩﴾ فَإِذَا أَقْبَضِيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشْدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٥٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٥٢﴾

على تقصيركم في أداء ما شرع، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٥٠﴾ فإذا أنهيت أعمال الحج، وفرغتم منها فاذكروا الله، وأكثروا من الثناء عليه، كَفَحَرِّكُمْ بِآبَائِكُمْ وَثَنَاتِكُمْ عَلَيْهِمْ، أو أشد ذكراً منهم؛ لأن كل نعمة تنتعمون بها هي منه عليه السلام، والناس مختلفون، فمنهم الكافر المشرك الذي لا يؤمن إلا بهذه الحياة الدنيا، فلا يسأل ربه إلا نعيمها وزينتها من الصحة والمال والولد، وليس لهم نصيب مما أعد الله لعباده المؤمنين في الآخرة، لرغبتهم في الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

﴿١٥١﴾ وفريق من الناس مؤمن بالله يؤمن بالآخرة، فيسأل ربه نعيم الدنيا والعمل الصالح فيها، كما يسأله الفوز بالجنة والسلامة من عذاب النار.

﴿١٥٢﴾ أولئك الداعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظٌّ من ثواب عظيم بما اكتسبوا من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب على الأعمال، فيثيب المحسنين، ويعاقب المسيئين.

﴿١٥٣﴾ فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا:

- ١ - الحج عبادة يُعْظَم فيها المؤمن شعائر الله، ولهذا نهى تعالى فيها عن ما يخالف ذلك من الفُحْش في القول والفعل.
- ٢ - جواز التجارة والسعي في الرزق في أثناء الحج؛ لأنه لا تعارض بين الأمرين.
- ٣ - مشروعية المبيت بمزدلفة للحاج ليلة العاشر من ذي الحجة.
- ٤ - مشروعية الإكثار من ذكر الله تعالى عند إتمام نسك الحج.
- ٥ - اختلاف مقاصد الناس؛ فمنهم من جعل همّه الدنيا، فلا يسأل ربه غيرها، ومنهم من يسأله خير الدنيا والآخرة، وهذا هو الموفق.

﴿١٣٣﴾ واذكروا الله بالتكبير والتهليل في أيام قلائل هي: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، فمن تعجل وخرج من منى بعد الرمي في اليوم الثاني عشر فله ذلك، ولا إثم عليه؛ لأن الله خفف عنه، ومن تأخر إلى الثالث عشر حتى يرمي فله ذلك، ولا حرج عليه، وقد جاء بالأكمل، واتبع فعل النبي ﷺ، كل ذلك لمن اتقى الله في حجه فجاء به كما أمر الله، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وأيقنوا أنكم إليه وحده ترجعون وتصيرون، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿١٣٤﴾ ومن الناس من وافق يعجبك - أيها النبي - كلامه في هذه الدنيا، فتراه حسن المنطق، حتى لتظن صدقه ونصحه، وإنما قُصده حفظ نفسه وماله، ويُشهد الله - وهو كاذب - على ما في قلبه من إيمان وخير، وهو شديد الخصومة والعداوة للمسلمين.

﴿١٣٥﴾ وإذا أدبر عنك وفارقك سعى مجتهدًا في الأرض من أجل أن يُفسد بالمعاصي، ويُثَلِّف الزرع، ويقتل المواشي، والله لا يحب الفساد في الأرض، ولا يحب أهله.

﴿١٣٦﴾ وإذا قيل - على سبيل النصح - لذلك المفسد: اتق الله بتعظيم حدوده واجتنب نواهيه منعتة الأنفة والكبر عن الرجوع إلى الحق، وتمادى في الإثم، فجزاؤه الذي يكفيه دخول جهنم، ولبس المستقر والمقام لأهلها.

﴿١٣٧﴾ ومن الناس مؤمن يبيع نفسه، فيبذلها طاعة لربه، وجهادًا في سبيله وطلبًا لمرضاته، والله واسع الرحمة بعابه، رؤوف بهم.

﴿١٣٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله ادخلوا في الإسلام جميعه، ولا تتركوا منه شيئًا، كما يفعل أهل الكتاب من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، ولا تتبعوا مسالك الشيطان؛ لأنه لكم عدو واضح العداوة مظهرها.

﴿١٣٩﴾ فإن وقع منكم زلل وميل من بعد ما جاءكم الدلائل الواضحات التي لا لبس فيها؛ فاعلموا أن الله عزيز في قدرته وقهره، حكيم في تدبيره وتشريعه، فخافوه وعظموه.

﴿١٤٠﴾ ما ينتظر هؤلاء المتبعون مسالك الشيطان المائلين عن طريق الحق إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة إتيانًا يليق بجلاله سبحانه، في ظلل من السحاب للقضاء بينهم، وتأتيهم الملائكة محيطة بهم من كل جانب، وعندئذ يُقضى أمر الله فيهم، ويُفزعُ منه، وإلى الله سبحانه وحده ترجع أمور الخلائق وشؤونهم.

﴿١٤١﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - التقوى حقيقة لا تكون بكثرة الأعمال فقط، وإنما بمتابعة هدي الشريعة والالتزام بها.
- ٢ - الحكم على الناس لا يكون بمجرد أشكالهم وأقوالهم، بل بحقيقة أفعالهم الدالة على ما أخفته صدورهم.
- ٣ - الإفساد بكل صورته في الأرض من صفات المتكبرين التي تلازمهم، والله تعالى لا يحب الفساد وأهله.
- ٤ - لا يكون المرء مسلمًا حقيقة لله تعالى حتى يُسلم لهذا الدين كله، ويقبله ظاهرًا وباطنًا.

﴿١١١﴾ اسأل - أيها النبي - بني إسرائيل سؤال توبيخ لهم: كم بين الله تعالى لكم من آية واضحة دالة على صدق الرسل! فكذبتموها وأعرضتم عنها، ومن يبدل نعمة الله كفرًا وتكذيبًا بعد معرفتها وظهورها؛ فإن الله شديد العقاب للكافرين المكذبين.

﴿١١٢﴾ زين للذين كفروا بالله الحياة الدنيا وما فيها من متع زائلة، وملذات منقطعة، ويستهنئون بالذين آمنوا بالله واليوم الآخر، والذين اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيه فوق هؤلاء الكافرين في الآخرة، حيث ينزلهم الله في جنات عدن، والله يعطي من يشاء من خلقه بلا عد ولا حساب.

﴿١١٣﴾ كان الناس أمة واحدة متفقين على الهدى، على دين أبيهم آدم، حتى أضلتهم الشياطين، فاختلوا بين مؤمن وكافر، فلأجل ذلك بعث الله الرسل مبشرين أهل الإيمان والطاعة بما أعد الله لهم من رحمته، ومنذرين أهل الكفر بما أوعدهم الله به من شديد عقابه، وأنزل مع رسله الكتب مشتملة على الحق الذي لا شك فيه؛ ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف في شأن محمد ﷺ وما جاء به بعد وضوحه إلا الذين أعطوا التوراة، ظلمًا منهم وحسدًا، فوفق الله المؤمنين لمعرفة الهدى من الضلال بإذنه وإرادته، وهو طريق الإيمان.

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِلِكَمَّ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ يَّبَيِّنُهَا وَمَن يُّبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١١﴾ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَّشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِينَ اُوْتُوْهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١١٣﴾ اَمْ حَسِبْتُمْ اَنۢ تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِاسِءِ وَالضَّرَءِ وَرُزِلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ مَتّٰى نَصْرَ اللَّهِ اِلَّا اِنۢ نَّصَرَ اللَّهُ قَرْبَبٌ ﴿١١٤﴾ يَسْئَلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ قُلۡ مَا اَنْفَقْتُمْ مِّنۢ خَيْرٍ فَلِلّٰهِ وَاللَّذِيْنَ وَالْاَقْرَبِيْنَ وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسْكِيْنَ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهٖ عَلِيْمٌ ﴿١١٥﴾

﴿١١٤﴾ أم ظننتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة ولم يصبكم ابتلاء مثل ابتلاء الماضين من قبلكم، حيث أصابهم شدة الفقر والمرض، وزلزلتهم المخاوف، حتى بلغ بهم البلاء أن يستعجلوا نصر الله، فيقول الرسول والمؤمنون معه: متى يأتي نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين به، المتوكلين عليه.

﴿١١٥﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي -: ماذا ينفقون من أموالهم المتنوعة، وأين يضعونها؟ قل مجيبًا إياهم: ما أنفقتم من خير - وهو الحلال الطيب - فليصرف للوالدين، وللأدنى منكم من قرباتكم بحسب الحاجة، وللمحتاج من اليتامى، وللمُعَدِّمين الذين ليس لهم مال، وللمسافر الذي انقطع به السفر عن أهله ووطنه، وما تفعلوا - أيها المؤمنون - من خير قليلًا كان أو كثيرًا فإن الله به عليم، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿١١٦﴾ فَوَالَّذِيْنَ لَا يَرْجُوْا مِنَّا اِلَّا يَتَّخِذُوْنَ عِبَادَتَنَا غِيۡبًا عَنۡ وُجُوْهِ رَبِّهِمْ اِلَّا سَفَهًا مُّبِينًا ﴿١١٦﴾

١ - ترك شكر الله تعالى على نعمه وترك استعمالها في طاعته يعرضها للزوال ويحيلها بلاء على صاحبها.
٢ - الأصل أن الله خلق عباده على فطرة التوحيد والإيمان به، وإبليس وأعوانه هم الذين صرفوهم عن هذه الفطرة إلى الشرك به.

٣ - أعظم الخذلان الذي يؤدي للفشل أن تختلف الأمة في كتابها وشريعته، فيكفر بعضها بعضًا، ويلعن بعضها بعضًا.
٤ - الهداية للحق الذي يختلف فيه الناس، ومعرفة وجه الصواب بيد الله، ويطلب منه تعالى بالإيمان به والانتقاده له.
٥ - الابتلاء سنة الله تعالى في أوليائه، فيبتليهم بقدر ما في قلوبهم من الإيمان به والتوكل عليه.
٦ - من أعظم ما يعين على الصبر عند نزول البلاء، الاقتداء بالصالحين وأخذ الأسوة منهم.

﴿٣٦﴾ فَرَضَ عَلَيْكُمْ - أيها المؤمنون - القتال في سبيل الله وهو مكروه للنفس بطبعها؛ لما فيه من بذل المال والنفس، ولعلكم ترحون شيئاً وهو في الواقع خير ونفع لكم؛ كالقتال في سبيل الله، فمع عظم ثوابه فيه النصر على الأعداء ورفع كلمة الله، ولعلكم تحبون شيئاً وهو شر ووبال عليكم؛ كالجلوس عن الجهاد، فإن فيه الخذلان وتسلب الأعداء، والله يعلم علماً تاماً خير الأمور وشرها، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاستجبوا لأمره؛ ففيه الخير لكم.

﴿٣٧﴾ يسألك الناس - أيها النبي - عن حكم القتال في الأشهر الحرم: ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب، قل مجيباً إياهم: القتال في هذه الأشهر عظيم عند الله ومستنكر، كما أن ما يقوم به المشركون من صد عن سبيل الله مستقبح كذلك، ومنع المؤمنين عن المسجد الحرام، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام، والشرك الذي هم فيه أعظم من القتل، ولا يزال المشركون على ظلمهم يقاتلونكم - أيها المؤمنون - حتى يردوكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومن يرجع منكم عن دينه، ويمت وهو على الكفر بالله؛ فقد

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

الْحَرَامِ قِتَالٌ فِيهِ قُلُوبُ قِتَالٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدَعَنَ سَبِيلَ اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٩﴾

بطل عمله الصالح، وماله في الآخرة دخول النار وملازمتها أبداً.

﴿٣٨﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسوله، والذين تركوا أوطانهم مهاجرين إلى الله ورسوله، وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا؛ أولئك يطعمون في رحمة الله ومغفرته، والله غفور رحيم بهم.

﴿٣٩﴾ يسألك أصحابك - أيها النبي - عن الخمر (وهي: كل ما غطي العقل وأذهبه)، يسألونك عن: حكم شربها وبيعها وشرائها، ويسألونك عن حكم القمار (وهو: ما يؤخذ من المال عن طريق المنافسات التي فيها عوض من الطرفين المشتركين في المنافسة)، قل مجيباً إياهم: فيهما مضار ومفاسد دينية ودينية كثيرة، من ذهاب العقل والمال، والوقوع في العداوة والبغضاء، وفيهما منافع قليلة كالمكاسب المالية، وضررهما والإثم الحاصل بهما أكبر من نفعهما، وما كان ضرره أكثر من نفعه؛ فإن العاقل يجتنبه، وهذا البيان من الله فيه تمهيد لتحريم الخمر. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قدر ما ينفقونه من أموالهم على وجه التطوع والتبرع؟ قل مجيباً إياهم: أنفقوا من أموالكم اليسير الذي يزيد عن حاجتكم (وقد كان هذا أول الأمر، ثم شرع الله بعد ذلك الزكاة الواجبة في أموال مخصوصة وأنصبة معينة)، وبمثل هذا البيان الذي لا لبس فيه يبين الله لكم أحكام الشرع لعلكم تتفكرون.

﴿٤٠﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الجهل بعواقب الأمور ربما يجعل المرء يكره ما ينفعه ويحب ما يضره، وعلى المرء أن يسأل الله الهداية للرشاد.
- ٢ - جاء الإسلام بتعظيم الحرمات والنهي عن الاعتداء عليها، ومن أعظمها صد الناس عن سبيل الله تعالى.
- ٣ - لا يزال الكفار أبداً حرباً على الإسلام وأهله حتى يخرجوهم من دينهم، والله موهن كيد الكافرين.
- ٤ - الإيمان بالله تعالى، والهجرة إليه، والجهاد في سبيله؛ أعظم الوسائل التي ينال بها المرء رحمة الله ومغفرته.
- ٥ - حرمت الشريعة كل ما فيه ضرر غالب، وإن كان فيه بعض المنافع، مراعاة لمصلحة العباد.

﴿٢٣١﴾ شرع ذلك لعلمكم تتفكرون فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة. ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن قيامهم بالولاية على البيتاني: كيف يتصرفون في التعامل معهم، وهل يخلطون أموالهم معهم في النفقة والمطاعمة والمساكنة؟ قل مجيباً إياهم: تفضلتكم عليهم بإصلاح أموالهم من غير أخذ عوض أو مخالطة في أموالهم؛ خير لكم عند الله وأعظم أجراً، وهو خير لهم في أموالهم؛ لما فيه من توفّر أموالهم عليهم، وإن تشاركوهم بضم مالهم إلى مالكم في المعاش والمسكن ونحو ذلك؛ فلا حرج في ذلك، فهم إخوانكم في الدين، والآخرة يعين بعضهم بعضاً، ويقوم بعضهم على شؤون بعض، والله يعلم من يريد الإفساد من الأولياء بمشاركة البيتاني أموالهم ممن يريد الإصلاح، ولو شاء أن يشق عليكم في شأن البيتاني لشق عليكم، ولكنه ﷺ يسر لكم سبيل التعامل معهم؛ لأن شريعته مبنية على اليسر، إن الله عزيز لا يغالبه شيء، حكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿٢٣٢﴾ ولا تزوجوا - أيها المؤمنون - الشركات بالله حتى يؤمن بالله وحده، ويدخلن في دين الإسلام، ولا امرأة مملوكة مؤمنة بالله ورسوله خير من امرأة حرة تعبد الأوثان، ولو أعجبتكم بجمالها ومالها، ولا تزوجوا المسلمات رجلاً مشركين، ولعبد مملوك مؤمن بالله ورسوله خير من حرّ مشرك، ولو أعجبتكم، أولئك المتصفون بالشرك - رجلاً ونساءً - يدعون بأقوالهم وأفعالهم إلى ما يقود إلى دخول النار، والله يدعو إلى الأعمال الصالحة

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَنَّى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿٢٣٣﴾ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُّكَلَّفُوهُ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

التي تقود إلى دخول الجنة والمغفرة من الذنوب بإذنه وفضله، وبين آياته للناس لعلمهم يعتبرون بما دلت عليه فيعملوا بها.

﴿٢٣١﴾ ويسألك أصحابك - أيها النبي - عن الحيض (وهو دم طبيعي يخرج من رحم المرأة في أوقات مخصوصة) قل مجيباً إياهم: الحيض أذى للرجل والمرأة، فاجتنبوا جماع النساء في وقته، ولا تقربوهن بالوطء حتى ينقطع الدم عنهن، ويتطهرن منه بالمسح، فإذا انقطع وتطهرن منه فجامعوهن على الوجه الذي أباح الله لكم، طاهرات في قُبُلهن، إن الله يحب المكثرين من التوبة من المعاصي، المبالغين في الطهارة من الأخباث.

﴿٢٣٢﴾ زوجاتكم محل زرع لكم يلدن لكم الأولاد؛ كالأرض التي تخرج الثمار، فأتوا محل الزرع - وهو القبل - من أي جهة شئتم وكيفما شئتم، إذا كان في القبل، وقدموا لأنفسكم بفعل الخيرات، ومنه أن يجامع الرجل امرأته بقصد التقرب إلى الله، ورجاء الذرية الصالحة، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، ومنها ما شرع لكم في شأن النساء، واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة، واقفون بين يديه، ومجازيكم على أعمالكم، وبشر - أيها النبي - المؤمنين بما يسرهم عند لقاء ربهم من النعيم المقيم، والنظر إلى وجهه الكريم.

﴿٢٣٣﴾ ولا تجعلوا اسم الله حجة مانعة لحلفكم به، من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بل إذا حلفتكم على ترك البر؛ فافعلوا البر وكفروا عن أيما نكم، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٣٤﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - تحريم النكاح بين المسلمين والمشركين، وذلك لبعدهما بين الشرك والإيمان.
- ٢ - دلت الآية على اشتراط الولي عند عقد النكاح؛ لأن الله تعالى خاطب الأولياء لما نهى عن تزويج المشركين.
- ٣ - النهي عن أن يجامع الرجل امرأته وهي حائض حتى تطهر وتغتسل، وأما ما دون الجماع فلا يُبْهَى الرجل عنه.
- ٤ - حث الشريعة على الطهارة الحسية من النجاسات والأقذار، والطهارة المعنوية من الشرك والمعاصي.
- ٥ - ترغيب المؤمن أن يكون نظره في أعماله - حتى ما يتعلق بالملذات - إلى الدار الآخرة، فيقدم نفسه ما ينفعه فيها.

﴿١٣٥﴾ لا يحاسبكم الله بسبب الأيمان التي تحري على ألسنتكم من غير قصد، كقول أحدكم: لا والله، وبلى والله، فلا كفارة عليكم ولا عقوبة في ذلك، ولكن يحاسبكم على ما قصدتموه من تلك الأيمان، والله غفور لذنوب عباده، حليم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿١٣٦﴾ للذين يحلفون على ترك جماع نسائهم انتظار مدة لا تزيد عن أربعة أشهر، ابتداء من حلفهم، وهو ما يُعرف بالإيلاء، فإن رجعوا إلى جماع نسائهم بعد حلفهم على تركه في مدة أربعة أشهر فما دون؛ فإن الله غفور يغفر لهم ما حصل منهم، ورحيم بهم حيث شرع الكفارة مخرجاً من هذا اليمين.

﴿١٣٧﴾ وإن قصدوا الطلاق باستمرارهم على ترك جماع نسائهم وعدم الرجوع إليه فإن الله سميع لأقوالهم التي منها الطلاق، عليم بأحوالهم ومقاصدهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١٣٨﴾ والمطلقات ينتظرن بأنفسهن ثلاث حيض لا يتزوجن خلالها، ولا يجوز لهن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل، إن كن صادقات في الإيمان بالله واليوم الآخر، وأزواجهن المطلقون لهن أحق بمراجعتهن في مدة العدة، إن قصدوا بالمراجعة الألفة وإزالة ما وقع بسبب الطلاق، وللزوجات من الحقوق والواجبات مثل الذي لأزواجهن من القوامه وأمر الطلاق، والله عزيز لا يغلبه

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٣٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرِزْقِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلهنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ مَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلِيهِنَّ فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلِيهِنَّ أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٠﴾

عليهن بما تعارف عليه الناس، وللرجال درجة أعلى عليهن، شيء، حكيم في شرعه وتدييره.

﴿١٣٩﴾ الطلاق الذي يمتلك فيه الزوج الرجعة طلقتان، بأن يطلق، ثم يراجع، ثم يطلق، ثم يراجع، ثم بعد الطلقتين إما أن يسكها في عصمته مع المعاشرة بالمعروف، أو يطلقها الثالثة مع الإحسان إليها وأداء حقوقها، ثم تحرم عليه تحريمًا مؤقتًا حتى تتزوج غيره. ولا يحل لكم - أيها الأزواج - أن تأخذوا مما دفعتم إلى زوجاتكم من المهر شيئًا، إلا أن تكون المرأة كارهة لزوجها بسبب خلقة أو خلقه، ويظن الزوجان بسبب هذا الكره عدم فائهما بما عليهما من الحقوق، فليعرضا أمرهما على من له بهما صلة قرابة أو غيرها، فإن خاف الأولياء عدم قيامهما بالحقوق الزوجية بينهما، فلا حرج عليهما أن تتخلع المرأة نفسها بمال تدفعه لزوجها مقابل طلقها، تلك الأحكام الشرعية هي الفاصلة بين الحلال والحرام، فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله بين الحلال والحرام؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك، وتعرضها لغضب الله وعقابه.

﴿١٤٠﴾ فإن طلقها زوجها طليقة ثالثة لم يحل له نكاحها من جديد حتى تتزوج رجلاً غيره زواجًا صحيحًا لرغبة لا لقصد التحليل، ويجامعها في هذا النكاح، فإن طلقها الزوج الثاني أو توفي عنها؛ فلا إثم على المرأة وزوجها الأول أن يتراجعا بعقد ومهر جديدين، إن غلب على ظنهما أنهما يقومان بما يلزمهما من الأحكام الشرعية، وتلك الأحكام الشرعية يبينها الله لأناس يعلمون أحكامه وحدوده؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

﴿١﴾ فواظب من الآيات:

- ١ - بين الله تعالى أحكام النكاح والطلاق بيانا شاملاً حتى يعرف الناس حدود الحلال والحرام فلا يتجاوزوها.
- ٢ - المعاشرة الزوجية تكون بالمعروف، فإن تعذر ذلك فلا بأس من الطلاق ولا حرج على أحد الزوجين أن يطلبه.

﴿٣٣١﴾ وإذا طلقتم نساءكم ففاربن انتهاء عدتهن؛ فلكم أن تراجعوهن أو تتركوهن بالمعروف دون رجعة حتى تنقضي عدتهن، ولا تراجعوهن لأجل الاعتداء عليهن والإضرار بهن كما كان يفعل في الجاهلية، ومن يفعل ذلك بقصد الإضرار بهن؛ فقد ظلم نفسه بتعريضها للإثم والعقوبة، ولا تجعلوا آيات الله محل استهزاء بالتلاعب بها والتجرؤ عليها، واذكروا نعم الله عليكم، ومن أعظمتها ما أنزل عليكم من القرآن والسنة، يذكركم بهذا ترغيباً لكم وترهيباً، وخافوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم بأعمالكم.

﴿٣٣٢﴾ وإذا طلقتم نساءكم أقل من ثلاث طلاقات، وانتهت عدتهن، فلا تمنعهن - أيها الأولياء - حينئذ من العودة إلى أزواجهن بعقد ونكاح جديد إذا رغبن في ذلك، وتراضين مع أزواجهن عليه، ذلك الحكم المتضمن النهي عن منعهن يُذكر به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلكم أكثر نساء للخير فيكم، وأشدّ طهراً لأعراضكم وأعمالكم من الأنداس، والله يعلم حقائق الأمور وعواقبها وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿٣٣٣﴾ والوالدات يرضعن أولادهن سنتين

وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً للعدو أو من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله وأعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴿٣٣١﴾ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أذكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴿٣٣٢﴾ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار وولادة يولدها ولا مولود له يولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أراد إرضاعاً منهن فإرضاهن وإرضاعاً عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آنتنم بالمعروف واتقوا الله وأعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴿٣٣٣﴾

كاملتين، ذلك التحديد بستين لمن قصد إكمال مدة الرضاعة، وعلى الزوج - أبي الولد - نفقة الوالدات المرضعات المطلقات ولباسهن، بحسب ما تعارف عليه الناس مما لا يخالف الشرع، لا يكلف الله نفساً أكثر من سعتها وقدرتها، ولا يحل لأحد الأبوين أن يتخذ الولد وسيلة لإضرار للآخر، وعلى الوارث (وهو: من كان يرث الصبي لو مات وله مال) إذا مات أب الولد ولم يكن له مال مثل ما يكون على الأب من الحقوق. فإن أراد الأبوان فطام الولد قبل تمام الستين فلا إثم عليهما في ذلك، إذا كان بعد تشاورهما وتراضيهما على ما فيه مصلحة المولود، وإن أردتم أن تطلبوا لأولادكم مرضعات غير الأمهات؛ فلا إثم عليكم إذا سلمتم ما اتفقتم عليه مع المرضعة من أجره بالمعروف بلا نقص أو مباطلة، واتقوا الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

﴿٣٣٤﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - نهى الرجل عن إمساك امرأته بقصد الإضرار بها دون أن يكون راغباً فيها، وبيان أن ذلك من الظلم.
- ٢ - تحريم عضل المرأة بمنعها من الزواج، أو منعها من الرجوع إلى زوجها الأول من قبل وليها.
- ٣ - اتباع ما جاء به الشرع من أحكام وآداب تتعلق بالأسرة يورث الخير والطهارة.
- ٤ - حفظ الشرع للأُم حق الرضاع، وإن كانت مطلقة من زوجها، وعليه أن ينفق عليها ما دامت ترضع ولده.
- ٥ - نهى الله تعالى الزوجين عن اتخاذ الأولاد وسيلة يقصد بها أحدهما الإضرار بالآخر.
- ٦ - الحث على أن تكون كل الشؤون المتعلقة بالحياة الزوجية مبنية على التشاور والتراضي بين الزوجين.

﴿١٦٦﴾ والذين يموتون ويتركون وراءهم زوجات غير حوامل؛ ينتظرن بأنفسهن وجوباً مدة أربعة أشهر وعشرة أيام، يمتنعن فيها عن الخروج من بيت الزوج، وعن الزينة والزواج، فإذا انقضت هذه المدة؛ فلا إثم عليكم - أيها الأولياء - فيما فعلن بأنفسهن مما كان ممنوعاً عليهن في تلك المدة، على الوجه المعروف شرعاً وعرفاً، والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من ظاهركم وباطنكم، وسيجازيكم عليه .

﴿١٦٧﴾ ولا إثم عليكم في التلميح بالرغبة في خطبة المعتدة من وفاة أو طلاق بائن، دون التصريح بالرغبة كأن يقول: إذا انقضت عدتك فأخبريني، ولا إثم عليكم فيما أخفيتم في أنفسكم من الرغبة في نكاح المعتدة بعد انقضاء عدتها، علم الله أنكم ستذكرونهن لشدة رغبتكم فيهن، فأباح لكم التلميح دون التصريح، واحذروا أن تتواعدوا سرّاً على النكاح وهن في مدة العدة، إلا وفق المعروف من القول وهو التعريض، ولا تعزموا على عقد النكاح في زمن العدة، واعلموا أن الله يعلم ما تضررونه في أنفسكم مما أباح لكم وحرّم عليكم فاحذروه، ولا تخالفوا أمره، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من عباده، حلیم لا يعاجل بالعقوبة .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَبِّصْنَ أَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿١٦٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ
أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ فَرَضُوا لِهِنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ
قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِدِ قَدْرُهُمْ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ
﴿١٦٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا
الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٧﴾

﴿١٦٨﴾ لا إثم عليكم إن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل أن تجامعوهن وقبل أن توجبوا مهرًا محددًا لهن، فإذا طلقتموهن على هذه الحال فلا يجب لهن عليكم مهر، وإنما يجب إعطاؤهن شيئاً يتمتعن به، ويجبر كسر نفوسهن، بحسب الاستطاعة سواء كان مؤسماً عليه كثير المال أو مُضيقاً عليه قليل المال، وهذا العطاء حق ثابت على المحسنين في أفعالهم ومعاملاتهم .

﴿١٦٧﴾ وإن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل جماعهن وقد أوجبت لهن مهرًا محددًا، فيجب عليكم دفع نصف المهر المسمى إليهن، إلا أن يسمح لكم عنه - إن كنّ رشيدات - أو يسمح الأزواج أنفسهم ببذل المهر كاملاً لهن، وأن تتسامحا في الحقوق بينكم أقرب إلى خشية الله وطاعته، ولا تركوا - أيها الناس - تفضل بعضكم على بعض، والمسامحة في الحقوق، فإن الله بما تعملون بصير، فاجتهدوا في بذل المعروف لتنالوا ثواب الله عليه .

﴿١٦٩﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مشروعية العدة على من توفي عنها زوجها بأن تمتنع عن الزينة والزواج مدة أربعة أشهر وعشرة أيام .
- ٢ - النهي عن خطبة المرأة وهي في حال عدتها حتى تنتهي، ويجوز التعريض بالرغبة في نكاحها دون التصريح إن كانت مطلقة بائناً .
- ٣ - معرفة المؤمن باطلاع الله عليه تحمله على الحذر منه تعالى والوقوف عند حدوده .
- ٤ - من طلق امرأته قبل الدخول بها يجب أن يدفع نصف المهر الذي سماه للمرأة، فإن لم يسم فيعطيهما أي شيء تطيب به نفسها .
- ٥ - الحث على المعاملة بالمعروف بين الأزواج والأقارب، وأن يكون العفو والمسامحة أساس تعاملهم فيما بينهم .

﴿٢٣٨﴾ حافظوا على الصلوات بأدائها تامة كما أمر الله، وحافظوا على الصلاة الوسطى بين الصلوات وهي صلاة العصر، وقوموا لله في صلاتكم مطيعين خاشعين.

﴿٢٣٩﴾ فإن خفتهم من عدو ونحوه، فلم تقدرُوا على أدائها تامة فصلوا مشاة على أرجلكم أو راكبين على الإبل والخيول ونحوها، أو على أي صفة تقدرُونَ عليها، فإذا زال الخوف عنكم فاذكروا الله كما علمكم، ومنه ذكره في الصلاة على كمالها وتمامها، واذكروه أيضًا لتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من النور والهدى.

﴿٢٤٠﴾ والذين يموتون منكم ويتركون وراءهم أزواجًا عليهم أن يوصوا لهم بأن يمتنع بالسكنى والنفقة عامًا كاملاً لا يخرجهن ورثتكم، جبرًا لهم لما أصابهن، ووفاء للميت، فإن خرجن قبل إكمال العام من تلقاء أنفسهن فلا إثم عليكم ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتطيب، والله عزيز لا غالب له، حكيم في تدبيره وشرعه وقدره.

هذا وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن حكم هذه الآية منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

﴿٢٤١﴾ وللمطلقات متاع يمتنع به من كسوة أو مال أو غير ذلك، جبرًا لخواترهن المنكسرة بالطلاق، وفق المعروف من مراعاة حال الزوج من قلة أو كثرة، وهذا الحكم حق ثابت على المتقين لله تعالى بامثال أمره واجتناب نهيه.

﴿٢٤٢﴾ مثل ذلك البيان السابق يبين الله لكم - أيها المؤمنون - آياته المشتملة على حدوده وأحكامه؛ لعلكم تعقلونها وتعملون بها، فتتوالوا الخير في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤٣﴾ ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر الذين خرجوا من بيوتهم وهم خلق كثير خوفًا من الموت بسبب الوباء أو غيره، وهم طائفة من بني إسرائيل، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، ثم أعادهم أحياء، ليبين لهم أن الأمر كله بيده سبحانه، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، إن الله لذو عطاء وفضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه.

﴿٢٤٤﴾ وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداء الله، نصره لدينه ورفعته لكلمته، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٤٥﴾ من ذا الذي يعمل عمل المقرض، فينفق ماله في سبيل الله بنية حسنة ونفس طيبة، ليعود عليه أضعافًا كثيرة، والله يضيّق في الرزق والصحة وغيرها، ويوسع في ذلك كله بحكمته وعدله، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٢٤٦﴾ فإذ من الآيات:

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجًا لَا أَرْكَبُنَا فَاذًا آمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهُ وَأُضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرجعون ﴿٢٤٥﴾

بالتعلق بالله تعالى بامثال أمره واجتناب نهيه.

﴿٢٤٢﴾ مثل ذلك البيان السابق يبين الله لكم - أيها المؤمنون - آياته المشتملة على حدوده وأحكامه؛ لعلكم تعقلونها وتعملون بها، فتتوالوا الخير في الدنيا والآخرة.

﴿٢٤٣﴾ ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر الذين خرجوا من بيوتهم وهم خلق كثير خوفًا من الموت بسبب الوباء أو غيره، وهم طائفة من بني إسرائيل، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، ثم أعادهم أحياء، ليبين لهم أن الأمر كله بيده سبحانه، وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، إن الله لذو عطاء وفضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه.

﴿٢٤٤﴾ وقاتلوا - أيها المؤمنون - أعداء الله، نصره لدينه ورفعته لكلمته، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٢٤٥﴾ من ذا الذي يعمل عمل المقرض، فينفق ماله في سبيل الله بنية حسنة ونفس طيبة، ليعود عليه أضعافًا كثيرة، والله يضيّق في الرزق والصحة وغيرها، ويوسع في ذلك كله بحكمته وعدله، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٢٤٦﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الحث على المحافظة على الصلاة وأدائها تامة الأركان والشروط، فإن شق عليه صلى على ما تيسر له من الحال.
- ٢ - رحمة الله تعالى بعباده ظاهرة فقد بين لهم آياته أتم بيان للإفادة منها.
- ٣ - أن الله تعالى قد يبتلي بعض عباده فيضيق عليهم الرزق، ويبتلي آخرين بسعة الرزق، وله في ذلك الحكمة البالغة.

﴿١٦٦﴾ ألم يبلغ علمك - أيها النبي - خبر الأشراف من بني إسرائيل بعد زمن موسى ﷺ، حين قالوا لنبي لهم: أقم لنا ملكًا نقاتل معه في سبيل الله، فقال لهم نبيهم: لعلكم إن فرض الله عليكم القتال أن لا تقاتلوا في سبيل الله! قالوا منكرين ظنه فيهم: أي مانع يمنعنا من القتال في سبيل الله مع وجود ما يقتضي ذلك منا؛ فقد أخرجنا أعداؤنا من أوطاننا، وأسروا أبناءنا، فنقاتل لاستعادة أوطاننا وتخليص أسراننا، فلما فرض الله عليهم القتال عرضوا إلا قلة منهم، والله عليم بالظالمين المعرضين عن أمره، الناقضين لعهد، وسيجازيهم على ذلك.

﴿١٦٧﴾ وقال لهم نبيهم: إن الله قد أقام لكم طالوت ملكًا عليكم لقتالوا تحت رابته، قال أشرافهم مستنكرين هذا الاختيار ومعترضين عليه: كيف يكون له الملك علينا، ونحن أولى بالملك منه، إذ لم يكن من أبناء الملوك، ولم يعط مالاً واسعاً يستعين به على الملك؟! قال لهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم، وزاده عليكم سعة في العلم وقوة في الجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء بحكمته ورحمته، والله واسع الفضل يعطي من يشاء، عليم بمن يستحقه من خلقه.

﴿١٦٨﴾ وقال لهم نبيهم: إن علامة صدق اختياره ملكًا عليكم؛ أن يرد الله عليكم التابوت - وكان صندوقاً يعظمه بنو إسرائيل أخذ منهم - فيه طمأنينة تصاحبه، وفيه بقايا مما تركه آل موسى وآل هارون، مثل العصا، وبعض من الألواح، إن في ذلك لعلامة بينة لكم إن كنتم مؤمنين حقًا.

﴿١٦٩﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - أن ظلم الناس بإخراجهم من ديارهم والتعدي على حرمتهم، من أعظم الأسباب التي تحمل على القتال.
- ٢ - التنبيه إلى أهم صفات القائد التي تؤهله لقيادة الناس؛ وهي العلم بما يكون قائداً فيه، والقوة عليه.
- ٣ - إرشاد من يتولى قيادة الناس أن لا يعتر بأقوالهم حتى يبلوهم، ويختبر أفعالهم بعد أقوالهم.
- ٤ - أن الله تعالى يصطفي من يشاء من خلقه، وأن الملك بيده يؤتیه من يشاء بحكمته وعلمه.
- ٥ - أن الاعتبارات التي قد تشتهر بين الناس في وزن الآخرين والحكم عليهم قد لا تكون هي الموازين الصحيحة عند الله تعالى.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ آلِهِمْ أَوِّعْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿١٦٩﴾ فلما خرج طالوت بالجنود عن البلد قال لهم: إن الله مختبركم بنهر، فمن شرب منه فليس على طريقتي، ولا يصاحبني في قتال، ومن لم يشرب منه فإنه على طريقتي، ويصاحبني في القتال، إلا من تسامح فشرب مقدار غرفة بكف يده فلا شيء عليه، فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا على عدم الشرب مع شدة العطش، فلما جاوز طالوت النهر هو والمؤمنون معه، قال بعض جنوده: لا قدرة لنا اليوم بقتال جالوت وجنوده، وعندئذ قال الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله يوم القيامة: كم من طائفة مؤمنة قليلة العدد غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، فالعبرة في النصر بالإيمان لا بالكثرة، والله مع الصابرين من عباده يؤيدهم وينصرهم.

﴿١٧٠﴾ ولما خرجوا ظاهرين لجالوت وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صَبِّ على قلوبنا الصبر صَبًّا، وثبت أقدامنا حتى لا نَفِرَ ولا ننهزم أمام عدونا، وانصرنا بقوتك وتأيدك على القوم الكافرين.

﴿١٧١﴾ فهزمهم بإذن الله، وقتل نبيُّ الله داودُ ﷺ قاتلهم جالوت، وآتاه الله الملك والنسوة، وعلمه مما يشاء من أنواع العلوم، فجمع له بين ما يصلح الدنيا والآخرة. ولولا

﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٧٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٢﴾

أن من سُنَّةِ الله أن يرُدَّ ببعض الناس فساد بعضهم؛ لفسدت الأرض بتسلط المفسدين فيها، ولكن الله ذو فضل على جميع المخلوقات.

﴿١٧٢﴾ تلك آيات الله الواضحة البينة نتلوها عليك - أيها النبي - متضمنة صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، وإنك لمن المرسلين من رب العالمين.

﴿١٧٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - من حكمة القائد أن يُعَرِّضَ جيشه لأنواع الاختبارات التي يتميز بها جنوده ويعرف الثابت من غيره.
- ٢ - العبرة في النصر ليست بمجرد كثرة العدد والعدة فقط، وإنما معونة الله وتوفيقه أعظم الأسباب للنصر والظفر.
- ٣ - لا يثبت عند الفتن والشدائد إلا من عَمَرَ اليقين بالله قلوبهم، فمثل أولئك يصبرون عند كل محنة، ويثبتون عند كل بلاء.
- ٤ - الصراعة إلى الله تعالى بقلب صادق متعلق به من أعظم أسباب إجابة الدعاء، ولا سيما في مواطن القتال.
- ٥ - من سُنَّةِ الله تعالى وحكمته أن يدفع شر بعض الخلق وفسادهم في الأرض ببعضهم.
- ٦ - تضمن القرآن الكريم الصدق في الأخبار والعدل في الأحكام، بما يدل على صدق نبوة محمد ﷺ ورسالته.

﴿٢٥٦﴾ أولئك الرسل الذين ذكرناهم لك، فضلنا بعضهم على بعض في الوحي والاتباع والدرجات، منهم من كلمه الله مثل: موسى ﷺ، ومنهم من رفعه درجات عالية مثل: محمد ﷺ حيث أرسل للناس كلهم، وختمت به النبوة، وفضلت أمته على سائر الأمم، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات الدالة على نبوته؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأيدناه بجبريل ﷺ تقوية له على القيام بأمر الله تعالى. ولو شاء الله ما اقتتل الذين جاؤوا من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة، ولكن اختلفوا فانقسموا؛ فمنهم من آمن بالله، ومنهم من كفر به، ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، فيهدي من يشاء إلى الإيمان برحمته وفضله، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

﴿٢٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا مما رزقناكم من مختلف الأموال الحلال، من قبل أن يأتي يوم القيامة، حينئذ لا بيع فيه يكتسب منه الإنسان ما ينفعه، ولا صداقة تنفعه في وقت الشدة، ولا وساطة تدفع ضرراً أو تجلب نفعاً إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، والكافرون هم الظالمون حقاً لكفرهم بالله تعالى.

﴿٢٥٦﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٩﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

﴿٢٥٥﴾ الله الذي لا إله يعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها، لا يأخذه نعاس ولا نوم؛ لكمال حياته وقيومته، له وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، لا يملك أحد أن يشفع عنده لأحد إلا بعد إذنه ورضاه، يعلم ما مضى من أمور خلقه مما وقع، وما يستقبلونه مما لم يقع، ولا يحيطون بشيء من علمه تعالى إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، أحاط كرسيه - وهو: موضع قدم الرب - بالسماوات والأرض على سعتيها وعظيها، ولا يُقَالُ أو يشق عليه حفظهما، وهو العليُّ في ذاته وصفاته، العظيم في ملكه وسلطانه.

﴿٢٥٦﴾ لا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام؛ لأنه الدين الحق البين فلا حاجة به إلى إكراه أحد عليه، قد تميز الرشد من الضلال، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منها، ويؤمن بالله وحده؛ فقد استمسك من الدين بأقوى سبب لا ينقطع للنجاة يوم القيامة، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٢٥٧﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يُلْمُونَ

- ١ - أن الله تعالى قد فاضل بين رسله وأنبيائه، بعلمه وحكمته سبحانه.
- ٢ - إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأنه تعالى قد كلم بعض رسله كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.
- ٣ - الإيمان والهدى والكفر والضلال كلها بمشيئة الله وتقديره، فله تعالى الحكمة البالغة، ولو شاء لهدى الخلق جميعاً.
- ٤ - آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، لما تضمنته من ربوبية الله وألوهيته وبيان أوصافه ﷻ.
- ٥ - اتباع الإسلام والدخول فيه يجب أن يكون عن رضا وقبول، فلا إكراه في دين الله تعالى.
- ٦ - الاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله أعظم وسيلة للسعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة.

﴿٢٥٧﴾ الله يتولى الذين آمنوا به، يوفقهم وينصرهم، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، والذين كفروا أولياؤهم الشيطان وأعدائه، الذين زينوا لهم الكفر، فأخرجوهم من نور الإيمان والعلم إلى ظلمات الكفر والجهل، أولئك أصحاب النار هم فيها ماكثون أبداً. ولما ذكر الله الفريقين ضرب مثالين على الفريقين فقال:

﴿٢٥٨﴾ ألم تعلم - أيها النبي - جرأة الطاغية الذي جادل إبراهيم ﷺ في ربوبية الله وتوحيده، وقد وقع منه ذلك لأن الله آتاه الملك قطعى، فبين له إبراهيم صفات ربه قائلاً: ربي الذي يحيي الخلائق ويميتها، قال الطاغية عناداً: أنا أحيي وأميت بأن أقتل من أشاء وأعفو عن أشاء، فاتاه إبراهيم ﷺ بحجة أخرى أعظم، قال له: إن ربي الذي أعبده يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأنت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحير وانقطع، وغلب من قوة الحجّة، والله لا يوفق الظالمين لسلوك سبيله؛ لظلمهم وطمعانهم.

﴿٢٥٩﴾ أو هل علمت مثل الذي مرّ على قرية سقطت سقوفها، وتهدمت جدرانها، وهلك

الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٢٥٧﴾ ألم تر إلى الذي حجاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٢٥٨﴾ أو كألذي مرّ على قرية وهي حاوية على عرُوشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبنت قال لبنت يوماً أو بعض يوم قال بل لبنت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿٢٥٩﴾

سكانها، فأصبحت موحشة مُففرة، قال هذا الرجل متعجباً: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد موتها؟! فأماته الله مدة مئة عام، ثم أحياه، وسأله فقال له: كم مكثت ميتاً؟ قال محبباً: مكثت مدة يوم أو بعض يوم. قال له: بل مكثت مئة سنة تامة، فانظر إلى ما كان معك من الطعام والشراب، فهاهو باق على حاله لم يتغير، مع أن أسرع ما يصيبه التغير الطعام والشراب، وانظر إلى حمارك الميت، ولنجعلك علامة بينة للناس دالة على قدرة الله على بعثهم، فانظر إلى العظام التي تفرقت وتباعدت، كيف نرفعها ونضم بعضها إلى بعض، ثم نكسوها بعد ذلك اللحم، ونعيد فيها الحياة، فلما رأى ذلك تبين له حقيقة الأمر، وعلم قدرة الله، فقال معترفاً بذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿٢٦٠﴾ قوله من الآيات:

- ١ - من أعظم ما يميز أهل الإيمان أنهم على هدى وبصيرة من الله تعالى في كل شؤونهم الدينية والدنيوية، بخلاف أهل الكفر.
- ٢ - من أعظم أسباب الطغيان الغرور بالقوة والسلطان حتى يعمى المرء عن حقيقة حاله.
- ٣ - مشروعية مناظرة أهل الباطل لبيان الحق، وكشف ضلالهم عن الهدى.
- ٤ - عظم قدرة الله تعالى؛ فلا يعجزه شيء، ومن ذلك إحياء الموتى.

﴿١٣١﴾ واذكر - أيها النبي - حين قال إبراهيم عليه السلام: يا رب أرني ببصري كيف يكون إحياء الموتى؟! قال له الله: أولم تؤمن بهذا الأمر؟ قال إبراهيم: بلى قد آمننت، ولكن زيادة في طمأنينة قلبي، فأمره الله وقال له: خذ أربعة من الطير، فاضممهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل من الجبال التي حولك جزءاً منهن، ثم نادهن يأتينك سعيًا مسرعات قد عادت إليهن الحياة. واعلم يا إبراهيم أن الله عزيز في ملكه، حكيم في أمره وشرعه.

﴿١٣٢﴾ مثل ثواب المؤمنين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة يضعها الزارع في أرض طيبة فتنبت سبع سنابل، في كل سنبل منها مائة حبة، والله يضاعف الثواب لمن يشاء من عباده، فيعطيهم أجرهم دون حساب، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن يستحق المضاعفة.

﴿١٣٣﴾ الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ومرضاته، ثم لا يتبعون بذلهم بما يبطل ثوابه من المنّ على الناس بالقول أو الفعل، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما مضى لعظم نعيمهم.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣١﴾

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣٣﴾

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٣٤﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنْبِطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣٥﴾

وَالْحَبُّ
وَالنَّبْتُ

﴿١٣٤﴾ قول كريم تُدخل به السرور على قلب مؤمن، وعفو عن أساء إليك؛ أفضل من صدقة يتبعها إيذاء بالمنّ على المتصدق عليه، والله غني عن عباده، حلِيم لا يعاجلهم بالعقوبة.

﴿١٣٥﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تفسدوا ثواب صدقاتكم بالمنّ على المتصدق عليه وإيذائه، فإن مثل من يفعل ذلك مثل الذي يبذل أمواله بقصد أن يراه الناس ويمدحوه، وهو كافر لا يؤمن بالله ولا بيوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، فمثل هذا مثل حجر أملس فوقه تراب، فأصاب ذلك الحجر مطر غزير، فأزاح التراب عن الحجر وتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك المراؤون يذهب ثواب أعمالهم ونفقاتهم ولا يبقى منها عند الله شيء، والله لا يهدي الكافرين إلى ما يرضيه تعالى وينفعهم في أعمالهم ونفقاتهم.

﴿١٣٦﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مراتب الإيمان بالله ومنازل اليقين به متفاوتة لا حد لها، وكلما ازداد العبد نظرًا في آيات الله الشرعية والكونية زاد إيمانًا و يقينًا.
- ٢ - بعث الله تعالى للخلق بعد موتهم دليل ظاهر على كمال قدرته وتمام عظمتة سبحانه.
- ٣ - فضل الإنفاق في سبيل الله وعظم ثوابه، إذا صاحبه النية الصالحة، ولم يلحقه أذى ولا مئة.
- ٤ - من أحسن ما يقدمه المرء للناس حسن الخلق من قول وفعل حسن، وعفو عن سيء.
- ٥ - المنّ بالصدقة على الناس وإيذائهم بها مُحِطٌ لثوابها، مُدْهِبٌ لفضلها.

﴿١٦٥﴾ ومثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلباً لرضوان الله، مطمئنة أنفسهم بصدق وعد الله غير مكرهة، كمثل بستان على مكان مرتفع طيب، أصابه مطر غزير، فأنتج ثمراً مضاعفاً، فإن لم يصبه مطر غزير أصابه مطر خفيف فاكتفى به لطيب أرضه، وكذلك نفقات المخلصين يقبلها الله ويضاعف أجرها وإن كانت قليلة، والله بما تعملون بصير، فلا يخفى عليه حال المخلصين والمرائين، وسيجازي كلأ بما يستحق.

ثم ضرب تعالى مثلاً يصور به حال المنفق ماله رياءً فقال:

﴿١٦٦﴾ أيرغب أحدكم أن يكون له بستان فيه نخل وعب تجري في خلاله المياه العذبة، له فيه من كل أنواع الثمرات الطيبة، وأصاب صاحبه الكبير فأصبح شيخاً لا يقدر على العمل والكسب، وله أبناء صغار ضعفاء لا يستطيعون العمل، فأصابت البستان ريح شديدة فيها نار شديدة، فاحترق البستان كله، وهو أحوج ما يكون إليه لكبره وضعف ذريته، فحال المنفق ماله رياءً للناس مثل هذا الرجل، يرد على الله يوم القيامة بلا حسنات، في وقت هو أشد ما يكون حاجة لها. مثل هذا البيان يبين الله لكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون فيه.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنَيْبَاتٍ مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطُلًا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾ أَيُودُ أَحَدَكُمُ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا فَآصَابَهَا عَصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا نَفَقَاتٍ وَمَنْ يَنفِقْ فَإِنَّمَا يَنفِقْهُ بِمَا اتَّخَذَ لِذَلِكَ نَسِيحَةً وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ يُنْفِقُونَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْهُ إِلَّا بُرْءٌ وَهُمْ يَبْغُونَ ﴿١٦٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ الشَّيْطَانَ بَعْدَكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرْكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدْكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أنفقوا من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه، وأنفقوا مما أخرجنا لكم من نبات الأرض، ولا تعمدوا إلى الرديء منه فتنفقونه، ولو أعطي لكم ما أخذتموه إلا إذا تغاضيتهم مكرهين على رداءته، فكيف ترضون الله ما لا ترضون لأنفسكم؟! واعلموا أن الله غني عن نفقاتكم، محمود في ذاته وأفعاله. ولما أمرهم بإنفاق الطيب حذرهم من كيد الشيطان ووساوسه، فقال:

﴿١٦٨﴾ الشيطان يخوفكم من الفقر، ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب الآثام والمعاصي، والله يعدكم مغفرة عظيمة لذنوبكم، ورزقاً واسعاً، والله واسع الفضل، عليم بأحوال عباده.

﴿١٦٩﴾ يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن يؤتى ذلك فقد أعطي خيراً كثيراً، وما يتذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول الكاملة التي تستضيء بنوره، وتهدي بهديه.

﴿١٧٠﴾ فَوَارِ لَمِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - المؤمنون بالله تعالى حقاً واثقون من وعد الله وثوابه، فهم ينفقون أموالهم ويبذلون بلا خوف ولا حزن.
- ٢ - من فضل الله وإحسانه أن يبارك فيما يبذله المؤمنون إذا كان بإخلاص له تعالى.
- ٣ - المؤمن واثق بالله، فلا يلتفت إلى وساوس الشيطان التي يحاول بها أن يمنعه من البذل والإنفاق؛ كالتخوف بالفقر والحاجة.
- ٤ - أعظم الناس خسارة من يراني بعمله الناس؛ لأنه ليس له من ثواب على عمله إلا مدحهم وثناؤهم.

﴿١٧٦﴾ وما أنفقتم من نفقةٍ قليلةٍ كانت أو كثيرة ابتغاء مرضاة الله، أو التزمتم فعل طاعة الله من عند أنفسكم لم تكلفوا بها؛ فإن الله يعلم ذلك كله، فلا يضيع عنده شيء منه، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء، وما للظالمين المانعين لما يجب عليهم، المتعدين لحدود الله، من أنصارٍ يدفعون عنهم عذاب يوم القيامة.

﴿١٧٧﴾ إن تُظهِروا ما تبدلون من الصدقة بالمال فبِعَم الصدقة صدقتكم، وإن تخفوها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم من إظهارها؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص. وفي صدقات المخلصين ستر لذنوبهم ومغفرة لها، والله بما تعملون خبير، فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم.

﴿١٧٨﴾ ليس عليك - أيها النبي - هدايتهم لقبول الحق والانقياد له وحملهم عليه، وإنما تجب عليك دلالتهم إلى الحق وتعريفهم به، فإن التوفيق للحق والهداية إليه بيد الله، وهو يهدي من يشاء. وما تنفقوا من خير فنفعه خالصة لله، فالمؤمنون حقًا لا ينفقون إلا طلبًا لمرضاة الله، وما تنفقوا من خير قليلًا كان أو كثيرًا فإنكم تُعْطُونَ ثوابه تامًا غير منقوص، فإن الله لا يظلم أحدًا.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٧٦﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨٠﴾

ولما ذكر الإنفاق في سبيله ودعا المؤمنين إليه بين لهم المصارف التي ينفقون فيها، فقال:

﴿١٧٦﴾ اجعلوها للفقراء الذين منعهم الجهاد في سبيل الله من السفر طلبًا للرزق، يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء لتعففهم عن السؤال، ويعرفهم المطلع عليهم بعلاماتهم، من الحاجة الظاهرة على أجسامهم وثيابهم، ومن صفاتهم أنهم ليسوا كسائر الفقراء الذين يسألون الناس مُلِحِّين في مسألتهم، وما تنفقوا من خير ومال فإن الله به عليم، وسيجازيكم عليه أعظم الجزاء.

﴿١٧٧﴾ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في الليل والنهار، سرًا وعلانية بلا رياء ولا سمعة، فلهم ثوابهم عند ربهم يوم القيامة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمرهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، فضلًا من الله ونعمة.

﴿١٨٠﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - لا يخفى على الله تعالى ما يبذله المؤمنون من خير، فهو مطلع عليه وسيجزي المخلصين أعظم الجزاء وأكرمه.
- ٢ - إذا أخلص المؤمن في نفقاته وصدقاته فلا حرج عليه في إظهارها وإخفائها، وإن كان الإخفاء أعظم أجرًا وثوابًا.
- ٣ - دعوة المؤمنين إلى الالتفات والعناية بالمحتاجين الذين تمنعهم العفة من إظهار حالهم وسؤال الناس.
- ٤ - مشروعية الإنفاق في سبيل الله تعالى في كل وقت وحين، وعظم ثوابها، حيث وعد تعالى عليها بعظيم الأجر في الدنيا والآخرة.

ولما رَغِبَ تعالى في الإنفاق في سبيله لما فيه من التعاون والتكافل بين المسلمين؛ حذر مما يناقض ذلك وهو الربا، فقال:

﴿الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَّا مِثْلَ مَا يَقُومُ الَّذِي بِهِ مَسَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَيَقُومُ مِنْ قَبْرِهِ يَخِيطُ كَمَا يَخِيطُ مَنْ بِهِ صَرَعٌ فِي قِيَامِهِ وَسُقُوطُهُ؛ ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنْهُمْ اسْتَحْلَوْا أَكْلَ الرِّبَا، وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الرِّبَا وَبَيْنَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ مَكْسَبِ الْبَيْعِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا فِي كَوْنِهِ حَلَالًا، فَكُلَّ مِنْهُمَا يُؤَدِّي إِلَى زِيَادَةِ الْمَالِ وَنَمَائِهِ، فَردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَبْطَلَ قِيَاسَهُمْ وَأَكْذَبَهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْلَى الْبَيْعِ لِمَا فِيهِ مِنْ نَفْعٍ عَامٍ وَخَاصٍّ، وَحَرَّمَ الرِّبَا لِمَا فِيهِ مِنْ ظَلْمٍ وَأَكْلٍ لِأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بِلَا مِقَابِلٍ، فَمِنْ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فِيهَا نَهْيٌ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الرِّبَا، فَانْتَهَى عَنْهُ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ؛ فَلَهُ مَا مَضَى مِنْ أَخْذِهِ لِلرِّبَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَسْتَقْبِلُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَمِنْ عَادَ إِلَى أَخْذِ الرِّبَا بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ مِنَ اللَّهِ، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْحِجَةُ؛ فَقَدْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ وَالْخُلُودَ فِيهَا.

وهذا الخلود في النار المقصود به البقاء الطويل فيها، فإن الخلود الدائم فيها لا يكون إلا للكفار، أما أهل التوحيد فلا يخلدون فيها.

ولما ذكر الله الإنفاق في سبيله وأخذ الربا بين الفرق بينهما في الجزاء، فقال:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٦﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

﴿يُهْلِكُ اللَّهُ الْمَالَ الرَّبْوِي وَيُدْهِبُهُ، إِمَّا حَسًّا بِنَفْسِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَوْ مَعْنَى بِنَزْعِ الْبَرَكَةِ مِنْهُ، وَيَزِيدُ الصَّدَقَاتِ وَيَنْمِيهَا بِمُضَاعَفَةِ ثَوَابِهَا، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَيُبَارِكُ فِي أَمْوَالِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا عَنِيدًا، مُسْتَحِلًّا لِلْحَرَامِ، مَتَمَادِيًّا فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَأَدَّوْا الصَّلَاةَ تَامَةً عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ، وَآتَوْا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا؛ لَهُمْ ثَوَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، خَافُوا اللَّهَ بَأْنَ تَمَتَّلُوا أَوْامِرَهُ وَتَجَنَّبُوا نَوَاهِيَهُ، وَاتْرَكُوا الْمَطَالِبَةَ بِمَا بَقِيَ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِ رِبْوِيَةٍ عِنْدَ النَّاسِ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا بِاللَّهِ وَبِمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنَ الرِّبَا.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أُمِّرْتُمْ بِهِ فَاعْلَمُوا وَاسْتَيْقِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ تَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ، وَتَرَكْتُمْ الرِّبَا فَلَكُمْ قَدْرٌ مَا أَفْرَضْتُمْ مِنْ رُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ أَحَدًا بِأَخْذِ زِيَادَةِ عَلَى رَأْسِ مَالِكُمْ، وَلَا تُظْلَمُونَ بِالنَّقْصِ مِنْهَا.

﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ تَطَالِبُونَهُ بِالذَّيْنِ مَعْسَرًا لَا يَجِدُ سِدَادَ دِينِهِ، فَأَخْرَجُوا مَطَالِبَتَهُ إِلَى أَنْ يَتيسَّرَ لَهُ الْمَالُ، وَيَجِدُ مَا يَقْضِي بِهِ الدَّيْنَ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْمَطَالِبَةِ بِالذَّيْنِ أَوْ إِسْقَاطِ بَعْضِهِ عَنْهُ، خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَضْلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَخَافُوا عَذَابَ يَوْمٍ تُرْجَعُونَ فِيهِ جَمِيعًا إِلَى اللَّهِ، وَتَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ تُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ جِزَاءَ مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا يُظْلَمُونَ بِنَقْصِ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَا بِزِيَادَةِ الْعُقُوبَةِ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ.

﴿فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من أعظم الكبائر أكل الربا، ولهذا توعد الله تعالى آكله بالحرب.
- ٢ - الالتزام بأحكام الشرع في المعاملات المالية ينزل البركة والنماء فيها.
- ٣ - فضل الصبر على المعسر، والتخفيف عنه بالتصدق عليه ببعض الدين أو كله.

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَأَكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب
كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا
فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَمِلَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ
مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَاهُمَا الْآخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا
أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْقُ الْأَلْتَرَاتِبُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ
تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾

﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ،
إِذَا تَعَامَلْتُمْ بِالذِّينِ، بِأَنَّ دَايِنَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا
إِلَىٰ مَدَّةٍ مُّحَدَّدَةٍ فَارْتَبُوا ذَلِكَ الدَّيْنَ، وَلِيَكْتُبَ
بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْحَقِّ وَالْإِنصَافِ الْمُوَافِقِ
لِلشَّرْعِ، وَلَا يَمْتَنِعُ الْكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ الدَّيْنَ بِمَا
يُوَافِقُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابَةِ بِالْعَدْلِ،
فَلْيَكْتُبْ مَا يُمْلِيهِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، حَتَّى
يَكُونَ ذَلِكَ إِقْرَارًا مِنْهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا
يَنْقُصَ مِنَ الدَّيْنِ شَيْئًا فِي قَدْرِهِ أَوْ نَوْعِهِ أَوْ
كَيْفِيَّتِهِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ لَا يَحْسُنُ
التَّصْرِفَ، أَوْ كَانَ ضَعِيفًا لَصَغَرِهِ أَوْ جُنُونِهِ،
أَوْ كَانَ لَا يَسْتَطِيعُ الْإِمْلَاءَ لِخَرَسِهِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ، فَلْيَقُمْ بِالْإِمْلَاءِ عَنْهُ وَلِيَهُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ
بِالْحَقِّ وَالْإِنصَافِ. وَاطْلُبُوا شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ
عَاقِلَيْنِ عَدْلَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ رَجُلَانِ
فَاسْتَشْهِدُوا رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ تَرْضَوْنَ دِينَهُمْ
وَأَمَانَتَهُنَّ، حَتَّى إِذَا نَسِيتَ إِحْدَى الْمَرَأَتَيْنِ
ذَكَرْتَهَا أَخْتَهَا، وَلَا يَمْتَنِعُ الشُّهُودُ إِذَا طُلِبَ
مِنْهُمُ الشَّهَادَةُ عَلَى الدَّيْنِ، وَعَلَيْهِمْ أَدَاؤُهَا إِذَا
دُعُوا لِذَلِكَ، وَلَا يُصَبِّحُ الْمَلَلُ مِنَ كِتَابَةِ
الدَّيْنِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا إِلَىٰ مَدَّتِهِ الْمَحْدَدَةِ،
فَكِتَابَةُ الدَّيْنِ أَعْدَلُ فِي شَرَعِ اللَّهِ، وَأَبْلَغُ فِي
إِقَامَةِ الشَّهَادَةِ وَأَدَاتِهَا، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ نَفْيِ الشَّكِّ
فِي نَوْعِ الدَّيْنِ وَمَقْدَارِهِ وَمَدَّتِهِ، إِلَّا إِذَا كَانَ

التعاقد بينكم على تجارة في سلعة حاضرة وثمان حاضر؛ فلا حرج في ترك الكتابة حينئذ لعدم الحاجة إليها،
ويشعر لكم الإشهاد منعًا لأسباب النزاع، ولا يجوز الإضرار بالكتاب والشهود، ولا يجوز لهم الإضرار بمن
طلب كتابتهم أو شهادتهم، وإن يقع منكم الإضرار فإنه خروج عن طاعة الله إلى معصيته. وخافوا الله - أيها
المؤمنون - بأن تمثّلوا ما أمركم به، وتجنّبوا ما نهاكم عنه، ويعلمكم الله ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم،
والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء.

﴿١٨٢﴾ فَوَاظِبُوا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مشروعية توثيق الدّين وسائر المعاملات المالية دفعًا للاختلاف والتنازع.
- ٢ - وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وأنواع الإجازات.
- ٣ - ثبوت الولاية على القاصرين إما بسبب عجزهم، أو ضعف عقولهم، أو صغر سنهم.
- ٤ - مشروعية الإشهاد على الإقرار بالديون والحقوق.
- ٥ - أن من تمام الكتابة والعدل فيها أن يحسن الكاتب الإنشاء والألفاظ المعتمدة في كل معاملة بحسبها.
- ٦ - لا يجوز الإضرار بأحد بسبب توثيق الحقوق وكتابتها، لا من جهة أصحاب الحقوق، ولا من جهة من يكتبه ويشهد عليه.

﴿١٨١﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَسَافِرِينَ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يَكْتُبُ لَكُمْ وَثِيقَةَ الدِّينِ، فَيَكْفِي أَنْ يُعْطِيَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ رَهْنًا يَقْبِضَهُ صَاحِبَ الْحَقِّ، يَكُونُ ضَمَانًا لِحَقِّهِ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الْمَدِينُ مَا عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ، فَإِنْ وَثَّقَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ لَمْ تَلْزَمْ كِتَابَةٌ وَلَا إِشْهَادٌ وَلَا رَهْنٌ، وَيَكُونُ الدَّيْنُ حَيْثُذُ أَمَانَةٌ فِي ذِمَّةِ الْمَدِينِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهُ لِدَائِنِهِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَمَانَةِ فَلَا يَنْكُرُ مِنْهَا شَيْئًا، فَإِنْ أَنْكَرَ كَانَ عَلَى مَنْ شَهِدَ الْمَعَامَلَةَ أَنْ يُوَدِّيَ الشَّهَادَةَ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَكْتُمَهَا، وَمَنْ يَكْتُمَهَا فَإِنَّ قَلْبَهُ قَلْبُ فَاجِرٍ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٨٢﴾ اللَّهُ وَحْدَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلْقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا، وَإِنْ تَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِكُمْ أَوْ تَخْفُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، وَسِيحَاسِكُمْ عَلَيْهِ، فَيَغْفِرُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ فَضْلًا وَرَحْمَةً، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَدْلًا وَحِكْمَةً، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿١٨٣﴾ آمَنَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِكُلِّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ آمَنُوا كَذَلِكَ، كُلَّهُمْ جَمِيعًا آمَنُوا بِاللَّهِ، وَآمَنُوا بِجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ، وَجَمِيعِ كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَجَمِيعِ رُسُلِهِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ، آمَنُوا بِهِمْ قَائِلِينَ: لَا

﴿١٨٤﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِمْ مَقْبُوضَةً فَإِنَّ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فُلْيُودٌ الَّذِي أَوْثَمَنْ أَمْنَتُهُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ عَلَيْهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِلْنَا مَا لَأَطَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨٦﴾

نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ، وَقَالُوا: سَمِعْنَا مَا أَمَرْتَنَا بِهِ وَنَهَيْتَنَا عَنْهُ، وَأَطَعْنَاكَ بِفِعْلِ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَتَرَكْنَا نَهْيَ عَنْهُ، وَنَسَأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا يَا رَبَّنَا، فَإِنْ مَرَجَعْنَا إِلَيْكَ وَحَدِّكَ فِي كُلِّ شُؤْنِنَا.

﴿١٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا تَطْبِيقُ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّ دِينَ اللَّهِ مَبْنِي عَلَى الْبَيْسِ فَلَا مَشْقَةَ فِيهِ، فَمَنْ كَسَبَ خَيْرًا فَلَهُ ثَوَابٌ مَا عَمِلَ لَا يُنْقَصُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَنْ كَسَبَ شَرًّا فَعَلِيهِ جَزَاءٌ مَا اكْتَسَبَ مِنْ ذَنْبٍ لَا يَحْمِلُهُ عَنْهُ غَيْرُهُ. وَقَالَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ: رَبَّنَا لَا تَعَاقِبْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا فِي فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ بَلَا قَصْدَ مِنَّا، رَبَّنَا وَلَا تَكْلِفْنَا مَا يَشِقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ، كَمَا كَلَّفْتَ مِنْ قَبْلِنَا مِمَّنْ عَاقَبْتَهُمْ عَلَى ظَلْمِهِمْ كَالْيَهُودِ، وَلَا تَحْمِلْنَا مَا يَشِقُّ عَلَيْنَا وَلَا نَطِيقُهُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَتَجَاوِزْ عَن ذُنُوبِنَا، وَارْحَمْنَا بِفَضْلِكَ، أَنْتَ وَلِينَا وَنَاصِرُنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

﴿١٨٦﴾ فَأَمَّا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - جواز أخذ الرهن لضمان الحقوق في حال عدم القدرة على توثيق الحق، إلا إذا وثق المتعاملون بعضهم ببعض.
- ٢ - حرمة كتمان الشهادة وإثم من يكتمها ولا يؤديها.
- ٣ - كمال علم الله تعالى وإطلاعه على خلقه، وقدرته التامة على حسابهم على ما اكتسبوا من أعمال.
- ٤ - في الآية تقرير لأركان الإيمان وبيان لأصوله.
- ٥ - قام هذا الدين على اليسر ورفع الحرج والمشقة عن العباد، فلا يكلفهم الله إلا ما يطيقون، ولا يحاسبهم على ما لا يستطيعون.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى النَّاسَ وَالْأَنْعَامَ لِلدِّينِ الْحَقِّ وَالَّذِي يُضِلُّ مَن يَشَاءُ إِنَّ إِلَهًا لَّهُ الْغُيُوبُ ﴿١﴾
 وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسُكِبَتْ مِنْهُ الْأَنْبِيَاءُ وَرَبُّ الْمَرْجَاتِ ﴿٢﴾
 وَالَّذِي خَلَقَ الْمَاءَ وَالْحَمْلَ وَالْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَالْجِبَالَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالَّذِي يَخْتَفِي عَلَيْهِ عَذَابُ اللَّهِ سَهْدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٣﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾
 هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَيْبٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦﴾
 رَبَّنَا لَا تُرِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ مقصد السورة: الثبات على الإسلام بعد كماله وبيانه، ورد شبهات أهل الكتاب وخاصة النصارى.

﴿٢﴾ التفسيرين: هي سورة مدنية، سميت سورة آل عمران لذكر آل عمران فيها في الآية رقم (٣٣) من السورة.

﴿٣﴾ هذه الحروف المقطعة تقدم نظيرها في سورة البقرة، وفيها إشارة إلى عجز العرب عن الإنيان بمثل هذا القرآن مع أنه مؤلف من مثل هذه الحروف التي بُدئت بها السورة، والتي يُركبون منها كلامهم.

﴿٤﴾ الله الذي لا إله يعبد بحق إلا هو وحده دون سواه، الحي حياة كاملة لا موت فيها ولا نقص، القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات فلا تستغني عنه في كل أحوالها.

﴿٥﴾ نزل عليك - أيها النبي - القرآن بالصدق في الأخيار والعدل في الأحكام، موافقاً لما سبقه من الكتب الإلهية، فلا تعارض بينها، وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليه السلام من قبل تنزيل القرآن عليك، وهذه الكتب الإلهية كلها هداية وإرشاد للناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأنزل الفرقان الذي يعرف به الحق من الباطل والهدى من الضلال. والذين كفروا بآيات الله التي أنزلها عليك لهم عذاب شديد. والله عزيز لا يُغالبه

شيء، ذو انتقام ممن كذب رسله وخالف أمره.

﴿٦﴾ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قد أحاط علمه بالأشياء كلها ظاهرها وباطنها.

﴿٧﴾ هو الذي يخلقكم صوراً شتى في بطون أمهاتكم كيف يشاء، من ذكر أو أنثى، وحسن أو قبيح، وأبيض أو أسود، لا معبود بحق وحب وتعظيم غيره، العزيز الذي لا يُغالب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه.

﴿٨﴾ هو الذي أنزل عليك - أيها النبي - القرآن، منه آيات واضحة الدلالة، لا لبس فيها، هي أصل الكتاب ومعظمه، وهي المرجع عند الاختلاف، ومنه آيات أخر محتملة لأكثر من معنى، يلبس معناها على أكثر الناس، فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق فيتركون المحكم، ويأخذون بالمتشابه المحتمل؛ يبتغون بذلك إثارة الشبهة وإضلال الناس، ويبتغون بذلك تأويلها بأهوائهم على ما يوافق مذاهبهم الفاسدة، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات وعاقبتها التي تؤول إليها إلا الله. والراسخون في العلم المتمكنون منه يقولون: آمنا بالقرآن كله؛ لأنه كله من عند ربنا، ويفسرون المتشابه بما أحكم منه. وما يتذكر ويتعظ إلا أصحاب العقول السليمة.

﴿٩﴾ وهؤلاء الراسخون يقولون: ربنا لا تجعل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، وسلمنا مما أصاب المنحرفين المائلين عن الحق، وهب لنا رحمة واسعة من عندك تهدي بها قلوبنا، وتعصمنا بها من الضلال، إنك - يا ربنا - الوهاب كثير العطاء.

﴿١٠﴾ ربنا إنك سترجع الناس جميعاً إليك لحسابهم في يوم لا شك فيه، فهو آت لا محالة، إنك - يا ربنا - لا تخلف الميعاد.

فوائد من الآيات:

- ١ - أقام الله الحجة وقطع العذر عن الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب التي تهدي للحق وتحذر من الباطل.
- ٢ - كمال علم الله تعالى وإحاطته بخلقته، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، سواء كان ظاهراً أو خفياً.
- ٣ - من أصول أهل الإيمان الراسخين في العلم أن يفسروا ما تشابه من الآيات بما أحكم منها.
- ٤ - مشروعية دعاء الله تعالى وسؤاله الثبات على الحق، والرشد في الأمر، ولا سيما عند الفتن والأهواء.

﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وِبرسله لن تمنع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم حطب جهنم الذي توقد به يوم القيامة.

﴿١١﴾ وشأن هؤلاء الكافرين كشأن آل فرعون ومن قبلهم من الذين كفروا بالله وكذبوا بآياته، فعذبهم الله بسبب ذنوبهم، ولم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، والله شديد العقاب لمن كفر به، وكذب بآياته.

﴿١٢﴾ قل - أيها الرسول - للذين كفروا على اختلاف دياناتهم: سيغلبكم المؤمنون، وتموتون على الكفر، ويجمعكم الله إلى نار جهنم، وبس الفراش لكم.

﴿١٣﴾ قد كان لكم دلالة وعبرة في فرقتين التقتا للقتال يوم بدر، إحداهما فرقة مؤمنة وهي رسول الله ﷺ وأصحابه، تقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، والأخرى فرقة كافرة وهم كفار مكة الذين خرجوا فخرًا ورياءً وعصية، يراهم المؤمنون ضعفيهم حقيقة رأي عين، فنصر الله أوليائه، والله يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة لأصحاب البصائر، ليعلموا أن النصر لأهل الإيمان وإن قل عددهم، وأن الهزيمة لأهل الباطل وإن كثر عددهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَتَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ السُّمُومِ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿١٤﴾ يخبر الله تعالى أنه زين للناس - ابتلاء لهم - حب الشهوات الدنيوية: مثل النساء، والبنين، والأموال الكثيرة المجتمعة من الذهب والفضة، والخيل المألونة، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، وزراعة الأرض، ذلك متاع الحياة الدنيا يُتَمَتَّعُ به فترة ثم يزول، فلا ينبغي للمؤمن أن يتعلق به، والله عنده وحده حسن المرجع، وهو الجنة التي عرضها السماوات والأرض.

ولما كانت شهوات الدنيا منقطعة بئب الله إلى ما هو خير من ذلك فقال:

﴿١٥﴾ قل - أيها الرسول - أخبركم بخير من تلك الشهوات؟ للذين اتقوا الله بفعل طاعته وترك معصيته جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، خالدين فيها لا يدركهم موت ولا فناء، ولهم فيها أزواج مطهرات من كل سوء في خلقهن وأخلاقهن، ولهم مع ذلك رضوان من الله يحل عليهم فلا يسخط عليهم أبدًا، والله بصير بأحوال عباده، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿١٦﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أن غرور الكفار بأموالهم وأولادهم لن يغنيهم يوم القيامة من عذاب الله تعالى إذا نزل بهم.

٢ - النصر حقيقة لا يتعلق بمجرد العدد والعدة، وإنما بتأييد الله تعالى وعونه.

٣ - زين الله تعالى للناس أنواعًا من شهوات الدنيا ليلتلبهم، ويعلم تعالى من يقف عند حدوده ممن يتعدها.

٤ - كل نعيم الدنيا ولذاتها قليل زائل، لا يقاس بما في الآخرة من النعيم العظيم الذي لا يزول.

﴿١٦﴾ أهل الجنة هؤلاء هم الذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا إنا آمنّا بك، وبما أنزلت على رسلك، واتبعنا شريعتك؛ فأغفر لنا ما ارتكنا من ذنوب، وجننا عذاب النار.

﴿١٧﴾ وهم الصابرون على فعل الطاعات وترك السيئات، وعلى ما يصيبهم من البلاء، وهم الصادقون في أقوالهم وأعمالهم، وهم المطيعون لله طاعة تامة، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل؛ لأن الدعاء فيه أقرب للإجابة، ويخلو فيه القلب من الشواغل.

﴿١٨﴾ شهد الله على أنه هو الإله المعبود بحق دون سواه، وذلك بما أقام من الآيات الشرعية والكونية الدالة على ألوهيته، وشهد على ذلك الملائكة، وشهد أهل العلم على ذلك ببيانهم للتوحيد ودعوتهم إليه، فشهدوا على أعظم مشهود به وهو توحيد الله وقيامه تعالى بالعدل في خلقه وشرعه، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره وتشريعه.

﴿١٩﴾ إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية؛ والإيمان بالرسول جميعاً إلى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، الذي ختم الله به الرسالات، فلا يقبل غير شريعته. وما اختلف

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَإِيسَاءٌ لِّمَا كَتَبَ الْإِنسَانُ عَلَيْهِ إِذْ يَعِدُ بِهِ إِذْ يَأْتِيهِمْ آيَاتُ اللَّهِ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا لَيُخْفَتَنَّ بِهِمْ آيَاتُ اللَّهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَأُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾

اليهود والنصارى في دينهم وافترقوا شعباً وأحزاباً إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم، حسداً وحرصاً على الدنيا. ومن يكفر بآيات الله المنزلة على رسوله فإن الله سريع الحساب لمن كفر به وكذب رسله.

﴿٢٥﴾ فإن جادلوك - أيها الرسول - في الحق الذي نزل عليك، فقل مجيباً إياهم: أسلمت أنا ومن تبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل - أيها الرسول - لأهل الكتاب والمشركين: أسلمتم لله تعالى مخلصين له متبعين لما جئت به؟ فإن أسلموا لله واتبعوا شريعتك فقد سلكوا سبيل الهدى، وإن أعرضوا عن الإسلام فليس عليك إلا أن تبلغهم ما أرسلت به، وأمرهم إلى الله، فهو تعالى بصير بعباده، وسيجازي كل عامل بما عمل.

﴿٢٦﴾ إن الذين يكفرون بآيات الله الدالة على ربوبيته وألوهيته، ويقتلون أنبياءه بغير حق، وإنما ظلماً وعدواناً، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل من الناس، وهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، بشر هؤلاء الكفار القتل بعذاب أليم.

﴿٢٧﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة، لعدم إيمانهم بالله، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

﴿٢٨﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - من أعظم ما يكفر الذنوب ويبقي عذاب النار الإيمان بالله تعالى واتباع ما جاء به الرسول ﷺ.
- ٢ - أعظم شهادة وحقيقة هي ألوهية الله تعالى، ولهذا شهد الله بها لنفسه، وشهد بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم ممن خلق.
- ٣ - الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ هو الدين الحق الذي ختم الله به رسالاته، ولا يقبل ديناً سواه.

﴿٢٣﴾ ألم تنظر - أيها النبي - إلى حال اليهود الذين آتاهم الله حفظاً من العلم بالتوراة وما دلت عليه من نبوتك، يُدعون إلى الرجوع إلى كتاب الله التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه، ثم ينصرف فريق من علمائهم ورؤسائهم وهم معرضون عن حكمه إذ لم يوافق أهواءهم، وكان الأولى بهم - وهم يزعمون اتباعهم له - أن يكونوا أسرع الناس إلى التحاكم إليه.

﴿٢٤﴾ ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه لأنهم كانوا يظنون أن النار لن تمسهم يوم القيامة إلا أياماً قليلة، ثم يدخلون الجنة، فغرهم هذا الظن الذي زعموه فتجروا على الله ودينه.

﴿٢٥﴾ فكيف يكون حالهم وندمهم؟! سيكون غاية في السوء إذا جمعناهم للحساب في يوم لا شك فيه وهو يوم القيامة، وأعطيت كل نفس جزاء ما عملت على قدر ما تستحق، من غير ظلم بنقص حسناتها، أو زيادة سيئاتها.

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول - مثنيًا على ربك ومعظمًا له: اللهم أنت مالك الملك كله في الدنيا والآخرة، توتي الملك من تشاء من خلقك، وتنزعه عن تشاء، وتُعز من تشاء منهم، وتذل من تشاء، وكل ذلك بحكمتك وعدلك، ويبدك وحدك الخير كله، وأنت على كل شيء قدير.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسْنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يُبَدِّلُ الْخَيْرُ إِنَّاكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِعِزِّ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا إِنَّ تَخْوَفَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبْذُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿٢٧﴾ ومن مظاهر قدرتك أنك تدخل الليل في النهار فيطول وقته، وتدخل النهار في الليل فيطول وقته، وتخرج الحي من الميت؛ كإخراج المؤمن من الكافر والزرع من الحب، وتخرج الميت من الحي؛ كالكافر من المؤمن، والفرخ من البيضة، وترزق من تشاء رزقاً واسعاً من غير حساب وعد.

﴿٢٨﴾ لا تتخذوا - أيها المؤمنون - الكافرين أولياء تحبونهم وتنصرونهم من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فلا حرج أن تتقوا أذا هم بإظهار اللين في الكلام واللفظ في الفعال، مع إضمار العداوة لهم، ويحذركم الله نفسه فخافوه، ولا تعرضوا لغضبه بارتكاب المعاصي، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم القيامة لمجازاتهم على أعمالهم.

﴿٢٩﴾ قل - أيها النبي -: إن تخفوا ما في صدوركم مما نهاكم الله عنه كموالاة الكفار، أو تظهروا ذلك يعلمه الله، ولا يخفى عليه منه شيء، ويعلم ما في السماوات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٣٠﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

١ - أن التوفيق والهداية من الله تعالى، والعلم - وإن كثر وبلغ صاحبه أعلى المراتب - إن لم يصاحبه توفيق الله لم ينتفع به المرء.

٢ - أن الملك لله تعالى، فهو المعطي المانع، المعز المذل، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فلا يُسأل أحد سواه.

٣ - وجوب موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين.

﴿٣٥﴾ يوم القيامة تجد كل نفس الذي عملت من خير حاضراً لا نقص فيه، والذي عملت من السوء تتمنى أن بينها وبينه زمناً بعيداً، وأنى لها ما تمنى! ويحذركم الله نفسه، فلا تعرضوا لغضبه بارتكاب الآثام، والله رؤوف بالعباد، ولهذا يحذركم ويخوفهم.

﴿٣٦﴾ قل - أيها الرسول -: إن كنتم تحبون الله حقاً فاتبعوا ما جئت به ظاهراً وباطناً، تناولوا محبة الله، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٣٧﴾ قل - أيها الرسول -: أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامثال الأوامر واجتنب النواهي، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الكافرين المخالفين لأمره وأمر رسوله.

﴿٣٨﴾ إن الله كرم آدم ﷺ فأسجد له ملائكته، واختار نوحاً فجعله أول رسول إلى أهل الأرض، واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته، واختار آل عمران أبي مريم والمراد بآله: عيسى ﷺ، اختار كل هؤلاء وفضلهم على أهل زمانهم.

﴿٣٩﴾ هؤلاء المذكورون من الأنبياء وذرياتهم المتبعون لطريقتهم هم ذرية بعضها متسلسل من بعض في توحيد الله وعمل الصالحات، يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله

سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، ولهذا يختار من يشاء منهم، ويصطفى منهم، من يشاء.

﴿٤٠﴾ اذكر - أيها الرسول - إذ قالت امرأة عمران والدة مريم ﷺ: يا رب إني أوجبت على نفسي أن أجعل ما في بطني من حمل خالصاً لوجهك، محرراً من كل شيء ليخدمك ويخدم بيتك، فتقبل مني عملي هذا، إنك أنت السميع لدعائي، العليم ببيتي.

﴿٤١﴾ فلما تم حملها وضعت ما في بطنها، وقالت معذرة - وقد كانت ترجو أن يكون الحمل ذكراً -: يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي كانت ترجوه كالأنثى التي وُهبَت لها في القوة والخَلْقَة. وإني سميتها مريم، وإني حصنتها بك هي وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

﴿٤٢﴾ فتقبل الله نذرهما بقبول حسن، وأنشأها نشأة حسنة، وعطف عليها قلوب الصالحين من عباده، وجعل كفالتها إلى زكريا ﷺ. وكان زكريا كلما دخل عليها مكان العبادة وجد عندها رزقاً طيباً ميسراً، فقال مخاطباً إياها: يا مريم، من أين لك هذا الرزق؟ قالت مجيبة إياه: هذا الرزق من عند الله، إن الله يرزق من يشاء رزقاً واسعاً بغير حساب.

﴿٤٣﴾ فإزل من الآيات:

- ١ - عظم مقام الله وشدة عقوبته تجعل العاقل على حذر من مخالفة أمره تعالى.
- ٢ - برهان المحبة الحققة لله ولرسوله باتباع الشرع أمراً ونهياً، وأما دعوى المحبة بلا برهان فلا تنفع صاحبها.
- ٣ - أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده ويصطفىهم للنبوة والعبادة بحكمته ورحمته، وقد يخصصهم بكرامات خارقة للعادة.

عند ذلك الذي رآه زكريا من رزق الله تعالى لمريم بنت عمران على غير المعتاد من سننه تعالى في الرزق؛ رجا أن يرزقه الله ولدًا مع الحال التي هو عليها من تقدم سنه وعظم امرأته، فقال: يا رب، هب لي ولدًا طيبًا، إنك سميعٌ لدعاء من دعاك، عليمٌ بحاله.

فنادته الملائكة مخاطبة له وهو في حال قيامه للصلاة في مكان عبادته بقولها: إن الله يبشرك بولد يولد لك اسمه يحيى، من صفته أن يكون مصدقًا بكلمة من الله وهو عيسى ابن مريم - لأنه خلق خلقًا خاصًا بكلمة من الله - ويكون هذا الولد سيدًا على قومه في العلم والعبادة، مانعًا نفسه وحابسها عن الشهوات ومنها قُرْبان النساء، متفرغًا لعبادة ربه، ويكون - أيضًا - نبيًا من الصالحين.

قال زكريا لما بشرته الملائكة يحيى: يا رب، كيف يكون لي ولد بعد أن صرت شيخًا، وامرأتي عقيم لا يولد لها! قال الله جوابًا على قوله: مثل خلق يحيى على كبر سنك وعظم زوجك؛ كخلق الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة؛ لأن الله على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء بحكمته وعلمه.

قال زكريا: يا رب، اجعل لي علامة على حمل امرأتي مني، قال الله: علامتك التي طلبت هي: أن لا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام بلياليهن إلا بالإشارة ونحوها، من غير خلل يصيبك، فأكثر من ذكر الله وتسيحه في آخر النهار وأوله.

واذكر - أيها الرسول - حين قالت الملائكة لمريم عليها السلام: إن الله اختارك لما تتصفين به من صفات حميدة، وطهرتك من النقائص، واختارك على نساء العالمين في زمانك.

يا مريم، أطيلي القيام في الصلاة، واسجدي لربك، واركعي له مع الراكعين من عباده الصالحين.

ذلك المذكور من خبر زكريا ومريم عليهما السلام من أخبار الغيب نوحه إليك - أيها الرسول - وما كنت عند أولئك العلماء والصالحين حين اختصموا فيمن هو أحق بتربية مريم، حتى لجؤوا للقرعة فألقوا أقلامهم، ففاض قلم زكريا عليه السلام.

اذكر - أيها الرسول - إذ قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بولد يكون خلقه من غير أب، وإنما بكلمة من الله بأن يقول له: «كن»، فيكون ولدًا بإذن الله، واسم هذا الولد: المسيح عيسى ابن مريم، له مكانة عظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن المقربين إليه تعالى.

فوائد من الآيات:

- ١ - عناية الله تعالى بأوليائه، فإنه سبحانه يجنبهم سوء، ويستجيب دعاءهم.
- ٢ - فضل مريم عليها السلام حيث اختارها الله على نساء العالمين، وطهرها من النقائص، وجعلها مباركة.
- ٣ - كلما عظمت نعمة الله على العبد عظم ما يجب عليه من الشكر عليها.
- ٤ - مشروعية القرعة عند الاختلاف فيما لا بينة عليه ولا قرينة تشير إليه.

﴿٤٦﴾ ويكلم الناس وهو طفل صغير قبل أو ان الكلام، ويكلمهم وهو كبير قد كملت قوته ورجولته، يخاطبهم بما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم، وهو من الصالحين في أقوالهم وأعمالهم.

﴿٤٧﴾ قالت مريم مستغربة أن يكون لها ولد من غير زوج: كيف يكون لي ولد، ولم يقربني بشر لا في حلال ولا في حرام؟! قال لها الملك: مثل ما خلق الله لك ولدًا من غير أب، يخلق ما يشاء مما يخالف المألوف والعادة، فإذا أراد أمرًا قال له: «كن» فيكون، فلا يعجزه شيء.

﴿٤٨﴾ ويعلمه الإصابة والتوفيق في القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزلها على موسى ﷺ، ويعلمه الإنجيل الذي أنزله عليه هو ﷺ.

﴿٤٩﴾ ويجعله - كذلك - رسولاً إلى بني إسرائيل، حيث يقول لهم: إني رسول الله إليكم قد جئتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي هي: أنني أصور لكم من مادة الطين مثل شكل الطير، فأنفخ فيه فيصير طيرًا حيًا بإذن الله، وأشفي من وُلد أعمى فيبصر، ومن أصيب بمرض فيبراً منه، وأحبي من كان ميتًا، كل ذلك بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وبما

تخبثون في بيوتكم من طعام وتخفونه، إن فيما ذكرته لكم من هذه الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر؛ علامة ظاهرة على أنني رسول من الله إليكم، إن كنتم تريدون الإيمان، وتصدقون بالبراهين.

﴿٥٠﴾ وجئتكم - كذلك - مصدقًا لما نزل قبلي من التوراة، وجئتكم لأحل لكم بعض ما حُرِّم عليكم من قبل، تيسيرًا وتخفيفًا عليكم، وجئتكم بحجة واضحة على صحة ما قلت لكم، فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه.

﴿٥١﴾ ذلك لأن الله ربي وربكم، فهو وحده المستحق أن يُطاع ويُتقى، فاعبدوه وحده، هذا الذي أمرتكم به من عبادة الله وتقواه هو الطريق المستقيم الذي لا عوجاج فيه.

﴿٥٢﴾ فلما علم عيسى ﷺ منهم الإصرار على الكفر: قال مخاطبًا بني إسرائيل: من ينصروني في الدعوة إلى الله؟ قال الأصفياء من أتباعه: نحن أنصار دين الله، آمنة بالله واتبعتك، وأشهد - يا عيسى - بأننا منقادون لله بتوجيهه وطاعته.

﴿٥٣﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - فضل الله تعالى على مريم وابنها المسيح ﷺ بما أودع فيهما من كرامات ومعجزات.
- ٢ - شرف الكتابة والخط وعلو منزلتهما، حيث بدأ الله تعالى بذكرهما قبل غيرهما.
- ٣ - من سنن الله تعالى أن يؤيد رسله بالآيات المعجزات الدالة على صدقهم، مما لا يقدر عليه البشر.
- ٤ - جاء عيسى ﷺ بالتخفيف على بني إسرائيل فيما شدد عليهم في بعض شرائع التوراة.

٥٢ وقال الحواريون كذلك: ربنا آمنّا بما أنزلت من الإنجيل، واتبعنا عيسى ﷺ، فاجعلنا مع الشاهدين بالحق الذين آمنوا بك وبرسلك.

٥٣ ومكر الكافرون من بني إسرائيل حيث سعوا في قتل عيسى ﷺ، فمكر الله بهم بأن تركهم في ضلالهم، ومن مكره تعالى بهم أن ألقى شبه عيسى ﷺ على رجل آخر، والله خير الماكرين؛ لأنه لا أشد من مكره تعالى بأعدائه.

٥٤ ومكر الله بهم - أيضًا - حين قال مخاطبًا عيسى ﷺ: يا عيسى، إني قابضك من غير موت، ورافعُ بدنك وروحك إلي، ومُنزّهك من رجس الذين كفروا بك ومُبعدك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الدين الحق - ومنه الإيمان بمحمد ﷺ - فوق الذين كفروا بك إلى يوم القيامة بالرهان والعزة، ثم إليّ وحدي رجوعكم يوم القيامة، فأحكم بينكم بالحق فيما كنتم فيه تختلفون.

٥٥ فأما الذين كفروا بك وبالحق الذي جنتهم به فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا بالقتل والأسر والذل، وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

٥٦ وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي جنتهم به، وعملوا الصالحات من صلاة وزكاة وصيام وصلة وغيرها؛ فإن الله يعطيهم

رَبَّاءَ آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ ٥٣ وَمَكْرُوا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

الْمَاكِرِينَ ٥٤ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ

إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ

فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ

فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥ فَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا

لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ٥٧

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ٥٨ إِنَّ

مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ٦٠

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ

ثُمَّ نَتَّبِعِ لِنُحْلِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٦١

٦٢

٦٣

ثواب أعمالهم تامة لا يُنْقِصُ منها شيئًا، وهذا الحديث عن أتباع المسيح قبل بعثة النبي محمد ﷺ الذي بشر به المسيح نفسه، والله لا يحب الظالمين، ومن أعظم الظلم الشرك بالله تعالى وتكذيب رسله.

٥٨ ذلك الذي نقرؤه عليك من خبر عيسى ﷺ من العلامات الواضحات الدالة على صحة ما أنزل إليك، وهو ذِكْرُ للمتقين، محكم لا يأتيه الباطل.

٥٩ إن مثل خلق عيسى ﷺ عند الله كمثل خلق آدم من تراب، من غير أب ولا أم، وإنما قال الله له: كن بشرًا فكان كما أراد تعالى، فكيف يزعمون أنه إله بحجة أنه خُلِقَ من غير أب، وهم يقولون بأن آدم بشر، مع أنه خُلِقَ من غير أب ولا أم.

٦٠ الحق الذي لا شك فيه في شأن عيسى ﷺ هو الذي نزل عليك من ربك، فلا تكن من الشاكين المترددين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

٦١ فمن جادلك - أيها الرسول - من النصارى في أمر عيسى زاعمًا أنه ليس عبدًا لله من بعد ما جاءك من العلم الصحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا ننادي للحضور أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم، ونجتمع كلنا، ثم نتضرع إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين منا ومنكم.

٦٢ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أن الشهادة المقبولة النافعة ما كانت بحق وعن علم.

٢ - بيان المعتقد الصحيح الواجب في شأن عيسى ﷺ، والرد على من ضل في أمره.

٣ - من كمال قدرته تعالى أنه يعاقب من يمكر بدينه وبأوليائه، فيمكر بهم كما يمكرون.

٤ - مشروعية المُباهلة بين المتنازعين على الصفة التي وردت بها الآية الكريمة.

إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
 بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
 مُسْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي
 إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هَتَأْتُمْ هَكَذَا إِذْ حُجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
 عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
 حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
 بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ
 وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٢﴾ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٣﴾

﴿٦٥﴾ إن هذا الذي ذكرنا لك من شأن عيسى عليه السلام هو الخبر الحق الذي لا كذب فيه ولا شك، وما من معبود بحق إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في تدبيره وأمره.

﴿٦٦﴾ فإن أعرضوا عما جئت به، ولم يتبعوك؛ فذلك من فسادهم، والله عليم بالمفسدين في الأرض، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٦٧﴾ قل - أيها الرسول -: تعالوا يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، نجتمع على كلمة عدلٍ نستوي فيها جميعاً: أن نُفرد الله بالعبادة فلا نعبد معه أحداً سواه مهما كانت منزلته، وعلت مكانته، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً يُعبدون ويُطاعون من دون الله، فإن انصرفوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من الحق والعدل فقولوا لهم - أيها المؤمنون -: اشهدوا بأنا مستسلمون لله متقادون له تعالى.

﴿٦٨﴾ يا أهل الكتاب لِمَ تجادلون في ملّة إبراهيم عليه السلام؟ فاليهودي يزعم أنه كان يهودياً، والنصراني يزعم أنه كان نصرانياً، وأنتم تعلمون أن اليهودية والنصرانية لم تظهر إلا بعد موته بوقت طويل، أفلا تعقلون بطلان قولكم وخطأ زعمكم.

﴿٦٩﴾ ها أنتم - يا أهل الكتاب - جادلتم النبي صلى الله عليه وسلم فيما لكم به علم من أمر دينكم وما

أُنزل عليكم، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم ودينه، مما ليس في كتبكم ولا جاءت به أنبياءكم؟ والله يعلم حقائق الأمور وبواطنها وأنتم لا تعلمون.

﴿٧٠﴾ ما كان إبراهيم عليه السلام على الملّة اليهودية، ولا على النصرانية، ولكن كان مائلاً عن الأديان الباطلة، مسلماً لله موحداً له تعالى، وما كان من المشركين به كما يزعم مشركو العرب أنهم على ملته.

﴿٧١﴾ إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم، هم الذين اتبعوا ما جاء به في زمانه، وأحق الناس أيضاً بذلك هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والذين آمنوا به من هذه الأمة، والله ناصر المؤمنين به وحافظهم.

﴿٧٢﴾ يتمنى أحياناً من أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يضلوكم - أيها المؤمنون - عن الحق الذي هداكم الله له، وما يضلون إلا أنفسهم؛ لأن سعيهم في إضلال المؤمنين يزيد في ضلالهم هم، وما يعلمون عاقبة أفعالهم.

﴿٧٣﴾ يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لِمَ تجحدون بآيات الله التي أنزلت عليكم وما فيها من دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنتم تشهدون أنه الحق الذي دلت عليه كتبكم؟

﴿٧٤﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أن الرسالات الإلهية كلها اتفقت على كلمة عدل واحدة، وهي: توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك.
- ٢ - أهمية العلم بالتاريخ؛ لأنه قد يكون من الحجج القوية التي تُردُّ بها دعوى المبطلين.
- ٣ - أحق الناس بإبراهيم عليه السلام من كان على ملته وعقيدته، وأما مجرد دعوى الانتساب إليه مع مخالفته فلا تنفع.
- ٤ - دلت الآيات على حرص كفرة أهل الكتاب على إضلال المؤمنين من هذه الأمة حسداً من عند أنفسهم.

﴿٧١﴾ يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذي أنزل في كتبكم بالباطل من عندكم، وتخفون ما فيها من الحق والهدى، ومنه صحة نبوة محمد ﷺ، وأنتم تعلمون الحق من الباطل والهدى من الضلال.

﴿٧٢﴾ وقالت جماعة من علماء اليهود: آمنوا في الظاهر بالقرآن الذي أنزل على المؤمنين أول النهار، واکفروا به آخره، لعلهم يشكون في دينهم بسبب كفرهم به بعد إيمانكم فيرجعون عنه قائلين: هم أعلم منا بكتب الله وقد رجعوا عنه.

﴿٧٣﴾ وقالوا - أيضًا -: ولا تصدقوا وتقرؤوا إلا لمن كان يهوديًا على دينكم، قل أيها الرسول: إن الهدى إلى الحق هو هدى الله تعالى، لا ما أنتم عليه من تكذيب وعناد، مخافة أن يؤتى أحد من الفضل مثل ما أوتيتم، أو مخافة أن يحاجوكم عند ربكم إن أقررتم بما أنزل عليهم، قل أيها الرسول: إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده، لا يقتصر فضله على أمة دون أمة، والله واسع الفضل عليم بمن يستحقه.

﴿٧٤﴾ يختص برحمته من يشاء من خلقه، فيفضل عليه بالهداية والنبوة وأنواع العطاء، والله ذو الفضل العظيم الذي لا حد له.

﴿٧٥﴾ ومن أهل الكتاب من إن تستأمنه على مال كثير يؤدُّ إليك ما ائتمنته عليه، ومنهم من

يَتَّاهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتُ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بِآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بَعْدَهُهُ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَأَمْنَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْلَٰئِكَ لَآ خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

إن تستأمنه على مال قليل لا يؤدُّ إليك ما ائتمنته عليه إلا إن ظللت تلحُّ عليه بالمطالبة والتقاضي، ذلك من أجل قولهم وظنهم الفاسد: ليس علينا في العرب وأكل أموالهم إثم؛ لأن الله أباحها لنا، يقولون هذا الكذب وهم يعلمون افتراءهم على الله.

﴿٧٦﴾ ليس الأمر كما زعموا، بل عليهم حرج، ولكن من أوفى بعهده مع الله من الإيمان به وبرسله، ووفى بعهده مع الناس فأدى الأمانة، واتقى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه؛ فإن الله يحب المتقين وسيجازيهم على ذلك أكرم الجزاء.

﴿٧٧﴾ إن الذين يستبدلون بوصية الله إليهم باتباع ما أنزله في كتابه وأرسل به رسله، وبإيمانهم التي قطعوها بالوفاء بعهدهم، يستبدلون بها عوضًا قليلًا من متاع الدنيا، لا نصيب لهم من ثواب الآخرة، ولا يكلمهم الله بما يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة يوم القيامة، ولهم عذاب أليم.

﴿٧٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

١ - من علماء أهل الكتاب من يخدع أتباع ملتهم، ولا يبين لهم الحق الذي دلت عليه كتبهم، وجاءت به رسلكم.

٢ - الله تعالى هو الوهاب المتفضل، يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله وحكمته، ولا ينال فضله إلا بطاعته.

٣ - أهل الكتاب ليسوا سواء في أمانتهم ووفائهم؛ فإن فيهم من يؤديها وفيهم من يخونها.

٤ - كل عوض في الدنيا عن الإيمان بالله والوفاء بعهده - وإن كان عظيمًا - فهو قليل حقير أمام ثواب الآخرة ومنازلها.

﴿٧٨﴾ وإن من اليهود لطائفة يَحْرِفُونَ ألسنتهم عند قراءة التوراة المنزلة من عند الله، لتظنوا أنهم يقرؤون التوراة، وما هو من التوراة، بل هو من كذبهم وافترائهم على الله، ويقولون: ما نقرؤه منزل من عند الله، وليس هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴿٧٨﴾ ما كان لبشر أن يُوتيه الله الكتاب والحكم والنجوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربينيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴿٧٩﴾ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أي أُمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴿٨٠﴾ وإذا أخذ الله ميثق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴿٨١﴾ فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴿٨٢﴾ أفعير دين الله يبعثون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴿٨٣﴾

﴿٧٩﴾ ما كان ينبغي لبشر أن يُوتيه الله كتاباً منزلاً من عنده، ويرزقه العلم والفهم، ويختاره نبياً؛ ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن يقول للناس: كونوا علماء عاملين بسبب تعليمكم الكتاب المنزل للناس، وبما كنتم تدرسونه منه حفظاً وفهماً. ﴿٨٠﴾ ولا ينبغي له - كذلك - أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً تعبدونهم من دون الله، أيجوز منه أن يأمركم بالكفر بالله بعد انقيادكم إليه واستسلامكم له؟! ﴿٨١﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أخذ الله العهد المؤكد على النبيين قائلاً لهم: لئن أعطيتكم من كتاب أنزله عليكم، وحكمة أعلمكم إياها، وبلغ أحدكم ما بلغ من المكانة والمنزلة، ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة؛ لتؤمنن بما جاء به، ولتنصرنه متبعين له، فهل

أقررتم - أيها الأنبياء - بذلك، وأخذتم على ذلك عهدي الشديد؟ فأجابوا قائلين: أقررنا به، قال الله: اشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم. ﴿٨٢﴾ فمن أعرض بعد هذا العهد المؤكد بالشهادة من الله ورسله؛ فأولئك هم الخارجون عن دين الله وطاعته. ﴿٨٣﴾ أفعير دين الله الذي اختار لعباده يطلب هؤلاء الخارجون عن دين الله وطاعته؟! وله - سبحانه - انقراض واستسلام كل من في السموات والأرض من الخلائق، طوعاً له كحال المؤمنين، وكرهاً كحال الكافرين، ثم إليه تعالى يرجع الخلائق كلهم يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٧٨﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - ضلال علماء اليهود ومكرهم في تحريفهم كلام الله، وكذبهم على الناس بنسبة تحريفهم إليه تعالى.
- ٢ - كل من يدعي أنه على دين نبي من أنبياء الله إذا لم يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام فهو ناقض لعهد مع الله تعالى.
- ٣ - أعظم الناس منزلة العلماء الربانيون الذين يجمعون بين العلم والعمل، ويربُّون الناس على ذلك.
- ٤ - أعظم الضلال الإعراض عن دين الله تعالى الذي استسلم له سبحانه الخلاق كلهم بفاجرهم.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول -: آمنا بالله إلهاً، وأطعناه فيما أمرنا به، وآمنا بالوحي الذي أنزله علينا، وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون جميعاً من الكتب والمعجزات من ربهم، لا نفرق بينهم فتؤمن ببعض وتكفر ببعض، ونحن منقادون لله وحده مستسلمون له تعالى.

﴿٨٥﴾ ومن يطلب ديناً غير الدين الذي ارتضاه الله وهو دين الإسلام؛ فلن يقبل الله ذلك منه، وهو في الآخرة من الخاسرين لأنفسهم بدخولهم النار.

﴿٨٦﴾ كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً كفروا بعد إيمانهم بالله وشهادتهم أن ما جاء به الرسول محمد ﷺ حق، وجاءتهم البراهين الواضحة على صحة ذلك؟! والله لا يوفق للإيمان به القوم الظالمين الذين اختاروا الضلال بدلاً عن الهدى.

﴿٨٧﴾ إن جزاء أولئك الظالمين الذين اختاروا الباطل أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهم مُبْعَدُونَ عن رحمة الله مطرودون.

﴿٨٨﴾ خالدين في النار لا يخرجون منها، ولا يُخَفَّفُ عنهم عذابها، ولا هم يُؤَخَّرُونَ ليتوبوا ويعتدروا.

﴿٨٩﴾ إلا الذين تابوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم، وأصلحوا عملهم؛ فإن الله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.

﴿٩٠﴾ إن الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على كفرهم حتى ماتوا؛ لن تقبل منهم التوبة عند حضور الموت لذهاب وقتها، وأولئك هم الضالون عن الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى.

﴿٩١﴾ إن الذين كفروا وماتوا على كفرهم؛ فلن يُقْبَلَ من أحدهم فدية يفتدي بها نفسه من عذاب الله، ولو جاء بمثل وزن الأرض ذهباً، وأولئك الذين لهم عذاب أليم، وما لهم من ناصرين يوم القيامة يدفعون عنهم العذاب.

﴿٩٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - يجب الإيمان بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى، وجميع ما أنزل عليهم من الكتب، دون تفریق بينهم.

٢ - لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً أياً كان بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا الإسلام الذي جاء به.

٣ - مَنْ أصر على الضلال، واستمر عليه، فقد يعاقبه الله بعدم توفيقه إلى التوبة والهداية.

٤ - باب التوبة مفتوح للعبد ما لم يحضره الموت، أو تشرق الشمس من مغربها، فعندئذ لا تقبل منه التوبة.

٥ - لا ينجي المرء يوم القيامة من عذاب النار إلا عمله الصالح، وأما المال فلو كان ملء الأرض لم ينفعه شيئاً.

﴿٩٢﴾ لن تناولوا - أيها المؤمنون - ثواب أهل البر ومنزلتهم حتى تنفقوا في سبيل الله من أموالكم التي تحبونها، وما تنفقوا من شيء قليلاً كان أو كثيراً فإن الله عليم بنياتكم وأعمالكم، وسيجازي كلًّا بعمله.

﴿٩٣﴾ جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالاً لبني إسرائيل، ولم يُحرّم عليهم منها إلا ما حرمه يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة عليه، لا كما تزعم اليهود أن ذلك التحريم كان في التوراة، قل لهم - أيها النبي -: فأتوا بالتوراة واقرووها إن كنتم صادقين في هذا الذي تدعون، فبهتوا، ولم يأتوا بها. وهو مثال يدل على افتراء اليهود على التوراة وتحريف مضمونها.

﴿٩٤﴾ فمن افتري الكذب على الله بعد ظهور الحجة؛ بأن ما حرّمه يعقوب ﷺ حرّمه على نفسه من غير تحريم من الله؛ فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بترك الحق بعد ظهور حجته.

﴿٩٥﴾ قل - أيها النبي -: صدق الله فيما أخبر به عن يعقوب ﷺ، وفي كل ما أنزل وشرع، فاتبعوا دين إبراهيم ﷺ، فقد كان مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين مع الله أحداً في عبادته ولا شريعته.

﴿٩٦﴾ إن أول بيت بني في الأرض للناس جميعاً من أجل عبادة الله هو بيت الله الحرام

لن تناولوا البرحى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فات الله به عليهم ﴿٩٢﴾ كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسماعيل على نفسه من قبل أن نزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴿٩٣﴾ فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴿٩٤﴾ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴿٩٥﴾ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين ﴿٩٦﴾ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غيبي عن العالمين ﴿٩٧﴾ قل يتأهل الكناب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ﴿٩٨﴾ قل يتأهل الكناب لم تصدقوا عن سبيل الله من آمن بتعونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ﴿٩٩﴾ يتأهل الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴿١٠٠﴾

الذي بمكة، وهو بيت مبارك، كثير المنافع الدينية والدنيوية، وفيه هداية للعالمين جميعاً.

﴿٩٧﴾ في هذا البيت علامات ظاهرات على شرفه وفضله؛ كالمناسك والمشاعر، ومن هذه العلامات الحجر الذي قام عليه إبراهيم لما أراد رفع جدار الكعبة، ومنها أن من دخله كان آمناً لا يناله أذى. ويجب لله على الناس قُصد هذا البيت لأداء مناسك الحج، لمن كان منهم قادراً على الوصول إليه، ومن جحد فريضة الحج فقد كفر بالله، والله غني عن هذا الكافر وعن العالمين أجمعين.

﴿٩٨﴾ قل - أيها النبي -: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تجحدوا البراهين على صدق النبي ﷺ، ومنها براهين جاءت بها التوراة والإنجيل، والله مطلع على عملكم هذا شاهد عليه، وسيجازيكم به.

﴿٩٩﴾ قل - أيها النبي -: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تمنعوا عن دين الله من آمن به من الناس تطلبون لدين الله ميلاً عن الحق إلى الباطل، ولأهله ضلالاً عن الهدى، وأنتم شهداء على أن هذا الدين هو الحق مصدق لما في كتبكم؟! وليس الله بغافل عما تعملون من الكفر به، والصد عن سبيله، وسيجازيكم به.

﴿١٠٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما يقولونه، وتقبلوا رأيهم فيما يزعمونه؛ يُرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان بسبب ما فيهم من الحسد والضلال عن الهدى.

﴿١٠١﴾ فاولئك الآيات:

- ١ - كَذِبَ اليهود على الله تعالى وأنبياؤه، ومن كذبهم زعمهم أن تحريم يعقوب ﷺ لبعض الأطعمة نزلت به التوراة.
- ٢ - أعظم أماكن العبادة وأشرفها البيت الحرام، فهو أول بيت وضع لعبادة الله، وفيه من الخصائص ما ليس في سواه.
- ٣ - وجوب الحج على كل مسلم عاقل بالغ قادر، ولا يجوز لمن تحققت فيه الشروط أن يؤخره بلا عذر.

﴿١٤١﴾ وكيف تكفرون بالله بعد إيمانكم به، وأنتم معكم السبب الأعظم للثبات على الإيمان! فأيات الله تُقرأ عليكم، ورسوله محمد ﷺ يُبينها لكم، ومن يستمسك بكتاب الله وسنة رسوله؛ فقد وفقه الله إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿١٤٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، خافوا ربكم حق المخافة، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وشكره على نعمه، واستمسكوا بدينكم حتى يأتكم الموت وأنتم على ذلك.

﴿١٤٣﴾ وتمسكوا - أيها المؤمنون - بالكتاب والسنة، ولا ترتكبوا ما يوقعكم في التفرق، واذكروا إنعام الله عليكم حين كنتم أعداء قبل الإسلام تتقاتلون على أقل الأسباب، فجمع بين قلوبكم بالإسلام، فصرتم بفضلته إخواناً في الدين، متراحمين متناصحين، وكنتم قبل ذلك مشرفين على دخول النار بكفركم، فأنجاكم الله منها بالإسلام وهداكم للإيمان. وكما بين لكم الله هذا يبين لكم ما يصلح أحوالكم في الدنيا والآخرة، لتَهْتَدُوا إلى طريق الرشاد، وتسلخوا سبيل الاستقامة.

﴿١٤٤﴾ ولتكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة يدعون إلى كل خير يحبه الله، ويأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وينهون عن المنكر الذي نهى عنه

الشرع وقبحه العقل، والمتصفون بهذه الصفة هم أهل الفوز التام في الدنيا والآخرة.

﴿١٤٥﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل أهل الكتاب الذين تفرقوا فصاروا أحزاباً وشيعاً، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة من الله تعالى، وأولئك المذكورون لهم عذاب عظيم من الله.

﴿١٤٦﴾ يقع عليهم هذا العذاب العظيم يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل الإيمان من الفرح والسعادة، وتسود وجوه الكافرين من الحزن والكآبة، فأما الذين أسودت وجوههم في ذلك اليوم العظيم فيقال توبيحاً لهم: أجددتم توحيد الله وعهده الذي أخذ عليكم بأن لا تشركوا به شيئاً، بعد تصديقكم وإقراركم؟ فذوقوا عذاب الله الذي أعده لكم بسبب كفركم.

﴿١٤٧﴾ وأما الذين أبيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم، خالدون فيها أبداً، في نعيم لا يزول ولا يحول. ﴿١٤٨﴾ تلك الآيات المتضمنة وعد الله ووعيده نقرؤها عليك - أيها النبي - بالصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، وما الله يريد ظمناً لأي أحد من العالمين، بل لا يعذب أحداً إلا بما كسبت يده.

﴿١٤٩﴾ فوازل من الآيات:

١ - متابعة أهل الكتاب في أهوائهم تقود إلى الضلال والبعد عن دين الله تعالى.

٢ - الاعتصام بالكتاب والسنة والاستمسك بهديهما أعظم وسيلة للثبات على الحق، والعصمة من الضلال والافتراق.

٣ - الافتراق والاختلاف الواقع في هذه الأمة في قضايا الاعتقاد فيه مشابهة لمن سبق من أهل الكتاب.

٤ - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن به فلاح الأمة وسبب تميزها.

﴿١٠٩﴾ والله تعالى وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، خلَقًا وأمراً، وإليه تعالى يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم.

﴿١١٠﴾ كنتم - يا أمة محمد ﷺ - خير الأمم التي أخرجها الله للناس في إيمانكم وعملكم، وأُنفَعُ الناس للناس، تأمرون بالمعروف الذي دل عليه الشرع وحسنه العقل، وتنهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، وتؤمنون بالله إيماناً جازماً يصدقه العمل. ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بمحمد ﷺ لكان ذلك خيراً لهم في دنياهم وآخرتهم. من أهل الكتاب قليل يصدقون بما جاء به محمد ﷺ، وأكثرهم هم الخارجون عن دين الله وشريعته.

﴿١١١﴾ ومهما كان منهم من عداوة فلن يضروكم - أيها المؤمنون - في دينكم ولا في أنفسكم إلا أذى بالسنتهم، من الطعن في الدين، والاستهزاء بكم ونحو ذلك، وإن قاتلوكم يفرّوا منهزمين أمامكم، ولا ينصرون عليكم أبداً.

﴿١١٢﴾ جعل الهوان والصغار محطاً باليهود مشتماً عليهم أينما وجدوا، فلا يأمنون إلا بعهد أو أمن من الله تعالى أو من الناس، ورجعوا بغضب من الله، وجعلت عليهم الحاجة والفاقة محيطة بهم، ذلك الذي جعل عليهم بسبب جحدهم آيات الله، وقتلهم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ

﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ

أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

وَإِنْ يُفْتَنُوا كُمْ يُولُوكُمْ أَلَدِيَارًا ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا جَبَلٌ مِّنَ اللَّهِ وَجِبَلٌ مِّنَ النَّاسِ

وَيَأْتِيهِمْ بَغْضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ

حَقِّ ذٰلِكَ يَمَاعِصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَآءًا مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَةً أَلَيْلٍ

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا

مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

لأنبيائه ظلماً، وذلك - أيضاً - بسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله.

ولمَّا بَيَّنَّ اللهُ حال غالب أهل الكتاب، بيَّن حال طائفة منهم مستقيمة على الحق قائمة به فقال:

﴿١١٣﴾ ليس أهل الكتاب متساوين في حالهم، بل منهم طائفة مستقيمة على دين الله، قائمة بأمر الله ونهيه، يقرؤون آيات الله في ساعات الليل وهم يُصلون لله، كانت هذه الفئة قبل بعثة النبي محمد ﷺ، ومن أدرك منهم هذه البعثة أسلم.

﴿١١٤﴾ يؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً جازماً، ويأمرون بالمعروف والخير، وينهون عن المنكر والشر، ويبادرون إلى أفعال الخيرات، ويغتنمون مواسم الطاعات، أولئك المتصفون بهذه الصفات من عباد الله الذين صلحت نياتهم وأعمالهم.

﴿١١٥﴾ وما يفعله هؤلاء من خير قليلاً كان أو كثيراً فلن يضيع عليهم ثوابه، ولن ينقص أجره، والله عليم بالمتقين الذين يمثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١١٦﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أعظم ما يميز هذه الأمة وبه كانت خيريتها - بعد الإيمان بالله - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٢ - قضى الله تعالى بالذل على أهل الكتاب لفسقهم وإعراضهم عن دين الله، وعدم وفائهم بما أخذ عليهم من العهد.
- ٣ - أهل الكتاب ليسوا على حال واحدة؛ فمنهم القائم بأمر الله، المتبع لدينه، الواقف عند حدوده، وهؤلاء لهم أعظم الأجر والثواب. وهذا قبل بعثة النبي محمد ﷺ.
- ٤ - فضل الاستقامة على دين الله وعمل الصالحات، ومنها: تلاوة القرآن، والصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

﴿١١٦﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنْ تُدْفَعَ عَنْهُمْ
أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، لَنْ تَرُدَّ عَنْهُمْ
عَذَابُهُ، وَلَنْ تَجْلِبَ لَهُمْ رَحْمَتُهُ، بَلْ سَتَزِيدُهُمْ عَذَابًا
وَحَسْرَةً، وَأَوْلَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الْمَلَازِمِينَ لَهَا.
﴿١١٧﴾ مِثْلُ مَا يَنْفَقُهُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ فِي وَجْهِ الْبِرِّ،
وَمَا يَنْتَظِرُونَهُ مِنْ ثَوَابِهَا؛ كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا بَرْدٌ شَدِيدٌ
أَصَابَتْ زَرْعَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْمَعَاصِي
وغيرها، فَاتْلَفَتْ زَرْعَهُمْ، وَقَدَّرَ جَوَامِئَهُمْ خَيْرًا
كثِيرًا، فَكَمَا اتْلَفَتْ هَذِهِ الرِّيحُ الزَّرْعَ فَلَمْ يُنْتَفِعْ بِهِ،
كَذَلِكَ الْكَافِرُ يَطْلُبُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَهَا،
وَاللَّهُ لَمْ يَظْلَمَهُمْ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - وَإِنَّمَا ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ.

﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ،
لَا تَتَّخِذُوا أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ،
تُظْلِعُونَهُمْ عَلَى أَسْرَارِكُمْ وَخَوَاصِّ أحوَالِكُمْ،
فَهُمْ لَا يُقْصِرُونَ فِي طَلْبِ مُضْرَتِكُمْ وَفَسَادِ
حَالِكُمْ، يَتَمَنُونَ حَاصِلَ مَا يَضُرُّكُمْ وَيَشْتَقُونَ
عَلَيْكُمْ، قَدْ ظَهَرَتِ الْكِرَاهِيَةُ وَالْعَدَاوَةُ عَلَى
أَلْسِنَتِهِمْ، بِالطَّعْنِ فِي دِينِكُمْ، وَالْوَقِيعَةِ بَيْنِكُمْ،
وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِكُمْ، وَمَا تَكْتُمُهُ صُدُورُهُمْ مِنْ
الْكِرَاهِيَةِ أَعْظَمُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ -
الْبُرَاهِينَ الْوَاضِحَةَ عَلَى مَا فِيهِ مَصَالِحُكُمْ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ عَنْ رَبِّكُمْ مَا
أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿١١٦﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُعْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مِثْلُ مَا يَنْفَقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمِثْلِ رِيحٍ فِيهَا
صَرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا
ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ خَبْرًا
وَدُوًّا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَأَتْ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾
هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ
وَإِذَا الْقَوْمُ كَالْوَأَاءِ آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَائِلٌ
مِّنَ النَّعِيطِ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا
بِهَا وَإِنْ تُصِيبُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿١١٦﴾ هَآأَنْتُمْ - يَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ - تَحِبُّونَ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ، وَتَرْجُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَهُمْ لَا يُحِبُّونَكُمْ، وَلَا يَرْجُونَ لَكُمْ
الْخَيْرَ، بَلْ يَبْغِضُونَكُمْ، وَأَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَمِنْهَا كِتَابُهُمْ، وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى
نَبِيِّكُمْ، وَإِذَا التَّقْوَمُ قَالُوا بِالْأَسْتِنْتَهُمْ: صَدَقْنَا، وَإِذَا انْفَرَدَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ عَصَوْا أَطْرَافَ أَصَابِعِهِمْ عَمَّا وَغِيظًا لِمَا
أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَعِزَّةِ الْإِسْلَامِ، وَلَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذَّلَّةِ، قُلْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِأَوْلَئِكَ الْقَوْمِ:
ابْقُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى تَمُوتُوا عَمَّا وَغِيظًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.
﴿١١٧﴾ إِنْ تُصِيبْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - نِعْمَةٌ مِنْ نَصْرِ عَلَى عَدُوِّ، أَوْ زِيَادَةٌ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ؛ يَصِيبُهُمُ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ، وَإِنْ
تُصِيبْكُمْ مُصِيبَةٌ مِنْ نَصْرِ عَدُوِّ أَوْ نَقْصٍ فِي مَالٍ وَوَلَدٍ، يَفْرَحُوا بِذَلِكَ، وَيَسْتَمْتُوا بِكُمْ، وَإِنْ تُصِيبُوا عَلَى أَوَامِرِهِ
وَأَقْدَارِهِ، وَتَتَّقُوا غَضَبَهُ عَلَيْكُمْ؛ لَا يَضُرُّكُمْ مَكْرَهُمْ وَأَذَاهُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكَيْدِ مُحِيطٌ، وَسِيرْدُهُمْ خَائِبِينَ.
﴿١١٨﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِمَا خَالَفَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَذَلِكَ حِينَ خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ لِقِتَالِ
الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ، حَيْثُ أَخَذَتْ تَنْزِيلُ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاقِعَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ، فَبَيَّنْتَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَنْزِلَهُ، وَاللَّهُ
سَمِيعٌ لِأَقْوَالِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَفْعَالِكُمْ.

﴿١٢١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - مَا يَبْذُلُهُ الْكَافِرُ فِي أَوْجِهِ الْبِرِّ لَا يَنْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِ شَرْطَهَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَاتِّبَاعِ شَرْعِهِ.
- ٢ - نَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَوَالَةِ الْكَافِرِينَ وَجَعَلَهُمْ أَخْلَاءَ وَأَصْفِيَاءَ يُفْضِلُ إِلَيْهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَارِهِمْ.
- ٣ - مِنْ صُورِ عَدَاوَةِ الْكَافِرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ فَرَحَهُمْ بِمَا يَصِيبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَنَقْصٍ، وَغِيظَهُمْ إِنْ أَصَابَهُمْ خَيْرٌ.
- ٤ - الْوَقَايَةَ مِنْ كَيْدِ الْكُفْرِ وَمَكْرِهِمْ تَكُونُ بِالصَّبْرِ وَعَدَمِ إِظْهَارِ الْخَوْفِ، ثُمَّ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَخْذَ بِأَسْبَابِ الْقُوَّةِ وَالنَّصْرِ.

﴿١٣٢﴾ اذكر - أيها النبي - ما وقع لفرقتين من المؤمنين من بني سلمة، وبني حارثة، حين ضعفوا، وهَمُّوا بالرجوع حين رجع المنافقون، والله ناصر هؤلاء بتثبيتهم على القتال وصرْفهم عما همُّوا به، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في كل أحوالهم.

﴿١٣٣﴾ ولقد نصركم الله على المشركين في معركة بدر مع قلة عددكم وعتادكم، فاتقوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم.

﴿١٣٤﴾ اذكر - أيها النبي - حين قلت للمؤمنين مَثَبًا لهم في معركة بدر بعدما سمعوا بمدِّي يأتي للمشركين: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يَعِينَكُمُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ مِنْهُ سَبْحَانَهُ لِقَوِيَّتِكُمْ فِي قِتَالِكُمْ؟

﴿١٣٥﴾ بلى، إن ذلك يكفيكم. ولكم بشارة يعون آخر من الله: إن صبرتم على القتال، واتقيتم الله، وجاء المدد إلى أعدائكم من ساعتهم مسرعين إليكم، إن حصل ذلك أن يعينكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُعَلِّمِينَ بعلامة ظاهرة عليهم وعلى خيولهم.

﴿١٣٦﴾ وما جعل الله هذا العون، وهذا الإمداد بالملائكة إلا خيرًا سارًا لكم، تطمئن قلوبكم به، وإلا فإن النصر حقيقة لا يكون بمجرد هذه الأسباب الظاهرة، وإنما النصر حقًا من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في تقديره وتشريعه.

﴿١٣٧﴾ هذا النصر الذي تحقق لكم في غزوة بدر أراد الله به أن يهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل، ويخزي طائفة أخرى، ويغيظهم بهزيمتهم، فيرجعوا بفشل وذل.

﴿١٣٨﴾ لما دعا الرسول على رؤساء المشركين بالهلاك بعدما وقع منهم في أحد؛ قال الله له: ليس لك من أمرهم شيء، بل الأمر لله، فاصبر إلى أن يقضي الله بينكم، أو يوفقه للتوبة فيسلموا، أو يستمروا على كفرهم فيعذبهم، فإنهم ظالمون مستحقون للعذاب.

﴿١٣٩﴾ والله ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وتدبيرًا، يغفر الذنوب لمن يشاء من عباده برحمته، ويعذب من يشاء بعدله، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٤٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، تجنّبوا أخذ الربا زيادة مضاعفة على رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، كما يفعل أهل الجاهلية، واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، لعلكم تتألون ما تطالبون من خير الدنيا والآخرة.

﴿١٤١﴾ واجعلوا بينكم وبين النار التي أعدها الله للكافرين به وقاية؛ وذلك بعمل الصالحات وترك المحرمات. وأطيعوا الله ورسوله بامثال الأوامر واجتناب النواهي، لعلكم تتألون الرحمة في الدنيا والآخرة.

﴿١٤٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمُ الْمَالُ فِي الْآيَاتِ:

١ - مشروعية التذكير بالنعم والنقم التي تنزل بالناس حتى يعتبر بها المرء.

٢ - من أعظم أسباب تنزل نصر الله على عباده التزام التقوى، والصبر على شدائد القتال.

٣ - الأمر كله لله تعالى، فيحكم بما يشاء، ويقضي بما أراد، والمؤمن الحق يُسَلِّمُ لله تعالى أمره، وينقاد لحكمه.

٤ - الذنوب - ومنها الربا - من أعظم أسباب خذلان العبد، ولا سيما في مواطن الشدائد والصعاب.

٥ - تقوى الله تعالى وطاعته من أعظم أسباب رحمة الله للعبد ولطفه به.

﴿١٣٣﴾ ويادروا إلى فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بأنواع الطاعات؛ لتنالوا مغفرة من الله عظيمة، وتدخلوا جنة عرضها السماوات والأرض، هيأها الله للمتقين من عباده.

﴿١٣٤﴾ المتقون هم الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله، في حال اليسر والعسر، والمانعون غضبهم مع القدرة على الانتقام، والمتجاوزون عمن ظلمهم، والله يحب المحسنين المتصفين بمثل هذه الأخلاق.

﴿١٣٥﴾ وهم الذين إذا فعلوا كبيرة من الذنوب، أو نقصوا حظ أنفسهم بارتكاب ما دون الكبائر، ذكروا الله تعالى، وتذكروا وعيده للعاصين، ووعدّه للمتقين، فطلبوا من ربهم نادمين ستر ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله وحده، ولم يصروا على ذنوبهم، وهم يعلمون أنهم مذنبون، وأن الله يغفر الذنوب جميعاً.

﴿١٣٦﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة، والخصال المحيطة، ثوابهم أن يستر الله ذنوبهم، ويتجاوز عنها، ولهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، مقيمون فيها أبداً، ونعم ذلك الجزاء للعاملين بطاعة الله.

﴿١٣٧﴾ ولما ابتلي المؤمنون بما نزل بهم يوم أحد قال الله معزياً لهم: قد مضت من قبلكم

﴿١٣٥﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٥﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٨﴾ فَدَخَلتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١٣٩﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجْحٌ فَقَدِمَسَ الْقَوْمَ فَجْحٌ مِّثْلُهُ ﴿١٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾

سُنَنٍ إلهية في إهلاك الكافرين، وجعل العاقبة للمؤمنين بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين كيف كان مصير المكذبين لله ورسله، خلت ديارهم، وزال ملكهم.

﴿١٣٨﴾ هذا القرآن الكريم بيان للحق وتحذير من الباطل للناس أجمعين، وهو دلالة إلى الهدى، وزاجر للمتقين؛ لأنهم هم المتفعون بما فيه من الهدى والرشاد.

﴿١٣٩﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد؛ ولا ينبغي ذلك لكم، فأنتم الأعلون بإيمانكم، والأعلون بعون الله ورجائكم نصره، إن كنتم مؤمنين بالله ووعده لعباده المتقين.

﴿١٤٠﴾ إن أصابكم - أيها المؤمنون - جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار جراح وقتل مثل ما أصابكم، والأيام يصرها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما شاء من نصر وهزيمة؛ لحكم بالغة، منها: ليظهر المؤمنون حقيقة من المنافقين، ومنها ليكرم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الظالمين لأنفسهم بترك الجهاد في سبيله.

﴿١٤١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - الترغيب في المسارعة إلى عمل الصالحات اغتناماً للأوقات، ومبادرة للطاعات قبل فواتها.
٢ - من صفات المتقين التي يستحقون بها دخول الجنة: الإنفاق في كل حال، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إلى الخلق.

٣ - النظر في أحوال الأمم السابقة من أعظم ما يورث العبرة والعظة لمن كان له قلب يعقل به.

٤ - يتميز المجاهدون في سبيل الله عن المشركين برجاء ثواب الله تعالى ونصره، وإن تساوا معهم في ما ينالهم من الألم والأذى.

﴿١٤١﴾ ومن هذه الحكمة تَطْهِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَتَخْلِيصُ صَفْهِمِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَلِيُهْلِكَ الْكَافِرِينَ وَيَمْحُوهُمْ.

﴿١٤٢﴾ أَظَنَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْكُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ دُونَ ابْتِلَاءٍ وَصَبْرٍ يَظْهَرُ بِهِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقِيقَةً، وَالصَّابِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ الَّذِي يَصِيبُهُمْ فِيهِ؟

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - تَتَمَنُونَ لِقَاءَ الْكُفَّارِ لِتَنَالُوا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا نَالَهَا إِخْوَانُكُمْ فِي يَوْمِ بَدْرٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلَاقُوا أَسْبَابَ الْمَوْتِ وَشِدَّتِهِ، فَهَا قَدْ رَأَيْتُمْ فِي يَوْمِ أَحَدٍ مَا تَمَنَيْتُمْ، وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ لَهُ عِيَانًا.

ولما شاع في الناس يوم أحد أن النبي عليه الصلاة والسلام قُتِلَ، أنزل الله معاتبًا من قعد من المؤمنين عن القتال بسبب ذلك فقال:

﴿١٤٤﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ مِثْلُ مَا سَبَقَهُ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ الَّذِينَ مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا، أَفَأَنْ مَاتَ هُوَ أَوْ قُتِلَ ارْتَدَدْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ؟! وَمَنْ يَرْتَدِ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، إِذْ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ بِتَعْرِيزِهَا لِخُسَارَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ لَهُ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ بِشَاتِهِمْ عَلَى دِينِهِ، وَجِهَادِهِمْ فِي سَبِيلِهِ.

﴿١٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ نَفْسٌ لَمْ تَمُوتْ إِلَّا بِقَضَاءِ اللَّهِ،

بعد أن تستوفي المدة التي كتبها الله، وجعلها أجلًا لها، لا تزيد عنها ولا تنقص. ومن يُرد ثواب الدنيا بعمله نعهه بقدر ما قدر له منها، ولا نصيب له في الآخرة، ومن يُرد بعمله ثواب الله في الآخرة نعهه ثوابها، وسنجزى الشاكرين لربهم جزاءً عظيمًا.

﴿١٤٦﴾ وَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَاتَلَ مَعَهُ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ كَثِيرَةً، فَمَا جَبُنُوا عَنِ الْجِهَادِ لَمَّا أَصَابَهُمْ مِنْ قَتْلِ وَجْرَاحٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا عَنِ قِتَالِ الْعَدُوِّ، وَمَا خَضَعُوا لَهُ، بَلْ صَبَرُوا وَثَبَتُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكَارِهِ فِي سَبِيلِهِ.

﴿١٤٧﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ لَمَّا نَزَلَ بِهِمْ هَذَا الْبَلَاءُ إِلَّا أَنْ قَالُوا: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَتَجَاوَزْنَا الْحُدُودَ فِي أَمْرِنَا، وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا عِنْدَ مَلَاقَةِ عَدُونَا، وَانصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ بِكَ.

﴿١٤٨﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا بِنَصْرِهِمْ وَالتَّمَكِينِ لَهُمْ، وَآتَاهُمُ الثَّوَابَ الْحَسَنَ فِي الْآخِرَةِ بِالرِّضَا عَنْهُمْ، وَالتَّعْنِيمِ الْمُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَتِهِمْ وَمَعَامَلَتِهِمْ.

﴿١٤٩﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الابتلاء سنة إلهية يتميز بها المجاهدون الصادقون الصابرون من غيرهم.
- ٢ - يجب أن لا يرتبط الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه بأحد من البشر مهما علا قدره ومقامه.
- ٣ - أعمار الناس وأجالهم ثابتة عند الله تعالى، لا يزيدها الحرص على الحياة، ولا ينقصها الإقدام والشجاعة.
- ٤ - تختلف مقاصد الناس ونياتهم، فمنهم من يريد ثواب الله، ومنهم من يريد الدنيا، وكلُّ سِيَّجَازِي عَلَى نِيَّتِهِ وَعَمَلِهِ.

﴿١٤٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إن تطيعوا الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين، فيما يأمرونكم به من الضلال، يُرْجِعُوكُمْ بعد إيمانكم إلى ما كنتم عليه كفارًا، فترجعوا خاسرين في الدنيا والآخرة.

﴿١٥٠﴾ هؤلاء الكافرون لن ينصروكم إذا أطعتموهم، بل الله هو ناصركم على أعدائكم، فأطيعوه، وهو سبحانه خير الناصرين، فلا تتحاجون لأحد بعده.

﴿١٥١﴾ سنلقي في قلوب الذين كفروا بالله الخوف الشديد، حتى لا يستطيعوا الثبات لقتالكم بسبب إشراكهم بالله ألهة عبدها بأهوائهم، لم ينزل عليهم بها حجة، ومُستقرهم الذي يرجعون إليه في الآخرة هو النار، وبئس مستقر الظالمين النار.

﴿١٥٢﴾ ولقد أنجزكم الله ما وعدكم به من النصر على أعدائكم يوم أحد، حين كنتم تقتلونهم قتلاً شديداً بإذنه تعالى، حتى إذا ضعفت عن الثبات على ما أمركم به الرسول، واختلقت بين البقاء في مواقعكم أو تركها وجمع الغنائم، وعصيت الرسول في أمره لكم بالبقاء في مواقعكم على كل حال، وقع ذلك منكم من بعد ما أراكم الله ما تحبونه من النصر على أعدائكم، منكم من يريد غنائم الدنيا،

وهم الذين تركوا مواقعهم، ومنكم من يريد ثواب الآخرة، وهم الذين بقوا في مواقعهم مطيعين أمر الرسول، ثم حوّلكم الله عنهم، وسلّطهم عليكم؛ ليختبركم، فيظهر المؤمن الصابر على البلاء ممّن زلت قدمه، وضعفت نفسه، ولقد عفا الله عنكم ما ارتكبتموه من المخالفة لأمر رسوله، والله صاحب فضل عظيم على المؤمنين حيث هداهم للإيمان، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصائبهم.

﴿١٥٣﴾ اذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم تُبعدون في الأرض هارين يوم أحد، لما أصابكم الفشل بمخالفة أمر الرسول، ولا ينظر أحد منكم لأحد، والرسول يدعوكم من خلفكم بينكم وبين المشركين قائلاً: إِيَّيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِيَّيَّ عِبَادَ اللَّهِ، فجازاكم الله على هذا أَلْمًا وَضِيْقًا يتبعه ألم وضيق، بما فاتكم من النصر والغنيمة أولاً، وبما شاع بينكم من قتل النبي ثانياً، وقد أنزل بكم هذا لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا ما أصابكم من قتل وجراح، بعدما علمتم أن النبي لم يُقتل، حيث هانت عليكم كل مصيبة وألم، والله خير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أحوال قلوبكم، ولا أعمال جوارحكم.

﴿١٥٤﴾ فَوَالَّذِينَ نُنزِّلُ

- ١ - التحذير من طاعة الكفار والسير في أهوائهم، فعاقبة ذلك الخسران في الدنيا والآخرة.
- ٢ - إلقاء الرعب في قلوب أعداء الله صورة من صور نصر الله لأوليائه المؤمنين.
- ٣ - من أعظم أسباب الهزيمة في المعركة التعلق بالدنيا والطمع في مغانمها.
- ٤ - ومن أسباب الهزيمة في المعركة مخالفة قائد الجيش وعصيان أمره.
- ٥ - عناية الله تعالى بأوليائه في كل أحوالهم حتى فيما يُنزله بهم من بلاء وامتحان.

﴿١٤٤﴾ ثم أنزل عليكم بعد الألم والضييق طمأنينة وثقة، جعلت طائفة منكم - وهم الوثاقون بوعد الله - يغطيهم النعاس مما في قلوبهم من أمن وسكينة، وطائفة أخرى لم ينلهم أمن ولا نعاس، وهم المنافقون الذين لا هم لهم إلا سلامة أنفسهم، فهم في قلق وخوف، يظنون بالله ظن السوء، من أن الله لا ينصر رسوله ولا يؤيد عباده، كظن أهل الجاهلية الذين لم يقدروا الله حق قدره، يقول هؤلاء المنافقون لجهلهم بالله: ليس لنا من رأي في أمر الخروج إلى القتال، ولو كان لنا ما خرجنا، قل - أيها النبي - مجيباً هؤلاء: إن الأمر كله لله، فهو الذي يقدر ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو من قدر خروجكم. وهؤلاء المنافقون يخفون في أنفسهم من الشك وظن السوء ما لا يظهرون لك، حيث يقولون: لو كان لنا في الخروج رأي ما قتلنا في هذا المكان، قل - أيها النبي - رداً عليهم: لو كنتم في بيوتكم بعيدين عن مواطن القتل والموت؛ لخرج من كتب الله عليه القتل منكم إلى حيث يكون قتلهم. وما كتب الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من نيات ومقاصد، ويميز ما فيها من إيمان ونفاق، والله عليم بالذي في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٤٥﴾

يَوْمَ التَّقَىٰ أَلْتَمَعَانَ إِنَّمَا أَسْتَرْ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٤٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمُ وَاللَّهُ يَمِيْتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٤٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّم لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٍ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٤٧﴾

﴿١٤٥﴾ إن الذين انهزموا منكم - يا أصحاب محمد ﷺ - يوم التقى جمع المشركين في أحد بجمع المسلمين، إنما حملهم الشيطان على الزلل بسبب بعض ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد عفا الله عنهم فلم يؤاخذهم بها فضلاً منه ورحمة، إن الله غفور لمن تاب، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿١٤٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تكونوا مثل الكفار من المنافقين، لا يؤمنون بقضاء الله وقدره، ويقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون رزقاً، أو كانوا غزاة فماتوا أو قتلوا: لو كانوا عندنا ولم يخرجوا، ولم يغزوا لم يموتوا ولم يقتلوا، جعل الله هذا الاعتقاد في قلوبهم ليزدادوا ندامة، والله وحده هو الذي يحيي ويميت بمشيئته، لا يمنع قدره قعوداً ولا يجعله خروجاً، والله بما تعملون بصير، لا تخفى عليه أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٤٧﴾ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم - أيها المؤمنون - ليغفرن الله لكم مغفرة عظيمة، ويرحمكم رحمة منه، هي خير من هذه الدنيا وما يجمع أهلها فيها من نعيمها الزائل.

﴿١٤٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - الجهل بالله تعالى وصفاته يُورث سوء الاعتقاد وفساد الأعمال.

٢ - عناية الله تعالى بأوليائه وحفظه لهم في كل أحوالهم.

٣ - آجال العباد مضمرة محدودة، لا يُعجلها الإقدام والشجاعة، ولا يؤخرها الجبن والحرص.

٤ - من سنَّه الله تعالى الجارية ابتلاء عباده؛ ليميز الخبيث من الطيب.

٥ - من أعظم المنازل وأكرمها عند الله تعالى منازل الشهداء في سبيله.

﴿١٥٨﴾ ولئن مُتُّم على أي حال كان موتكم، أو قُتِلْتُمْ في سبيل الله؛ فإلى الله وحده ترجعون جميعاً؛ ليجازيكم على أعمالكم.

﴿١٥٩﴾ فسبب رحمة من الله عظيمة كان خُلِقَ - أيها النبي - سهلاً مع أصحابك، ولو كنت شديداً في قولك وفعلك، قاسي القلب لتفرقوا عنك، فتجاوز عنهم تقصيرهم في حقك، واستغفر لهم فيما بينهم وبين الله، وشاورهم فيما يحتاج إلى مشورة، فإذا عزم على أمر بعد المشاورة فامض فيه، وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين عليه فيوفقهم ويؤيدهم.

﴿١٦٠﴾ إن يؤيدكم الله بإعانتة ونصره فلا أحد يغلبكم، ولو اجتمع عليكم أهل الأرض، وإذا ترك نصركم، ووكلكم إلى أنفسكم فلا أحد يستطيع أن ينصركم من بعده، فالنصر بيده وحده، وعلى الله فليعتمد المؤمنون لا على أحد سواه.

﴿١٦١﴾ ما كان لنبي من أنبياء الله أن يخون بأخذ شيء من الغنيمة غير ما اختصه به الله، ومن يخن منكم بأخذ شيء من الغنيمة، يُعاقب عليه بأن يُفْضَح يوم القيامة، فيأتي حاملاً ما أخذه أمام الخلق، ثم تعطى كل نفس جزاء ما اكتسبته تماماً غير منقوص، وهم لا يُظلمون بزيادة سيئاتهم، ولا بنقص حسناتهم.

﴿١٦٢﴾ لا يستوي عند الله من اتبع ما ينال به رضوان الله من الإيمان والعمل الصالح،

﴿١٥٨﴾ وَلَئِن مُتُّم أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَمَارْحَمَةً مِن

اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِئْتًا لَّيَكُونَنَّ أَهْلًا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِئْتًا لَّيَكُونَنَّ أَهْلًا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ فِئْتًا لَّيَكُونَنَّ أَهْلًا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

﴿١٥٩﴾ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

﴿١٦٠﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ

﴿١٦١﴾ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ

﴿١٦٢﴾ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٢﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ

﴿١٦٣﴾ يَغْلِبَ وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ

﴿١٦٤﴾ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٤﴾ أَفَمِنَ اتَّبَعِ رِضْوَانَ

﴿١٦٥﴾ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهَّ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

﴿١٦٦﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِيهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ لَقَدْ

﴿١٦٧﴾ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ

﴿١٦٨﴾ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّرَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

﴿١٦٩﴾ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٩﴾ أَوْلَمَّا

﴿١٧٠﴾ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ إِنَّ هَذَا

﴿١٧١﴾ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧١﴾

ومن كفر بالله وعمل السيئات، فرجع بغضب شديد من الله، ومستقره جهنم، وساءت مرجعاً ومستقراً.

﴿١٦٣﴾ هم متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الآخرة، فالمتبعون لرضوان الله ينزلون الجنة بحسب درجاتهم فيها، والمتبعون لما يُسَخَطُ الله ينزلون النار بحسب دركاتهم فيها، والله بصير بما يعملون، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلًّا بعمله.

﴿١٦٤﴾ لقد أنعم الله على المؤمنين وأحسن إليهم حين بعث فيهم رسولاً من جنسهم، يقرأ عليهم القرآن، ويطهرهم من الشرك والأخلاق الرذيلة، ويعلمهم القرآن والسنة، وقد كانوا من قبل بعثة هذا الرسول في ضلال واضح عن الهدى والرشاد.

﴿١٦٥﴾ أعندما أصابتكم - أيها المؤمنون - مصيبة حين هُزِمْتُمْ في أحد، وقُتِلَ منكم من قُتِلَ، قد أصبتم من عدوكم ضِعْفَيْهَا من القتلى والأسرى يوم بدر، قلتم: من أين أصابنا هذا ونحن مؤمنون، ونبي الله فينا؟! قل - أيها النبي -: ما أصابكم من ذلك جاءكم من عند أنفسكم حين تنازعتهم، وعصيتهم الرسول، إن الله على كل شيء قدير؛ فينصر من يشاء، ويخذل من يشاء.

﴿١٧١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - النصر الحقيقي من الله تعالى، فهو القوي الذي لا يُحَارَبُ، والعزير الذي لا يُغَالَبُ.

٢ - لا تستوي في الدنيا حال من اتبع هدى الله وعمل به وحال من أعرض وكذب به، كما لا تستوي منازلهم في الآخرة.

٣ - من فضل الله ومنته على المؤمنين أن بعث فيهم رسولاً من جنسهم يألفونه ويأمنون به، ويسهل عليهم التعلم منه والافتداء به.

٤ - ما ينزل بالعبد من البلاء والمحن هو بسبب ذنوبه، وقد يكون ابتلاءً ورُفِعَ درجات، والله يعفو ويتجاوز عن كثير منها.

﴿١٦٦﴾ وما حدث لكم من القتل والجراح والهزيمة يوم أحد حين التقى جمعكم وجمع المشركين، فهو بإذن الله وقدره؛ لحكمة بالغة حتى يظهر المؤمنون الصادقون.

﴿١٦٧﴾ وليظهر المنافقون الذين لما قيل لهم: قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا عن محارمكم وحمية لقومكم؛ قالوا: لو نعلم أن فعلكم هذا قتال كما يكون القتال لاتبعناكم، ولكنكم تلقون بأنفسكم إلى التهلكة، هم في حالهم وقتئذ أقرب إلى ما يدل على كفرهم مما يدل على إيمانهم، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله أعلم بما يُبطنونه في صدورهم، وسعاقبهم عليه.

﴿١٦٨﴾ هم الذين تخلفوا عن القتال، وقالوا لقراباتهم الذين أصيبوا يوم أحد: لو أنهم أطاعونا ولم يخرجوا للقتال لما قتلوا، قل - أيها النبي - ردًا عليهم: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا نزل بكم إن كنتم صادقين فيما ادعيتموه من أنهم لو أطاعوك ما قتلوا، وأن سبب نجاتكم من الموت هو القعود عن الجهاد في سبيل الله.

﴿١٦٩﴾ ولا تظنن - أيها النبي - أن الذين قُتلوا في الجهاد في سبيل الله أموات، بل هم أحياء حياة خاصة عند ربهم في دار كرامته، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلمه إلا الله.

﴿١٧٠﴾ قد غمرتهم السعادة، وشملتهم الفرحة، بما منَّ الله عليهم من فضله، ويأملون وينتظرون أن يلحق بهم إخوانهم الذين بقوا في الدنيا، أنهم إن قتلوا في الجهاد فسينالون من الفضل مثلهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿١٧١﴾ ويفرحون مع هذا بثواب كبير ينتظرهم من الله، وزيادة على الثواب عظيمة، وأنه تعالى لا يُبطل أجر المؤمنين به، بل يوفيهم أجورهم كاملة، ويزيدهم عليها.

﴿١٧٢﴾ الذين استجابوا لأمر الله ورسوله عندما دُعوا إلى الخروج للقتال في سبيل الله، وملاقاة المشركين في غزوة «حمراء الأسد» التي أعقبت أحدًا بعدما أصابتهم الجروح يوم أحد، فلم تمنعهم جروحهم من تلبية نداء الله ورسوله، للذين أحسنوا منهم في أعمالهم، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتنباب نواهيه، أجر عظيم من الله، وهو الجنة.

﴿١٧٣﴾ الذين قال لهم بعض المشركين: إن قريشًا بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعًا كثيرة لقتالكم والقضاء عليكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فزادهم هذا الكلام والتخويف تصديقًا بالله وثقة بوعده، فخرجوا إلى لقاءهم وهم يقولون: يكفيننا الله تعالى، وهو نعم الوكيل لنا، نفوض إليه أمرنا.

﴿١٧٤﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - من سنن الله تعالى أن يتلي عبادته؛ ليمتيز المؤمن الحق من المنافق، وليعلم الصادق من الكاذب.
- ٢ - عظم منزلة الجهاد وثواب أهله عند الله تعالى حيث ينزلهم الله تعالى بأعلى المنازل.
- ٣ - قدَّر الله تعالى وقضاؤه واقع لا محالة، لا يمنعه حذر، ولا تنفع معه حيلة.
- ٤ - فضل الصحابة وبيان علو منزلتهم في الدنيا والآخرة؛ لما بذلوه من أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى.

﴿١٧٦﴾ فرجعوا بعد خروجهم إلى «حمراء الأسد» بثواب عظيم من الله، وزيادة في درجاتهم، وسلامة من عدوهم فلم يصيبهم قتل ولا جراح، واتبعوا ما يرضي الله عنهم من التزام طاعته والكف عن معصيته، والله صاحب فضل عظيم على عباده المؤمنين.

﴿١٧٧﴾ إنما المُخَوَّفُ لكم الشيطان، يخوفكم بأنصاره وأعدائه، فلا تخافوهم، فإنهم لا حول لهم ولا قوة، وخافوا الله وحده بالالتزام طاعته، إن كنتم مؤمنين به حقًا.

﴿١٧٨﴾ ولا يُوقِعُ في الحزن - أيها الرسول - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق، فإنهم لن يضروا الله شيئًا، وإنما يضررون أنفسهم ببعدهم عن الإيمان بالله وطاعته، يريد الله بخذلانهم وعدم توفيقهم أن لا يكون لهم نصيب في نعيم الآخرة، ولهم فيها عذاب عظيم في النار.

﴿١٧٩﴾ إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا الله أي شيء، فهو الغني العزيز، إنما يضررون أنفسهم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿١٨٠﴾ ولا يظن الذين كفروا بربهم، وعاندوا شرعه، أن إمهالهم وإطالة عمرهم على ما هم عليه من كفرٍ خيرٍ لأنفسهم، ليس الأمر كما

ظنوا، وإنما نمهلهم ليزدادوا إثمًا بكثرة المعاصي على إثمهم، ولهم عذاب مُؤَلِّدٌ.

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ مِنَّا فَفَضَّلْنَا لَهُمْ مَسْئَلَهُمْ سَوْءًا وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوهُ أَلَّا يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوهُ أَلَّا يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ خَيْرٌ لَّا نَفْسِيهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّئُهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٨٠﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْعِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَمَثَلُوا لِلَّهِ وِرْسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨١﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ لَن يُضِلُّوا هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٢﴾

﴿١٧٦﴾ ما كان من حكمة الله أن يدعكم أيها المؤمنون على ما أنتم عليه من اختلاط بالمنافقين وعدم تمايز بينكم، وعدم تبيين المؤمنين حقًا، حتى يميزكم بأنواع التكاليف والابتلاءات، ليظهر المؤمن من المنافق، والخبث من الطيب. وما كان من حكمة الله أن يطلعكم على الغيب فتميزوا بين المؤمن والمنافق، ولكن الله يختار من رسله من يشاء، فيطلعه على بعض الغيب؛ كما أطلع نبيه محمدًا ﷺ على حال المنافقين، فحققوا إيمانكم بالله ورسوله، وإن تؤمنوا حقًا وتتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فلکم ثواب عظيم عند الله.

﴿١٧٧﴾ ولا يظن الذين يخلون بما آتاهم الله من النعم تفضلاً منه، فيمنعون حق الله فيها، لا يظنوا أن ذلك خير لهم، بل هو شر لهم؛ لأن ما بخلوا به سيكون طوقاً يُطَوَّقُونَ به يوم القيامة في أعناقهم يعذبون به، والله وحده مُلْكُ ما في السماوات والأرض، وهو الحي بعد فناء خلقه كلهم، والله بما تعملون من خير وشر خبير، وسيجازيكم عليه.

﴿١٨٢﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ينبغي للمؤمن أن لا يلتفت إلى تخويف الشيطان له بأعدائه وأنصاره من الكافرين، فإن الأمر كله لله تعالى.
- ٢ - لا ينبغي للعبد أن يغتر بإمهال الله له، بل عليه المبادرة إلى التوبة، ما دام في زمن المهلة قبل فواتها.
- ٣ - جرت سنة الله تعالى أن يختبر عباده بألوان الابتلاء والامتحان حتى يتميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق.
- ٤ - البخيل الذي يمنع فضل الله عليه إنما يضر نفسه بحرمانها المتاجرة مع الله الكريم الوهاب، وتعريضها للعقوبة يوم القيامة.

﴿١٧١﴾ لقد سمع الله قول اليهود حين قالوا: إن الله فقير حيث طلب منا القرض، ونحن أغنياء بما عندنا من أموال، سنكتب في صحائف أعمالهم هذه المقولة الشنيعة، ونكتب عليهم رضاهم بقتل أسلافهم لأنبياء الله عمداً وعدواناً، ونقول لهم جميعاً: ذوقوا العذاب المحرق في النار.

﴿١٧٢﴾ ذلك العذاب بسبب ما قدمت أيديكم - أيها اليهود - من المعاصي والمخازي، وبأن الله ليس يظلم أحداً من عبده.

﴿١٧٣﴾ وهم الذين قالوا كذباً وافتراءً: إن الله أوصانا في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بما يصدق قوله، وذلك بأن يتقرب إلى الله بصدقة تُحرقها نار تنزل من السماء، فكذبوا على الله في نسبة الوصية إليه، وفي حصر دلائل صدق الرسل فيما ذكروا، ولهذا أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقوله لهم: قد جاءكم رسل من قبلي بالبراهين الواضحة على صدقهم، وبالذي ذكرت من القربان الذي تحرقه نار من السماء، فلم كذبتموهم وقتلتموهم إن كنتم صادقين فيما تقولون؟!

﴿١٧٤﴾ فإن كذبوك - أيها النبي - فلا تحزن، فهي عادة الكافرين، فقد كُذِّبَ رسل كثير من قبلك، جاؤوا بالأدلة الواضحة، وبالكتب

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٧١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ بَيْنَنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِنَنَا بُرْهَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٧٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَةِ فَمَن رَّحِحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَمٌ مِّنَ الْعُرُورِ ﴿١٧٥﴾ لَتَسْلُوبُنَّ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عِزِّ الْأُمُورِ ﴿١٧٦﴾

المشتملة على المواعظ والرقائق، والكتاب الهادي بما فيه من الأحكام والشرائع.

﴿١٧٥﴾ كل نفس مهما تكن لا بد أن تذوق الموت، فلا يغتر مخلوق بهذه الدنيا، وفي يوم القيامة تعطون أجور أعمالكم كاملة غير منقوصة، فمن أبعده الله عن النار، وأدخله الجنة؛ فقد نال ما يرجو من الخير، ونجا مما يخاف من الشر، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل، ولا يتعلق بها إلا المخدوع.

﴿١٧٦﴾ لتختبرن - أيها المؤمنون - في أموالكم، بأداء الحقوق الواجبة فيها، وبما ينزل بها من مصائب، ولتختبرن في أنفسكم بالقيام بتكاليف الشريعة، وما ينزل بكم من أنواع البلاء، ولتسمعن من الذين أعطوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا شيئاً كثيراً مما يؤذيك من الطعن فيكم وفي دينكم، وإن تصبروا على ما يصيبكم من أنواع المصائب والابتلاءات، وتتقوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى، فإن ذلك من الأمور التي تحتاج إلى عزم، ويتنافس فيها المتنافسون.

﴿١٧٧﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - في الآيات إشارة إلى مبلغ سوء أدب اليهود وكذبهم على الله وأنبيائه.
- ٢ - من سوء فعال اليهود وقبيح أخلاقهم اعتداؤهم على أنبياء الله بالتكذيب والقتل.
- ٣ - كتَبَ اللهُ تعالى على الخلق كلهم الموت، فلا يسلم منه أحد، ولا حيلة في ذلك، وإنما على العاقل أن يجتهد في الاستعداد له.
- ٤ - كل فوز في الدنيا فهو ناقص، وإنما الفوز التام في الآخرة، بالنجاة من النار ودخول الجنة.
- ٥ - من أنواع الابتلاء الأذى الذي ينال المؤمنين في دينهم وأنفسهم من قبل أهل الكتاب والمشركين، والواجب حينئذ الصبر وتقوى الله تعالى.

﴿١٧٧﴾ واذكر - أيها النبي - حين أخذ الله العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لتوضّح للناس كتاب الله، ولا تكتفون ما فيه من الهدى، ولا ما دل عليه من نبوة محمد ﷺ، فما كان منهم إلا أن طرحوا العهد، ولم يلتفتوا إليه، فكتفوا الحق وأظهروا الباطل، واستبدلوا بعهد الله ثمنًا زهيدًا، كالجاه والمال الذي قد ينالونه، فيس هذا الثمن الذي يستبدلونه بعهد الله.

﴿١٧٨﴾ لا تظنن - يا أيها النبي - أن الذين يفرحون بما فعلوا من القبائح، ويحبون أن يمدحهم الناس بما لم يفعلوه من الخير، لا تظننهم بمنجاة من العذاب وسلامة، بل محلهم جهنم، ولهم فيها عذاب أليم.

﴿١٧٩﴾ والله وحده دون غيره ملك السماوات والأرض وما فيهما خلقًا وتدبيرًا، والله على كل شيء قدير.

﴿١٨٠﴾ إن في إيجاد السماوات والأرض من عدم على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، وتفاوتهما طولًا وقصرًا؛ للدلائل واضحة لأصحاب العقول السليمة، تدلهم على خالق الكون المستحق للعبادة وحده.

﴿١٨١﴾ وهم الذين يذكرون الله على كل أحوالهم، في حال قيامهم، وحال جلوسهم،

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِيمَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٨٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَاعًا عَذَابِ النَّارِ ﴿١٨١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٨٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٨٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٨٤﴾

وفي حال اضطجاعهم، ويعملون فكرهم في خلق السماوات والأرض؛ قائلين: يا ربنا، ما خلقت هذا الخلق العظيم عبثًا، تزهت عن العبث، فحبتنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وحفظنا من السيئات.

﴿١٨٢﴾ فإنك - يا ربنا - من تدخل النار من خلقك فقد أهنته وفضحتة، وليس للظالمين يوم القيامة من أنصار يمنعون عنهم عذاب الله وعقابه.

﴿١٨٣﴾ ربنا إننا سمعنا داعيًا للإيمان يدعو قائلًا: آمنوا بالله ربكم إلهاً واحداً، فآمننا بما يدعو إليه، واتبعنا شريعته، فاستر ذنوبنا فلا تفضحننا، وتجاوز عن سيئاتنا فلا تؤاخذنا بها، وتوفنا مع الصالحين بتوفيقنا لفعل الخيرات وترك السيئات.

﴿١٨٤﴾ ربنا وأعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك، من الهداية والنصر في الدنيا، ولا تفضحننا يوم القيامة بدخول النار، إنك - يا ربنا - كريم لا تخلف وعدك.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من صفات علماء السوء من أهل الكتاب: كتم العلم، واتباع الهوى، والفرح بمدح الناس مع سوء سرائرهم وأفعالهم.
- ٢ - فيما خلق الله تعالى في الآفاق والأنفس أعظم العبر لمن اعتبر، وأظهر الشواهد على خالقها لمن طلب الهدى.
- ٣ - التفكير في خلق الله تعالى يورث اليقين بعظمة الله وكمال الخضوع له ﷻ.
- ٤ - دعاء الله وخضوع القلب له تعالى من أكمل مظاهر العبودية.

﴿١٥٥﴾ فَأَجَابَ رَبَّهُمْ دَعَاءَهُمْ: يَا نَبِيَّ لَا أُضِيعُ ثَوَابَ أَعْمَالِكُمْ قَلْتُ أَوْ كَثُرَتْ، سِوَاءَ كَانَ الْعَامِلُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَبِعَضِّكُمْ مِنْ بَعْضِ فِي الْأَصْلِ الَّذِي خُلِقْتُمْ مِنْهُ، وَالْمَلَّةُ الَّتِي تَتَّبِعُونَهَا، لَا يَزِيدُ لَذَكَرٍ، وَلَا يُنْقِصُ لِأُنْثَى، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَخْرَجَهُمُ الْكُفْرَانُ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَصَابَهُمُ الْأَذَى طَاعَةَ لِرَبِّهِمْ، وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتَلُوا لِكَلِمَةِ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا؛ لِأَغْفِرَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَجَاوِزُنَّ عَنْهَا، وَلَا دَخَلْنَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الْأَنْهَارِ، ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ الْجِزَاءُ الْحَسَنَ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ.

﴿١٥٦﴾ لَا تَشْعُرُونَ بِهِمْ وَلَا غَمًّا - أَيُّهَا النَّبِيُّ - مِنْ تَنْقُلِ الْكَافِرِينَ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَكَّنْتُمْ مِنْهَا، وَسَعَةَ تِجَارَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ، فَكُلُّ هَذَا يَزُولُ، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ إِلَّا أَعْمَالُهُمُ السَّيِّئَةُ. ﴿١٥٧﴾ فَهَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ لَا دَوَامَ لَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَكُونُ مَصِيرُهُمُ الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جَهَنَّمَ، وَيَسَّ الْفِرَاشُ لَهُمُ النَّارِ. ﴿١٥٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ لَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الْأَنْهَارِ، مَا كَثُرْنَ فِيهَا أَبَدًا، جِزَاءً مُعَدًّا لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِمَّا يَنْتَقِلُ فِيهِ الْكُفْرَانُ مِنْ مَلذَاتِ الدُّنْيَا.

﴿١٥٩﴾ لَيْسَ أَهْلُ الْكِتَابِ سِوَاءَ، فَإِنَّ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَيُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِمْ، لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ رِسَالَةِ اللَّهِ، خَاضِعِينَ مِثْلَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رِغْبَةٌ فِي مَا عِنْدَهُ، لَا يَسْتَبَدِلُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، أَوْلَئِكَ الْمَوْصُوفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ لَهُمْ ثَوَابُهُمُ الْعَظِيمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

﴿١٦٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رِسَالَاتِهِ: اصْبِرُوا عَلَى تَكْلِيفِ الشَّرِيعَةِ، وَعَلَى مَا يُعْرَضُ لَكُمْ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا، وَغَالِبُوا الْكُفْرَانَ فِي الصَّبْرِ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ، وَأَقِيمُوا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، لَعَلَّكُمْ تَتَّالُونَ مَطْلُوبَكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ.

﴿١٦١﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من عظيم فضل الله تعالى ورحمته بعباده مسارعته لإجابة دعائهم وسماع نداءهم.
- ٢ - من تمام عدل الله أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في التكليف الشرعية ولا في الثواب عليها.
- ٣ - الأذى الذي ينال المؤمن في سبيل الله فيضطره إلى الهجرة والخروج والجهاد من أعظم أسباب تكفير الذنوب ومضاعفة الأجور.
- ٤ - ليس العبرة بما قد يُعْتَمَدُ به الكافر في الدنيا من المال والمتاع وإن عَظُمَ؛ لأنها زائلة، وإنما العبرة بحقيقة مصيره في الآخرة في دار الخلود.
- ٥ - من أهل الكتاب من يشهدون بالحق الذي في كتبهم، فيؤمنون بما أنزل إليهم وبما أنزل على المؤمنين، فهؤلاء لهم أجرهم مرتين.
- ٦ - الصبر على الحق، ومغالبة المكذابين به، والجهاد في سبيله، هو سبيل الفلاح في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مقصد الشورى﴾:

تنظيم المجتمع المسلم من داخله من خلال حفظ الحقوق الاجتماعية والمالية، إزالة لرواسب الجاهلية وتركيزاً على حقوق النساء والضعفاء.

﴿التفسيرين﴾:

سميت بذلك لذكر النساء فيها وتفصيل كثير من أحكامهن.

﴿١﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم، فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي أبوكم آدم، وخلق من آدم زوجة حواء أمكم، ونشر منهما في أقطار الأرض بشراً كثيراً ذكوراً وإناثاً، واتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به بأن يقول: أسألك بالله أن تفعل كذا، واتقوا قُطْع الأرحام التي تربط بينكم، إن الله كان عليكم رقيباً، فلا يفوته شيء من أعمالكم، بل يحصيها ويجازيكم عليها.

﴿٢﴾ وأعطوا - أيها الأوصياء - اليتامى (وهم: من فقدوا آباءهم ولم يبلغوا الحُلُم) أموالهم كاملة إذا بلغوا وكانوا راشدين، ولا تبدلوا الحرام بالحلال؛ بأن تأخذوا العبد النفس من أموال اليتامى، وتدفعوا بدل الرديء الخسيس من أموالكم، ولا تأخذوا أموال اليتامى مضمومة إلى أموالكم، إن ذلك كان ذنباً عظيماً عند الله.

﴿٣﴾ وإن خفتن أن لا تعدلوا إذا تزوجتم

اليتيمات اللاتي تحت ولايتكم، إما خوفاً من نقص مهرهن الواجب لهن، أو إساءة معاملتهن، فدعوهن وتزوجوا الطيب من النساء غيرهن، إن شئتم تزوجتم اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، فإن خفتن أن لا تعدلوا بينهن فاقصروا على واحدة، أو استمتعوا بما ملكت أيمانكم من الإماء، إذ لا يجب لهن مثل ما يجب للزوجات من الحقوق، ذلك الذي ورد في الآية في شأن اليتامى والاقتصار على نكاح واحدة أو الاستمتاع بالإماء أقرب إلى أن لا تجوزوا وتميلوا.

﴿٤﴾ وأعطوا النساء مهورهن طيبة بها نفوسكم، فإن طابت نفوسهن بشيء من المهر لكم بلا إكراه؛ فكلوه سائغاً لا تنغيص فيه.

﴿٥﴾ ولا تعطوا - أيها الأولياء - الأموال للذين لا يحسنون التصرف، فهذه الأموال جعلها الله سبباً تقوم به مصالح العباد وأمور معاشهم، وهؤلاء ليسوا أهلاً للقيام على الأموال وحفظها، وأنفقوا عليهم، واكسوهم منها، وقولوا لهم قولاً طيباً، وعدوهم موعدةً حسنة بأن تعطوهم مالهم إذا بلغوا الرشد وحسن التصرف.

﴿٦﴾ واختيروا - أيها الأولياء - اليتامى إذا قاربوا سن البلوغ، بإعطائهم جزءاً من مالهم يتصرفون فيه، فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم؛ فسلموا إليهم أموالهم كاملة غير منقوصة، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم من أموالهم عند الحاجة، ولا تبادروا بأكلها خشية أن يأخذوها إذا بلغوا، ومن كان منكم له مال يُعنيه فليمتنع عن الأكل من مال اليتيم، ومن كان منكم فقيراً لا مال له فليأكل بقدر حاجته، وإذا سلمتم إليهم أموالهم بعد البلوغ وتبين الرشد منهم؛ فأشهدوا على ذلك التسليم حفظاً للحقوق، ومنعاً لأسباب الاختلاف، وكفى الله شاهداً على ذلك، ومحاسباً للعباد على أعمالهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - الأصل الذي يرجع إليه البشر واحد، فالواجب عليهم أن يتقوا ربهم الذي خلقهم، وأن يرحم بعضهم بعضاً.
- ٢ - أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الضعفة من النساء واليتامى، بأن تكون المعاملة معهم بين العدل والفضل.
- ٣ - جواز تعدد الزوجات إلى أربع نساء، بشرط العدل بينهن، والقدرة على القيام بما يجب لهن.
- ٤ - مشروعية الحجر على السفه الذي لا يحسن التصرف؛ لمصلحته، وحفظاً للمال الذي تقوم به مصالح الدنيا من الضياع.

٧) للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون كالأخوة والأعمام بعد موتهم، قليلاً كان أو كثيراً، وللنساء نصيب مما تركه هؤلاء؛ خلافاً لما كان عليه أمر الجاهلية من حرمان النساء والأطفال من الميراث، هذا النصيب حق مُبين المقدار مفروض من الله تعالى.

٨) وإذا حضر قسّم التركة من لا يرث من الأقارب واليتامى والفقراء؛ فأعطوهم - على سبيل الاستحباب - من هذا المال قبل قسمته ما تطيب به نفوسكم، فهم مُتَشَوِّفون إليه، وقد جاءكم بلا عناء، وقلوا لهم قولاً حسناً لا قبح فيه.

٩) وليخف الذين لو ماتوا وتركوا خلفهم أولاداً صغاراً ضعافاً، خافوا عليهم من الضياع، فليتقوا فيمن تحت ولايتهم من الأيتام بترك ظلمهم، حتى ييسر الله لهم بعد موتهم من يحسن لأولادهم كما أحسنوا هم، وليحسنوا في حق أولاد من يحضرون وصيته بأن يقولوا له قولاً مصيباً للحق بأن لا يظلم في وصيته حقاً ورثته من بعده، ولا يحرم نفسه من الخير بترك الوصية.

١٠) إن الذين يأخذون أموال اليتامى، ويتصرفون فيها ظلماً وعدواناً، إنما يأكلون في أجوافهم ناراً تلتهب عليهم، وستحرقهم النار يوم القيامة.

١١) يعهد الله إليكم ويأمركم في شأن ميراث أولادكم؛ أن الميراث يُقسم بينهم للولد مثل نصيب البنين، فإن ترك الميت بنات دون ولد ذكر؛ ف للبنين فأكثر الثلثان مما ترك، وإن كانت بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك، ولكل واحد من أبوي الميت سدس ما ترك؛ إن كان له ولد ذكراً كان أو أنثى، وإن لم يكن له ولد ولا وارث له غير أبويه؛ فلأم الثلث، وباقي الميراث لأبيه، وإن كان للميت إخوة اثنان فأكثر ذكراً كانوا أو إناثاً أشقاء أو غير أشقاء؛ فلأمه السدس فرضاً، والباقي للأب تعصيباً، ولا شيء للإخوة، ويكون هذا القسم للميراث بعد تنفيذ الوصية التي أوصى بها الميت بشرط أن لا تزيد وصيته عن ثلث ماله، وبشرط قضاء الدين الذي عليه، وقد جعل الله تعالى قسمة الميراث على هذا؛ لأنكم لا تدرون من من الآباء والأبناء أقرب لكم نفعاً في الدنيا والآخرة، فقد يظن الميت بأحد ورثته خيراً؛ فيعطي المال كله، أو يظن به شراً فيحرمه منه، وقد يكون الحال خلاف ذلك، والذي يعلم ذلك كله هو الله الذي لا يخفى عليه شيء، ولذلك قسم الميراث على ما بين، وجعله فريضة منه واجبة على عباده، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده، حكيمًا في شرعه وتدبيره.

١٢) فإذن من الآيات:

- ١ - دلت أحكام الموارث على أن الشريعة أعطت الرجال والنساء حقوقهم مراعيةً العدل بينهم.
- ٢ - التغليظ الشديد في حرمة أموال اليتامى، والنهي عن التعدي عليها، وعن تضييعها على أي وجه كان.
- ٣ - قسمة الموارث في الشريعة قائمة على تحقيق العدل بين الورثة ومراعاة المصلحة بينهم.
- ٤ - لما كان المال من أكثر أسباب النزاع بين الناس تولى الله تعالى قسمته في أحكام الموارث.

﴿١١﴾ ولكم - أيها الأزواج - نصف ما تركت زوجاتكم؛ إن لم يكن لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - منكم أو من غيركم، فإن كان لهن ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلكم الربع مما تركن من المال، يقسم لكم ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليهن من دين. وللزوجات الربع مما تركتم - أيها الأزواج - إن لم يكن لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن، فإن كان لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركتم، يقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتهن، وقضاء ما عليكم من دين. وإن مات رجل ليس له والد ولا ولد، أو ماتت امرأة ليس لها والد ولا ولد، وكان للميمت منهما أخ لأم أو أخت لأم؛ فلكل واحد من الأخ لأم أو الأخت لأم السدس فرضاً، فإن كان الإخوة لأم أو الأخوات لأم أكثر من واحد؛ فلجميعهم الثلث فرضاً يشتركون فيه، يستوي في ذلك ذكراً وأنثاهم، وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميمت، وقضاء ما عليه من دين، بشرط أن تكون وصيته لا تُدخِل الضرر على الورثة؛ كأن تكون وصية بأكثر من ثلث ماله، هذا الحكم الذي تضمنته الآية عهد من الله إليكم أوجب عليكم، والله عليم بما يصلح عباده في الدنيا والآخرة، حليم لا يعاجل العاصي بالعقوبة.

﴿١٢﴾ تلك الأحكام المذكورة في شأن التيامي وغيرهم، شرائع الله التي شرعها لعباده ليعملوا بها، ومن يطع الله ورسوله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها لا يلحقهم فناء، وذلك الجزاء الإلهي هو الفلاح العظيم الذي لا يضاهيه فلاح. ﴿١٣﴾ ومن يعص الله ورسوله بتعطيل أحكامه وترك العمل بها، أو الشك فيها، ويتجاوز حدود ما شرعه؛ يدخله ناراً ماكثاً فيها، وله فيها عذاب مُدَلِّل.

﴿١٤﴾ فَوَاوِلُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لا تُقسَمُ الأموال بين الورثة حتى يُقضى ما على الميمت من دين، ويخرج منها وصيته التي لا يجوز أن تتجاوز ثلث ماله.
- ٢ - التحذير من التهاون في قسمة الموارث؛ لأنها عهدُ الله ووصيته لعباده المؤمنين؛ فلا يجوز تركها أو التهاون فيها.
- ٣ - من علامات الإيمان امتثال أوامر الله، وتعظيم نواهيه، والوقوف عند حدوده.
- ٤ - هذه الأحكام المتعلقة بالميراث وقسمته بين الورثة هي من الأحكام التي عهد الله بها إلى عباده، وحذّرهم من التهاون بها.
- ٥ - من عدل الله تعالى وحكمته أن من أطاعه وعده بأعظم الثواب، ومن عصاه وتعدى حدوده توعده بأعظم العقاب.

﴿١٥﴾ واللاتي يرتكبن فاحشة الزنا من نسائكم محصنات وغير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال مسلمين عدول، فإن شهدوا عليهن بارتكابها فاحسوهن في البيوت عقوبة لهن، حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقاً غير طريق الحبس. ثم بين الله السبيل لهن بعد ذلك، فشرع جلد البكر الزانية مئة جلدة وتغريب عام، ورجم المحصنة.

﴿١٦﴾ واللذان يرتكبان فاحشة الزنا من الرجال - محصنين أو غير محصنين - فعاقبوهما باللسان واليد بما يحق الإهانة والزجر، فإن أقلعما عما كانا عليه، وصلحت أعمالهما؛ فأعرضوا عن أذامهما؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، إن الله كان تواباً على من تاب من عباده رحيمًا بهم.

والاكْتفاء بهذا النوع من العقاب كان في أول الأمر، ثم نُسِخ بعد ذلك بجلد البكر وتغريبه، وبرجم المحصن.

﴿١٧﴾ إنما يقبل الله توبة الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها وشؤمها - وهذا شأن كل مرتكب ذنب متعمداً كان أو غير متعمد - ثم يرجعون منيبين إلى ربهم قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليماً

وَأَلْقَى يَأْتِيكَ الْفَدْحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى تَيَوَّفَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ عَلَىٰ أَفْتَنٍ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَدْحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

بأحوال خلقه، حكيمًا في تقديره وتشريعه.

﴿١٨﴾ ولا يقبل الله توبة الذين يُصرون على المعاصي، ولا يتوبون منها إلى أن يعانوا سكرات الموت، فعندئذ يقول الواحد منهم: إني تبت الآن مما ارتكبته من المعاصي. ولا يقبل الله - كذلك - توبة الذين يموتون وهم مُصرون على الكفر، أولئك العصاة المُصرون على المعاصي، والذين يموتون وهم على كفرهم؛ أعددنا لهم عذاباً أليماً.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يجوز لكم أن ترثوا نساء آبائكم كما يورث المال، وتتصرفوا فيهن بالزواج بهن، أو تزويجهن ممن تشاؤون، أو منعن من الزواج. ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهوهن للإضرار بهن، حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره، إلا أن يرتكبن فاحشة واضحة كالزنا، فإذا فعلن ذلك جاز لكم إمساكهن والتضييق عليهن حتى يفتدين منكم بما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صحة طيبة، بكف الأذى وبذل الإحسان، فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن؛ فلعل الله يجعل فيما تكرهون خيراً كثيراً في الحياة الدنيا والآخرة.

﴿٢٠﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ارتكاب فاحشة الزنا من أكثر المعاصي خطراً على الفرد والمجتمع؛ ولهذا جاءت العقوبات عليها شديدة.
- ٢ - لُظف الله ورحمته بعباده حيث فتح باب التوبة لكل مذنب، وبسّر له أسبابها، وأعانها على سلوك سبيلها.
- ٣ - كل من عصى الله تعالى بعمد أو بغير عمد فهو جاهل بقدر من عصاه جل وعلا، وجاهل بآثار المعاصي وشؤمها عليه.
- ٤ - من أسباب استمرار الحياة الزوجية أن يكون نظر الزوج متوازناً، فلا يحصر نظره فيما يكره، بل ينظر أيضاً إلى ما فيه من خير.
- ٥ - إمساك الرجل امرأته مع ما يكره منها امتثالاً لأمر الله تعالى يُرجى - والحال هذه - أن يجعل الله في ما يكره منها خيراً كثيراً له.

﴿٢٠﴾ وإن أردتم - أيها الأزواج - تطليق امرأة، واستبدالها بغيرها؛ فلا حرج عليكم في ذلك، وإن كنتم أعطيتهم التي عزمتم على فراقها مالاً كثيراً مهراً لها؛ فلا يجوز لكم أخذ شيء منه، فإن أخذ ما أعطيتموهن يُعدّ افتراءً مبيناً وإثمًا واضحاً!

﴿٢١﴾ وكيف تأخذون ما أعطيتموهن من المهر بعد الذي حصل بينكم من علاقة ومودة واستمتاع واطلاع على الأسرار، فإن الطمع بما في أيديهن من مال بعد هذا لهو أمر منكر ومستقبح، وقد أخذن منكم عهداً موثقاً شديداً، وهو استحلالهن بكلمة الله تعالى وشرعه.

﴿٢٢﴾ ولا تتزوجوا ما تزوجه آبؤكم من النساء؛ فإن ذلك محرم، إلا ما سبق من ذلك في الجاهلية فلا مؤاخذه عليه، ذلك أن تزوج الأبناء من زوجات آبائهم كان أمراً يعظم قُبْحُه، وسبب غضب الله على فاعله، وساء طريقاً لمن سلكها.

﴿٢٣﴾ حَرَّمَ اللهُ عليكم نكاح أمهاتكم وإن عَلَوْنَ؛ أي أم الأم وجدتها من جهة الأب أو الأم، وبناتكم وإن نزلن؛ أي بنتها وبنت بنتها، وكذلك بنات الابن والبنت وإن نزلن، وأخواتكم من أبويكم أو من أحدهما،

وإن أردتم أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَآئِبْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

وعماتكم، وكذلك عمات آبائكم وأمهاتكم وإن عَلَوْنَ، وكذلك خالاتكم وأبائكم وإن عَلَوْنَ، وبنات الأخ وبنات الأخت، وأولادهم وإن نزلوا، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم تدخلوا بهن، وبنات زوجاتكم من غيركم اللاتي ينشأن ويتربن في بيوتكم غالباً، وكذلك إذا لم يتربن فيها، إن كنتم دخلتم بأمهاتهن، وأما إذا لم تدخلوا بهن فلا حرج عليكم في نكاح بناتهن، وحرّم عليكم نكاح زوجات آبائكم الذين من أصلابكم، ولو لم يدخلوا بهن، ويدخل في هذا الحكم زوجات آبائكم من الرضاعة، وحرّم عليكم الجمع بين الأختين من النسب أو الرضاعة إلا ما مضى من ذلك في الجاهلية فقد عفا الله عنه، إن الله كان غفوراً لعباده التائبين إليه، رحيمًا بهم. وثبت في السُّنة تحريم الجمع كذلك بين المرأة وعمتها أو خالتها.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

- ١ - أباح الله الطلاق بين الزوجين وجعل أمره للرجل.
- ٢ - إذا دخل الرجل بامرأته فقد ثبت مهرها، ولا يجوز له التعدي عليه أو الطمع فيه، حتى لو أراد فراقها وطلاقها.
- ٣ - حَرَّمَ اللهُ تعالى نكاح زوجات الآباء؛ لأنه فاحشة تمقتها العقول الصحيحة والفطر السليمة.
- ٤ - بَيَّنَّ اللهُ تعالى بياناً مفصلاً من يحل نكاحه من النساء ومن يحرم، سواء أكان بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاع، تعظيماً لها، وصيانة لها من الاعتداء.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
 بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ
 مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
 فِي مَا تَرَاضْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
 حَكِيمًا ﴿١٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ
 الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
 فَنِيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ
 بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
 أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ
 مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
 الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿١٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي
 مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾

﴿١٤﴾ وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء، إلا ما ملكتموهن بالسبي في الجهاد في سبيل الله، فيحل لكم وطؤهن بعد استبراء أرحامهن بحيضة، فرض الله ذلك عليكم فرضاً، وأحل الله ما عدا ذلك من النساء، أن تطلبوا بأموالكم إحصان أنفسكم وإعفافها بالحلال غير قاصدين الزنا، فمن تمتعت بهن بالنكاح فأعطوهن مهورهن التي جعلها الله فريضة واجبة عليكم، ولا إثم عليكم فيما وقع عليه تراضيك من بعد تحديد المهر الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه، إن الله كان عليماً بخلقه لا يخفى عليه منهم شيء، حكيماً في تدبيره وتشريعه.

﴿١٥﴾ ومن لم يستطع منكم - أيها الرجال - لقله ماله أن يتزوج الحرائر من النساء جاز له نكاح الإماء المملوكات لغيركم، إن كن مؤمنات فيما يظهر لكم، والله أعلم بحقيقة إيمانكم وبواطن أحوالكم، وأنتم وهن سواء في الدين والإنسانية، فلا تستنكفوا عن الزواج منهن، فتزوجوهن بإذن مالكيهن، وآتوهن مهورهن دون نقص أو مباطلة، هذا إن كن عفيفات غير زانيات علناً، ولا متخذات أخلاء للزنا بهن سراً، فإذا تزوجن، ثم ارتكبن فاحشة الزنا فحذهن نصف عقوبة

الحرائر: خمسين جلدة، ولا رجم عليهن، بخلاف المحصنات من الحرائر إذا زين. ذلك المذكور من إباحة نكاح الإماء المؤمنات العفيفات رخصة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، ولم يقدر على الزواج من الحرائر، على أن الصبر عن نكاح الإماء أولى؛ لتجنب الأولاد الاسترقاق، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته أن شرع لهم نكاح الإماء حال العجز عن نكاح الحرائر عند خشية الزنا.

﴿١٦﴾ يريد الله سبحانه بتشريع هذه الأحكام لكم أن يبين لكم معالم شرعه ودينه، وما فيه مصالحكم في الدنيا والآخرة، ويريد أن يرشدكم إلى طرق الأنبياء من قبلكم في التحليل والتحریم، وشماثلهم الكريمة، وسيرهم الحميدة لتبعوهم، ويريد أن يرجع بكم عن معصيته إلى طاعته، والله عليم بما فيه مصلحة عباده فيشرعه لهم، حكيم في تشريع وتدبيره لشؤونهم.

﴿١٧﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - حُرْمَةُ نِكَاحِ الْمُتَزَوِّجَاتِ: حرائر أو إماء حتى تنقضي عدتهن أيًا كان سبب العدة.
- ٢ - أن مهر المرأة يتعين بعد الدخول بها، وجواز أن تحط بعض مهرها إذا كان بطيب نفس منها.
- ٣ - جواز نكاح الإماء المؤمنات عند عدم القدرة على نكاح الحرائر؛ إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنا.
- ٤ - من مقاصد الشريعة بيان الهدى والضلال، وإرشاد الناس إلى سنن الهدى التي تردهم إلى الله تعالى.

﴿٢٧﴾ والله يريد أن يتوب عليكم، ويتجاوز عن سيئاتكم، ويريد الذين يميلون مع شهواتهم أين مالت، ويتبعون أهواءهم، أن تميلوا عن طريق الاستقامة ميلاً عظيماً.

﴿٢٨﴾ يريد الله أن يخفف عنكم فيما شرع، فلا يكلفكم ما لا تطيقون؛ لأنه عالم بضعف الإنسان في خلقه وخلقته.

﴿٢٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا يأخذ بعضكم مال بعض بالباطل، كالغصب والسرقة والرشوة وغيرها، إلا أن تكون الأموال أموال تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين، فيحل لكم أكلها والتصرف فيها، ولا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يقتل أحدكم نفسه، ولا يُلْقَى بها إلى التهلكة، إن الله كان بكم رحيمًا، ومن رحمته حَرَمَ دماءكم وأموالكم وأعراضكم.

﴿٣٠﴾ ومن يفعل ذلك الذي نهيتكم عنه فيأكل مال غيره أو يتعدى عليه بقتل ونحوه عالمًا متعديًا، لا جاهلاً أو ناسيًا؛ فسيدخله الله نارًا عظيمة يوم القيامة، يعاني حرها، ويقاسي عذابها، وكان ذلك على الله هينًا؛ لأنه قادر لا يعجزه شيء.

﴿٣١﴾ إن تجتنبوا - أيها المؤمنون - فعل كباثر المعاصي مثل الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وأكل الربا؛ نتجاوز عما

ترتكبونه من صغائرهما بتكفيرها ومحوها، وتدخلكم مكانًا كريمًا عند الله، وهو الجنة.

﴿٣٢﴾ ولا تتموا - أيها المؤمنون - ما فضل الله به بعضكم على بعض؛ لثلاث يؤدي إلى السخط والحسد، فلا ينبغي للنساء أن يرتجبن ما خص الله به الرجال، فللرجال نصيب من أعمالهم، وللنساء نصيب من أعمالهن، فكل منهم لا ينال ثواب غير ما اكتسب، وأسألوا الله من فضله يستجب لكم، إن الله كان بكل شيء عليماً، فيعطي بعلمه، ويمنع بعذله.

﴿٣٣﴾ ولكل واحد منكم جعلنا له عَصَبَةً يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراث. والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الحلف والنصرة فأعطوهم نصيبهم من الميراث، إن الله كان على كل شيء شهيدًا، ومن ذلك شهادته على أيمانكم وعهودكم هذه، والتوارث بالحلف كان في صدر الإسلام، ثم نسخ.

﴿٣٤﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - سعة رحمة الله بعباده؛ فهو سبحانه يحب التوبة منهم، والتخفيف عنهم، وأما أهل الشهوات فإنما يريدون بهم ضلالاً عن الهدى.

٢ - حفظت الشريعة حقوق الناس؛ فحرمت الاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض، ورتبت أعظم العقوبة على ذلك.

٣ - الابتعاد عن كباثر الذنوب سبب لدخول الجنة ومغفرة للصغائر.

٤ - الرضا بما قسم الله، وترك التطلع لما في يد الناس؛ يُجَنَّبُ المرء الحسد والسخط على قدر الله تعالى.

﴿٣٤﴾ الرجال قِيَمُونَ عَلَى النساءِ، يتولونهن ويقومون على شؤونهن، بسبب ما خصهم الله به من الفضل عليهن، وبسبب ما يجب عليهم من النفقة والقيام عليهن، والصالحات من النساء مطيعات لربهن، مطيعات لأزواجهن، حافظات لهم في غيبتهم بسبب توفيق الله لهن، واللاتي تخافون ترفعهن عن طاعة أزواجهن في قول أو فعل، فابدؤوا - أيها الأزواج - بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في الفراش، بأن يوليها ظهره ولا يجامعها، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن رجعن إلى الطاعة؛ فلا تعتدوا عليهن بظلم أو معاتبة، إن الله كان علياً في ذاته، كبيراً في صفاته فخافوه.

﴿٣٥﴾ وإن خفتم - يا أولياء الزوجين - أن يصل الخلاف بينهما إلى العداوة والتدابير، فابعثوا رجلاً عدلاً من أهل الزوج، ورجلاً عدلاً من أهل الزوجة ليحكمما بما فيه المصلحة من التفريق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، فإن أراه الحكمان وسلكا الأسلوب الأمثل إليه يوفق الله بين الزوجين، ويرتفع الخلاف بينهما، إن الله كان عليماً لا يخفى عليه شيء من عباده، خبيراً بما يخفونه في قلوبهم.

﴿٣٦﴾ واعبدوا الله وحده بالانقياد له، ولا تعبدوا معه سواه، وأحسنوا إلى الوالدين بإكرامهما وبرهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى والفقراء، وأحسنوا إلى الجار القريب، والجار الذي لا قرابة له، وأحسنوا إلى صاحب المرافق لكم، وأحسنوا إلى المسافر الغريب الذي انقطعت به السبل، وأحسنوا إلى ممالئكم، إن الله لا يحب من كان معجباً بنفسه، متكبراً على عباده، مادحاً لنفسه على وجه الفخر على الناس.

﴿٣٧﴾ ولا يحب الله الذين يمنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق مما أعطاهم من رزقه، ويأمرون بقولهم وفعلهم غيرهم بذلك، ويخفون ما آتاهم الله من فضله من الرزق والعلم وغيره، فلا يبينون للناس الحق، بل يكتُمونه، ويظهرون الباطل، وهذه الخصال من خصال الكفر، وقد أعدنا للكافرين عذاباً مخزياً.

﴿٣٨﴾ قَوْلًا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ثبوت قِوَامَةِ الرجال عَلَى النساءِ بسبب تفضيل الله لهم، وبسبب ما يجب عليهم من الحقوق، وأبرزها النفقة على الزوجة.
- ٢ - للرجل الحق في تأديب امرأته إذا ترفعت عن الطاعة، وسلوك مسلك التدرج في العقوبة بلا ظلم ولا اعتداء.
- ٣ - عظم الله تعالى حق الوالدين وقرنه بحقه تعالى، كما عظم أمر الإحسان إلى الخلق.
- ٤ - التحذير من ذميمة الأخلاق، كالكبر والتفاخر والبخل وكتُم العلم وعدم تبينه للناس.

٢٨) والذين ينفقون أموالهم من أجل أن يراهم الناس ويمدحوهم، ولا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بيوم القيامة؛ أعددنا لهم هذا العذاب المخزي، وما أضلهم إلا متابعتهم للشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحبًا ملازمًا فساء صاحبًا.

٢٩) وماذا يضر هؤلاء لو أنهم آمنوا بالله حقًا وبيوم القيامة، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله مخلصين له؟! بل في ذلك الخير كله، وكان الله بهم عليماً، لا يخفى عليه حالهم، وسيجازي كلًا بعمله.

٣٠) إن الله تعالى عدل لا يظلم عباده شيئًا، فلا ينقص من حسناتهم مقدار ذرة تراب أو هباء، ولا يزيد في سيئاتهم شيئًا، وإن تكن زنة الذرة حسنة يضاعف ثوابها فضلاً منه، ويؤت من عنده مع المضاعفة ثواباً عظيماً.

٣١) فكيف يكون الأمر يوم القيامة حين نجى نبي كل أمة يشهد عليها بما عملت، ونجى بك - أيها الرسول - شاهداً على هؤلاء جميعاً من الأمم والرسول.

٣٢) في ذلك اليوم العظيم يود الذين كفروا بالله وعصوا رسوله لو صاروا تراباً فكانوا سواء هم والأرض، ولا يخفون عن الله شيئاً مما عملوا؛ لأن الله يختم على ألسنتهم فلا تنطق، ويأذن لجوارحهم فتشهد عليهم بعملهم.

٣٣) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تصلوا وأنتم في حال سكر حتى تصحوا من سركم، وتميزوا ما تقولون - وكان هذا قبل تحريم الخمر مطلقاً - ولا تصلوا وأنتم في حال جنابة، ولا تدخلوا المساجد في حالها إلا مُحْتَاظِينَ دُونَ مُكْتَبٍ؛ حتى تغتسلوا، وإن أصابكم مرض لا يمكن استعمال الماء معه، أو كنتم مسافرين، أو أحدث أحدكم، أو جامعتم النساء فلم تجدوا ماء؛ فاقصدوا تراباً طاهراً، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، إن الله كان عفواً غفوراً لكم.

٣٤) ألم تعلم - أيها الرسول - أمر اليهود الذين أعطاهم الله حظاً من العلم بالثورة يستبدلون الضلال بالهدى، وهم حريصون على إضلالكم - أيها المؤمنون - عن الصراط المستقيم الذي جاء به الرسول؛ لتسلخوا طريقهم المعوج.

٣٥) قوله من الآيات:

- ١ - من كمال عدله وتمام رحمته تعالى أنه لا يظلم عباده شيئاً مهما كان قليلاً، ويتفضل عليهم بمضاعفة حسناتهم.
- ٢ - من شدة هول يوم القيامة وعظم ما ينتظر الكافر يتمنى أن يكون تراباً.
- ٣ - الجنابة تمنع من الصلاة والبقاء في المسجد، ولا بأس من المرور به دون مُكْتَبٍ فيه.
- ٤ - تيسير الله على عباده بمشروعية التيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.

﴿٤٥﴾ والله ﷻ أعلم منكم بأعدائكم - أيها المؤمنون - فأخبركم بهم وبين لكم عداوتهم، وكفى بالله ولياً يحفظكم من بأسهم، وكفى بالله نصيراً يمنعكم من كيدهم وأذاهم.

﴿٤٦﴾ من اليهود قوم سوء يغيرون الكلام الذي أنزله الله، فيؤولونه على غير ما أنزل الله، ويقولون للرسول ﷺ حين يأمرهم بأمر: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، ويقولون: اسمع ما نقول لا سمعنا؛ ويوهمون بقولهم: «راعنا» أنهم يريدون: راعنا سمعك، وإنما يريدون الرعونة؛ يلوون بها ألسنتهم، يريدون الدعاء عليه ﷺ، ويقصدون القدح في الدين، ولو أنهم قالوا: سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، بدلاً من قولهم: سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وقالوا: اسمع، بدل قولهم: اسمع لا سمعنا، وقالوا: انتظرنا، بدل قولهم: راعنا؛ كان ذلك خيراً لهم مما قالوه أولاً، وأعدل منه؛ لما فيه من حسن الأدب اللائق بجناب النبي ﷺ، ولكن لعنهم الله، فطردهم من رحمته بسبب كفرهم، فلا يؤمنون إيماناً يفيهم.

﴿٤٧﴾ يا أيها الذين أتوا الكتاب من اليهود والنصارى، آمنوا بما أنزلنا على محمد ﷺ، الذي جاء مصدقاً لما معكم من التوراة والإنجيل، من قبل أن نمحو ما في الوجوه من الحواس، ونجعلها ناحية أديارهم، أو نطردهم من رحمة الله كما طردنا منها أصحاب السبت الذين اعتدوا بالصيد فيه بعد نهيهم عنه، فمسخهم الله قرده، وكان أمره وقدره واقعاً لا محالة.

﴿٤٨﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به شيء من مخلوقاته، ويتجاوز عما دون الشرك والكفر من المعاصي لمن يشاء بفضلها، أو يعذب بها من شاء منهم بقدر ذنوبهم بعدله، ومن يُشرك مع الله غيره فقد اختلق إثماً عظيماً لا يغفر لمن مات عليه.

﴿٤٩﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك الذين يثنون على أنفسهم وأعمالهم؟ بل الله وحده هو الذي يشي على من شاء من عباده؛ لأنه عالم بخفايا القلوب، ولن ينقصوا شيئاً من ثواب أعمالهم ولو كان قدر الخيط الذي في نواة النمر.

﴿٥٠﴾ انظر أيها الرسول كيف يختلقون على الله الكذب بثنائهم على أنفسهم، وكفى بذلك ذنباً مبيناً عن ضلالهم.

﴿٥١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - وتتعجب من حال اليهود الذين آتاهم الله حظاً من العلم، يصدقون بكل معبود من دون الله، ويقولون مصانعة للمشركين: إنهم أهدى طريقاً من أصحاب محمد ﷺ.

﴿٥٢﴾ فوائد من الآيات:

١ - كفاية الله للمؤمنين ونصره لهم تغنيهم عما سواه.

٢ - بيان جرائم اليهود، كتحريفهم كلام الله، وسوء أديهم مع رسوله ﷺ.

٣ - بيان خطر الشرك والكفر، وأنه لا يُغفر لصاحبه إذا مات عليه، وأما ما دون ذلك فهو تحت مشيئة الله تعالى.

٥٢ أولئك الذين يعتقدون هذا الاعتقاد الفاسد هم الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطرده الله فلن تجد له نصيراً يتولاه.

٥٣ ليس لهم نصيبٌ من الملك، ولو كان لهم هذا لما أعطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان قدر النقطة التي في ظهر نواة التمر.

٥٤ بل يحسدون محمداً ﷺ وأصحابه على ما آتاهم الله من النبوة والإيمان والتمكين في الأرض. فلم يحسدونهم وقد سبق أن آتينا ذرية إبراهيم الكتاب المنزل، وما أوحينا إياهم سوى الكتاب، وآتيناهم ملكاً واسعاً على الناس.

٥٥ من أهل الكتاب من آمن بما أنزل الله على إبراهيم ﷺ وعلى أنبيائه من ذريته، ومنهم من كفر به، وصد الناس عن الإيمان به، وهذا موقفهم مما أنزل على النبي محمد ﷺ، والنار هي العذاب المكافئ لمن كفر منهم.

٥٦ إن الذين كفروا بآياتنا سوف ندخلهم يوم القيامة ناراً تحيط بهم، كلما أحرقت جلودهم بدلتناهم جلوداً أخرى غيرها؛ ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزاً لا يغالبه شيء، حكيماً فيما يدره ويقضي به.

٥٧ والذين آمنوا بالله واتبعوا رسله، وعملوا الطاعات سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً،

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ٥٢

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ٥٣

يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ٥٤

فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا أُخْرَىٰ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَوَدَّخَلْنَاهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ٥٧

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩

لهم في هذه الجنات زوجات مطهرات من كل قدر، وسندخلهم ظلًا ممتدًا كثيفًا لا حر فيه ولا برد.

٥٨ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله، بامتنال ما أمر واجتناب ما نهى، وأطيعوا ولاة أموركم ما لم يأمرُوا بمعصية، فإن اختلفتم في شيء فارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك الرجوع إلى الكتاب والسنة خير من التماذي في الخلاف والقول بالرأي، وأحسن عاقبة لكم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من أعظم أسباب كفر أهل الكتاب حسدهم المؤمنين، على ما أنعم الله به عليهم من النبوة والتمكين في الأرض.
- ٢ - وجوب المحافظة على الأمانات، وردّها إلى أهلها.
- ٣ - وجوب الحكم بين الناس بالعدل، والنهي عن الجور والظلم.
- ٤ - وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يأمرُوا بمعصية، والرجوع عند التنازع إلى حكم الله ورسوله تحقيقاً لمعنى الإيمان.

﴿١٦﴾ أَلَمْ تَرَ - أيها الرسول - تناقض المنافقين من اليهود الذين يدعون كذباً أنهم آمنوا بما أنزل عليك وما أنزل على الرسل من قبلك، يريدون أن يتحاكموا في نزاعاتهم إلى غير شرع الله مما وضعه البشر، وقد أمروا أن يكفروا بذلك. ويريد الشيطان أن يبعدهم عن الحق إبعاداً شديداً لا يهتدون معه.

﴿١٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى ما أنزل الله في كتابه من الحكم، وإلى الرسول ليحكم بينكم في خصامكم، رأيتهم - أيها الرسول - يعرضون عنك إلى التحاكم إلى غيرك إعراضاً تاماً.

﴿١٨﴾ فكيف يكون حالهم إذا حدثت لهم مصائب بسبب ما ارتكبوه من الذنوب، ثم جاؤوك - أيها الرسول - معتردين إليك يحلفون بالله: ما قصدنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق بين المتنازعين، وهم كاذبون في ذلك؛ فإن الإحسان هو في تحكيم شرع الله على عباده.

﴿١٩﴾ أولئك الذين يعلم الله ما يضمرون في قلوبهم من النفاق والقصد الرديء، فتولوا - أيها الرسول - عنهم، وبيّن لهم حكم الله مرعباً إياهم في الانقياد لله، ومرهباً من

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ بِرِيبٍ مِنْهُ يَعْجَفُونَ عَلَى الْأَعْقَابِ ﴿١٨﴾ أَفَلَا يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُعْلَمُونَ وَأَنَّهُمْ يَخُدُّونَ الْغُيُوبَ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قُلْ لِمَ أَعْبَدُكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَقُلْ لَا أَعْبُدُكُمْ بَلْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَعْبُدُونَ كَمَا عَادَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا مِمَّا نُحْمَدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَمَا سَبَّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا مِمَّا سَبَّحُوا لَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِمَا قِيلَ لَهُمْ فَسَبَّحُوا لَهُمْ حَمْدًا فَكَبَرُوا عَنْهَا حَتَّى أَصَابَهُمُ الْبَغْضَاءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ نَظِيرٌ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا مِمَّا يُحْمَدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَمَا سَبَّحُوا لَهُمْ حَمْدًا فَكَبَرُوا عَنْهَا حَتَّى أَصَابَهُمُ الْبَغْضَاءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ نَظِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا مِمَّا يُحْمَدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَمَا سَبَّحُوا لَهُمْ حَمْدًا فَكَبَرُوا عَنْهَا حَتَّى أَصَابَهُمُ الْبَغْضَاءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ نَظِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا مِمَّا يُحْمَدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَمَا سَبَّحُوا لَهُمْ حَمْدًا فَكَبَرُوا عَنْهَا حَتَّى أَصَابَهُمُ الْبَغْضَاءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ نَظِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ سَبِّحُوا لِلَّهِ حَمْدًا مِمَّا يُحْمَدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَمَا سَبَّحُوا لَهُمْ حَمْدًا فَكَبَرُوا عَنْهَا حَتَّى أَصَابَهُمُ الْبَغْضَاءُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ نَظِيرٌ ﴿٢٥﴾

الإعراض عنه، وانصحهم فيما بينك وبينهم نصحاً بليغاً يزرهم.

﴿٢٦﴾ وما أرسلنا من رسول إلا لأجل أن يطاع فيما يأمر به بمشيئة الله وتقديره، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي جاؤوك - أيها الرسول - في حياتك مقرّين بما ارتكبوه نادمين تائبين، وطلبوا المغفرة من الله، وطلبت المغفرة؛ لوجدوا الله تواباً عليهم رحيماً بهم.

﴿٢٧﴾ فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون. ثم أقسم الله بذاته ﷻ أنهم لا يكونون مؤمنين حقاً حتى يتحاكموا إلى الرسول في حياته وإلى شرعه بعد وفاته في كل ما يحصل بينهم من خلاف، ثم يرضون بحكم الرسول، ولا يكون في صدورهم ضيق منه ولا شك فيه، ويسلموا تسليمًا تاماً بانقياد ظواهرهم وبواطنهم.

﴿٢٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَلْمُوكَ فِي دِينِهِمْ لَوْلَا أَلَّاكُمُ الْمَالَ فَذَلِكُمْ أَصَابَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ وَأَنَّكُمْ قَوْمٌ مَنكُورُونَ ﴿٢٩﴾

١ - الاحتكام إلى غير شرع الله والرضا به منافق للإيمان بالله تعالى.

٢ - من أبرز صفات المنافقين عدم الرضا بشرع الله، وتقديم حكم الطواغيت على حكم الله تعالى.

٣ - التذنب إلى الإعراض عن أهل الجهل والضلالات، مع المبالغة في نصحتهم وتخويفهم من الله تعالى.

٤ - الإيمان التام لا يكون إلا بالاحتكام إلى الشرع، مع رضا القلب والتسليم الظاهر والباطن بما يحكم به الشرع.

﴿١٦﴾ ولو أنا فرضنا عليهم قتل بعضهم بعضًا، أو الخروج من ديارهم؛ ما امتثل أمرنا منهم إلا عدد قليل، فليحمدوا الله أنه لم يكلفهم ما يشق عليهم، ولو أنهم فعلوا ما ينصحون به لكان خيرًا من المخالفة، وأشدّ تثبيتًا لإيمانهم، ولآتيناهم من عندنا ثوابًا عظيمًا، ولوفقناهم إلى الطريق المستقيم الموصل إلى الله ووجته.

﴿١٧﴾ ومن يطع الله والرسول فهو مع من أنعم الله عليهم بدخول الجنة من الأنبياء والصدّيقين الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، وعملوا به، والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، والصالحين الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم فصلحت أعمالهم، وحسن أولئك رفقاء في الجنة.

﴿١٨﴾ ذلك الثواب المذكور تفضل من الله على عباده، وكفى بالله عليماً بأحوالهم، وسيجازي كلًّا بعمله.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا الله واتبعوا رسوله، خذوا الحذر من أعدائكم باتخاذ الأسباب المعينة على قتالهم، فاخرجوا إليهم جماعة بعد جماعة، أو اخرجوا إليهم جميعًا، كل ذلك حسب ما فيه مصلحتكم، وما فيه النكايه بأعدائكم.

﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿١٦﴾ وَإِذْ لَا تَتَذَكَّرُ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿١٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٢٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ وَفَرًا وَاجْمِعُوا ﴿٢١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيْطَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِذْ لَوْ كُنَّا مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٢٢﴾ وَلَئِن أَصَبْتُمْ فُضْلًا مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٢٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ وإن منكم - أيها المسلمون - أقوامًا يتباطؤون عن الخروج لقتال أعدائكم لجبنهم، ويبطئون غيرهم، وهم المنافقون وضعيفو الإيمان، فإن أصابكم قتل أو هزيمة قال أحدهم فرحًا بسلامته: قد أنعم الله علي فلم أشهد القتال معهم فيصيني ما أصابهم.

﴿٢٢﴾ ولئن نالكم - أيها المسلمون - فضل من الله بنصر أو غنيمة ليقولن هذا المتخلف عن الجهاد كأنه ليس منكم ولم تكن بينكم وبينه صحبة ومعرفة: يا ليتني كنت معهم في قتالهم هذا فأفوز فوزًا عظيمًا مثلهم. ليس له قصدٌ إلا ذلك.

﴿٢٣﴾ فليقاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا المؤمنون الصادقون الذين يبيعون الحياة الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها، ومن يقاتل في سبيل الله لتكون كلمته هي العليا فيقتل شهيدًا، أو يظهر على عدوه، ويظفر به، فسيعطيه الله ثوابًا عظيمًا، وهو الجنة ورضوان الله.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - شرع الله ﷻ قائم على التيسير، فلا يكلف العباد ما يشق عليهم.
- ٢ - ثمرة طاعة الله ورسوله الفوز بمرافقة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في الجنة.
- ٣ - وجوب أخذ الحيطة والحذر باتخاذ جميع الأسباب المعينة على قتال العدو.
- ٤ - الحذر من التباطؤ عن الجهاد وتثبيط الناس عنه؛ لأن الجهاد أعظم أسباب عزة المسلمين ومنع تسلط العدو عليهم.

﴿٧٥﴾ وما المانع لكم - أيها المؤمنون - من الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولاستنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين يدعون الله قائلين: يا ربنا، أخرجنا من مكة لظلم أهلها بالشرك بالله والاعتداء على عباده، وسخر لنا من عندك ولياً يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيراً يدفع عنا الضرر.

﴿٧٦﴾ المؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل إعلاء كلمته، والكافرون يقاتلون في سبيل الشيطان وعلى منهجه، فقاتلوا أعوان الشيطان، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم؛ لأن تدبير الشيطان كان ضعيفاً لا يضر المتوكلين على الله تعالى.

﴿٧٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - شأن بعض أصحابك الذين سألوا أن يُفرض عليهم الجهاد، فقبل لهم: امنعوا أيديكم عن القتال، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة - وكان ذلك قبل فرض الجهاد - فلما هاجروا إلى المدينة، وصار للإسلام منعة، وفرض القتال؛ شق ذلك عليهم، فصار بعضهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وقالوا: يا ربنا، لم فرضت علينا القتال؟ هلاً آخرته مدة قريبة حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم - أيها الرسول -: متاع الدنيا مهما بلغ قليل

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَمَا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذْ فُتِنُوا مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخْرَجْنَا إِلَى الْأَجْلِ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكُم مِّنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُم مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكُمْ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

زائل، والآخرة خير لمن اتقى الله تعالى لادوام ما فيها من النعيم، ولا تُنقصون من أعمالكم الصالحة أي شيء، ولو كان قدر الخيط الذي في نواة التمرة.

﴿٧٨﴾ في أي زمان، وفي أي مكان كنتم يلحقكم الموت إذا حضر أجلكم، ولو كنتم في قصور منيعة بعيدة عن ساحة القتال، وإن يئَل هؤلاء المنافقون ما يسرهم من ولد ورزق كثير قالوا: هذه من عند الله، وإن يئَلهم شدة في ولد أو رزق تشاءموا من النبي ﷺ وقالوا: هذه السيئة بسببك، قل - أيها الرسول - ردأ على هؤلاء: كل من السراء والضراء بقضاء الله وقدره، فما لهؤلاء القوم الذين يصدر عنهم هذا القول لا يكادون يفهمون حديث تحدثهم به؟

﴿٧٩﴾ ما أصابك - يا ابن آدم - مما يسرك من رزق وولد فهو من الله، تفضل به عليك، وما أصابك مما يسوؤك في رزقك وولدك فهو من نفسك بسبب ما ارتكبته من المعاصي. وقد بعثناك - أيها النبي - لجميع الناس رسولاً من الله تبلغهم رسالة ربك، وكفى بالله شاهداً على صدقك فيما تبلغه عنه، بما أتاك من أدلة وبراهين.

﴿٧٩﴾ فواو من الآيات:

- ١ - وجوب القتال لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين، وذم الخوف والجبن والاعتراض على أحكام الله.
- ٢ - الدار الآخرة خير من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات لمن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته.
- ٣ - مهما توقي المرء أسباب الموت سيصيبه حتى لو كان في أشد الحصون.
- ٤ - الخير والشر كله بقدر الله، وقد يبتلي الله عباده ببعض السوء في الدنيا لأسباب، منها: ذنوبهم ومعاصيهم.

﴿٨٠﴾ من يطع الرسول بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه؛ فقد أطاع الله، ومن أعرض عن طاعتك - أيها الرسول - فلا تحزن عليه، فما أرسلناك مراقباً عليه تحفظ أعماله، وإنما نحن من يحصي عمله ويحاسبه.

﴿٨١﴾ ويقول المنافقون لك بالسنتهم: نطيع أمرك ونمتثله، فإذا خرجوا من عندك ذُبر جماعة منهم على وجه الخفاء خلاف ما أظهروا لك، والله يعلم ما يدبّرون، وسيجازيهم على كيدهم هذا، فأعرض عنهم ولا تلتفت لهم؛ فلن يضروك شيئاً، وفوض أمرك إلى الله، واعتمد عليه، وكفى بالله وكيلًا تعتمد عليه.

﴿٨٢﴾ لم لا يتأمل هؤلاء القرآن ويدرسونه حتى يثبت لهم أنه لا يوجد فيه اختلاف ولا اضطراب؟ وحتى يعلموا صدق ما جئت به، ولو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اضطراباً في أحكامه واختلافًا كثيرًا في معانيه.

﴿٨٣﴾ وإذا جاء هؤلاء المنافقين أمر مما فيه أمن المسلمين وسرورهم، أو خوفهم وحزنهم؛ أفشوه ونشروه، ولو تأنوا وأرجعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ وإلى من يلي أمورهم وشؤونهم؛ لتعرف أهل الرأي والاستنباط ما ينبغي أن يُعمل بشأنه من نشر

أو كتمان، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لاتبعتم وساوس الشيطان إلا قليلاً منكم.

﴿٨٤﴾ فقاتل - أيها الرسول - في سبيل الله لإعلاء كلمته، ولا تُسأل عن غيرك ولا تُلزم به؛ لأنك لا تكلف إلا حمل نفسك على القتال، ورغب المؤمنين، وحثهم على القتال، عسى الله أن يدفع بقتالكم قوة الكافرين، والله أشد قوة، وأشد عقوبة.

﴿٨٥﴾ من يشفع لغيره شفاععة حسنة تجلب الخير ولا إثم فيها ولا اعتداء؛ يكن له حظ من الثواب عليها، ومن يشفع شفاععة سيئة فيها إثم أو اعتداء؛ يكن له حظ من الإثم، وكان الله على كل ما يعمل الإنسان شهيداً وسيجزيه عليه. فمن كان منكم سبباً في حصول خير فله منه حظ ونصيب، ومن كان سبباً في حصول شر فإنه يناله منه شيء.

﴿٨٦﴾ وإذا سلم عليكم أحد فردوا السلام عليه بأفضل مما سلم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما قال، والرد بالأحسن أفضل، إن الله كان على ما تعملون حفيظاً، وسيجزي كلًا بعمله.

﴿٨٧﴾ فإذ من الآيات:

١ - تدبر القرآن الكريم يورث اليقين بأنه تنزيل من الله؛ لسلامته من الاضطراب، ويظهر عظيم ما تضمنه من الأحكام.

٢ - لا يجوز نشر الأخبار التي تنشأ عنها زعزعة أمن المؤمنين، أو دُب الرعب بين صفوفهم.

٣ - التحدث بقضايا المسلمين والشؤون العامة المتصلة بهم يجب أن يصدر من أهل العلم وأولي الأمر منهم.

٤ - مشروعية الشفاععة الحسنة التي لا إثم فيها ولا اعتداء على حقوق الناس، وتحريم كل شفاععة فيها إثم أو اعتداء.

﴿٨٧﴾ الله لا معبود بحق غيره، ليجمعن أولكم وأخركم يوم القيامة الذي لا شك فيه؛ لمجازاتكم على أعمالكم، ولا أحد أصدق حديثاً من الله .

﴿٨٨﴾ ما شأنكم - أيها المؤمنون - صرتم فريقين مختلفين في شأن التعامل مع المنافقين: فريق يقول بقتالهم لكفرهم، وفريق يقول بترك قتالهم لإيمانهم، فما كان لكم أن تختلفوا بشأنهم، والله ردهم إلى الكفر والضلال بسبب أعمالهم، أتريدون أن تهدوا من لم يوفقه الله إلى الحق! ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً إلى الهداية .

﴿٨٩﴾ ودّ المنافقون لو تكفروا بما أنزل عليكم كما كفروا فتكونون مستوين معهم في الكفر، فلا تتخذوا منهم أولياء لعداوتهم حتى يهاجروا في سبيل الله دلالة على إيمانهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم ولياً يواليكم على أموركم، ولا نصيراً يعينكم على أعدائكم .

﴿٩٠﴾ إلا من وصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم عقد مؤكد على ترك القتال، أو من جاؤكم وقد ضاقت صدورهم فلا يريدون قتالكم ولا قتال قومهم، ولو شاء الله تسليطهم عليكم لسلطهم عليكم فقاتلوكم، فاقبلوا من الله عافيته، ولا تتعرضوا لهم بقتل ولا أسر، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وانقادوا إليكم مصالحين تاركين قتالكم، فما جعل الله لكم عليهم طريقاً بقتلهم أو أسرهم .

﴿٩١﴾ ستجدون - أيها المؤمنون - فريقاً آخر من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم، ويظهرون لقومهم من الكفار الكفر إذا رجعوا إليهم ليأمنوهم، كلما دُعوا إلى الكفر بالله والشرك به وقعوا فيه أشد الوقوع، فهؤلاء إذا لم يعتزلوكم بترك قتالكم، وينقادوا إليكم مصالحين، ويكفوا أيديهم عنكم؛ فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم، وأولئك الذين هذه صفتهم جعلنا لكم على أخذهم وقتلهم حجة واضحة؛ لغدرهم ومكرهم .

﴿٩٢﴾ قوله من الآيات:

- ١ - قيام الساعة والبعث بعد الموت حق لا شك فيه، فهو وعد الله الحق .
- ٢ - بيان كيفية التعامل مع المنافقين بحسب أحوالهم ومقتضى المصلحة معهم .
- ٣ - الهجرة في سبيل الله تعالى من أبرز صفات المؤمنين التي تظهر حقيقة الإيمان .
- ٤ - يكشف الجهاد في سبيل الله أهل النفاق بسبب تخلفهم عنه وتكلف أعدائهم .

﴿٩٦﴾ وما يجوز لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا أن يقع ذلك منه على وجه الخطأ ومن قتل مؤمناً على وجه الخطأ فعليه عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، وعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلِّمَةً إلى ورثة القتيل، إلا أن يعفوا عن الدية فتسقط، فإن كان القتيل من قوم محاربين لكم وهو مؤمن؛ فيجب على القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة، ولا دية عليه، وإن كان القتيل غير مؤمن لكنه من قوم بينكم وبينهم عهد مثل أهل الذمة، فعلى قرابة القاتل الذين يرثونه دية مُسَلِّمَةً إلى ورثة القتيل، وعلى القاتل عتق نفس مملوكة مؤمنة كفارة عن فعله، فإن لم يجد من يعتقه أو لا يستطيع أن يدفع ثمنه، فعليه صيام شهرين متتابعين لا يفطر فيها، ليتوب الله عليه مما فعل، وكان الله عليمًا بأعمال عباده ونياتهم، حكيمًا في تشريعه وتديبره.

﴿٩٧﴾ ومن يقتل مؤمناً متعمداً قَتَلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فجزاؤه دخول جهنم خالدًا فيها، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وأعد له عذابًا عظيمًا لا يقرئه هذا الذنب الكبير. ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن المؤمن القاتل لا يُخَلَّدُ أَبَدًا فِي النَّارِ، وإنما يُعَذَّبُ فِيهَا مَدَّةً طَوِيلَةً ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آَلَقَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنْ آَلَىٰكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٨﴾

﴿٩٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، إِذَا خَرَجْتُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا فِي أَمْرٍ مِنْ تَقَاتُلُونَ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَظْهَرَ لَكُمْ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ إِسْلَامِهِ: لَسْتَ مُؤْمِنًا، وَإِنَّمَا حَمَلَكُ عَلَىٰ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ الْخَوْفُ عَلَىٰ دِمَاكِ وَمَالِكِ، فَتَقْتُلُوهُ تَطْلُبُونَ بِقَتْلِهِ مَتَاعَ الدُّنْيَا الزَّهِيدَ كَالْغَنِيمَةِ مِنْهُ، فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا، كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ هَذَا الَّذِي يَخْفَىٰ إِيمَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَمَنْ آَلَىٰكُمْ بِالْإِسْلَامِ فَعَصِمْ دِمَاءَكُمْ فَتَبَيَّنُوا، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا مُطَّلِعًا عَلَيْهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، وَسَيَجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿٩٩﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - جاء القرآن الكريم معظماً حرمة نفس المؤمن، وناهياً عن انتهاكها، ومرتباً على ذلك أشد العقوبات.
- ٢ - يجب على من قتل مؤمناً خطأ كفارة، وهي عتق نفس مملوكة مؤمنة ودية مالية تؤدي لأولياء المقتول.
- ٣ - مشروعية العفو عن القاتل والتنازل عن دية المقتول، وهذا حق جعله الله تعالى لورثة القتيل.
- ٤ - وجوب التثبت والتبيين في الجهاد، وعدم الاستعجال في الحكم على الناس حتى لا يُعتدى على البريء.
- ٥ - الأصل في الحكم على الناس قبول ظاهرهم، فمن أظهر الإسلام قبل منه وغُوِيلَ بِهِ، وسريرته إلى الله.

﴿٤٥﴾ لا يستوي المؤمنون القاعدون عن الجهاد في سبيل الله غير أصحاب الأعدار كالمرضى، والمجاهدون في سبيل الله ببذل أموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببذل أموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد درجة، ولكل من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد لعذر أجره الذي يستحقه، وفضل الله المجاهدين على القاعدين بإعطائهم ثواباً عظيماً من عنده.

﴿٤٦﴾ هذا الثواب منازل بعضها فوق بعض، مع مغفرة ذنوبهم ورحمته بهم، وكان الله غفوراً رحيماً بهم.

﴿٤٧﴾ إن الذين توفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، تقول لهم الملائكة حال قبض أرواحهم توبيخاً لهم: في أي شيء كنتم من دينكم حتى لم تهاجروا؟ فيجيبون معتردين: كنا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة نرد بها عن أنفسنا، فيقول لهم الملائكة توبيخاً لهم: ألم تكن بلاد الله واسعة فتخرجوا إليها لتأمنوا على دينكم وأنفسكم من الإذلال والقهر، فأولئك الذين لم يهاجروا مشواهم الذي يستقرون فيه هو النار، وساءت مرجعاً ومآباً لهم؛ لأن عدم هجرة هؤلاء مع مقدرتهم يدل على عدم صدق إسلامهم.

﴿٤٨﴾ ويُسْتَشْنَى من هذا الوعيد الضعفاء أصحاب الأعدار رجالاً كانوا أو نساءً أو أطفالاً، ممن لا حيلة لهم يدفعون بها عنهم الظلم والقهر، ولا يهتدون إلى وسيلة للتخلص مما هم فيه من القهر، فأولئك عسى الله برحمته ولطفه أن يعفو عنهم، وكان الله عفواً لمن تاب منهم.

﴿٤٩﴾ ولما ذكر الوعيد على ترك الهجرة مع القدرة عليها رغب فيها، فقال: ﴿٥٠﴾ ومن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله يجد في الأرض التي هاجر إليها مُتَحَوِّلاً وأرضاً غير أرضه التي ترك، ينال فيها العزة والرزق الواسع، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت قبل وصوله إلى مهاجره، فقد ثبت أجره على الله، ولا يضره أنه لم يصل إلى مهاجره، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿٥١﴾ وإذا سافرت في الأرض فليس عليكم إثم في قصر الصلاة الرباعية من أربع ركعات إلى ركعتين، إن خفتن أن يلحقكم مكروه من الكافرين، إن الكافرين كانوا لكم - أيها المؤمنون - أعداءً بئس العداوة.

﴿٥٢﴾ فَوَالَّذِينَ فِي الْأَيَاتِ:

- ١ - فضل الجهاد في سبيل الله وعظم أجر المجاهدين، وأن الله وعدهم منازل عالية في الجنة لا يبلغها غيرهم.
- ٢ - أصحاب الأعدار يسقط عنهم فرض الجهاد مع ما لهم من أجر إن حسنت نيّتهم.
- ٣ - فضل الهجرة إلى بلاد الإسلام، ووجوبها على القادر إن كان يخشى على دينه في بلده.
- ٤ - مشروعية قصر الصلاة في حال السفر.

﴿١١٦﴾ وإذا كنت - أيها الرسول - في الجيش وقت قتال العدو، فأردت أن تصلي بهم، فقسّم الجيش طائفتين: تقوم طائفة منهم تصلي معك، وليأخذوا أسلحتهم معهم في صلاتهم، ولتكن الطائفة الأخرى في حراستكم، فإذا صلت الطائفة الأولى ركعة مع الإمام أتمت لنفسها الصلاة، فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم تجاه العدو، ولتأت الطائفة التي كانت في الحراسة ولم يصلوا، فليصلوا ركعة مع الإمام، فإذا سلم الإمام أتموا ما بقي من صلاتهم، وليأخذوا حذرهم من عدوهم، وليحملوا أسلحتهم، فإن الذين كفروا يتمنون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم إذا صليتم فيحملون عليكم حملة واحدة، ويأخذونكم في غفلتكم، ولا إثم عليكم إن أصابكم أذى بسبب المطر أو كنتم مرضى ونحوه، أن تضعوا أسلحتكم فلا تحملوها، واحترزوا من عدوكم بما تستطيعون، إن الله هيأ للكافرين عذاباً مهيناً لهم.

﴿١١٧﴾ فإذا فرغتم - أيها المؤمنون - من الصلاة فاذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل في كل أحوالكم قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، فإذا زال عنكم الخوف وأمنتم فأدوا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها ومستحباتها على ما أمرتم، إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة محددة بوقت، لا يجوز تأخيرها عنه إلا لعذر، هذا في حالة الإقامة، أما في حالة السفر فلكم الجمع والقصر.

وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلنقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودالذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴿١١٧﴾ فإذا قضيتُم الصلوة فاذكروا الله فيما وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا أطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴿١١٨﴾ ولا تهنؤا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يآلمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً ﴿١١٩﴾ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرنك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ﴿١٢٠﴾

﴿١١٨﴾ ولا تضعفوا - أيها المؤمنون - ولا تكسلوا في طلب عدوكم من الكافرين، فإن كنتم تألمون لما يصيبكم من القتل والجراح فإنهم كذلك يآلمون كما تألمون، ويصيبهم مثل ما يصيبكم، فلا يكن صبرهم أعظم من صبركم، فإنكم ترجون من الله من الثواب والنصر والتأييد ما لا يرجونه، وكان الله عليماً بأحوال عباده، حكيماً في تدبيره وتشريع.

﴿١١٩﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق؛ لتفصل بين الناس في كل شؤونهم بما علمك الله وألهمك لا بهواك ورأيك، ولا تكن للخائنين لأنفسهم وأمانتهم مدافعاً ترد عنهم من طالبيهم بالحق.

﴿١٢٠﴾ فوالله من الآيات:

- ١ - مشروعية صلاة الخوف وبيان أحكامها وصفتها.
- ٢ - الأمر بالأخذ بالأسباب في كل الأحوال، وأن المؤمن لا يعذر في تركها حتى لو كان في عبادة.
- ٣ - مشروعية دوام ذكر الله تعالى على كل حال، فهو حياة القلوب وسبب طمأننتها.
- ٤ - وجوب إقامة الصلاة في أوقاتها المحددة من غير تأخير.
- ٥ - النهي عن الضعف والكسل في حال قتال العدو، والأمر بالصبر على قتاله.

﴿١٦٦﴾ واطلب المغفرة والعفو من الله، إن الله كان غفوراً لمن تاب إليه من عباده، رحيمًا به.

﴿١٦٧﴾ ولا تخاصم عن أي شخص يقع في جرم وينفيه عن نفسه حتى يأتيك في أمره شيء تعلمه، والله لا يحب هؤلاء الخونة الكاذبين.

﴿١٦٨﴾ يستترون من الناس عند ارتكابهم معصية خوفًا وحياءً، ولا يستترون من الله، وهو معهم بإحاطته بهم، لا يخفى عليه منهم شيء حين يدبّرون خفية ما لا يرضى من القول، كالدفاع عن المذنب واتهام البريء، وكان الله بما يعملون في السر والعلن محيطًا، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٦٩﴾ ها أنتم - يا من يهتكم أمر هؤلاء الذين يرتكبون جرماً - جادلتم عنهم في الحياة الدنيا لتثبتوا براءتهم، وتدفعوا عنهم العقوبة، فمن الذي يجادل الله عنهم يوم القيامة وقد علم حقيقة حالهم؟! ومن الذي يكون وكيلًا عليهم في ذلك اليوم؟! ولا شك أن أحدًا لا يستطيع ذلك.

﴿١٧٠﴾ ومن يعمل عملاً سيئًا، أو يظلم نفسه باقتراف المعاصي، ثم يطلب المغفرة من الله مقرأً بذنبه نادماً عليه مقلعاً عنه، يجد الله أبداً غفوراً لذنوبه رحيمًا به.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦٦﴾ وَلَا تَجِدُ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَانًا أَلِيمًا ﴿١٦٧﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٦٨﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ
عَنَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ لَ اللَّهِ عَنَّهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٦٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴿١٧٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١٧٢﴾ وَلَا
فَضَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةً مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٧٣﴾

﴿١٧١﴾ ومن يكتسب إثماً صغيراً أو كبيراً فإنما عقوبته عليه وحده، لا تتجاوزه إلى غيره، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً في تديره وتشريعه.

﴿١٧٢﴾ ومن يكتسب خطيئة على غير عمد، أو إثماً بعمد، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب، فقد تحمّل بفعله ذلك كذباً شديداً وإثماً بيناً.

﴿١٧٣﴾ ولولا فضل الله عليك - أيها الرسول - بعصمتك لعزمت جماعة من هؤلاء الذين يخونون أنفسهم أن يضلوك عن الحق فتحكم بغير القسط، وما يضلون حقيقة إلا أنفسهم؛ لأن عاقبة ما اقترفوه من محاولة الإضلال راجع عليها، وأنزل الله عليك القرآن والسنة، وعلمك من الهدى والنور ما لم تكن تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله عليك بالنبوة والعصمة عظيماً.

﴿١٧٤﴾ فَوَايِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - النهي عن المدافعة والمخاصمة عن المبتلين؛ لأن ذلك من التعاون على الإثم والعدوان.
- ٢ - ينبغي للمؤمن الحق أن يكون خوفه من الله وتعظيمه والحياء منه فوق كل أحد من الناس.
- ٣ - سعة رحمة الله ومغفرته لمن ظلم نفسه، مهما كان ظلمه إذا صدق في توبته، ورجع عن ذنبه.
- ٤ - التحذير من اتهام البريء وقذفه بما لم يكن منه؛ وأن فاعل ذلك قد وقع في أشد الكذب والإثم.

﴿١١٤﴾ لا خير في كثير من الكلام الذي يُسرّه الناس، ولا نفع منه، إلا إن كان كلامهم أمراً بصدقة أو معروف به الشرع أو دل عليه العقل، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين، ومن يفعل ذلك يتغي مرضات الله فسوف نُؤتيه ثواباً عظيماً.

﴿١١٥﴾ ومن يعاند الرسول ويخالفه فيما جاء به من بعد ما اتضح له الحق، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين، تركه وما اختار لنفسه، ولا نوقه للحق لإعراضه عن عمد، وندخله نار جهنم يُعاني حرّها، وساءت مرجعاً لأهلها.

﴿١١٦﴾ إن الله لا يغفر أن يُشرك به، بل يُخلد المشرك في النار، ويغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء برحمته وفضله، ومن يشرك مع الله أحدًا فقد ضل عن الحق ضلالاً بعيداً؛ لأنه سَوَّى بين الخالق والمخلوق.

﴿١١٧﴾ ما يعبد هؤلاء المشركون ويدعون مع الله إلا أوثاناً مسماة بأسماء الإناث كاللات والعزى، لا نفع لها ولا ضرر، وما يعبدون في الحقيقة إلا شيطاناً متمرداً على ربه عاصياً له؛ لأنه هو الذي أمرهم بعبادة الأوثان.

﴿١١٨﴾ ولذلك طرده الله من رحمته. وقال هذا الشيطان لربه حالفاً: لأجعلن لي من عبادك نصيباً معلوماً أغويهم عن الحق.

﴿١١٩﴾ ولأصدنهم عن صراطك المستقيم، ولأمنينهم بالوعود الكاذبة التي تزين لهم ضلالهم، ولأمرنهم بتقطع أذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأمرنهم بتغيير خلق الله وفطرته، ومن يتخذ الشيطان ولياً يتولاه ويطيعه فقد خسر خسراناً بيناً بموالة الشيطان الرحيم.

﴿١٢٠﴾ يعدهم الشيطان الوعود الكاذبة، ويمنينهم الأمانى الباطلة، وما يعدهم في الواقع إلا باطلاً لا حقيقة له. أولئك المتبعون لخطوات الشيطان وما يمليه عليهم مستقرهم نار جهنم لا يجدون عنها مهرباً يلجؤون إليه.

﴿١٢١﴾ فَوَاوِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أكثر تناجي الناس لا خير فيه، بل ربما كان فيه وزر، وقليل من كلامهم فيما بينهم يتضمن خيراً ومعروفاً.

٢ - معاندة الرسول ﷺ ومخالفة سبيل المؤمنين نهايتها البعد عن الله، ودخول النار.

٣ - كل الذنوب تحت مشيئة الله، فقد يُغفر لصاحبها إلا الشرك، لا يغفره الله أبداً.

٤ - غاية الشيطان صرف الناس عن عبادة الله تعالى، ومن أعظم وسائله تزيين الباطل بالأمانى الغرارة والوعود الكاذبة.

ولما ذكر الله جزاء أتباع الشيطان ذكر جزاء أتباع الرسل فقال:

﴿١٣٦﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة المقربة إليه سندخلهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، وعداً من الله، ووعدته تعالى حق، فهو لا يخلف الميعاد، ولا أحد أصدق من الله قولاً.

﴿١٣٧﴾ ليس أمر النجاة والفوز تابعاً لما تتمنون - أيها المسلمون - أو لما يتمناه أهل الكتاب، بل الأمر تابع للعمل، فمن يعمل منكم عملاً سيئاً يجاز به يوم القيامة، ولا يجد له من دون الله ولياً يجلب له النفع، ولا نصيراً يدفع عنه الضر.

﴿١٣٨﴾ ومن يعمل من الأعمال الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن بالله تعالى حقاً فأولئك الذين جمعوا بين الإيمان والعمل يدخلون الجنة، ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولو كان شيئاً قليلاً قدر النقرة التي تكون في ظهر نواة التمر.

﴿١٣٩﴾ ولا أحد أحسن ديناً ممن استسلم لله ظاهراً وباطناً، وأحسن في عمله، واتبع دين إبراهيم الذي هو أصل دين محمد ﷺ ماثلاً عن الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ
اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٣٦﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٧﴾ وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٣٨﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٣٩﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطًا ﴿١٤٠﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ
الَّتِي لَا تَوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّعُونَ أَنْ تَكَوْهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقَوْمُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَالِمًا ﴿١٤١﴾

واصطفى الله نبيه إبراهيم ﷺ خليلاً من بين سائر خلقه.

﴿١٤٠﴾ والله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، وكان الله محيطاً بكل شيء من خلقه علماً وقدرة وتديراً.

﴿١٤١﴾ ويسألونك - أيها الرسول - في أمر النساء وما يجب لهن وعليهن، قل: الله يبين لكم ما سألتكم عنه، ويبين لكم ما يتلى عليكم في القرآن، في شأن اليتامى من النساء اللاتي تحت ولايتكم، ولا توتونهن ما فرض الله لهن من المهر أو الميراث، ولا ترغبون في نكاحهن، وتمنعونهن من النكاح طمعاً في أموالهن، ويبين لكم ما يجب في المستضعفين من الصغار، من إعطائهم حقهم من الميراث، وأن لا تظلموهم بالاستيلاء على أموالهم، ويبين لكم وجوب القيام على اليتامى بالعدل بما يصلح شأنهم في الدنيا والآخرة، وما تفعلوا من خير لليتامى وغيرهم فإن الله عليم به، وسيجازيكم به.

﴿١٤٢﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - ما عند الله من الثواب لا يُنال بمجرد الأمانى والدعاوى، بل لا بد من الإيمان والعمل الصالح.
- ٢ - الجزاء من جنس العمل، فمن يعمل سوءاً يُجز به، ومن يعمل خيراً يُجز بأحسن منه.
- ٣ - الإخلاص والاتباع هما مقياس قبول العمل عند الله تعالى.
- ٤ - عظم الإسلام حقوق الفئات الضعيفة من النساء والصغار، فحرم الاعتداء عليها، وأوجب رعاية مصالحها في ضوء ما شرع.

﴿١٧٨﴾ وإن امرأة خافت من زوجها ترفعاً عنها وعدم رغبة فيها فلا إثم عليهما أن يتصالحا بأن تنازل عن بعض الحقوق الواجبة لها كحق النفقة والمبيت، والصلح هنا خير لهما من الطلاق، وقد جُبلت النفوس على الحرص والبخل، فلا ترغب في التنازل عما لها من حق، فينبغي للزوجين علاج هذا الخلق بتربية النفس على التسامح والإحسان، وإن تحسنا في كل شؤونكم، وتتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه فإن الله كان بما تعملون خبيراً، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم به.

﴿١٧٩﴾ ولن تستطيعوا - أيها الأزواج - أن تعدلوا العدل التام مع الزوجات في الميل القلبي، ولو حرصتم على ذلك؛ بسبب ظروف ربما تكون خارجة عن إرادتكم، فلا تميلوا كل الميل عن التي لا تحبونها فتركوها مثل المعلقة لا هي ذات زوج يقوم بحققها، ولا غير ذات زوج فتتطلع للزواج، وإن تصلحوا ما بينكم بأن تحمِلوا أنفسكم على ما لا تهواه من القيام بحق الزوجة، وتتقوا الله فيها، فإن الله كان غفوراً رحيماً بكم.

﴿١٨٠﴾ وإن تفرق الزوجان بطلاق أو خلع يُعَنُّ الله كلاً منهما من فضله الواسع، فيغني الرجل بزواج خير له منها، ويغني المرأة بزواج خير لها منه، وكان الله واسع الفضل والرحمة، وتقديره.

﴿١٨١﴾ والله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض وملك ما بينهما، ولقد عهدنا إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعهدنا إليكم بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وإن تكفروا بهذا العهد فلن تضروا إلا أنفسكم، فالله غني عن طاعتكم، فله ملك ما في السماوات وما في الأرض، وهو الغني عن جميع خلقه، المحمود على جميع صفاته وأفعاله.

﴿١٨٢﴾ والله وحده ملك ما في السماوات وما في الأرض، المستحق أن يطاع، وكفى بالله قائماً بتدبير كل شؤون خلقه.

﴿١٨٣﴾ إن يشأ يهلككم - أيها الناس - ويأت بأخرين غيركم يطيعون الله ولا يعصونه، وكان الله على ذلك قديراً.

﴿١٨٤﴾ من كان منكم - أيها الناس - يريد بعمله ثواب الدنيا فقط، فليعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة، فيطلب ثوابها منه، وكان الله سميعاً لأقوالكم، بصيراً بأفعالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿١٨٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - استحباب المصالحة بين الزوجين عند المنازعة، وتغليب المصلحة بالتنازل عن بعض الحقوق لإدامة لعقد الزوجية.
- ٢ - أوجب الله تعالى العدل بين الزوجات خاصة في الأمور المادية التي هي في مقدور الأزواج، وتسامح الشرع حين يتعذر العدل في الأمور المعنوية، كالحب والميل القلبي.
- ٣ - لا حرج على الزوجين في الفراق إذا تعذرت العشرة بينهما.
- ٤ - الوصية الجامعة للخلق جميعاً أولهم وآخرهم هي الأمر بتقوى الله تعالى بامثال الأوامر واجتناب النواهي.

﴿١٢٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، كُونُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، مُؤَدِّينَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَوْ اقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ تُقْرَءُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِالْحَقِّ، أَوْ عَلَى وَالِدَيْكُمْ أَوْ الْأَقْرَبِينَ مِنْكُمْ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ فِقْرُ أَحَدٍ أَوْ غِنَاهُ عَلَى الشَّهَادَةِ أَوْ تَرْكِهَا، فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِمَا، فَلَا تَتَّبِعُوا الْأَهْوَاءَ فِي شَهَادَتِكُمْ لئَلَّا تَمِيلُوا عَنِ الْحَقِّ فِيهَا، وَإِنْ حُرِفْتُمْ الشَّهَادَةُ بِأَدَائِهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا، أَوْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ أَدَائِهَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.

﴿١٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اثْبَتُوا عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَبِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَبِالْكِتَابِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آذَوْا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٢٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِن كَرِهْتُمْ فَلَا تَمْسُكُوا بِهَا

﴿١٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ، بِأَنْ دَخَلُوا فِي الْإِيْمَانِ ثُمَّ ارْتَدَوْا عَنْهُ، ثُمَّ دَخَلُوا فِيهِ، ثُمَّ ارْتَدَوْا عَنْهُ، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ؛ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَلَا لِيُوفِّقَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمُوصِلِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

﴿١٢٨﴾ بَشِّرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيْمَانَ، وَيُظْهِرُونَ الْكُفْرَ، بِأَنْ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابًا مُؤَلِمًا.

﴿١٢٩﴾ هَذَا الْعَذَابُ لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا الْكُفْرَانَ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ لَعَجِبٌ ذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَازُونَهِمْ، أَبْطَلِبُونَ عِنْدَهُمُ النَّصْرَةَ وَالْمَنْعَةَ؟! فَالنَّصْرَةُ وَالْمَنْعَةُ هِيَ لِلَّهِ جَمِيعًا، وَمَنْهُ سَبْحَانَهُ.

﴿١٣٠﴾ وَقَدْ نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنْكُمْ إِذَا جَلَسْتُمْ فِي مَجْلِسٍ وَسَمِعْتُمْ فِيهِ مِنْ يَكْفُرِ بآيَاتِ اللَّهِ وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا؛ فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ تَرْكُ الْقُعُودِ مَعَهُمْ وَالانْتِصَافَ عَنْ مَجَالَسَتِهِمْ، حَتَّى يَتَحَدَّثُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الْكُفْرِ بآيَاتِ اللَّهِ وَالاسْتَهْزَاءِ بِهَا، إِنَّكُمْ إِذَا جَلَسْتُمْ مَعَهُمْ حَالَ الْكُفْرِ بآيَاتِ اللَّهِ وَالاسْتَهْزَاءِ بِهَا بَعْدَ سَمَاعِكُمْ ذَلِكَ مِثْلَهُمْ فِي مَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ؛ لِأَنَّكُمْ عَصَيْتُمْ اللَّهَ بِجُلُوسِكُمْ كَمَا عَصَا اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ سَيَجْمَعُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَيُضْمِرُونَ الْكُفْرَ، وَالْكَافِرِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعًا.

﴿١٣١﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - وَجُوبُ الْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَعِنْدَ آدَاءِ الشَّهَادَةِ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْحَقُّ عَلَى النَّفْسِ أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْقَرَابَةِ.
- ٢ - عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي فِعْلِ مَا يَزِيدُ إِيْمَانَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ، وَيُثَبِّتَهُ فِي قَلْبِهِ.
- ٣ - عَظُمَ خَطَرُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَلِهَذَا فَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ بِأَشَدِّ الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ.
- ٤ - إِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُؤْمِنُ الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَشَرَعَهُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ الْجُلُوسُ مَعَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ.

﴿١٤١﴾ الذين ينتظرون ما يحصل لكم من خير أو شر، فإن كان لكم نصر من الله وغنمتم قالوا: ألم نكن معكم، شهدنا ما شهدتم؟! لينالوا من الغنيمة، وإن كان للكافرين حظ قالوا لهم: ألم نحكمكم وندافع عنكم ونمنعكم من المؤمنين بإعتكم وتذليلهم؟! فالله يحكم بينكم جميعاً يوم القيامة، فيجازي المؤمنين بدخول الجنة، ويجازي المنافقين بدخول الدرك الأسفل من النار، ولن يجعل الله بفضل الكافرين تسليطاً على المؤمنين، بل سيجعل العقاب لهم.

﴿١٤٢﴾ إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإسلام وإضمار الكفر، وهو خادعهم؛ لأنه عصم دماهم مع علمه بكفرهم، وأعد لهم أشد العقوبة في الآخرة، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى كارهين لها، ولا يذكرون الله إلا قليلاً إذا رأوا المؤمنين.

﴿١٤٣﴾ هؤلاء المنافقون مترددون في حيرة، فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا مع الكافرين، بل ظاهرهم مع المؤمنين وباطنهم مع الكافرين، ومن يضل الله فلن تجد له - أيها الرسول - طريقاً لهديته من الضلال.

﴿١٤٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، لا تتخذوا الكافرين بالله أصدقاء توالونهم من

الَّذِينَ يَرَبِّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
 إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

دون المؤمنين، أريدون بفعلكم هذا أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة دالة على استحقاقكم العقاب؟ ﴿١٤٥﴾ إن المنافقين سيجعلهم الله في المكان الأسفل من النار يوم القيامة، ولن تجد لهم نصيراً يدفع عنهم العذاب.

﴿١٤٦﴾ إلا الذين رجعوا إلى الله بالتوبة من نفاقهم، وأصلحوا باطنهم، وتمسكوا بعهد الله، وأخلصوا عملهم لله بلا رياء، فأولئك المتصفون بهذه الصفات مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثواباً جزيلاً.

﴿١٤٧﴾ لا حاجة لله في تعذيبكم إن شكرتم له وآمنتم به، فهو تعالى البر الرحيم، وإنما يعذبكم بذنوبكم، فإن أصلحتهم العمل، وشكرتموه على نعمه، وآمنتم به ظاهراً وباطناً فلن يعذبكم، وكان الله شاكراً لمن اعترف بنعمه، عليماً بإيمان خلقه، وسيجازي كلأ بعمله.

﴿١٤٨﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان صفات المنافقين، ومنها: حرصهم على حظ أنفسهم سواء كان مع المؤمنين أو مع الكافرين.
- ٢ - أعظم صفات المنافقين تَذْبُذِبُهُمْ وحيرتهم واضطرابهم، فلا هم مع المؤمنين حقاً ولا مع الكافرين.
- ٣ - النهي الشديد عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.
- ٤ - أعظم ما يتقي به المرء عذاب الله تعالى في الآخرة هو الإيمان والعمل الصالح.

﴿١٤٨﴾ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً ﴿١٤٩﴾ إن بُدُوا خيراً أو تُخْفُوا أو تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٣﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٤﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٥﴾

﴿١٤٨﴾ لا يحب الله الجهر بالسوء، بل يبغضه ويتوعد عليه، لكن من ظلم جاز له أن يجهر بقول السوء؛ للشكاية من ظالمه والدعاء عليه ومجازاته بمثل قوله، لكن صبر المظلوم أولى من جهره بالسوء، وكان الله سميعاً لأقوالكم، عليماً بنياتكم، فاحذروا قول السوء أو قصده.

﴿١٤٩﴾ إن تظهروا أي خبير قولي أو فعلي، أو تستروه، أو تتجاوزوا عن أساء إليكم؛ فإن الله كان عفواً قديراً، فليكن العفو من أخلاقكم، لعل الله أن يعفو عنكم.

﴿١٥٠﴾ إن الذين يكفرون بالله ويكفرون برسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله وبين رسله بأن يؤمنوا به، ويكذبوا بهم، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكذب ببعضهم، ويريدون أن يتخذوا طريقاً بين الكفر والإيمان يتوهمون أنها تنجيهم.

﴿١٥١﴾ أولئك الذين يسلكون هذا المسلك في الإيمان هم الكافرون حقاً، ذلك أن من كفر بالرسل أو ببعضهم فقد كفر بالله وبرسله، وأعدنا للكافرين عذاباً محزناً لهم يوم القيامة، عقاباً لهم على تكبرهم عن الإيمان بالله وبرسله.

﴿١٥٢﴾ ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر بعده جزاء المؤمنين فقال:

﴿١٥٣﴾ والذين صدقوا بالله ووحدوه، ولم يشركوا به أحداً، وصدقوا برسله جميعاً، ولم يفرقوا بين أحد منهم كما يفعله الكافرون، بل آمنوا بهم جميعاً؛ أولئك سوف يعطيهم الله أجراً عظيماً جزاء إيمانهم وأعمالهم الصالحة التابعة منه، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

﴿١٥٤﴾ يسألك - أيها الرسول - اليهود أن تنزل عليهم كتاباً من السماء جملة واحدة كما وقع لموسى، يكون علامة لصدقك، فلا تستعظم منهم ذلك، فقد سأل أسلافهم موسى أعظم مما سألك هؤلاء، حيث سأله أن يريهم الله جهاراً، فصعقوا عقاباً لهم على ما ارتكبوه، ثم أحياهم الله، فعبدوا العجل من دون الله من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله وتفردة بالربوبية والألوهية، ثم تجاوزنا عنهم، وأعطينا موسى حجة واضحة على قومه.

﴿١٥٥﴾ ورفعنا فوقهم الجبل بسبب أخذ العهد المؤكد عليهم تخويماً ليعملوا بما فيه، وقلنا لهم بعد رفعه: ادخلوا باب بيت المقدس سُجَّداً بانحناء الرؤوس، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقلنا لهم: لا تعدوا بالإقدام على الصيد يوم السبت، فما كان منهم إلا أن اعتدوا فاصطادوا، وأخذنا عليهم عهداً موثقاً شديداً بذلك، فنقضوا العهد المأخوذ عليهم.

﴿١٥٦﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ كَبِيرًا:

- ١ - يجوز للمظلوم أن يتحدث عن ظالمه وظالمه لمن يُرجى منه أن يأخذ له حقه، وإن قال ما لا يسر الظالم.
- ٢ - أن صبر المظلوم على الظلم أولى من جهره بالسوء، وجزاء ذلك المغفرة.
- ٣ - لا يجوز التفريق بين الرسل بالإيمان ببعضهم دون بعض، بل يجب الإيمان بهم جميعاً.
- ٥ - بيان مسالك اليهود في الكفر بالأنبياء بسؤالهم عن أمور تعجزية، ونقضهم المواثيق المأخوذة عليهم من رب العالمين.

﴿١٥٥﴾ فطرناهم من رحمتنا بسبب نقضهم العهد المؤكد عليهم، وبسبب كفرهم بآيات الله، وجراءتهم على قتل الأنبياء، ويقولهم لمحمد ﷺ: قلوبنا في غطاء، فلا تعي ما تقول، والأمر ليس كما قالوا، بل ختم الله على قلوبهم فلا يصل إليها خير، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا ينفعهم.

﴿١٥٦﴾ وطرناهم من الرحمة بسبب كفرهم، وبسبب رميهم مريم ﷺ بالزنا زوراً وبهتاناً.

﴿١٥٧﴾ ولعناهم بقولهم مفتخرين كذباً: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلاً ألقى الله شبه عيسى عليه وصلبوه، فظنوا أن المقتول عيسى ﷺ. والذين ادعوا قتله من اليهود، والذين أسلموه إليهم من النصارى كلاهما في حيرة من أمره وشك، فليس لهم به علم، وإنما يتبعون الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وما قتلوا عيسى، وما صلبوه قطعاً.

﴿١٥٨﴾ بل نجاه الله من مكربهم، ورفع الله بجسمه وروحه إليه، وكان الله عزيزاً في ملكه، لا يغالبه أحد، حكيماً في تدبيره وقضائه وشرعه.

﴿١٥٩﴾ وما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمّن بعيسى ﷺ بعد نزوله آخر الزمان وقبل موته، ويوم القيامة يكون عيسى ﷺ شاهداً على أعمالهم؛ ما يوافق الشرع منها وما يخالف.

﴿١٦٠﴾ فسبب ظلم اليهود حرماناً عليهم بعض المأكّل الطيبة التي كانت حلالاً لهم، فحرمانا عليهم كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرمانا عليهم شحومهما، وبسبب صدهم أنفسهم وصددهم غيرهم عن سبيل الله، حتى صار الصد عن الخير سجية لهم.

﴿١٦١﴾ وبسبب تعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عن تناوله، وبسبب أخذ أموال الناس بغير حق شرعي، وأعدنا للكافرين منهم عذاباً موجعاً.

ولما ذكر مثالب أهل الكتاب ذكر الطيبين منهم فقال:

﴿١٦٢﴾ لكنّ الثابتون المتمكنون في العلم من اليهود والمؤمنون يُصدّقون بما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من القرآن، ويصدّقون بما أنزل من الكتب كالتوراة والإنجيل على من قبلك من الرسل، ويقومون الصلاة، ويعطون زكاة أموالهم، ويصدقون بالله إلهاً واحداً لا شريك له، ويصدقون بيوم القيامة، أولئك المتصفون بهذه الصفات سنعطيهم ثواباً عظيماً.

﴿١٦٣﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - طرد اليهود من رحمة الله ولعنهم جزاء لمخالفتهم وكفرهم، وقتلهم الأنبياء.
- ٢ - الختم على القلوب سبب لحرمانها من الفهم.
- ٣ - بيان عداوة اليهود لنبى الله عيسى ﷺ، حتى إنهم وصلوا لمحاولة قتله.
- ٤ - تكذيب الله تعالى لادعاء اليهود في تمكّنهم من قتل المسيح، وبيان أن المقتول كان رجلاً ألقى عليه شبه المسيح.
- ٥ - بيان جهل وخيرة النصارى في مسألة الصلب، وتعاملهم فيها بالظنون الفاسدة.
- ٦ - بيان فضل العلم، فإن من أهل الكتاب من هو متمكن في العلم حتى أدى به تمكّنه هذا للإيمان بالنبى محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿١١٣﴾ إنا أوحينا إليك - أيها الرسول - كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك، فلست بدعاً من الرسل، فقد أوحينا إلى نوح، وأوحينا إلى الأنبياء الذين جاؤوا من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم، وإلى ابنه: إسماعيل وإسحاق، وإلى يعقوب بن إسحاق، وإلى الأسباط، (وهم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من أبناء يعقوب ﷺ)، وأعطينا داود كتاباً هو الزبور.

﴿١١٤﴾ وأرسلنا رسلاً قصصناهم عليك في القرآن، وأرسلنا رسلاً لم نقصصهم عليك فيه، وتركنا ذكرهم فيه لحكمة، وكلم الله موسى - دون وساطة - تكليماً يليق به ﷺ تكريماً لموسى .

﴿١١٥﴾ أرسلناهم مبشرين بالثواب الكريم من آمن بالله، ومخوفين من كفر به من العذاب الاليم، حتى لا تكون للناس حجة على الله بعد إرسال الرسل يعتذرون بها، وكان الله عزيزاً في ملكه حكيمًا في قضائه .

﴿١١٦﴾ إن كان اليهود يكفرون بك فإن الله يشهد بصحة ما أنزل إليك - أيها الرسول - من القرآن، أنزل فيه علمه الذي أراد أن يُطْلِعَ العباد عليه مما يحبه ويرضاه أو يكرهه ويأباه، والملائكة يشهدون بصدق ما جئت به مع شهادة الله، وكفى بالله شهيداً، فشهادته كافية عن شهادة غيره .

﴿١١٣﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَأَلْسَابِطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَدْنَانَ دَاوُدَ زُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا
﴿١١٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ
وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١١٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ
الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢٠﴾

﴿١١٧﴾ إن الذين كفروا بنبوتك، وصدوا الناس عن الإسلام قد بُعدوا عن الحق بُعداً شديداً .

﴿١١٨﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسله، وظلموا أنفسهم ببقائهم على الكفر، لم يكن الله ليغفر لهم ما هم مصرون عليه من الكفر، ولا ليرشدهم إلى طريق تنجيهم من عذاب الله .

﴿١١٩﴾ إلا الطريق المؤدية إلى دخول جهنم ماكثين فيها دائماً، وكان ذلك على الله هيناً، فهو لا يعجزه شيء .

﴿١٢٠﴾ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالهدى ودين الحق من الله تعالى، فأمنوا بما جاءكم به يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة، وإن تكفروا بالله فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، فله ملك ما في السماوات، وله ملك ما في الأرض وما بينهما، وكان الله عليماً بمن يستحق الهداية فييسرها له، وبمن لا يستحقها فيُعْميها عنها، حكيمًا في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

﴿١﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - إثبات النبوة والرسالة في شأن نوح وإبراهيم وغيرهم من ذرياتهم .
- ٢ - هناك رسل آخرون غير الذين ذكرهم القرآن الكريم، وقد ترك القرآن ذكر قصصهم وأخبارهم لحكمة يعلمها ﷺ .
- ٣ - إثبات صفة الكلام لله تعالى على وجه يليق بذاته وجلاله، فقد كلم الله تعالى نبيه موسى ﷺ .
- ٤ - تسلية النبي محمد عليه الصلاة والسلام ببيان أن الله تعالى يشهد على صدق دعواه في كونه نبياً، وكذلك تشهد الملائكة .

١٧٦ قل - أيها الرسول - للنصارى أهل الإنجيل: لا تتجاوزوا الحد في دينكم، ولا تقولوا على الله في شأن عيسى ﷺ إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله بالحق، خلقه بكلمته التي أرسل بها جبريل ﷺ إلى مريم، وهي قوله: كُنْ، فكان، وهي نفخة من الله نفخها جبريل بأمر من الله، فأمنوا بالله ورسله جميعاً دون تفريق بينهم، ولا تقولوا: الآلهة ثلاثة، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة الفاسدة يكن انتهاؤكم عنها خيراً لكم في الدنيا والآخرة، إنما الله إله واحد تنزه عن الشريك وعن الولد، فهو غني، له ملك السموات وملك الأرض وملك ما فيهما، وكفى بالله وكيلًا على تدبير شأن خلقه.

١٧٧ لن يتكبر، ولن يأنف عيسى ابن مريم أن يكون عبداً لله، ولن يأنف الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أن يكونوا عبيداً لله، فكيف تتخذون عيسى إلهاً؟! وكيف يتخذ المشركون الملائكة آلهة؟! ومن يأنف عن عبادة الله، ويرتفع عنها فإن الله سيحشر الجميع إليه يوم القيامة، ويجازي كلًّا بما يستحق.

ولما بين أن الجميع سيحشره الله إليه فضل جزاءهم في قوله:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ بِالْقَوْلِ الْإِنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدِ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَتِ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٧٦ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ١٧٧ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٧٨ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ١٧٩ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ١٨٠

١٧٧ فأما الذين آمنوا بالله وصدقوا برسله، وعملوا الأعمال الصالحات مخلصين لله عاملين وفق ما شرع، فسيعطيهم ثواب أعمالهم غير منقوص، وسيزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، وأما الذين أنفوا عن عبادة الله وطاعته، وترفعوا تكبراً فيعذبهم عذاباً موجعاً، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم فيجلب لهم النفع، ولا من ينصرهم فيدفع عنهم الضر.

١٧٨ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم واضح وحجة جلية تقطع العذر، وتزيل الشبهة، وأنزلنا إليكم ضياءً واضحاً، وهو هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

١٧٩ فأما الذين آمنوا بالله وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيرحمهم الله بدخول الجنة، ويزيدهم ثواباً ورفع درجات، ويوفقهم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الموصل إلى جنات عدن.

فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

١ - بيان أن المسيح بشر وأن أمه كذلك، وأن الضالين من النصارى غلوا فيهما حتى أخرجوهما من حد البشرية.

٢ - بيان بطلان شرك النصارى القائلين بالثلاث، وتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك أو شبيه أو مقارب، وبيان انفراده - سبحانه - بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات.

٣ - إثبات أن عيسى ﷺ والملائكة جميعهم عباد مخلوقون لا يستكبرون عن الاعتراف بعبوديتهم لله تعالى والانقياد لأوامره، فكيف يسوغ اتخاذهم آلهة مع كونهم عبيداً لله تعالى!؟

﴿١٧٦﴾ يسألونك - أيها الرسول - أن تفتيهم بشأن ميراث الكلاله، وهو من يموت ولم يترك أباً ولا ولداً، قل الله يبين الحكم بشأنها: إن مات شخص ليس له والد ولا ولد، وله أخت شقيقة أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من المال فرضاً، وأخوه الشقيق أو لأب يرث ما ترك من مال تعصيباً إن لم يكن معه صاحب فرض، فإن كان معه صاحب فرض ورث الباقي بعده، فإن تعددت الأخوات الشقيقات أو لأب، بأن كانتا اثنتين فأكثر ورثنا أو ورثن الثلثين فرضاً، وإن كان الإخوة الأشقاء أو لأب فيهم الذكور والإناث ورثوا بالتعصيب تبعاً لقاعدة: (للذكر مثل حظ الأنثيين) بأن يُصعَّف نصيب الذكر منهم على نصيب الأنثى. يبين الله لكم حكم الكلاله وغيره من أحكام الميراث حتى لا تضلوا في أمرها، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

— مَدَنِيَّة —

﴿١﴾ مقصد السورة:

الوفاء بالعقود والتزام الشرائع والحدود وإكمال الدين.

﴿٢﴾ التفسيـر:

﴿١﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بشره أتموا العهود الموثقة بينكم وبين خالقكم من الإيمان به والعمل بما جاء به

رسوله، وأتموا العهود الموثقة بينكم وبين خلقه في البيع والنكاح وغيرهما، وقد أحل الله لكم رحمة بكم بهيمة الأنعام: (الإبل، والبقر، والغنم) إلا ما يُقرَأ عليكم تحريمه، وإلا ما حَرَّمَ عليكم من الصيد البري في حال الإحرام بحج أو عمرة، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وفق حكمته، فلا مُكرَهَ له، ولا معترض على حكمه.

﴿٢﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بشره لا تستحلوا حرمات الله التي أمركم بتعظيمها، وكفوا عن محظورات الإحرام: كلبس المخيط، وعن محرّمات الحَرَم كالصيد، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم، وهي (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب)، ولا تستحلوا الهدى بغضب ونحوه، أو منَع من وصوله إلى محله، ولا تستحلوا المُقَلَّد منه للإشعار بأنه هدي، ولا تستحلوا قاصدي بيت الله الحرام يطلبون ربح التجارة ومرضاة الله، وإذا حللتم من الإحرام بحج أو عمرة، وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنكم بغض قوم لصددهم لكم عن المسجد الحرام على الجور وترك العدل فيهم، وتعاونوا - أيها المؤمنون - على فعل ما أمرتكم به، وترك ما نهيتكم عنه، وخافوا الله بالتزام طاعته والبعد عن معصيته، إن الله شديد العقاب لمن عصاه، فاحذروا من عقابه.

﴿٣﴾ فَوَازِل مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان حكم الكلاله وأحواله في الميراث، ومن يرثه، وتبعاً لذلك: بيان أنصبة الوارثين المتولدة عن كل حالة.
- ٢ - الأصل هو جُلُّ الأكل من كل بهيمة الأنعام، سوى ما خصه الدليل بالتحريم، أو ما كان صيداً يعرض للمحرم في حجه أو عمرته.
- ٣ - النهي عن استحلال المحرمات، ومنها: محظورات الإحرام، والصيد في الحرم، والقتال في الأشهر الحرم، واستحلال الهدى بغضب ونحوه، أو منَع وصوله إلى محله.
- ٤ - إباحة الصيد بعد التحلل من الإحرام بحج أو عمرة، وبعد الخروج من الحرم.

﴿٣﴾ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَا مَاتَ مِنْ حَيَوَانَ دُونَ ذِكَاةٍ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الدَّمَ الْمَسْفُوحَ، وَلَحْمَ الْخَنْزِيرِ، وَمَا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمٌ غَيْرَ اسْمِ اللهِ عِنْدَ الذَّبْحِ، وَالْمَيْتَةَ بِالْخَنْقِ، وَالْمَيْتَةَ بِالضَّرْبِ، وَالسَّاقِطَةَ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ، وَالْمَيْتَةَ بِنَطْحِ غَيْرِهَا لَهَا، وَمَا افْتَرَسَهُ سَبْعٌ مِثْلُ الْأَسَدِ وَالنَّمْرِ وَالذَّبِّ، إِلَّا مَا أَدْرَكْتُمُوهُ حَيًّا مِنْ الْمَذْكُورَاتِ وَذَكَيْتُمُوهُ، فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا كَانَ ذَبْحَهُ لِلْأَصْنَامِ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا عِلْمَ الْمَقْسُومِ لَكُمْ أَوْ غَيْرِ الْمَقْسُومِ بِالْأَزْلَامِ، وَهِيَ قِدَاحٌ يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا إِذَا أَرَادُوا أَمْرًا قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، فِعْلُ تِلْكَ الْمَحْرَمَاتِ الْمَذْكُورَةِ خُرُوجٌ عَنِ طَاعَةِ اللهِ، الْيَوْمَ يَبْسُ الْذِينَ كَفَرُوا مِنْ ارْتِدَادِكُمْ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ لَمَّا رَأَوْا مِنْ قُوَّتِهِ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي وَحْدِي، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ، وَاخْتَرْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا، فَلَا أَقْبَلُ دِينًا غَيْرَهُ، فَمَنْ أَلْحَى سَبَبَ مَجَاعَةٍ إِلَى الْأَكْلِ مِنَ الْمَيْتَةِ غَيْرَ مَائِلٍ لِلْإِثْمِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

ولما ذكر الله ما حرم أكله ذكر ما أباح أكله، فقال:

﴿٤﴾ يسألك - أيها الرسول - صحابتك ماذا أحل الله لهم أكله؟ قل - أيها الرسول -:

أحل الله لكم أكل ما طاب من المأكَل، وأكل ما صادته المدربيات من ذوات الأنياب كالكلاب والفهود، وذوات المخالب كالصقور، تعلمونها الصيد مما من الله عليكم به من العلم بأدابه، حتى صارت إذا أمرت ائتمرت، وإذا رجرت ازدرجت، فكلوا مما أمسكته من الصيد ولو قتلته، واذكروا اسم الله عند إرسالها، واتقوا الله بامتثال أوامره، والكف عن نواهيه، إن الله سريع الحساب.

﴿٥﴾ اليوم أحل الله لكم أكل المستلذات، وأكل ذبائح أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأحل ذبائحكم لهم، وأحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، والحرائر العفائف من الذين أعطوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهن مهورهن، وكنتم متعطفين عن ارتكاب الفاحشة غير متخذين عشيقات ترتكبون الزنا معهن، ومن يكفر بما شرعه الله لعباده من الأحكام فقد بطل عمله لفقد شرطه الذي هو الإيمان، وهو يوم القيامة من الخاسرين لدخوله النار خالدًا فيها مخلدًا.

﴿٦﴾ فوالله من الآيات:

١ - تحريم ما مات دون ذكاة، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذكّر عليه اسم غير اسم الله عند الذبح، وكل ميت خنقًا، أو ضربًا، أو بسقوط من علو، أو نطحًا، أو افتراسًا من وحش، ويُسْتثنى من ذلك ما أدرك حيًا وذكي بذبح شرعي.

٢ - حل ما صاده كل مدرب ذي ناب أو ذي مخلب.

٣ - إباحة ذبائح أهل الكتاب، وإباحة نكاح حرائرهم من العفيفات.

﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَ لَهُمْ، إِذَا أُرِدْتُمْ الْقِيَامَ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ، وَكُنْتُمْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَصْغَرَ فَتَوَضَّؤُوا بِأَنْ تَغْسِلُوا وَجُوهَكُمْ، وَتَغْسِلُوا أَيْدِيَكُمْ مَعَ مِرَافِقَيْهَا، وَتَمْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ، وَتَغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ مَعَ الْكَعْبَيْنِ النَّاتِيَيْنِ بِمَفْصَلِ السَّاقِ، وَإِنْ كُنْتُمْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَكْبَرَ فَاغْتَسَلُوا، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى تَخَافُونَ مِنْ زِيَادَةِ الْمَرَضِ أَوْ تَأْخُرُ بُرُؤُهُ، أَوْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ فِي حَالِ صِحَّةٍ، أَوْ كُنْتُمْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَصْغَرَ بِقَضَاءِ الْحَاجَةِ مَثَلًا، أَوْ مُحَدِّثِينَ حَدَثًا أَكْبَرَ بِمَجَامِعَةِ النِّسَاءِ، وَلَمْ تَجِدُوا مَاءً بَعْدَ الْبَحْثِ عَنْهُ لِتَنْظُرُوا بِهِ فَاقْصِدُوا وَجْهَ الْأَرْضِ، وَاضْرِبُوهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَامْسَحُوا وَجُوهَكُمْ وَامْسَحُوا بِأَيْدِيكُمْ مِنْهُ، مَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْكُمْ ضَيْقًا فِي أَحْكَامِهِ بِأَنْ يُلْزِمَكُمْ اسْتِعْمَالَ الْمَاءِ الْمُؤَدِّيَ إِلَى ضَرْبِكُمْ، فَشَرَعَ لَكُمْ بَدِيلًا عَنْهُ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ لِمَرَضٍ أَوْ لِفَقْدِ الْمَاءِ إِتِمَامًا لِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَكْفُرُونَهَا.

﴿٧﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالْهِدَايَةِ لِلْإِسْلَامِ، وَاذْكُرُوا عَهْدَهُ الَّذِي عَاهَدَكُمْ عَلَيْهِ حِينَ قُلْتُمْ لِمَا بَايَعْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنَشَطِ وَالْمَكْرَهِ: سَمِعْنَا قَوْلَكَ وَأَطَعْنَا أَمْرَكَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ - وَمِنْهَا عَهْدُهُ - وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الْقُلُوبِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، كُونُوا قَائِمِينَ بِحَقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مَبْتَغِينَ بِذَلِكَ وَجْهَهُ، وَكُونُوا شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ لَا بِالْجَوْرِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ، فَالْعَدْلُ مَطْلُوبٌ مَعَ الصِّدْقِ وَالْعَدْوِ، فَاعْدِلُوا مَعَهُمَا، فَالْعَدْلُ أَقْرَبُ إِلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالْجَوْرُ أَقْرَبُ إِلَى الْجِسَارَةِ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ - الَّذِي لَا يَخْلِفُ الْمِيْعَادَ - الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ بِالْمَغْفِرَةِ لِذُنُوبِهِمْ، وَبِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ وَهُوَ دُخُولُ الْجَنَّةِ.

﴿١٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأصل في الطهارة هو استعمال الماء بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر.
- ٢ - في حال تعذر الحصول على الماء، أو تعذر استعماله لمرض مانع أو برد قارس يشرع التيمم (بالتراب) لرفع حكم الحدث (الأصغر أو الأكبر).
- ٣ - الأمر بتوخي العدل واجتناب الجور حتى في معاملة المخالفين.

﴿١٠﴾ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياته، أولئك هم أصحاب النار الذين يدخلونها عقوبة على كفرهم وتكذيبهم، ملازمين لها كما يلزم الصاحب صاحبه.

﴿١١﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم ما أنعم الله به عليكم من الأمن وإلقاء الخوف في قلوب أعدائكم حين قصدوا أن يمدوا أيديهم إليكم ليطبشوا بكم ويفتكوا، فصرفهم الله عنكم وعصمكم منهم، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في تحصيل مصالحهم الدينية والدنيوية.

﴿١٢﴾ ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بما سيذكره قريباً، وأقام عليهم اثني عشر رئيساً، كل رئيس يكون ناظراً على من تحته، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بالنصر والتأييد إذا أدبتم الصلاة على الوجه الأكمل، وأعطيتم زكاة أموالكم، وصدقتم برسلي جميعاً دون تفريق بينهم، وعظمتموهم، ونصرتموهم، وأنفقتم في وجوه الخير، فإذا قمتم بذلك كله لأكفرن عنكم السيئات التي ارتكبتموها، ولأدخلنكم يوم القيامة جنات تجري من تحت قصورها

الأنهار، فمن كفر بعد أخذ هذا العهد الموثق عليه فقد تنكب طريق الحق عالمًا عامداً.

﴿١٣﴾ فبسبب نقضهم العهد المأخوذ عليهم طردناهم من رحمتنا، وصيرنا قلوبهم غليظة صلبة لا يصل إليها خير، ولا تنفعها موعظة، يُحَرِّفُونَ الكلم عن مواضعه بالتبديل لألفاظه، وبالتأويل لمعانيه بما يوافق أهواءهم، وتركوا العمل ببعض ما دُكِّرُوا به، ولا تزال - أيها الرسول - تكتشف منهم خيانة الله ولعباده المؤمنين، إلا قليلاً منهم وَقَوْا بما أخذ عليهم من عهد، فاعف عنهم ولا تؤاخذهم، واصفح عنهم؛ فإن ذلك من الإحسان، والله يحب المحسنين.

﴿١٤﴾ فَوَالَّذِينَ آتَيْنَا:

١ - عظيم إنعام الله ﷻ على النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه إذ حماهم وكف عنهم أيدي أهل الكفر وضررهم.

٢ - أن الإيمان بالرسول ونصرتهم وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على الوجه المطلوب سبب عظيم لحصول معية الله تعالى، وحدث أسباب النصر والتمكين والمغفرة ودخول الجنة.

٣ - نقض المواثيق الملزمة بطاعة الرسل سبب لغلظة القلوب وقساوتها.

٤ - ذم مسالك اليهود في تحريف ما أنزل الله إليهم من كتب سماوية.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْ كُرُوا نِعْمَتَ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ءَانِبَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ

فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ

إِنِّي مَعَكُمْ لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ

وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ

ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا

نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا

ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوهُمُ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
فَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ
كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ
سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿١٤﴾ وكما أخذنا على اليهود عهداً مؤكداً موثقاً
أخذنا على الذين رُكِّبوا أنفسهم بأنهم أتباع
عيسى عليه السلام، فتركوا العمل بجزء مما ذُكِّرُوا به،
كما فعل أسلافهم من اليهود، وألقينا بينهم
العداوة والبغضاء دائماً، فأصبحوا متقاتلين
متناحرين يُكْفِرُ بعضهم بعضاً، وسوف يخبرهم الله
بما كانوا يصنعون، ويجازيهم عليه.
ولما ذكر الله أهل الكتاب وما أخذ عليهم من
العهد، ونقضهم لها، أمرهم بالإيمان
بمحمد ﷺ، فقال:

﴿١٥﴾ يا أهل الكتاب من اليهود أصحاب
التوراة، والنصارى أصحاب الإنجيل، قد
جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين لكم الكثير مما
كنتم تكتمونه من الكتاب المنزل عليكم:
ويتجاوز عن كثير من ذلك مما لا مصلحة فيه إلا
افتضاحكم، قد جاءكم القرآن كتاباً من عند الله،
وهو نور يُسْتَضَاءُ به، وكتاب مبين لكل ما يحتاج
إليه الناس في شؤونهم الدنيوية والأخرية.

﴿١٦﴾ يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع ما يرضيه
من الإيمان والعمل الصالح طرق السلامة من
عذاب الله، وهي الطرق الموصلة إلى الجنة،
ويخرجهم من ظلمات الكفر والمعصية إلى
نور الإيمان والطاعة، ويوقفهم على الطريق
القوم المستقيم طريق الإسلام.

﴿١٧﴾ لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى ابن مريم، قل لهم - أيها الرسول -: من يقدر
أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم ويهلك أمه، ويهلك من في الأرض كلهم إذا أراد إهلاكهم؟!
وإذا لم يقدر أحد أن يمنعه من ذلك دل ذلك على أنه لا إله إلا الله، وأن الجميع: عيسى ابن مريم وأمهم
وسائر الخلق هم خلق الله، والله ملك السماوات والأرض وملك ما بينهما، يخلق ما يشاء، وممن شاء خلقه:
عيسى عليه السلام فهو عبده ورسوله، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فقد خلق آدم من غير أب ولا أم،
وخلق حواء من غير أم، وخلق عيسى من غير أب.

﴿١٨﴾ فَوَالَّذِينَ آتَيْنَا:

- ١ - ترك العمل بمواثيق الله وعهوده قد يوجب وقوع العداوة وإشاعة البغضاء والتنافر والتقاتل بين المخالفين
لأمر الله تعالى.
- ٢ - القرآن الكريم يهدي إلى سبل السلامة من النار، ويرشد لسبل دخول الجنة.
- ٣ - الرد على النصارى القائلين بأن الله تعالى تجسد في المسيح عليه السلام، وبيان كفرهم وضلال قولهم.
- ٤ - من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى إن أراد أن يهلك المسيح وأمهم ﷺ وجميع أهل الأرض فلن
يستطيع أحد رده، وهذا يثبت بشريتهم.
- ٥ - من أدلة بطلان ألوهية المسيح أن الله تعالى يشير لكونه «يخلق ما يشاء»، وهذا إشارة إلى أن خلقه عيسى
عليه الصلاة والسلام من غير أب ليس فيها دليل البتة على ألوهيته، فهو ليس بدعاً في الخلقة، بل هناك
من شأن خلقه أشد غرابة، فإن آدم عليه السلام مخلوق من قبله بلا أب ولا أم.

﴿١٨﴾ وقالت اليهود، وقالت النصارى كلٌّ عن نفسه ادعاء: نحن أبناء الله وأحباؤه، قل - أيها الرسول - ردًا عليهم: لماذا يعذبكم الله بالذنوب التي ترتكبونها؟! فلو كنتم أحباؤه كما زعمتم لما عذبكم بالقتل والمسوخ في الدنيا، وبالنار في الآخرة؛ لأنه لا يعذب من أحب، بل أنتم بشر كسائر البشر، من أحسن منهم جازاه بالجنة، ومن أساء عقابه بالنار، فالله يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله، والله وحده ملك السموات والأرض وملك ما بينهما، وإليه وحده المرجع.

﴿١٩﴾ يا أهل الكتاب من يهود ونصارى، قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ بعد انقطاع من الرسل وشدة الحاجة إلى إرساله؛ لئلا تقولوا معذرين: ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقابه، فقد جاءكم محمد ﷺ مبشرًا بثوابه ومنذرًا بعقابه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ومن قدرته إرسال الرسل، وختمهم بمحمد ﷺ.

﴿٢٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم، اذكروا بقلوبكم وألسنتكم نعمة الله عليكم حين جعل فيكم أنبياء يدعوكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكًا تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين

مُسْتَعْبِدِينَ، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالمين في زمانكم.

﴿٢١﴾ قال موسى: يا قوم، ادخلوا الأرض المطهرة: (بيت المقدس وما حوله) التي وعدكم الله بدخولها وقتل من فيها من الكافرين، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدنيا والآخرة.

﴿٢٢﴾ قال له قومه: يا موسى، إن في الأرض المقدسة قومًا أولي قوة وأولي بأس شديد، وهذا يمنعنا من دخولها، فلن ندخلها ما دام هؤلاء فيها؛ لأنه لا حول لنا ولا قوة بقتالهم، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

﴿٢٣﴾ قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه أنعم الله عليهما بالتوفيق لطاعته، يحضنان قومهما على امتثال أمر موسى ﷺ: ادخلوا على الجبابرة باب المدينة، فإذا اقتحمت الباب، ودخلتموه فإنكم - بإذن الله - ستغلبونهم وثوقًا بسنة الله بترتيب النصر على اتخاذ الأسباب من الإيمان بالله وإعداد الوسائل المادية، وعلى الله وحده اعتمدوا وتوكلوا إن كنتم مؤمنين حقًا، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا:

- ١ - تعذيب الله تعالى لكفرة بني إسرائيل بالمسوخ وغيره يوجب إبطال دعواهم في كونهم أبناء الله وأحباؤه.
- ٢ - التوكل على الله تعالى والثقة به سبب لاستئصال النصر.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دُمُوا فِيهَا فَادْهَبْ
 أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
 يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
 ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
 فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
 قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
 لِتُقْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
 رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُو أَبَائِنِي وَإِنَّمْ فَتَكُونَ
 مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ
 لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾
 فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى
 سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلُنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا
 الْغُرَابِ فَأُورِى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

قُرْبَانٍ مِنْ اتَّقَاهُ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ .

﴿٢٤﴾ قال قوم موسى من بني إسرائيل مُصْرِبِينَ
 على مخالفة أمر نبيهم موسى ﷺ: إنا لن ندخل
 المدينة ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت - يا
 موسى - وربك فقاتلا الجبارين، أما نحن
 فسنبقى قاعدين متخلفين عن القتال معكما .

﴿٢٥﴾ قال موسى لربه: يا رب لا سلطان لي
 على أحد إلا على نفسي وأخي هارون،
 فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك
 وطاعة رسولك .

﴿٢٦﴾ قال الله لنبيه موسى ﷺ: إن الله حرم
 دخول الأرض المقدسة على بني إسرائيل مدة
 أربعين سنة، يتيهون في الأرض حيارى لا
 يهتدون، فلا تأسف - يا موسى - على القوم
 الخارجين عن طاعة الله، فإن ما يصيبهم من
 عقاب هو بسبب معاصيهم وذنوبهم .

﴿٢٧﴾ واقصص - أيها الرسول - على هؤلاء
 الحسدة الظالمين من اليهود خبر ابني آدم،
 وهما قابيل وهابيل، بالصدق الذي لا مرية
 فيه، حين قَدَّمَا قُرْبَانًا يتقرب به كل منهما
 إلى الله سبحانه، فقبل الله القُرْبَانَ الذي قدمه
 هابيل؛ لأنه من أهل التقوى، ولم يقبل قربان
 قابيل؛ لأنه ليس من أهل التقوى، فاستنكر
 قابيل قبول قُرْبَانِ هابيل حسدًا، وقال:
 لأقتلنك يا هابيل، فقال هابيل: إنما يقبل الله

﴿٢٨﴾ لئن مَدَدْتُ يَدَكَ إِلَيَّ تَقْصِدُ قَتْلِي فَلَسْتُ مَجَازِيكَ بِمِثْلِ صَنِيعِكَ، ذَلِكَ لَيْسَ جَبْنًا مِنِّي، وَلَكِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْمَخْلُوقَاتِ .

﴿٢٩﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِي ظِلْمًا وَعَدْوَانًا إِلَى آثَامِكَ السَّابِقَةِ، فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَلَازِمُونَهَا، ذَلِكَ الْجَزَاءُ جِزَاءَ الْمُعْتَدِينَ، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَرْجِعَ بِإِثْمِ قَتْلِكَ فَأَكُونَ مِنْهُمْ .

﴿٣٠﴾ فَرِيضَتْ لِقَابِيلَ نَفْسُهُ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ قَتْلَ أَخِيهِ هَابِيلَ ظِلْمًا فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا دِنْيَاهُمْ وَأَخْرَجْتَهُمْ، فَقَدْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةٍ، فَعَلِيهِ وَزَرَاهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلِ بَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارٍ مِنْ تَأْسَى بِهِ شَيْئًا .

﴿٣١﴾ فَأَرْسَلَ اللَّهُ غُرَابًا يُشِيرُ الْأَرْضَ أَمَامَهُ لِيَدْفِنَ فِيهَا غُرَابًا مِيتًا؛ لِيَعْلَمَهُ كَيْفَ يَسْتَرُ بَدَنَ أَخِيهِ، فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ، وَالنَّدَامَةُ عَاقِبَةُ مَرْتَكِبِي الْمَعَاصِي .

﴿٣٢﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مخالفة الرسل توجب العقاب، كما وقع لبني إسرائيل إذ عاقبهم الله تعالى بالتيه .
- ٢ - قصة ابني آدم ظاهرها أن أول ذنب وقع في الأرض - في ظاهر القرآن - هو الحسد والبغي .
- ٣ - تحرّز ابن آدم المقتول بینه لضرورة التعفف عن الظلم والتنزه عن أن يلقي العبد ربه وقد سفك دمًا .
- ٤ - سفك الدماء بغير وجه حق يوجب الخسران .
- ٥ - أن من سنَّ سُنَّةً قبيحة أو أشاع قبيحًا وشجع عليه فإن له مثل سيئات من اتبعه على ذلك .

﴿٣٢﴾ من أجل قتل قابيل أخاه أعلمنا بني إسرائيل أن من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو إفساد في الأرض بالكفر أو الحِرَابَةِ فكأنما قتل الناس جميعاً؛ لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني. ومن امتنع عن قتل نفس حرمها الله تعالى معتقداً حرمة قتلها ولم يقتل؛ فكأنما أحيانا الناس جميعاً؛ لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعاً، ولقد جاءت بني إسرائيل رسلنا بالحجج الواضحة والبراهين الجليلة، ومع هذا فإن كثيراً منهم متجاوزون لحدود الله بارتكاب المعاصي، ومخالفة رسلهم.

﴿٣٣﴾ ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله، ويبازرونه بالعداوة والإفساد في الأرض بالقتل وأخذ الأموال وإخافة السبل إلا أن يُقتلوا من غير صلب، أو يقتلوا مع الصلب على خشبة ونحوها، أو تقطع يد أحدهم اليمنى مع الرجل اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، أو يغربوا في البلاد؛ ذلك العقاب لهم فضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿٣٤﴾ إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين من قبل قدرتكم - يا أولي الأمر - عليهم، فاعلموا أن الله غفور رحيم لهم بعد التوبة، رحيم بهم، ومن رحمته بهم إسقاط العقاب عنهم.

﴿٣٥﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، اتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، واطلبوا القرب منه بأداء ما أمركم به، والبعد عما نهاكم عنه، وجاهدوا الكفار ابتغاء مرضاته؛ لعلكم تنالون ما تطلبونه، وتُحِبُّون ما ترهبونه إذا قمتم بذلك.

﴿٣٦﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسوله، لو قُدِّرَ أن لكل منهم ملك ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدي نفسه به من عذاب الله يوم القيامة ما قُبِلَ منه ذلك الفداء، ولهم عذاب مٌوجِعٌ.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - مشروعية دفن الميت ومواراته التراب، وهي سنة علمها الله تعالى لبني آدم.
- ٢ - حرمة النفس البشرية، وأن من صانها وأحيها فكأنما فعل ذلك بجميع البشر، وأن من أتلف نفساً بشرية أو أذاها فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً.
- ٣ - عقوبة الذين يحاربون الله ورسوله ممن يفسدون بالقتل وانتهاج الأموال وقطع الطرق هي: قتل بلا صلب، أو مع صلب، أو قطع الأطراف من خلاف. أو بتغريبهم من البلاد على حسب ما صدر منهم.
- ٤ - توبة المفسدين من المحاربين وقاطعي الطريق قبل قدرة السلطان عليهم توجب العفو.
- ٥ - التأكيد على عدم قبول الفدية يوم القيامة - وإن كانت جميع ما في الأرض - ممن وجب عليهم عذاب جهنم.

٣٧ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
وأنى لهم ذلك؟! فلن يخرجوا منها، بل
سيبقون فيها دائماً، ولهم عذاب دائم.
ولما ذكر الله حكم من يجاهر بأخذ أموال
الناس بين حكم من يأخذها خفية وهو
السارق، فقال:

٣٨ والسارق والسارقة فاقطعوا أيها
الحكام - اليد اليمنى لكل منهما مجازاة لهما
وعقوبة من الله على ما ارتكبه من أخذ أموال
الناس بغير حق، وترهيباً لهما ولغيرهما،
والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في تقديره
وتشريعه.

٣٩ فمن تاب إلى الله من السرقة، وأصلح
عمله، فإن الله يتوب عليه تفضلاً منه، ذلك
أن الله غفور لذنوب من تاب من عباده،
رحيم بهم، لكن لا يسقط عنهم الحد بالتوبة
إذا وصل الأمر إلى الحكام.

٤٠ لقد علمت - أيها الرسول - أن الله له
ملك السماوات والأرض يتصرف فيهما بما
يشاء، وأنه يعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن
يشاء بفضله، إن الله على كل شيء قدير، لا
يعجزه شيء.

٤١ يا أيها الرسول، لا يحزنك الذين
يسارعون في إعلان الكفر بك وبما جئت به

من الوحي من المنافقين الذي يُظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر. ومن اليهود أناسٌ سمّعون للكذب، مقلدون
لزعمائهم الذين لم يأتوك إعراضاً منهم عنك، يُبدلون كلام الله في التوراة بما يوافق أهواءهم، يقولون
لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالفها فاحذروا منه، ومن يرد الله إضلاله من الناس
فلن تجد - أيها الرسول - من يدفع عنه الضلال ويهديه إلى سبيل الحق، أولئك المتصفون بهذه الصفات من
اليهود والمنافقين هم الذين لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة
عذاب عظيم، وهو عذاب النار.

﴿واذ من الآيات﴾:

- ١ - حكمة مشروعية حد السرقة: لردع السارق عن التعدي على أموال الناس، وتخويف من عداه من الوقوع
في مثل ما وقع فيه.
- ٢ - أن حد السرقة هو قطع اليد اليمنى.
- ٣ - قبول توبة السارق ما لم يبلغ السلطان، فإذا بلغ السلطان وجب الحكم، ولا يسقط بالتوبة.
- ٤ - يحسن بالداعية إلى الله أن لا يحمل همّاً وعملاً بسبب ما يحصل من بعض الناس من كفر ومكر وتآمر؛
لأن الله تعالى يبطل كيد هؤلاء.

﴿٤١﴾ هؤلاء اليهود كثيرو الاستماع للكذب، كثيرو الأكل للمال الحرام كالربا، فإن تحاكموا إليك - أيها الرسول - فافصل بينهم إن شئت، أو اترك الفصل بينهم إن شئت، فأنت مُخَيَّر بين الأمرين، وإن تركت الفصل بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن فصلت بينهم فافصل بينهم بالعدل، وإن كانوا ظلمة وأعداء، إن الله يحب العادلين في حكمهم، ولو كان المتحاكمون أعداء للحاكم.

﴿٤٢﴾ وَإِنْ أَمَرَ هَؤُلَاءَ لِعَجَبٍ، فَهَمَّ يَكْفُرُونَ بِكَ، وَيَتَحَاكَمُونَ إِلَيْكَ طَمَعًا فِي حُكْمِكَ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَهَمَّ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ الَّتِي يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ بِهَا، فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ، ثُمَّ يَعْرُضُونَ عَنْ حُكْمِكَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ أَهْوَاءَهُمْ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْكُفْرِ بِمَا فِي كِتَابِهِمْ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ حُكْمِكَ، وَمَا صَنِيعَ هَؤُلَاءَ بِصَنِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسُوا إِذْنًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ.

﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ، فِيهَا إِرْشَادٌ وَدَلَالَةٌ عَلَى الْخَيْرِ، وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ، يَحْكُمُ بِهَا أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ انْقَادُوا لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ، وَيَحْكُمُ بِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ الَّذِينَ يُرَبِّوْنَ النَّاسَ لِمَا اسْتَحْفَظَهُمُ اللَّهُ عَلَى كِتَابِهِ،

سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ عَرِضْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤١﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا الَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَجْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْرَوْا بِمَا تَبَيَّنَتْ لَكُمْ مِنْ أَمْرٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ نَصَّدَفَ بِهِ فَعُوْكَ فَارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٤٥﴾

وجعلهم أمناء عليه يحفظونه من التحريف والتبديل، وهم شهداء عليه بأنه حق، وإليهم يرجع الناس في أمره، فلا تخافوا - أيها اليهود - الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بدلًا من الحكم بما أنزل الله ثمنا قليلا من رئاسة أو جاه أو مال، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الوحي مستحلاً ذلك، أو مفضلاً عليه غيره، أو مساوياً له معه فأولئك هم الكافرون حقًا.

﴿٤٦﴾ وفرضنا على اليهود في التوراة أن من قتل نفساً متعمداً بغير حق قُتِلَ بها، ومن قلع عيناً متعمداً قُلِعَتْ عينه، ومن جدد أنفاً متعمداً جُدِعَ أنفه، ومن قطع أذناً متعمداً قُطِعَتْ أذنه، ومن قلع سناً متعمداً قُلِعَتْ سنه، وكتبنا عليهم أن في الجروح يُعاقب الجاني بمثل جنايته، ومن تطوع بالعفو عن الجاني كان عفوهُ كفارة لذنوبه؛ لعفوه عمن ظلمه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في شأن القصاص، وفي شأن غيره فهو متجاوز لحدود الله.

﴿٤٧﴾ فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا:

١ - تعداد بعض صفات اليهود، مثل الكذب وأكل الربا ومحبة التحاكم لغير الشرع؛ لبيان ضلالهم وللتحذير منها.

٢ - بيان شرعة القصاص العادل في الأنفس والجراحات، وهي أمر فرضه الله تعالى على من قبلنا.

٣ - الحث على فضيلة العفو عن القصاص، وبيان أجرها العظيم المتمثل في تكفير الذنوب.

٤ - التهيب من الحكم بغير ما أنزل الله في شأن القصاص وغيره.

﴿٤٦﴾ وأتبعنا آثار أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم مؤمنًا بما في التوراة، وحاكمًا بها، وأعطيناه الإنجيل مشتملًا على الهداية للحق، وعلى ما يزيل الشبهات من الحجج، ويحل المشكلات من الأحكام، وموافقًا لما نزل من قبله من التوراة إلا في القليل مما نسخه من أحكامها، وجعلنا الإنجيل هدى يُهتدى به، وزاجرًا عن ارتكاب ما حرمه عليهم.

﴿٤٧﴾ وليؤمن النصرارى بما أنزل الله في الإنجيل، ول يحكموا به فيما جاء به من صدق قبل بعثة محمد ﷺ إليهم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله، التاركون للحق، المائلون إلى الباطل. ولما ذكر الله التوراة والإنجيل ومدحهما ذكر القرآن ومدحه فقال:

﴿٤٨﴾ وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن بالصدق الذي لا شك ولا ريب أنه من عند الله، مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة، ومؤتمنًا عليها، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه فهو باطل، فاحكم بين الناس بما أنزل الله عليك فيه، ولا تتبع أهواءهم التي أخذوا بها تاركًا ما أنزل عليك من الحق الذي لا شك فيه، وقد جعلنا لكل أمة شريعة وطريقة واضحة، ولو شاء الله

توحيد الشرائع لوحدًا، ولكنه جعل لكل أمة شريعة؛ ليختبر الجميع فيظهر المطيع من العاصي، فسارعوا إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، فإلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، وسينبئكم بما كنتم تختلفون فيه، وسيجازيكم على ما قدمتم من أعمال.

﴿٤٩﴾ وأن احكم بينهم - أيها الرسول - بما أنزل الله إليك، ولا تتبع آراءهم النابعة من اتباع الهوى، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فلن يألوا جهدًا في سبيل ذلك، فإن أعرضوا عن قبول الحكم بما أنزل الله إليك فاعلم أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم، ويعاقبهم على جميعها في الآخرة، وإن كثيرًا من الناس لخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٠﴾ أيعرضون عن حكمك طالبين حكم أهل الجاهلية من عبدة الأوثان الذين يحكمون تبعًا لأهوائهم؟! فلا أحد أحسن حكمًا من الله عند أهل اليقين الذين يعقلون عن الله ما أنزل على رسوله، لا أهل الجهل والأهواء الذين لا يقبلون إلا ما يوافق أهواءهم وإن كان باطلاً.

﴿٥١﴾ فأنزل من الآيات:

- ١ - الأنبياء متفقون في أصول الدين مع وجود بعض الفروق في الفروع بين شرائعهم.
- ٢ - وجوب تحكيم شرع الله والإعراض عمّا عداه من الأهواء.
- ٣ - ذم التحاكم لأعراف وأحكام أهل الجاهلية.

﴿٥١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، لَا تَجْعَلُوا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حِلْفَاءَ وَأَصْفِيَاءَ تَوَالُونَهُمْ، فَالْيَهُودُ إِنَّمَا يُوَالُونَ أَهْلَ مِلَّتِهِمْ، وَالنَّصَارَى إِنَّمَا يُوَالُونَ أَهْلَ مِلَّتِهِمْ، وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ تَجْمَعُهُمْ مَعَادَاتُكُمْ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ فِي عَدَدِهِمْ، إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بسبب موالاتهم للكفار.

﴿٥٢﴾ فَتَرَى - أَيُّهَا الرَّسُولُ - ضَعْفَاءَ الْإِيمَانِ يَبَادِرُونَ إِلَى مَوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قَائِلِينَ: نَخَافُ أَنْ يَظْفِرَ هَؤُلَاءِ، وَتَكُونُ لَهُمُ الدَّوْلَةُ فِينَا لَنَا مِنْهُمْ مَكْرُوهٌ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ الظَّفَرَ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، أَوْ يَأْتِي بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ تَدْفَعُ بِهِ صَوْلَةَ الْيَهُودِ وَمَنْ يُوَالِيهِمْ، فَيَصْبِحُ الْمَسَارِعُونَ إِلَى مَوَالَاتِهِمْ نَادِمِينَ عَلَى مَا أَخْفَوْهُ مِنَ النِّفَاقِ فِي قُلُوبِهِمْ؛ لِبَطْلَانِ مَا تَعَلَّقُوا بِهِ مِنْ أَسْبَابِ وَاهِيَةٍ.

﴿٥٣﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَعَمْرُكُم حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا أَوْلِيَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا أَلْكَاتِبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

الكافرين، يجاهدون بأموالهم وأنفسهم لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يخشون لوم من يلومهم؛ لتقدمهم رضا الله والخوف من لومه على لوم المخلوقين، ذلك من فضل الله الذي يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والإحسان، عليم بمن يستحق فضله فيمنحه إياه، ومن لا يستحقه فيحرمه.

ولما نهى الله عن موالاة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار أخبر بمن يتبعن على المؤمنين؛ موالاتهم؛ فقال: ﴿٥٣﴾ ليس اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من الكفار أولياءكم، بل إن وليكم وناصركم الله ورسوله، والمؤمنون الذين يؤدون الصلاة كاملة، ويعطون زكاة أموالهم وهم خاضعون لله أذلاء.

﴿٥٤﴾ ومن يتولَّ الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون؛ لأن الله ناصرهم.

﴿٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ يَسْخَرُونَ مِنْ دِينِكُمْ، وَيَتَلَاعَبُونَ بِهِ مِنَ الَّذِينَ أَعْطَاوُا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِاجْتِنَابِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنَ مَوَالَاتِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

﴿٥٨﴾ فَوَايَا مَنْ لَا يَأْتِي:

- ١ - التنبيه على عقيدة الولاء والبراء التي تتلخص في موالاة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، وبغض أهل الكفر وتجنب محبتهم.
- ٢ - من صفات أهل النفاق: موالاة أعداء الله تعالى.
- ٣ - التخاذل والتقصير في نصرته الدين قد ينتج عنه استبدال المُقَصِّرِ والإتيان بغيره، ونزع شرف نصرته الدين عنه.
- ٤ - وجوب موالاة الله ورسوله وأهل الإيمان ونصرة دين الله تعالى.
- ٥ - التحذير من تقريب ومحبة وموالاة الساخرين والمستهزئين بدين الله تعالى من الكفار وأهل النفاق.

﴿٥٨﴾ وكذلك يسخرون، ويلعبون إذا أَدَّنتُمْ للصلاة التي هي أعظم قربة، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون عن الله معاني عبادته وشرائعه التي شرعها للناس.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول - للمستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا، وبما أنزل على من قبلنا، وإيماننا أن أكثركم خارجون عن طاعة الله بتركهم للإيمان وامتنال الأوامر؟! فما تعيبونه علينا مَحْمَدَةً لنا، وليس مَدْمَةً.

﴿٦٠﴾ قل - أيها الرسول -: هل أخبركم بمن هم أولى بالعب، وأشد عقاباً من هؤلاء، إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وصيرهم بعد المسخ قردة وخنازير، وجعل منهم عباداً للطاغوت، والطاغوت هو كل من يُعبد من دون الله راضياً، أولئك المذكورون شر منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن الطريق المستقيم.

﴿٦١﴾ وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - المنافقون منهم أظهروا لكم الإيمان نفاقاً منهم، والواقع أنهم عند دخولهم وخروجهم مُتَلَبِّسُونَ بالكفر لا ينفكون عنه، والله أعلم بما يُضْمرونه من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجازيهم على ذلك.

﴿٦٢﴾ وترى - أيها الرسول - كثيراً من اليهود والمنافقين يُبادرون إلى ارتكاب المعاصي مثل الكذب والظلم وأكل الحرام، ساء ما يعملون.

﴿٦٣﴾ هَلَّا نَهَاكُم أئمتهم وعلمائهم عما يسارعون إليه من قول الكذب وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنع أئمتهم وعلمائهم الذين لا يتهونهم عن المنكر.

﴿٦٤﴾ وقالت اليهود لَمَّا أصابهم جَهْدٌ وَجَدْبٌ: يد الله محبوسة عن بذل الخير والعطاء، أمسك عنا ما عنده، ألا حَسِبْتُمْ أيديهم عن فعل الخير والعطاء، وطردوا من رحمة الله بقولهم هذا، بل يدها ﷻ مسبوتتان بالخير والعطاء، ينفق كيف يشاء، يبسط ويقبض، لا حاجر عليه ولا مُكْرَه له، ولا يزيد اليهود ما أنزل إليك - أيها الرسول - إلا طغياناً وكفراً؛ لَمَّا هم عليه من الحسد، وألقينا بين طوائف اليهود العداوة والبغضاء، كلما جمعوا للحرب، وأعدوا لها عدة، أو تأمروا لإشعالها شَتَّتَ اللهُ جمعهم، وأذهب قوتهم، ولا يزالون يجتهدون في ارتكاب ما فيه فساد في الأرض من السعي لإبطال الإسلام والكيد له.

﴿٦٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - ذم مسالك المنافقين الذين يُظهرون لأهل الإيمان خلاف ما يظنون، ويسرون الكفر والبغض للإسلام وأهله.
- ٢ - ذم العالم على سكوته عن معاصي قومه وعدم بيانه لمنكراتهم وتحذيرهم منها.
- ٣ - سوء أدب اليهود مع الله تعالى، وذلك لأنهم وصفوه سبحانه بأنه مغلول اليد، حابس للخير.
- ٤ - إثبات صفة اليبدين وصفة الكرم وسعة الإنفاق لله ﷻ، على وجه يليق بذاته وجلاله وعظيم سلطانه.
- ٥ - الإشارة لما وقع فيه بعض طوائف اليهود من الشقاق والاختلاف والعداوة بينهم نتيجة لكفرهم وميلهم عن الحق.

﴿١٥﴾ ولو أن اليهود والنصارى صدّقوا بما جاء به محمد ﷺ، وأتقوا الله باجتناب المعاصي، لكفرنا عنهم المعاصي التي ارتكبوها ولو كانت كثيرة، ولأدخلناهم يوم القيامة جنات النعيم، يتنعمون بما فيها من نعيم لا ينقطع.

﴿١٦﴾ ولو أن اليهود عملوا بما في التوراة، والنصارى عملوا بما في الإنجيل، وعملوا جميعاً بما أنزل عليهم من القرآن لیسرّ لهم أسباب الرزق من إنزال المطر وإنبات الأرض، ومن أهل الكتاب المعتدل الثابت على الحق، والكثير منهم ساء عمله لعدم إيمانهم بما جاء به محمد ﷺ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِقَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَاَهُمُ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آقَمُوا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مِنْ أُمَّةٍ أَلَّفَهُ بِلَلِّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلِّغُوا رِسَالَتِي إِيَّاهُمْ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رَسُولًا قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١٧﴾ يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك كاملاً، ولا تكتم منه شيئاً، فإن كتمت منه شيئاً فما أنت بمبلغ رسالة ربك (وقد بلِّغ رسول الله ﷺ كل ما أمر بتبليغه، فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفرية على الله)، والله يحميك من الناس بعد اليوم، فلا يستطيعون الوصول إليك بسوء، فما عليك إلا البلاغ، والله لا يوفق للرشد الجاحدين الذين لا يريدون الهداية.

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول -: لستم - أيها اليهود والنصارى - على شيء من الدين المعتد به حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وتعملوا بما أنزل عليكم من القرآن الذي لا يصح إيمانكم إلا بالإيمان به، والعمل بما فيه، وليزيدن كثيراً من أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك طغياناً إلى طغيان، وكفراً إلى كفر؛ لِمَا هم عليه من الحسد، فلا تأسف على هؤلاء الكافرين، وفي من اتبعك من المؤمنين غنية وكفاية.

﴿١٩﴾ إن المؤمنين واليهود والصابئين والنصارى، من صدق منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

﴿٢٠﴾ لقد أخذنا العهد المؤكدة على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، ففقدوا ما أخذ عليهم منها، واتبعوا ما تمليه أهواؤهم من الإعراض عما جاءتهم به رسلتهم، ومن تكذيبهم بعضاً وقتلهم بعضاً.

﴿٢١﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - العمل بما أنزل الله تعالى سبب لتكفير السيئات ودخول الجنة وسعة الأرزاق.
- ٢ - توجيه الدعاة إلى أن التبليغ المعتد به والمُبرئ للذمة هو ما كان كاملاً غير منقوص، وفي ضوء ما ورد به الوحي.
- ٣ - لا يُعتد بأي معتقد ما لم يقم عليه صاحبه دليلاً على أنه من عند الله تعالى.

(٧١) وظنوا أن نقضهم للعهود والمواثيق، وتكذيبهم، وقتلهم الأنبياء لا يترتب عليه ضرر بهم، فترتب عليه ما لم يظنوه، فَعَمُوا عن الحق، فلا يهتدون إليه، وَصَمُوا عن سماعه سماع قبول، ثم تاب الله تفضلاً منه عليهم، ثم عَمُوا بعد ذلك عن الحق، وَصَمُوا عن سماعه، حدث ذلك لكثير منهم، والله بصير بما يعملونه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم عليه.

(٧٢) لقد كفر النصارى القائلون بأن الله هو المسيح عيسى ابن مريم؛ لنسبتهم الألوهية لغير الله، مع أن المسيح ابن مريم نفسه قال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله وحده، فهو ربي وربكم، فنحن في عبوديته سواء، ذلك أن من يشرك بالله غيره فإن الله قد منع عليه دخول الجنة أبداً، ومستقره نار جهنم، وما له ناصر عند الله ولا معين، ولا منقذ ينقذه مما ينتظره من العذاب.

(٧٣) لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مؤلّف من ثلاثة: هم الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فليس الله بمتعدد، إنما هو إله واحد لا شريك له، وإن لم يكفوا عن هذه المقالة الشنيعة لَيَنَالَنَّهُمْ عذاب موجع.

(٧٤) أفلا يرجع هؤلاء عن مقاتلتهم هذه تائبين إلى الله منها، ويطلبون منه المغفرة على ما ارتكبه من الشرك به؟ والله غفور لمن تاب من أي ذنب كان، ولو كان الذنب الكفر به، رحيم بالمؤمنين.

(٧٥) ليس المسيح عيسى ابن مريم إلا رسولا من بين الرسل، يجري عليه ما جرى عليهم من الموت، وأمه مريم عليها السلام كثيرة الصدق ومُصَدِّقة، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فكيف يكونان إلهين مع حاجتهما للطعام، فانظر - أيها الرسول - نظر تأمل: كيف نوضح لهم الآيات الدالة على الوحدانية، وعلى بطلان ما هم عليه من المغالاة في نسبة الألوهية لغيره سبحانه، وهم مع ذلك يتنكرون لهذه الآيات، ثم انظر نظر تأمل: كيف يُصَرِّفُونَ عن الحق صرفاً مع هذه الآيات الواضحة الدالة على وحدانية الله.

(٧٦) قل - أيها الرسول - مُحْتَجّاً عليهم في عبادتهم لغير الله: أتعبدون ما لا يجلب لكم نفعاً، ولا يدفع عنكم ضرراً؟! فهو عاجز، والله منزّه عن العجز، والله هو وحده السميع لأقوالكم، فلا يفوته منها شيء، العليم بأفعالكم، فلا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - أن بعض طوائف اليهود قتلة للأنبياء وناقضون للعهود.
- ٢ - بيان كفر النصارى في زعمهم ألوهية المسيح عليه السلام.
- ٣ - دحض عقيدة التثليث ببيان بطلانها والتحذير من اعتناقها، والدعوة للتوبة منها.
- ٤ - من أدلة بشرية المسيح وأمه: أكلهما للطعام، وفعل ما يترتب عليه.
- ٥ - عدم القدرة على كف الضر وإيصال النفع من الأدلة الظاهرة على عدم استحقاق بعض المعبودين للألوهية؛ لكونهم عاجزين.
- ٦ - النهي عن الغلو وتجاوز الحد في معاملة الصالحين من خلق الله تعالى.

﴿٧٧﴾ قل - أيها الرسول - للنصارى: لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتكم به من اتباع الحق، ولا تبالغوا في تعظيم من أمرتكم بتعظيمه مثل الأنبياء فتعتقدوا فيهم الألوهية كما فعلتم بعيسى ابن مريم، بسبب اقتدائكم بأسلافكم من أهل الضلال الذين أصلوا كثيراً من الناس، وضلوا عن طريق الحق.

﴿٧٨﴾ يخبر الله سبحانه أنه طرد الكافرين من بني إسرائيل من رحمته في الكتاب الذي أنزله على داود وهو الزبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى ابن مريم وهو الإنجيل، ذلك الطرد من الرحمة بسبب ما ارتكبه من المعاصي والاعتداء على حرمت الله.

﴿٧٩﴾ كانوا لا يهتدون بالعصي منهم عن ارتكابه المعصية، بل يجاهر العصاة منهم بما يفترونه من المعاصي والمنكرات؛ لأنه لا منكر ينكر عليهم، لئلا ما كانوا يفعلون من ترك النهي عن المنكر.

﴿٨٠﴾ تشاهد - أيها الرسول - كثيراً من الكفرة من هؤلاء اليهود يتولون المشركين الذين لا دين لهم، ويعادونك ويعادون الموحدين، سواء ما يقدمون عليه من موالاتهم الكافرين، فإنها سبب غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبداً.

﴿٨١﴾ ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله حقاً، ويؤمنون بنبيه، ما جعلوا من المشركين أولياء يوالونهم دون المؤمنين؛ لأنهم نهوا عن اتخاذ الكافرين أولياء، ولكن كثيراً من هؤلاء اليهود خارجون عن طاعة الله وولايته، وولاية المؤمنين.

﴿٨٢﴾ لتجدن - أيها الرسول - أعظم الناس عداوة للمؤمنين بك، وبما جئت به اليهود؛ لئلا هم عليه من الحقد والحسد والكبر، وعبدة الأصنام، وغيرهم من المشركين بالله، ولتجدن أقربهم محبة للمؤمنين بك، وبما جئت به الذين يقولون عن أنفسهم: إنهم نصارى، وبيئت الآية أن قرب مودة هؤلاء للمؤمنين لأن منهم علماء زهاداً وعباداً، وأنهم متواضعون، غير متكبرين؛ لأن المتكبر لا يصل الخير إلى قلبه.

﴿٨٣﴾ فإلا من الآيات:

- ١ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موجب للعن والطرده من رحمة الله تعالى.
- ٢ - من علامات الإيمان: الحب في الله والبغض في الله.
- ٣ - موالات أعداء الله توجب غضب الله ﷻ على فاعلها.
- ٤ - شدة عداوة اليهود لأهل الإسلام، وفي المقابل وجود طوائف من النصارى يدينون بالمودة للإسلام؛ لعلمهم أنه دين الحق.

﴿٨٦﴾ وهؤلاء قلوبهم لَيِّنَةٌ، حيث إنهم يبكون خشوعًا عند سماع ما أنزل من القرآن لَمَّا عرفوا أنه من الحق؛ لمعرفتهم بما جاء به عيسى ﷺ، يقولون: يا ربنا صدقنا بما أنزلت على رسولك محمد ﷺ، فاعتبنا - يا ربنا - مع الشاهدين على الناس من هذه الأمة يوم القيامة.

﴿٨٧﴾ وأي سبب يحول بيننا وبين الإيمان بالله وما أنزله من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟! ونحن نرجو دخول الجنة مع الأنبياء وأتباعهم المطيعين لله الخائفين من عذابه.

﴿٨٨﴾ فجازاهم الله على إيمانهم واعترافهم بالحق جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكين فيها أبدًا، وذلك جزاء المحسنين في اتباعهم للحق وانقيادهم له دون قيد أو شرط.

﴿٨٩﴾ والذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسوله، أولئك أصحاب النار الذين يدخلونها ملازمين لها، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٩٠﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، لا تُحَرِّمُوا الْمَسْتَلْذَاتِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاحِكِ الَّتِي أَبَاحَ اللَّهُ لَكُمْ، لا تُحَرِّمُوهَا تَرْهَدًا أَوْ تَعْبُدًا، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله عليكم، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدوده،

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ

الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا فَا كُذِّبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ

وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَتَتْهُمْ

اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجْنَتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٠﴾ وَكُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَتَى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٩١﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ

بِاللُّغُوفِ أَيْمِنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ

فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ

أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمِنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا

أَيْمِنَكُمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩٢﴾

بل يبغضهم.

﴿٨٦﴾ وكلوا مما يسوقه الله إليكم من رزقه حال كونه حلالًا طيبًا، لا إن كان حرامًا كالمأخوذ غصبًا أو مُسْتَحْبَبًا، واتقوا الله بامتنال وأمره واجتناب نواهيه، فهو الذي تؤمنون به، وإيمانكم به يوجب عليكم أن تتقوه.

﴿٨٧﴾ لا يحاسبكم الله - أيها المؤمنون - بما يجري على ألسنتكم من الحليف من غير قصد، وإنما يحاسبكم بما عزمتم عليه، وعقدتم القلوب عليه وحنتم، فكفارة ما عزمتم عليه من أيما ونطقتموه إذا حنتم أحد ثلاثة أشياء على التخيير هي: إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام أهل بلدكم، لكل مسكين نصف صاع، أو كسوتهم بما يُعتبر عُرفًا كسوة، أو إعتاق رقبة مؤمنة، فإذا لم يجد المكفر عن يمينه أحد هذه الأشياء الثلاثة كَفَّرَ عنها بصيام ثلاثة أيام، ذلك المذكور كفارة أيانكم - أيها المؤمنون - إذا حلفتم وحنتم، واحفظوا أيانكم عن الحلف بالله كذبًا، وعن كثرة الحلف، وعن الحنث ما لم يكن الحنث خيرًا، فافعلوا الخير، وكفروا عن أيانكم، كما بيّن الله لكم كفارة اليمين بيّن الله لكم أحكامه المبيّنة للحلال والحرام، لعلمكم تشكرون الله على أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿٩٢﴾ فَوَاظِبُوا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأمر بتوخي الطيب من الأرزاق وترك الخبيث.
- ٢ - عدم المؤاخذه على الحلف عن غير عزم للقلب، والمؤاخذه على ما كان عن عزم القلب ليفعلن أو لا يفعلن.
- ٣ - بيان أن كفارة اليمين: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو عتق رقبة مؤمنة، فإذا لم يستطع المكفر عن يمينه الإتيان بواحد من الأمور السابقة، فليكفر عن يمينه بصيام ثلاثة أيام.

﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، إِنَّمَا الْمُسْكِرُ الَّذِي يَذْهَبُ الْعَقْلَ، وَالْقَمَارُ الْمُشْتَمَلُ عَلَى عَوْضٍ مِنَ الْجَانِبِينَ، وَالْحِجَارَةُ الَّتِي يَذْبَحُ عِنْدَهَا الْمُشْرِكُونَ تَعْظِيمًا لَهَا أَوْ يَنْصُبُونَهَا لِعِبَادَتِهَا، وَالْقِدَاحُ الَّتِي كَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا، كُلُّ ذَلِكَ إِثْمٌ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، فَابْتَعِدُوا عَنْهُ لَعَلَّكُمْ تَفُوزُونَ بِالْمَطْلُوبِ الْجَنَّةِ، وَتَنْجُونَ مِنَ الْمَرْهُوبِ النَّارِ.

﴿١١﴾ إِنَّمَا يَقْصِدُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَزْيِينِ الْمُسْكِرِ وَالْقَمَارِ إِفْقَاقَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَالصَّرْفِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - تَارِكُونَ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ؟ لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّاتِقُ بِكُمْ، فَانْتَهُوا.

﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ الشَّرْعُ بِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَاحْذَرُوا مِنَ الْمَخَالَفَةِ، فَإِنَّ أَعْرَضْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَى رَسُولِنَا التَّبْلِيغَ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ، وَقَدْ بَلَّغَ، فَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَلَأَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَعَلَيْهَا. وَلَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ تَمَنَّى بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ مَعْرِفَةَ حَالِ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا مُسْلِمِينَ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿١٣﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ، وَعَمَلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ؛ إِثْمٌ فِيمَا تَنَاوَلُوهُ مِنَ الْخَمْرِ قَبْلَ تَحْرِيمِهَا، إِذَا اجْتَنَبُوا الْمُحْرِمَاتِ، مُتَّقِينَ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مُؤْمِنِينَ بِهِ، قَائِمِينَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ثُمَّ زَادُوا مِرَاقِبَةَ اللَّهِ حَتَّى أَصْبَحُوا يَعْبُدُونَهُ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهُ، وَاللَّهُ يَحِبُّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُ كَأَنَّهُمْ يَرُونَهُ؛ لَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ اسْتِشْعَارِ رِقَابَةِ اللَّهِ الدَّائِمَةِ، وَذَلِكَ مَا يَقُودُ الْمُؤْمِنَ إِلَى إِحْسَانِ عَمَلِهِ وَإِتْقَانِهِ.

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، لِيُخْتَبِرَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ يَسُوقُهُ إِلَيْكُمْ مِنَ الصَّيْدِ الْبَرِيِّ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ، تَتَنَاوَلُونَ الصَّغَارَ مِنْهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَالْكِبَارَ بِرِمَاحِكُمْ، لِيَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمَ ظَهْوَرٍ يَحَاسِبُ عَلَيْهِ الْعِبَادَ مِنْ خِيَاْفَةِ الْغَلِيْبِ لِكَمَالِ إِيمَانِهِ بَعْلَمَ اللَّهِ، فَيَمْسِكُ عَنِ الصَّيْدِ خَوْفًا مِنْ خَالِقِهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ، فَمَنْ تَجَاوَزَ الْحُدَّ، وَاصْطَادَ وَهُوَ مُحْرَمٌ بِحَجٍّ أَوْ عِمْرَةٍ فَلَهُ عَذَابٌ مُوجِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِمَا ارْتَكَبَهُ مِنْ مَخَالَفَةِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمَلُوا بِمَا شَرَعَهُ، لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ الْبَرِيَّ وَأَنْتُمْ مُحْرَمُونَ بِحَجٍّ أَوْ عِمْرَةٍ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مَتَعَمَّدًا فَلَعْنَةُ جِزَاءٍ مِمَّا لِمَا قَتَلَهُ مِنَ الصَّيْدِ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ الْبَقَرِ أَوْ الْغَنَمِ، يَحْكُمُ بِهِ رَجُلَانِ مَتَصَفَانِ بِالْعَدَالَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا حَكَمًا بِهِ يُفْعَلُ بِهِ مَا يُفْعَلُ بِالْهَدْيِ مِنَ الْإِرْسَالِ إِلَى مَكَّةَ وَذَبْحِهِ فِي الْحَرَمِ، أَوْ قِيَمَةَ ذَلِكَ مِنَ الطَّعَامِ تُدْفَعُ لِفُقَرَاءِ الْحَرَمِ، لِكُلِّ فُقَيْرٍ نِصْفَ صَاعٍ، أَوْ صِيَامٍ يَوْمٍ مُقَابِلِ كُلِّ نِصْفِ صَاعٍ مِنَ الطَّعَامِ، كُلُّ ذَلِكَ لِيَذُوقَ قَاتِلُ الصَّيْدِ عَاقِبَةَ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِهِ. تَجَاوَزَ اللَّهُ عَمَّا مَضَى مِنْ قَتْلِ صَيْدِ الْحَرَمِ وَقَتْلِ الْمُحْرَمِ صَيْدِ الْبَرِّ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ، وَمَنْ عَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ التَّحْرِيمِ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ بِأَنْ يَعْذِبَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ قَوِيٌّ مُنِيعٌ، وَمَنْ قَوْتُهُ أَنَّهُ يَنْتَقِمَ مِنْ عَصَاةٍ إِنْ شَاءَ، لَا يَمْنَعُهُ مِنْهُ مَانِعٌ.

﴿١٦﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أن عمل العبد - من طاعة ومعصية - كسب للعبد وحده، فله يعود خير طاعته، أو ضرر معصيته. ٢ - عدم مؤاخذه الشخص بما لم يُحَرِّمَ أو لم يبلغه تحريمه. ٣ - تحريم الصيد على المحرم بحج أو عمرة. ٤ - من حكمة الله ﷻ في تقديره لإيجاد المحرمات: اختبار عباده وابتلاؤهم وتمحيصهم. ٥ - بيان كفارة قتل المحرم للصيد. ٦ - من حكمة مشروعية الكفارات: معاقبة المخالف وردعه وزجره حتى لا يرجع لمخالفة أمر الله تعالى.

﴿٦٦﴾ أحل الله لكم صيد الحيوانات المائية، وما يقذفه البحر لكم حياً أو ميتاً منفعه لمن كان منكم مقيماً أو مسافراً يتزود به، وحرم عليكم صيد البر ما دتم محرمين بحج أو عمرة، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيها، فهو الذي إليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٦٧﴾ جعل الله الكعبة البيت المحرم قياماً للناس، به تقوم مصالحهم الدينية من الصلاة والحج والعمرة، ومصالحهم الدنيوية بالأمن في الحرم وجباية ثمرات كل شيء إليه، وجعل الأشهر الحرم وهي: (ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) قياماً لهم بأمنهم فيها من قتال غيرهم لهم، والهدى والقلائد المشعرة بأنها مسوقة إلى الحرم قياماً لهم بأمن أصحابها من التعرض لهم بأذى، ذلك الذي من الله به عليكم لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأن الله بكل شيء عليم، فإن تشريعه لذلك - لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل حصولها - دليل على علمه بما يصلح للعباد.

﴿٦٨﴾ اعلّموا - أيها الناس - أن الله شديد العقاب لمن عصاه، وغفور لمن تاب، رحيم به.

﴿٦٩﴾ ليس على الرسول إلا تبليغ ما أمره الله بتبليغه، فليس عليه توفيق الناس إلى الهداية، فذلك بيد الله وحده، والله يعلم ما تظهرونه، وتكتمونه من الهداية أو الضلال، وسيجازيكم على ذلك.

﴿٧٠﴾ قل - أيها الرسول -: لا يستوي الخبيث من كل شيء مع الطيب من كل شيء، ولو أعجبك كثرة الخبيث، فإن كثرت لا تدل على فضله، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بترك الخبيث وفعل الطيب لعلكم تفوزون بالجنة، وتتجون من النار.

﴿٧١﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بما شرعه، لا تسألوا رسولكم عن أشياء لا حاجة لكم بها، وليست مما يعينكم على أمر دينكم، إن تظهر لكم تسؤمكم لما فيها من المشقة، وإن تسألوا عن هذه الأشياء التي سكنت عنها القرآن، فلا تسألوا عنها، فإنكم إن سألتم عنها نزل عليكم التكليف بحكمها.

﴿٧٢﴾ قد سأل عن مثلها قوم ممن سبقكم، فلما كلفوا بها لم يعملوا بها، فأصبحوا كافرين بسببها.

﴿٧٣﴾ أحل الله الأنعام، فلم يُحرم منها ما حرمه المشركون على أنفسهم لأصنامهم من البحيرة وهي الناقة التي تقطع أذننها إذا أنجبت عدداً معيناً، والسائبة وهي الناقة التي إذا بلغت سناً معينة تترك لأصنامهم، والوصيلة وهي الناقة التي تصل إنجاب أنثى بأنثى، والحامي وهو فحل الإبل يضرب في الإبل فينتج عدداً منها من صلبه، لكن الكفار زعموا كذباً وبهتاناً أن الله حرم المذكورات، وأكثر الكافرين لا يميزون بين الحق والباطل والحلال والحرام.

﴿٧٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - إباحة أكل ما قذفه البحر من دوابه حية كانت أو ميتة.

٢ - الأصل في شعائر الله تعالى أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد الدنيوية والأخروية، ودفع المضار عنهم.

٣ - وظيفة الداعية إلى الله تعالى هي البلاغ المبين الواضح، وأما هداية التوفيق فهي موكولة إلى الله تعالى.

٤ - عدم الإعجاب بالكثرة، فإن كثرة الشيء ليست دليلاً على جله أو طيبه، وإنما الدليل يكمن في الحكم الشرعي.

٥ - من أدب المُستفتي: تقييد السؤال بحدود معينة، فلا يسوغ السؤال عما لا حاجة للمرء ولا غرض له فيه.

٦ - ذم مسالك المشركين فيما اخترعوه وزعموه من محرمات الأنعام ك: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي.

﴿١٤٤﴾ وإذا قيل لهؤلاء المفتيرين على الله الكذب بتحريم بعض الأنعام: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى سنة الرسول ﷺ لتعرفوا الحلال من الحرام، قالوا: يكفيننا ما أخذناه وورثناه عن أسلافنا من الاعتقادات والأقوال والأفعال، كيف يكفيهم ذلك وقد كان أسلافهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق؟! فلا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم وأضل سبيلاً، فهم جهلة ضالون.

﴿١٤٥﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بما شرعه، عليكم أنفسكم فألزموها بالقيام بما يضلحها، لا يضركم من ضل من الناس، ولم يستجب لكم، إذا اهتديتم أتم، ومن اهتدائكم أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر، إلى الله وحده رجوعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٤٦﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بما شرعه، إذا اقترب موت أحدكم بظهور علامة من علامات الموت فليشهد على وصيته عدلين من المسلمين أو رجلين من الكفار عند الاحتياج لفقد غيرهما من المسلمين، إن سافرتم فنزل بكم الموت، وإن حدث ارتياب في شهادتهما فقفوهما بعد

وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبتنا ما وجدنا عليه آباءنا أولوانا آباءهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿١٤٤﴾ يتأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٤٥﴾ يتأيها الذين آمنوا شهدة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به أنفسنا لو كان ذا قرين ولا نكتم شهدة الله إننا إذا لمن الأثمين ﴿١٤٦﴾ فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهدتنا حق من شهدتهما وما اعتدينا إننا إذا لمن الظالمين ﴿١٤٧﴾ ذلك أدفع أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله وأسمعوا وألله لا يهدي القوم الفاسقين ﴿١٤٨﴾

إحدى الصلوات، فيحلفان بالله: لا يبيعان حظهما من الله بعوض، ولا يحاييان به قريباً، ولا يكتمان شهادة الله عندهما، وأنهما إن فعلا ذلك يكونا من المذنبين العاصين لله.

﴿١٤٧﴾ فإن تبين بعد التحليف كذبهما في الشهادة أو اليمين، أو ظهرت خيانتهما؛ فليشهد أو يحلف اثنان يقومان مقامهما من أقرب الناس إلى الميت على ما هو حق، فيحلفان بالله لشهادتنا على كذبهما وخيانتهما أحق من شهادتهما على صدقهما وأمانتهما، وما حلفنا زوراً، إننا إن شهدنا زوراً لمن الظالمين المتجاوزين لحدود الله.

﴿١٤٨﴾ ذلك المذكور من تحليف الشاهدتين بعد الصلاة عند الشك في شهادتهما، ومن رد شهادتهما، أقرب إلى إتيانها بالشهادة على الوجه الشرعي للإتيان بها، فلا يحرفان الشهادة أو يبدلنها أو يخونان، وأقرب إلى أن يخافا أن ترد أيمان الورثة بعد أيمانهما، فيحلفون على خلاف ما شهدا به فيمتصحا، واتقوا الله بترك الكذب والخيانة في الشهادة واليمين، واسمعوا ما أمرتم به سماعاً يصحبه قبول، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

﴿١٤٩﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - إذا أزم العبد نفسه بطاعة الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر بحسب طاقته، فلا يضره بعد ذلك ضلال أحد، ولن يسأل عن غيره من الناس، وخاصة أهل الضلال منهم.
- ٢ - الترغيب في كتابة الوصية، مع صيانتها بإشهاد العدول عليها.
- ٣ - بيان الصورة الشرعية لسؤال الشهود عن الوصية.

﴿١١٣﴾ فأجاب عيسى طلبهم، ودعا الله قائلاً: ربنا أنزل علينا مائدة - طعام نتخذ من يوم نزولها عيداً نعظمه شكراً لك، وتكون علامة وبرهاناً على وحدانيتك، وعلى صدق ما بُعثت به، وارزقنا رزقاً يعيننا على عبادتك، وأنت - يا ربنا - خير الرازقين.

﴿١١٤﴾ فاستجاب الله دعاء عيسى ﷺ، وقال: إني مُنزلٌ هذه المائدة التي طلبتم إنزالها عليكم، فمن كفر بعد إنزالها فلا يلومن إلا نفسه، فسأعذبه عذاباً شديداً لا أعذبه أحداً؛ لأنه شاهد الآية الباهرة، فكان كفره كفر عناد، وحقق الله لهم وعده فأنزلها عليهم.

﴿١١٥﴾ واذكر حين يقول الله يوم القيامة مخاطباً عيسى ابن مريم ﷺ: يا عيسى ابن مريم، هل قلت للناس: صيروني وأمي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى مُنزهاً ربه: لا ينبغي لي أن أقول لهم إلا الحق، وإن قدر أني قلت ذلك فقد علمته لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلم ما أضمره في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، إنك وحدك من تعلم كل غائب وكل خفي وكل ظاهر.

﴿١١٦﴾ قال عيسى لربه: ما قلت للناس إلا ما أمرتني بقوله من أمرهم بإفراك بالعبادة، وكنت رقيباً على ما يقولون طيلة وجودي بين

﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلُهَا عَلَيْكُمْ مِنْ سَمَاءٍ بَاطِنَةٍ فَلا يُؤْمِنُ بِهَا كُفَرَاءُ فَسَآءَ عَذَابُ عَذَابِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَانُوا كُفَرَاءُ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّقٍ إِنْ كُنْتُ فَالِقَ لُحْمٍ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا مَكُرْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَدَّيْتُمْ فَأْتِيَهُمْ بَنُوءُهُمْ عِبَادُكُمْ وَإِنْ تَعَفَّرْتُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

أظهرهم، فلما أنهيت أجلي برفعي إلى السماء حياً كنت - يا رب - أنت الحفيظ لأعمالهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا يغيب عنك شيء، فلا يخفى عليك ما قلت لهم، وما قالوا بعدي.

﴿١٢١﴾ إن تعذبهم - يا رب - فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء، وإن تمنت على من آمن منهم بالمغفرة فلا مانع لك من ذلك، فأنت العزيز الذي لا يُعَالَب، الحكيم في تدبيرك.

﴿١٢٢﴾ قال الله لعيسى ﷺ: هذا يوم ينفع صادقي النيات والأعمال والأقوال صدقهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثر فيها أبداً، لا يعتربهم موت، رضي الله عنهم، فلا يسخط عليهم أبداً، ورضوا عنه لما ناله من النعيم المقيم، ذلك الجزاء والرضا عنهم هو الفوز العظيم، فلا فوز يدانيه.

﴿١٢٣﴾ لله وحده ملك السماوات والأرض، فهو خالقهما ومدبر أمرهما، وله ملك ما فيهن من جميع المخلوقات، وهو على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء.

﴿١٢٤﴾ فَوَاظِعُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - توعد الله تعالى كل من أصر على كفره وعناده بعد قيام الحجة الواضحة عليه.
- ٢ - بُرْهَانُ الْمَسِيحِ ﷺ مِنْ ادِّعَاءِ النَّصَارَى بِأَنَّهُ أَبْلَغُهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَوْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ أَوْ أَنَّهُ ادَّعَى الرَّبُوبِيَّةَ أَوْ الْأُلُوهِيَّةَ.
- ٣ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِظَمَاءَ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ مِنَ الرَّسْلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ دَرَجَةً!؟
- ٤ - عَلُوُّ مَنْزِلَةِ الصِّدْقِ، وَثَنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِهِ، وَبَيَانُ نَفْعِ الصِّدْقِ لِأَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمُوتُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ
نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾

﴿١﴾ مقصد السورة :
تقرير عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية ونقض
الاعتقادات الشركية .

﴿٢﴾ التفسير :
﴿١﴾ الوصف بالكمال المطلق، والشناء
بالمحاسن العليا مع المحبة، ثابت لله الذي
خلق السماوات وخلق الأرض من غير مثال
سابق، وخلق الليل والنهار يتعاقبان، الليل
خلقه للظلام، والنهار خلقه للنور، ومع هذا
يكفر به بعض عباده، ويجعلون له شريكًا،
تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .

﴿٢﴾ هو سبحانه الذي خلقكم - أيها الناس -
من طين حين خلق أباكم آدم ﷺ منه، ثم
ضرب سبحانه مدة لإقامتكم في الحياة
الدنيا، وضرب أجلًا آخر لا يعلمه إلا هو
لبعثكم يوم القيامة، ثم أتم تشكون في قدرته
سبحانه على البعث .

﴿٣﴾ وهو سبحانه المعبود بحق في السماوات
والأرض، لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما
تخفون من النيات والأقوال والأعمال، ويعلم
ما تعلنون من ذلك، وسيجازيكم عليها .

﴿٤﴾ وما تأتي المشركين من حجة أو معجزة من عند ربهم إلا تركوها غير مباليين بها، فقد جاءتهم الحجج
الواضحة والبراهين الجلية الدالة على توحيد الله، وجاءتهم المعجزات الدالة على صدق رسله، ومع ذلك
أعرضوا عنها غير عابئين بها .

﴿٥﴾ وهم إن أعرضوا عن تلك الحجج الواضحة والبراهين الجلية فقد أعرضوا عما هو أوضح، فقد كذبوا بما
جاء به محمد ﷺ من القرآن، وسيعرفون أن ما كانوا يستهزئون به مما جاءهم به هو الحق حين يرون العذاب
يوم القيامة .

﴿٦﴾ ألم يعلم هؤلاء الكافرون سنة الله في إهلاك الأمم الظالمة؟ فقد أهلك الله من قبلهم أممًا كثيرة مكنَّ لهم
في الأرض ما لم يُمكنْ لكم أنتم، وأنزل عليهم الأمطار المتتابعة، وأجرى لهم الأنهار تجري من تحت
مساكنهم، فقصوا الله، فأهلكهم بما ارتكبه من المعاصي، وخلق من بعدهم أممًا أخرى .

﴿٧﴾ ولو نزلنا عليك - أيها الرسول - كتابًا مكتوبًا في أوراق، وشاهدوه بأعينهم، ولمسوه بأيديهم؛ لما آمنوا
به جحودًا منهم وتعتنا، ولقالوا: لا يعدو ما جئت به أن يكون سحرًا واضحًا، فلن تؤمن به .

﴿٨﴾ وقال هؤلاء الكافرون: لو أنزل الله مع محمد ملكًا يكلمنا ويشهد أنه رسول لآمنّا. ولو أنزلنا ملكًا على
الوصف الذي أرادوا لأهلكناهم إذا لم يؤمنوا، ولا يُمهّلون للتوبة إذا نزل .

﴿٩﴾ فإزالة من الآيات:

- ١ - شدة عناد الكافرين، وبيان إصرارهم على الكفر على الرغم من قيام الحجة عليهم بالأدلة الحسية .
- ٢ - التأمل في سنن الله تعالى في السابقين لمعرفة أسباب هلاكهم والحذر منها .

﴿١﴾ ولو جعلنا المرسل إليهم ملكًا لجعلناه في صورة رجل ليتمكنوا من سماعه والتلقي عنه، إذ لا يستطيعون ذلك مع الملك على هيئته التي خلقه الله عليها، ولو جعلناه في صورة رجل لاشتبه عليهم أمره. ﴿٢﴾ فإن يستهزئ هؤلاء بطلبهم إنزال ملك معك فقد استهزأت أمم من قبلك برسلكها، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به عند تخوفهم منه.

﴿٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المستهزئين: سيروا في الأرض، ثم تأملوا كيف كانت نهاية المكذبين لرسول الله، فقد حل بهم عقاب الله بعدما كانوا فيه من القوة والمنعة.

﴿٤﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لمن مُلِكُ السماوات ومُلِكُ الأرض ومُلِكُ ما بينهما؟ قل: مُلِكُهَا كلها الله، كتب على نفسه الرحمة تفضلًا منه على عباده، فلا يعاجلهم بالعقوبة، حتى إذا لم يتوبوا جمعهم جميعًا يوم القيامة، هذا اليوم الذي لا شك فيه. الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله لا يؤمنون فينقلدوا أنفسهم من الخسران.

﴿٥﴾ والله وحده ملك كل شيء، ما سكن في الليل فحفي، أو تحرك في النهار فظهر، الجميع عباده وخلقته، وتحت قهره وتصرفه وتدييره، وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٦﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١﴾ قُلْ أَغْيَرُ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطِعمُ وَلَا يُطِعمُهُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْمُوَ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ مَن يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَ مَيزِدَ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٤﴾ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴿١٦﴾

﴿١٧﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يعبدون مع الله غيره من الأصنام وغيرها: أيقل أن أتخذ غير الله وليًا وناصرًا وأوليه وأستنصره؟! وهو الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، فلم يُسَبِّحْ إلى خلقهما، وهو الذي يرزق من يشاء من عباده، ولا أحد من عباده يرزقه، فهو الغني عن عباده، وعباده مفتقرون إليه، قل - أيها الرسول -: إني أمرني ربي سبحانه أن أكون أول من انتقاد الله وخضع له من هذه الأمة، ونهاني أن أكون من الذين يشركون معه غيره.

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله بارتكاب ما حرم علي من الشرك وغيره، أو ترك ما أمرني به من الإيمان وغيره من الطاعات، أن يعذبني عذابًا عظيمًا يوم القيامة.

﴿١٩﴾ مَن يَصْرِفْ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُرْزَحْزَحْه عَنْهُ، فقد فاز برحمة الله له، وتلك النجاة والرحمة عن العذاب هو الفوز الواضح الذي لا يُدَانِيهِ فوز.

﴿٢٠﴾ وَإِن يَنْتَلِكْ - يا ابن آدم - من الله بلاء فلا صارف يصرفه عنك إلا الله، وإن يَنْتَلِكْ منه خير فلا مانع له من ذلك، ولا رَادٌّ لفضله، فهو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

﴿٢١﴾ وهو القادر الغالب الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه أحد، الجميع له خاضعون، فوق عباده كما يليق به سبحانه، وهو الحكيم في خلقه وتدييره وشرعه، الخبير فلا يخفى عليه شيء.

﴿٢٢﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان حكمة الله تعالى في إرسال كل رسول من جنس من يرسل إليهم؛ ليكون أبلغ في السماع والوعي والقبول عنه.
- ٢ - الدعوة للتأمل في أن تكرر سنن الأولين في العصيان قد يقابله تكرر سنن الله تعالى في العقاب.
- ٣ - وجوب الخوف من المعصية ونتائجها.
- ٤ - أن ما يصيب البشر من بلاء ليس له صارف إلا الله، وأن ما يصيبهم من خير فلا مانع له إلا الله، فلا رَادٌّ لفضله، ولا مانع لنعتمه.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين المكذبين بك: أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلى هذا القرآن أن لا تذركم به ومن بلغ آيتكم لتشهدون آت مع الله إلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله وحده وإنني بريء مما تشركون ﴿١٧﴾ الذين آتيتهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴿١٨﴾ ومن آظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ﴿١٩﴾ ويوم نحشهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴿٢٠﴾ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴿٢١﴾ انظر كيف كذبوا على أنفسهم وصلى عنهم ما كانوا يفترون ﴿٢٢﴾ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كلاً آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أسطورة لأولين ﴿٢٣﴾ وهم ينهون عنه وينتنون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴿٢٤﴾ ولوترى إذ أقفوا على النار فقلوا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾ ثم لم يكن اعتذارهم بعد هذا الاختبار إلا أن تبرؤوا من معبوداتهم، وقالوا كذباً: والله ربنا ما كنا في الدنيا مشركين بك، بل كنا مؤمنين بك، موحدين لك. ﴿٢٧﴾ انظر - يا محمد - كيف كذب هؤلاء على أنفسهم بنفيهم الشرك عن أنفسهم، وغاب عنهم وخذلهم ما كانوا يفترونه من الشركاء مع الله في حياتهم الدنيا؟ ﴿٢٨﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن، لكنهم لا ينتفعون بما يستمعون إليه؛ لأننا جعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا القرآن، بسبب عنادهم وإعراضهم، وجعلنا في آذانهم صمماً عن السماع النافع، ومهما رأوا من الدلالات الواضحة والحجج الجليلة لا يؤمنوا بها، حتى إذا جاؤوك يخاصمونك في الحق بالباطل يقولون: ليس الذي جئت به إلا مأخوذاً عن كتب الأوائل. ﴿٢٩﴾ وهم ينهون الناس عن الإيمان بالرسول، ويبتعدون عنه، فلا يتركون من ينتفع به، ولا ينتفعون هم به، وما يهلكون بصنيعهم هذا إلا أنفسهم، وما علموا أن ما يقومون به إهلاك لها. ﴿٣٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين يُعرضون يوم القيامة على النار، فيقولون تحسراً: يا ليتنا نرد إلى الحياة الدنيا، ولا نكذب بآيات الله، ونكون من المؤمنين بالله - لرأيت عجباً من سوء حالهم.

﴿٣١﴾ فَوَاوِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان الحكمة في إرسال النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن، من أجل البلاغ والبيان، وأعظم ذلك الدعوة لتوحيد الله.
- ٢ - نفي الشرك عن الله تعالى، ودحض افتراءات المشركين في هذا الخصوص.
- ٣ - بيان معرفة اليهود والنصارى للنبي عليه الصلاة والسلام، برغم جحودهم وكفرهم.

﴿٢٨﴾ ليس الأمر كما قالوا من أنهم لو ردُّوا لأمنا، بل ظهر لهم ما كانوا يسترون من قولهم: (والله ما كنا مشركين)، حين شهدت عليهم جوارحهم، ولو قدر أنهم رجعوا إلى الدنيا لرجعوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والشرك، وإنهم لكاذبون في وعدهم بالإيمان إذا رجعوا.

﴿٢٩﴾ وقال هؤلاء المشركون: لا حياة إلا الحياة التي نحن فيها، ولسنا مبعوثين للحساب.

﴿٣٠﴾ ولو ترى - أيها الرسول - حين أوقف منكرو البعث بين يدي ربهم لرأيت العجب من سوء حالهم حين يقول لهم الله: أليس هذا البعث الذي كنتم تكذبون به حقاً ثابتاً لا مرية فيه ولا شك؟! قالوا: أقسمنا بربنا الذي خلقنا إنه لحق ثابت لا شك فيه، فيقول لهم الله عند ذلك: فدوقوا العذاب بسبب جحودكم وإنكاركم لهذا اليوم الذي كنتم به تكذبون في الحياة الدنيا.

﴿٣١﴾ قد خسر الذين كذبوا بالبعث يوم القيامة واستبعدوا الوقوف بين يدي الله، حتى إذا جاءتهم الساعة فجأة من غير سابق علم قالوا من شدة الندم: يا لحسرتنا وخيبة أملنا لما قصرنا في جنب الله من الكفر به وعدم الاستعداد ليوم القيامة، وهم يحملون سيئاتهم فوق ظهورهم، ألا قبح ما يحملون من تلك السيئات.

﴿٣٢﴾ وليست الحياة الدنيا التي تركنون إليها إلا لعباً وغروراً لمن لا يعمل فيها بما يرضي الله،

بَلْ بَدَأَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ فَدَخَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَعْتَهُ قَالُوا لَوِإِحْسَرْنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ فَذَنَّبُوا أَنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوُوا وَذُوحِحَّتْ أَنَّهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ تِبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

وأما الدار الآخرة فهي خير للذين يتقون الله بفعل ما أمر به من الإيمان والطاعة، وترك ما نهى عنه من الشرك والمعصية، أفلا تعقلون - أيها المشركون - ذلك؟ فتؤمنوا وتعملوا الصالحات.

﴿٣٣﴾ نحن نعلم أنك - أيها الرسول - يحزنك تكذيبهم لك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم؛ لعلمهم بصدقك وأمانتك، ولكنهم قوم ظالمون بسبب جحودهم لآيات الله فيتكرون لما جئت به، ويكذبون به في الظاهر.

﴿٣٤﴾ ولا تحسب أن هذا التكذيب خاص بما جئت به، فقد كذبت رسل من قبلك، وأذنتهم أقوامهم، فواجهوا ذلك بالصبر على الدعوة والجهاد في سبيل الله حتى جاءهم النصر من الله، ولا مبدل لما كتبه الله من النصر، ووعد به رسله، ولقد جاءك - أيها الرسول - من أخبار من قبلك من الرسل وما لا قوة من أقوامهم وما جابهم الله من النصر على أعدائهم بإهلاكهم.

﴿٣٥﴾ وإن كان شق عليك - أيها الرسول - ما تلاقيه من تكذيبهم وإعراضهم عما جئتهم به من الحق، فإن استطعت أن تطلب نفقاً في الأرض أو مضعداً إلى السماء فتأتيهم بحجة وبرهان غير الذي أيدناك به فافعل، ولو شاء الله جمعهم على الهدى الذي جئت به لجمعهم، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة بالغة، فلا تكونن من الجاهلين بذلك، فتذهب نفسك حسرات على أنهم لم يؤمنوا.

﴿٣٦﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من عدل الله تعالى أنه يجمع العابد والمعبود والتابع والمتبوع في عَرَصات القيامة ليشهد بعضهم على بعض.
- ٢ - ليس كل من يسمع القرآن ينتفع به، فربما يوجد حائل مثل ختم القلب أو الصَّمَم عن الانتفاع أو غير ذلك.
- ٣ - بيان أن المشركين وإن كانوا يكذبون في الظاهر فهم يستيقنون في دواخلهم بصدق النبي عليه الصلاة والسلام.
- ٤ - تسلية النبي عليه الصلاة والسلام ومواساته بإعلامه أن هذا التكذيب لم يقع له وحده، بل هي سُنَّة المشركين في معاملة الرسل السابقين.

﴿٣٦﴾ إنما يستجيب الذين يسمعون والكفار موتى لا شأن لهم، فقد ماتت قلوبهم، والموتى يعثهم الله يوم القيامة، ثم إليه وحده يرجعون ليجازيهم على ما قدموا.

﴿٣٧﴾ وقال المشركون مطالبين تَعْتَنَّا وَمُطَاطِلِينَ بالإيمان: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةً خَارِقَةً تَكُونُ بَرَهَانًا مِنْ رَبِّهِ عَلَى صِدْقِهِ فِي مَا جَاءَ بِهِ؟ قُلْ - أيها الرسول -: إن الله قادر على تنزيل آية حسبما يريدون، ولكن أكثر هؤلاء المشركين المطالبين بإنزال آية لا يعلمون أن إنزال الآيات يكون وفق حكمته تعالى، وليس وفق ما يطالبون به، فلو أنزلها ثم لم يؤمنوا لأهلكهم.

﴿٣٨﴾ وما من حيوان يتحرك فوق الأرض، ولا طائر يطير في السماء إلا أجناس مثلكم - يا بني آدم - في الخلق والرزق، ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً إلا أثبتناه، والجميع علمهم عند الله، ثم إلى ربهم وحده يوم القيامة يجمعون لفصل القضاء، فيجازي كل ما يستحقه.

﴿٣٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا مثل الصم الذين لا يسمعون، والبكم الذين لا يتكلمون، وهم مع ذلك في الظلمات لا يبصرون، فأنى لمن هذه حاله أن يهتدي؟! من يشأ الله إضلاله من الناس يضلله، ومن يشأ هدايته يَهْدِهِ بِأَنْ يجعله على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

﴿٤٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب من الله أو جاءكم الساعة التي وعدتكم أنها آتية؛ أَتَدْعُونَ إِذْ ذَاكَ غَيْرَ اللَّهِ لِيَكْشِفَ مَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّدَةِ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي ادِّعَائِكُمْ أَنْ مَعْبُودَاتِكُمْ تَجْلِبُ نَفْعًا أَوْ تَدْفَعُ ضَرًّا؟!﴾

﴿٤١﴾ الحق أنكم لا تدعون إذ ذاك غير الله الذي خلقكم، فيصرف عنكم البلاء، ويرفع عنكم الضر، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وأما معبوداتكم فتركونها؛ لعلمكم أنها لا تنفع ولا تضر.

﴿٤٢﴾ ولقد بعثنا إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - رسلاً فكذبوهم، وأعرضوا عما جاؤوهم به، فابتليناهم بالفقر والمرض من أجل أن يخضعوا لربهم، ويتذللوا له.

﴿٤٣﴾ لو أنهم حين جاءهم بلاؤنا تذللوا لله، وخضعوا له ليكشف عنهم البلاء، لرحمناهم لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل قست قلوبهم، فلم يعتبروا، ولم يتعظوا، وحسَّن لهم الشيطان ما كانوا يرتكبون من الكفر والمعاصي، فاستمروا على ما كانوا عليه.

﴿٤٤﴾ فلما تركوا ما وعظوا به من شدة الفقر والمرض، ولم يعملوا بأوامر الله، استدرجناهم بفتح أبواب الرزق عليهم، وإغنائهم بعد الفقر، وصحَّحنا أجسامهم بعد المرض، حتى إذا أصابهم البَطْرُ، واستولى عليهم الإعجاب بما مُتَّعُوا به جاءهم عذابنا فجأة، فإذا اليأس والانقطاع عما يأملون يستولي عليهم.

﴿٤٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ظُلْمًا مِنَ اللَّهِ﴾

- ١ - تشبيه الكفار بالموتى؛ لأن الحياة الحقيقية هي حياة القلب بقبوله الحق واتباعه طريق الهداية.
- ٢ - من حكمة الله تعالى في الابتلاء: إنزال البلاء على المخالفين من أجل تليين قلوبهم وردهم إلى ربهم.
- ٣ - وجود النعم والأموال بأيدي أهل الضلال لا يدل على محبة الله لهم، وإنما هو استدراج وابتلاء لهم ولغيرهم.
- ٤ - من البراهين الدالة على ربوبية الله: الاحتجاج على الناس بأنه سبحانه لو أخذ سمعهم وأبصارهم فلا سبيل لهم لردّها.

﴿٤٥﴾ فَطُغِ أَعْرَ أَهْلِ الْكُفْرِ بِاسْتِنْصَالِهِمْ جَمِيعًا بِالْإِهْلَاكِ، وَنُصِرَ رَسُلُ اللَّهِ، وَالشُّكْرُ وَالنَّشَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى إِهْلَاكِهِ أَعْدَاءَهُ وَنَصْرِهِ أَوْلِيَائِهِ.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أصمكم الله بسلب أسماعكم، وأعماكم بأخذ أبصاركم، وطبع على قلوبكم، فلم تفقهوا شيئاً؛ من معبود بحق يأتيكم بما فقدتموه من ذلك؟ تأمل - أيها الرسول - كيف نبين لهم الحجج، وننوع البراهين، ثم هم يعرضون عنها.

﴿٤٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن جاءكم عذاب الله فجأة من غير شعور منكم به، أو جاءكم ظاهراً عياناً، فإنه لا يهلك بذلك العذاب إلا الظالمون بكفرهم بالله وتكذيب رسله، ولا ينجو إلا المؤمنون بالله المتبعون لرسله.

﴿٤٨﴾ وما نرسل من نرسله من رسلنا إلا لإخبار أهل الإيمان والطاعة بما يسرهم من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع، وتخويف أهل الكفر والعصيان من عذابنا الشديد، فمن آمن بالرسول، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في آخرتهم، ولا هم يحزنون ويتحسرون علي ما فاتهم من الحظوظ الدنيوية.

﴿٤٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن طاعة الله، فلو لم يخرجوا عن طاعته فامتثلوا أوامره، وكفوا عن نواهيه لما أصابهم العذاب.

فَطُغِ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصِرَفُ الْأَيْدِ
 ثَمَّهُمْ بِصِدْفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ
 بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهَالِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمْسَهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا وَحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا
 إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوفَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
 وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٥١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لا أقول لكم: إن عندي خزائن الله من الرزق فأنصرف فيها بما شئت، ولا أقول لكم: إنني أعلم من الغيب إلا ما أطلعني الله عليه من الوحي، ولا أدعي ما ليس لي، قل - أيها الرسول - لهم: هل يستوي الكافر الذي عميت بصيرته عن الحق، والمؤمن الذي أبصر الحق وآمن به؟ أفلا تفكرون - أيها المشركون - فيما حولكم من الآيات.

﴿٥٢﴾ وخوف - أيها الرسول - بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة، ليس لهم ولي غير الله يجلب لهم النفع، ولا شفيع يكشف عنهم الضر، لعلهم يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فهؤلاء هم الذين ينتفعون بالقرآن.

﴿٥٣﴾ ولا تبعث - أيها الرسول - عن مجلسك فقراء المسلمين الذين يعبدون الله أول النهار وآخره مخلصين له العبادة، لا تطردهم لتستميل أكبر المشركين، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، إنما حسابهم عند ربهم، وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن طردتهم عن مجلسك فإنك تكون من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٥٤﴾ فَاذْكُرْ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء البتة، ومهمتهم التبليغ، فهم لا يملكون تصرفاً في الكون، فلا يعلمون الغيب، ولا يملكون خزائن رزق ونحو ذلك.

٢ - اهتمام الداعية بأتباعه وخاصة أولئك الضعفاء الذين لا يبتغون سوى الحق، فعليه أن يقربهم، ولا يقبل أن يعدهم إرضاء للكفار.

﴿٥٣﴾ وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض، فجعلنا بعضهم غنياً، وجعلنا بعضهم فقيراً، فجعلناهم متفاوتين في حظوظهم الدنيوية، ابتليناهم بذلك ليقول الكافرون الأغنياء لفقراء المؤمنين: أهؤلاء الفقراء من الله عليهم بالهداية من بيننا؟! لو كان الإيمان خيراً ما سبقونا إليه، فنحن أهل السبق. أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه، فيؤفّقهم للإيمان، وأعلم بالكافرين لها فيخذلهم فلا يؤمنون؟! بلى إن الله أعلم بهم.

﴿٥٤﴾ وإذا جاءك - أيها الرسول - الذين يصدقون بآياتنا الشاهدة على صدق ما جئت به، فردّ عليهم السلام إكراماً لهم، وبشرهم بسعة رحمة الله، فقد أوجب الله على نفسه الرحمة إيجاب تفضّل، فمن ارتكب منكم معصية في حال جهل وسفه، ثم تاب من بعد ارتكابه لها، وأصلح عمله، فإن الله يغفر له ما ارتكبه، فالله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٥﴾ وكما بيّننا لك ما ذكرنا نبيّن القرآن لإظهار الحق والعمل به، وإيضاح طريق المجرمين ومنهجهم؛ لاجتنابه والحذر منه.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول -: إني نهاني الله عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله، قل - أيها الرسول -: لا أتبع أهواءكم في عبادة غير الله، فأتا إن اتبعت أهواءكم في ذلك

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تَرْجَاهُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْضِلُ الْأَيْتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْبَأُكُمْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذْ أَوْأَمَّانَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضَى الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

أكون ضالاً عن طريق الحق، لا أهتدي إليه، وهذا شأن كل من اتبع الهوى دون برهان من الله.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إني على برهان واضح من ربي، لا على هوى، وأنتم كذبتهم بهذا البرهان، ليس عندي ما تستعجلون به من العذاب والآيات الخارقة التي طلبتموها، إنما ذلك بيد الله، فليس الحكم - ومن جملته ما طلبتم - إلا لله وحده، يقول الحق ويحكم به، وهو سبحانه خير الفاضلين بين الحق والباطل.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - لهم: لو كان عندي وفي قبضتي ما تستعجلون به من العذاب لأنزلته بكم، وعند ذلك يُقضى الأمر الذي بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين كم يُمهلهم ومتى يعاقبهم.

﴿٥٩﴾ وعند الله وحده خزائن الغيب، لا يعلمها غيره، ويعلم كل ما في البر من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد، ويعلم ما في البحر من حيوان ونبات، وما تسقط من ورقة في أي مكان، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب، ولا يوجد يابس، إلا كان مثبّتاً في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ.

﴿٥٩﴾ فإولاد من الآيات:

- ١ - الله تعالى يجعل العباد بعضهم فتنة لبعض، فتنفاوت درجاتهم في الرزق وفي الكفر والإيمان، والكفر والإيمان ليس منوطاً بسعة الرزق وضيقه.
- ٢ - من أخلاق الداعية طلاقة الوجه وإلقاء التحية والتبسط والسرور بأصحابه.
- ٣ - على الداعية اجتناب الأهواء في عقيدته ومنهجه وسلوكه.
- ٤ - إثبات تفرد الله ﷻ بعلم الغيب وحده لا شريك له، وسعة علمه في ذلك، وأنه لا يفوته شيء ولا يعزب عنه من مخلوقاته شيء إلا وهو مثبت مدون عنده سبحانه بأدق تفاصيله.

﴿١٦﴾ والله هو الذي يقبض أرواحكم عند النوم قبضاً مؤقتاً، وهو الذي يعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار وقت نشاطكم، ثم يبعثكم في النهار بعد قبض أرواحكم بالنوم لتقوموا بأعمالكم، حتى تنتهي آجال حياتكم المقدرة عند الله، ثم إليه وحده رجوعكم بالبعث يوم القيامة، ثم يخبركم بما كنتم تعملونه في حياتكم الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١٧﴾ والله هو الفاهر الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء، فوق عبادة فورية تليق بجلاله ﷻ، ويرسل عليكم - أيها الناس - ملائكة كراماً تُحصي أعمالكم حتى ينتهي أجل أحدكم بقبض ملك الموت وأعوانه روحه، وملك الموت وأعوانه لا يُقَصِّرون في ما أمروا به.

﴿١٨﴾ ثم رُدَّ جميع من قبضت أرواحهم إلى الله مالكم الحق ليجازيهم على أعمالهم، الذي له القضاء النافذ والحكم العدل فيهم، وهو أسرع الحاسبين، فإنه يحاسب الجميع في يوم واحد.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من ينقذكم ويُسَلِّمُكم من المهالك التي تَلْقُونَهَا في ظلمات البر والبحر؟ تدعونه وحده متدللين مُسْتَكِينِينَ في السر والعلن: لئن سلَّمنا ربنا من هذه المهالك لنتكونن من الشاكرين لنعمه علينا بأن لا نعبد غيره.

﴿٢٠﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله هو الذي ينقذكم منها، وَيُسَلِّمُكم من كل كرب، ثم أنتم بعد ذلك تشركون معه غيره في حالة السراء، فأى ظلم فوق ما تقومون به؟!

وَهُوَ الَّذِي تَوَفَّاكُم بِأَيْلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِوَكِيلٍ ﴿٢٢﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يُخَوِّضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوِّضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً يأتيكم من فوقكم مثل الحجارة والصواعق والظوفان، أو يأتيكم من تحتكم مثل الزلازل والخسف، أو يخالف بين قلوبكم، فيتبع كل منكم هواه، فيقاتل بعضهم بعضاً، تأمل - أيها الرسول - كيف نَوَّعَ لهم الأدلة والبراهين، ونَبَّيَّنَا لهم لعلهم يعلمون أن ما جئت به حق، وأن ما عندهم باطل.

﴿٢٢﴾ وكذب بهذا القرآن قومك، وهو الحق الذي لا مرية في أنه من عند الله، قل لهم - أيها الرسول -: لست عليكم برقيب على أعمالكم، فما أنا إلا منذر لكم بين يدي عذاب شديد.

﴿٢٣﴾ لكل خبر وقت يستقر فيه، ونهاية ينتهي إليها، ومن ذلك خبر مالكم وعاقبتكم، فسوف تعلمون ذلك عندما تبعثون يوم القيامة.

﴿٢٤﴾ وإذا رأيت - أيها الرسول - المشركين يتكلمون في آياتنا بالسخرية والاستهزاء، فلا تقعد معهم حتى يدخلوا في حديث خال من السخرية والاستهزاء بآياتنا، وإذا أسناك الشيطان وقعدت معهم، ثم تذكرت فغادر مجلسهم ولا تقعد مع هؤلاء المعتدين.

﴿٢٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - إثبات أن النَوْمَ موتٌ، وأن الأرواح تُقبض فيه، ثم تُردُّ عند الاستيقاظ.
- ٢ - الاستدلال على استحقاق الله تعالى للألوهية بدليل الفطرة، فإن أهل الكفر يؤمنون بالله تعالى ويرجعون لفطرتهم عند الاضطرار والوقوع في المهالك، فيسألون الله تعالى وحده.
- ٣ - إلزام المشركين بمقتضى سلوكهم، وإقامة الدليل على انقلاب فطرتهم، بكونهم يستغيثون بالله وحده في البحر عند الشدة، ويشركون به حين يسلمهم وينجيهم إلى البر.
- ٤ - عدم جواز الجلوس في مجالس أهل الباطل واللغو، ومفارقتهم، وعدم العودة لهم إلا في حال إقلاعهم عن ذلك.

﴿٦٥﴾ وليس على الذين يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه من حساب هؤلاء الظالمين من شيء، وإنما عليهم أن ينهؤهم عما يرتكبونه من منكر، لعلهم يتقون الله، فيمثلون أوامره ويجتنبون نواهيه.

﴿٦٦﴾ ودع - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين صيروا دينهم لعباً ولهواً يسخرون منه ويستهزئون به، وخذعتهم الحياة الدنيا بما فيها من متع زائلة، وعظ - أيها النبي - الناس بالقرآن حتى لا تسلم نفس إلى الهلاك بسبب ما كسبته من سيئات، ليس لها من دون الله ناصر تستنصر به، ولا شفيع يمنع عنها عذاب الله يوم القيامة، وإذا افتدت من عذاب الله بأي فداء لا يقبل منها، أولئك الذين أسلموا إلى هلاك أنفسهم بسبب ما ارتكبه من المعاصي لهم يوم القيامة شراب متناهي الحرارة، وعذاب موجه بسبب كفرهم.

﴿٦٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله أوثاناً لا تملك نفعاً فتنفعا ولا ضرراً فتضرنا، ونرتد عن الإيمان بعد أن وفقنا الله له، فنكون مثل الذي أضلته الشياطين، فتركته حيران لا يهتدي سبيلاً، وله أصحاب على الطريق المستقيم يدعونه

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ رَبَّهُمْ أَنَّ يُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلُّ عَدْلٍ لَآيُؤَخِّدْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبًا هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِلنَّبِيِّ لِيَأْتِيَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلَهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يَنفُخُ فِي الصُّورِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٠﴾

إلى الحق، وهو يمتنع عن إجابتهم إلى ما يدعونه إليه؟ قل لهم - أيها الرسول -: إن هدى الله هو الهدى الحق، وقد أمرنا الله أن نسلم له ﷺ بالتزام توحيده وعبادته وحده، فهو رب العالمين.

﴿٦٨﴾ وقد أمرنا بإقامة الصلاة على الوجه الأكمل، وأمرنا بتقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، فهو وحده الذي يُجمع العباد إليه يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

﴿٦٩﴾ وهو ﷺ الذي خلق السماوات والأرض بالحق، يوم يقول الله للشيء: كن فيكون، حين يقول يوم القيامة: قوموا فيقومون، قوله الصدق الذي سيقع لا محالة، وله ﷺ وحده الملك يوم القيامة حين ينفخ إسرافيل في القرن النفخة الثانية، عالم ما غاب وعالم ما شوهد، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء، فبواطن الأمور عنده كظواهرها.

﴿٧٠﴾ فَوَلِّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الداعية إلى الله تعالى ليس مسؤولاً عن محاسبة أحد، بل هو مسؤول عن التبليغ والتذكير.
- ٢ - من دلائل التوحيد: أن من لا يملك نفعاً ولا ضرراً ولا تصرفاً، هو بالضرورة لا يستحق أن يكون إلهاً معبوداً.

﴿٧٤﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه المشرك آزر: يا أبت، أتجعل الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله؟! إني أراك وقومك الذين يعبدون الأوثان في ضلال بين، وحيرة عن طريق الحق بسبب عبادتكم غير الله، فهو سبحانه المعبود بحق، وغيره معبود بالباطل.

﴿٧٥﴾ وكما أريناه ضلال أبيه وقومه نبيه ملك السماوات والأرض الواسع؛ ليستدل بذلك الملك الواسع على وحدانية الله واستحقاقه العبادة وحده؛ ليكون من الموقنين بأن الله واحد لا شريك له، وأنه قادر على كل شيء.

﴿٧٦﴾ فحين أظلم عليه الليل أخذ يجادل قومه ليستميلهم عن الشرك إلى التوحيد، وكان قومه يعبدون النجوم، فرأى كوكباً، فقال مناظراً قومه ومستدرجاً إياهم: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب من يغيب؛ لأن الإله الحق حاضر لا يغيب، إذ من عقائد قومه أن الآلهة عندهم لا تتحول ولا تغيب، فاحتج عليهم بما يعتقدون من باب التنزل مع الخصم.

﴿٧٧﴾ وحين رأى القمر طالماً قال لقومه على سبيل الاستدراج لهم: هذا ربي، فلما غاب قال: لئن لم يوفقني الله لتوحيدته وعبادته وحده لأكونن من القوم الضالين عن دينه الذين يعبدون معه غيره.

﴿٧٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرًا أَنْتَ تَخَذُ أَصْنَامًا مَاءَ الْهَيْهَاتَ إِلَىٰ أَرْضِكَ وَقَوْمِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهٌ وَجْهِي لِلدِّينِ لِذِي فِطْرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٨﴾ وحين رأى الشمس طالعة قال لقومه على سبيل الاستدراج: هذا الطالع ربي، هذا الطالع أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت قال: يا قوم، إني بريء مما تشركون مع الله.

﴿٧٩﴾ ولما تبرأ مما يعبدون من دون الله كأنهم سألوه: ما تعبد إذن؟ فقال: إني أخلصت ديني لله الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، ماثلاً عن الشرك إلى التوحيد الخالص، ولست من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره.

﴿٨٠﴾ وخاصمه قومه المشركون في توحيد الله سبحانه، وخوفوه من أصنامهم، فقال لهم: أنخاصمونني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني ربي إليه، ولست أخاف من أصنامكم، فإنها لا تملك ضراً فتضرني ولا نفعاً فتفنعني إلا أن يشاء الله، فما شاء الله كائن، ومع علم الله كل شيء فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، أفلا تتذكرون - يا قوم - ما أنتم عليه من الكفر بالله والشرك به فتؤمنوا بالله وحده؟

﴿٨١﴾ وكيف يقع مني خوف لما تعبدون من دون الله من أوثان، ولا يقع منكم أنتم خوف لشرككم بالله حين أشركتم معه ما خلقه دون برهان لكم على ذلك؟ فأَيُّ الْجَمْعَيْنِ: جَمْعُ الْمُوحِدِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ أَوْلَىٰ بِالأَمْنِ وَالسَّلَامَةِ؟ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَوْلَاهُمَا فَاتَّبِعُوهُ، وَأَوْلَاهُمَا - دُونَ رَبِّ - هُوَ جَمْعُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوحِدِينَ.

﴿٨٢﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الآيَاتِ:

- ١ - بيان قصة مناظرة إبراهيم لقومه وما فيها من الدلائل القوية على إثبات تفردهم الله تعالى بالربوبية واستحقاق الألوهية.
- ٢ - جواز المناظرة واستخدام الحجج العقلية لإلزام الخصم.
- ٣ - جواز اختلاف المواقف المتوافقة مع قناعات المخالف، ثم الاستفادة منها لدفع المخالف للرجوع للمسلمات التي يؤمن بها، ثم الانطلاق منها لتقرير قضايا العقيدة.

﴿٨٧﴾ الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعُوا مَا شَرَعَ، وَلَمْ يَخْلَطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكَ، لَهُمُ الْأَمْنُ وَالسَّلَامَةُ وَحَدَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهُمْ مُوقِفُونَ، وَفَقَهُم رِبْهُم لَطَرِيقِ الْهُدَايَةِ.

﴿٨٧﴾ وَتِلْكَ الْحِجَّةُ الَّتِي غَلِبَ إِبْرَاهِيمَ بِهَا قَوْمَهُ حَتَّى انْقَطَعَتْ حُجَّتُهُمْ مِنْ أَقْوَالِ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ هِيَ حُجَّتُنَا وَفَقَّنَاهَا لِمُحَاجَّةِ قَوْمِهِ بِهَا، وَأَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهَا، نَرْفَعُ مِنْ نَشْءٍ مِنْ عِبَادِنَا مَرَاتِبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ، عَلِيمٌ بِعِبَادِهِ.

﴿٨٤﴾ وَرَزَقْنَا إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ وَحَفِيدَهُ يَعْقُوبَ، وَوَفَّقْنَا كُلًّا مِنْهُمَا لِلصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَوَفَّقْنَا نُوحًا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَوَفَّقْنَا لَطَرِيقِ الْحَقِّ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ كَلًّا مِنْ دَاوُدَ وَابْنِهِ سَلِيمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَ. قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٨٥﴾ وَوَفَّقْنَا كَذَلِكَ كَلًّا مِنْ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَإِلْيَاسَ، وَكُلَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّالِحِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ رُسُلًا. ﴿٨٦﴾ وَوَفَّقْنَا كَذَلِكَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا، وَكُلَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَى رَأْسِهِمُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.

﴿٨٧﴾ وَوَفَّقْنَا بَعْضَ آبَائِهِمْ وَبَعْضَ أَبْنَائِهِمْ وَبَعْضَ إِخْوَانِهِمْ مِمَّنْ شَتَّنَا تَوْفِيقَهُ، وَاخْتَرْنَاهُمْ، وَوَفَّقْنَاهُمْ لِسُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.

﴿٨٨﴾ ذَلِكَ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ التَّوْفِيقِ هُوَ تَوْفِيقُ اللَّهِ يُوَفِّقُ لَهُ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَوْ أَشْرَكُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لَبَطَلَ عَمَلُهُمْ؛ لِأَنَّ الشَّرْكَ مَبْطُلٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ الْمَذْكُورُونَ هُمُ الَّذِينَ أَعْطَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحِكْمَةَ، وَأَعْطَيْنَاهُمُ النَّبُوَّةَ، فَإِنْ يَكْفُرْ قَوْمٌ بِمَا أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ هَيَّأْنَا لَهَا وَأَرْصَدْنَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ بِهَا، بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ مُسْتَسْكِنُونَ بِهَا، وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿٩٠﴾ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ، وَمَنْ ذَكَرَ مَعَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، هُمُ أَهْلُ الْهُدَايَةِ حَقًّا، فَاتَّبِعْهُمْ وَتَأَسَّ بِهُمْ، وَقُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِقَوْمِكُمْ: لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ عَلَى إِبْلَاحِ هَذَا الْقُرْآنِ جَزَاءً، فَالْقُرْآنُ لَيْسَ إِلَّا مَوْعِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ لِيَسْتَرْشِدُوا بِهِ إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.

﴿٩٠﴾ قَوْلًا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مِنْ فِضَائِلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ يَضْمَنُ الْأَمْنَ لِلْعَبْدِ، خَاصَّةً فِي الْآخِرَةِ حِينَ يَفْزَعُ النَّاسُ.
- ٢ - تُقَرَّرُ الْآيَاتُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَبَقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا بَلَّغُوا دَعْوَتَهُمْ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَا بِقُدْرَتِهِمْ.
- ٣ - الْأَنْبِيَاءُ يَشْتَرِكُونَ جَمِيعًا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ اخْتِلَافِ تَشْرِيعَاتِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ.
- ٤ - الْاِقْتِدَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ سُنَّةٌ مَحْمُودَةٌ، وَخَاصَّةً فِي أَصُولِ التَّوْحِيدِ.

﴿٩١﴾ وما عَظَّمَ المشركون الله حق تعظيمه حين قالوا لنبيه محمد ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الوحي، قل لهم - أيها الرسول - من الذي أنزل التوراة على موسى نوراً وهداية وإرشاداً لقومه؟ يجعلها اليهود في دفاتر يظهرون منها ما يوافق أهواءهم، ويكتمون ما يخالفها كصفة محمد ﷺ، وعلمتُم أنتم - أيها العرب - من القرآن ما لم تعلموا أنتم ولا أسلافكم من قبل، قل لهم - أيها الرسول -: أنزلها الله، ثم اتركهم في جهلهم وضلالهم حتى يأتيهم اليقين.

﴿٩٢﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه عليك - أيها النبي - وهو كتاب مبارك مصدق لما سبقه من الكتب السماوية، لتتذرع به أهل مكة وسائر الناس في مشارق الأرض ومغاربها حتى يهتدوا، والذين يُصدِّقون بالحياة الآخرة يصدقون بهذا القرآن، ويعملون بما فيه، ويحافظون على صلاتهم بإقامة أركانها وفروضها ومستحباتها في أوقاتها المحددة لها شرعاً.

﴿٩٣﴾ لا أحد أعظم ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بأن قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، أو قال كذباً: إن الله أوحى إليه، والله لم يوح إليه شيئاً، أو قال: سأنزل مثل ما أنزل الله من القرآن، ولو ترى - أيها الرسول - أيديهم بالتعذيب والضرب، يقولون لهم على سبيل التعنيف: أخرجوا أنفسكم، فنحن نقبضها، في هذا اليوم تجزون عذاباً يهينكم وبذلكم بسبب ما كنتم تقولون على الله من الكذب بادعاء النبوة والوحي وإنزال مثل ما أنزل الله، وبسبب تكبركم عن الإيمان بآياته، لو ترى ذلك لرأيت أمراً فظيماً.

﴿٩٤﴾ ويقال لهم يوم البعث: ولقد جئتمونا في هذا اليوم أفراداً، لا مال معكم ولا رئاسة، كما أنشأناكم أول مرة حفاة عراة غُرلاً، وتركتم ما أعطيناكم من ذلك خلفكم في الدنيا رغماً عنكم، وما نرى اليوم معكم أصنامكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، وزعمتم أنهم شركاء لله في استحقاق العبادة، لقد تقطع الوصال بينكم، وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعتهم، وأنهم شركاء لله.

﴿٩٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

﴿٩١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْمَعُونَهُ فَارْطُبْسُ بُدْوِهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

﴿٩٢﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ مُّصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا قُلْ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَوَضَّلْنَا عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

حين تصيب هؤلاء الظالمين سكرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم إليهم بالتعذيب والضرب، يقولون لهم على سبيل التعنيف: أخرجوا أنفسكم، فنحن نقبضها، في هذا اليوم تجزون عذاباً يهينكم وبذلكم بسبب ما كنتم تقولون على الله من الكذب بادعاء النبوة والوحي وإنزال مثل ما أنزل الله، وبسبب تكبركم عن الإيمان بآياته، لو ترى ذلك لرأيت أمراً فظيماً.

﴿٩٤﴾ ويقال لهم يوم البعث: ولقد جئتمونا في هذا اليوم أفراداً، لا مال معكم ولا رئاسة، كما أنشأناكم أول مرة حفاة عراة غُرلاً، وتركتم ما أعطيناكم من ذلك خلفكم في الدنيا رغماً عنكم، وما نرى اليوم معكم أصنامكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، وزعمتم أنهم شركاء لله في استحقاق العبادة، لقد تقطع الوصال بينكم، وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعتهم، وأنهم شركاء لله.

١ - إنزال الكتب على الأنبياء هو سُنَّةُ الله في المرسلين، والنبي عليه الصلاة والسلام واحد منهم.

٢ - أعظم الناس كذباً وقرية هو الذي يكذب على الله تعالى، فينسب أو ينفي ويثبت في حق الله تعالى أمراً ليس عليه دليل صحيح.

٣ - كل أحد يبعث يوم القيامة فرداً متجرداً عن المناصب والألقاب، فقيراً، ويحاسب وحده.

﴿١٥﴾ إن الله وحده هو الذي يشق الحب فيخرج منه الزروع، ويشق النوى فيخرج منه النخل، يخرج الحي من الميت، إذ يخرج الإنسان وسائر الحيوان من النطفة، ويخرج الميت من الحي، إذ يخرج النطفة من الإنسان والبيضة من الدجاج، ذلكم الذي يصنع هذا هو الله الذي خلقكم، فكيف تصرفون - أيها المشركون - عن الحق مع ما شاهدونه من بديع صنعته؟!

﴿١٦﴾ وهو ﷻ الذي يشق ضوء الصباح من ظلمة الليل، وهو الذي جعل الليل سكوناً للناس يسكنون فيه عن الحركة لطلب المعاش؛ ليستريحوا من تعبهم في طلبه في النهار، وهو الذي جعل الشمس والقمر يجريان بحساب مُقَدَّر، ذلك المذكور من بديع الصُّنْعِ تقدير العزيز الذي لا يغالبه أحد، العليم بخلقه وما يصلح لهم.

﴿١٧﴾ وهو ﷻ الذي خلق لكم - يا بني آدم - النجوم في السماء لتهتدوا بها في أسفاركم إذا اشتبهت عليكم الطرق في البر والبحر، قد بينا الأدلة والبراهين الدالة على قدرتنا لقوم يتدبرون تلك الأدلة والبراهين فيستفيدون منها. ﴿١٨﴾ وهو ﷻ الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس أبيكم آدم، فقد بدأ خلقكم بخلق أبيكم من طين، ثم خلقكم منه، وخلق لكم ما تستقرون فيه، وهو أرحام أمهاتكم،

﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآتَىٰ تَوْفَكُونَ ﴿١٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتِرًا كَبَابًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ الْبَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

وَمُسْتَوْدَعًا تَسْتَوْدَعُونَ فِيهِ، وَهُوَ أَصْلَابُ آبَائِكُمْ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْهَمُونَ كَلَامَ اللَّهِ.

﴿١٩﴾ وهو ﷻ الذي أنزل من السماء ماء هو ماء المطر، فأنبتنا به كل صنف من أصناف النبات، فأخرجنا من النبات زرعاً وشجراً أخضر، نخرج منه حباً يركب بعضه بعضاً كما يقع في السنابل، ومن طلع النخل تخرج عذوقه قريبة ينالها القائم والقاعد، وأخرجنا بساتين من العنب، وأخرجنا الزيتون والرمان متماثلاً ورقهما، مختلفاً ثمرهما، انظروا - أيها الناس - إلى ثمره أول ما يبدو، وإليه حين ينضج، إن في ذلكم - أيها الناس - لأدلة واضحة على قدرة الله لقوم يُصَدِّقُونَ بالله، فهم الذين يستفيدون من هذه الأدلة والبراهين.

﴿٢٠﴾ وصيّر المشركون الجن شركاء لله في العبادة حين اعتقدوا أنها تنفع وتضر، وقد خلقهم الله، ولم يخلقهم غيره، فهو أولى بأن يُعْبَدَ، ونسبوا له جهلاً منهم بنين كما فعلت اليهود بغير، والنصارى بعبسى، وبنات كما فعل المشركون بالملائكة، تنزهه وتقدس عما يصفه به أهل الباطل.

﴿٢١﴾ وهو ﷻ خالق السماوات وخالق الأرض على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة؟! وهو قد خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٢٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ:

- ١ - الاستدلال ببرهان الخلق والرزق (تخليق النبات ونموه وتحول شكله وحجمه ونزول المطر) دليلاً على انفراده ﷻ بالربوبية واستحقاق الألوهية؛ أمر ظاهر مُشَاهَد.
- ٢ - الاستدلال ببرهان الحركة (حركة الأفلاك وانتظام سيرها وانضباطها) دليلاً على انفراده ﷻ بالربوبية واستحقاق الألوهية؛ أمر ظاهر مُشَاهَد أيضاً.
- ٣ - بيان ضلال وسخف عقول المشركين في عبادتهم للجن.

١٣١) ذلكم - أيها الناس - المتصف بتلك الصفات هو ربكم، فلا رب لكم غيره، ولا معبود بحق غيره، وهو خالق كل شيء، فاعبدوه وحده، فهو المستحق للعبادة، وهو على كل شيء حفيظ.

١٣٢) لا تحيط به الأبصار، وهو سبحانه يدرك الأبصار، ويحيط بها، وهو اللطيف بعباده الصالحين، الخبير بهم.

١٣٣) قد جاءكم - أيها الناس - حجج واضحة وبراهين جلية من ربكم، فمن تعقلها وأدعن فتنة ذلك يعود إليه، ومن عمي عنها، ولم يتعقلها، ولم يدع لها، فضرر ذلك مقصور عليه، ولست عليكم رقيباً، أحصي أعمالكم، إنما أنا رسول من ربي، وهو الرقيب عليكم.

١٣٤) وكما نوعنا الأدلة والبراهين على قدرة الله نؤمن الآيات في الوعد والوعيد والوعظ، وسيقول المشركون: ليس هذا وحياً، وإنما درسته عن أهل الكتاب من قبلك. ولتبين الحق للناس بتنوعنا لهذه الآيات للمؤمنين من أمة محمد ﷺ، فهم الذين يقبلون الحق، ويتبعونه.

١٣٥) اتبع - أيها الرسول - ما يوحيه إليك ربك من الحق، فهو سبحانه لا معبود بحق غيره، ولا تشغل قلبك بالكافرين وعنادهم، فأمرهم إلى الله.

١٣٦) ولو شاء الله أن لا يشركوا به أحداً ما أشركوا به أحداً، وما جعلناك - أيها الرسول -

رقيباً تحصي عليهم أعمالهم، ولست عليهم بقيم، إنما أنت رسول، وما عليك إلا البلاغ.

١٣٧) ولا تسبوا - أيها المؤمنون - الأصنام التي يعبدونها المشركون مع الله، وإن كانت أحقر شيء وأولاه بالسب؛ حتى لا يسب المشركون الله تطاولاً عليه، وجهلاً بما يليق به سبحانه، وكما زين لهؤلاء ما هم عليه من الضلال زيننا لكل أمة عملهم، خيراً كان أو شراً، فأتوا ما زيننا لهم منه، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا، ويجازيهم عليه.

١٣٨) وأقسم المشركون بالله أشد إيمانهم التي يقدرون عليها: لئن جاءهم محمد بآية من الآيات التي اقترحوها لصدقن بها، قل لهم - أيها الرسول -: الآيات ليست عندي فأنزلها، إنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريكم - أيها المؤمنون - أن هذه الآيات إذا جاءت وفق ما اقترحوها لا يؤمنون؟ بل يقولون على عنادهم وجحودهم؛ لأنهم لا يريدون الهداية.

١٣٩) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم بالجولة بينها وبين الاهتداء للحق، كما حُلنا بينهم وبين الإيمان بالقرآن أول مرة بسبب عنادهم، ونتركهم في ضلالهم وتمردهم على ربهم حيارى يتخبطون.

✽ فوائده من الآيات:

- ١ - تنزيه الله تعالى عن الظلم الذي ترسخه عقيدة (الجبر). وبيان أن كفر العباد وشركهم أمر يحدث باختيارهم.
- ٢ - ليس بمقدور نبي من الأنبياء أن يأتي بآية (معجزة) من عند نفسه، أو متى شاء، بل ذلك أمر مردود لله تعالى، فهو القادر وحده على ذلك، وهو الحكيم الذي يُقدّر نوع المعجزة ووقت إظهارها.
- ٣ - النهي عن سب آلهة المشركين حذراً من مفسدة أكبر وهي التعدي بالسب على جناب رب العالمين.
- ٤ - قد يحول الله ﷻ بين العبد والهداية، ويصرف بصره وقلبه على غير الطاعة؛ عقوبة له على اختياره الكفر.

﴿١١١﴾ ولو أننا أجبناهم بالإتيان بما اقترحوه، فنزلنا عليهم الملائكة وشاهدوهم، وكلمهم الموتى، وأخبروهم بصدقك فيما جئت به، وجمعنا لهم كل شيء مما اقترحوه عياناً؛ ما كانوا ليؤمنوا بما جئت به، إلا من شاء الله له الهداية منهم، ولكن أكثرهم يجهلون ذلك، فلا يلجؤون إلى الله ليوقفهم للهداية.

﴿١١٢﴾ وكما ابتليناك بمعاداة هؤلاء المشركين لك ابتلينا كل نبي من قبلك، فجعلنا لكل واحد منهم أعداء من مردة الإنس، وأعداء من مردة الجن، يوسوس بعضهم لبعض فيزينون لهم الباطل ليخدعوههم، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء لهم ذلك ابتلاء، فاطرهم وما يفترون من الكفر والباطل، ولا تعبأ بهم.

﴿١١٣﴾ ولتميل إلى ما يوسوس به بعضهم لبعض قلوب الذين لا يصدقون بالآخرة، وليقبلوه لأنفسهم، ويرتضوه لها، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي والآثام.

﴿١١٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يعبدون مع الله غيره: هل يعقل أن أقبل غير الله حكماً بيني وبينكم؟ فالله هو الذي أنزل عليكم القرآن مبیناً مستوفياً لكل شيء، واليهود الذين أعطيناهم التوراة، والنصارى الذين أعطيناهم الإنجيل، يعلمون أن القرآن منزل عليك، لما وجدوه في كتابيهما من الدليل على ذلك، فلا تكونن من الشاكين فيما أوحينا إليك.

﴿١١٥﴾ وتمت كلمة ربك (القرآن) صدقاً في الأقوال، وعدلاً في الأوامر والنواهي، لا مُعَيَّرَ لكلماته، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بها، فلا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿١١٦﴾ وإن تطع تقديراً - أيها الرسول - أكثر من في الأرض من الناس يضلوك عن دين الله، فقد جرت سنة الله أن يكون الحق مع القلة، فأكثر الناس لا يتبعون إلا الظن الذي لا مستند له، حيث ظنوا أن معبوداتهم تقربهم إلى الله رُفْقَى، وهم يكذبون في ذلك.

﴿١١٧﴾ إن ربك - أيها الرسول - أعلم بمن يضل عن سبيله من الناس، وهو أعلم بالمهتدين إليها، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١١٨﴾ فكلوا - أيها الناس - مما ذكر اسم الله عليه عند الذبح، إن كنتم مصدقين حقاً ببراهينه الواضحة.

﴿١١٩﴾ فإذ من الآيات:

١ - الهدف الأعظم للعباد اتباع الحق، ويطلبه بالطرق التي بيّنها الله، ويعمل بذلك، ويرجو عون ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته.

٢ - من إنصاف القرآن للقلة المؤمنة العالمية إسناده الجهل والضلال إلى أكثر الخلق.

٣ - من سنته تعالى في الخلق ظهور أعداء من الإنس والجنّ للأنبياء وأتباعهم؛ لأنّ الحق يعرف بضده من الباطل.

٤ - القرآن صادق في أخباره، عادل في أحكامه، لا يُعْتَرَفُ في أخباره على ما يخالف الواقع، ولا في أحكامه على ما يخالف الحق.

﴿١٣١﴾ ما الذي يمنعكم أيها المؤمنون من أن تأكلوا مما ذُكر اسمُ الله عليه، وقد بينَ لكم الله ما حرمه عليكم، فيجب عليكم تركه، إلا إذا ألجأتمكم إليه الضرورة، فالضرورة تبيح المحظور، وإن كثيراً من المشركين الضالين ليضلون أتباعهم بأرائهم الفاسدة، حيث يُحِلُّون ما حرم الله عليهم من الميتة وغيرها، ويحرمون ما أحل الله لهم من البحيرة والوصيلة والحامي وغيرها، إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بالمتجاوزين لحدود الله، وسيجازيهم على تجاوزهم لحدوده.

﴿١٣٢﴾ واتركوا - أيها الناس - ارتكاب المعاصي في العلانية والسر، إن الذين يكسبون المعاصي في السر أو العلانية، سيجزيهم الله على ما اكتسبوه منها.

﴿١٣٣﴾ ولا تأكلوا - أيها المسلمون - مما لم يذكر اسم الله عليه، سواء ذُكر عليه اسم غيره أو لا، وإن الأكل منه لخروج عن طاعة الله إلى معصيته، وإن الشياطين ليؤسوسون إلى أولياتهم بإلقاء الشبهة ليجادلوكم في أكل الميتة، وإن أطعتموهم - أيها المسلمون - فيما يلقونه من الشبهة - لإباحة الميتة - كنتم أنتم وهم سواء في الشرك.

﴿١٣٤﴾ وهل الذي كان قبل هداية الله له ميتاً - لما هو فيه من الكفر والجهل والمعاصي - فأحييناه

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٣١﴾
وَذُرُوا ظَاهِرَ الْأَيْمَنِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَى أُولِيَ آيِهِمْ لِيُجْنِدَ لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣٣﴾
أَوْ مِنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرُمِهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣٥﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾

بهدايته للإيمان والعلم والطاعة؛ يستوي مع من هو في ظلمات الكفر والجهل والمعاصي لا يستطيع الخروج منها، قد التبتت عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك؟ كما زين لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الشرك وأكل الميتة والجدال بالباطل زين للكافرين ما كانوا يعملون من المعاصي ليجازوا عليها يوم القيامة بالعذاب الأليم.

﴿١٣٥﴾ ومثل ما حصل من أكابر المشركين في مكة من صد عن سبيل الله جعلنا في كل قرية رؤساء وعظماء يعملون حيلهم وكيدهم في الدعوة إلى سبيل الشيطان ومحاربة الرسل وأتباعهم، والواقع أن مكرهم وكيدهم إنما يعود عليهم، ولكنهم لا يحسون بذلك لجهلهم واتباع أهوائهم.

﴿١٣٦﴾ وإذا جاءت كبراء الكفار آية من الآيات التي ينزلها الله على نبيه، أو معجزة دالة على صدق رسوله قالوا: لن نصدق حتى يعطينا الله مثل ما أعطى الأنبياء من النبوة والرسالة، فرد الله عليهم بأنه أعلم بمن هو صالح للرسالة والقيام بأعبائها، فيخصه بالنبوة والرسالة. سينال هؤلاء الطغاة ذل وإهانة لتكبرهم عن الحق، وعذاب شديد بسبب مكرهم.

﴿١٣٧﴾ فَوَايِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأصل في الأشياء والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها فإنه باق على الإباحة.
- ٢ - كل من تكلم في الدين بما لا يعلمه، أو دعا الناس إلى شيء لا يعلم أنه حق أو باطل، فهو معتد ظالم لنفسه وللناس، وكذلك كل من أفتى وليس هو بكفاء للإفتاء.
- ٣ - يجب على العبد ترك جميع المعاصي التي توقعه في الإثم والحرج، من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده.
- ٤ - منفعة المؤمن ليست مقتصرة على نفسه، بل متعدية لغيره من الناس.

﴿١٢٥﴾ فمن يرد الله أن يوفقه إلى طريق الهداية يوسع صدره للإسلام فيقبله برضا وطواعية، ومن يرد أن يخذله ولا يوفقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قبول الحق، بحيث يكون حاله كحال من يصعد في الطبقات العليا فيصعب عليه التنفس، وكما جعل الله حال الضال بهذه الحال من الضيق الشديد يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

﴿١٢٦﴾ وهذا الدين الذي شرعناه لك - أيها الرسول - هو صراط الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، قد بينا الآيات لمن له وعي وفهم يعي به عن الله.

﴿١٢٧﴾ لهم الجنة يوم القيامة، هذه الجنة التي يسلمون فيها من كل مكروه، والله هو وليهم وناصرهم ومؤيدهم وحافظهم جزاء على ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿١٢٨﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشر الله الثقلين من الإنس والجن، ثم يقول الله: يا معشر الجن، قد أكثرتم من إضلال الإنس وصدتم عن سبيل الله، وقال أتباعهم من الإنس مجيبين ربهم: يا ربنا، تمتع كل منا بصاحبه، فالجني تمتع بطاعة الإنسي له، والإنسي تمتع بنيل شهواته، وبلغنا الأجل الذي أجلت لنا، فهذا يوم القيامة، قال الله:

النار مُسْتَقَرُّكُمْ خالدين فيها إلا من شاء الله إخراجهم منها من العصاة الموحدين، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في تقديره وتدبيره، عليم بعباده، وبمن يستحق منهم العذاب.

﴿١٢٩﴾ وكما ولينا المرّة من الجن، وسلطانهم على بعض الناس ليلضوهم نولي كل ظالم ظالمًا يحته على الشر ويحضه عليه، وينفره عن الخير، ويزهده فيه؛ جزاء لهم على ما كانوا يكسبون من المعاصي.

﴿١٣٠﴾ ونقول لهم يوم القيامة: يا معشر الإنس والجن، ألم يأتكم رسل من جنسكم - فهم من الإنس - يتلون عليكم ما أنزل الله عليهم، ويخوفونكم لقاء هذا الذي هو يوم القيامة؟ قالوا: بلى، أقرنا اليوم على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا، وأقرنا بقاء هذا اليوم، لكن كذبنا رسلك، وكذبنا بقاء هذا اليوم، وخذعناهم الحياة الدنيا بما فيها من زينة وزخرف ونعيم زائل، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين بالله وبرسله، ولن ينفعهم هذا الإقرار ولا الإيمان؛ لفوات وقته.

﴿١٣١﴾ ذلك الإعتذار بإرسال الرسل إلى الإنس والجن لئلا يعاقب أحد على ما جناه وهو لم يرسل إليه رسول، ولم تبلغه دعوة، فلم نعذب أمة من الأمم إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

﴿١٣٢﴾ فولد من الآيات:

- ١ - سنّة الله في الضلال والهداية أنهما من عنده تعالى، أي بخلقه وإيجاده، وهما من فعل العبد باختياره بعد مشيئة الله.
- ٢ - ولاية الله للمؤمنين بحسب أعمالهم الصالحة، فكلما زادت أعمالهم الصالحة زادت ولايته لهم والعكس.
- ٣ - من سنّة الله أن يولي كل ظالم ظالمًا مثله، يدفعه إلى الشر ويحته عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه.

﴿١٣١﴾ ولكل منهم درجات بحسب أعمالهم، فلا يستوي كثير الشر وقليله، ولا التابع والمتبوع، كما لا يستوي ثواب الذين يعملون الصالحات، وليس ربك بغافل عما كانوا يعملونه، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿١٣٢﴾ وربك - أيها الرسول - هو الغني عن عباده، فلا يحتاج إليهم، ولا إلى عبادتهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم فهو ذو رحمة بهم، إن يشأ إهلاككم - أيها العباد العصاة - يستأصلكم بعذاب من عنده، ويوجد بعد إهلاككم من يشاء ممن يؤمنون به ويطيعونه، كما خلقكم أنتم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

﴿١٣٣﴾ إن ما توعدون به - أيها الكفار - من البعث والنشور والحساب والعقاب لا تأت إلا محالة، ولن تفوتوا ربكم بالهرب، فهو أخذ بنواصيكم، ومعذبكم بعذابه.

﴿١٣٤﴾ قل - أيها الرسول -: يا قوم اثبتوا على طريقتكم وما أنتم عليه من الكفر والضلال، فقد أعذرت وأقمت الحجة عليكم بالبلاغ المبين، فلست مبالياً بكفركم وضلالكم، بل سأثبت على ما أنا عليه من الحق، فستعلمون من يكون له النصر في الدنيا، ومن يرث

وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مَّمَاعٌ عَمَلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءآخَرِينَ ﴿١٣٢﴾ إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٣﴾ قُلْ يَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٤﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا ذَرَأْتُمْ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُ أَوْهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَيَلِيسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٦﴾

الأرض، ومن له الدار الآخرة، إنه لا يفوز المشركون لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل عاقبتهم الخسران، وإن تمتعوا بما تمتعوا به في الدنيا.

﴿١٣٦﴾ وابتدع المشركون بالله أن جعلوا الله مما خلق من الزروع والأنعام قسماً، فزعموا أنه الله، وقسماً آخر لأوثانهم وأنصابهم، فما خصصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالفقراء والمساكين، وما خصصوه لله فهو يصل إلى شركائهم من الأوثان يصرف في مصالحها، ألا ساء حكمهم وقسمتهم.

﴿١٣٧﴾ وكما حسن الشيطان للمشركين هذا الحكم الجائر حسن لكثير من المشركين شركاؤهم من الشياطين أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر؛ ليهلكوهم بالوقوع في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، وليخلطوا عليهم دينهم فلا يعرفون ما هو مشروع وما هو غير مشروع، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه شاء ذلك لحكمة بالغة، فاترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين وافترأهم الكذب على الله، فإن ذلك لا يضرك، وسلّم أمرهم لله.

﴿١٣٨﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ أَهْلِيهِمْ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تفاوت مراتب الخلق في أعمال المعاصي والطاعات يوجب تفاوت مراتبهم في درجات العقاب والثواب.
- ٢ - ذم الله المشركين بسبع صفات هي: الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء، فهذه أمور سبعة، وكل واحد منها سبب تام في حصول الذم.

﴿١٣٨﴾ وقال المشركون: هذه أنعام وزروع ممنوعة لا يأكل منها إلا من يشاؤون بزعمهم وافترائهم من خدام الأوثان وغيرهم، وهذه أنعام حُرِّمَتْ ظهورها وأنعم لا يذكرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كُونُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

﴿١٣٩﴾ وقالوا: ما في بطون هذه السَّوَابِجِ والبَحَائِرِ مِنَ الْأَجْنَةِ إِنْ وُلِدَ حَيًّا حَلَالٌ عَلَى ذِكْرِنَا، مُحَرَّمٌ عَلَى نِسَاتِنَا، وَإِنْ وُلِدَ مَا فِي بَطُونِهَا مِنَ الْأَجْنَةِ مَيْتًا فَالذِّكُورُ وَالْإِنَاثُ فِيهِ شُرَكَاءُ. سَيَجْزِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِمْ هَذَا مَا يَسْتَحِقُّونَ، إِنَّهُ حَكِيمٌ فِي تَشْرِيعِهِ وَتَدْبِيرِهِ شَوْنَ خَلْقِهِ، عَلِيمٌ بِهِمْ.

﴿١٤١﴾ قَدْ هَلَكَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ لَخِيفَةِ عَقُولِهِمْ وَلِجَهْلِهِمْ، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْأَنْعَامِ نَاسِبِينَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ كَذِبًا، قَدْ ضَلُّوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ إِلَيْهِ.

﴿١٤٢﴾ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ بِسَاتِينَ مَبْسُوطَةً عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ دُونَ سَاقٍ،

ومرفوعة عليها ذات ساق، وهو الذي خلق النخل، وخلق الزرع مختلفًا ثمره في الشكل والطعم، وهو الذي خلق الزيتون والرمان متشابهًا ورقهما، وغير متشابه طعمهما، كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأدوا زكاته يوم حصاده، ولا تتجاوزوا الحدود الشرعية في الأكل والإنفاق، فالله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيهما ولا في غيرهما، بل يبغضه، إن الذي خلق ذلك كله هو الذي أباحه لعباده، فليس للمشركين تحريمه.

﴿١٤٢﴾ وهو الذي أنشأ لكم من الأنعام ما هو صالح لأن يُحْمَلَ عَلَيْهِ ككبار الإبل، وما ليس صالحًا لذلك كصغاره وكالغنم، كلوا - أيها الناس - مما رزقكم الله من هذه الأشياء التي أباحها لكم، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله كما يفعله المشركون، إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو واضح العداوة حيث يريد منكم أن تعصوا الله بذلك.

﴿١٤٣﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأهواء سبب تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله.
- ٢ - وجوب الزكاة في الزروع والثمار عند حصادها، مع جواز الأكل منها قبل إخراج زكاتها، ولا يُحْسَبُ مِنَ الزَّكَاةِ.
- ٣ - التمتع بالطيبات مع عدم الإسراف ومجاورة الحد في الأكل والإنفاق.
- ٤ - الشيطان عدو للإنسان فيجب مخالفته فيما يأمر وينهى.

﴿١٣٦﴾ خَلَقَ لَكُمْ ثَمَانِيَةَ أَصْنَافٍ، مِنَ الضَّأْنِ زَوْجَيْنِ: ذَكَرٌ وَأُنْثَى، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِّلْمُشْرِكِينَ -: هَلْ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الذَّكَرَيْنِ مِنْهُمَا لِعَلَّةِ الذَّكَوْرَةِ، فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَحْرِمُونَ الْإِنَاثَ؟ أَمْ أَنَّهُ حَرَّمَ الْأُنْثَيَيْنِ لِعَلَّةِ الْأُنُوْثَةِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تُحْرِمُونَ الذَّكَرَيْنِ؟ أَمْ أَنَّهُ حَرَّمَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ لِعَلَّةِ اشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُمْ: لِمَ تَفْرُقُونَ بَيْنَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْأَرْحَامُ بِتَحْرِيمِ ذَكَوْرِهِ تَارَةً وَتَحْرِيمِ إِنَاثِهِ تَارَةً، أُخْبِرُونِي - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بِمَا تَسْتَنْدُونَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ صَاحِحٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ تَحْرِمَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ.

﴿١٣٧﴾ وَبَقِيَّةُ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ هِيَ: زَوْجَانِ مِنَ الْإِبِلِ، وَزَوْجَانِ مِنَ الْبَقَرِ، قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِّلْمُشْرِكِينَ: اللَّهُ حَرَّمَ مَا حَرَّمَ مِنْهَا لِدُكُوْرَتِهِ، أَمْ لِأُنُوْثَتِهِ، أَمْ لِاشْتِمَالِ الرَّحْمِ عَلَيْهِ؟ أَمْ كُنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - حَاضِرِينَ - بِزِعْمِكُمْ - حِينَ وَصَاكُمْ اللَّهُ بِتَحْرِيمِ مَا حَرَّمْتُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، فَلَا أَحَدٌ أَعْظَمَ ظُلْمًا، وَلَا أَكْبَرَ جُرْمًا مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ، فَنَسَبَ إِلَيْهِ تَحْرِيمَ مَا لَمْ يَحْرَمْ؛ لِيُضِلَّ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَغْيِرِ عِلْمٍ يَسْتَنْدُ إِلَيْهِ، إِنْ اللَّهُ لَا يُوْفِقُ لِلْهُدَايَةِ الظَّالِمِينَ بِافْتِرَائِهِمُ الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ.

تَمَكِّنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ؕ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣٦﴾
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ؕ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٧﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ ؕ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْسَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنْ أَضْطَرَّ بِغَيْرِ رِجْسٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ؕ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٣٩﴾

﴿١٣٦﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَا أَجِدُ فِيهَا أَوْحَاةَ اللَّهِ إِلَيَّ شَيْئًا مُحَرَّمًا إِلَّا مَا مَاتَ دُونَ ذِكَاةٍ، أَوْ كَانَ دَمًا سَائِلًا، أَوْ كَانَ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ نَجَسٌ حَرَامٌ، أَوْ كَانَ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ كَالْمَذْبُوحِ لِأَصْنَامِهِمْ، فَمِنَ النَّجَاةِ الْضَّرُورَةُ إِلَى الْأَكْلِ مِنَ هَذِهِ الْمُحْرَمَاتِ لِشِدَّةِ الْجُوعِ غَيْرِ طَالِبٍ تَلَذُّذًا بِأَكْلِهَا، وَغَيْرِ مُتَجَاوِزٍ حُدُودَ الْضَّرُورَةِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - غَفُورٌ لِلْمُضْطَرِّ إِنْ أَكَلَ مِنْهَا، رَحِيمٌ بِهِ.

ولما ذكر الله ما حرمه على الأمة ذكر ما حرمه على اليهود؛ ليبين أن ما حرمه المشركون من الأنعام لا يستندون فيه على ما جاء من عند الله، وإنما يتبعون فيه إملاء الشيطان فقال:

﴿١٣٧﴾ وحرمنا على اليهود ما لم تتفرق أصابعه كالإبل والنعام، وحرمنا عليهم شحوم البقر والغنم إلا ما علق بظهورهما أو ما حملته الأمعاء أو ما اختلط بعظم الإلية والجنب مثلاً، وقد جازيناهم على ظلمهم بتحريم ذلك عليهم، وإنا لصادقون في كل ما نخبر به.

﴿١٣٨﴾ هو الأيات:

- ١ - في الآيات دليل على إثبات المناظرة في مسائل العلم، وإثبات القول بالنظر والقياس.
- ٢ - الوحي وما يستنبط منه هو الطريق لمعرفة إباحة والحلال والحرام.
- ٣ - إن من الظلم أن يقدم أحد على الإفتاء في الدين ما لم يكن قد غلب على ظنه أنه يفتي بالصواب الذي يرضي الله.
- ٤ - من رحمة الله بعباده الإذن لهم في تناول المحرمات عند الاضطرار.
- ٥ - المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده، صيانة لهم، وتكرمة.
- ٦ - من مقاصد الأحكام الشرعية مراعاة مصالح الدين والدنيا، والحرص على صلاح النفس والمجتمع.

﴿١٧٧﴾ فَإِنْ كَذَبُوكَ - أيها الرسول - ولم يصدقوا بما جئت به من ربك فقل ترغيباً لهم: ربكم ذو رحمة واسعة، ومن رحمته بكم إمهاله لكم، وعدم معاجلته لكم بالعذاب، وقل لهم تحذيراً لهم: إن عذابه لا يُرد عن القوم الذين يرتكبون المعاصي والآثام.

﴿١٧٨﴾ سيقول المشركون محتجين بمشيئة الله وقدره على صحة إشراكهم بالله: لو شاء الله أن لا نشرك نحن ولا آباؤنا بالله لما أشركنا به، ولو شاء الله أن لا نحرم ما حرمانه على أنفسنا لما حرمانه. ويمثل حجبتهم الداحضة كذب الذين من قبلهم برسلمهم قائلين: لو شاء الله أن لا نكذب بهم لما كذبنا بهم، واستمروا على هذا التكذيب حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل عندكم من دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به وأن تحللوا ما حرمه وتحرّموا ما أحله؟ فمجرد وقوع ذلك منكم ليس دليلاً على رضاه عنكم، إنكم لا تتبعون في ذلك إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، وما أنتم إلا تكذبون.

﴿١٧٩﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين: إن لم تكن حجج إلا هذه الحجج الواهية فإن الله الحجة القاطعة التي تنقطع عندها معاذيركم التي تقدمونها، وتبطل بها شبهكم التي تتعلقون بها،

فَإِنْ كَذَبُوكَ فَقُلْ رَبِّيَ كُفُّوا وَسِعَةٌ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْئُرِهِمْ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١٧٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا خُرُوصٌ ﴿١٧٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أُمَّلِقٍ نَحْنُ نُرْزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨١﴾

فلو شاء الله توفيقكم جميعاً للحق - أيها المشركون - لوفقكم له.

﴿١٨٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله، ويدعون أن الله هو الذي حرمه: أحضروا شهودكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء التي حرمتها، فإن شهدوا بغير علم على أن الله حرّمها فلا تصدقهم - أيها الرسول - في شهادتهم؛ لأنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء الذين يُحكّمون أهواءهم، فقد كذبوا بآياتنا حين حرّموا ما أحل الله لهم، ولا تتبع الذين لا يؤمنون بالآخرة، وهم بربهم يشركون، وكيف يتبع من هذا مسلكه مع ربه؟! ﴿١٨١﴾ قل - أيها الرسول - للناس: تعالوا أقرأ عليكم ما حرمه الله، حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً من مخلوقاته، وأن تعفوا آباءكم، بل يجب عليكم الإحسان إليهم، وأن تقتلوا أولادكم بسبب الفقر، كما كان يفعل أهل الجاهلية، نحن نرزقكم ونرزقهم، وحرم أن تقرّبوا الفواحش ما أُعلن منها وما أُسرّ به، وأن تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، كالزنا بعد الإحصان، والردة بعد الإسلام، ذلكم المذكور وصّاكم به لعلكم تعقلون عن الله وأوامره ونواهيه.

﴿١٨٢﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الحذر من الجرائم الموصلة لبأس الله؛ لأنه لا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين إذا أَرَادَهُ.
- ٢ - أن الحجة لا بد أن تكون مُسْتِنِدَةً إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مُسْتِنِدَةً إلى مجرد الظن والخرص الذي لا يغني من الحق شيئاً فإنها باطلة.
- ٣ - الاحتجاج بالقضاء والقدر بعد أن أعطى الله تعالى كل مخلوق قُدْرَةً وإِرَادَةً يتمكّن بها من فعل ما كُفِّلَ به؛ ظلم مَحْضٌ وعناد صرف.
- ٤ - دَلَّتْ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّهُ بِحَسَبِ عَقْلِ الْعَبْدِ يَكُونُ قِيَامُهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.
- ٥ - النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها.

﴿١٥٦﴾ وَحَرَّمَ أَنْ تَعْرَضُوا لِمَالِ الْيَتِيمِ - وهو الذي فقد أباه قبل البلوغ - إلا بما فيه صلاح ونفع له وزيادة لماله حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد، وحرّم عليكم التّظفيف في الكيل والميزان، بل يجب عليكم العدل في الأخذ والإعطاء في البيع والشراء، لا تكلف نفساً إلا طاقتها، فما لا يمكن الاحتراز منه من الزيادة أو النقصان في المكايل وغيرها لا مؤاخذه فيه، وحرّم عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر أو شهادة دون مُحاباة قريب أو صديق، وحرّم عليكم نقض عهد الله إن عاهدتم الله أو عاهدتم بالله، بل يجب عليكم الوفاء بذلك، ذلك المتقدم أمركم الله به أمراً مؤكداً؛ رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.

﴿١٥٧﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا سُبُلَ الضلال وطرقة، بل يجب عليكم اتباع طريق الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وطرقت الضلال تؤدي بكم إلى التفرق والبعد عن طريق الحق، ذلك الاتباع لطريق الله المستقيم هو الذي وصّاكم الله به؛ رجاء أن تتقوه بامثال ما أمر به واجتتاب ما نهى عنه.

﴿١٥٨﴾ ثم بعد الإخبار بما ذكر نخبر أننا أعطينا موسى التوراة تماماً للنعمة جزاءً على إحسانه العمل، وتبييناً لكل شيء يحتاج إليه في الدين، ودلالة على الحق ورحمة رجاء أن يؤمنوا ببقاء ربهم يوم القيامة فيستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿١٥٩﴾ وهذا القرآن كتاب أنزلناه كثير البركة؛ لما يشتمل عليه من المنافع الدينية والدينية، فاتبعوا ما أنزل فيه، واحذروا مخالفته رجاء أن ترحموا.

﴿١٦٠﴾ لثلاثاً تقولوا - يا مشركي العرب -: إنما أنزل الله التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى من قبلنا، ولم ينزل علينا كتاباً، وإنا لا ندرى تلاوة كتبهم لأنها بلغتهم، وليست بلغتنا.

﴿١٦١﴾ ولثلاثاً تقولوا: لو أنزل الله علينا كتاباً كما أنزل على اليهود والنصارى لَكُنَّا أَكْثَرَ اسْتِقَامَةً مِنْهُمْ، فقد جاءكم كتاب أنزل الله على نبيكم محمد ﷺ بلسانكم، وذلك حجة واضحة وإرشاد إلى الحق ورحمة للأمة، فلا تعتذروا بالأعذار الواهية، وتتعلموا بالعلل الباطلة، ولا أحد أعظم ظلماً ممن كذب بآيات الله، وانصرف عنها، سعاقب الذين ينصرفون عن آياتنا عقاباً شديداً يادخالهم في نار جهنم جزاءً على انصرافهم وإعراضهم عنها.

﴿١٦٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - لا يجوز التصرف في مال اليتيم إلا في حدود مصلحته، ولا يُسَلِّم ماله إلا بعد بلوغه الرشد.

٢ - التكاليف الشرعية كلها في وسع الناس رحمة من الله تعالى.

٣ - يجب على القضاة العدل بين الخصوم.

٤ - تكفل الله تعالى بأرزاق الخلائق كلهم.

٥ - سبل الضلال كثيرة، وسبيل الله وحده هو المؤدي إلى النجاة من العذاب.

٦ - الأعذار الكاذبة والحجج الواهية لن تنفع أصحابها.

﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَأَنكَلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ يَلْفَأُ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٩﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٠﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٦١﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٦٢﴾

﴿١٦٣﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿١٦٥﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٦﴾

﴿١٦٧﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٨﴾

﴿١٦٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧١﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٢﴾

﴿١٧٣﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٤﴾

﴿١٧٥﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٦﴾

﴿١٧٧﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿١٧٩﴾ وَإِن تَرَوْهُ كَثُفًا سَائِقًا كَأَن يَمْسُقِ يُرْسَقًا فَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٨٠﴾

﴿١٥٨﴾ ما ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم في الدنيا، أو يأتي ربك يوم الفصل في الآخرة - أيها الرسول - لفصل القضاء بينهم، أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على الساعة، يوم يأتي بعض آيات ربك كطلوع الشمس من مغربها - لا ينفع كافرًا إيمانه، ولا ينفع مؤمنًا لم يعمل خيرًا من قبله عمله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذابين: انظروا أحد هذه الأشياء، إنا منتظرون .

﴿١٥٩﴾ إن الذين جعلوا دينهم متفرقًا من اليهود والنصارى، حيث أخذوا بعضه وتركوا بعضه، وكانوا فرقةً مختلفين لست - أيها الرسول - منهم في شيء، فأنت بريء مما هم عليه من الضلال، وليس عليك إلا إنذارهم، فأمرهم موكل إلى الله، ثم هو يوم القيامة يخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم عليه .

﴿١٦٠﴾ من جاء يوم القيامة من المؤمنين بحسنة ضاعفها الله له عشر حسنات، ومن جاء بسيئة فلن يعاقب إلا بمثلها في الحجة والعظم، لا أكثر منها، وهم يوم القيامة لا يُظلمون بنقص ثواب الحسنات، ولا بزيادة عقاب السيئات .

﴿١٦١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذابين: إنني أرشدني ربي إلى طريق مستقيم هو طريق الدين القائم بمصالح الدنيا والآخرة، وهو ملة إبراهيم المائل إلى الحق، والذي لم يكن من المشركين قط .

﴿١٦٢﴾ قل - أيها الرسول -: إن صلاتي وذبحي لله وعلى اسم الله، لا على غيره، وحياتي وموتي، كل ذلك لله رب المخلوقات وحده، وليس لغيره نصيب في ذلك .

﴿١٦٣﴾ وهو سبحانه لا شريك له، ولا معبود بحق غيره، وبهذا التوحيد الخالص من الشرك أمرني الله، وأنا أول المؤمنين به من هذه الأمة .

﴿١٦٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أغير الله أطلب ربًا وهو يَعْبُدُونَ رب كل شيء؟! فهو رب المعبودات التي تعبدونها من دونه، ولا يحمل بريء ذنب غيره، ثم إلى ربكم وحده رجوعكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمر الدين .

﴿١٦٥﴾ والله هو الذي جعلكم خلائف لمن سبقكم في الأرض؛ للقيام بعمارتها، ورفع بعضكم في الخلق والرزق وغيرهما فوق بعض درجات؛ ليختبركم فيما آتاكم من ذلك، إن ربك - أيها الرسول - سريع العقاب، فكل ما هو آت فهو قريب، وإنه لغفور لمن تاب من عباده رحيم به .

﴿١٦٦﴾ فوالله من الآيات:

١ - أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف .

٢ - لا يجوز التسوف في القيام بالأعمال الصالحة خشية أن يُبغت الناس بانقطاع العمل؛ إما بالأجل، وإما بظهور أشراف الساعة الكبرى .

٣ - من تمام عدله تعالى وإحسانه أنه يجازي بالسيئة مثلها، وبالْحَسَنَةِ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، وهذا أقل ما يكون من التضعيف .

٤ - الدين الحق القِيمُ يتطلب تسخير كل الطاقات الدينية الإنسانية لله ﷻ، فله وحده يتوجه العبد بصلاته وعبادته ومناسكه وذباحه وجميع قرباته وأعماله في حياته وما أوصى به بعد وفاته .

سُورَةُ الْاِعْرَافِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

۱ المص ۱ كَتَبَ اَنْزَلَ اِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ

۲ لِنُذِرْ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۲ اتَّبِعُوا مَا اُنزِلَ اِلَيْكُمْ

۳ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ۳

۴ وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ اَهْلَكْنَاهَا فَاَجَاءَهَا بِاسْتِئْذَانِنَا اَوْهَمَ فَايْلُوتُ

۵ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ اِذْ جَاءَهُمْ بِاسْتِئْذَانٍ اِلَّا اَنْ قَالُوْا اِنَّا كُنَّا

ظَالِمِيْنَ ۵ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِيْنَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ

الْمُرْسَلِيْنَ ۶ فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بَعْلَهُمْ وَمَا كُنَّا غَايِبِيْنَ ۶

۷ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَاُولَئِكَ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ ۸ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَاُولَئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا

اَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوْا يَئِيْبُنَا يَظْلِمُوْنَ ۹ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ

فِي الْاَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيْهَا مَعِيْشَةً قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ۱۰

۱۱ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا

لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلِيْسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّٰجِدِيْنَ ۱۱

۱۲

۱۳

۱۴

۱۵

۱۶

۱۷

۱۸

۱۹

۲۰

۲۱

۲۲

۲۳

۲۴

۲۵

۲۶

۲۷

● مقصد السورة:

تركز على سنة الصراع بين الإيمان والكفر وعاقبته من خلال عرض سير الأنبياء مع أقوامهم.

● التفسير:

● تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

● القرآن الكريم كتاب أنزله الله عليك - أيها الرسول - فلا يكن في صدرك منه ضيق ولا شك،

أنزله إليك لتخوف به الناس، وتقيم به الحجة،

ولتذكر به المؤمنين، فهم الذين يتفجعون بالذكرى.

● اتبعوا - أيها الناس - الكتاب الذي أنزله ربكم عليكم، وسنة نبيكم، ولا تتبعوا أهواء

من ترونها أولياء من شياطين أو أحبار سوء،

تتولونهم تاركين ما أنزل عليكم لأجل ما تمليه

أهواؤهم، إنكم قليلاً ما تتذكرون، إذ لو

تذكرتم لما أترتم على الحق غيره، ولا تتبعتم ما

جاء به رسولكم، وعلمتم به، وتركتم ما سواه.

● ما أكثر القرى التي أهلكناها بعدابنا لما

أصرت على كفرها وضلالها، فنزل عليها عذابنا

الشديد في حال غفلتها ليلاً أو نهاراً، فلم

يستطيعوا دفع العذاب عن أنفسهم، ولم تدفعه

عنهم الهتهم المزعومة.

● فما كان منهم بعد نزول العذاب إلا أن

أقروا على أنفسهم بظلمهم بالكفر بالله.

● فلنساءلن يوم القيامة الأمم التي أرسلنا إليها

رسلاً عما أجابوا به الرسل، ولنسألن الرسل عن تبليغ ما أمروا

بتبليغه، وعما أجابتهم به أمهم.

● فلنقصن على جميع الخلق أعمالهم التي عملوها في الدنيا بعلم منا، فقد كنا عالمين بأعمالهم كلها، لا يغيب

عنا منها شيء، وما كنا غائبين عنهم في أي وقت من الأوقات.

● ووزن الأعمال يوم القيامة يكون بالعدل الذي لا جور معه ولا ظلم، فمن رجحت عند الوزن كفة حسنة على

كفة سيئة فأولئك هم الذين فازوا بالمطلوب، ونجوا من المهروب.

● ومن رجحت عند الوزن كفة سيئة على كفة حسنة فأولئك الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك يوم

القيامة، وبحرمانها من النعيم الأبدى بسبب جحدهم بآيات الله.

● ولقد مكناكم - يا بني آدم - في الأرض، وجعلنا لكم فيها أسباباً للعيش، فكان عليكم أن تشكروا الله على ذلك، لكن شكركم كان قليلاً.

● فإلهام من الآيات:

١ - من مقاصد إنزال القرآن الإنذار للكافرين والمعاندين، والتذكير للمؤمنين.

٢ - أنزل الله القرآن إلى المؤمنين ليتبعوه ويعملوا به، فإن فعلوا ذلك كملت تربيتهم، وتمت عليهم النعمة، وهُدُوا لأحسن الأعمال والأخلاق.

٣ - الوزن يوم القيامة لأعمال العباد يكون بالعدل والقسط الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه.

٤ - هيأ الله الأرض لانتفاع البشر بها، بحيث يتمكّنون من البناء عليها وحرثها، واستخراج ما في باطنها للانتفاع به.

﴿١٢﴾ قال الله تعالى توبخاً لإبليس: أي شيء منعك من امتثال أمري لك بالسجود لآدم؟ قال إبليس مجيباً ربه: منعني أنني أفضل منه، فقد خلقتني من نار، وخلقته هو من طين، والنار أشرف من الطين. ﴿١٣﴾ قال الله له: اهبط من الجنة، فليس لك أن تكبر فيها؛ لأنها دار الطيبين الطاهرين، فما يجوز لك أن تكون فيها، إنك - يا إبليس - من الحقييرين الذليلين، وإن كنت ترى نفسك أنك أشرف من آدم. ﴿١٤﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني إلى يوم البعث حتى أغوي من أستطيع إغواؤه من الناس.

﴿١٥﴾ قال له الله: إنك - يا إبليس - من الممهّلين الذين كتبت عليهم الموت يوم النفخة الأولى في الصور حين يموت الخلق كلهم، ويبقى خالقهم وحده.

﴿١٦﴾ قال إبليس: بسبب إضلالك إياي حتى تركت امتثال أمرك بالسجود لآدم لأقعدن لبني آدم على صراطك المستقيم؛ لأصرفهم وأضلهم عنه كما ضللت أنا عن السجود لأبيهم آدم.

﴿١٧﴾ ثم لايتيهم من جميع الجهات بالتهديد في الآخرة، والترغيب في الدنيا، وإلقاء الشبهات، وتحسين الشهوات، ولا تجد - يا رب - أكثرهم شاكرين لك؛ لما أمله عليهم من الكفر.

﴿١٨﴾ قال الله له: اخرج - يا إبليس - من الجنة مذموماً مطروداً من رحمة الله، ولأملأن جهنم يوم القيامة منك ومن كل من اتبعك وأطاعك

قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴿١٢﴾ قال فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إناك من الصغرين ﴿١٣﴾ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ﴿١٤﴾ قال إناك من المنظرين ﴿١٥﴾ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴿١٦﴾ ثم لايتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا يجدوا شركهم شركي ﴿١٧﴾ قال أخرج منها مذموماً متحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴿١٨﴾ وبكادهم أسكنن أنت وزوجك الجنة فكلاماً من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴿١٩﴾ فوسوس لهم الشيطان ليبدى لهم ما وروى عنهم من سوء تبهما وقال ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿٢٠﴾ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴿٢١﴾ فدلتهما بغورٍ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوء تهما وطفقا يتخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما أترأيتكما عن تكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴿٢٢﴾

وعصى أمر ربه.

﴿٢٣﴾ وقال الله لآدم: يا آدم، اسكن أنت وزوجتك حواء الجنة، فكلاً مما فيها من الطيبات ما شئتما، ولا تأكلا من هذه الشجرة (شجرة عينها الله لهما) فإنكما إن كراهة أكلتما منها بعد نهيي لكما تكونا من المتجاوزين لحدود الله.

﴿٢٤﴾ فوسوس لهما إبليس؛ ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وقال لهما: ما نهاكما الله عن الأكل من هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين، وإلا كراهة أن تكونا من الخالدين في الجنة.

﴿٢٥﴾ وحلف لهما بالله: إني لكما - يا آدم وحواء - لمن الناصحين فيما أشرت عليكما به.

﴿٢٦﴾ فحطهما من المنزلة التي كانا فيها بخداع منه وغرور، فلما أكلا من الشجرة التي نهيها عن الأكل منها ظهرت لهما عوراتهما مكشوفة، فأخذوا يلزقان عليهما من ورق الجنة؛ ليسترا عوراتهما، وناداها ربهما قائلاً: ألم نهكما عن الأكل من هذه الشجرة، وأقل لكما محذراً لكما من الشيطان: إن الشيطان عدو لكما بين العداوة؟! ﴿٢٧﴾

﴿٢٨﴾ فإند من الآيات:

- ١ - إبليس أول من قاس برأيه فضلَّ ضلالاً بعيداً.
- ٢ - دلت الآيات على أن من عصى مولاه فهو ذليل.
- ٣ - جواب الله تعالى لإبليس بالإنظار إخبار عن أمر تحقّق، وليس إجابة لطلبه؛ لأنه أهون على الله من أن يجيب له طلباً.
- ٤ - أعلن الشيطان عداوته لبني آدم، وتوعد أن يصددهم عن الصراط المستقيم بكل أنواع الوسائل والأساليب.
- ٥ - من أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتبا ربه وهده.
- ٦ - ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنوب بالإصرار والعناد - فإنه لا يزداد من الله إلا بُعداً.

﴿٢٢﴾ قال آدم وحواء: يا ربنا، ظلمنا أنفسنا بارتكاب ما نهيتنا عنه من الأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا ذنوبنا، وترحمنا برحمتك لنكونن من الخاسرين بإضاعتنا حظنا في الدنيا والآخرة.

﴿٢٣﴾ قال الله لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضكم عدواً لبعض، ولكم في الأرض مكان استقرار إلى وقت معلوم، وتمتع بما فيها إلى أجل مسمى.

﴿٢٤﴾ قال الله مخاطباً آدم وحواء وذريتهما: في هذه الأرض تحيون مدة ما قدر الله لكم من آجال، وفيها تموتون وتدفنون، ومن قبوركم تخرجون للبعث.

﴿٢٥﴾ يا بني آدم، قد جعلنا لكم لباساً ضرورياً لستر عوراتكم، وجعلنا لكم لباساً كاملياً تتجملون به في الناس، ولباس التقوى التي هي امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه خير من هذا اللباس الحسي، ذلك المذكور من اللباس من آيات الله الدالة على قدرته، لعلمكم تذكرون نعمه عليكم فتشكرونها.

﴿٢٦﴾ يا بني آدم، لا يُغترنكم الشيطان بتزيين المعصية بترك اللباس الحسي لستر العورة أو ترك لباس التقوى، فقد خدع أبويكم بتزيين الأكل من الشجرة حتى كان مآل ما زينه لهما أن أخرجهما من الجنة، وبدت لهما عوراتهما إن الشيطان وذريته يرونكم ويشاهدونكم وأنتم لا ترونهم ولا تشاهدونهم، فيلزمكم الحذر منه ومن ذريته، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بالله، وأما المؤمنون الذين يعملون الصالحات فلا سبيل لهم عليهم.

﴿٢٧﴾ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ أَهبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مَسْكَنٌ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٩﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٣٠﴾ يَبْنَئُ أَدَمُ فَذَأْنُ لَنَا عَلَيْهِمْ لِبَاسًا

يُوزَىٰ سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مَنْ

ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ يَبْنَئُ أَدَمُ لَا يَفْنَىٰ تَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ آبَاؤَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يُزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ تِيمَا إِنَّهُ يُرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ

أَمْرِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٣٤﴾ فَرِيقًا

هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٣٦﴾ وَإِذَا ارْتَبَكُوا المَشْرُوكَ فَاحِشَةً اعْتَدُوا بِأَنَّهُمْ وَجِدُوا آبَاءَهُمْ يُرْتَكِبُونَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، قُلْ - يا محمد - رُدًّا عليهم: إن الله لا يأمر بالمعاصي، بل ينهى عنها، فكيف تدعون ذلك عليه؟ أتقولون - أيها المشركون - على الله ما لا تعلمون كذباً وافتراءً؟! ﴿٣٧﴾ قُلْ - يا محمد - لهؤلاء المشركين: إن الله أمر بالعدل، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، وأمر أن تخلصوا له العبادة عموماً، وعلى وجه الخصوص في المساجد، وأن تدعوه وحده مخلصين له الطاعة، كما خلقكم من عدم أول مرة يعيدكم أحياء مرة أخرى، فالقادر على بدء خلقكم قادر على إعادتكم وبعثكم.

﴿٣٨﴾ وَقَدْ جَعَلَ اللهُ النَّاسَ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقًا مِنْكُمْ هِدَاةً، وَبَسْرًا لَهُ أَسْبَابُ الْهُدَايَةِ، وَصَرَفَ عَنْهُ مَوَانِعَهَا، وَفَرِيقًا آخَرَ وَجَبَتْ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ صَبَرُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَاغْتَادُوا لَهُمْ جِهَلًا، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿٣٩﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - اللباس نوعان: ظاهري يستر به العبد عورته، وباطني وهو التقوى الذي يستمر مع العبد، وهو جمال القلب والروح.

٢ - كثير من أعوان الشيطان يدعون إلى نزع اللباس الظاهري؛ لتتكشف العورات، فيهون على الناس فعل المنكرات وارتكاب الفواحش.

٣ - الأوامر والنواهي الشرعية تستند إلى الحكمة التامة، وتتضمن مصلحة للبشر.

٤ - أن الهداية بفضل الله ومثته، وأن الضلالة بخذلانه للعبد إذا تولى - بجعله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال.

﴿٣١﴾ يا بني آدم، البسوا ما يستر عوراتكم، وما تتجملون به من اللباس النظيف الطاهر عند الصلاة والطواف، وكلوا واشربوا ما شئتم من الطيبات التي أحلها الله، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في ذلك، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، إن الله لا يحب المتجاوزين لحدود الاعتدال.

﴿٣٢﴾ قل - أيها الرسول - ردًا على المشركين الذين يُحَرِّمُونَ ما أحل الله من اللباس والطيبات من المأكولات وغيرها: من الذي حَرَّمَ عليكم اللباس الذي هو زينة لكم؟ ومن الذي حَرَّمَ عليكم الطيبات من المأكولات والمشروبات وغيرها مما رزقكم الله؟ قل - أيها الرسول -: إن تلك الطيبات من المأكولات والمشروبات والملبوسات وغيرها للمؤمنين في الحياة الدنيا، وإن شركهم غيرهم فيها في الدنيا فهي خاصة بهم يوم القيامة، لا يشركهم فيها كافر؛ لأن الجنة محرمة على الكافرين، مثل هذا التفصيل نُفِصِلُ الآيات لقوم يتدبرون؛ لأنهم الذين ينتفعون بها.

﴿٣٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله: إن الله إنما حرم على عباده الفواحش، وهي قبائح الذنوب، ظاهرة كانت أو باطنة، وحرم المعاصي كلها، والاعتداء ظلمًا على الناس في دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وحرم عليكم أن تشركوا مع الله غيره مما ليس لكم حجة فيه، وحرم عليكم القول عليه بغير علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه.

﴿٣٤﴾ ولكل جيل وقرن مدة وميقات محدد لأجلهم، فإذا جاء ميقاتهم المُقَدَّر لا يتأخرون

عنه زمانًا وإن قل، ولا يتقدمون عليه.
 ﴿٣٥﴾ يا بني آدم إذا جاءكم رسل مني من أقوامكم يتلون عليكم ما أنزلت عليهم من كتابي فأطيعوهم، واتبعوا ما جاؤوا به، فالذين يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويصلحون أعمالهم لا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.
 ﴿٣٦﴾ وأما الكافرون الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، وترَفَعُوا تكبرًا عن العمل بما جاءتهم به رسلهم فإنهم أصحاب النار الملازمون لها الماكثون فيها أبدًا.
 ﴿٣٧﴾ لا أحد أظلم من الذي يفترى على الله الكذب بنسبة الشريك إليه أو النقص أو القول عليه بما لم يقله، أو كذب بآياته الجليلة الهادية إلى صراطه المستقيم، أولئك المتصفون بذلك ينالهم حظهم المكتوب لهم في اللوح المحفوظ من ملذات الدنيا، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم قالوا لهم توبيخًا لهم: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟! ادعوها لتفتعكم، قال المشركون للملائكة: لقد ذهب عنا الآلهة التي كنا نعبد وعبادتنا، فلا ندري أين هي، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، لكن إقرارهم في ذلك الحين حجة عليهم، ولن ينفعهم.

﴿٣٨﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - المؤمن مأمور بتعظيم شعائر الله من خلال ستر العورة والتجمل في أثناء صلاته وخاصة عند التوجه للمسجد.
- ٢ - من تمام عناية الله بخلقه أن أباح لهم الطيبات؛ لتكون عونًا لهم على طاعة الله، كما حَرَّمَ عليهم الخبائث لما لها من آثار سيئة في الدنيا والآخرة.
- ٣ - في الآيات دليل على أن المؤمنين يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، ولا يلحقهم رعب ولا فزع، وإذا لحقهم فمألهم الأمان.
- ٤ - أظلم الناس من عطل مراد الله تعالى من جهتين: جهة إبطال ما يدل على مراده، وجهة إيهام الناس بأن الله أراد منهم ما لا يريد به.

﴿٣٨﴾ قالت لهم الملائكة: ادخلوا - أيها المشركون - في جملة أمم قد مضت من قبلكم على الكفر والضلال من الجن والإنس في النار، كلما دخلت أمة من الأمم لعنت أختها التي سبقتها إلى النار، حتى إذا تلاحقوا فيها، واجتمعوا كلهم قالت أعراسهم دخولاً، وهم السفلة والأتباع لأولاهم وهم الكبراء والسادة: يا ربنا، هؤلاء الكبراء هم الذين أضلونا عن طريق الهداية، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً لتزيينهم الضلال لنا، قال الله رداً عليهم: لكل طائفة منكم نصيب من العذاب مضاعف، ولكنكم تجهلون ذلك ولا تدركونه.

﴿٣٩﴾ وقال السادة المتبوعون لأتباعهم: ليس لكم - أيها الأتباع - علينا من فضل تستحقون به تخفيف العذاب عنكم، فالعبرة بما كسبتم من الأعمال، ولا عذر لكم في اتباع الباطل، فذوقوا - أيها الأتباع - العذاب مثلما ذقناه بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي.

﴿٤٠﴾ إن الذين كذبوا بآياتنا الواضحة، وتكبروا عن الانقياد والإذعان لها آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأعمالهم بسبب كفرهم، ولا لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يدخلون الجنة أبداً حتى يدخل الجمل - وهو من أعظم الحيوانات - في ثقب الإبرة الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من المستحيل، فالمعلق عليه وهو دخولهم الجنة مستحيل، ومثل هذا الجزاء يجزي الله من اشتد طغيانه.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِطْنَاهُمْ لَأُوْلِيئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبْهُمْ عَذَابًا بِضَعْفٍ مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولُوئِهِمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنُدْخِلَنَّهُمْ الْجَنَّةَ حَيْثُ يُرِيدُ رَبُّهُمُ مِنْ غَيْرِ مَخْرَجٍ وَمَنْ يَكْفُرْ أَفْضِلْ لَهُ الْيُسْرَى أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٢﴾ وَتَرْعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤١﴾ لهؤلاء المكذبين المتكبرين من جهنم فراش يفتشونه، ولهم من فوقهم ظلل من العذاب تغشاهم، ومثل هذا الجزاء نجزي المتجاوزين لحدود الله بكفرهم به وإعراضهم عنه.

﴿٤٢﴾ والذين آمنوا وعملوا من الأعمال الصالحة ما يستطيعون، ولا يكلف الله نفساً فوق ما تستطيعه، أولئك أصحاب الجنة يدخلونها ما كسبوا فيها أبداً.

﴿٤٣﴾ ومن تمام نعيمهم في الجنة أن نزع الله ما في قلوبهم من البغضاء والحقد، وأن أجرى الأنهار من تحتهم، وقالوا معترفين لله بإنعامه عليهم حين استقروا في منازلهم: الحمد لله الذي وفقنا لهذا العمل الصالح الذي أنالنا هذه المنزلة، وما كنا لنوفق إليه من تلقاء أنفسنا لولا أن الله وفقنا إليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه والصدق في الوعد والوعيد، وتودوا أن تلکم الجنة التي أورتكم الله إياها برحمته، وبما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة، التي تريدون بها وجه الله.

﴿٤٤﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ

- ١ - المودة التي كانت بين المكذبين في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة.
- ٢ - أرواح المؤمنين المتقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح لها أبواب السماء حتى تُعْرَجَ إلى الله، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه.
- ٣ - أرواح المكذبين المعرضين لا تفتح لها أبواب السماء، وإذا ماتوا وصعدت فهي تستأذن فلا يؤذن لها، فهي كما لم تصعد في الدنيا بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته، فكذا لا تصعد بعد الموت، فإن الجزاء من جنس العمل.
- ٤ - أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته.

﴿٤٤﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار بعد دخول كل منهما منزله المُعَدَّ له: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة حقًا، فقد أدخلنا إياها، فهل وجدتم - أيها الكفار - ما توعدكم الله به من النار حقًا؟ قال الكفار: لقد وجدنا ما توعدنا به من النار حقًا، فنادى مُنادٍ داعيًا الله أن يطرد الظالمين من رحمته، فقد فتح لهم أبواب رحمته فأعرضوا عنها في الحياة الدنيا.

﴿٤٥﴾ هؤلاء الظالمون هم الذين كانوا يعرضون عن سبيل الله بأنفسهم، ويحملون غيرهم على الإعراض عنها، ويرجون أن تكون سبيل الحق معوجة حتى لا يسلكها الناس، وهم بالآخرة جاحدون غير مؤمنين بها، ولا مستعدين لها.

﴿٤٦﴾ وبين هذين الفريقين: أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز يسمى الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم يعرفون أصحاب الجنة بعلاماتهم كبياض الوجوه، وأصحاب النار بعلاماتهم كسوادها، ونادى هؤلاء الرجال أصحاب الجنة تكريماً لهم قائلين: سلام عليكم. لم يدخل هؤلاء الجنة بعد، وهم يأملون دخولها برحمة من الله.

﴿٤٧﴾ وإذا حُوِّلت أبصار هؤلاء الرجال إلى أصحاب النار، وشاهدوا ما هم فيه من العذاب الشديد قالوا داعين الله: يا ربنا، لا تصيرنا مع القوم الظالمين بالكفر والشرك بك.

وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالُوا قَدْ وَدِدْنَا بَيْنَهُمْ آتٍ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ تَرْضَوْنَهُمْ وَيَرْضَوْنَكُمْ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٧﴾ أَهْلُوا الَّذِينَ أَدْبَأْتُمْ لِآيَاتِنَا لَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةٌ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ تُحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا آيَاتُ اللَّهِ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِحَدُوثِهَا ﴿٥٠﴾

﴿٤٨﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار من الكفار يعرفونهم بعلاماتهم كسواد وجوههم وزرقة عيونهم قائلين لهم: لم ينعفكم ما كنتم تجمعون للصد عن سبيل الله، وما نفعكم إعراضكم عن الحق تكبراً واستعلاء.

﴿٤٩﴾ قالوا للكفار مشيرين إلى المؤمنين: هؤلاء هم الذين حلفتم أن لا ينالهم الله برحمته من عنده، وقالوا للمؤمنين: ادخلوا - أيها المؤمنون - الجنة لا خوف عليكم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا لما لقيتم من النعيم المقيم.

﴿٥٠﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ملتصمين منهم قائلين: أفيضوا علينا - أي أصحاب الجنة - من الماء، أو مما رزقكم الله من الطعام، قال أصحاب الجنة: إن الله حرهما على الكافرين بسبب كفرهم، وإنا لنُسْعِفُكُمْ بما حرمه الله عليكم.

﴿٥١﴾ هؤلاء الكافرون هم الذين صَبَرُوا دِينَهُمْ باطلاً ولهواً، وخدعتهم الحياة الدنيا بِزُخْرُفِهَا وزينتها، فيوم القيامة ينسأهم الله، ويتركهم يقاسون العذاب كما نسوا لقاء يوم القيامة فلم يعملوا له، ولم يستعدوا، ولجحدوهم بحجج الله وبراهينه وإنكارهم لها مع علمهم بأنها حق.

﴿٥٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - عدم الإيمان بالبعث سبب مباشر للإقبال على الشهوات.

٢ - يتيقن الناس يوم القيامة تحقق وعد الله لأهل طاعته، وتحقق وعيده للكافرين.

٣ - الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق من النار، وبينهما فريق في مكان وسط لتساوي حسناتهم وسيئاتهم ومصيرهم إلى الجنة.

٤ - على الذين يملكون المال والجاه وكثرة الأتباع أن يعلموا أن هذا كله لن يغني عنهم من الله شيئاً، ولن ينجيهم من عذاب الله.

﴿٥٦﴾ ولقد جئناهم بهذا القرآن الذي هو كتاب منزل على محمد ﷺ، وقد بيناه على علم منا بما نبينه، وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الرشد والحق، ورحمة بهم لما فيه من الدلالة على خيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٧﴾ ما ينتظر الكفار إلا وقوع ما أخبرهم بوقوعه من العذاب الأليم الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يوم يأتي ما أخبروا به من ذلك، وما أخبر به المؤمنون من الثواب، يقول الذين نسوا القرآن في الدنيا، ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسلنا بالحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، فليت لنا وسطاء يشفعون لنا عند الله ليعفينا من العذاب، أو ليتنا نرجع إلى الحياة الدنيا لنعمل عملاً صالحاً ننجو به بدل ما كنا نعمل من السيئات، قد خسر هؤلاء الكافرون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وغاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم.

﴿٥٨﴾ إن ربكم - أيها الناس - هو الله الذي خلق السماوات، وخلق الأرض على غير مثال سابق في ستة أيام، ثم استوى سبحانه على العرش استواء يليق بجلاله لا ندرك كيفيته، يذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلباً سريعاً بحيث لا يتأخر عنه، فإذا ذهب هذا دخل هذا،

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ الْيَلَمُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٨﴾ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٩﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَفَقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦١﴾

وخلق سبحانه الشمس، وخلق القمر، وخلق النجوم مُدَلَّلَاتٍ مُّهِيَّاتٍ، ألا الله وحده الخلق كله، فمن خالق غيره؟! وله الأمر وحده، تَقَدَّسَ عن كل نقص، فهو المتصف بصفات الجلال والكمال، رب العالمين.

﴿٥٩﴾ ادعوا - أيها المؤمنون - ربكم بتذلل تام وتواضع خفية وسراً، مخلصين في الدعاء غير مراثين ولا مشركين به سبحانه غيره في الدعاء، إنه لا يجب المتجاوزين لحدوده في الدعاء، ومن أعظم التجاوز لحدوده في الدعاء دعاء غيره معه كما يفعل المشركون.

﴿٦٠﴾ ولا تفسدوا في الأرض بارتكاب المعاصي بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل ﷺ وإعمارها بطاعته وحده، وادعوا الله وحده مستشعرين الخوف من عقابه، ومنتظرين حصول ثوابه، إن رحمة الله قريب من المحسنين، فكونوا منهم.

﴿٦١﴾ والله سبحانه هو الذي يرسل الرياح مُبَشِّرَاتٍ بالمطر، حتى إذا حملت الرياح السحاب المُثَقَّلَ بالماء سقنا السحاب إلى بلد مُجْلِبٍ فَأَنْزَلْنَا بِالْبَلَدِ الْمَاءَ، فأخرجنا بالماء من جميع أنواع الثمار، مثل إخراج الثمر على تلك الصورة نخرج الموتى من قبورهم أحياء، فعلنا ذلك رجاء أنكم - أيها الناس - تتذكرون قدرة الله وبديع صنعه، وأنه قادر على إحياء الموتى.

﴿٦٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - القرآن الكريم كتاب هداية فيه تفصيل ما تحتاج إليه البشرية، رحمة من الله.
- ٢ - سوف يقع قطعاً ما وعد الله به، وحينها يتيقن الكفار صدق وعد الله.
- ٣ - خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام لحكمة أرادها سبحانه، ولو شاء لقال لها: كن فكانت.
- ٤ - يتعين على المؤمنين دعاء الله تعالى بكل خشوع وتضرع حتى يستجيب لهم بفضله.
- ٥ - الفساد في الأرض بكل صورته وأشكاله منهجي عنه.

﴿٥٨﴾ والأرض الطيبة تُخرج نباتها باذن الله إخراجاً حسناً تاماً، وهكذا المؤمن يسمع الموعدة فينتفع بها، فتنجح عملاً صالحاً، والأرض السَّبْخَةُ المالحة لا تُخرج نباتها إلا عسراً لا خير فيه، وهكذا الكافر لا ينتفع بالمواعظ، فلا تنتج عنده عملاً صالحاً ينتفع به، مثل هذا التنوع البديع ننوع البراهين والحجج لإثبات الحق لقوم يشكرون نعم الله، فلا يكفرونها، ويطيعون ربهم.

﴿٥٩﴾ لقد بعثنا نوحاً رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله، وترك عبادة غيره، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم في حال إصراركم على الكفر.

﴿٦٠﴾ قال له سادة قومه وكبرؤهم: إنا لنراك - يا نوح - في ضلال واضح.

﴿٦١﴾ قال نوح لكبراء قومه: لست ضالاً كما زعمتم، وإنما أنا على هدى من ربي، فأنا رسول إليكم من الله ربي وربكم ورب العالمين كلهم.

﴿٦٢﴾ أبلغكم ما أرسلني الله به إليكم مما أوحى إلي، وأريد لكم الخير بترغيبكم في امتثال أمر الله وما يترتب عليه من ثواب، وترهيبكم من ارتكاب نواهيهِ وما يترتب عليه من العقاب، وأعلم من الله سبحانه ما لا تعلمون مما علمني عن طريق الوحي.

﴿٦٣﴾ أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم وحي وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم

تعرفونه؟! فقد نشأ فيكم، ولم يكن كذاباً ولا ضالاً، وليس من جنس آخر، جاءكم ليخوفكم من عقاب الله إن كذبتم وعصيتم، ولتتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيهِ، ورجاء أن تُرحموا إن آمنتم به.

﴿٦٤﴾ فكذبه قومه، ولم يؤمنوا به، بل استمروا على كفرهم، فدعا عليهم أن يهلكهم الله، فسلمناه وسلمنا الذين معه في السفينة من المؤمنين من الغرق، وأهلكنا الذين كذبوا بآياتنا، واستمروا على تكذيبهم بالغرق بالطوفان المنزل عقاباً لهم، إن قلوبهم كانت عمياً عن الحق.

﴿٦٥﴾ وأرسلنا إلى قبيلة عاد رسولاً منهم، هو هود عليه السلام، قال: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تتقونه بامتثال أوامره واجتناب نواهيهِ لتسلموا من عذابه؟!

﴿٦٦﴾ قال الكبراء والسادة من قومه الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله: إنا لنعلم أنك - يا هود - في حمق وطيش حين تدعوننا إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وإنا لنعقد جازمين أنك من الكاذبين فيما تدعيه من أنك مرسل.

﴿٦٧﴾ قال هود ردّاً على قومه: يا قوم ليس بي حمق وطيش، بل إني رسول من رب العالمين.

﴿٦٨﴾ فإرسلنا من الآيات:

- ١ - الأرض الطيبة مثال للقلوب الطيبة حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، وكما أن الغيث مادة الحياة، فإن القلوب الطيبة حين يحييها الوحي، تقبله وتعلمه وتنتب بحسب طيب أصلها، وحسن عنصرها، والعكس.
- ٢ - الأنبياء والمرسلون يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم.
- ٣ - من سئء الله إرسال كل رسول من قومه وبلسانهم؛ تأليفاً لقلوب الذين لم تفسد فطرتهم، وتيسيراً على البشر في التفاهم والتعارف.
- ٤ - من أعظم السفهاء من قابل الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للعلماء والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مرید.

﴿٦٨﴾ أبلغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم من توحيده وشرعه، وأنا لكم ناصح فيما أمرت بتبليغه أمين، لا أزيد فيه ولا أنقص.

﴿٦٩﴾ أو أثار عجبكم واستغرابكم أن جاءكم تذكير من ربكم على لسان رجل من جنسكم، ليس من جنس الملائكة أو الجن لينذركم؟! واحمدوا ربكم واشكروه على أن مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون قوم نوح الذين أهلكهم الله بكفرهم، واشكروا الله أن خصكم بعظم الأجسام والقوة وشدة البطش، واذكروا نعم الله الواسعة عليكم رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٧٠﴾ قال قومه له: أجتنا - يا هود - لتأمرنا بعبادة الله وحده، ولنترك ما كان يعبد آباؤنا؟! فاتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

﴿٧١﴾ فرد عليهم هود قائلاً: لقد استوجبت عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، أتجادلونني في أصنام سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وليس لها حقيقة؟! فما نزل الله حجة تحتاجون بها على ما تدعون لها من الألوهية، فانتظروا ما طلبتم تعجيله لكم من العذاب، وأنا معكم من المنتظرين، فهو واقع.

﴿٧٢﴾ فسلمنا هوداً عليه السلام ومن كان معه من المؤمنين برحمة منا، واستأصلنا بالهلاك الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين، بل كانوا مكذبين، فاستحقوا العذاب.

﴿٧٣﴾ ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، قال لهم صالح: يا قوم، اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود غيره يستحق العبادة، قد جاءكم برهان من الله على صدق ما جئتكم به، يتمثل في ناقة تخرج من صخرة، لها وقت تشرب فيه، ولكم شرب يوم معلوم، فاتركوها تاكل في أرض الله، فليس عليكم من مؤونتها شيء، ولا تصيبوها بأذى، فيصيبكم بسبب إيذائها عذاب موجه.

﴿٧٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

﴿٦٨﴾ أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خَلْفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجِيبْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّعْتَ أَدْبَارَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا سِوَىٰ فَاِخْذُكُمْ عَذَابَ الْيَوْمِ ﴿٧٣﴾

- ١ - ينبغي التحلي بالصبر في الدعوة إلى الله تأسياً بالأنبياء عليهم السلام.
- ٢ - من أولويات الدعوة إلى الله الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ورفض ونبذ الإشراك به.
- ٣ - الاغترار بالقوة المادية والجسدية يصرف صاحبها عن الاستجابة لأوامر الله ونواهي.
- ٤ - النبي يكون من جنس قومه، لكنه من أشرفهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم معشراً، وأرفعهم خلقاً وأدباً.
- ٥ - الأنبياء وورثتهم يقابلون السفهاء بالحلم، ويغضون عن قول السوء بالصفح والعفو والمغفرة.
- ٦ - إن نتيجة التمرد والعتو والطغيان هي الانهيار والدمار.
- ٧ - من سئة الله إنجاء المؤمنين، وإهلاك المعرضين.

﴿٧٤﴾ واحمدوا الله أن جعلكم خلفاء في الأرض، وأنزلكم فيها تتمتعون بها، وتذركون مطالبكم، وذلك بعد إهلاك عاد بعد تماديهم في الكفر والتكذيب، تبنون في سهول الأرض القصور، وتنحتون من الجبال بيوتاً لكم، فاذكروا نعم الله عليكم لشكروا الله عليها، واتركوا السعي في الأرض بالفساد، وذلك بترك الكفر بالله وترك المعاصي.

﴿٧٥﴾ قال السادة والرؤساء ممن استكبروا من قومه للمؤمنين من قومه الذين يستضعفونهم: أتعلمون - أيها المؤمنون - أن صالحاً رسول من الله حقاً؟ فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح إلينا مصدقون ومقرّون ومقادون، وبشره عاملون.

﴿٧٦﴾ قال المُستعلون من قومه: إنا بالذي صدقتم به - أيها المؤمنون - كافرون، فلن نؤمن به، ولن نعمل بشره.

﴿٧٧﴾ فنحروا الناقة التي نهاهم أن يمسوها بأيذاء، مستكبرين عن امتثال أمر الله، وقالوا مستهزئين مُستبغدين لما توعدهم به صالح: يا صالح، جئنا بما تعدنا به من العذاب الأليم إن كنت من رسل الله حقاً.

﴿٧٨﴾ فجاء الكافرين ما استعجلوه من العذاب، حيث أخذتهم الزلزلة الشديدة،

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْجُذُوتَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا الْمَنَاءَ مِنْ مَتَمِّهِمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَرَّ سُلَيْمَانَ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اتِّبَانًا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَافَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفِتْنَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

فأصبحوا صرعى ملتصقة وجوههم وركبهم بالأرض، لم ينج منهم أحد من الهلاك.

﴿٧٩﴾ فأعرض صالح عليه السلام عن قومه بعد اليأس من استجابتهم، وقال لهم: يا قوم، لقد بلغتكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ونصحتكم مرغياً لكم ومرهّباً، ولكنكم قوم لا تحبون الناصحين الحريصين على دلائلكم على الخير وإبعادكم عن الشر.

﴿٨٠﴾ ولقد أرسلنا لوطاً إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله والبعد عن معصيته حين قال مستنكراً على قومه: أتأتون الفعلة المنكرة المُستقبحة وهي اللواط، هذه الفعلة التي ابتدتموها، فلم يسبقكم إلى ارتكابها أحد؟!

﴿٨١﴾ إنكم لتأتون الرجال لقضاء الشهوة دون النساء اللاتي خُلِقن لقضائهن، فلم تتبعوا في فعلتكم هذه عقلاً ولا نقلاً ولا فطرة، بل أنتم متجاوزون لحدود الله بخروجكم عن حد الاعتدال البشري، وانحرفكم عما تقتضيه العقول السليمة، والفطر الكريمة.

﴿٨٢﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الاستكبار يتولد غالباً من كثرة المال والجاه، وقلة المال والجاه تحمل على الإيمان والتصديق والانقياد غالباً.

٢ - جواز البناء الرفيع كالقصور ونحوها؛ لأن من آثار النعمة: البناء الحسن مع شكر المنعم.

٣ - الغالب في دعوة الأنبياء أن يبادر الضعفاء والفقراء إلى الإصغاء لكلمة الحق التي جاؤوا بها، وأما السادة والزعماء فيتمردون ويستعلون عليها.

٤ - قد يعم عذاب الله المجتمع كله إذا كثر فيه الحَبْثُ، وعُدْمُ فيه الإنكار.

وما كان جواب قومه المرتكبين لهذه الفاحشة عما أنكره عليهم إلا أن قالوا معرضين عن الحق: أخرجوا لوطاً وأتباعه من قريبتكم؛ إنهم أناس يتزهدون عن عملنا هذا، فلا يليق بنا أن يبقوا بين ظهرائنا.

فسلمناه وأهله حيث أمرناهم بالخروج ليلاً من القرية التي سيقع عليها العذاب، إلا امرأته فقد شملها العذاب؛ لأنها بقيت معهم، فأصابها ما أصابهم من العذاب.

وأمطرنا عليهم مطراً عظيماً، حيث رميناهم بحجارة من سجيل، وقلبنا القرية، فجعلنا عاليها سافلها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة قوم لوط المجرمين؟ فقد كانت عاقبتهم الهلاك والخزي الدائم.

ولقد أرسلنا إلى قبيلة مدين أخاهم شعيباً، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، قد جاءكم برهان من الله واضح، وحجة جلية على صدق ما جئتكم به من ربي، أدوا إلى الناس حقوقهم بإكمال الكيل وإكمال الوزن، ولا تنقصوا الناس بعبث سلعهم، والتزهيد فيها، أو المخادعة لأصحابها، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر وارتكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الأنبياء من قبل، ذلك المذكور خير لكم وأنفع إن كنتم مصدقين؛ لما فيه من ترك المعاصي اجتناباً لنهي الله عنها، ولما فيه من التقرب إلى الله بفعل ما أمر به.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلكه من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، طالبين أن تكون سبيل الله موجة حتى لا يسلكها الناس، واذكروا نعمة الله عليكم لتشكروها له، فقد كان عددكم قليلاً فكثركم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار.

وإن كان جماعة منكم صدقوا بما جئت به من ربي، وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك فانظروا - أيها المكذبون - ما يحكم الله به بين الفريقين مما يتبين به المحق من المبطل، فسينصر المحق، ويمحق المبطل.

فوائد من الآيات: ١ - اللواط فاحشة تدلُّ على انتكاس الفطرة، وأضراره عظيمة، وعقابه شديد. ٢ - تقوم دعوة الأنبياء - ومنهم شعيب - على أصليين: تعظيم أمر الله: ويشمل الإقرار بالتوحيد وتصديق النبوة. والشفقة على خلق الله: ويشمل ترك البخس وترك الإفساد وكل أنواع الإيذاء. ٣ - الإفساد في الأرض بعد الإصلاح جرم اجتماعي في حق الإنسانية؛ لأن صلاح الأرض بالعقيدة والأخلاق فيه خير للجميع، وإفساد الأرض عدوان على الناس. ٤ - من أعظم الذنوب وأكبرها وأفحشها الذين يأخذون ما لا يحق لهم شرعاً من الوظائف المالية بالقهر والجبر؛ فإنه غصب وظلم وعسف على الناس وإذاعة للمنكر وعمل به ودوام عليه وإقرار له. ٥ - عاقبة المفسدين المتمردين الخزي والنكال، لذلك لا بد من الامتناع عن الفساد والعصيان. ٦ - إن العلم وحده لا يكفي للإصلاح، وإنما لا بد في إصلاح الأمم والشعوب من تربية دينية، تقنع الأجيال بمنافع الفضائل كالصدق والأمانة والعدل، وبمضار الانحراف والردائل؛ لأن الوازع النفسي أقوى من أي رادع أو وازع خارجي. ٧ - ضرورة تحلي المؤمنين بالصبر حتى ينصرهم الله على المبطلين ويظهرهم عليهم.

﴿٨٨﴾ قال الكبراء والرؤساء الذين استكبروا من قوم شعيب لشعيب ﷺ: لنخرجنك - يا شعيب - من قريتنا هذه أنت ومن معك من الذين صدقوا بك، أو لترجعن إلى ديننا، قال لهم شعيب مفكراً ومتعجباً: أتتابعكم على دينكم وملتكم حتى لو كنا كارهين لها لعلنا بطلان ما أنتم عليه؟! ﴿٨٩﴾

﴿٨٩﴾ قد اختلفنا على الله كذباً إن نحن اعتقدنا ما أنتم عليه من شرك وكفر بعد أن سلمنا الله فضله منه، وما يصح ولا يستقيم لنا أن نرجع إلى ملتكم الباطلة إلا أن يشاء الله ربنا، لخضوع الجميع لمشيئته سبحانه، وسع ربنا كل شيء علماً، فيعلم ما يصلح لعباده، لا يخفى عليه منه شيء، على الله وحده اعتمدنا لثبتنا على الصراط المستقيم، ويعصمنا من طرق الجحيم، يا ربنا، احكم بيننا وبين قومنا الكافرين بالحق، فانصر صاحب الحق المظلوم على الظالم المعاند، فانت - يا ربنا - خير الحاكمين.

﴿٩٠﴾ وقال الكبراء والرؤساء من قومه الرافضون لدعوة التوحيد مُحذرين من شعيب ودينه: لئن دخلتم - يا قومنا - في دين شعيب، وتركتم دينكم ودين آبائكم إنكم بذلك لهالكون. ﴿٩١﴾ فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا هلكى في ديارهم، منكبين على ركبهم ووجوههم، هلكى ميتين هامدين في دارهم.

﴿٩٢﴾ الذين كذبوا شعيباً هلكوا جميعاً، وصاروا كأنهم لم يقيموا بدارهم ولم يتمتعوا فيها، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين؛ لأنهم خسروا أنفسهم وما ملكوا، ولم يكن المؤمنون من قومه هم الخاسرين كما ادعى هؤلاء الكافرون المكذبون.

﴿٩٣﴾ وتولى عنهم نبيهم شعيب ﷺ لَمَّا هلكوا، وقال مخاطباً إياهم: يا قوم، لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم، ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، ولم تنقادوا لإرشادي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم؟! ﴿٩٤﴾

﴿٩٤﴾ وما أرسلنا في قرية من القرى نبياً من أنبياء الله، فكذب أهلها وكفروا، إلا أخذناهم بالبؤس والفقر والمرض رجاء أن يتدللوا لله فيتركوا ما هم عليه من الكفر والاستكبار. وهذا تحذير لقريش ولكل من كفر وكذب بذكر سنة الله في الأمم المكذبة.

﴿٩٥﴾ ثم بدلناهم بعد الأخذ بالبؤس والمرض خيراً وسعة وأمناً حتى كثرت أعدادهم، ونمت أموالهم، وقالوا: ما أصابنا من الشر والخير هو عادة مُطَرِّدة أصابت أسلافنا من قبل، ولم يدركوا أن ما أصابهم من يقم يُرَاد به الاعتبار، وما أصابهم من نعم يُرَاد به الاستدراج، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يترقبونه.

﴿٩٦﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - من مظاهر إكرام الله لعباده الصالحين أنه فتح لهم أبواب العلم ببيان الحق من الباطل، وبنجاة المؤمنين، وعقاب الكافرين.
- ٢ - من سنة الله في عباده الإمهال؛ لكي يتعظوا بالأحداث، ويُقلعوا عما هم عليه من معاص وموبقات.
- ٣ - الابتلاء بالشدة قد يصبر عليه الكثيرون، ويحتمل مشقاته الكثيرون، فأما الابتلاء بالرخاء فالذين يصبرون عليه قليلون.
- ٤ - الإيمان والعمل الصالح سبب لإفاضة الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة.

﴿١٦١﴾ ولو أن أهل هذه القرى التي أرسلنا إليها رسلنا صدّقوا ما جاءتهم به رسلهم، واتقوا ربهم بترك الكفر والمعاصي وامتنال أوامره لفتحنا عليهم أبواب الخير من كل جهة، ولكنهم لم يصدقوا ولم يتقوا، بل كذبوا بما جاءت به رسلهم، فأخذناهم بالعذاب فجأة بسبب ما كانوا يكسبونه من الآثام والذنوب.

﴿١٦٢﴾ أفأمن أهل هذه القرى المُكذِّبة أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون مستغرقون في راحتهم وهودئهم؟ ﴿١٦٣﴾ أو آمنوا أن يأتيهم عذابنا نهاراً وقت الضحى، وهم لاهون غافلون لانشغالهم بدنياهم؟

﴿١٦٤﴾ انظروا إلى ما منحهم الله من الإمهال، وأنعم عليهم به من القوة وسعة الرزق استدرجاً لهم؛ أفأمن هؤلاء المكذوبون من أهل تلك القرى مكر الله وتديره الخفي؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون، وأما الموفقون فإنهم يخافون مكره، فلا يغترون بما أنعم به عليهم، وإنما يرون منته عليهم، فيشكرونه.

﴿١٦٥﴾ أولم يتبين للذين ورثوا الأرض بعد إهلاك أسلافهم من الأمم بسبب ذنوبهم، ثم لم يعتبروا بما حل بهم، بل عملوا أعمالهم، ألم يتبين لهؤلاء أن الله لو شاء إصابتهم بذنوبهم لأصابهم بها كما هي سنته؟ ويختم على قلوبهم فلا تتعظ بموعظة، ولا تتفحها ذكري.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٦٧﴾ أَوْ آمَنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَمُونَ ﴿١٦٨﴾ أَفَأَمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ شَاءَ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٧٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِن أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٧١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٧٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٤﴾

﴿١٧١﴾ تلك القرى السابقة - وهي قرى أقوام نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - نقص عليك - أيها الرسول - من أخبارها وما كانت عليه من تكذيب وعناد وما حل بها من هلاك؛ ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر، وموعظة لمن يتعظ، ولقد جاءت أهل هذه القرى رسلهم بالبراهين الواضحة على صدقهم، فما كان الله ليهديهم إلى الحق بسبب تكذيبهم به أول مرة جزاء لهم على ردهم للحق مع وضوح أدلتهم. ومثل ختم الله على قلوب أهل هذه القرى المكذبين برسلهم يختم الله على قلوب المكذبين بمحمد ﷺ، فلا يهتدون للإيمان.

﴿١٧٢﴾ وما وجدنا لأكثر الأمم التي أرسل إليها الرسل من ثبات والتزام بما أوصى الله به العالمين، ولم نجد لهم اتقياءً لأوامره، وإنما وجدنا أكثرهم خارجين عن طاعة الله.

﴿١٧٣﴾ ثم أرسلنا بعد أولئك الرسل موسى ﷺ بالمعجزات البينة الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه، فما كان منهم إلا أن جحدوا تلك المعجزات وكفروا بها، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة فرعون وقومه، فقد أهلكهم الله بالغرق، وأتبعهم اللعنة في الدنيا والآخرة.

﴿١٧٤﴾ وقال موسى لَمَّا بعثه الله إلى فرعون وجاءه: يا فرعون، إني مرسل من خالق الخلق أجمعين ومالكهم ومدبر أمورهم.

﴿١٧٥﴾ فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا:

- ١ - الصلة وثيقة بين سعة الرزق والتقوى، وإن أنعم الله على الكافرين فإن هذا استدرج لهم ومكر بهم.
- ٢ - لا ينبغي الأمن من عذاب الله المفاجئ الذي قد يأتي في أية ساعة من ليل أو نهار.
- ٣ - يقص القرآن أخبار الأمم السابقة من أجل تثبيت المؤمنين وتحذير الكافرين.
- ٤ - الإفساد في الأرض من أقيح الأشياء، وعذاب المفسدين شديد كما حصل مع فرعون.

﴿١٥٥﴾ قال موسى: ولما كنتُ مرسلًا منه فأنا جدير بأن لا أقول عليه إلا الحق، قد جئتكم بحجة واضحة تدلُّ على صدقي وأني مرسل من ربي إليكم، فأطلق معي بني إسرائيل مما كانوا فيه من الأسر والقهر.

﴿١٥٦﴾ قال فرعون لموسى: إن كنت جئت بآية كما تزعم فأت بها إن كنت صادقًا في دعواك.

﴿١٥٧﴾ فرمى موسى عصاه فتحولت حية عظيمة ظاهرة لمن يشاهدها.

﴿١٥٨﴾ وأخرج يده وأظهرها من فتحة قميصه من عند صدره أو من تحت إبطه فخرجت بيضاء من غير برص، تتلألأ للناظرين لشدة بياضها.

﴿١٥٩﴾ وقال الكبراء والرؤساء لما شاهدوا انقلاب عصا موسى حية وصيرورة يده بيضاء من غير برص: ليس موسى إلا ساحرًا قوي العلم بالسحر.

﴿١٦٠﴾ يقصد بما يقوم به أن يخرجكم من أرضكم هذه، وهي مصر. ثم استشارهم فرعون بشأن موسى ﷺ قائلاً لهم: ماذا تشيرون به علي من الرأي؟

﴿١٦١﴾ قالوا لفرعون: أحرَّ موسى وأخاه هارون، وابتعث في مدائن مصر من يجمع السحرة فيها.

﴿١٦٢﴾ يأتك هؤلاء الذين أرسلتهم لجمع السحرة من المدائن بكل ساحر ماهر بالسحر قوي في صناعته.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ فَدَجِّتُكُمْ

بَيْنَتِي مِن رَّيْبِكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ

جِئْتُ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ لَقَدْ

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ

لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٥٨﴾ قَالَ الْأَمْلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السِّحْرُ

عَلَيْمٌ ﴿١٥٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٦٠﴾

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٦١﴾ يَا تَوَكُّ

يَكُلْ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١٦٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ

لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٦٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ

لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦٤﴾ قَالُوا أَيَّمُوسَىٰ إِمَّا أَن تَتْلِقَىٰ وَإِمَّا أَن

تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٦٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا

أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُوهُمْ وَجَاءَ وَيَسْحَرُ عَظِيمٌ ﴿١٦٦﴾

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا

يَأْفِكُونَ ﴿١٦٧﴾ فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ فَعَلِبُوا

هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٦٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿١٧٠﴾

﴿١٧١﴾ فبعث فرعون من يجمع السحرة، فلما جاء السحرة فرعون سألوه: هل لهم مكافأة إن غلبوا موسى بسحرم وانتصروا عليه؟

﴿١٧٢﴾ فأجابهم فرعون بقوله: نعم، إن لكم مكافأة وأجرًا، وستكونون من القريبين بالمناصب.

﴿١٧٣﴾ قال السحرة واثقين بنصرهم على موسى باستعلاء وتكبر: اختر - يا موسى - ما شئت من ابتدائك بإلقاء ما تريد إلقاء أو ابتدائنا بذلك.

﴿١٧٤﴾ فأجابهم موسى واثقًا بنصر ربه له غير مبال بهم: ارموا حبالكم وعصيكم، فلما ألقوها سحروا أعين الناس بصرفها عن صحة إدراكها، وأرعبوهم، وجاؤوا بسحر قوي في أعين الناظرين.

﴿١٧٥﴾ وأوحى الله إلى نبيه وكليمه موسى ﷺ: أن ارم - يا موسى - عصاك، فرماها، فانقلبت العصا حية تبتلع حبالهم وعصيهم التي كانوا يستعملونها في قلب الحقائق، وإيهام الناس أنها حيات تسعى.

﴿١٧٦﴾ فظهر الحق وتبين صدق ما جاء به موسى ﷺ، وتبين بطلان ما صنعه السحرة من السحر.

﴿١٧٧﴾ فقلبوا وهزموا، وانتصر موسى عليهم في ذلك المشهد، ورجعوا أدلاء مقهورين.

﴿١٧٨﴾ فما كان من السحرة حين شاهدوا عظيم قدرة الله، ورأوا الآيات البيّنات، إلا أن خروا سجدًا له ﷺ.

﴿١٧٩﴾ فوالله من الآيات:

١ - من حكمة الله ورحمته أن يجعل معجزة كل نبي من جنس ما كان غالبًا على أهل ذلك الزمان، فلما كان السحر غالبًا على أهل زمان موسى ﷺ كانت معجزته شبيهة بالسحر، وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة.

٢ - إن فرعون كان عبدًا ذليلًا مهينًا عاجزًا، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى ﷺ.

٣ - سجد السحرة لله وإيمانهم به سبحانه دليل على أثر الإيمان في نفوس البشر.

﴿١١٦﴾ قال السحرة: أمانا برب الخلق أجمعين .

﴿١١٧﴾ رب موسى وهارون عليهما السلام، فهو المستحق للعبادة دون غيره من الآلهة المزعومة .

﴿١١٨﴾ قال لهم فرعون متوعداً إياهم بعد إيمانهم بالله وحده: أمتتم بالله قبل أن أذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم به وتصديقكم لِمَا جاء به موسى لخدعة خدعتم بها الناس، ومكيدة دبتموها أنتم وموسى لإخراج أهل المدينة منها، فسوف تعلمون - أيها السحرة - ما يحل بكم من عقاب وما يصيبكم من نكال .

﴿١١٩﴾ لأقطعن من كل واحد منكم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يده اليسرى ورجله اليمنى، ثم لأعلقنكم جميعاً على جذوع النخل تنكيلاً بكم وترهيباً لكل من يشاهدكم على هذه الحالة .

﴿١٢٠﴾ قال السحرة رداً على وعيد فرعون: إنا إلى ربنا وحده راجعون، فلا نبالي بما تتوعد به .

﴿١٢١﴾ ولست تعيب منا - يا فرعون - إلا إيماننا بآيات ربنا لِمَا جاءتنا على يد موسى، فإن كان هذا ذنباً يُعَابُ به فهو ذنبنا، ثم توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين في تضرع: يا ربنا، صُبْ علينا الصبر حتى يغمرنا لنثبت على الحق، أمثنا مسلمين لك، منقادين لأمرك، متبعين لرسولك .

﴿١٢٢﴾ وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون، محرضين إياه على موسى ومن معه من المؤمنين: أترك - يا فرعون - موسى وقومه لينشروا الفساد في الأرض، وليتركك أنت وآلهتك، ويدعو إلى عبادة الله وحده؟! قال فرعون: سنقتل أبناء بني

إسرائيل الذكور، ونستبقي نساءهم للخدمة، وإنا مستعلون عليهم بالقهر والغلبة والسلطان .

﴿١٢٣﴾ قال موسى موصياً قومه: يا قوم، اطلبوا العون من الله وحده في دفع الضر عنكم وجلب النفع إليكم، واصبروا على ما أنتم فيه من الابتلاء، فإن الأرض لله وحده، وليست لفرعون ولا غيره حتى يتحكم فيها، والله يداولها بين الناس حسب مشيئته، ولكن العاقبة الحسنة في الأرض للمؤمنين الذين يمتثلون أوامر ربهم ويجتنبون نواهيها، فهي لهم وإن أصابهم ما أصابهم من محن وابتلاءات .

﴿١٢٤﴾ قال قوم موسى من بني إسرائيل لموسى عليه السلام: يا موسى ابتليتنا على يد فرعون بقتل آبائنا واستبقاء نساتنا من قبل مجيئك إلينا ومن بعده، قال لهم موسى عليه السلام ناصحاً لهم، ومُشيراً بالفرج: لعل ربكم يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويُمكن لكم في الأرض من بعدهم، فينظر ما تعملون بعد ذلك من شكر أو كفر .

﴿١٢٥﴾ ولقد عاقبنا آل فرعون بالجذب والقحط، واختبرناهم بنقص ثمار الأرض وغلاتيها؛ رجاء أن يتذكروا ويتعظوا بأن ما جاءهم من ذلك إنما هو عقاب لهم على كفرهم، فیتوبوا إلى الله .

﴿١٢٦﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - موقف السحرة وإعلان إيمانهم بجرأة وصراحة يدل على أن الإنسان إذا تجرد عن هواه، وأذعن للعقل والفكر التسليم بادر إلى الإيمان عند ظهور الأدلة عليه .
- ٢ - أهل الإيمان بالله واليوم الآخر هم أشد الناس حرماً، وأكثرهم شجاعة وصبراً في أوقات الأزمات والمحن والحروب .
- ٣ - المتتبعون من السلطة يُحرّضون ويهيّجون السلطان لمواجهة أهل الإيمان؛ لأن في بقاء السلطان بقاء لمصالحهم .
- ٤ - من أسباب حبس الأمطار وغلاء الأسعار: الظلم والفساد .

﴿١٣١﴾ فإذا جاء آل فرعون الخصب وصلاح الثمار ورخص الأسعار قالوا: أُعْطِينَا هَذِهِ لَأَسْتَحِقَّانَهَا لَهَا وَاسْتِخْصَانًا بِهَا، وَإِنْ يَنْتَلِهْمُ أَوْ تُصِيبْهُمْ مَصِيبَةٌ مِنْ جَدْبٍ وَقَحْطٍ وَكَثْرَةِ أَمْرَاضٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الرِّزَايَا يَتَشَاءُ مَوْأَبِ مَوْسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْحَقُّ أَنْ مَا يَصِيبُهُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا هُوَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلَا لِمَوْسَى شَأْنٌ فِيهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَعَا مَوْسَى عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَيَسْبِغُونَهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ.

﴿١٣٢﴾ وقال قوم فرعون لموسى ﴿عَلَيْكَ عُنَادًا لِلْحَقِّ: أَي آيَةٌ وَدَلَالَةٌ جِئْتَنَا بِهَا، أَوْ حِجَّةٌ أَقَمْتَهَا عَلَى بَطْلَانِ مَا عِنْدَنَا لِتُصْرِفَنَا عَنْهُ، وَعَلَى صِدْقِ مَا جِئْتَ بِهِ؛ فَلَنْ نُصَدِّقَ بِكَ.

﴿١٣٣﴾ فأرسلنا عليهم عقابًا لهم على تكذيبهم وعنادهم الماء الكثير فأغرق زروعهم وثمارهم، وأرسلنا عليهم الجراد فأكل محاصيلهم، والقمل، وأرسلنا عليهم الضفادع فملأت أوعيتهم، وأفسدت أطعمتهم، وأرقت مضاجعهم، وأرسلنا عليهم الدم فتحولت مياه آبارهم وأنهارهم دمًا، أرسلنا كل ذلك آيات مبينات مفرقات يتبع بعضها بعضًا، ومع كل ما أصابهم من العقوبات استكبروا عن الإيمان بالله والتصديق بما جاء به موسى ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾، وكانوا قومًا يرتكبون المعاصي، ولا ينزعون عن باطل، ولا يهدون إلى حق.

﴿١٣٤﴾ ولما أصابهم العذاب بهذه الأمور اتجهوا إلى موسى ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾، فقالوا له: يا موسى، ادع لنا ربك بما اختصك به من النبوة، وبما عهد إليك من رفع العذاب بالتوبة أن يرفع عنا ما أصابنا من العذاب، فإن رفعت عنا ذلك لَنُصَدِّقَ بِكَ، ولنرسلن معك بني إسرائيل، ونطلقهم.

﴿١٣٥﴾ فلما رفعنا عنهم العذاب إلى مدة معلومة قبل إهلاكهم بالغرق إذا هم يتقضون ما أخذوه على أنفسهم من التصديق وإرسال بني إسرائيل، فاستمروا على كفرهم، وامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾.

﴿١٣٦﴾ فلما حل الأجل المحدد لإهلاكهم أنزلنا عليهم نقمتنا بإغراقهم في البحر بسبب تكذيبهم آيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق الذي لا مرية فيه.

﴿١٣٧﴾ وأورثنا بني إسرائيل الذين كان يستلهم فرعون وقومه مشارق الأرض ومغاريها، والمقصود بذلك بلاد الشام، هذه البلاد التي بارك الله فيها بإخراج زروعها وثمارها على أكمل ما يكون، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - الحسنی وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّدُ أَنْ تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْآيَةَ﴾ [القصص: ٥]، فَمَنَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ مِنْ أَدَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ.

﴿١٣٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا يخرج منها شيء عن ذلك.
- ٢ - شأن الناس في وقت المحنة والمصائب اللجوء إلى الله بدافع نداء الإيمان الفطري.
- ٣ - يحسن بالمؤمن تأمل آيات الله وسننه في الخلق، والتدبر في أسبابها ونتائجها.
- ٤ - تتلاشى قوة الأفراد والدول أمام قوة الله العظمى، والإيمان بالله هو مصدر كل قوة.
- ٥ - يكافئ الله تعالى عباده المؤمنين الصابرين بأن يمكنهم في الأرض بعد استضعافهم.
- ٦ - يهلك الله تعالى الطغاة مهما عظمت قوتهم، وطال أمدهم.

﴿١٣٨﴾ وَعَبَّرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ لَمَّا ضَرَبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ فَانْفَلَقَ، فَمَرُّوا عَلَى قَوْمٍ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامٍ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﷺ: يَا مُوسَى، اجْعَلْ لَنَا صِنْمًا نَعْبُدُهُ كَمَا لَهُؤُلَاءِ أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ لَهُمْ مُوسَى: يَا قَوْمِ، إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ مِنْ تَعْظِيمٍ وَتَوْحِيدٍ، وَمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ شُرْكَ وَعِبَادَةٍ غَيْرِهِ.

﴿١٣٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُقِيمِينَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ مُهْلِكٌ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ عِبَادَةٍ غَيْرِهِ، وَيَاطِلُ جَمِيعٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ طَاعَةِ لِشِرَاكِهِمْ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ غَيْرِهِ.

﴿١٤٠﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، كَيْفَ أَطْلُبُ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ تَعْبُدُونَهُ، وَقَدْ شَاهَدْتُمْ مِنْ آيَاتِهِ الْعِظَامَ مَا شَاهَدْتُمْ، وَهُوَ ﷻ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِهْلَاكِ عَدُوِّكُمْ، وَاسْتِخْلَافِكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّمْكِينِ لَكُمْ فِيهَا!؟

﴿١٤١﴾ وَاذْكُرُوا - يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ - حِينَ أَنْجَيْنَاكُمْ بِإِنْقَادِكُمْ مِنْ اسْتِذْلَالِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ لَكُمْ، إِذْ كَانُوا يَذِيقُونَكُمْ أَنْوَاعَ الْهَوَانِ مِنْ تَقْتِيلِ أَبْنَانِكُمُ الذَّكُورِ، وَاسْتِبْقَاءِ نِسَائِكُمْ لِلخِدْمَةِ، وَفِي إِنْقَادِكُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ اخْتِبَارَ عَظِيمٍ مِنْ رَبِّكُمْ يَقْتَضِي مِنْكُمْ الشُّكْرَ.

﴿١٤٢﴾ وَوَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُوسَى لِمَنَاجَاتِهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِزِيَادَةِ عَشْرِ، فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ لَمَّا أَرَادَ الذَّهَابَ لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ: يَا هَارُونَ، كُنْ خَلِيفَةً لِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلِحْ أَمْرَهُمْ بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الْمُفْسِدِينَ بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَلَا تَكُنْ مَعِينًا لِلْعِصْيَانِ.

﴿١٤٣﴾ وَحِينَ جَاءَ مُوسَى لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمَضْرُوبِ لَهُ، وَهُوَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى رُؤْيَةِ رَبِّهِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ: لَنْ تَرَانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِعَدَمِ قُدْرَتِكَ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ انظُرْ إِلَيَّ الْجَبَلِ إِذَا تَجَلَّى لَهُ فَبَقِيَ مَكَانَهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِسُوفِ تَرَانِي، وَإِنْ صَارَ مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ فَلَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مُعْثِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْعَشْيَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ قَالَ: أَنْزَهُكَ - يَا رَبِّ - تَنْزِيهًا عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ، هَا أَنَا تَبْتُ إِلَيْكَ مِمَّا سَأَلْتُكَ مِنْ رُؤْيِكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي.

﴿١٤٤﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ يِلَّ الْبَحْرَ فَاتَوَّأَ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَمْنُنُونَ أَنْتَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمَ مِيقَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِنَّكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿١٤٤﴾ وَوَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُوسَى لِمَنَاجَاتِهِ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ أَكْمَلَهَا اللَّهُ بِزِيَادَةِ عَشْرِ، فَصَارَتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ لَمَّا أَرَادَ الذَّهَابَ لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ: يَا هَارُونَ، كُنْ خَلِيفَةً لِي فِي قَوْمِي، وَأَصْلِحْ أَمْرَهُمْ بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالرَّفْقِ بِهِمْ، وَلَا تَسْلُكْ طَرِيقَ الْمُفْسِدِينَ بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَلَا تَكُنْ مَعِينًا لِلْعِصْيَانِ.

﴿١٤٥﴾ وَحِينَ جَاءَ مُوسَى لِمَنَاجَاةِ رَبِّهِ فِي الْمَوْعِدِ الْمَضْرُوبِ لَهُ، وَهُوَ تَمَامُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ بِمَا كَلَّمَهُ بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَغَيْرِهَا، تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَى رُؤْيَةِ رَبِّهِ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ: لَنْ تَرَانِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا؛ لِعَدَمِ قُدْرَتِكَ عَلَى ذَلِكَ، لَكِنْ انظُرْ إِلَيَّ الْجَبَلِ إِذَا تَجَلَّى لَهُ فَبَقِيَ مَكَانَهُ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِسُوفِ تَرَانِي، وَإِنْ صَارَ مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ فَلَنْ تَرَانِي فِي الدُّنْيَا، فَلَمَّا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ، وَسَقَطَ مُوسَى مُعْثِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ مِنَ الْعَشْيَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ قَالَ: أَنْزَهُكَ - يَا رَبِّ - تَنْزِيهًا عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِكَ، هَا أَنَا تَبْتُ إِلَيْكَ مِمَّا سَأَلْتُكَ مِنْ رُؤْيِكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِي.

- ١ - تُؤَكِّدُ الْأَحْدَاثَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَنْتَقِلُونَ مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَى أُخْرَى عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى بَيْنَهُمْ.
- ٢ - مِنْ مَظَاهِرِ خِذْلَانِ الْأُمَّةِ أَنَّ تَحَسُّنَ الْقَبِيحِ، وَتَقَبُّحَ الْحَسَنِ بِمَجْرَدِ الرَّأْيِ وَالْأَهْوَاءِ.
- ٣ - إِصْلَاحُ الْأُمَّةِ وَإِغْلَاقُ أَبْوَابِ الْفَسَادِ هَدَفٌ سَامٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالِدَّعَاةِ.
- ٤ - قَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا، وَسَوْفَ يَكْرَمُ مَنْ يَحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ بِرُؤْيِيهِ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي
 فَخَذَ مَا ءَاتَيْتَكَ وَكُنَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
 لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ
 شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ
 دَارَ الْفَسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَابَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا
 بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا
 سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ
 الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَأَتَّخِذُ قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ
 عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَيْسَ لَكَ بِالنَّاسِ كَلِمَةٌ وَلَا يَهْدِيهِمْ
 سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ
 فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا
 رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿١٤٤﴾ قال الله لموسى: يا موسى، إني اخترتك
 وفضلتك على الناس برسالاتي حين أرسلتك
 إليهم، وفضلتك بكلامي لك دون واسطة، فخذ
 ما أعطيتك من هذا الشرف الكريم، وكن من
 الشاكرين لله على هذا العطاء العظيم.
 ﴿١٤٥﴾ وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما
 يحتاجه بنو إسرائيل من أمور دينهم وديانهم
 موعظة لمن يتعظ منهم، وتفصيلاً للأحكام التي
 يحتاج إلى تفصيلها، فخذها - يا موسى - بجد
 واجتهاد، وأمر قومك بني إسرائيل أن يأخذوا
 بأحسن ما فيها مما أجره أعظم كفعل المأمور
 به على أكمل وجه، وكالصبر والعفو، سأريكم
 عاقبة من خالف أمري، وخرج عن طاعتي، وما
 يصير إليه من الهلاك والدمار.
 ﴿١٤٦﴾ سأصرف عن الآفاق
 والأنفس، وعن فهم آيات كتابي؛ الذين
 يتكبرون على عباد الله وعلى الحق بغير حق،
 وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها؛ لاعتراضهم
 عليها وإعراضهم عنها، ولمحادثتهم الله
 ورسوله، وإن يروا طريق الحق الموصول إلى
 مرضاة الله لا يسلكوه، ولا يرغبوا فيه، وإن يروا
 طريق الغواية والضلال الموصول إلى سخط الله
 يسلكوه، ذلك الذي أصابهم إنما أصابهم
 لتكذيبهم بآيات الله العظيمة الدالة على صدق ما
 جاء به الرسل، ولغفلتهم عن النظر فيها.

﴿١٤٧﴾ والذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا، وكذبوا بقاء الله يوم القيامة، بطلت أعمالهم التي هي من جنس الطاعات، فلا يُثابون عليها لفقد شرطها الذي هو الإيمان، ولا يجزون يوم القيامة إلا ما كانوا يعملونه من الكفر بالله والشرك به، وجزاء ذلك الخلود في النار.

﴿١٤٨﴾ واتخذ قوم موسى من بعدهم من حليهم تمثال عجل لا روح فيه وله صوت، ألم يعلموا أن هذا العجل لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى طريق خير حسي أو معنوي، ولا يجلب لهم نفعاً أو يكشف عنهم ضرراً؟ اتخذوه معبوداً وكانوا ظالمين لأنفسهم بذلك.

﴿١٤٩﴾ ولما ندموا وتحيروا وعلموا أنهم قد ضلوا عن الصراط المستقيم باتخاذهم العجل معبوداً مع الله تضرعوا إلى الله فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بالتوفيق لطاعته، ويغفر لنا ما أقدمنا عليه من عبادة العجل، لنتكون من الذين خسروا دنيانهم وآخرتهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - على العبد أن يكون من المظهرين لإحسان الله وفضله عليه، فإن الشكر مقرون بالمزيد.
- ٢ - على العبد الأخذ بالأحسن في الأقوال والأفعال.
- ٣ - يجب تلقي الشريعة بحزم وجد وعزم على الطاعة وتنفيذ ما ورد فيها من الصلاح والإصلاح ومنع الفساد والإفساد.
- ٤ - أن الأمة تكون عزيزة الجانب مرهوبة ما دامت متمسكة بدينها، فإذا أهملته انهارت وضاعت.
- ٥ - الجزاء من جنس العمل، فمن آمن وعمل الصالحات فله الجنة، ومن كفر وعمل السيئات فله النار.
- ٦ - على العبد إذا أخطأ أو قصّر في حق ربه أن يعترف بعظيم الجرم الذي أقدم عليه، وأنه لا ملجأ من الله في إقالة عثرته إلا إليه.

﴿١٥٦﴾ ولما رجع موسى من مناجاة ربه إلى قومه ممتلئاً عليهم غضباً وحزناً لما وجدهم عليه من عبادة العجل قال: بستت الحالة التي خلفتموني - يا قوم - بها بعد ذهابي عنكم؛ لِمَا تُوَدِّيهِ مِنَ الْهَلَاكِ وَالشَّقَاءِ، أَمَلْتُمْ مِنْ أَنْتَظَارِ مِيعَادِ رَبِّكُمْ الَّذِي وَعَدْنِيهِ وَهُوَ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً، فَأَقْدَمْتُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ؟! وَرَمَى الْأَلْوَاحَ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْغَضَبِ وَالْحُزَنِ، وَأَمْسَكَ بِرَأْسِ أَخِيهِ هَارُونَ وَلِحِيَّتِهِ يَسْحَبُهُ إِلَيْهِ لِبِقَائِهِ مَعَهُمْ وَعَدَمِ تَغْيِيرِهِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَلِ، قَالَ هَارُونَ مَعْتَذِراً إِلَى مُوسَى مُسْتَطَعِطاً إِيَّاهُ: يَا ابْنَ أُمِّي، إِنْ الْقَوْمَ حَسِبُونِي ضَعِيفًا فَاسْتَذَلُونِي، وَأَوْشَكُوا أَنْ يَقْتُلُونِي، فَلَا تَعَاقِبْنِي بِعَقُوبَةِ تَسَرُّعِ أَعْدَائِي، وَلَا تُصَيِّرْنِي بِسَبَبِ غَضَبِكَ عَلَيَّ فِي عِدَادِ الظَّالِمِينَ مِنَ الْقَوْمِ بِسَبَبِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرِ اللَّهِ. ﴿١٥٦﴾ قال موسى داعياً ربه: يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَاغْفِرْ لِأَخِي هَارُونَ، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَاجْعَلْهَا تَحِيطَ بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَنْتَ - يَا رَبَّنَا - أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ. ﴿١٥٦﴾ إِنْ الَّذِينَ صَيَّرُوا الْعَجَلَ إِلَهًا يَعْبُدُونَهُ سَيَصِيبُهُمْ غَضَبٌ شَدِيدٌ مِنْ رَبِّهِمْ، وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لِإِغْضَابِهِمْ رَبَّهُمْ وَاسْتِهَانَتِهِمْ بِهِ، وَبِمَثَلِ هَذَا الْجِزَاءِ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ. ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ، وَفَعَلَ الْمُعَاصِيَ، ثُمَّ تَابُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنْ أَمَّنُوا بِهِ، وَاتَّبَعُوا عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الْمُعَاصِيَ، إِنْ رَبَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -

﴿١٥٦﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسْفَا قَالَ بِسْمِ اللَّهِ خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْحَدُ بِهِ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سِينًا لَهُمْ غَضِبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا فَغُفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تَسْخِطُهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَنْتَهَلَكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٦﴾

من بعد هذه التوبة والرجوع من الشرك إلى الإيمان، ومن المعاصي إلى الطاعة، لغفور لهم بالستر والتجاوز، رحيم بهم. ﴿١٥٦﴾ ولما سكن عن موسى الغضب وهدأ أخذ الألواح التي رماها بسبب الغضب، وهذه الألواح مشتملة على الهداية من الضلال وبيان الحق، ومشتملة على الرحمة للذين يخشون ربهم، ويخافون عقابه. ﴿١٥٦﴾ واختار موسى من قومه سبعين رجلاً من خيار قومه ليعتدروا إلى ربهم مما فعله سفهاؤهم من عبادة العجل، ووعدهم الله ميقاتاً يحضرون فيه، فلما حضروا تجرؤوا على الله، وطلبوا من موسى أن يريهم الله عياناً، فأخذتهم الزلزلة فصعقوا من هولها وهلكوا، فتنزع موسى إلى ربه، فقال: يا رب، لو شئت إهلاكهم وإهلاكهم معهم من قبل مجيئهم لأهلكتهم، أنتهلكنا بسبب ما فعله خفاف العقول منا؟ فما قام به قومي من عبادة العجل ما هو إلا ابتلاء واختبار تضل به من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت متولي أمرنا فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير من غفر ذنباً، وعفا عن إثم.

﴿١٥٦﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - يجب أن يكون غضب المسلم لله لا لنفسه، وأن يكون سريع الفئنة إذا ذُكر.
- ٢ - في الآيات دليل على أن الخطأ في الاجتهاد مع وضوح الأدلة لا يعذر فيه صاحبه عند إجراء الأحكام عليه، وهو ما يسميه الفقهاء بالتأويل البعيد.
- ٣ - من آداب الدعاء البدء بالنفس، حيث بدأ موسى ﷺ دعاءه فطلب المغفرة لنفسه تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب، ثم طلب المغفرة لأخيه فيما عسى أن يكون قد ظهر منه من تفریط أو تساهل في رد عبادة العجل عن ذلك.
- ٤ - الكذب شر كله، ويُسْقِطُ مَهَابَةَ صَاحِبِهِ عِنْدَ النَّاسِ.
- ٥ - في الآيات ترغيب للعصاة في التوبة، والنهي عن القنوط من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبهم.
- ٦ - ضرورة التوقي من غضب الله، وخوف بطشه، فانظر إلى مقام موسى ﷺ عند ربه، وانظر خشيته من غضب ربه.

﴿١٥٦﴾ واجعلنا من الذين أكرمتمهم في هذه الحياة بالنعم والعافية ووفقتهم للعمل الصالح، وممن أعددت لهم الجنة من عبادك الصالحين في الآخرة، إنا تبنا إليك، ورجعنا مُقَرِّين بتقصيرنا، قال الله تعالى: عذابي أصيب به من أشاء ممن يعمل بأسباب الشقاء، ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا؛ فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وعمره فضله وإحسانه، فسأكتب رحمتي في الآخرة للذين يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، والذين يعطون زكاة أموالهم مستحقها، والذين هم بآياتنا يؤمنون.

﴿١٥٧﴾ الذين يتبعون محمداً ﷺ، وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما يوحى إليه ربه، وهو الذي يجدون اسمه وصفاته وما أنزل إليه مكتوباً في التوراة المُنزَّلة على موسى ﷺ، والإنجيل المُنزَّل على عيسى ﷺ، بأمريهم بما عُرف حسنه وصلاحه، وينهاهم عما عُرف قبحه في العقول الصحيحة والفطر السليمة، ويبيح لهم المُستلذات مما لا ضرر فيه من المطاعم والمشارب والمناكح، ويحرم عليهم المُستخبيات منها، ويضع عنهم التكاليف الشاقة التي كانوا يُكَلِّفون بها، كقطع موضع

﴿١٥٦﴾ وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا نَايِكُ قَالَ عِدَايَ أَصِيبُ بِهِ مَنَ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَى إِتْمَنَّا بِأَلْحَقٍ بِهِ يَعِدُونَ ﴿١٥٩﴾

النجاسة، وكوجوب قتل القاتل سواء كان القتل عمداً أم خطأ، فالذين صدَّقوا به من بني إسرائيل ومن غيرهم، وعظموه ووقروه، ونصروه على من يعاديه من الكفار، واتبعوا القرآن الذين أنزل عليه؛ أولئك هم المفلحون الذين ينالون ما يطلبونه، ويُجْتَبُونَ ما يرهونه.

﴿١٥٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، عربكم وعجمكم، الذي له وحده ملك السماوات، وله ملك الأرض، لا معبود بحق غيره سبحانه، يُحْيِي الموتى، ويميت الأحياء، فآمنوا - أيها الناس - بالله، وآمنوا بمحمد ﷺ رسول الله الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما جاء بوحى يوحى إليه ربه، الذي يؤمن بالله، ويؤمن بما أنزل إليه وما أنزل على النبيين من قبله دون تفریق، واتبعوه في ما جاء به من ربه؛ رجاء أن تهتدوا إلى ما فيه مصلحتكم في الدنيا والآخرة. ولَمَّا ذكر الله ما ذكر عن بني إسرائيل من عبادة العجل ذكر سبحانه أن منهم أمة مخالفة لما عليه الذين عبدوا العجل، فقال:

﴿١٥٩﴾ ومن قوم موسى من بني إسرائيل طائفة مستقيمة على الحق، يدلون الناس عليه، ويعدلون به في الحكم بين الناس.

﴿١٥٩﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْ آلِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَالْحَقُّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٠﴾

- ﴿١٥٩﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْ آلِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَالْحَقُّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٠﴾
- ١ - رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن رحمة الله عباده ذات مراتب متفاوتة، تتفاوت بحسب الإيمان والعمل الصالح.
 - ٢ - من صور عدل الله ﷻ إنصافه للقلَّة المؤمنة، فذكر صفات بني إسرائيل المنافية للكمال المناقضة للهداية، فربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهدية.
 - ٣ - تضمَّنت التوراة والإنجيل أدلة ظاهرة على بعثة النبي محمد ﷺ وعلى صدقه.
 - ٤ - الدعاء قد يكون مُجْمَلًا وقد يكون مُفَصَّلًا حسب الأحوال، وموسى في هذا المقام أجمل في دعائه.

﴿١٦٦﴾ وقسمنا بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة، وأوحينا إلى موسى حين طلب منه قومه أن يدعو الله أن يسقيهم: أن اضرب - يا موسى - بعصاك الحجر، فضربه موسى، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد قبائلهم الاثنتي عشرة، قد علمت كل قبيلة منهم مشربها الخاص بها، فلا تشترك معها فيه قبيلة أخرى، وظللنا عليهم السحاب يسير بسيرهم، ويتوقف بتوقفهم، وأنزلنا عليهم المَنَّ (وهو شيء يشبه الصَّمغ حلو الطعم)، والسلوى (وهو طائر يشبه السَّمَانِيَّ)، وقلنا لهم: كلوا من طبيات ما رزقناكم، وما ظلمونا بما وقع منهم من الظلم وكفران النعم، وعدم تقديرها حق قدرها، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين أوردوها موارد الهلاك بما ارتكبوه من مخالفة أمر الله والتنكر لنعمه.

﴿١٦٧﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا من ثمار قريته من أي مكان منه وفي أي وقت شئتم، وقولوا: يا ربنا، حُطَّ عنا خطايانا، وادخلوا الباب خاضعين لربكم؛ نغفر لكم خطاياكم، وستزيد المحسنين من خيري الدنيا والآخرة.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٧﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿١٦٧﴾ فَغَيَّرَ الظَّالِمُونَ مِنْهُمْ الْقَوْلَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ فَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعِيرَةٍ، عَوْضٌ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، وَغَيْرُوا الْفِعْلَ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهُمْ بَدَلًا مِنَ الدَّخُولِ خَاضِعِينَ لِلَّهِ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ بِسَبَبِ ظَلْمِهِمْ.

﴿١٦٨﴾ وَسَأَلَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - الْيَهُودَ تَذْكِيرًا لَهُمْ بِمَا عَاقَبَ اللَّهُ بِهِ أَسْلَافَهُمْ عَنْ قِصَّةِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ بِقَرْبِ الْبَحْرِ حِينَ كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ حُدُودَ اللَّهِ بِالصَّيْدِ يَوْمَ السَّبْتِ بَعْدَ نَهْيِهِمْ عَنْهُ حِينَ ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِأَنْ صَارَتِ الْأَسْمَاكُ تَأْتِيهِمْ ظَاهِرَةً عَلَىٰ وَجْهِ الْبَحْرِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَفِي سَائِرِ الْأَيَّامِ لَا تَأْتِيهِمْ، ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ بِسَبَبِ خُرُوجِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ وَارْتِكَابِهِمُ الْمَعَاصِيَ، فَاحْتَالُوا لَصِيدِهِ بِأَنْ نَصَبُوا شِبَاكَهُمْ، وَحَفَرُوا حَفْرَهُمْ، فَكَانَتِ الْحِيتَانُ تَقَعُ فِيهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ أَخَذُوهَا وَأَكَلُوهَا.

﴿١٦٩﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الجحود والكفران سبب في الحرمان من النعم.
- ٢ - من أسباب حلول العقاب ونزول العذاب التحايل على الشرع؛ لأنه ظلم وتجاوز لحدود الله.
- ٣ - كتب الله على بني إسرائيل الذلة والمسكنة، وتأذَّن بأن يبعث عليهم كل مدة من يذيقهم العذاب بسبب ظلمهم وانحرافهم.

﴿١٧١﴾ واذكر - يا محمد - إذ رفعنا فوق بني إسرائيل الجبل لما امتنعوا من قبول ما في التوراة، فصار الجبل كأنه سحابة تظل رؤوسهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، وقيل لهم: خذوا ما أعطيناكم بجد واجتهاد وعزيمة، وتذكروا ما فيه من الأحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوه؛ رجاء أن تتقوا الله إذا قمتم بذلك.

﴿١٧٢﴾ واذكر - يا محمد - إذ أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذرياتهم، وقررهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه خالقهم وربهم قائلاً لهم: أأنت ربكم؟ قالوا جميعاً: بلى أنت ربنا، قال: إنما امتحناكم وأخذنا عليكم الميثاق حتى لا تنكروا يوم القيامة حجة الله عليكم، وتقولوا: إنه لا علم لكم بذلك.

﴿١٧٣﴾ أو تحتجوا بأن آباءكم هم الذين نقضوا العهد فأشركوا بالله، وأنكم كنتم مقلدين لآبائكم فيما وجدتموهم عليه من الشرك، فتقولوا: أفتهلكنا - يا ربنا - بما فعله آباؤنا الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك بالله؟ فلا ذنب لنا؛ لجهلنا وتقليدنا لآبائنا.

﴿١٧٤﴾ وكما فصلنا الآيات في بيان مصير الأمم المكذبة كذلك فصلها لهؤلاء؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الشرك إلى توحيد الله وعبادته وحده؛ كما جاء في العهد الذي قطعه الله على أنفسهم.

﴿١٧٥﴾ وائل - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبر رجل منهم أعطيناه آياتنا فعلمها وفهم الحق الذي دلت عليه، ولكنه لم يعمل بها، بل تركها وانخلع منها، فلحقه الشيطان، وصار قريباً له، فأصبح من الضالين الهالكين بعد أن كان من المهتدين الناجين.

﴿١٧٦﴾ ولو شئنا نفعه بهذه الآيات لرفعناه بها بأن نوفقه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه اختار ما يؤدي إلى خذلانه حين مال إلى شهوات الدنيا مؤثراً دنياه على آخرته، واتبع ما تهواه نفسه من الباطل، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب لا يزال لاهئاً في كل حال، إن كان رابضاً لهث، وإن طرد لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - القصص عليهم؛ رجاء أن يتفكروا فينزعوا عما هم فيه من التكذيب والضلال.

﴿١٧٧﴾ ليس أسوأ من القوم الذين كذبوا بخبحنا وبراہیننا، ولم يصدقوا بها، وهم بذلك يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

﴿١٧٨﴾ من يوفقه الله للهداية إلى صراطه المستقيم فهو المهتدي حقاً؛ لاختياره صراط ربه المستقيم، ومن يخذله الله عن الهداية إلى صراطه، ويضله عنها بسبب زيغ وسوء أعماله، فأولئك هم الخاسرون حقاً، الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

﴿١٧٩﴾ فإذ من الآيات:

﴿١٧١﴾ وَإِذْ نَفَخْنَا الْجِبْلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿١٧٩﴾ فإذ من الآيات:

١ - المقصود من إنزال الكتب السماوية العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نبذ لها.

٢ - إن الله خلق في الإنسان من وقت تكوينه إدراك أدلة الوجدانية، فإذا كانت فطرته سليمة، ولم يدخل عليها ما يفسدها أدرك هذه الأدلة، وعمل بمقتضاها.

٣ - في الآيات عبرة للمؤمنين للعمل بآيات القرآن؛ ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم للعمل بها؛ لتزكوا نفوسهم.

٤ - ضرورة التفكير وأخذ العبرة من قصص القرآن؛ لأنها القصص الحق.

٥ - في الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به.

٦ - في الآيات تلقين للمسلمين للتوجه إلى الله تعالى يطلب الهداية منه والعصمة من مزائق الضلال.

﴿١٧٦﴾ ولقد أنشأنا لهم كثيرا من الجن، وكثيرا من الجن؛ لعلنا بأنهم سيعملون بعمل أهلها، لهم قلوب لا يعقلون بها ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولهم أعين لا يبصرون بها آيات الله في الأنفس والآفاق فيعتبرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها آيات الله فيتدبرون ما فيها، أولئك المتصفون بهذه الصفات مثل البهائم في فقد العقل، بل هم أضل من البهائم، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله واليوم الآخر.

﴿١٧٧﴾ والله - سبحانه - الأسماء الحسنى التي تدل على جلاله وكماله، فتسألوا في طلب ما تريدون بها إلى الله، وارتكوا الذين يميلون عن الحق في هذه الأسماء بجعلها لغير الله، أو نفيها عنه، أو تحريف معناها، سنجزى هؤلاء الذين يميلون بها عن الحق: العذاب المؤلم بما كانوا يعملون.

﴿١٧٨﴾ وممن خلقنا من خلقنا أمة يهتدون في أنفسهم بالحق، ويدعون إليه غيرهم فيهتدون، ويعدلون به في الحكم، وهؤلاء هم أئمة الهدى الذين من الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح.

﴿١٧٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، بل جحدوها، سنفتح لهم أبواب الرزق لا إكراما لهم، بل لاستدراجهم حتى يتمادوا في ما هم عليه من الضلال، ثم يصيبهم عذابنا على حين غرة.

﴿١٨٠﴾ وأوخر عنهم العقوبة حتى يظنوا أنهم غير معاقبين، فاستمروا على تكذيبهم وكفرهم حتى يضاعف عليهم العذاب، إن كيدي قوي، فأظهر لهم الإحسان، وأريد بهم الخذلان.

﴿١٨١﴾ أولم يفكر هؤلاء المكذبون بآيات الله وبرسوله، فيعلموا عقولهم ليتضح لهم أن محمدا ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله بعثه منذرا من عذاب الله إنذارا بيّنا.

﴿١٨٢﴾ أولم ينظر هؤلاء نظر اعتبار إلى ملك الله في السماوات والأرض، وينظروا إلى ما خلق الله فيهما من حيوان ونبات وغيرهما، وينظروا في آجالهم التي عسى أن تكون نهايتها قُرْبَتْ فيتوبوا قبل فوات الأوان، فإذا لم يؤمنوا بالقرآن وما فيه من وعد ووعد فبأي كتاب غيره يؤمنون؟!

﴿١٨٣﴾ من يخذله الله عن الهداية إلى الحق، ويضله الله عن الصراط المستقيم، فلا هادي له يهديه إليه، ويتركهم الله في ضلالهم وكفرهم يتحiron لا يهتدون إلى شيء.

﴿١٨٤﴾ يسألك هؤلاء المكذبون المعتنون عن الساعة: متى وقتها المحدد لها؟ قل - يا محمد -: ليس علمها عندي ولا عند غيري، وإنما علمها عند الله وحده، لا يظهرها لوقتها المقدر لها إلا الله، خفي أمر ظهورها على أهل السماوات وأهل الأرض، لا تأتكم إلا فجأة، يسألونك عن الساعة كأنك حريص على العلم بها، وما علموا أنك لا تسأل عنها لكمال علمك بربك، قل لهم - يا محمد -: إنما علم الساعة عند الله وحده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

﴿١٨٥﴾ فَوَاوِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - خلق الله للبشر آلات الإدراك والعلم - القلوب والأعين والأذان -؛ لتحصيل المنافع ودفع المضار.
- ٢ - الدعاء بأسماء الله الحسنى سبب في إجابة الدعاء، فيُدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، مثل: اللهم تب عني يا تواب.
- ٣ - التفكير في عظمة السماوات والأرض، والتوصل بهذا التفكير إلى أن الله تعالى هو المستحق للألوهية دون غيره؛ لأنه المنفرد بال صنع.

﴿١٧٨﴾ قل - يا محمد -: لا أملك القدرة على جلب نفع لنفسي، ولا كشف ضرر عنها، إلا ما شاء الله، وإنما ذلك إلى الله، ولا أعلم إلا ما علمني الله، فلا أعلم الغيب، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تجلب لي المصالح، وتدفع عني المفاسد؛ لعلمي بالأشياء قبل كونها وعلمي بما تؤول إليه، لست إلا رسولاً من عند الله، أخوف من عقابه الأليم، وأبشّرُ بثوابه الكريم قوماً يؤمنون بأني رسول منه ﷺ، ويصدقون بما جئت به.

﴿١٧٩﴾ هو الذي خلقكم - أيها الرجال والنساء - من نفس واحدة هي آدم ﷺ، وخلق من آدم ﷺ زوجته حواء، خلقها من ضلعه لئانس إليها، ويطمئن بها، فلما جامع زوج زوجته حملاً خفيفاً لا تشعر به؛ لأنه كان في بدايته، واستمرت على حملها هذا تمضي في حوائجها لا تجد ثقلاً، فلما أثقلت به حين كبر في بطنها دعا الزوجان ربهما قائلين: لئن أعطينا - يا ربنا - ولداً صالح الخلقة تامها لتكونن من الشاكرين لنعمك. ﴿١٨٠﴾ فلما استجاب الله دعاءهما، وأعطاهما ولداً صالحاً كما دعوا صبراً الله شركاء فيما وهبهما فعبيداً ولدهما لغيره، وسميّاه عبد الحارث، فتعالى الله وتنزه عن كل شريك، فهو المنفرد بالربوبية والألوهية.

﴿١٨١﴾ أيجعلون هذه الأصنام وغيرها شركاء لله في العبادة، وهم يعلمون أنها لا تخلق شيئاً فتستحق العبادة، بل هي مخلوقة، فكيف يجعلونها شركاء لله؟! ﴿١٨٢﴾

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبُّهَا لِيَنْزِلَ بِهَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً فَالْتَمَسْنَا لَهَا لَهْفًا ذَرِيَّةً طَيِّبَةً فَأَنزَلْنَا بِهَا ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَجْعَلُ مِنْكُمْ جُمُوعًا وَآيَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَا اللَّهِ فَادْعُوهُمْ بِمَا آمَنُوا إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩١﴾ أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ لِيُكَلِّمَهُنَّ وَهُنَّ حَمْلٌ خَفِيٌّ فَتَعْلَمْنَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَا اللَّهِ فَادْعُوهُمْ بِمَا آمَنُوا إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٣﴾ أَلَمْ يَخْلُقْنَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ لِيُكَلِّمَهُنَّ وَهُنَّ حَمْلٌ خَفِيٌّ فَتَعْلَمْنَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٤﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَا اللَّهِ فَادْعُوهُمْ بِمَا آمَنُوا إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٥﴾

﴿١٨٢﴾ ولا تستطيع هذه المعبودات من دون الله نصر عابديها، ولا تستطيع نصر أنفسها، فعبادتها من دون الله من السفه الجلي، والحقم الغبي.

﴿١٨٣﴾ وإن تدعوا - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله إلى الهدى لا يجيبوكم إلى ما دعوتموهم إليه ولا يتبعونكم، فسواء عندها دعاؤكم لها وسكونكم عنها؛ لأنها مجرد جمادات، لا تعقل، ولا تسمع، ولا تنطق.

﴿١٨٤﴾ إن الذين تعبدهم - أيها المشركون - من دون الله هم مخلوقون لله، مملوكون له، فهم أمثالكم في ذلك مع أنكم أفضل حالاً؛ لأنكم أحياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون، وأصنامكم ليست كذلك، فادعوهم وليردوا عليكم الجواب إن كنتم صادقين فيما تدعونه لهم.

﴿١٨٥﴾ أهؤلاء الأصنام الذين اتخذتموهم آلهة: أرجل يمشون بها؟ أم لهم أيد يعملون بها ويبطشون؟ أم لهم أعين يبصرون بها؟ أم لهم أذان يسمعون بها؟ فإن كانت معطلة من ذلك كله فكيف تعبدها رجاء جلب نفع أو دفع ضرر؟! قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا شركاءكم جميعاً، ثم اصنعوا أنتم وهم ما شئتم من كيد، ولا تمهلوني.

﴿١٨٦﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - في الآيات بيان جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر؛ لأن النفع إنما يحصل من قبل ما أرسل به من البشارة والندارة.
- ٢ - جعل الله بمشئته من نوع الرجل وزوجه؛ ليألفها ولا يجفو قربها ويأنس بها؛ لتحقيق الحكمة الإلهية في التناسل.
- ٣ - لا يليق بالأفضل الأكمل الأشرف من المخلوقات وهو الإنسان أن يشتغل بعبادة الأخص والأردل من الحجارة والخشب وغيرها من الآلهة الباطلة.
- ٤ - الواجب على العاقل عبادة الله تعالى؛ لأنه هو الذي يحقق له منافع الدين بإزالة الكتاب المشتمل على العلوم العظيمة في الدين، ومنافع الدنيا بتولي الصالحين من عباده وحفظه لهم ونصرتهم إياهم، فلا تضرهم عداوة من عاداهم.

﴿١٦٦﴾ إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي يَحْفَظُنِي، فَلَا أَرْجُو غَيْرَهُ، وَلَا أَخَافُ شَيْئًا مِنْ أَصْنَامِكُمْ، فَهُوَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ، فَيَحْفَظُهُمْ وَيُنصِرُهُمْ.

﴿١٦٧﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَصْرِكُمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَصْرِ أَنْفُسِهِمْ، فَهَمُ عَاجِزُونَ، فَكَيْفَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟! ﴿١٦٨﴾ وَإِنْ تَدْعُوا - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - أَصْنَامَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَى الْاسْتِقَامَةِ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ، وَتَرَاهُمْ يَقَابِلُونَكِ بِأَعْيُنِ مَصُورَةٍ، وَهِيَ جِمَادٍ لَا تَبْصُرُ، فَقَدْ كَانُوا يَصْنَعُونَ تَمَاثِيلَ عَلَى هَيْئَةِ بَنِي آدَمَ أَوْ الْحَيَوَانَاتِ، وَلَهَا أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَأَعْيُنٌ، لَكِنهَا جَامِدَةٌ، لَا حَيَاةَ فِيهَا وَلَا حَرَكَةَ.

﴿١٦٩﴾ أَقْبَلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنَ النَّاسِ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، وَمَا سَهَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَلَا تَكْلِفُهُمْ مَا لَا تَسْمَحُ بِهِ طِبَائِعُهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفَرُهُمْ، وَأَمُرٌ بِكُلِّ قَوْلٍ جَمِيلٍ وَفِعْلٍ حَسَنٍ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ، فَلَا تَقَابِلُهُمْ بِجَهْلِهِمْ، فَمَنْ آذَاكَ فَلَا تَوَذَّهْ، وَمَنْ حَرَمَكَ فَلَا تَحْرَمِ.

﴿١٧٠﴾ وَإِذَا أَحْسَسْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَنَّ الشَّيْطَانَ أَصَابَكَ بِوَسْوَسَةٍ أَوْ تَشْوِيطٍ عَنِ فِعْلِ الْخَيْرِ فَالْتَجِئْ إِلَى اللَّهِ، وَاعْتَصِمْ بِهِ، فَإِنَّهُ سَمِيعٌ لِمَا تَقُولُ، عَلِيمٌ بِالتَّجَانُّكِ، فَسِيحْمِيكَ مِنَ الشَّيْطَانِ.

﴿١٧١﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّقُوا اللَّهَ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ إِذَا أَصَابَتْهُمْ وَسْوَسَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَادْذَنْبُوا؛

إِنْ وَلِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٦٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْنَهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦٨﴾ خُذِ الْعَوْمَ وَأْمُرْ بِالْأَعْرَافِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٠﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَافِيرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٤﴾ وَادْكُرْتَنِي فِي نَفْسِكَ نَصْرًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٧٥﴾ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَحْسِنُونَ لَهُمْ لِيَسْجُدُوا ﴿١٧٦﴾

﴿١٧٢﴾ وَإِخْوَانِ الشَّيْطَانِينَ مِنَ الْفَجَارِ وَالْكَفَّارِ لَا يَزَالِ الشَّيْطَانِينَ يَمْدُونَهُمْ فِي الضَّلَالِ بِذَنْبِ بَعْدِ ذَنْبٍ، وَلَا يَأْلُوا الْجَمِيعَ جَهْدًا، لَا الشَّيْطَانِينَ بِالْإِعْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، وَلَا الْفَجَارَ مِنَ الْإِنْسِ بِالْإِنْقِيَادِ وَفِعْلِ الشَّرِّ.

﴿١٧٣﴾ وَإِذَا جِئْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِآيَةٍ كَذَبُوكَ وَأَعْرَضُوا عَنْهَا، وَإِنْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا: هَلَّا اخْتَرَعْتَ آيَةَ مِنْ عِنْدِكَ وَاخْتَلَقْتَهَا، قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: لَيْسَ لِي أَنْ آتِيَ بَيِّنَةٌ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي، وَلَا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيَّ، هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَقْرَأُهُ عَلَيْكُمْ حُجُجٌ وَبُرَاهِينٌ مِنْ اللَّهِ خَالِقِكُمْ وَمُدَبِّرُ شُؤْنِكُمْ، وَإِرْشَادٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ فَهُمْ ضَلَالٌ أَشْقِيَاءُ.

﴿١٧٤﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لِقِرَاءَتِهِ، وَلَا تَكَلَّمُوا، وَلَا تَنْشَغَلُوا بِغَيْرِهِ؛ رَجَاءً أَنْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ. وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - اللَّهُ رَبُّكَ مُتَخَشِّعًا مُتَوَاضِعًا خَائِفًا، وَاجْعَلْ دَعَاءَكَ وَسَطًا بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَخَافَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ لِفَضْلِ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿١٧٥﴾ إِنْ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ سَبْحَانَهُ، بَلْ يَتَقَادُونَ لَهَا مُذْعِنِينَ لَا يَفْتَرُونَ، وَهُمْ يُنْزَهُونَ اللَّهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَهُ وَحْدَهُ يَسْجُدُونَ.

﴿١٧٦﴾ هُوَذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - فِي الْآيَاتِ بَشَارَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى صِرَاطِ نَبِيِّهِمْ ﷺ بِأَنْ يَنْصُرَهُمُ اللَّهُ كَمَا نَصَرَ نَبِيَّهُ وَأَوْلِيَاءَهُ. ٢ - فِي الْآيَاتِ جَمَاعُ الْأَخْلَاقِ، فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِيَ مِنْ حَرَمِهِ، وَيَصِلَ مِنْ قَطْعِهِ. ٣ - عَلَى الْعَبْدِ إِذَا مَسَّهُ سُوءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَذْنَبَ بِفِعْلِ مُحْرَمٍ، أَوْ تَرَكَ وَاجِبًا أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَسْتَدْرِكُ مَا فَرَطَ مِنْهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالْحَسَنَاتِ الْمَاحِيَةِ.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾
يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧﴾

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ:

بيان أحكام الجهاد وعوامل النصر والهزيمة خلال غزوة بدر.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يسألك أصحابك - أيها الرسول - عن الغنائم، كيف قسمتها؟ وعلى من تكون القسمة؟ قل - أيها الرسول - محبباً سؤالهم: الغنائم لله ورسوله، وحكمها لله ورسوله في التصرف والتوزيع، فما عليكم إلا الانقياد والاستسلام، فاتقوا - أيها المؤمنون - الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأصلحوا ما بينكم من التقاطع والتدابير بالتواد والتواصل وحسن الخلق والعفو، والزموا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقاً؛ لأن الإيمان يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية. وكان هذا السؤال بعد وقعة بدر.

﴿٢﴾ إنما المؤمنون حقاً الذين إذا ذكر الله خافت قلوبهم؛ فانسأقت قلوبهم وأبدانهم للطاعة، وإذا قرئت عليهم آيات الله تدبروها فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مفاسدهم.

﴿٣﴾ الذين يداومون على أداء الصلاة بصفتهما التامة في أوقاتها، ومما رزقناهم ينفقون النفقات الواجبة والمستحبة.

﴿٤﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم المؤمنون حقاً؛ لجمعهم بين خصال الإيمان والإسلام الظاهرة، وجزاؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم وريزق كريم، وهو ما أعدّه الله لهم من النعيم.

﴿٥﴾ كما أن الله ﷻ انتزع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وتنازعكم فيها، وجعلها إليه وإلى رسوله ﷺ، كذلك أمرك ربك - أيها الرسول - بالخروج من المدينة للقاء المشركين بوحى أنزله عليك، مع كراهة طائفة من المؤمنين لذلك.

﴿٦﴾ تجادلك - أيها الرسول - هذه الطائفة من المؤمنين في قتال المشركين بعدما اتضح لهم أنه واقع، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون إليه عياناً، وذلك لشدة كراهتهم للخروج للقتال؛ لأنهم لم يأخذوا له أهبتة، ولم يعدوا له عدته.

﴿٧﴾ واذكروا - أيها المؤمنون المجادلون - إذ يعدكم الله إحدى طائفتي المشركين أن سيكون لكم الظفر بها، وهي إما العير وما تحمله من أموال فتأخذونه غنيمته، وإما النفير فتقاتلونهم وتضربون عليهم، وتحبون أن تكون الطائفة هي العير لسهولة الاستيلاء عليها ويسره دون قتال، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال؛ لتقتلوا صنديد المشركين، وتأسروا كثيراً منهم حتى تظهر قوة الإسلام.

﴿٨﴾ ليحق الله الحق بإظهار الإسلام وأهله، وذلك بما يظهره من الشواهد على صدقه، وليبطل سبحانه الباطل بما يظهر من البراهين على بطلانه، ولو كره المشركون ذلك، فالله مظهره.

﴿٩﴾ فإياد من الآيات:

- ١ - ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه ويؤميه؛ لأن الإيمان يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بصددها.
- ٢ - الجدال محلّه وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، فأما إذا وضع وبان فليس إلا الانقياد والإذعان.
- ٣ - أمر قسمة الغنائم متروك للرسول ﷺ، والأحكام مرجعها إلى الله تعالى ورسوله لا إلى غيرهما.
- ٤ - إراحة تحقيق النصر الإلهي للمؤمنين؛ لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

﴿٧٧﴾ فلم تقتلوا - أيها المؤمنون - يوم بدر المشركين بحولكم وقوتكم، ولكن الله أعانكم على ذلك، وما رميت - أيها النبي - المشركين حين رميتهم، ولكن الله هو الذي رماهم حين أوصل رميتك إليهم، وليختبر المؤمنين بما أنعم عليهم من إظهارهم على عدوهم مع ما هم فيه من قلة العدد والعددي لشكروه، إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم، عليم بأعمالكم، وبما فيه صلاحكم.

﴿٧٨﴾ ذلك المذكور من قتل المشركين، ورميهم حتى انهزموا وولوا هاربين، والإنعام على المؤمنين بإظهارهم على عدوهم؛ هو من الله، والله مُضْعِفُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَكِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ.

﴿٧٩﴾ إن تطلبوا - أيها المشركون - أن يوقع الله عذابه وبأسه على الظالمين المعتدين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم، فأنزل بكم ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين، وإن تكفوا عن طلب ذلك فهو خير لكم، فربما أمهلكم ولم يعجل انتقامه منكم، وإن تعودوا إلى طلبه وإلى قتال المؤمنين نعد ببايقاع العذاب عليكم وبنصر المؤمنين، ولن تغني عنكم جماعتكم ولا أنصاركم ولو كانت كثيرة العدد والعدد مع قلة المؤمنين، وإن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فلا غالب له.

﴿٨٠﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامتثال أمره واجتنب نهي، ولا تعرضوا عنه بمخالفة أمره وإتيان نهي، وأنتم تسمعون آيات الله تقرأ عليكم.

﴿٨١﴾ ولا تكونوا - أيها المؤمنون - مثل المنافقين والمشركين الذين إذا ثلّبت عليهم آيات الله قالوا: سمعنا بأذاننا ما يتلى علينا من القرآن، وهم لا يسمعون سماع تدبر وتعاط؛ فينتفعوا بما سمعوه.

﴿٨٢﴾ إن شر من يدب على وجه الأرض من الخلق عند الله هم الضمُّ الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، البُكْم الذين لا يُفْهَمُونَ به ولا يدعون إليه، فهم الذين لا يعقلون عن الله وأمره ولا نواهي.

﴿٨٣﴾ ولو علم الله أن في هؤلاء المشركين المكذبين خيرا لسمعهم سماعا ينتفعون به، ويتعقلون عنده الحجج والبراهين، ولكنه علم أنه لا خير فيهم، ولو أنه سبحانه أسمعهم - على سبيل الفرض والتقدير - لتولوا عن الإيمان عنادا، وهم معرضون.

﴿٨٤﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، استجبوا لله ولرسوله بالانقياد لما أمراه والاجتناب لما نهاها عنه، إذا دعاكم لما فيه حياتكم من الحق، وأيقنوا أن الله قادر على كل شيء، فهو قادر أن يحول بينكم وبين الانقياد للحق إذا أردتموه بعد رفضكم له، فبادروا إليه، وأيقنوا أنكم إلى الله وحده تحشرون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

﴿٨٥﴾ واحذروا - أيها المؤمنون - عذابا لا ينال العاصي منكم وحده، بل يناله وينال غيره، وذلك حين يظهر الظلم فلا يُعَيَّرُ، وأيقنوا أن الله قوي العقاب لمن عصاه؛ فاحذروا من معصيته.

﴿٨٦﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - من كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية تكون بحسب ما قام به المؤمنون من أعمال الإيمان. ٢ - المؤمن مطالب بالأخذ بالأسباب المادية، والقيام بالتكليف الذي كلفه الله، ثم يتوكل على الله، ويفوض الأمر إليه، أما تحقيق النتائج والأهداف فهو متروك لله ﷻ. ٣ - إن كل قُوَى الكفار تنبذ أمام قدرة الله وإرادته ونصرته لعباده المؤمنين، حين يبطل سبحانه كيد الكافرين ويلقي الرعب في قلوبهم. ٤ - في الآيات دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا عمن لا خير فيه، وهو الذي لا يزكو لديه هذا الإيمان ولا يثمر عنده. ٥ - على العبد أن يكثر من الدعاء: يا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، يا مُصَرِّفِ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قَلْبِي إِلَى طَاعَتِكَ. ٦ - أمر الله المؤمنين ألا يُفْرُوا المنكر بين أظهرهم فيعصمهم العذاب.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
 أَنْ يَخْطِفَكُمْ النَّاسُ فَشَاوَرْتُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
 ﴿٦٨﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
 عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقْوُوا
 اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
 لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٠﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ آلِهِمْ عَايِشٌ
 قَالُوا فَاذْ سَمِعْنَا النَّوْشَاءَ لَقْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا
 أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ
 حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ
 أَوْ أَتِنَا بِعَذَابٍ آسِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
 وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٧٤﴾

﴿٦٧﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم في مكة قليلي العدد، يستضعفكم أهلها، ويقهرونكم، تخافون أن يأخذكم أعداؤكم بسرعة، فضمكم الله إلى مأوى تأوون إليه وهو المدينة، وقواكم بالنصر على أعدائكم في مواطن الحرب التي منها بدر، ورزقكم من الطيبات، ومن جملتها الغنائم التي أخذتموها من أعدائكم، لعلكم تشكرون لله نعمه، فيزيدكم منها، ولا تكفرونه فيسلبها منكم، ويعذبكم.

﴿٦٨﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، لا تخونوا الله والرسول بترك الامتثال للأوامر وعدم اجتناب النواهي، ولا تخونوا ما أئتمنتم عليه من الدين وغيره، وأنتم تعلمون أن ما قمتم به خيانة؛ فتكونوا من الخائنين.

ولما كانت محبة الأموال والأولاد تدفع العبد إلى الخيانة أخبر الله أنهما فتنة، فقال:

﴿٦٩﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم وأولادكم إنما هي ابتلاء من الله لكم واختبار، فقد تصدكم عن العمل للأخرة، وتحملكم على الخيانة، واعلموا أن الله عنده ثواب عظيم، فلا تفتنوا عليكم هذا الثواب بمرعاة أموالكم وأولادكم والخيانة من أجلهم.

﴿٧٠﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، اعلموا أنكم إن تقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، فلا يلبسنا عليكم، ويمح عنكم ما اجترحتموه من السيئات، ويغفر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل العظيم، ومن فضله العظيم جنته التي أعدها للمتقين من عباده.

﴿٧١﴾ واذكر - أيها الرسول - حين تمالأ عليك المشركون ليكيدوا لك بقتلك أو حبسك أو نفيك من بلدك إلى بلد غيره، ويكيدونك ويرد الله كيدهم عليهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين.

﴿٧٢﴾ وإذا قرأت عليهم آياتنا قالوا عنادًا للحق وترفعًا عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء قول مثل هذا القرآن لقلناه، ما هذا القرآن الذي سمعناه إلا أكاذيب الأولين؛ فلن نؤمن به.

﴿٧٣﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال المشركون: اللهم إن كان ما جاء به محمد حقًا فأسقط علينا حجارة من السماء تهلكنا، أو اتتنا بعذاب شديد. قالوا ذلك مبالغة في الجحود والإنكار.

﴿٧٤﴾ وما كان الله ليعذب أمتك - سواء من كان منهم من أمة الاستجابة أو من أمة الدعوة - بعذاب يستأصلهم وأنت - يا محمد - حي موجود بين ظهرانيهم، فوجودك بينهم أمان لهم من العذاب، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الله من ذنوبهم.

﴿٧٥﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- الشكر نعمة عظيمة يزيد بها فضل الله تعالى، وينقص عند إغفالها.
- للأمانة شأن عظيم في استقامة أحوال المسلمين، ما ثبتوا عليها وتخلقوا بها، وهي دليل نزاهة النفس واعتدال أفعالها.
- ما عند الله من الأجر على كُفِّ النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد.

٤ - في الآيات فضيلة الاستغفار وبركته، وأنه مانع من موانع وقوع العذاب.

٥ - في الآيات بيان سفه عقول المعرضين؛ لأنهم لم يقولوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

﴿٣٢﴾ وأي شيء يمنع من عذابهم وقد ارتكبوا ما يوجب عذابهم من صدهم الناس عن المسجد الحرام أن يطوفوا به أو يصلوا فيه؟ وما كان المشركون أولياء الله، فليس أولياء الله إلا المتقين الذين يتقونه بامثال أوامر واجتناب نواهيه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون حين ادعوا أنهم أولياءه، وهم ليسوا بأوليائه.

﴿٣٥﴾ وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صفيراً وتصفيقاً، فذوقوا - أيها المشركون - العذاب بالقتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم بالله، وتكذيبكم لرسوله.

﴿٣٦﴾ إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم ابتغاء صد الناس عن دين الله، فسينفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة إنفاقهم لأموالهم ندامة؛ لفواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يُغلبون بانتصار المؤمنين عليهم، والذين كفروا بالله إلى جهنم يوم القيامة يُساقون، فيدخلونها خالدين فيها مخلدين.

﴿٣٧﴾ يُساق هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى نار جهنم ليفصل الله فريق الكفار الخبيث عن فريق المؤمنين الطيب، وليجعل الخبيث من الأشخاص والأعمال والأموال بعضه فوق بعض متراكباً متراكماً، فيجعلها في نار جهنم، وأولئك هم الخاسرون؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة.

وَمَا لَهُمْ آلِيَاءَ بِهِمْ وَأَلِيَاءُ لَهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا الْأُمُكَاءُ وَتَصَدِيْعُهُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَيَسِيْفُقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَالُوا هُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُوْنُ فِتْنَةٌ وَيَكُوْنُ الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ فَأَبَٰتْ أُنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيْرٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعْمَ النَّصِيْرُ ﴿٤٠﴾

﴿٣٨﴾ قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن ينتهوا عن كفرهم بالله وبرسوله، وعن صدهم عن سبيل الله من آمن به؛ يغفر الله لهم ما قد سبق من ذنوبهم، فالإسلام يهدم ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم عاجلهم بالعقوبة.

﴿٣٩﴾ وقالوا - أيها المؤمنون - أعداءكم من الكفار حتى لا يكون شرك ولا صد للمسلمين عن دين الله، ويكون الدين والطاعة لله وحده لا شريك له فيها، فإن انتهى الكفار عما كانوا عليه من الشرك والصد عن سبيل الله فدعوه، فإن الله بما يعملون بصير، لا تخفى عليه خافية.

﴿٤٠﴾ وإن انصرفوا عما أمرؤا به من الانتهاء عن الكفر والصد عن سبيل الله، فأيقنوا - أيها المؤمنون - أن الله ناصرهم عليهم، نعم المولى لمن والاه، ونعم الناصر لمن نصره، فمن والاه فاز، ومن نصره انتصر.

﴿٤١﴾ فَوَاظِبُوا مِّنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الصد عن المسجد الحرام جريمة عظيمة يستحق فاعلوه عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة.
- ٢ - عمارة المسجد الحرام وولايته شرف لا يستحقه إلا أولياء الله المتقون.
- ٣ - في الآيات إنذار للكافرين بأنهم لا يحصلون من إنفاقهم أموالهم في الباطل على طائل، وسوف تصيبهم الحسرة وشدة الندامة.
- ٤ - دعوة الله تعالى للكافرين للتوبة والإيمان دعوة مفتوحة لهم على الرغم من استمرار عنادهم.
- ٥ - من كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عدواً له فلا عز له.

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمُسَهُمْ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّنَجَّىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ
أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خُفِّفْتُمْ فِي الِيعَادِ
وَلَكِنْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا
وَلَوْ أَرَبْتَهُمْ كَثِيرًا أَفْشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ
فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا الْقِيَمَةُ فَكَأَنَّ
فَأَثَبُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهُ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٤١﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما أخذتم من شيء من الكفار قهراً في الجهاد في سبيل الله فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي يقسم خمسة أقسام: قسم لله ورسوله يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقراية النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وقسم لليتامى، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله، وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر الذي فرّق الله به بين الحق والباطل حين نصركم على أعدائكم.

﴿٤٢﴾ واذكروا حين كنتم بالجانب الأدنى من الوادي مما يلي المدينة، والمشركون بالجانب الأقصى منه مما يلي مكة، والغير في مكان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا في بدر لخالف بعضكم بعضاً، حيث تُبْطِطُكُمْ أَنْتُمْ قَلْتُمْ وكثرة عدوكم، ويثبّطهم هم الرعب من لقاء رسول الله ﷺ، فقد نصر بالرعب، ولكنه سبحانه جمع بينكم في بدر على غير تواعد؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وهو نصر المؤمنين، وخذلان الكافرين، وإعزاز دينه وإذلال الشرك؛ ليهلك من هلك منهم بعد قيام الحجة عليه بنصر

المؤمنين عليهم مع قلة عددهم وعدتهم، وحيث من حيي عن بيته وحجة أظهرها الله له، فلا يبقى لأحد على الله حجة يحتج بها، والله سميع لأقوال الجميع، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٤٣﴾ اذكر - أيها الرسول - من نعم الله عليك وعلى المؤمنين إذ أراك الله المشركين في منامك قليلي العدد، فأطاعت المؤمنين على ذلك فاستبشروا به خيراً، وقويت عزائمهم على لقاء عدوهم وقتاله، ولو أنه سبحانه أراك المشركين في منامك كثيراً لضعفت عزائم أصحابك، وخافوا القتال، ولكنه سلّم من ذلك، فعصمهم من الفشل، فقللهم في عين رسوله ﷺ، إنه عليم بما تنطوي عليه القلوب، وبما تخفيه النفوس.

﴿٤٤﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - إذ يريكم الله المشركين حين التقيتم بهم قليلاً، فجرأكم على الإقدام على قتالهم، ويقللهم في أعينهم فيتقدمون لقتالكم، ولا يفكرون في الرجوع ليقضي الله أمراً كان مفعولاً بالانتقام من المشركين بالقتل والأسر، والإنعام على المؤمنين بالنصر والظفر بالأعداء، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيجازي المسيء على إساءته، والمحسن على إحسانه.

﴿٤٥﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، إذا قاتلت جماعة من الكفار فاثبتوا عند لقاءهم ولا تجبنوا، واذكروا الله كثيراً وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم؛ رجاء أن يُبَلِّغَكُمْ ما تطلبون، ويجنبكم ما تحذرون.

﴿٤٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - الغنائم لله يجعلها حيث شاء بالكيفية التي يريد، فليس لأحد شأن في ذلك.
- ٢ - من أسباب النصر تدبير الله للمؤمنين بما يعينهم على النصر.
- ٣ - الصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.

﴿٤٦﴾ والزموا طاعة الله وطاعة رسوله في أفعالكم وأعمالكم وجميع أحوالكم، ولا تختلفوا في الرأي؛ فإن الاختلاف سبب لضعفكم وجبنكم، وذهاب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم، إن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد والعون، ومن كان الله معه فهو الغالب والمتنصر لا محالة.

﴿٤٧﴾ ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من مكة كبراً ومراءاة للناس، ويصدون الناس عن دين الله، ويمنعونهم من الدخول فيه، والله بما يعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٤٨﴾ واذكروا - أيها المؤمنون - من نعم الله عليكم أن زين الشيطان للمشركين أعمالهم، فشجعهم على ملاقاته المسلمين وقتالهم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم، وإني ناصركم، ومُجِيركم من عدوكم، فلما التقى الفريقان: فريق المؤمنين معهم الملائكة ينصرونهم، وفريق المشركين معهم الشيطان الذي سيخذلهم؛ ولى الشيطان هارباً، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المؤمنين، إني أخاف أن يهلكني الله، والله قوي العقاب، فلا يقدر على تحمل عقابه أحد.

﴿٤٩﴾ واذكروا إذ يقول المنافقون، وضعفة الإيمان: خدع هؤلاء المسلمين دينهم الذي يعدهم بالنصر على أعدائهم مع قلة العدد

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَعَوْا أَنْفُسَكُمْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَأَعْلَبَ لَكُمْ أَيُّومٍ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَلَاتَانَ كَخَصَّ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْ بَرَّهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ أَهْلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

وضعف العدة، وكثرة عدد أعدائهم وقوة عتادهم، ولم يُدرك هؤلاء أن من يعتمد على الله وحده، ويشق بما وعد به من النصر فإن الله ناصره، ولن يخذله مهما كان ضعفه، والله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في قدره وشرعه.

﴿٥١﴾ ولو تشاهد - أيها الرسول - الذين كفروا بالله وبرسله حين تقبض الملائكة أرواحهم، وتنتزعها وهم يضربون وجوههم إذا أقبلوا، ويضربون أذبارهم إذا ولوا هاربين، ويقولون لهم: ذوقوا - أيها الكافرون - العذاب المحرق، لو تشاهد ذلك لشاهدت أمراً عظيماً تتفطر له الأكباد.

﴿٥٢﴾ ذلك العذاب المؤلم عند قبض أرواحكم، والعذاب المحرق في قبوركم وفي الآخرة، سببه ما كسبت أيديكم في الدنيا، فالله لا يظلم الناس، وإنما يحكم بينهم بالعدل فهو الحكم العدل.

﴿٥٣﴾ وليس هذا العذاب النازل بهؤلاء الكافرين خاصاً بهم، بل هو سنة الله التي أمضاها على الكافرين في كل زمان ومكان، فقد أصاب آل فرعون والأمم من قبلهم حين كفروا بآيات الله سبحانه، فأخذهم الله بسبب ذنوبهم أخذ عزيز مقتدر، فأنزل بهم عقابه، إن الله قوي لا يقهر ولا يغلب، قوي العقاب لمن عصاه.

﴿٥٤﴾ فَوَايَا مَنْ الْآيَاتِ:

١ - البطر مرض خطير ينخر في تكوين شخصية الإنسان، ويُعجل في تدمير كيان صاحبه. ٢ - الصبر يعين على تحمل الشدائد والمصاعب، وللصبر منفعة إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالاً لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة. ٣ - التنازع والاختلاف من أسباب انقسام الأمة، وإنذار بالهزيمة والتراجع، وذهاب القوة والنصر والدولة. ٤ - في الآيات أن استحقاق النعم منوط بصلاح العقائد، وحسن الأعمال، ورفعة الأخلاق. ٥ - الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يُقدَّم عليها الجيوش العظام. ٦ - من سنن الله الجارية أخذ الظالمين بذنوبهم.

﴿٥٣﴾ ذلك العقاب الشديد بسبب أن الله إذا أنعم على قوم نعمة من عنده لم ينزعها منهم حتى يغيروا أنفسهم من حالها الطيب من الإيمان والاستقامة وشكر النعمة إلى حال سيئة من الكفر بالله ومعصيته وكفران نعمه، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليهم بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٥٤﴾ شأن هؤلاء الكافرين كشأن غيرهم ممن كفر بالله مثل آل فرعون والأمم المكذبة من قبلهم، كذبوا بآيات ربهم، فأهلكهم الله بسبب ما ارتكبه من المعاصي، وأهلك الله آل فرعون بالغرق في البحر، وكل من آل فرعون والأمم من قبلهم كانوا ظالمين بسبب كفرهم بالله وشركهم به، فاستوجبوا بذلك عقابه سبحانه، فأوقعه عليهم.

﴿٥٥﴾ إن شر من يذئب على الأرض هم الذين كفروا بالله وبرسوله، فهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية؛ لإصرارهم على الكفر، فقد تعطلت فيهم وسائل الهداية من عقل وسمع وبصر.

﴿٥٦﴾ فمن هؤلاء الذين لا يؤمنون: اليهود الذين عاهدتهم - أيها الرسول - أن لا يقاتلوك، ولا يعينوا على قتالك أحدًا، ثم ينقضون ما عاهدتهم عليه في كل مرة عاهدتهم فيها، وهم لا يخافون الله، فلا يوفون بعهودهم، ولا يلتزمون بالمواثيق المأخوذة عليهم.

﴿٥٧﴾ فإن قابلت - أيها الرسول - هؤلاء الناقضين لعهودهم في الحرب فنكل بهم أشد تنكيل حتى

ذَلِكَ بَأْتِ اللَّهُ لَمِ يَكْ مُعِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابٌ آلِ

فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقِفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ

مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا أَيُّهُمْ لَا يَعْرِضُونَ ﴿٥٩﴾

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِمُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

يَسْمَعُ بِذَلِكَ غَيْرِهِمْ، لعلهم يعتبرون بحالهم، فيهاون قتالك ومظاهرة أعدائك عليك.

﴿٥٨﴾ وإن خفت - أيها الرسول - من قوم عاهدتهم غشًا ونقضًا للعهد بأمانة تظهر لك فأعلمهم بطرح عهدهم حتى يستوتوا معك في العلم بذلك، ولا تباغتهم قبل إعلامهم، فإن مباغتهم قبل إعلامهم من الخيانة، والله لا يحب الخائنين، بل يمقتهم، فاحذر أنت من الخيانة.

﴿٥٩﴾ ولا يظن الذين كفروا أنهم فاتوا عقاب الله وأفلتوا منه، إنهم لا يفوتونه ولا يفلتون من عقابه، بل هو مدركهم ولا حق بهم.

﴿٦٠﴾ وأعدوا - أيها المؤمنون - ما قدرتم على إعداده من العدد والعدة، ومن ذلك حبس الخيل في سبيل الله، تحوِّفون أعداء الله وأعداءكم من الكافرين الذين يترصدون بكم الدوائر، وتحوِّفون به قوماً آخرين، لا تعلمونهم، ولا تعلمون ما يضمرون لكم من عداوة، بل الله وحده هو الذي يعلمهم، ويعلم ما يضمرون في أنفسهم، وما تنفقوا من مال قلٍّ أو كثير يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويعطكم ثوابه كاملاً غير منقوص في الآخرة، فبادروا إلى الإنفاق في سبيله.

﴿٦١﴾ وإن مالوا إلى الصلح وتزكَّ قتالك، فمِلْ - أيها الرسول - إليه، وعاهدهم، واعتمد على الله، وثق به، فلن يخذلك، إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم وأفعالهم.

﴿٦٢﴾ فَوَارِ مِنْ الْآيَاتِ:

١ - من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجراً لمن عملها أن لا يعاودها. ٢ - من أخلاق المؤمنين الوفاء بالعهد مع المعاهدين، إلا إن وُجدت منهم الخيانة المحققة. ٣ - يجب على المسلمين الاستعداد بكل ما يحقق الإرهاب للعدو من أصناف الأسلحة والرأي والسياسة. ٤ - جواز السلم مع العدو إذا كان فيه مصلحة للمسلمين.

﴿١٦﴾ وَإِنْ قُصِدُوا بِمِئْلِهِمْ لَلصَّلَاحِ وَتَرَكَ الْقِتَالَ أَنْ يَخْدَعُوكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِذَلِكَ لَيْسَتْ عُدْوَانًا لِقِتَالِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ مَكْرَهُمْ وَخِدَاعَهُمْ، هُوَ الَّذِي قَوَّاهُ بِنَصْرِهِ، وَقَوَّاهُ بِنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ لِكَرَمِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

﴿١٧﴾ وَجَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ نَصَرَكَ بِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ لِتَجْمَعَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ الْمُتَفَرِّقَةَ مَا جَمَعْتَ بَيْنَهَا، لَكِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ جَمَعَ بَيْنَهَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ فِي مَلِكِهِ لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي قَدْرِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنْ اللَّهُ كَافِيكَ شَرَّ أَعْدَائِكَ، وَكَافِي الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ، فَتَقِ اللَّهَ وَاعْتَمِدْ عَلَيْهِ.

﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حُتِّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، وَخُضِّعَتْ عَلَيْهِمْ بِمَا يَقْوَى عَزَائِمُهُمْ وَيَنْشِطُ هِمَمُهُمْ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَشْرُونَ صَابِرُونَ عَلَى مَقَاتِلَةِ الْكُفَّارِ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مَائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الْكَافِرِينَ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْكَافِرِينَ قَوْمٌ لَا يَفْهَمُونَ سُنَّةَ اللَّهِ بِنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ، وَدَحْرَ أَعْدَائِهِ، وَلَا يَدْرِكُونَ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقِتَالِ، فَهَمُّ يَقَاتِلُونَ مِنْ أَجْلِ الْعُلُوِّ فِي الدُّنْيَا.

﴿٢٠﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - لِمَا عَلِمَهُ مِنْ ضَعْفِكُمْ، فَخَفَّفَ عَنْكُمْ لَطْفًا مِنْ بَكْمِ، فَأَوْجِبَ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْكُمْ أَنْ يَثْبُتَ أَمَامَ اثْنَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ بَدَلَ عَشْرَةٍ مِنْهُمْ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَائَةٌ صَابِرَةٌ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ صَابِرٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ مِنَ الْكُفَّارِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

﴿٢١﴾ مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَهُ حَتَّى يُكَبِّرَ الْقِتْلَ فِيهِمْ؛ لِيَدْخُلَ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى لَا يَعُودُوا إِلَى قِتَالِهِ، تَرِيدُونَ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - بِاتِّخَاذِ أُسْرَى بَدَلَ أَخْذِ الْفِدَاءِ، وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ الَّتِي تُنَالُ بِنَصْرِ الدِّينِ وَإِعْزَازِهِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَهْرُهُ، لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، حَكِيمٌ فِي قَدْرِهِ وَشَرْعِهِ.

﴿٢٢﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ بِهِ قِضَاؤُهُ وَقَدْرُهُ أَنَّهُ أَحَلَّ لَكُمْ الْغَنَائِمَ، وَأَبَاحَ لَكُمْ فِدَاءَ الْأُسْرَى لِأَصَابِكُمْ عَذَابَ شَدِيدٍ مِنَ اللَّهِ بِسَبَبِ مَا أَخَذْتُمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَالْفِدَاءِ مِنَ الْأُسْرَى قَبْلَ نَزُولِ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ بِإِبَاحَةِ ذَلِكَ.

﴿٢٣﴾ فَكُلُوا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِمَّا أَخَذْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ غَنِيمَةٍ فَهِيَ حَلَالٌ لَكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿فَوَاوِلُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ. وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَالْفَبِّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلَمُوا بِمِثْلَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَعْلَمُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٩﴾ الْفَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٠﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾ وَتَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٥﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

﴿٣١﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٤﴾

﴿٣٥﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٣﴾

﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٦﴾

﴿٤٧﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٥﴾

﴿٥٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿٥٩﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿٧١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُلْ لِمَنْ وَقَعَ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأَسْرَى الَّذِينَ أُسْرْتُمْوهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ: إِنْ كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ مِنْ الْقُدَاءِ، فَلَا تَحْزِنُوا عَلَيَّ مَا أَخَذَ مِنْكُمْ مِنْهُ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، وَرَحِيمٌ بِهِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ وَعْدَ اللَّهِ لِلْعَبَّاسِ عَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِ مِمَّنْ أَسْلَمَ.

﴿٧٢﴾ وَإِنْ يَقْصِدُوا - يَا مُحَمَّدُ - خِيَانَتَكَ بِمَا يُظْهِرُونَ لَكَ مِنَ الْقَوْلِ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ، وَقَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ وَأُسِرَ مِنْ أُسِرَ، فَلْيَنْتَظِرُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِنْ عَادُوا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِخَلْقِهِ وَبِمَا يَصْلِحُهُمْ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِهِ.

﴿٧٣﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَقُوا رَسُولَهُ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، وَهَاجَرُوا مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ، أَوْ إِلَى مَكَانٍ يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ آمِنِينَ، وَجَاهَدُوا بِبُذْلِ أَمْوَالِهِمْ وَبِذْلِ أَنْفُسِهِمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ أَنْزَلُوهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَنَصَرُوهُمْ، أُولَئِكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ نَصَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ فِي النِّصْرَةِ وَالْمَعُونَةِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَلَمْ يَهَاجِرُوا مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ تَنْصَرُوهُمْ وَتَحْمُوهُمْ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ ظَلَمَهُمُ الْكُفَّارُ فَظَلَبُوا مِنْكُمْ النِّصْرَ فَانصُرُوهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، إِنْ إِذَا كَانَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَهْدٌ لَمْ يَنْقُضُوهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ يَجْمَعُهُمُ الْكُفْرُ، فَيُؤَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَا يُولِيهِمْ مَوْئِئًا، إِنْ لَمْ تُوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَتَعَادُوا الْكَافِرِينَ تَكُنْ فِتْنَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ لَمْ يَجِدُوا مِنْ بِنَاصِرِهِمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ فِي الدِّينِ، وَيَكُنْ فِسَادٌ فِي الْأَرْضِ عَظِيمٌ بِالصَّدْعِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِهِ، وَالَّذِينَ آوَوْا الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَنَصَرُوهُمْ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَصَفُّونَ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ حَقًّا، وَجَزَاؤُهُمْ مِنَ اللَّهِ مَغْفِرَةٌ لذنُوبِهِمْ، وَرِزْقٌ كَرِيمٌ مِنْهُ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهَاجَرُوا مِنْ بِلَدِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَدِ الْإِسْلَامِ، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّةَ وَكَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، أُولَئِكَ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَهُمْ مَا لَكُمْ مِنَ الْحَقُوقِ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَأَصْحَابُ الْقُرَابَةِ فِي حُكْمِ اللَّهِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي الْإِرْثِ مِنَ التَّوَارِثِ بِالْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ الَّذِي كَانَ مُوجِبًا سَابِقًا، إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَا يَصْلِحُ عِبَادَهُ، فَيَشْرَعُ لَهُمْ.

﴿٧٧﴾ هُوَذَا مِنْ آيَاتِهِ:

١ - يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان.

٢ - تضمنت الآيات بشارة للمؤمنين باستمرار النصر على المشركين ما داموا آخذين بأسباب النصر المادية والمعنوية.

٣ - إن المسلمين إذا لم يكونوا يداً واحدة على أهل الكفر لم تظهر شوكتهم، وحدث بذلك فساد كبير.

٤ - فضيلة الوفاء بالعهود والمواثيق في شرعة الإسلام، وإن عارض ذلك مصلحة بعض المسلمين.

٥ - المواولة بين المسلمين سبب في قوتهم وضعف عدوهم.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١١٢

١١٢

﴿مَقْصَلُ السُّورَةِ﴾:

كشفت أحوال الطوائف، بالمفاصلة مع الكافرين، وفضح المنافقين، وتمييز المؤمنين.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

﴿١﴾ هذه براءة من الله، ومن رسوله، وإعلان بنهاية العهود إلى الذين عاهدتم - أيها المسلمون - عليها المشركين.

﴿٢﴾ فسيروا - أيها المشركون - في الأرض مدة أربعة أشهر أمينين، ولا عهد لكم بعدها ولا أمان، وأيقنوا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله وعقابه إن استمررتم على كفركم به، وأيقنوا أن الله مذل الكافرين بالقتل والأسر في الدنيا، وبدخول النار يوم القيامة. ويشمل هذا من نقضوا عهدهم، ومن كان عهدهم مطلقاً غير مؤقت، وأما من له عهد مؤقت ولو كان أكثر من أربعة أشهر فإنه يتم له عهده إلى مدته.

﴿٣﴾ وإعلام من الله، وإعلام من رسوله إلى جميع الناس يوم النحر أن الله سبحانه بريء من المشركين، وأن رسوله بريء كذلك منهم، فإن تبتم - أيها المشركون - من شرككم فتوبتكم خير لكم، وإن أعرضتم عن التوبة فأيقنوا أنكم لن تفوتوا الله، ولن تفلتوا من عقابه، وأخبر - أيها الرسول - الذين كفروا بالله بما يسوؤهم، وهو عذاب موجه ينتظرهم.

﴿٤﴾ إلا الذين عاهدتم من المشركين، ووفوا بعهدكم، ولم ينقضوا منه شيئاً، فهم مُسْتَنْزَوْنَ من الحكم السابق، فأكملوا لهم الوفاء بعهدهم حتى تنقضي مدته، إن الله يحب المتقين بامتثال أوامره، ومنها الوفاء بالعهد، وابتعاد نواهيها، ومنها الخيانة.

﴿٥﴾ فإذا انتهت الأشهر الحرم (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب) التي أتممت فيها أعداءكم فاقتلوا المشركين حيث لقيتموهم، وحاصروهم في معابدهم، وترصدوا لهم طرقهم، فإن تابوا إلى الله من الشرك، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم؛ فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام؛ فاتركوا قتالهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به.

﴿٦﴾ وإن دخل أحد من المشركين مباح الدم والمال وطلب جوارك - أيها الرسول - فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن، ثم أوصله إلى مكان يأمن فيه، ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون حقائق هذا الدين، فإذا علموها من سماع قراءة القرآن ربما اهتدوا.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - في الآيات دليل واضح على حرص الإسلام على تسوية العلاقات الخارجية مع الأعداء على أساس من السلم والأمن والتفاهم. ٢ - الإسلام يُقَدِّرُ العهود، ويوجب الوفاء بها، ويجعل حفظها نابعاً من الإيمان، وملازماً لتقوى الله تعالى. ٣ - جواز عقد الهدنة والعهد والاتفاقيات مع غير المسلمين من باب تحقيق المصالح إذا التزموا ما فيها من أحكام. ٤ - أن إقامة الصلاة أو إيتاء الزكاة دليل على الإسلام، وأنهما يعصمان الدّم والمال، ويوجبان لمن يؤديهما حقوق المسلمين من حفظ دمه وماله إلا بحق الإسلام؛ كارتكاب ما يوجب القتل من قتل النفس البريئة، وزنى الزاني المُحْصَن، والرّدة إلى الكفر بعد الإيمان. ٥ - مشروعية الأمان؛ أي: جواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين؛ ليسمع ما يدل على صحة الإسلام، وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إيثار السلم.

﴿٧﴾ لا يصح أن يكون للمشركين بالله عهد وأمان عند الله وعند رسوله إلا عهد أولئك المشركين الذين عاهدتموهم - أيها المسلمون - عند المسجد الحرام في صلح الحديبية، فما أقاموا لكم على العهد الذي بينكم وبينهم ولم ينقضوه فأقيموا أنتم عليه ولا تنقضوه، إن الله يحب المتقين من عباده الذين يمثلون أوامره، ويجتنبون نواهيهِ.

﴿٨﴾ كيف يكون لهم عهد وأمان وهم أعداؤكم، وإن يظفروا بكم لا يرعوا فيكم الله ولا قرابة، ولا عهداً، بل يسومونكم سوء العذاب؟! يرضونكم بالكلام الحسن الذي تنطق به ألسنتهم، لكن قلوبهم لا تطاوع ألسنتهم، فلا يَفُونَ بما يقولون، وأكثرهم خارجون عن طاعة الله لنقضهم العهد.

﴿٩﴾ اعتاضوا، واستبدلوا عن اتباع آيات الله التي منها الوفاء بالعهود ثمناً حقيقياً من حطام الدنيا الذي يتوصلون به إلى شهواتهم وأهوائهم، فصدوا أنفسهم عن اتباع الحق، وأعرضوا عنه، وصدوا غيرهم عن الحق، إنهم ساء عملهم الذي كانوا يعملون.

﴿١٠﴾ لا يرعون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهداً؛ لما هم عليه من العداوة، فهم متجاوزون لحدود الله؛ لما يتصفون به من الظلم والعدوان.

﴿١١﴾ فإن تابوا إلى الله من كفرهم، ونطقوا بالشهادتين، وأقاموا الصلاة، وأعطوا زكاة أموالهم فقد صاروا مسلمين، وهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ولا يحل لكم قتالهم، فإسلامهم يعصم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، ونبين الآيات، ونوضحها لقوم يعلمون، فهم الذين يتفنون بها، وينفعون بها غيرهم.

﴿١٢﴾ وإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على ترك القتال مدة معلومة عهدوهم ومواثيقهم، وعابوا دينكم وانتقصوا منه فقاتلوهم، فهم أئمة الكفر وقادته، ولا عهد لهم، ولا مواثيق تحقن دماءهم، قاتلوهم رجاء أن ينتهوا عن كفرهم ونقضهم للعهود وانتقصهم للدين.

﴿١٣﴾ لم لا تقاتلون - أيها المؤمنون - قوماً نقضوا عهدوهم ومواثيقهم، وسعوا في اجتماعهم في دار الندوة إلى إخراج الرسول ﷺ من مكة، وهم يدؤوكم بالقتال أول مرة عندما أعانوا بكرّاً حلفاء قريش على خُرَاعة حلفاء الرسول ﷺ، أتخافونهم، فلا تقدموا على قتالهم؟! فالله سبحانه أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقاً.

﴿١٤﴾ فَوَايِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - دلت الآيات على أن قتال المشركين الناكثين العهد كان لأسباب كثيرة، أهمها: نقضهم العهد.
- ٢ - أن العهد المحترم عند الله وعند الرسول هو عهد غير الناكثين، وأن من استقام على عهده يعامل بمقتضاه.
- ٣ - في الآيات دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة فإنه يُقاتل حتى يؤديهما، كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ.
- ٤ - استدلل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ على وجوب قتل كل من طعن في الدين عامداً مستهزئاً به.
- ٥ - في الآيات دلالة على أن المؤمن الذي يخشى الله وحده يجب أن يكون أشجع الناس وأجرأهم على القتال.

﴿١٤﴾ قَاتِلُوا - أَيهَا الْمُؤْمِنُونَ - هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَقَاتَلْتُمُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَذَلِكَ بِقِتْلِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَيَذْلَهُمُ بِالْهَزِيمَةِ وَالْأَسْرِ، وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ بِجَعْلِ الْغَلْبَةِ لَكُمْ، وَيُسْفِئَ صَدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ لَمْ يَشْهَدُوا الْقِتَالَ بِمَا حَصَلَ لِعَدُوِّهِمْ مِنَ الْقِتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْهَزِيمَةِ وَنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ.

﴿١٥﴾ وَيُبْعِدُ الْغَيْظَ عَنْ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا نَالُوهُ مِنَ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعَانِدِينَ إِنْ تَابُوا كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِصِدْقِ التَّائِبِ مِنْهُمْ، حَكِيمٌ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَتَشْرِيْعِهِ.

﴿١٦﴾ أَظَنْتُمْ - أَيهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَتْرُكَكُمْ اللَّهُ دُونَ ابْتِلَاءٍ؟ فَالْإِبْتِلَاءُ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِهِ، سَتَبْتَلُونَهُ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمًا ظَاهِرًا لِلْعِبَادِ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ بِإِخْلَاصِ اللَّهِ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ بَطَانَةً مِنَ الْكُفَّارِ يُوَالُونَهُمْ، وَأَصْفِيَاءَ مِنْهُمْ يُوَادُّونَهُمْ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

﴿١٧﴾ مَا يَنْبَغِي لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ وَأَنْوَاعِ الطَّاعَةِ، وَهُمْ مُقْرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ بِمَا يَظْهَرُونَهُ مِنْهُ، وَأُولَئِكَ بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ لِفَقْدِ شَرْطِ قَبُولِهَا الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ، وَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَدْخُلُونَ النَّارَ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أَبَدًا إِلَّا إِنْ تَابُوا مِنَ الشَّرْكِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ.

﴿١٤﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُسْفِئَ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِهِمْ خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ وَيَقُومُ بِحَقِّهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ، وَلَمْ يَخَفْ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ سُبْحَانَهُ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يُرْجَى أَنْ يَكُونُوا مُهْتَدِينَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَهُمْ أَبْعَدُ مَا يَكُونُونَ عَنْ ذَلِكَ.

﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ - أَيهَا الْمُشْرِكُونَ - الْقَائِمِينَ عَلَى سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعَلَى عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِثْلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَآمَنَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ لِنُكُونِ كَلِمَةِ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا، وَكَلِمَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى، أَجَعَلْتُمُوهُمْ سِوَاءَ فِي الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟! لَا يَسْتَوُونَ أَبَدًا عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يُوفِّقُ الظَّالِمِينَ بِالشَّرْكِ، وَلَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ خَيْرِ كِسْفَايَةِ الْحَاجِّ.

﴿٢٠﴾ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالهَجْرَةِ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ أَكْثَرُ رُتْبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ يَفُوزُونَ بِبَيْتِ مَا يَطْلُبُونَهُ، وَتَجَنَّبَ مَا يَرْتَابُونَهُ.

﴿٢١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ:

١ - فِي الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَعِظَاتُهُ بِأَحْوَالِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ جَعَلَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ سُفْيَاءَ مَا فِي صَدُورِهِمْ وَذَهَابَ غَيْظِهِمْ.

٢ - شَرَعَ اللَّهُ الْجِهَادَ لِيَحْصَلَ بِهِ هَذَا الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَيَّزَ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ لَا يَتَحَيَّزُونَ إِلَّا لِلدِّينِ وَاللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ الْإِيمَانَ.

٣ - عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ الْحَقِيقِيِّينَ هُمُ مَنْ وُصِفُوا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَبِالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أُمُّهَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ، وَبِخَشْيَةِ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ.

٤ - الْجِهَادُ وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَعِمَارَةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ أَصْلُ الدِّينِ، وَأَمَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ذُرْوَةُ سَنَامِ الدِّينِ.

﴿٢١﴾ يخبرهم الله ربهم بما يسرهم من رحمته، ومن إحلال رضوانه عليهم، فلا يسخط عليهم أبداً، ويدخول جنات لهم فيها نعيم دائم لا ينقطع أبداً.

﴿٢٢﴾ ماكثين في تلك الجنان مكثاً لا نهاية له، ثواباً لهم على أعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها في الدنيا، إن الله عنده ثواب عظيم لمن امتثل أوامره، واجتنب نواهيه مخلصاً له الدين.

﴿٢٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاء به رسوله، لا تصيروا آباءكم وإخوانكم في النسب وغيرهم من قرابتكم أصفياء توالونهم بإفشاء أسرار المؤمنين إليهم، والتشاور معهم؛ إن آثروا الكفر على الإيمان بالله وحده، ومن يصيرهم أولياء مع بقائهم على الكفر، ويظهر لهم المودة فقد عصى الله، وظلم نفسه بإيرادها موارد الهلاك بسبب المعصية.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول -: إن كان آباؤكم - أيها المؤمنون - وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وأقرباؤكم، وأموالكم التي اكتسبتموها، وتجارتكم التي تحبون رواجها، وتخافون كسادها، وبيوتكم التي ترضون المقام فيها، إن كان كل أولئك أحب إليكم من الله ورسوله، ومن الجهاد في سبيله فانتظروا ما ينزله الله بكم من العقاب والنكال، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته للعمل بما يرضيه.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلْتُمْ فِيهَا نَعِيمًا مُّقِيمًا ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٥﴾ لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - على عدوكم من المشركين في غزوات كثيرة على قلة عددكم وضعف عدتكم حين توكلتم على الله وأخذتم بالأسباب، ولم تُعجبوا بكثرتكم، فلم تكن الكثرة سبب نصركم عليهم، وأما يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم، فقلتم: لن نُغلب اليوم من قلة، فلم تنفعكم كثرتكم التي أعجبتكم شيئاً، فتغلب عليكم عدوكم، وضافت عليكم الأرض على سعتها، ثم وليتم عن أعدائكم فارين منهزمين.

﴿٢٦﴾ ثم بعد فراركم من عدوكم أنزل الله الطمأنينة على رسوله، وأنزلها على المؤمنين، فثبتوا للقتال، وأنزل ملائكة لم تروهم، وعذب الذين كفروا بما حصل لهم من القتل والأسر وأخذ الأموال وسيبي الذراري، وذلك الجزاء الذي جوزي به هؤلاء هو جزاء الكافرين المكذبين لرسولهم المعرضين عما جاء به.

﴿٢٦﴾ فإعلام الآيات:

- ١ - مراتب فضل المجاهدين كثيرة، فهم أعظم درجة عند الله من كل ذي درجة، فلهم المزية والمرتبة العلية، وهم الفائزون الظافرون الناجون، وهم الذين يبشرهم ربهم بالنعيم.
- ٢ - في الآيات أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وتقديم هذه المحبة على محبة كل شيء.
- ٣ - تخصيص يوم حنين بالذكر من بين أيام الحروب؛ لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إبطاء الحظوظ العاجلة على الامتثال.
- ٤ - في الآيات دليل على أن الغلبة إنما تكون بنصر الله لا بالكثرة، فلا يُغلبون بكثرتهم.
- ٥ - فضل نزول السكينة، فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف.

﴿٢٧﴾ ثم إن من تاب من كفره وضلاله من بعد ذلك التعذيب فإن الله يتوب عليه، ويقبل توبته، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم، حيث يقبل منهم التوبة بعد الكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله واتبعوا ما شرعه لهم، إنما المشركون نجس؛ لما فيهم من الكفر والظلم والأخلاق الذميمة والعادات السيئة؛ فلا يدخلوا الحرم المكي - ومن ضمنه المسجد الحرام - ولو كانوا حجاجاً أو معتمرين بعد عامهم هذا الذي هو سنة تسع للهجرة، وإن خفتهم - أيها المؤمنون - فقراً بسبب انقطاع ما كانوا يجلبون إليكم من الأطعمة والتجارات المختلفة فإن الله سيكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليكم بحالكم التي أنتم عليها، حكيم فيما يدره لكم.

﴿٢٩﴾ قاتلوا - أيها المؤمنون - الكافرين الذين لا يؤمنون بالله رباً لا شريك له، ولا يؤمنون بيوم القيامة، ولا يجتنبون ما حرمه الله ورسوله عليهم من الميتة ولحم الخنزير والخمر والربا، ولا يخضعون لما شرعه الله، من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية بأيديهم أذلاء مقهورين.

﴿٣٠﴾ إن كلاً من اليهود والنصارى مشركون، فاليهود أشركوا بالله لما ادعوا أن عزيزاً ابن الله، والقول الذي افتروه قالوه بأفواههم دون إقامة برهان عليه، وهم يشابهون في هذا القول قول المشركين من قبلهم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أهلكتهم الله، كيف يضرّون عن الحق البين إلى الباطل؟!.

﴿٣١﴾ جعل اليهود علماءهم، والنصارى عبّادهم أرباباً من دون الله، يحلون لهم ما حرمه الله عليهم، ويحرمون عليهم ما أحله الله لهم، وجعل النصارى المسيح عيسى ابن مريم إلهاً مع الله، وما أمر الله علماء اليهود وعبّاد النصارى، وما أمر عزيزاً وعيسى ابن مريم إلا أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، فهو سبحانه إله واحد، لا معبود بحق سواه، تنزه سبحانه، وتقدس أن يكون له شريك كما يقول هؤلاء المشركون وغيرهم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - من أكبر المنن على المسلمين أن يصبح عدوهم المحارب لهم مسلماً معهم، كما حدث مع هوازن، والتتار.
- ٢ - في الآيات دليل على أن تعلق القلب بأسباب الرزق جائز، ولا ينافي التوكل.
- ٣ - في الآيات دليل على أن الرزق ليس بالاجتهاد، وإنما هو فضل من الله تعالى تولى قسمته.
- ٤ - الجزية واحد من خيارات ثلاثة يعرضها الإسلام على الأعداء، يقصد منها أن يكون الأمر كله للمسلمين بنزع شوكة الكافرين.
- ٥ - في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن تجرؤوا على الله، وتنقصوا من عظمتة سبحانه.
- ٦ - في أخلاق اليهود وتصرفاتهم ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتال اليهود والاجتهاد وبذل الوسع فيه.

﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ۖ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنْ شَاءَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنفَ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ رُهْبَانًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ
 أَنْ يَتِمَّ نُورُهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي
 أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
 كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُفُونَ
 أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 وَالَّذِينَ يَكْزُبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى
 عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهِمَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
 وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَرَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْزِبُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
 شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَةُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ
 أَنفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
 يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٢﴾ يريد هؤلاء الكفار وغيرهم ممن هم على
 ملة من ملل الكفر بافترائهم هذه وتكذيبهم بما
 جاء به محمد ﷺ أن يقضوا على الإسلام
 ويبطلوه، ويبطلوا ما جاء فيه من الحجج
 الواضحة والبراهين الجليلة على توحيد الله،
 وأن ما جاء به رسوله حق، ويأبى الله ﷻ إلا أن
 يكمل دينه ويظهره، ويعليه على غيره، ولو كره
 الكافرون إكمال دينه وإظهاره وإعلاءه فإن الله
 مُتِمُّهُ وَمُظْهِرُهُ وَمَعْلِيهِ، وإذا أراد الله أمرًا بطلت
 إرادة غيره.

﴿٣٣﴾ والله سبحانه هو الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ
 بالقرآن الذي هو هدى للناس، وبدين الحق
 الذي هو دين الإسلام ليُعَلِّمَهُ بما فيه من الحجج
 والبراهين والأحكام على غيره من الأديان، ولو
 كره المشركون ذلك.

﴿٣٤﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا
 بما شرعه الله لهم، إن كثيرًا من علماء اليهود،
 وكثيرًا من عبّاد النصارى، ليأخذون أموال الناس
 بغير حق شرعي، فهم يأخذونها بالرشوة وغيرها،
 وهم يمنعون الناس من الدخول في دين الله،
 والذين يجمعون الذهب والفضة، ولا يؤدون ما
 يجب عليهم من زكاتها، فأخبرهم - أيها الرسول -
 بما يسوؤهم يوم القيامة من عذاب موحج.

﴿٣٥﴾ يوم القيامة يُحْمَى على ما جمعه ومنعوا
 حقه في نار جهنم، فإذا اشتدت حرارتها
 وضعت على جباههم وعلى جنوبهم وعلى ظهورهم،
 ويقال لهم على سبيل التوبيخ: هذه هي أموالكم التي جمعتوها، ولم تؤدوا الحقوق الواجبة فيها، فذوقوا وبال
 وعاقبة ما كنتم تجمعون، ولا تؤدون حقوقه.

﴿٣٦﴾ إن عدد شهور السنة في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهرًا، لا أقل ولا أكثر، فيما أثبتته الله في اللوح المحفوظ
 أول ما خلق السماوات والأرض، من هذه الأشهر الاثني عشر أربعة حُرْمٌ، أشهر حُرْمِ الله فيها القتال، وهي ثلاثة
 سرد: (ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم)، وواحد فرد، وهو (رجب)، ذلك المذكور من عدد شهور السنة، ومن
 تحريم أربعة منها، هو الدين المستقيم، فلا تظلموا في هذه الأشهر الحُرْمِ أنفسكم بإيقاع القتال فيها، وهتك
 حرمتها، وقتلوا المشركين جميعًا كما أنهم يقتلونكم جميعًا، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه بامتثال ما أمر به
 واجتناب ما نهى عنه بالنصر والتثبيت، ومن كان الله معه فلن يغلبه أحد.

﴿٣٦﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - دين الله ظاهر ومتصور مهما سعى أعداؤه للنيل منه حسدًا من عند أنفسهم.
- ٢ - ظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم بدخول كثير من الناس من بقاع الأرض في هذا الدين، على الرغم من كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إياه بكل حيلة.
- ٣ - تحريم أكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله تعالى.
- ٤ - تحريم اكتناز المال دون إنفاقه في سبيل الله.
- ٥ - الحرص على استعمال تقوى الله في السر والعلن، خصوصًا عند قتال الكفار؛ لأن المؤمن يتقي الله في كل أحواله.

﴿٣٧﴾ إن التأخير لحرمة شهر مُحَرَّم إلى شهر غير مُحَرَّم، وجعله مكانه كما كان يفعل العرب في الجاهلية، زيادة في الكفر على كفرهم بالله؛ حيث كفروا بحكمه في الأشهر الحُرِّم، يُضِلُّ بها الشيطان الذين كفروا بالله حين سنَّ لهم هذه السُنَّة السيئة، يحلون الشهر الحرام عامًا ببداله بشهر من شهور الحل، وبقونه على تحريمه عامًا ليوافقوا عدد الأشهر التي حرم الله وإن خالفوا أعيانها، فلا يحلون شهرًا إلا حرموا مكانه شهرًا، فيحلون بذلك ما حرمه الله من الأشهر الحرم، ويخالفون حكمه، زين لهم الشيطان الأعمال السيئة فعملوها، ومنها ما ابتدعوه من النسبي، والله لا يوفق الكافرين المُصْرِبِينَ على كفرهم.

﴿٣٨﴾ يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما شرعه لهم، ما شأنكم إذا دُعِيتُم إلى الجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم تباطأتم، وملتم إلى الاستقرار في مساكنكم؟ أرضيتم بمتاع الحياة الدنيا الزائلة ولذاتها المنقطعة عوضًا عن نعيم الآخرة الدائم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله؟ فما متاع الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا حقير، فكيف لعاقل أن يختار فانيًا على باق، وحقيرًا على عظيم؟!

﴿٣٩﴾ إلا تخرجوا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله لقتال عدوكم يعاقبكم الله بالفهر والإذلال وغيره، ويبدلكم بقوم مطيعين لله إذا استنفروا للجهاد نفروا، ولا تضروه شيئًا بمخالفتكم أمره، فهو غني عنكم، وأنتم الفقراء إليه، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فهو قادر على نصر دينه ونيه من دونكم.

﴿٤٠﴾ إلا تنصروا - أيها المؤمنون - رسول الله ﷺ، وتستجيبوا لدعوته للجهاد في سبيل الله، فقد نصره الله دون أن تكونوا معه حين أخرجته المشركون هو وأبا بكر ﷺ، لا ثالث لهما حين كانا في غار ثور مستخفيين من الكفار الذين كانوا يبحثون عنهما، حين يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر الصديق حين خاف عليه أن يدركه المشركون: لا تحزن إن الله معنا بتأييده ونصره، فأنزل الله الطمأنينة على قلب رسوله، وأنزل عليه جنودًا لا تشاهدونهم وهم الملائكة يؤيدونه، وصير كلمة المشركين السفلى، وكلمة الله هي العليا حين أعلى الإسلام، والله عزيز في ذاته وقهره وملكه، لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وقدره وشرعه.

﴿٤١﴾ فَوَاتِنَ مِنَ الْآيَاتِ:

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقَاتِمْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ الْآنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ﴿٤٠﴾ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾

﴿٤١﴾ العادات المخالفة للشرع بالاستمرار عليها دونما إنكار لها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عادات حسنة.

٢ - عدم النفي في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة.

٣ - فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش فيها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

٤ - أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين وخاصة عند الخوف على فوات مصلحة عامة.

﴿٤١﴾ سيروا - أيها المؤمنون - للجهاد في سبيل الله في العسر واليسر، شابًا وشيوخًا، خفافًا وثقالًا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، فإن ذلك الخروج والجهاد بالأموال والأنفس أكثر نفعًا في الحياة الدنيا والآخرة من القعود والتعلق بسلامة الأموال والأنفس، إن كنتم تعلمون ذلك فأحرصوا عليه.

﴿٤٢﴾ لو كان ما تدعون إليه الذين استأذنوك من المنافقين في التخلف غنيمة سهلة وسفرًا لا مشقة فيه لاتبعوك - أيها النبي -، ولكن بعدت عليهم المسافة التي دعوتهم لقطعها إلى العدو فتخلفوا، وسيحلف بالله هؤلاء المستأذنون من المنافقين في التخلف عندما ترجع إليهم قائلين: لو استطعنا الخروج إلى الجهاد معكم لخرجنا، يهلكون أنفسهم بتعريضها لعقاب الله بسبب تخلفهم وبسبب هذه الأيمان الكاذبة، والله يعلم أنهم كاذبون في دعواهم، وفي أيمانهم هذه.

﴿٤٣﴾ عفا الله عنك - أيها الرسول - اجتهادك في الإذن لهم في التخلف، فلم أذنت لهم فيه؟ حتى يتضح لك الصادقون في أعدارهم التي قدموها، والكاذبون فيها، فتأذن للصادقين منهم دون الكاذبين.

﴿٤٤﴾ ليس من شأن المؤمنين بالله، وبيوم القيامة إيمانًا صادقًا أن يطلبوا منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بل شأنهم أن ينفروا متى استفرغتهم، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمؤمنين من عباده الذين لا يستأذنونك إلا لأعدار تمنعهم من الخروج معك.

﴿٤٥﴾ إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد في سبيل الله هم المنافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا يؤمنون بيوم القيامة، وأصاب قلوبهم الشك في دين الله، فهم في شكهم يترددون حيارى لا يهتدون إلى الحق.

﴿٤٦﴾ ولو كانوا صادقين في دعوى أنهم يريدون الخروج معك للجهاد في سبيل الله لتأهبوا له بإعداد العدة، ولكن أبغض الله خروجهم معك، فأخرهم عنه، وأهانهم فقبل لهم: أقعدوا مع القاعدين من النساء والصبيان والمرضى.

﴿٤٧﴾ ولما كان تخلف هؤلاء قد يحزن المؤمنين طمأنهم الله بأن خروجهم أكثر ضررًا من تخلفهم فقال: من الخير أن لا يخرج هؤلاء المنافقون معكم، فهم إن خرجوا معكم ما زادوكم إلا فسادًا بما يقومون به من التخذييل والفاء الشبه، ولا أسرعوا في صفوفكم بنشر النميمة لتفريقكم، وفيكم - أيها المؤمنون - من يستمع إلى ما يروجونه من الكذب، فيقبله وينشره، فينشأ الاختلاف بينكم، والله عليم بالظالمين من المنافقين الذين يلقون الدساتر والشكوك بين المؤمنين.

﴿٤٨﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - وجوب الجهاد بالنفس والمال كلما دعت الحاجة. ٢ - العبادة الصادقة التي يكرم الله أصحابها تلكم العبادة التي يتحقق فيها الإخلاص والمتابعة وتكون على كل حال. ٣ - للجهاد ثمرة يانعة عظيمة، فهو يحقق إحدى الحسنين: إما النصر بإعلاء كلمة الله وإعزاز المسلمين، وإما الشهادة في سبيل الله، فيتحقق القرار في نعيم الآخرة والاستمتاع بالخلود في الجنة. ٤ - الأيمان الكاذبة توجب الهلاك. ٥ - وجوب الاحتراز من العجلة، ووجوب الثبوت والتأني، وترك الاغترار بظواهر الأمور، والمبالغة في التفحص والترثيث. ٦ - المؤمنون بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد بأموالهم وأنفسهم. ٧ - من عناية الله بالمؤمنين تبيطه ومنعه المنافقين من الخروج مع عباده المؤمنين، رحمة بهم ولطفًا من أن يداخلهم من لا يتفهم بل يضرهم.

٤٨) لقد حرص هؤلاء المنافقون على الإفساد بتفريق كلمة المؤمنين، وتشيت شملهم من قبل غزوة تبوك، ونوعوا وصرّفوا لك - أيها الرسول - الأمور بتدبير الحيل، لعل حيلهم تؤثر في عزمك على الجهاد حتى جاء نصر الله وتأييده لك، وأعز الله دينه وقهر أعداءه، وهم كارهون لذلك؛ لأنهم كانوا يرغبون في انتصار الباطل على الحق.

٤٩) ومن المنافقين من يعتذر بالأعذار المُختَلِقة فيقول: يا رسول الله، ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا تحملني على الخروج معك حتى لا أصيب ذنباً بسبب فتنة نساء العدو - الروم - إذا شاهدتهن. ألا قد سقطوا في فتنة أعظم مما زعموا، وهي فتنة النفاق، وفتنة التخلف، إن جهنم يوم القيامة لمحيطه بالكافرين، لا يفوتها منهم أحد، ولا يجدون عنها مهرباً.

٥٠) إن نالتك - يا رسول الله - نعمة من الله بما يسرك من نصر أو غنمة كرهوا ذلك، وحزنوا له، وإن نالتك مصيبة من شدة أو انتصار عدو يقول هؤلاء المنافقون: قد احتطنا لأنفسنا، وأخذنا بالحزم حين لم نخرج للقتال كما خرج المؤمنون، فأصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، ثم ينصرف هؤلاء المنافقون إلى أهلهم مسرورين بالسلامة.

٥١) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: لن ينالنا إلا ما كتبه الله لنا، فهو سبحانه سيدنا وملجؤنا الذي نلجأ إليه، ونحن متوكلون عليه في أمورنا، وعليه وحده يتوكل المؤمنون، فهو كافيهم، ونعم الوكيل.

٥٢) قل - أيها الرسول - لهم: هل تنتظرون أن يقع لنا إلا النصر أو الشهادة، وهما عاقبتان حُسْنِيَان؟ ونحن ننتظر أن ينزل بكم الله إحدى مساءتين: مساءة بعذاب من عنده يهلككم، أو مساءة بتعذيبكم بأيدينا بقتلكم وأسرکم إذا أذن لنا بقتلكم، فانتظروا عاقبتنا، إنا منتظرون عاقبتكم.

٥٣) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٥٤) وما منعهم من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتثاقلهم إذا صلّوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتُونَ

لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَقّاً
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ٤٨
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا نَفْتِي الْأَفَى الْفِتْنَةَ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
٤٩
إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ
مُصِيبَةٌ يَفْضُلُوا فَذَاذْنًا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَكْتَلُونَ
وَهُمْ قَارِحُونَ ٥٠
قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
٥١
قُلْ هَلْ تَرَى صُورَةَ بِنَاءٍ إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنِ وَنَحْنُ
نَرَبِّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ
أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَى صُورَةَ إِنْ تَامَعْتُمْ مَتَرِصُونَ ٥٢
قُلْ
أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِلَّا كَمُ كُنْتُمْ
قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٣
وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ
إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ٥٤

٥٥) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٥٦) وما منعهم من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتثاقلهم إذا صلّوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

٥٧) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٥٨) وما منعهم من قبول نفقاتهم إلا ثلاثة أمور: كفرهم بالله وبرسوله، وكسلهم وتثاقلهم إذا صلّوا، وأنهم لا ينفقون أموالهم طوعاً، وإنما ينفقونها كرهاً؛ لأنهم لا يرجون ثواباً في صلاتهم، ولا في إنفاقهم.

٥٩) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٦٠) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٦١) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٦٢) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٦٣) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٦٤) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

٦٥) قل - أيها الرسول - لهم: ابدلوا ما تبدلون من أموالكم طوعاً أو كرهاً، لن يتقبل منكم ما أنفقتم منها لكفركم وخرجكم عن طاعة الله.

﴿٥٥﴾ فلا تعجبك - أيها الرسول - أموال المنافقين ولا أولادهم، ولا تستحسنها، فعاقة أموالهم وأولادهم سيئة، والله يجعلها عذاباً عليهم بالكذب والتعب لتحصيلها، وبما ينزل من مصائب فيها إلى أن يخرج الله أرواحهم حال كفرهم فيعذبون بالخلود في الدرك الأسفل من النار.

﴿٥٦﴾ ويحلف المنافقون لكم - أيها المؤمنون - كاذبين: إنهم لمن جملتكم، وهم ليسوا منكم في بواطنهم، وإن أظهروا أنهم منكم، لكنهم قوم يخافون، فهم جنباء في القتال، ويخافون أن يحل بهم ما حل بالمشركين من القتل والسي، فيظهرون الإسلام تقية.

﴿٥٧﴾ لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأً من حصن يحفظون فيه أنفسهم، أو يجدون كهوفاً في الجبال يختبئون فيها، أو يجدون نفقاً يدخلون فيه لالتجؤوا إليه، ودخلوا فيه وهم مسرعون سرعة الفرس الجامح.

﴿٥٨﴾ ومن المنافقين من يعيبك - أيها الرسول - في قسمة الصدقات عندما لا ينالون منها ما يريدون، فإن أعطيتهم منها ما يطلبون رضوا عنك، وإن لم تعطهم ما يطلبون منها أظهروا التذمر.

﴿٥٩﴾ ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يعيبونك في قسمة الصدقات رضوا بما فرضه الله لهم، وبما أعطاهم رسوله منها، وقالوا: كافينا الله، سيعطينا الله من فضله ما شاء، وسيعطينا رسوله مما أعطاه الله، إننا إلى الله وحده راغبون أن يعطينا من فضله، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم من أن يعيبوك.

ولما عابوا رسول الله ﷺ في قسمتها بين لهم مصارفها ومستحقها تبرئة لرسوله، فقال:

﴿٦٠﴾ إنما الزكوات الواجبة يجب أن تصرف للفقراء، وهم المحتاجون الذين لديهم مال من مهنة أو وظيفة، لكنه لا يكفيهم ولا يثبت لهم، والمساكين الذين لا يكادون يملكون شيئاً ولا يخفون على الناس بسبب حالهم أو مقالهم، وللسعاة الذين يرسلهم الإمام لجمعها، وللكفار الذين يتألفون بها ليسلموا، أو لضعفة الإيمان ليقوى إيمانهم، أو لمن يُدفع بها شره، وتصرف في الأرقاء ليعتقوا بها، وللمدنيين في غير إسراف ولا معصية إن لم يجدوا وفاء لما عليهم من دين، وتصرف في تجهيز المجاهدين في سبيل الله، وللمسافر الذي انقطعت نفقته. قُصِرَ صرف الزكوات على هؤلاء فريضة من الله، والله عليم بمصالح عباده، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿٦١﴾ ومن المنافقين من يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام، فيقولون لما شاهدوا حلمه ﷺ: إنه يسمع من كل أحد ويصدقه، ولا يميز بين الحق والباطل، قل لهم - أيها الرسول -: إن الرسول لا يسمع إلا الخير، يصدق بالله، ويصدق ما يخبر به المؤمنون، والذين يؤذونه ﷺ بأي نوع من أنواع الإيذاء لهم عذاب موجه.

﴿٦٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِرَسُولِهِ أَتَىٰ أَعْيُنُهُمْ آيَاتُنَا بَلَاءً لِّئَلَّا يُهْتَمَّ بِآيَاتِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلُ وَالَّذِينَ هُم مِّن قَبْلُ كَافِرُونَ

١ - الأموال والأولاد قد تكون سبباً للعذاب في الدنيا، وقد تكون سبباً للعذاب في الآخرة، فليتعامل العبد معهما بما يرضي مولاه، فتنحقق بهما النجاة. ٢ - ينبغي للعبد أن يكون هواه تبعاً لمرضاة مولاه. ٣ - حين يعطي الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي لن يبقى فقير بين المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويُجَاهَد به الكفار، وتحصل به جميع المصالح الدينية. ٤ - توزيع الزكاة موكول لاجتهاد ولاة الأمور يضعونها على حسب حاجة الأصناف وسعة الأموال. ٥ - أن إيذاء الرسول ﷺ فيما يتعلق برسالته كفر، يترتب عليه العقاب الشديد. ٦ - ينبغي للعبد أن يكون أذن خير لا أذن شر، يستمع ما فيه الصلاح والخير، ويعرض ترفعاً وإباء عن سماع الشر والفساد.

١٦١ يحلف المنافقون بالله لكم - أيها المؤمنون - أنهم لم يقولوا شيئاً يؤذي النبي ﷺ، ذلك ليرضوكم عنهم، والله ورسوله أولى بالإرضاء بالإيمان والعمل الصالح إن كان هؤلاء مؤمنين حقاً.

١٦٢ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنهم بعملهم هذا معادون لله ولرسوله، وأن من يعاديهما يدخل يوم القيامة نار جهنم ما كتب فيها أبداً؟ ذلك الهوان والذل الكبير.

١٦٣ يخاف المنافقون أن ينزل الله على رسوله سورة تطلع المؤمنين على ما يضمرونه هم من الكفر، قل - أيها الرسول -: استمروا - أيها المنافقون - على استهزائكم وسخرتكم، فالله مخرج ما تخافون بإنزال سورة أو بإخبار رسوله بذلك.

١٦٤ ولئن سألت - أيها الرسول - المنافقين عما قالوا من الطعن وسب المؤمنين بعد إخبار الله لك به ليقولن: كنا في حديث نمزح فيه ولم نكن جادين، قل - أيها الرسول -: أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزون؟!

١٦٥ لا تعتذروا بهذه الأعذار الكاذبة، فقد أظهرتم الكفر باستهزائكم بعد أن كنتم تضمرونه، إن تتجاوز عن فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه وإخلاصه لله، نعدب فريقاً منكم لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم منه.

١٦٦ المنافقون رجالاً ونساءً متفقون في أحوال النفاق، وهم على التقيض من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، أعرضوا عن الله ففعلوا عنه، فلا يذكرونه إلا قليلاً، فأغفلهم الله من رحمته، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

١٦٧ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرَ الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا أَنْ يَدْخُلْهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ كَافِرَاتٌ مَعَهُمْ عَذَابٌ عَاقِبًا، وَطَرَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ.

﴿قَوْلًا مِنَ الْآيَاتِ﴾:

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ ليرضوكم وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يرضوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ١٦٢ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ مِحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتُمْ لِنَارِ جَهَنَّمَ خَلِيدٌ فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ١٦٣ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤُا بِإِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ١٦٤ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَّانِيهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ١٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا فَاذْكُرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَدْبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ١٦٦ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ١٦٧ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ١٦٨

تضمرونه، إن تتجاوز عن فريق منكم لتركه النفاق وتوبته منه وإخلاصه لله، نعدب فريقاً منكم لإصرارهم على النفاق وعدم توبتهم منه.

١٦٦ المنافقون رجالاً ونساءً متفقون في أحوال النفاق، وهم على التقيض من المؤمنين، فهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله، أعرضوا عن الله ففعلوا عنه، فلا يذكرونه إلا قليلاً، فأغفلهم الله من رحمته، إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطريق الحق إلى معصيته وطريق الضلال.

١٦٧ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرَ الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا أَنْ يَدْخُلْهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ مَا كُنْتُمْ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ كَافِرَاتٌ مَعَهُمْ عَذَابٌ عَاقِبًا، وَطَرَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ.

﴿قَوْلًا مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - قبائح المنافقين كثيرة، ومنها الإقدام على الأيمان الكاذبة، ومعاداة الله ورسوله، والاستهزاء بالقرآن والنبي والمؤمنين، والتخوف من نزول سورة في القرآن تفضح شأنهم، واعتذارهم بأنهم هازلون لاعبون، وهو إقرار بالذنب، بل هو عذر أقيح من الذنب.

٢ - لا يقبل الهزل في الدين وأحكامه، ويعد الخوض بالباطل في كتاب الله ورسله وصفاته كفرًا.

٣ - التوبة من النفاق أو الكفر مقبولة، فمن تاب عفي عنه، ومن أصر على الكفر أو النفاق عوقب في جهنم.

﴿٦٩﴾ أنتم - يا معشر المنافقين - في الكفر والاستهزاء مثل الأمم المكذبة من قبلكم، كانوا أعظم قوة منكم وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا بنصيبيهم المكتوب لهم من ملذات الدنيا وشهواتها، فتمتعتم أنتم - أيها المنافقون - بنصيبيكم المقدر لكم من ذلك مثل تمتع الأمم المكذبة السابقة بنصيبيهم، وخضتم في التكذيب بالحق والطعن في الرسول مثل خوضهم في التكذيب به والطعن على رسلهم، أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين بطلت أعمالهم لفسادها عند الله بالكفر، وهم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

﴿٧٠﴾ ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر ما فعلته الأمم المكذبة، وما فعل بها من عقاب: قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، وقرى قوم لوط، جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والحجج الجليلة، فما كان الله ليظلمهم؛ فقد أنذرتهم رسلهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بما كانوا عليه من الكفر بالله وتكذيب رسله.

﴿٧١﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعضهم، وهو كل محبوب لله تعالى من

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدِيدٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

وجوه طاعته كالتوحيد والصلاة، وينهون عن المنكر، وهو كل ما أبغضه الله تعالى من المعاصي كالكفر والربا، ويؤدون الصلاة كاملة على أكمل وجه، ويطيعون الله، ويطيعون رسوله، أولئك المتصفون بهذه الصفات الحميدة سيدخلهم الله في رحمته، إن الله عزيز، لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتديبه وشرعه.

﴿٧٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِهِ أَنْ يَدْخُلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مَا كُنْتُمْ فِيهَا دَائِمًا، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُنْقَطُ نَعِيمُهُمْ، وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَدْخُلَهُمْ مَسَاكِنٌ حَسَنَةٌ فِي جَنَّاتٍ إِقَامَةٍ، وَرِضْوَانٍ يَحِلُّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، ذَلِكَ الْجَزَاءُ الْمَذْكُورُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَوْزٌ.

﴿٧٤﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ:

- ١ - التَّفَاقُ: مَرَضٌ عَضَالٌ مُتَأَصِّلٌ فِي الْبَشَرِ، وَأَصْحَابُ ذَلِكَ الْمَرَضِ مُتَشَابِهُونَ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ فِي الْأَمْرِ بِالْمُنْكَرِ وَالتَّهْيِيءِ عَنِ الْمَعْرُوفِ، وَقَبْضُ أَيْدِيهِمْ وَإِسْكَاحُهُمْ عَنِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْجِهَادِ، وَفِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ
- ٢ - الْجَزَاءِ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَالَّذِي يَتْرُكُ أَمْرًا لِلَّهِ وَيَأْتِي نَوَاهِيَهُ يَتْرُكُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ.
- ٣ - سَبَبُ الْعَذَابِ لِلْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ الْعَصُورِ، وَهُوَ إِثَارُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَالِاسْتِمْتَاعُ بِهَا، وَتَكْذِيبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالْغَدْرُ بِهِمْ.
- ٤ - إِهْلَاكُ الْأُمَّمِ وَالْأَقْوَامِ الْغَابِرَةِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمُ الْأَنْبِيَاءِ فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِ مِنَ الْعُقَلَاءِ.
- ٥ - لَا عِقُوبَةَ إِلَّا بِذَنْبٍ.
- ٦ - أَهْلُ الْإِيمَانِ رِجَالًا وَنِسَاءً أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مُتَرَابِطَةٌ مُتَعَاوَنَةٌ مُتَنَاصِرَةٌ، قُلُوبُهُمْ مُتَّحِدَةٌ فِي التَّوَادُّ وَالتَّحَابِّ وَالتَّعَاطُفِ.
- ٧ - رِضَا رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ أَكْبَرَ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّاتِ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ الرُّوحَانِيَّةَ أَفْضَلَ مِنَ الْجِسْمَانِيَّةِ.

﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ، جَاهِدِ الْكُفَّارَ بَقِتَالِهِم بِالسِّيفِ، وَجَاهِدِ الْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَّةِ، وَاشْدُدْ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ؛ فَهَمَّ أَهْلُ لَدُنْكَ، وَمَقَرَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَ الْمَصِيرُ مَصِيرَهُمْ.

﴿٧٧﴾ يَحْلِفُ الْمُنَافِقُونَ بِاللَّهِ كَاذِبِينَ: مَا قَالُوا مَا بَلَغَكَ عَنْهُمْ مِنَ السَّبِّ لَكَ وَالْعَيْبِ لِدِينِكَ، وَلَقَدْ قَالُوا مَا بَلَغَكَ عَنْهُمْ مِمَّا يَكْفُرُهُمْ، وَأَظْهَرُوا الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِهِمُ الْإِيمَانَ، وَلَقَدْ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَظْفَرُوا بِهِ مِنَ الْفِتْكَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَنْكَرُوا شَيْئًا إِلَّا شَيْئًا لَا يُنْكَرُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِإِعْثَابِهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الَّتِي مَنَّ بِهَا عَلَى نَبِيِّهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ نِفَاقِهِمْ تَكُنْ تَوْبَتُهُمْ مِنْهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الْبَقَاءِ عَلَيْهِ، وَإِنْ يَتُوبُوا عَنِ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ يَعْذِبُهُمْ عَذَابًا مُوجِعًا فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَيَعْذِبُهُمْ عَذَابًا مُوجِعًا فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ يَتَوَلَّاهُمْ فَيَنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا نَاصِرٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

﴿٧٨﴾ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ قَائِلًا: لَنْ أُعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنْتَصِدَّقَنَّ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ، وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ صَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ.

﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أُعْطَاهُمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنْ فَضْلِهِ لَمْ يَفُوا بِمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، بَلْ بَخَلُوا فَلَمْ يَتَصَدَّقُوا بِشَيْءٍ، وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مَعْرُضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

﴿٨٠﴾ فَجَعَلَ عَاقِبَتَهُمْ نِفَاقًا ثَابِتًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ عِقَابًا لَهُمْ عَلَى إِخْلَافِهِمْ لِعَهْدِ اللَّهِ، وَعَلَى كَذِبِهِمْ.

﴿٨١﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَخْفُونَ مِنَ الْكَيْدِ وَالْمَكْرِ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ؟ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿٨٢﴾ الَّذِينَ يَعْبُونَ الْمُتَطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِبَذْلِ الصَّدَقَاتِ الْيَسِيرَةِ، الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا هُوَ حَاصِلٌ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ قَائِلِينَ: مَاذَا تَجْدِي صَدَقَتَهُمْ؟! سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ جَزَاءً عَلَى سَخَرِيَّتِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ.

﴿٨٣﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - وجوب جهاد الكفار والمنافقين، فجهاد الكفار باليد وسائر أنواع الأسلحة الحربية، وجهاد المنافقين بالحجة واللسان.
- ٢ - المنافقون من شر الناس؛ لأنهم غادرون يقابلون الإحسان بالإساءة.
- ٣ - في الآيات دلالة على أن نقض العهد وإخلاف الوعد يورث النفاق، فيجب على المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه.
- ٤ - في الآيات ثناء على قوة البدن والعمل، وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل.

٨١) لن يغفر الله للمنافقين أبداً حتى لو استغفر لهم الرسول؛ لأنهم ليسوا أهلاً للمغفرة مهما كثر الاستغفار، فهم كافرون بالله وبرسوله وخارجون على شرع الله عن عمد وقصد.

٨٢) فرح المتخلفون من المنافقين عن غزوة تبوك بقعودهم عن الجهاد في سبيل الله مخالفين رسول الله، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لأنفوسنا في النار قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفتقونها ٨٣) فليضحكوا قليلاً وليبستوا كثيراً جزاء لما كانوا يكسبون ٨٤) فإن رجعت الله إلى طائفة منهن فاستذنبنك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن فتنلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخلفين ٨٥) ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فسقون ٨٦) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهق أنفسهم وهم كفرون ٨٧) وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استذنبك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكُنْ مع القاعدين ٨٨)

٨٩) فليضحك هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد قليلاً في حياتهم الدنيا الفانية، وليبكوا كثيراً في حياتهم الآخرة الباقية؛ جزاء على ما كانوا اكتسبوه من الكفر والمعاصي والأثام في الدنيا.

٩٠) فإن أعادك الله - أيها النبي - إلى فريق من هؤلاء المنافقين ثابت على نفاقه، فطلبوا منك الإذن بالخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا - أيها المنافقون - معي في الجهاد في سبيل الله أبداً عقوبة لكم، وخذراً من المفساد المترتبة على وجودكم معي، فقد رضيتم بالقعود والتخلف في غزوة تبوك،

فاقعدوا وابقوا مع المتخلفين من المرضى والنساء والصبيا.

٩١) ولا تصل - أيها الرسول - على أي ميت من موتى المنافقين أبداً، ولا تقف على قبره للدعاء له بالمغفرة، ذلك لأنهم كفروا بالله وكفروا برسوله، وماتوا وهم خارجون عن طاعة الله، ومن كان كذلك لا يُصلى عليه ولا يُدعى له.

٩٢) ولا تعجبك - أيها الرسول - أموال المنافقين ولا أولادهم، إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الحياة الدنيا، وذلك بما يعانونه من المشاق في سبيلها، وما يصابون به من مصائب فيها، وأن تخرج أرواحهم من أجسادهم وهم على كفرهم.

٩٣) وإذا أنزل الله سورة على نبيه محمد ﷺ متضمنة للأمر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله طلب الإذن في التخلف عنك أصحاب السبأ منهم، وقالوا: اتركنا تتخلف مع أصحاب الأعداء كالضعفاء والرثى.

٩٤) قولوا من الآيات:

- ١ - الكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافراً. ٢ - أن فرح المنافقين زائل، وأن بكاءهم دائم.
- ٣ - الآيات تدل على قصر نظر الإنسان، فهو ينظر غالباً إلى الحال والواقع الذي هو فيه، ولا ينظر إلى المستقبل وما يتمخض عنه من أحداث. ٤ - لا تدل الآيات على منع الضحك الخفيف، ولكن الإكثار منه وملازمته تبيت القلب.
- ٥ - في الآيات دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، وزيارة قبورهم والدعاء لهم بعد موتهم، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك في المؤمنين. ٦ - عدم الاعتراض بما أعطى الله في الدنيا من الأموال والأولاد للكافرين والمنافقين، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك مكر منه لهم واستدراج.

﴿٨٧﴾ رضي هؤلاء المنافقون لأنفسهم الذلة والمهانة حين رضوا أن يتخلفوا مع أصحاب الأعداء، وختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ونفاقهم، فهم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم، فهم مثل الأنعام.

﴿٨٨﴾ أما الرسول والمؤمنون معه فلم يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله مثل هؤلاء، وإنما جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وكان جزاؤهم عند الله حصول المنافع الدنيوية لهم كالنصر والغنائم، وحصول المنافع الأخروية، ومنها دخول الجنة، وحصول الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

﴿٨٩﴾ هيأ الله لهم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار ما كثرين فيها أبداً، لا يلحقهم فناء، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم الذي لا يدانيه فلاح.

﴿٩٠﴾ وجاء قوم من أعراب المدينة ومن حولها يعتذرون إلى رسول الله ﷺ؛ لبدأن لهم في التخلف عن الخروج والجهاد في سبيل الله، وقعد قوم آخرون لم يعتذروا أصلاً عن الخروج؛ لعدم تصديقهم للنبي ولعدم إيمانهم بوعده الله، سينال هؤلاء بسبب كفرهم هذا عذاب مؤلم موجه.

﴿٩١﴾ ليس على النساء والصبيان والمرضى والعجزة من الزمنى والعمي والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقونه من المال ليتجهزوا به، ليس على هؤلاء جميعاً إثم في التخلف عن الخروج؛ لأن أعداءهم قائمة إذا أخلصوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه، ليس على المحسنين من أصحاب هذه الأعداء طريق لإيقاع العقاب عليهم، والله غفور لذنوب المحسنين، رحيم بهم.

﴿٩٢﴾ ولا إثم كذلك على المتخلفين عنك الذين إن جاؤوك - أيها الرسول - يطلبون ما تحملهم عليه من الدواب وقلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الدواب؛ تولوا عنك وقد فاضت دموعهم أسفاً على أنهم لم يجدوا ما ينفقون من عند أنفسهم أو من عندك.

﴿٩٣﴾ إنما العقوبة والمؤاخظة على أولئك الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن في التخلف عن الجهاد وهم قادرون عليه بوجود ما يتجهزون به، رضوا لأنفسهم الذلة والهوان بأن يبقوا مع الخوالم في البيوت، وختم الله على قلوبهم فلا تتأثر بموعظة، وهم بسبب هذا الختم لا يعلمون ما فيه مصلحتهم ليختاروه، وما فيه مفسدتهم ليتجنّبوه.

﴿٩٤﴾ فإذ من الآيات:

رَضُوا إِنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِ لَّهُمْ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَاءِ لَهُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحِذُّ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَعَيْنُهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا إِنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

١ - أن المجاهدين سيحصلون الخيرات في الدنيا، وإن فاتهم هذا فلهم الفوز بالجنة والنجاة من العذاب في الآخرة.

٢ - الأصل أن المحسن إلى الناس تكرمًا منه لا يؤاخذ إن وقع منه تقصير.

٣ - أن من نوى الخير، واقترن بنيته الجازمة سعيًا فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر فإنه يُنزَلُ مِنزَلَةُ الْفَاعِلِ لَهُ.

٤ - الإسلام دين عدل ومنطق، لذلك أوجب العقوبة والمأثم على المنافقين المستأذنين وهم أغنياء ذوو قدرة على الجهاد بالمال والنفس.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَعِمُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ سِيحِلْفُونَ يَا اللَّهُ لَكُمْ إِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهَا دَابِرَةُ السُّوءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾

﴿١٤﴾ يُقَدِّمُ الْمَنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْجِهَادِ أَعْدَارًا وَاهِيَةً لِلْمُسْلِمِينَ حِينَ عَوَدَتِهِمْ مِنَ الْجِهَادِ، وَيُوجِهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ: لَا تَعْتَذِرُوا بِالْأَعْدَارِ الْكَاذِبَةِ، لَنْ نَصَدِّقَكُمْ فِيمَا أَحْبَرْتُمُونَا بِهِ مِنْهَا، قَدْ أَعْلَمْنَا اللَّهُ مَا اخْتَلَقْتُمْ مِنْ أَعْدَارٍ، وَسِيرَى اللَّهِ وَرَسُولُهُ: هَلْ سَتَتُبُونَ، فَيَقْبَلُ اللَّهُ تَوْبَتَكُمْ، أَمْ تَسْتَمِرُّونَ عَلَىٰ نِفَاقِكُمْ؟ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ اللَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَيُخَبِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، فَبَادِرُوا إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿١٥﴾ سِيحِلْفُ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِذَا رَجَعْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - إِلَيْهِمْ تَأْكِيدًا لِأَعْدَارِهِمُ الْبَاطِلَةِ؛ لِتَكْفُوا عَنْ لَوْمِهِمْ وَتُوبِيخِهِمْ، فَاتْرَكُوهُمْ تَرْكَ سَاخِطٍ وَاهْجُرُوهُمْ، إِنَّهُمْ أَنْجَاسُ خَبِثَاءِ الطُّوبَى، وَمَسْتَقْرَهُمُ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ هُوَ جَهَنَّمُ؛ جَزَاءُ لَهُمْ عَلَىٰ مَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ النِّفَاقِ وَالْآثَامِ.

﴿١٦﴾ يَحْلِفُ هَؤُلَاءِ الْمُتَخَلِّفُونَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ، وَتَقْبَلُوا أَعْدَارَهُمْ، فَلَا تَرْضَوْا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَقَدْ خَالَفْتُمْ رَبَّكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِهِ بِالْكَفْرِ وَالنِّفَاقِ؛ فَاحْذَرُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنْ تَرْضَوْا عَمَّنْ لَا يَرْضَىٰ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿١٧﴾ أَهْلُ الْبَادِيَةِ إِنْ كَفَرُوا أَوْ نَافَقُوا كَانَ كُفْرُهُمْ وَنِفَاقُهُمْ أَشَدَّ مِنْ كُفْرِ وَنِفَاقِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ

الحضر، وهم أحرى بالجهل بالدين، وأحق بأن لا يعلموا الفرائض والسنن وضوابط الأحكام التي أنزلها على رسوله؛ لما هم عليه من الجفاء والغلظة وقلة المخالطة، والله عليم بأحوالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿١٨﴾ وَمِنْ سَكَانِ الْبَادِيَةِ الْمَنَافِقِينَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنْ مَا يَنْفِقُهُ مِنْ مَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَسْرَانٌ وَغَرَامَةٌ؛ لِتَوَهُمِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْجِرُ إِنْ أَنْفَقَ، وَلَا يَعْاقِبُهُ اللَّهُ إِنْ أَمْسَكَ، وَلَكِنَّهُ مَعَ هَذَا يَنْفِقُ أحيانًا رِيَاءً وَتَقِيَةً، وَيَنْتَظِرُ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - شَرٌّ فَيَتَخَلَّصُ مِنْكُمْ، بَلْ جَعَلَ اللَّهُ مَا يَتَمَنُّونَهُ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّرِّ وَدَوْرَانَ الزَّمَانِ بِمَا لَا تَحْمَدُ عِقْبَاهُ وَاقِعًا عَلَيْهِمْ هُمْ لَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُونَهُ، عَلِيمٌ بِمَا يَضْمُرُونَهُ.

﴿١٩﴾ وَمِنْ سَكَانِ الْبَادِيَةِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَجْعَلُ مَا يَنْفِقُهُ مِنْ مَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قُرْبَاتٍ يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ، وَوَسِيلَةً لِلظَّفَرِ بِدَعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ وَاسْتِغْفَارِهِ لَهُ، أَلَا إِنَّ نِفَاقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدَعَاءِ الرَّسُولِ لَهُ قُرْبَاتٌ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ، سَيَجِدُ ثَوَابَهَا عِنْدَهُ بِأَنْ يَدْخُلَهُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي تَشْمَلُ مَغْفِرَتَهُ وَجَنَّتَهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

﴿٢٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - ميدان العمل والتكاليف خير شاهد على إظهار كذب المنافقين من صدقهم.
- ٢ - المنافقون أنجاس خبيثاء، فالواجب هجرهم وعدم محبتهم والرضا عنهم.
- ٣ - أهل البادية إن كفروا فهم أشد كفرًا ونفاقًا من أهل الحضر؛ لتأثير البيئة.
- ٤ - الحضر على النفقة في سبيل الله مع إخلاص النية، وعظم أجر من فعل ذلك.
- ٥ - فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الخطأ.

﴿١٠٤﴾ والسابقون إلى الإيمان من المهاجرين الذين هاجروا من ديارهم وأوطانهم إلى الله، ومن الأنصار الذين نصرروا نبيه ﷺ، والذين اتبعوا المهاجرين والأنصار السابقين إلى الإيمان بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأفعال رضي الله عنهم فقبل طاعتهم، ورضوا عنه لما أعطاهم من ثوابه العظيم، وأعد لهم جنات تجري تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفلاح العظيم.

﴿١٠٥﴾ ومن بين من هم حول المدينة من سكان البادية منافقون، ومن أهل المدينة منافقون أقاموا على النفاق وثبتوا عليه، لا تعلمهم - أيها الرسول -، الله هو الذي يعلمهم، سيعذبهم الله مرتين: مرة في الدنيا بانكشاف نفاقهم وقتلهم وأسرههم، ومرة في الآخرة بعذاب القبر، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في الدرك الأسفل من النار.

﴿١٠٦﴾ ومن أهل المدينة قوم آخرون تخلفوا عن الغزو من غير عذر، فأقروا على أنفسهم بأنهم لم يكن لهم عذر، ولم يأتوا بأعذار كاذبة، مزجوا أعمالهم الصالحة السابقة من القيام بطاعة الله، والتمسك بشرائعه، والجهاد في سبيله بعمل سيئ يرجون من الله أن يتوب عليهم، ويتجاوز عنهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّبَعُوا مَا وَصَّيْنَا بِالْغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ الْحَدِيثَ الْفُصْحَانَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّبَعُوا مَا وَصَّيْنَا بِالْغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ الْحَدِيثَ الْفُصْحَانَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّبَعُوا مَا وَصَّيْنَا بِالْغَيْبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ الْحَدِيثَ الْفُصْحَانَ

﴿١٠٧﴾ وَمَنْ حَوْلَ كُوفٍ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا يَتْلَمَعُهُمْ نَحْرٌ نَعْلَمُهُمْ سَنَعِدُّهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابِ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾

﴿١٠٩﴾ وَعَآخِرُ سَيِّئَاتِهِمْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ إِذَا تَابُوا إِلَى اللَّهِ فَغُفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَأَنَّهُمْ كَانُوا فِي حَيْبٍ مِمَّنْ سَاءَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ وَأَنَّهُ هُوَ يُقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٠﴾

﴿١١١﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْبِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾

﴿١١٣﴾ وَعَآخِرُونَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٤﴾

﴿١١٤﴾ خذ - أيها الرسول - من أموالهم زكاة تطهرهم بها من دنس المعاصي والآثام، وتُنمِّي حسناتهم بها، وادع لهم بعد أخذها منهم، إن دعائك رحمة لهم وطمأنينة، والله سميع لدعائك، علم بأعمالهم ونياتهم.

﴿١١٥﴾ ليعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد والتائبون إلى الله أن الله يقبل التوبة من عباده التائبين إليه، وأنه يقبل الصدقات وهو غني عنها، ويثب المتصدق على صدقته، وأنه سبحانه هو التواب على من تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١١٦﴾ وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المُتَخَلِّفِينَ عن الجهاد والتائبين من ذنبهم: اجبروا ضرر ما فاتكم، وأخلصوا أعمالكم لله، واعملوا بما يرضيه، فسيري الله ورسوله والمؤمنون أعمالكم، وسترجعون يوم القيامة إلى ربكم الذي يعلم كل شيء، فيعلم ما تسرون وما تعلنون، وسيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿١١٧﴾ ومن المُتَخَلِّفِينَ عن غزوة تبوك قوم آخرون لم يكن لهم عذر، فهؤلاء مُؤَخَّرُونَ لِقضاء الله وحكمه فيهم، يحكم فيهم بما يشاء: إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا إليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا، والله عليم بمن يستحق عقابه، وبمن يستحق عفوه، حكيم في شرعه وتدبيره، وهؤلاء هم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - فضل المهاجرين والأنصار على غيرهم من الناس.
- ٢ - فضل المسارعة إلى الإيمان، والهجرة في سبيل الله، ونصرة الدين، واتباع طريق السلف الصالح.
- ٣ - استئثار الله ﷻ بعلم الغيب، فلا يعلم أحد ما في القلوب إلا الله.
- ٤ - الرجاء لأهل المعاصي من المؤمنين بتوبة الله عليهم ومغفرته لهم إن تابوا وأصلحوا عملهم.
- ٥ - وجوب الزكاة وبيان فضلها وأثرها في تنمية المال وتطهير النفوس من البخل وغيره من الآفات.
- ٦ - كل إنسان مرهون بعمله، فالله مطلع عليه وسيجزيه على ذلك يوم القيامة.

﴿١٧٦﴾ ومن المنافقين أيضًا أولئك الذين ابتنوا مسجدًا لغير طاعة الله، بل للإضرار بالمسلمين، وإظهار الكفر بتقوية أهل النفاق، وللتفريق بين المؤمنين، وللإعداد والانتظار لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء المسجد، وليلحقن هؤلاء المنافقون لكم: ما قصدنا إلا الفرق بالمسلمين، والله يشهد إنهم لكاذبون في دعواهم هذه.

﴿١٧٧﴾ مسجد هذه صفته لا تستجب - أيها النبي - لدعوة المنافقين لك للصلاة فيه، فإن مسجد قباء الذي أسس أول ما أسس على التقوى أولى بأن تصلي فيه من هذا المسجد الذي أسس على الكفر، في مسجد قباء رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والأخبار بالماء، ومن المعاصي بالتوبة والاستغفار، والله يحب المتطهرين من الأحداث والأخبار والذنوب.

﴿١٧٨﴾ أيستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ورضوان الله بالتوسع في أعمال البر مع من بنى مسجدًا للإضرار بالمسلمين وتقوية الكفر، والتفريق بين المؤمنين؟! لا يستويان أبدًا، فالأول بنيانه قوي متماسك لا يخشى عليه السقوط، وهذا مثله كمثل من بنى بنيانًا على شفير حفرة متداع للسقوط، فانهار به بنيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق القوم الظالمين بالكفر والنفاق وغير

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهُرُوا

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا يَزَالُ بُيُوتَهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾

﴿١٨١﴾ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبَلُوكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٨٢﴾

ذلك .

﴿١٨١﴾ لا يزال مسجدهم الذي بنوه ضرارًا شكًا ونفاقًا ثابتًا في قلوبهم حتى تقطع قلوبهم بالموت أو القتل بالسيف، والله عليم بأعمال عباده، حكيم فيما يحكم به من جزاء على الخير أو الشر.

ولما بين الله فضائح المنافقين المتخلفين عن الجهاد ذكر جزاء المجاهدين في سبيله فقال:

﴿١٨٢﴾ إن الله سبحانه اشترى من المؤمنين أنفسهم - مع أنهم ملكه؛ تفضلاً منه - بثمن غال هو الجنة، حيث يقاتلون الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، فيقتلون الكفار، ويقتلهم الكفار، وعد الله بذلك وعدًا صدقًا في التوراة: كتاب موسى، والإنجيل: كتاب عيسى عليه السلام، والقرآن: كتاب محمد عليه السلام، ولا أحد أوفى بعهد من الله سبحانه؛ فافرحوا وسروا - أيها المؤمنون - ببيعكم الذي بايعتم به الله، فقد ربحتم فيه ربحًا عظيمًا، وذلك البيع هو الفلاح العظيم.

﴿١٨٣﴾ فَوَازِلْ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لا ينبغي تصديق المنافقين فيما يقولون؛ لأن الله شهد على كذبهم.
- ٢ - محبة الله ثابتة للمتطهرين من الأنجاس البدنية والروحية.
- ٣ - لا يستوي من عمل عملاً قصد به وجه الله؛ فهذا العمل هو الذي سبقه ويسعد به صاحبه، مع من قصد بعمله نصرة الكفر ومحاربة المسلمين؛ وهذا العمل هو الذي سبقه ويشقى به صاحبه.
- ٤ - الحث على الجهاد وبيان أن جزاءه الجنة.
- ٥ - مشروعية الجهاد والحض عليه كانت في الأديان التي قبل الإسلام أيضًا.
- ٦ - كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها، كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين واتلافهم يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها.

﴿١٣٦﴾ هؤلاء الحاصلون على هذا الجزاء هم التائبون إلى الله من الشرك والنفاق والمعاصي، المخلصون لله في العبادة، الحامدون لربهم على كل حال، المسافرون جهاداً في سبيل الله، الصائمون، المصلون، الآمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، الناهون عما نهى الله عنه ورسوله، الحافظون لأوامر الله بالاتباع، ولنواهيه بالاجتناب، وأخير - أيها الرسول - المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بما يسرهم في الدنيا والآخرة.

﴿١٣٧﴾ لا ينبغي للنبي ولا ينبغي للمؤمنين أن يطلبوا المغفرة من الله للمشركين، ولو كانوا أقرباءهم، من بعدما اتضح لهم أنهم من أصحاب النار؛ لموتهم على الشرك.

﴿١٣٨﴾ وما كان طلب إبراهيم المغفرة لأبيه إلا بسبب وعده إياه لطلبتها له؛ رجاء أن يسلم، فلما اتضح لإبراهيم أن أباه عدو لله لعدم نفع النصح فيه، أو لعلمه بوحى أنه يموت كافراً تبرأ منه، وكان استغفاره له اجتهاداً منه، لا مخالفة لحكم أوحى الله إليه به، إن إبراهيم ﷺ كثير التضرع إلى الله، كثير الصبح والتجاوز عن قومه الظالمين.

﴿١٣٩﴾ وما كان الله ليحكم على قوم بالضلال بعد أن وفقهم للهداية حتى يبين لهم

التائبون العابدون الحامدون السائحون
الركعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله
وبشر المؤمنين ﴿١٣٦﴾ ما كان للنبي والذين آمنوا أن
يسئفوا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد
ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴿١٣٧﴾ وما كان
استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه
فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم
﴿١٣٨﴾ وما كان الله ليضلل قومًا بعد إذ هداهم حتى
يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم ﴿١٣٩﴾ إن الله
له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وما لكم من
دور إن الله من ولي ولانصير ﴿١٤٠﴾ لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ
مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤١﴾

المحرمات التي يجب اجتنابها، فإن ارتكبوا ما حرم عليهم بعد بيان تحريمه حكم عليهم بالضلال، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، وقد علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

﴿١٤٢﴾ إن الله له ملك السماوات وملك الأرض، لا شريك له فيهما، لا يخفى عنه فيهما خافية، يُحْيِي من شاء إحياء، ويميت من شاء إِمَاتَةً، وما لكم - أيها الناس - غير الله من ولي يتولى أموركم، وما لكم من نصير يدفع عنكم السوء، وينصركم على عدوكم.

﴿١٤٣﴾ لقد تاب الله على النبي محمد ﷺ إذ أذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، ولقد تاب على المهاجرين، وعلى الأنصار الذين لم يتخلفوا عنه، بل اتبعوه في غزوة تبوك مع شدة الحر وقلة ذات اليد وقوة الأعداء، بعدما كادت تميل قلوب طائفة منهم هموا بترك الغزو؛ لما هم فيه من الشدة العظيمة، ثم وفقهم الله للثبات والخروج إلى الغزو، وتاب عليهم، إنه سبحانه رؤوف بهم رحيم، ومن رحمته توفيقهم للتوبة وقبولها منهم.

﴿١٤٤﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - بيان الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المؤمنون حتى يستحقوا البشارة بما يسرهم.
- ٢ - حرمة الاستغفار لمن مات مشركاً.
- ٣ - بطلان الاحتجاج على جواز الاستغفار للمشركين بفعل إبراهيم ﷺ.
- ٤ - أن الذنوب والمعاصي هي سبب المصائب والخذلان وعدم التوفيق.
- ٥ - أن الله هو مالك الملك، وهو ولينا، ولا ولي ولا نصير لنا من دونه.
- ٦ - بيان فضل أصحاب النبي ﷺ على سائر الناس.
- ٧ - رحمة الله ﷻ بأهل الإيمان حاصلة بعصمتهم من الضلال وتوفيقهم للهداية.

﴿١٣٨﴾ ولقد تاب على الثلاثة، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فأمر النبي ﷺ الناس بهجرانهم، وأصابهم حزن وغم على ذلك حتى ضاقت عليهم الأرض على سعتها، وضاقت صدورهم بما حصل لهم من الوحشة، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم يلجؤون إليه إلا إلى الله وحده، فرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم قبل توبتهم، إنه هو التواب على عباده، الرحيم بهم.

﴿١٣٩﴾ يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا بشرعه، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وكونوا مع الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم، فلا منجاة لكم إلا في الصدق.

﴿١٤٠﴾ ليس لأهل المدينة ولا لمن حولهم من سكان البادية أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الجهاد بنفسه، وليس لهم أن يشيخوا بأنفسهم، ويصونها عن نفسه ﷺ، بل الواجب عليهم أن يبذلوا أنفسهم دون نفسه؛ ذلك لأنهم لا ينالهم عطش، ولا تعب، ولا مجاعة في سبيل الله، ولا يدوسون بلداً من بلاد الكفار بأقدامهم وحوافر خيلهم وأحفاف إبلهم، بحيث يثيرون به غيظ

الكفار، ولا يصيبون من عدو قتلاً أو أسراً أو غنيمة أو هزيمة إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح يقبله منهم، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يوفيهم إياه كاملاً، ويزيدهم عليه.

﴿١٤١﴾ ولا يبذلون مالا قليلاً كان أو كثيراً، ولا يتجاوزون وادياً إلا كتب لهم ما عملوه من بذل ومن سفر ليكافئهم الله، فيعطيهم في الآخرة أجر أحسن ما كانوا يعملون.

﴿١٤٢﴾ وما ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا للقتال جميعاً حتى لا يُستأصلوا إذا ظهر عليهم عدوهم، كما لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عنه جميعاً، فهلاً خرج للجهاد فريق منهم، وبقي فريق ليرافقوا رسول الله ﷺ، ويتفقوا في الدين بما يسمعون منه ﷺ من القرآن وأحكام الشرع، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه؛ رجاء أن يحذروا من عذاب الله وعقابه، فيمثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه. وكان هذا في السرايا التي كان يبعثها رسول الله إلى النواحي، ويختار لها طائفة من أصحابه.

﴿١٤٣﴾ فَوَالَّذِينَ آمَنُوا:

١ - وجوب تقوى الله وملازمة الصادقين.

٢ - وجوب إثارة الله ورسوله على كل شيء.

٣ - ثبوت فضل النفقة في سبيل الله.

٤ - وجوب التفقه في الدين مثله مثل الجهاد.

٥ - قيام الدين يكون بأهل العلم وأهل الجهاد.

﴿١٣٢﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بقتال من يجاورهم من الكفار؛ لما يسببون من خطر على المؤمنين بسبب قربهم، وأمرهم كذلك أن يُظهروا قوة وبطشاً من أجل إرهابهم ودفع شرهم، والله تعالى مع المؤمنين المتقين بعونه وتأييده.

﴿١٣٣﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فمن المنافقين من يسأل مستهزئاً ساخراً: أيكم زادته هذه السورة النازلة إيماناً بما جاء به محمد؟ فأما الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله فقد زادهم نزول السورة إيماناً إلى إيمانهم السابق، وهم مسرورون بما نزل من الوحي؛ لما فيه من منافعهم الدنيوية والأخروية.

﴿١٣٤﴾ وأما المنافقون فإن نزول القرآن بما فيه من أحكام وقصص يزيدهم مرضاً وخبثاً بسبب تكذيبهم بما ينزل، فيصبح الأمر مطرداً بالنسبة إليهم، فيزداد مرض قلوبهم بزيادة نزول القرآن؛ لأنهم كلما نزل شيء شكوا بما فيه.

﴿١٣٥﴾ أولاً يعتبر المنافقون بابتلاء الله لهم بكشف حالهم وفضح نفاقهم كل سنة مرة أو مرتين، ثم مع علمهم بأن الله تعالى هو فاعل ذلك بهم لا يتوبون إليه من كفرهم، ولا يقلعون عن نفاقهم، ولا هم يتذكرون ما حل بهم وأنه من الله.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلَوْا الَّذِينَ يَلُوكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ
إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٣٣﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٣٤﴾ أَوْلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٥﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ
ثُمَّ انصَرَفُوا وَاصْرَفَا أَصْرَفَ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ
﴿١٣٦﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ
عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٧﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٨﴾

سورة التوبة

الآيات

الآيات

﴿١٣٧﴾ وإذا أنزل الله سورة على رسوله ﷺ فيها ذكر أحوال المنافقين نظر بعض المنافقين إلى بعض قائلين لهم: هل يراكم أحد؟ فإن لم يرههم أحد انصرفوا عن المجلس، ألا صرف الله قلوبهم عن الهداية والخير، وخذلهم بأنهم قوم لا يفهمون.

﴿١٣٨﴾ لقد جاءكم - يا معشر العرب - رسول من جنسكم، فهو عربي مثلكم، شاقُّ عليه ما يشقُّ عليكم، حريص عليكم حيث يدعوكم للإيمان بربكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

﴿١٣٩﴾ فإن أعرضوا عنك، ولم يؤمنوا بما جئت به، فقل لهم - أيها الرسول -: يكفيني الله الذي لا معبود بحقِّ سواه، عليه وحده اعتمدت، وهو سبحانه رب العرش العظيم.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - وجوب ابتداء القتال بالأقرب من الكفار إذا اتسعت رقعة الإسلام، ودعت إليه حاجة.
- ٢ - بيان حال المنافقين حين نزول القرآن عليهم وهي الترقب والاضطراب.
- ٣ - بيان رحمة النبي ﷺ بالمؤمنين وحرصه عليهم.
- ٤ - في الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتفقد إيمانه ويتعاهده فيجدهه وينميه؛ ليكون دائماً في صعود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتْلَكَ ءَايَتِ الْكُتُبِ الْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَن أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَن أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَن لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا
 لَسَجْرٌ مُّئِينٌ ۝٢ إِن رَّبُّكُمْ ءَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ
 فِي سِتَّةِ اَيّٰمٍ ثُمَّ اَسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَدْبُرُ الْاَمْرَ مَا مِّنْ شَيْءٍ
 اِلَّا مِّنْ بَعْدِ اِذْنِهٖ ذٰلِكُمْ ءَللّٰهُ رَبُّكُمْ فَاَعْبُدُوْهُ اَفَلَا
 تَذَكَّرُوْنَ ۝٣ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللهُ حَقًّا اِنَّهُ
 يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَعَذَابٌ
 اَلِيْمٌ مَّا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ ۝٤ هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ الشَّمْسَ
 ضِيَاةً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِّيْنَ
 وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ اِلَّا بِالْحَقِّ يَفْصَلُ الْاٰيٰتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ۝٥ اِن فِيْ اٰخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
 اللهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُوْنَ ۝٦

بهذه الصفات هو الله ربكم، فأخلصوا له العبادة وحده، فهلاً تذكروتم كل هذه البراهين والحجج على وحدانيته؟ فمن كان له أدنى تدكّر علم ذلك، وآمن به.

① إليه وحده رجوعكم يوم القيامة؛ ليجازيكم على أعمالكم، وعد الله الناس بذلك وعداً صادقاً لا يخلفه، إنه على ذلك قادر، يبدأ الخلق على غير مثال سابق من طين، ثم يعيده بعد موته؛ ليجزي سبحانه الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات بالعدل فلا ينقص من حسناتهم، ولا يزيد في سيئاتهم، والذين كفروا بالله وبرسله لهم شراب من ماء متناهي الحرارة، يقطع أمعاءهم، ولهم عذاب موجه بسبب كفرهم بالله وبرسله.

② هو الذي جعل الشمس تشع الضوء وتشره، وجعل القمر نوراً يُستنار به، وقَدَّرَ سيره بعدد منازل الثمانية والعشرين، والمنزلة هي المسافة التي يقطعها كل يوم وليلة؛ لتعلموا - أيها الناس - بالشمس عدد الأيام، وبالقمر عدد الشهور والسنين، ما خلق الله السماوات والأرض وما فيها إلا بالحق؛ ليظهر قدرته وعظمته للناس، يبين الله هذه الأدلة الواضحة والبراهين الجليلة على وحدانيته لقوم يعلمون الاستدلال بها على ذلك.

③ إن في تعاقب الليل والنهار على العباد، وما يصحب ذلك من ظلمة وضياء، وقصر أحدهما وطوله والمخلوقات التي في السماوات والأرض لعلامات دالة على قدرة الله لقوم يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

④ فوائد من الآيات:

١ - إثبات نبوة النبي ﷺ وأن إرساله أمر معقول لا عجب فيه. ٢ - مهمة الرسول هي تبشير المؤمنين بالجنة، وإنذار العصاة من النار. ٣ - إثبات الربوبية والألوهية لله ﷻ. ٤ - إثبات العرش واستواء الله عليه استواء يليق بجلاله وكماله. ٥ - الشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له الله، ورضي قوله وفعله. ٦ - إثبات يوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب. ٧ - تقدير الله ﷻ لحركة الشمس ولمنازل القمر يساعد على ضبط التاريخ والأيام والسنين.

٧) إن الكافرين الذين لا يتوقعون لقاء الله فيخافوه أو يطمعوا فيه، وارتضوا الحياة الدنيا الفانية بدلاً من الحياة الأخروية الباقية، وسكنت أنفسهم إليها فرحة بها، والذين لا يعتبرون بآياتنا.

٨) أولئك المتصفون بهذه الصفات مستقرهم الذي يأوون إليه هو النار؛ بسبب ما اكتسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.

٩) إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة يرزقهم الله الهداية إلى العمل الصالح الموصل إلى رضاه؛ بسبب إيمانهم، ثم يدخلهم الله يوم القيامة في جنات النعيم الدائم، تجري من تحتهم الأنهار.

١٠) دعاؤهم في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وتحية الله لهم وتحية الملائكة وتحية بعضهم لبعض سلام، وخاتمة دعائهم الشاء على الله رب المخلوقات كلها.

١١) ولو يُعَجَّلُ الله سبحانه استجابة دعاء الناس على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بالشر عند الغضب مثل ما يستجيب لهم في دعائهم بالخير لهلكوا، ولكن الله يمهلهم، فيترك الذين لا ينتظرون لقاءه؛ لأنهم لا يخافون عقاباً ولا يرتجون ثواباً، يتركهم مترددين حائرين مرتابين في يوم الحساب.

سورة النور
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ٧ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٨ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٩ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠ وَلَوْ عَجَّلَ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَّلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَصَّلْنَا إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَنذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١ وَإِذْ آمَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَ أَنْ لَمْ يُدْعِنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِّلْمُتَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاكَمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٤

١٢) وإذا أصاب الإنسان المتسرف على نفسه مرض أو سوء حال دعانا متذللًا متضرعًا مضطجعًا على جنبه أو قاعدًا أو قائمًا؛ رجاء أن يُزال ما به من ضر، فلما استجبنا دعاءه، وأزلنا ما به من ضر مضى على ما كان عليه كأنه لم يدعنا لكشف ضر أصابه، كما زُيِّنَ لهذا المعرض الاستمرار في ضلاله زُيِّنَ للمتجاوزين للحدود بكفرهم ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي، فلا يتركونه.

١٣) ولقد أهلكنا الأمم من قبلكم - أيها المشركون - لتكذيبهم يرسل الله وارتكابهم المعاصي، وقد جاءتهم رسلهم الذين أرسلناهم إليهم بالبراهين الواضحة الدالة على صدقهم فيما جاؤوا به من عند ربهم، فما استقام لهم أن يؤمنوا؛ لعدم استعدادهم للإيمان، فخذلهم الله، ولم يوفقه لهم، كما جازينا تلك الأمم الظالمة نجزي أمثالهم في كل زمان ومكان.

١٤) ثم صَيَّرْنَاكُمْ - أيها الناس - خَلِيفَةً لتلك الأمم المكذبة التي أهلكناها؛ لننظر كيف تعملون، هل تعملون خيراً فتثابون عليه، أم تعملون شراً فتعاقبون عليه؟

❁ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الكافرون جزاؤهم النار؛ بسبب ما كسبوه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة.
- ٢ - المؤمنون جزاؤهم الجنة؛ بسبب ما فعلوا من الأعمال الصالحة.
- ٣ - لطف الله ﷻ بعباده في عدم إجابة دعائهم على أنفسهم وأولادهم بالشر.
- ٤ - بيان حال الإنسان بالدعاء في الضراء والإعراض عند الرخاء والتحذير من الاتصاف بذلك.
- ٥ - هلاك الأمم السابقة كان سببه ارتكابهم المعاصي والظلم.

﴿١٥﴾ وإذا تُقْرَأ عليهم الآيات القرآنية الواضحة الدالة على توحيد الله، قال منكرو البعث الذين لا يرجون ثواباً، ولا يخافون عقاباً: جئ - يا محمد - بقرآن غير هذا القرآن المشتمل على سب عبادة الأصنام أو غيره بنسخ بعضه أو كله بما يوافق أهواءنا، قل لهم - أيها الرسول -: لا يصح أن أغیره أنا، ولا أستطيع - بالأولى - الإتيان بغيره، بل الله وحده هو الذي يبدل منه ما يشاء، فلست أتبع إلا ما يوحيه الله إلي، إني أخاف إن عصيت الله بإجابتكم إلى ما طلبتم عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول -: لو شاء الله أن لا أقرأ القرآن عليكم ما قرأته عليكم، وما بلغتكم إياه، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن على لساني، فقد مكثت بينكم زمناً طويلاً - هو أربعون سنة - لا أقرأ ولا أكتب، ولا أطلب هذا الشأن ولا أبحث عنه، أفلا تدركون بعقولكم أن ما جئتمكم به هو من عند الله، ولا شأن لي فيه؟!

﴿١٧﴾ فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فكيف لي أن أبدل القرآن افتراء عليه، إن الشأن أن المتجاوزين لحدود الله بالافتراء عليه لا يفوزون بمطلوبهم.

وَإِذْ اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ بَيْتًا قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِفِرْعَوْنٍ غَيْرِهِذَلِكَ أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُنزِلَ لَهُمْ مِنْ لَدُنِّي إِنْ أَتَيْتُهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ أَوْ خَلْفَهُمْ أَوْ مِنْ شِبْهِهِمْ إِلَّا أَسْبَغَ فِيهِمْ الْمَاءَ كَمَا يُسْبِغُ فِيهِ الْمَاءَ الْيَاسْمِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ قُرْآنًا وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرُمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَبْسَبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١٨﴾ ويعبد المشركون من دون الله آلهة مزعومة، لا تنفع ولا تضر، والمعبود بالحق ينفع ويضر متى شاء، ويقولون عن معبوداتهم: هؤلاء وسطاء يشفعون لنا عند الله فلا يعذبنا بذنوبنا، قل لهم - أيها الرسول -: أخبرون الله العليم أن له شريكاً، وهو لا يعلم له شريكاً في السماوات ولا في الأرض، تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عما يقوله المشركون من الباطل والكذب.

﴿١٩﴾ وما كان الناس إلا أمة واحدة مؤمنة موحدة فاختلَفوا، فمنهم من بقي مؤمناً، ومنهم من كفر، ولولا ما مضى من قضاء الله أنه لا يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في الدنيا، وإنما يحكم بينهم فيه يوم القيامة، لولا ذلك لحكم بينهم في الدنيا فيما يختلفون فيه، فبين المهتدي من الضال.

﴿٢٠﴾ ويقول المشركون: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ آيَةً مِنْ رَبِّهِ دَالَةً عَلَى صِدْقِهِ؟ فقل لهم - أيها الرسول -: نزول الآيات غيب يختص الله بعلمه، فانتظروا ما اقترحتموه من الآيات الحسية، إني معكم من المنتظرين لها.

﴿٢١﴾ قوله من الآيات:

- ١ - القرآن كلام الله، ولا يمكن لأحد أن يبدله ويحرفه؛ لأنه محفوظ.
- ٢ - عظم الافتراء على الله والكذب عليه وتحريف كلامه كما فعل اليهود بالتوراة.
- ٣ - النفع والضرر بيد الله ﷻ وحده دون ما سواه.
- ٤ - بطلان قول المشركين بأن آلهتهم تشفع لهم عند الله.
- ٥ - اتباع الهوى والاختلاف على الدين هو سبب الفرقة.

﴿١٦﴾ وإذا أذقنا المشركين نعمة من مطر وخصب بعد جذب وبؤس أصابهم إذا لهم مكر بالتكذيب بآياتنا، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله أعجل مكرًا، وأسرع استدراجًا لكم وعقوبة، إن الحفظة من الملائكة يكتبون ما تُدبرون من مكر، لا يفوتهم منه شيء، فكيف يفوت خالقهم؟! وسيجازيكم الله على مكركم.

﴿١٧﴾ الله هو الذي يُسيركم - أيها الناس - في البر على أقدامكم وعلى دوابكم، وهو الذي يسيركم في البحر في السفن، حتى إذا كنتم في السفن في البحر، وجرت بهم بريح طيبة، فرح الركاب بتلك الريح الطيبة، فبينما هم في فرحهم جاءتهم ريح قوية الهبوب، وجاءهم موج البحر من كل جهة، وغلب على ظنهم أنهم هالكون؛ دعوا الله وحده، ولم يشركوا معه غيره قائلين: لئن أُنقذنا من هذه المحنة المهلكة لَنكونن من الشاكرين لك على ما أنعمت به علينا.

﴿١٨﴾ فلما استجاب دعاءهم، وأنقذهم من تلك المحنة، إذا هم يفسدون في الأرض بارتكاب الكفر والمعاصي والآثام. أفيقوا أيها الناس، إنما عاقبة بغيكم السيئة على أنفسكم، فالله لا يضره بغيكم، تتمتعون به في الحياة الدنيا وهي فانية، ثم إلينا رجوعكم يوم القيامة، فنخبركم بما كنتم تعملون من المعاصي، ونجازيكم عليها.

وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرًا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴿١٦﴾ هو الذي يُسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين ﴿١٧﴾ فلما أنجيتهم إذا هم يبعثون في الأرض بغير الحق يكأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متنع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٨﴾ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قلدرون عليها آتمها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصل الأبيات لقوم ينفكرون ﴿١٩﴾ والله يدعوا إلى دار السَّلَامِ ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿١٩﴾ إنما مثل الحياة الدنيا التي تتمتعون فيها في سرعة انقضائها كمثل مطر اختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس من الحبوب والثمار، ومما تأكل الأنعام من الحشيش وغيره، حتى إذا أخذت الأرض لونها الزاهي، وتجملت بما تنبت من أنواع النبات، وظن أهلها أنهم قادرون على حصاد ما أنبت وقطافه، جاءها قضاؤنا بإهلاكها، فصيرناها محصودة كأن لم تكن عامرة بالأشجار والنباتات في عهد قريب، كما بينا لكم حال الدنيا وسرعة انقضائها نبين الأدلة والبراهين لمن يتفكرون ويعتبرون.

﴿٢٥﴾ والله يدعوا جميع الناس إلى جنته التي هي دار السلام، يسلم فيها الناس من المصائب والهموم، ويسلمون من الموت، والله يوفق من شاء من عباده إلى دين الإسلام الموصل إلى دار السلام هذه.

﴿٢٥﴾ فَوَالَّذِينَ نَادَى:

- ١ - الله أسرع مكرًا بمن مكر عباده المؤمنين.
- ٢ - بيان ضعف الإنسان وإخلاصه لله الدعاء في الشدائد ونسيانه في الرخاء.
- ٣ - بغي الإنسان عائد على نفسه ولا يضر إلا نفسه.
- ٤ - بيان حقيقة الدنيا في سرعة انقضائها وزوالها، وما فيها من النعيم فهو فان.
- ٥ - ينبغي للإنسان ألا يغترَّ بالدنيا، ويعمل لآخرته.
- ٦ - الجنة هي مستقر المؤمن؛ لما فيها من النعيم والسلامة من المصائب والهموم.

٦٦) للذين أحسنوا بالقيام بما أوجبه الله عليهم من الطاعات، وترك ما حرم عليهم من المعاصي؛ المثوبة الحسنى، وهي الجنة، وهي زيادة عليها، وهي النظر إلى وجهه الكريم، ولا يغشى وجوههم غبار، ولا يغشاها هوان ولا خزي، أولئك المتصفون بالإحسان أصحاب الجنة هم فيها ماكتون.

٦٧) والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي لهم جزاء السيئة التي عملوها بمثلها من عقاب الله في الآخرة، وتغشى وجوههم ذلة وهوان، ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله إذا أنزله بهم، كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم من كثرة ما يغشاها من دخان النار وسوادها، أولئك المتصفون بتلك الصفات أصحاب النار هم فيها ماكتون أبداً.

٦٨) واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة حين نحشر جميع الخلائق، ثم نقول للذين أشركوا بالله في الدنيا: الزموا - أيها المشركون - مكانكم أنتم ومعبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله. ففرقنا بين المعبودين والعابدين، وتبرأ المعبودون من العابدين قائلين: ما كنتم إيانا تعبدون في الدنيا.

٦٩) هنا تتبرأ منهم آلهتهم التي عبدوها من دون الله قائلة: فإنا شاهد - وكفى به - أنا لم نرض بعبادتكم لنا، ولم نأمركم بها، وأنا لم

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ زَلْمَلٍ مِّمَّا أُوتِيَكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَا كَانَ لَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَوَيْلٌ لَنَا مِنْهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْمْ إِيانا تَعْبُدُونَ ﴿٦٨﴾ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلِينَ ﴿٦٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأُمُورَ فَيَسْئَلُونَ اللَّهَ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَالْحَقُّ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٧٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٣﴾

نشعر بعبادتكم.

٧٠) في ذلك الموقف العظيم تخبر كل نفس ما أمضت من عمل في حياتها الدنيا، ورد المشركون إلى ربهم الحق الذي هو الله الذي يتولى حسابهم، وذهب عنهم ما افتروه من شفاعة أصنامهم.

٧١) أيها الرسول - لهؤلاء المشركين بالله: من يرزقكم من جهة السماء بإنزال المطر عليكم، ومن يرزقكم من الأرض بما ينبت فيها من نبات، وبما تحويه من معادن، ومن يُخرج الحي من الميت كالإنسان من النطفة، والطيور من البيضة، ومن يُخرج الميت من الحي كالنطفة من الحيوان، والبيضة من الطير، ومن يدبر أمر السماوات والأرض وما فيهن من مخلوقات؟ فسيجيئون بأن فاعل ذلك كله هو الله، فقل لهم: أفلا تعلمون ذلك، وتتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؟

٧٢) فذلكم - أيها الناس - الذي يفعل ذلك كله هو الله الحق خالقكم، ومدبر أمركم، فماذا بعد الحق غير الضلال والضياغ؟! فكيف تصرفون عن الحق الجلي بأدلته إلى الباطل المحفوف بالشهوات والأهواء؟!

٧٣) كما ثبتت الربوبية الحققة لله وجبت - أيها الرسول - كلمة ربك القدرية على الذين خرجوا عن الحق عناداً أنهم لا يؤمنون.

فوائد من الآيات:

- ١ - الترغيب في إتيان الحسنات؛ لما يعقبها من النعيم والنظر إلى وجهه الكريم. ٢ - التحذير من عمل السيئات؛ لما يعقبها من العذاب والذل والهوان. ٣ - تتبرأ كل آلهة أيًا كانت ممن عبدها يوم القيامة. ٤ - يوم القيامة تنبأ كل نفس بما قدمت من خير أو شر. ٥ - بيان قدرة الله، وأنه على كل شيء قدير. ٦ - التوحيد في الربوبية والإشراك في الإلهية باطل، فلا بد من توحيدهما معاً. ٧ - إذا قضى الله بعدم إيمان قوم فإنهم لا يؤمنون.

﴿٣٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يئس الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته؟ قل لهم: الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يبعثه بعد موته، فكيف تصرفون - أيها المشركون - عن الحق إلى الباطل؟!

﴿٣٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هل من بين شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله من يرشد إلى الحق؟ قل لهم: الله وحده يرشد إلى الحق، فهل من يرشد الناس إلى الحق، ويدعوهم إليه أولى بأن يتبع أم معبوداتكم التي لا تهتدي بنفسها إلا أن يهديها غيرها؟! فما لكم كيف تحكمون بالباطل حين تزعمون أنهم شركاء لله؟! تعالى الله عن قولكم علواً كبيراً.

﴿٣٨﴾ وما يتبع معظم المشركين إلا ما لا علم لهم به، فما يتبعون إلا وهماً وشكاً، إن الشك لا يقوم مقام العلم، ولا يغني عنه، إن الله عليم بما يفعلونه، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿٣٩﴾ وما يصح لهذا القرآن المعجز في بلاغته وتشريعه أن يختلق، وينسب إلى غير الله لعجز الناس ضرورة عن الإتيان بمثله، ولكن كان مصدقاً لما نزل من الكتب قبله، ومبيناً لما أجمل فيها من الأحكام، فهو لا شك فيه أنه منزل من رب المخلوقات ﷻ.

﴿٤٠﴾ بل يقول هؤلاء المشركون: إن محمداً ﷺ اختلق هذا القرآن من نفسه، ونسبه إلى الله، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: إن كنت قد أثبت به من عندي وأنا بشر مثلكم فأتوا بآية من مثله، وادعوا من استطعتم دعاءه لمظاهرتكم إن كنتم صادقين فيما تدعون من أن القرآن مفترى، ولن تستطيعوا ذلك، وعجزكم - وأنتم أصحاب اللسان وأرباب الفصاحة - دال على أن القرآن منزل من عند الله.

﴿٤١﴾ فلم يجيبوا، بل كذبوا بهذا القرآن قبل أن يتدبروه، وما فهموه وما عرفوه، ولم يأتهم بعد ما أنذروا به العذاب، وقد اقترب إتيان ذلك، مثل هذا التكذيب كذبت الأمم السابقة، فنزل بها ما نزل من العذاب، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأمم المكذبة، فقد أهلكهم الله.

﴿٤٢﴾ ومن المشركين من سيصدق بالقرآن قبل موته، ومنهم من لا يصدق به عناداً ومكابرة حتى يموت، وربك - أيها الرسول - أعلم بالمصيرين على كفرهم، وسيجازيهم على كفرهم.

﴿٤٣﴾ فإن كذبك - أيها الرسول - قومك فقل لهم: لي ثواب عملي وأنا أتحمل تبعة عملي، ولكم ثواب عملكم وعليكم عقابه، أنتم بريئون من عقاب ما أعمل، وأنا بريء من عقاب ما تعملون.

﴿٤٤﴾ ومن المشركين من يستمع إليك - أيها الرسول - إذا قرأت القرآن استماعاً غير مقرون بقبول وإذعان، أفأنت تقدر على إسماع الصم؟! فكذلك لن تقدر على هداية هؤلاء الذين صموا عن سماع الحق فلا يعقلونه.

﴿٤٥﴾ فإلزام الآيات:

١ - إثبات عقيدة البعث بعد الموت. ٢ - الهادي إلى الحق هداية التوفيق هو الله وحده دون ما سواه. ٣ - الواجب في العقائد اتباع اليقين دون الظن. ٤ - إعجاز القرآن في بلاغته وتشريعه دليل على أن القرآن من عند الله. ٥ - ليس في مقدور أحد أن يأتي ولو بآية مثل القرآن الكريم إلى يوم القيامة. ٦ - بيان حال المشركين وتكذيبهم للنبي ﷺ وكبرهم وعنادهم.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّاكَ فَأَيُّنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْرِضُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِدُّونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ عَذَابِيَّةً أَوْ نَارًا مَّا ذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٩﴾ أَمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ وَقَعَتْ أَمْنٌ مِنْهُ لَكُمْ وَقَد كُنْتُمْ بِهِ سَاسِعِينَ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥١﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴿٥٢﴾ أَحَقُّ هُوَ قَوْلِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٢﴾ ومن المشركين من ينظر إليك - أيها الرسول - ببصره الظاهر لا ببصيرته، أفأنت تستطيع تبصير العمي؟! إنك لا تستطيع ذلك، وكذلك لا تستطيع هداية فاقد البصيرة.

﴿٤٣﴾ إن الله تنزه عن ظلم عباده، فهو لا يظلمهم مثقال ذرة، ولكنهم هم الذين يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك؛ بسبب التعصب للباطل والمكابرة والعدا.

﴿٤٤﴾ ويوم يحشر الله الناس يوم القيامة لحسابهم كان لم يمشوا في حياتهم الدنيا وفي برزخهم إلا ساعة من نهار لا أزيد، يعرف بعضهم بعضاً فيها، ثم تنقطع معرفتهم لشدة ما شاهدوا من أهوال القيامة، قد خسر الذين يكذبون بقاء ربهم يوم القيامة، وما كانوا مؤمنين في الدنيا بيوم البعث حتى يسلموا من الخسران.

﴿٤٥﴾ وإما نُرِيَنَّكَ - أيها الرسول - بعضاً مما وعدناهم به من العذاب قبل موتك، أو تتوفيتك قبل ذلك، ففي كلتا الحالتين إلينا رجوعهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على ما كانوا يعملون، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

﴿٤٦﴾ ولكل أمة من الأمم السابقة رسول أرسل إليهم، فإذا بلغهم ما أمر بتبليغه، وكذبه حكم بينهم وبينه بالعدل، فنجاه الله بفضلهم، وأهلكهم بعدله، وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئاً.

﴿٤٧﴾ ويقول هؤلاء الكفار معاندين ومتحدين:

متى زمن ما وعدتمونا به من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون؟

﴿٤٨﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لا أملك لنفسي نفعاً أنفعها به، ولا ضرراً أضرها به، فكيف ينفع غيري أو ضرره؟ إلا ما شاء الله من ذلك، فكيف لي أن أعلم غيبه؟ لكل أمة من الأمم توعدنا الله بهلاك زمن محدد لهلاكها، لا يعلمه إلا الله، فإذا جاء زمن هلاكها لم تتقدم عنه طرفة عين، ولم تتأخر.

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين للعذاب: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في أي وقت من ليل أو نهار، ما الذي تستعجلونه من هذا العذاب: الفرح والمسرة أم الحزن والندم؟ فلا تستعجلوه.

﴿٥٠﴾ أبعد أن يقع عليكم العذاب الذي وعدتموه تؤمنون حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل؟ أتؤمنون الآن، وقد كنتم تستعجلون العذاب من قبل على وجه التكذيب به؟!

﴿٥١﴾ ثم بعد إدخالهم في العذاب وطلبهم الخروج منه يقال لهم: ذوقوا العذاب الدائم في الآخرة، فهل تجزون إلا وفق ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي؟

﴿٥٢﴾ ويستخبرك - أيها الرسول - المشركون: أهدنا العذاب الذي وعدنا به حق؟ قل لهم: نعم، إنه - والله - لحق، ولستم بمفليتين منه.

﴿٥٣﴾ قولوا من الآيات:

١ - الإنسان هو الذي يورد نفسه موارد الهلاك، فالله مُنَزَّه عن الظلم. ٢ - الواجب على المؤمن إعداد العدة ليوم القيامة وما فيه من أهوال ومشاهد. ٣ - خسران من كذب بيوم القيامة ولقاء الله. ٤ - مهمة الرسول هي التبليغ، والله يحكم بينه وبين قومه إن هم كذبوه يوم القيامة. ٥ - النفع والضرر بيد الله ﷻ، فلا أحد من الخلق يملك لنفسه أو لغيره ضرراً ولا نفعاً. ٦ - لكل أمة أجل لا يعلمه إلا الله، فإذا جاء لا يتقدم طرفة عين ولا يتأخر. ٧ - لا ينفع الإيمان صاحبه عند معاينة الموت.

﴿٥٤﴾ ولو أن لكل مشرك بالله جميع ما في الأرض من أموال نفيسة لجعله فدية له من عذاب الله لو أتيح له أن يفتدي به، وأخفى المشركون الندم على كفرهم لما شاهدوا العذاب يوم القيامة، وقضى الله بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون، وإنما يجزون على أعمالهم. ﴿٥٥﴾ ألا إن الله وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، ألا إن وعد الله بعقاب الكافرين واقع لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك فيشكون.

﴿٥٦﴾ هو سبحانه يبعث الموتى، ويميت الأحياء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٥٧﴾ يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن فيه تذكير وترغيب وترهيب، وهو شفاء لما في القلوب من مرض الشك والارتباب، وإرشاد لطريق الحق، وفيه رحمة للمؤمنين، فهم المنتفعون به.

﴿٥٨﴾ قل - أيها الرسول - للناس: ما جاءكم به محمد ﷺ من القرآن هو فضل من الله عليكم، ورحمة منه بكم، بفضل الله عليكم ورحمته بكم، بإنزال هذا القرآن فافرحوا لا بسواهما، فما جاءهم به محمد ﷺ من ربه خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الزائل.

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين:

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يَظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ
وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ أَنزَلَ اللَّهُ
نَقْرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا اللَّهُ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

أخبروني عما من الله به عليكم من إنزال الرزق، فعملتم فيه بأهوائكم، فحرمتم بعضه، وأحللتم بعضه، قل لهم: هل الله أذن لكم في تحليل ما أحللتم، وتحريم ما حرمتم، أم أنكم تختلقون عليه الكذب؟

﴿٦٠﴾ وأي شيء يظنه مختلفو الكذب عليه واقعاً بهم يوم القيامة؟ أيعظون أن يغفر لهم؟ هيئات، إن الله لذو إفضال على الناس بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، ولكن أكثرهم جاحدون نعم الله عليهم فلا يشكرونها.

﴿٦١﴾ وما تكون - أيها الرسول - في أمر من الأمور، وما تقرأ من قرآن، وما تعملون - أيها المؤمنون - من عمل إلا كنا نراكم عالمين بكم ونسمعكم حين تقبلون عليه وتندفعون فيه، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة في السماء أو في الأرض، ولا أصغر من وزنها ولا أكبر، إلا وهو مسجل في كتاب واضح لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿٦٢﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتُونَ

١ - عظم ما ينتظر المشركين بالله من عذاب، حتى إنهم يتمنون دفعه بكل ما في الأرض، ولن يقبل منهم.

٢ - عقاب الله واقع على الكافرين لا محالة.

٣ - القرآن شفاء للمؤمنين من الأمراض القلبية لما فيه من الهدى والمواعظ.

٤ - ينبغي للمؤمن أن يفرح بنعمة الإسلام والإيمان دون غيرهما من حطام الدنيا.

٥ - تشريع الأحكام بالجلل والحُرمة هو من عند الله وحده.

٦ - ينبغي الشعور بمراقبة الله لنا في السر والعلن، فالله مطلع على كل أعمالنا.

٧ - كل ما يقوم به الإنسان فهو مسجل عند الله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

﴿١٢﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ حِظْوِظِ الدُّنْيَا.

﴿١٣﴾ هُوَلاءِ الْأَوْلِيَاءِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَصَفَّوْنَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَاتَّبَعَ رَسُولَهُ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ اللَّهَ بِأَمْثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿١٤﴾ لَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنْ رَبِّهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا بِمَا يَسْرَهُمْ بِرُؤْيَا صَالِحَةٍ أَوْ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمُ الْبَشَارَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْحَشْرِ، لَا خُلْفَ لِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِهِ، ذَلِكَ الْجِزَاءُ هُوَ النَّجَاحُ الْعَظِيمُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ نَيْلِ الْمَطْلُوبِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ.

﴿١٥﴾ وَلَا تَحْزَنْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِمَا يَقُولُهُ هُوَلاءِ مِنَ الطَّعْنِ وَالْقَدْحِ فِي دِينِكَ، إِنَّ الْقَهْرَ وَالْغَلْبَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، فَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، هُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِهِمْ، الْعَلِيمُ بِأَفْعَالِهِمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿١٦﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ مَلِكٌ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَلِكٌ مِنَ فِي الْأَرْضِ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَتَّبِعُهُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ؟ لَا يَتَّبِعُونَ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا الشُّكَّ، وَمَا هُمْ إِلَّا يَكْذِبُونَ فِي نَسْبَتِهِمُ الشُّرَكَاءَ إِلَى اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيرًا.

﴿١٧﴾ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّعَبِ، وَجَعَلَ

النَّهَارَ مَضِيئًا لِتَسْعُوا فِيهِ بِمَا يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ بِنَفْعٍ فِي مَعَاشِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَدَلَالًا وَاضِحَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سَمَاعَ اعْتِبَارٍ وَقَبُولٍ. ﴿١٨﴾ قَالَ فَرِيقٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: اتَّخَذَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ، تَقْدَسُ اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ الْغَنِيُّ عَنِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، لَهُ مَلِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَلِكٌ مَا فِي الْأَرْضِ، لَيْسَ عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بَرَهَانٌ عَلَى قَوْلِكُمْ هَذَا، أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا - إِذْ تَنْسِبُونَ إِلَيْهِ الْوَلَدَ - لَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ دُونَ بَرَهَانٍ؟!

﴿١٩﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: إِنَّ الَّذِينَ يَخْتَلِقُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ بِنَسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ لَا يَنْظُرُونَ بِمَا يُطَلَّبُونَهُ، وَلَا يَنْجُونَ مِمَّا يَرْهَبُونَهُ. ﴿٢٠﴾ فَلَا يَغْتَرُوا بِمَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ مِلْدَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، فَهُوَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ زَائِلٌ، ثُمَّ إِلَيْنَا رُجُوعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الْقَوِيَّ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ.

﴿٢١﴾ فَأُولَئِكَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - أولياء الله هم الذين يأمنون يوم القيامة، ولا يحزنون على ما فاتهم.
- ٢ - ولاية الله تكون لمن آمن به، وأمثلة أوامره، واجتنب نواهيها، واتبع رسوله ﷺ.
- ٣ - المؤمنون لهم البشرى من ربهم إما بالرؤيا الصالحة أو عند الموت وغيرها.
- ٤ - العزة لله جميعًا وحده، فهو مالك الملك، وما عُبد من دون الله لا حقيقة له.
- ٥ - الحث على التفكير في خلق الله؛ لأن ذلك يقود إلى الإيمان به وتوحيده.
- ٦ - عظم كفر من نسب إلى الله الولد.
- ٧ - حرمة الكذب على الله ﷻ، وأن صاحبه لن يفلح.
- ٨ - ما عند الكفار من متاع الدنيا قليل؛ لما ينتظرهم من العذاب، فينبغي للمؤمن ألا يغترَّ بذلك.

﴿٧١﴾ واقصص - أيها الرسول - على هؤلاء المشركين المكذابين خبر نوح عليه السلام حين قال لقومه: يا قوم، إن كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم، وشق عليكم تذكيري بآيات الله ووعظي، وعزمت على قتلي، فعلى الله وحده اعتمدت في إحباط ما تكيدون، فأحكموا أمركم، واعزموا على إهلاكه، وادعوا آلهتكم لتستعينوا بها، ثم لا يكن كيدكم سرًا مبهمًا، ثم بعد تدبيركم لقتلي أنهوا إلي ما تضرّبون، ولا تؤخروني لحظة.

﴿٧٢﴾ فإن كنتم قد عرضتم عن دعوتي فقد علمتم أنني ما طلبت منكم جزاء على تبليغكم رسالة ربي، ليس ثوابي إلا على الله، أنتم بي، أم كفرتم، وأمرني الله أن أكون من المنقادين له بالطاعة والعمل الصالح.

﴿٧٣﴾ فكذبه قومه، ولم يصدقوا به، فنجيناه هو ومن كان معه في السفينة من المؤمنين، وصبرناهم خلفًا لمن كان قبلهم، وأهلكنا الذين كذبوا بما جاء به من الآيات والحجج بالطوفان، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية أمر القوم الذين أنذرهم نوح عليه السلام، فلم يؤمنوا.

﴿٧٤﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى أقوامهم، فجاء الرسل أمهم بالمعجزات الباهرة والشرائع الطاهرة، فما كانت لهم إرادة أن يؤمنوا بسبب إصرارهم السابق على تكذيب الرسل، فختم الله على قلوبهم. مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين نختم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالمعجزات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قومًا مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٧٦﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الحق الذي جاء به موسى وهارون عليهما السلام قالوا: إن هذا الذي جاء به موسى من معجزتي العصا واليد لسحر واضح، وليس حقًا موحى به.

﴿٧٧﴾ قال موسى مستنكرًا عليهم: أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟! كلا، ما هو بسحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبدًا، فكيف لي بتعاطيه؟!

﴿٧٨﴾ أجب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أجتئنا بهذا السحر لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمصدقين.

﴿٧٩﴾ فإذ من الآيات:

﴿٧٩﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧٩﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَن أكونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ حَتَّافٍ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فِجَاءٌ وَهُمْ بِالْبَيْتِ كَذَّبُوا كَذَّبُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَيُّهَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِ كَذَلِكَ نَضَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٨٤﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨٥﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عِوَابًا وَمَا نَعْلَمُ بِهِ مِنْ آيَاتِنَا وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾

مثل هذا الختم الذي ختمنا به على قلوب أتباع الرسل الماضين نختم به على قلوب الكافرين المتجاوزين لحدود الله بالكفر في كل زمان ومكان.

﴿٧٥﴾ ثم بعد مدة من الزمن بعثنا من بعد هؤلاء الرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر والكبراء من قومه، بعثناهما بالمعجزات الدالة على صدقهما، فتكبروا عن الإيمان بما جاء به، وكانوا قومًا مجرمين؛ لكفرهم بالله وتكذيبهم لرسله.

﴿٧٦﴾ فلما جاء فرعون والكبراء من قومه الحق الذي جاء به موسى وهارون عليهما السلام قالوا: إن هذا الذي جاء به موسى من معجزتي العصا واليد لسحر واضح، وليس حقًا موحى به.

﴿٧٧﴾ قال موسى مستنكرًا عليهم: أتقولون للحق حين جاءكم: هو سحر؟! كلا، ما هو بسحر، وإني لأعلم أن الساحر لا يفلح أبدًا، فكيف لي بتعاطيه؟!

﴿٧٨﴾ أجب قوم فرعون موسى عليه السلام قائلين: أجتئنا بهذا السحر لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ويكون لك أنت ولأخيك الملك؟ وما نحن لكما - يا موسى وهارون - بمصدقين.

﴿٧٩﴾ فإذ من الآيات:

١ - الحث على التآسي بالسابقين؛ ففي سيرتهم العبر والمواعظ. ٢ - سلاح المؤمن في مواجهة أعدائه هو التوكل على الله. ٣ - ينبغي للمؤمن أن يطلب أجر دعوته من الله إلا للضرورة. ٤ - المؤمن عاقبته النجاة والفوز، والكافر عاقبته الخسران والنكال. ٥ - الإصرار على الكفر والتكذيب بالرسل يوجب الختم على القلوب فلا تؤمن أبدًا. ٦ - حال أعداء الرسل واحد، فهم دائمًا يصفون الهدى بالسحر أو الكذب. ٧ - إن الساحر لا يفلح أبدًا.

﴿٧٦﴾ وقال فرعون لقومه: جيئوني بكل ساحر خبير بالسحر متقن له.

﴿٧٧﴾ فلما جاؤوا فرعون بالسحرة قال لهم موسى ﷺ: وانفأ بانتصاره عليهم: اطرحوا - أيها السحرة - ما أنتم طارحوه.

﴿٧٨﴾ فلما طرحوا ما عندهم من السحر قال لهم موسى ﷺ: الذي أظهرتموه هو السحر، إن الله سيصير ما صنعتم باطلا لا أثر له، إنكم بسحركم مفسدون في الأرض، والله لا يصلح عمل من كان مفسداً.

﴿٧٩﴾ وبشبت الله الحق، ويمكن له بكلماته القدرية، وبما في كلماته الشرعية من الحجج والبراهين، ولو كره ذلك الكافرون المجرمون من آل فرعون.

﴿٨٠﴾ صمّم القوم على الإعراض، فما صدق بموسى ﷺ مع ما جاء به من المعجزات الظاهرة، والحجج الواضحة إلا شباب من قومه بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وكبراء قومه أن يصرفوهم عن إيمانهم بما يذيقونهم من العذاب إن كشف أمرهم، وإن فرعون لمتكبر متسلط على مصر وأهلها، وإنه لمن المتجاوزين للحد في الكفر والتقتيل والتعذيب لبني إسرائيل.

﴿٨١﴾ وقال موسى ﷺ لقومه: يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله إيماناً حقاً، فعلى الله وحده اعتمدوا

﴿٧٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ

﴿٧٧﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَأَنْتُمْ مُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا أَفْقَأُوا قَالَ

﴿٧٨﴾ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ

﴿٧٩﴾ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٩﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ

﴿٨٠﴾ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٠﴾ فَمَاءَ أَمِنَ لِمُوسَى إِذْ ذُرِّيَّتُهُ مَن قَوْمِهِ عَلَى

﴿٨١﴾ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ

﴿٨٢﴾ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٢﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ

﴿٨٣﴾ ءَأَمِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْتِهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ

﴿٨٤﴾ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَخِزْيَانِ

﴿٨٥﴾ بَرِحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ

﴿٨٦﴾ أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بَوَّءْنَا لِيُتَوَّأَ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

﴿٨٧﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى

﴿٨٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَأَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ

﴿٨٩﴾ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ

﴿٩٠﴾ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٠﴾

﴿٩١﴾ وَإِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ، فالتوكل على الله يدفع عنكم السوء، ويجلب لكم الخير.

﴿٩٠﴾ فأجابوا موسى ﷺ، فقالوا: على الله وحده توكلنا، ربنا لا تسلط علينا الظالمين، ففتنونا عن ديننا بالتعذيب والقتل والإغراء.

﴿٩١﴾ وخلصنا برحمتك - ربنا - من أيدي قوم فرعون الكافرين، فقد استعبدونا وأذونا بالتعذيب والقتل.

﴿٩٢﴾ وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون ﷺ أن اختاروا واتخذوا القوم كما بيوتاً لعبادة الله وحده، وصيروا بيوتكم متجهة إلى جهة القبلة (بيت المقدس)، واتوا بالصلاة كاملة، وأخبر - يا موسى - المؤمنين بما يسرهم من نصر الله وتأييدهم، وإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض.

﴿٩٣﴾ وقال موسى ﷺ: ربنا، إنك أعطيت فرعون والأشراف من قومه من زخرف الدنيا وبهارجها زينة، وأعطيتهم أموالاً في هذه الحياة الدنيا، فلم يشكروك على ما أعطيتهم، بل استعانوا بها على الإضلال عن سبيلك، ربنا اطمس على أموالهم بالمحو والمحو، واجعل قلوبهم قاسية، فلا يؤمنون إلا حين يشاهدون العذاب الموجه حين لا ينفعهم إيمانهم.

﴿٩٤﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

١ - الثقة بالله وينصره ينبغي أن تكون من صفات المؤمن القوي.

٢ - في النهاية النصر للحق مهما علا الباطل وطمع.

٣ - وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه وحده.

٤ - بيان أهمية الدعاء، وأنه من صفات المتوكلين.

٥ - تأكيد أهمية الصلاة ووجوب إقامتها في كل الأديان السماوية وفي كل الأحوال.

٦ - مشروعية الدعاء على الظالم.

١٨٦ قال الله: قد أجبنا دعاءكما - يا موسى وهارون - على فرعون وأشراف قومه، فاثبتنا على دينكما، ولا تنحرفا عنه إلى اتباع سبيل الجهال الذين لا يعلمون طريق الحق.

١٨٧ ويسرنا لني إسرائيل عبور البحر بعد فلقه حتى جاوزهه سالمين، فلحقهم فرعون وجنوده ظلمًا واعتداء، حتى إذا انطبق عليه البحر، وناله الغرق، ويس من النجاة. قال: آمنت أنه لا معبود بحق إلا الذي صدقت به بنو إسرائيل، وأنا من المتقادين لله بالطاعة.

ولما كانت معاناة الموت مانعة من قبول التوبة قال الله تعالى:

١٨٨ أتؤمن الآن بعد اليأس من الحياة؟! وقد عصيت - يا فرعون - الله قبل نزول العذاب بالكفر به، والصد عن سبيله، وكنت من المفسدين بسبب ضلالك في نفسك وإضلالك لغيرك.

١٨٩ فاليوم نخرجك - يا فرعون - من البحر، ونجعلك على مرتفع من الأرض؛ ليعتبر بك من يأتي بعدك، وإن كثيرًا من الناس عن حجبتنا ودلائل قدرتنا لغافلون، لا يتفكرون فيها.

١٩٠ ولقد أنزلنا بني إسرائيل منزلًا محمودًا ومكانًا مرضيًا في بلاد الشام المباركة،

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٦﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّمَ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨٧﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٨٨﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدِينِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ ءَأَيَّةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَأَيْتِنَا لَغٰفِلُونَ ﴿١٨٩﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِلَءٍ مَبُوءًا صِدْقِي وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يُضَيِّقُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩٠﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٩١﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا لِيَتَّخِذُوا اللَّهَ فَتَكُونَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿١٩٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَأَيَّةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٩٣﴾

ورزقناهم من الحلال الطيب، فما اختلفوا في أمر دينهم حتى جاءهم القرآن مصدقًا لما قرؤوه في التوراة من نعت محمد ﷺ، فلما أنكروا ذلك سلبت أوطانهم، إن ربك - أيها الرسول - يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي المحق والمبطل منهم بما يستحقه كل منهما.

١٩٤ فإن كنت - أيها الرسول - في ارتياب وحيرة من حقيقة ما أنزلنا إليك من القرآن فاسأل من آمن من اليهود الذين يقرؤون التوراة، والنصارى الذين يقرؤون الإنجيل، فسيخبرونك بأن الذي أنزل عليك حق؛ لما يجدون من نعتيه في كتابيهما، لقد جاءك الحق الذي لا مربة فيه من ربك، فلا تكونن من الشاكين.

١٩٥ ولا تكونن من الذين كذبوا بحجج الله وبراهينه فتكون بذلك من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم، وكل هذا التحذير لبيان خطورة الشك والتكذيب، وإلا فإن النبي معصوم عن أن يصدر منه شيء من هذا.

١٩٦ إن الذين ثبت عليهم قضاء الله بأنهم يموتون على الكفر لإصرارهم عليه لا يؤمنون أبدًا.

١٩٧ ولو أتتهم كل آية بيانية أو كونية حتى يشاهدوا العذاب الموجه، فيؤمنوا حين لا ينفعهم الإيمان.

فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ

١ - وجوب الثبات على الدين، وعدم اتباع سبيل المجرمين.

٢ - لا تقبل توبة من حشرجت روحه، أو عاين العذاب.

٣ - إن اليهود والنصارى كانوا يعلمون صفات النبي ﷺ، لكن الكبر والعناد هو ما منعهم من الإيمان.

﴿١٧١﴾ لم يحدث أن آمنت قرية من القرى التي أرسلنا إليها رسلنا إيماناً مُعْتَدًّا به قبل معاينة العذاب، فينفعها إيمانها لمجيئه قبل معاينته، إلا قوم يونس حين آمنوا إيماناً صادقاً رفعنا عنهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى وقت انقضاء آجالهم.

﴿١٧٢﴾ ولو شاء ربك - أيها الرسول - إيمان جميع من في الأرض لآمنوا، لكنه لم يشأ ذلك لحكمة، فهو يضل من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضل، فليس باستطاعتك إكراه الناس على أن يكونوا مؤمنين، فتوفيقهم للإيمان بيد الله وحده.

﴿١٧٣﴾ وما ينبغي لنفس أن تؤمن من تلقاء نفسها إلا أن يأذن الله، فلا يقع إيمان إلا بمشيئته، فلا تذهب نفسك حشرات عليهم، ويجعل الله العذاب والخزي على الذين لا يعقلون عنه حجة وأوامره ونواهي.

﴿١٧٤﴾ قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يسألونك الآيات: تأملوا ماذا في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته، وما ينفع إنزال الآيات وتبث الرسل في قوم ليس لهم استعداد أن يؤمنوا؛ لإصرارهم على الكفر.

﴿١٧٥﴾ فهل ينتظر هؤلاء المكذبون إلا مثل الوقائع التي أوقعها الله على الأمم المكذبة

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٧١﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٤﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٧٥﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا سُبْحَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٧﴾ وَأَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾

السابقة، قل - أيها الرسول - لهم: انتظروا عذاب الله، إني معكم من المنتظرين لوعد ربي.

﴿١٧١﴾ ثم نُزِّلْ بِهِمُ الْعِقَابَ، وَنُنَجِّي رُسُلَنَا، وَنُنَجِّي الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ، فَلَا يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ قَوْمَهُمْ، كَمَا أَنْجَيْنَا أَوْلَئِكَ الرِّسْلَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُمْ نُنَجِّي رَسُولَ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ إِجْنَاءَ حَقًّا ثَابِتًا عَلَيْنَا.

﴿١٧٢﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من ديني الذي أدعوكم إليه وهو دين التوحيد، فأنا على يقين من فساد دينكم فلا أتبعه، فلا أعبد الذين تعبدونهم من دون الله، ولكني أعبد الله الذي يميحكم، وأمرني أن أكون من المخلصين له الدين.

﴿١٧٣﴾ وأمرني كذلك أن أستقيم على الدين الحق، وأثبت عليه ماثلاً عن كل الأديان إليه، ونهاني أن أكون من المشركين به.

﴿١٧٤﴾ ولا تعبد - أيها الرسول - من دون الله من الأوثان والأصنام وغيرها ما لا يملك نفعاً فينفعك، ولا ضرراً فيضرك، فإن عبدتها فإنك إذن من الظالمين المعتدين على حق الله وحق أنفسهم.

﴿١٧٥﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الإيمان هو السبب في رفعة صاحبه إلى الدرجات العلى والتمتع في الحياة الدنيا.
- ٢ - ليس في مقدور أحد حمل أحد على الإيمان؛ لأن هذا من اختصاص الله وحده.
- ٣ - إثبات مشيئة الله، وأنه لا يكون شيء إلا بإذنه ومشيئته.
- ٤ - لا تنفع الآيات والنذر من أصر على الكفر وداوم عليه.
- ٥ - الإيمان ينجي صاحبه، والكفر يهلك صاحبه.
- ٦ - وجوب الاستقامة على الدين الحق، والبعد كل البعد عن الشرك والأديان الباطلة.

﴿١٧﴾ وإن يصبك - أيها الرسول - الله ببلاء، وطلبت صرفه عنك فلا صارف له إلا هو سبحانه، وإن يردك برخاء فلا أحد يرد فضله، يصب بفضله من يشاء من عباده، فلا مكره له، وهو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الناس، قد جاءكم القرآن منزلاً من ربكم، فمن اهتدى وآمن به فنفع ذلك عائد إليه؛ لأن الله غني عن طاعة عباده، ومن ضل فإن أثر ضلاله عليه وحده، فالله لا تضره معصية عباده، ولست عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم، وأحاسبكم عليها.

﴿١٩﴾ واتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك ربك واعمل به، واصبر على إيذاء من خالفك من قومك، وعلى تبليغ ما أمرت بتبليغه، واستمر على ذلك حتى يحكم الله فيهم بحكمه بنصرك عليهم في الدنيا، وبعذابهم في الآخرة إن ماتوا على كفرهم.

سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ

﴿٢٠﴾ مقصد السورة:

بيان منهج الرسل في مواجهة قومهم المكذبين.

﴿٢١﴾ التفسير:

﴿٢١﴾ الر: تقدم الكلام على نظائرها في سورة البقرة. القرآن كتاب أحكمت آياته، وأتقن نظمها، فلا ترى فيها خللاً ولا نقصاً، ثم بُيِّنَتْ

بذكر الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص وغير ذلك، من عند حكيم في تدبيره وتشريعه، خبير بأحوال عباده، وبما يصلحهم.

﴿٢٢﴾ مضمون هذه الآيات المنزلة على محمد ﷺ: نهي العباد أن يعبدوا مع الله غيره، إنني - أيها الناس - مُخَوِّفٌ لكم من عذاب الله إن كفرتم به وعصيتموه، ومبشركم بثوابه إن آمنتم به، وعملتكم بشرعه.

﴿٢٣﴾ واطلبوا - أيها الناس - مغفرة ذنوبكم من ربكم، وارجعوا إليه بالندم على ما فرطتم في جنبه، يمتعكم في حياتكم الدنيا متاعاً حسناً إلى وقت انقضاء آجالكم المحددة، ويعط كل من له فضل في الطاعة والعمل جزاء فضله كاملاً غير منقوص، وإن تُعْرِضُوا عن الإيمان بما جئت به من ربي فإني أخاف عليكم عذاب يوم شديد الأهوال وهو يوم القيامة.

﴿٢٤﴾ إلى الله وحده رجوعكم - أيها الناس - يوم القيامة، وهو سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، فلا يعجزه إحياءكم وحسابكم بعد موتكم وبعثكم.

﴿٢٥﴾ ألا إن هؤلاء المشركين يحنون ظهورهم، وينكسون رؤوسهم من رسول الله ﷺ، ألا حين يغطون رؤوسهم بشياهم حتى لا يرى رسول الله ﷺ إعراضهم عما جاء به، يعلم الله ما يكتُمون وما يظهرون، إنه عليم بالنيات التي تكون في الصدور، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٢٦﴾ فوائد من الآيات:

١ - إن الخير والشر والنفع والضر بيد الله دون ما سواه. ٢ - وجوب اتباع الكتاب والسنة والصبر على الأذى وانتظار الفرج من الله. ٣ - آيات القرآن محكمة لا يوجد فيها خلل ولا باطل، وقد فُصِّلَت الأحكام فيها تفصيلاً تاماً. ٤ - مقصد آيات القرآن هو نهي العباد عن عبادة غير الله. ٥ - وجوب المسارعة إلى التوبة والندم على الذنوب للئيل بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

١ وما من مخلوق يدب على وجه الأرض مهما كان إلا تكفل الله برزقه تفضلاً منه، ويعلم سبحانه موضع استقراره في الأرض، ويعلم موضع موته الذي يموت فيه، فكل من الدواب ورزقها ومواقع استقرارها ومواقع موتها، في كتاب واضح هو اللوح المحفوظ. وهو سبحانه الذي خلق السماوات والأرض على عظمهما، وخلق ما فيهما في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيكم أسوأ عملاً بما يسخطه، فيجازي كلاً بما يستحقه، ولئن قلت - أيها الرسول -: إنكم - أيها الناس - مبعوثون بعد موتكم لتحاسبوا ليقولن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث: ما هذا القرآن الذي تتلوه إلا سحر واضح، فهو باطل واضح البطلان.

٢ ولئن أخرنا عن المشركين ما يستحقون من العذاب في الحياة الدنيا إلى مدة أيام معدودة ليقولن مستعجلين له مستهزئين: أي شيء يحبس عنا العذاب؟ ألا إن العذاب الذي يستحقونه له أمد عند الله، ويوم يأتيهم لن يجدوا صارقاً يصرفه عنهم، بل يقع عليهم، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وسخرية.

٣ ولئن أعطينا الإنسان منا نعمة كنعمة الصحة والغنى، ثم سلبنا منه تلك النعمة إنه لكثير اليأس من رحمة الله، عظيم الكفران بنعمه، ينساها إذا سلبها.

٤ ولئن أذقناه سعة في الرزق وصحة بعد فقر ومرض أصابه ليقولن: ذهب السوء عني، وزال الضر، ولم يشكر الله على ذلك، إنه لكثير الفخر بطراً، وكثير التناول على الناس بما أنعم الله عليه.

٥ إلا الذين صبروا على المكاره والطاعات وعن المعاصي، وعملوا الأعمال الصالحات، فلهم حال آخر، حيث لا يصيبهم يأس، ولا كفر بنعم الله، ولا تناول على الناس، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم، ولهم جزاء كبير في الآخرة.

٦ فلعلك - أيها الرسول - لِمَا واجهته من كفرهم وعنادهم واقترحهم الآيات تارك تبليغ بعض ما أمرك الله بتبليغه مما يشق عليهم العمل به، وضائق صدرك بتبليغه لئلا يقولوا: هلاً أنزل عليه كنز يغيثه، أو جاء معه ملك يصدقه، فلا تترك بعض ما يوحى إليك من أجل ذلك، فما أنت إلا نذير، تبلغ ما أمرك الله بتبليغه، وليس عليك الإتيان بما يقترحونه من الآيات، والله على كل شيء حفيظ.

٧ فإذ من الآيات:

- ١ - سعة علم الله تعالى وتكفله بأرزاق مخلوقاته من إنسان وحيوان وغيرهما.
- ٢ - بيان علة الخلق؛ وهي اختبار العباد بامثال وأمر الله واجتنب نواهيها.
- ٣ - لا ينبغي الاغترار بإمهال الله تعالى لأهل معصيته، فإنه قد يأخذهم فجأة وهم لا يشعرون.
- ٤ - بيان حال الإنسان في حالتي السعة والشدة، ومدح موقف المؤمن المتمثل في الصبر والشكر.

﴿١٣﴾ بل أيقول المشركون: اختلق محمد القرآن، وليس وحياً من الله، قل - أيها الرسول - متحدياً إياهم: فأتوا بعشر سورٍ مثل هذا القرآن مُخْتَلَفَاتٍ لا تلتزمون فيها بصدق مثل القرآن الذي زعمتم أنه مُخْتَلَقٌ، وادعوا من استطعتم دعاءه؛ لتستعينوا به على ذلك، إن كنتم صادقين في دعوى أن القرآن مُخْتَلَقٌ.

﴿١٤﴾ فإن لم يأتوا بما طلبتم منهم لعجزهم عنه فاعلموا - أيها المؤمنون - علم يقين أن القرآن إنما أنزله الله بعلمه على رسوله، وليس مُخْتَلَقًا، واعلموا أن لا معبود بحق إلا الله، فهل أنتم مسلمون لله منقادون له بعد هذه الحجج القاطعة؟

﴿١٥﴾ من كان يريد بعمله الحياة الدنيا ومُتَعَمَّرًا الفانية، ولا يريد به الآخرة نعتهم ثواب أعمالهم في الدنيا: صحة، وأمنًا، وسعة في الرزق، لا يتقصون من ثواب عملهم شيئًا.

﴿١٦﴾ أولئك المتقصون بهذا القصد الذميمة ليس لهم يوم القيامة ثواب إلا النار يدخلونها، وذهب عنهم ثواب أعمالهم، وأعمالهم باطلة؛ لأنها لم يسبقها إيمان ولا قصد صحيح، فلم يريدوا بها وجه الله، والدار الآخرة.

﴿١٧﴾ لا يستوي النبي محمد ﷺ الذي معه برهان من ربه تعالى، ويشهد على صدقه القرآن

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ نُورَ اللَّهِ وَأَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْشُونَ
﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدًا مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْتَأْتِ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَمَ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنَ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

الكريم، ويشهد على نبوته التوراة التي أنزلت على موسى ﷺ لهداية الناس ورحمتهم، لا يستوي هو ومن آمن معه مع أولئك الكافرين المُتَحَبِّطِينَ في الضلال، أولئك يصدقون بالقرآن، وبمحمد ﷺ الذي أنزل عليه، ومن يكفر به من أصحاب الملل فالنار موعده يوم القيامة، فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب من القرآن ومن موعدهم، فهو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع تضافر الأدلة الواضحة والبراهين الجلية.

﴿١٨﴾ ولا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذبًا بنسبة الشريك أو الولد إليه، أولئك الذين يختلقون الكذب على الله يُعْرَضُونَ على ربهم يوم القيامة ليسألهم عن أعمالهم، ويقول الشهود عليهم من الملائكة والمرسلين: هؤلاء هم الذين كذبوا على الله بما نسبوه إليه من الشريك ومن الولد، ألا طرد الله من رحمته الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله.

﴿١٩﴾ الذين يصرفون الناس عن سبيل الله المستقيم، ويطلبون لسبيله الاعوجاج عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وهم ينكرون البعث بعد الموت، ويجحدونه.

﴿٢٠﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تحدي الله تعالى للمشركين بالإتيان بعشر سورٍ من مثل القرآن، وبيان عجزهم عن الإتيان بذلك.
- ٢ - إذا أعطي الكافر مبتغاه من الدنيا فليس له في الآخرة إلا النار.
- ٣ - بيان أنه لا يستوي من معه بينة من ربه وهم المسلمون، ومن لا بينة له إلا التقليد والجهل كالكفار بأصنافهم.
- ٤ - عظم ظلم من يفترى على الله الكذب.

﴿١٠﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات لم يكونوا لينجوا من الله في الدنيا إن أراد إنزال العذاب بهم، وليس لهم أولياء من دون الله يدفعون عقاب الله عنهم؛ يزداد عليهم العذاب يوم القيامة بسبب صرْفهم أنفسهم وصرْفهم غيرهم عن سبيل الله، ما كانوا في الدنيا يستطيعون سماع الحق والهدى سماع قبول، وما كانوا يبصرون آيات الله في الكون إبصاراً يفيدهم؛ لإعراضهم الشديد عن الحق.

﴿١١﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك باتخاذ الشركاء مع الله، وذهب عنهم ما كانوا يخلقونه من الشركاء والشفعاء.

﴿١٢﴾ حقاً إنهم يوم القيامة هم الأخسرون صفة، حيث استبدلوا الكفر بالإيمان، والدنيا بالآخرة، والعذاب بالرحمة.

﴿١٣﴾ إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، وخضعوا وخشعوا لله أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها ماثون أبداً.

﴿١٤﴾ مثل فريق الكفار والمؤمنين مثل الأعمى الذي لا يبصر، والأصم الذي لا يسمع، وهذا مثل فريق الكفار الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، ولا يبصرونه إبصاراً ينفعهم، ومثل السميع البصير، وهذا مثل فريق المؤمنين الذي

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١﴾ لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلَهِمِ ﴿١٧﴾ فَقَالَ الْأَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنِكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا بِالرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبُوتٍ مِنْ رَبِّي وَءَانَسِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتُ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْتُ مُكُومَهَا وَأُنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿١٩﴾

يجمع بين السمع والإبصار، هل يستوي هذان الفريقان حالاً وصفة؟! لا يستويان، أفلا تعتبرون بعدم استوائهما؟ ولما ظهر ما ظهر من إعراض المشركين عن الإيمان سلى الله نبيه ﷺ بأنه ليس هو أول من كُذِّب، وذلك بذكر قصص الأنبياء، فقال سبحانه:

﴿٢٥﴾ ولقد بعثنا نوحاً ﷺ رسولاً إلى قومه، فقال لهم: يا قوم، إني نذير لكم من عذاب الله، مبين لكم ما أرسلت به إليكم.

﴿٢٦﴾ وأدعوكم إلى عبادة الله وحده، فلا تعبدوا إلا إياه، إني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم.

﴿٢٧﴾ فقال الأشراف والرؤساء من قومه: لن نستجيب لدعوتك؛ لأنه لا مزية لك علينا، فأنت بشر مثلنا، ولأننا لا نراك اتبعك إلا سفلتنا من أول الرأي من غير تثبت ولا تحقق من أمرك، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه تؤهلكم لأن تتبعكم، بل نظنكم كاذبين فيما تدعون.

﴿٢٨﴾ قال لهم نوح: يا قوم، أخبروني إن كنت علي برهان من ربي يشهد لصدقي، ويوجب عليكم تصديقي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخفيت عليكم لجهلكم بها؛ أنجبركم على الإيمان بها، وندخله في قلوبكم كرهاً؟ لا تقدر على ذلك، فالذي يوفق للإيمان هو الله.

﴿٢٩﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الكافر لا ينتفع بسمعه وبصره انتفاعاً يقود للإيمان، فهي كالمُنتَفِية عنه بخلاف المؤمن.
- ٢ - سُنَّ الله في أتباع الرسل أنهم الفقراء والضعفاء، وخصومهم الأشراف والرؤساء.
- ٣ - تكبر الأشراف والرؤساء واحتقارهم لمن دونهم في غالب الأحيان.

﴿٣١﴾ ويا قوم، لا أطلبكم على تبليغ الرسالة مالا، فما ثوابي إلا على الله، ولست بطارد عن مجلسي الفقراء من المؤمنين الذين طلبتم طردهم، إنهم ملاقو ربهم يوم القيامة، وهو مجازيهم على إيمانهم، ولكني أراكم قوما لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة حين تطلبون طرد الضعفاء من المؤمنين.

﴿٣٢﴾ ويا قوم، من يدفع عني عذاب الله إن طردت هؤلاء المؤمنين ظلماً بغير ذنب؟ أفلا تتذكرون، وتسعون إلى ما هو أصح لكم وأنفع؟

﴿٣٣﴾ ولا أقول لكم - يا قومي - : عندي خزائن الله، أنفقها عليكم إن أمنتكم، ولا أقول لكم: إني أعلم الغيب، ولا أقول لكم: إني من الملائكة، بل أنا بشر مثلكم، ولا أقول عن الفقراء الذين تحقرهم أعينكم وتستصغروهم: لن يعطيهم الله توفيقاً ولا هداية، الله أعلم بنياتهم وأحوالهم، إني إن ادعيت ذلك لمن الظالمين الذين يستحقون عذاب الله.

﴿٣٤﴾ قالوا تَعْتَنَا وتكبراً: يا نوح، قد خاصمتنا وناظرتنا، فأكثرت مخاصمتنا ومناظرتنا، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

﴿٣٥﴾ قال لهم نوح: أنا لا آتيكم بالعذاب،

إنما آتيكم به الله إن شاء، وما أنتم بقادرين على الإفلات من عذاب الله إن أراد بكم عذاباً.

﴿٣٦﴾ ولا ينفعكم نصحي وتذكيري لكم، إن كان الله يريد أن يضلكم عن الصراط المستقيم، ويخذلكم عن الهداية بسبب عنادكم، هو ربكم، فهو الذي يملك أمركم، فيضلكم إن شاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٣٧﴾ وسبب كفر قوم نوح أنهم يزعمون أنه افترى على الله بهذا الدين الذي جاء به، قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته، فأنا إذا مجرم، وعليّ وحدي عقاب إجرامي، وإن كذبت بما جئت به من الحق عناداً وتكبراً فأنتم إذا مجرمون، ولا أتحمل من إجرامكم شيئاً، فأنا بريء منه.

﴿٣٨﴾ وأوحى الله إلى نوح: أنه لن يؤمن من قومك - يا نوح - إلا من قد آمن من قبل، فلا تحزن - يا نوح - بسبب ما كانوا يفعلونه من التكذيب والاستهزاء خلال تلك المدة الطويلة.

﴿٣٩﴾ واصنع السفينة بمرأى منا محفوظاً منا، وبوحينا بتعليمك كيف تصنعها، ولا تخاطبني طالباً إمهال الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، إنهم مُّعْرِقُونَ - لا محالة - بالطوفان؛ عقاباً لهم على إصرارهم على الكفر.

﴿٤٠﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الداعية إلى الله يرجو منه الثواب وحده.
- ٢ - حرمة طرد فقراء المؤمنين، ووجوب إكرامهم واحترامهم.
- ٣ - استئثار الله تعالى وحده بعلم الغيب.
- ٤ - مشروعية جدال الكفار ومناظرتهم.
- ٥ - لا ينفذ النصح لمن لم يرد الله هدايته.

﴿٣٨﴾ فامتثل نوح أمر ربه، وَطَفِقَ يصنع السفينة، وكلما مر عليه كبراء قومه وسادتهم استهزؤوا به؛ لما يقوم به من صنع السفينة وليس في أرضه ماء ولا أنهار، فلما تكرر استهزؤوا به؛ قال: إن تستهزؤوا - أيها الملاء - منا اليوم عندما نصنع السفينة، فإننا نستهزئ بكم لجهلكم بما يصير إليه أمركم من الغرق. ﴿٣٩﴾ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله وبهينه، وينزل عليه يوم القيامة عقاب دائم لا ينقطع.

﴿٤٠﴾ وأنهى نوح ﷺ صنع السفينة التي أمره الله بصنعها، حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم، وفار الماء من التنور الذي كانوا يخبزون فيه؛ إعلاماً ببدء الطوفان؛ قلنا لنوح ﷺ: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوان فوق الأرض زوجين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك إلا من سبق الحكم بأنه مغرق؛ لكونه لم يؤمن، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه من قومه إلا عدد قليل على طول المدة التي مكث فيها يدعوهم إلى الإيمان بالله.

﴿٤١﴾ وقال نوح لمن آمن من أهله وقومه: اركبوا في السفينة، باسم الله يكون جري السفينة، وباسمه يكون رُسُوقها، إن ربي غفور

وَيَصْنَعُ الْفُلَ وَكَلَّمَ مَرْعِيَةَ مَلَأً مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ أَنتَيْنِ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ نَجْرُهَا وَمُرْسُهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأُونَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَسَمَاءَكِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَالسُّوْتُ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿٤٦﴾

لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم، ومن رحمته بالمؤمنين أن أنجاهم من الهلاك.

﴿٤١﴾ والسفينة تجري بمن فيها من الناس وغيرهم في موج عظيم مثل الجبال، ونادى نوح ﷺ ابنه، وكان كافراً، وكان منفرداً عن أبيه وقومه في مكان: يا بني، آمن واركب معنا في السفينة؛ لتنجو من الغرق، ولا تكن مع الكافرين، فيصيبك ما أصابهم من الهلاك بالغرق.

﴿٤٢﴾ قال ابن نوح لنوح: سألجأ إلى جبل مرتفع؛ ليمنعني من وصول الماء إلي، قال نوح لابنه: لا مانع اليوم من عذاب الله بالغرق بالطوفان إلا من رحمته الله، فإنه يمنعه منه، وفرق الموج بين نوح وابنه الكافر، فكان ابنه من المغرقين بالطوفان لكفره.

﴿٤٣﴾ وقال الله للأرض بعد نهاية الطوفان: يا أرض، اشربي ما عليك من ماء الطوفان، وقال للسماء: يا سماء أمسكي، ولا ترسلي المطر، ونقص الماء حتى جفت الأرض، وأهلك الله الكافرين، ووقفت السفينة على جبل الجودي، وقيل: بُعداً وهلاكاً للقوم المتجاوزين لحدود الله بالكفر.

﴿٤٤﴾ ونادى نوح ﷺ ربه مستغيثاً به، فقال: يا رب، إن ابني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم، وإن وعدك هو الصدق الذي لا تخلف فيه، وأنت أعدل الحاكمين وأعلمهم.

﴿٤٥﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - بيان عادة المشركين في الاستهزاء والسخرية بالأنبياء وأتباعهم.
- ٢ - بيان سُنَّة الله في الناس وهي أن أكثرهم لا يؤمنون.
- ٣ - بيان قصة نوح مع قومه، وصدق وعد الله فيهم بالغرق والهلاك.

﴿٤٦﴾ قال الله لنوح: يا نوح، إن ابنك الذي سألتني إنجاءه ليس من أهلِكَ الذين وعدتكَ بإنجائهم؛ لأنه كافر، إن سؤالك يا نوح عمل غير مناسب منك، ولا يصلح لمن هو في مقامك، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أحذرك أن تكون من الجاهلين، فتسألني ما يخالف علمي وحكمتي.

﴿٤٧﴾ قال نوح ﷺ: رب، إني أستعين بك أن تعصمني من أن أسألك ما لا علم لي به، وإن لم تغفر لي ذنبي، وترحمني برحمتك، أكن من الخاسرين الذين خسروا حظوظهم في الآخرة.

﴿٤٨﴾ قال الله لنوح ﷺ: يا نوح، انزل من السفينة على الأرض بسلامة وأمن، وبنعم من الله كثيرة عليك، وعلى ذرية من كانوا معك في السفينة من المؤمنين يأتون من بعدك، وثمة أمم أخرى من ذريتهم كفرون ستمتعهم في هذه الحياة الدنيا، ونعطيهم ما يعيشون به، ثم ينالهم منا في الآخرة عذاب موجه.

﴿٤٩﴾ قصة نوح هذه من أخبار الغيب، ما كنت - أيها الرسول - تعلمها أنت، وما كان قومك يعلمونها من قبل هذا الوحي الذي أوحيناه إليك، فاصبر على أذى قومك وتكذيبهم كما

صبر نوح ﷺ، إن النصر والغلبة للذين يمثلون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

﴿٥٠﴾ وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ﷺ، قال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا معه أحدًا، ليس لكم معبود بحق غيره سبحانه، ولستم في دعواكم أن له شريكًا إلا كاذبين.

﴿٥١﴾ يا قوم، لا أطلبكم ثوابًا على ما أبلغكم من ربي، وأدعوكم إليه، ليس ثوابي إلا على الله الذي خلقني، أفلا تعقلون ذلك، وتستجيبون لما أدعوكم إليه؟

﴿٥٢﴾ ويا قوم، اطلبوا المغفرة من الله، ثم توبوا إليه من ذنوبكم - وأكبرها الشرك - بشيكم على ذلك بإنزال المطر الكثير، ويزدكم عزًا إلى عزكم بإكثار الذرية والأموال، ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه، فتكونوا من المجرمين بإعراضكم عن دعوتي، وكفركم بالله وتكذيبكم بما جئت به.

﴿٥٣﴾ قال قومه: يا هود، ما جئتنا بحجة جليلة تجعلنا نؤمن بك، ولسنا بتاركي عبادة آلهتنا من أجل قولك الخالي من حجة، ولسنا بمصدقين لك فيما تدعيه من أنك رسول.

﴿٥٤﴾ فواتر من الآيات:

- ١ - لا يملك الأنبياء الشفاعة لمن كفر بالله حتى لو كانوا أبناءهم.
- ٢ - بيان الغرض من سرد قصص الأنبياء، وهو تسلية النبي ﷺ والمؤمنين.
- ٣ - فضل الاستغفار والتوبة، وأنهما سبب إنزال المطر وزيادة الذرية والأموال.

﴿٥٤﴾ ما نقول إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بجنون لما كنت تنهاننا عن عبادتهم، قال هود: إني أشهد الله، وأشهدوا أتم أني بريء من عبادة آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، فامكروا بي أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها أصابتي بجنون، ثم لا تمهلوني.

﴿٥٥﴾ إني توكلت على الله وحده، واعتمدت عليه في أمري، فهو ربي وربكم، ما من شيء يدب على وجه الأرض إلا وهو تحت ملكه وسلطانه، يصرفه كيف يشاء، إن ربي على الحق والعدل، فلن يسطركم علي؛ لأنني على الحق وأتم على الباطل.

﴿٥٦﴾ فإن تتمادوا في الإعراض عما جئت به فما علي إلا إبلاغكم، وقد أبلغتكم كل ما أرسلني الله به، وأمرني بإبلاغه، وقد قامت عليكم الحجة، وسهلتكم ربي، ويأتي بقوم غيركم يخلفونكم، ولا تضرون الله ضرراً كبيراً ولا صغيراً بتكذيبكم وإعراضكم؛ لأنه غني عن عباده، إن ربي على كل شيء رقيب، فهو الذي يحفظني من السوء الذي تكيدوني به.

﴿٥٧﴾ ولما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا نالتهم، وسلمناهم من عذاب شديد عذبنا به قومه

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبْنَا بَعْضَ الْهَيْئَاتِ يَسُوءُ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ

وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدٍ فِي

جَمِيعَاتِهِمْ لَا تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا

مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ

رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ

﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ

مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ آدَاءُ جَحَدُوا بِآيَاتِ

رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِعَنَتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ عَادُوا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا

بَعْدَ الْإِعَادِ قَوْمٌ هُودٌ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ

يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ

وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي لَقَرِيبٌ مُّجِيبٌ

﴿٦١﴾ قَالُوا لَوْ يَصْلِحُ قَدِّكَتْ فِيمَا مَرَجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ

تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

﴿٦٣﴾ قَالُوا لَوْ يَصْلِحُ قَدِّكَتْ فِيمَا مَرَجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ

تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

﴿٦٣﴾ قَالُوا لَوْ يَصْلِحُ قَدِّكَتْ فِيمَا مَرَجُوا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ

تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

الكافرين.

﴿٥٤﴾ وتلك عاد كفروا بآيات الله ربهم، وعصوا رسولهم هوداً، وأطاعوا أمر كل متكبر على الحق، طاغ لا يقبله، ولا يدعن له.

﴿٥٥﴾ ولحقهم في هذه الحياة الدنيا الخزي والطرده من رحمة الله، وكذلك يوم القيامة هم مُبعدون من رحمة الله، وذلك بسبب كفرهم بالله تعالى، ألا فأبعدهم الله من كل خير، وقربهم من كل شر.

﴿٥٦﴾ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، هو خلقكم من تراب الأرض بخلق أبيكم آدم منه، وجعلكم عمارها، فاطلبوا منه المغفرة، إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة، مجيب من دعاه.

﴿٥٧﴾ قال له قومه: يا صالح، قد كنت فينا صاحب مكانة عالية قبل دعوتك هذه، فقد كنا نرجو أن تكون عاقلاً صاحب نصح ومشورة، أتتهانا - يا صالح - عن عبادة ما كان آبائنا يعبدونه؟ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه من عبادة الله وحده، يجعلنا نتهكم بالكذب على الله.

﴿٥٨﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - دعوة الرسل جميعاً واحدة، وهي الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

٢ - بيان جحود ومكابرة المشركين في كل زمان ومكان.

﴿١٢﴾ قال صالح ردًا على قومه: يا قوم، أخبروني إن كنت على حجة واضحة من ربي، وأعطاني منه رحمة وهي النبوة، فمن يمنعي من عقابه إن أنا عصيته بترك تبليغ ما أمرني بتبليغه إليكم؟ فما تزيدوني غير تضليل وبعد عن مرضاته.

﴿١٣﴾ ويا قوم، هذه ناقة الله معجزة ظاهرة لكم وعلامة على صدقي، فاتركوها ترعى في أرض الله، ولا تتعرضوا لها بأي أذى فينالكم عذاب قريب من وقت عقوبكم لها.

﴿١٤﴾ فكذبوه وعقروها إمعانًا في التكذيب، فقال لهم صالح: استمتعوا بالحياة في أرضكم مدة ثلاثة أيام من عقوبكم إياها، ثم يأتيكم عذاب الله، فإتيان عذابه بعد ذلك وعد واقع لا محالة غير مكذوب، بل هو وعد صدق.

﴿١٥﴾ فلما جاء أمرنا بإهلاكهم سلمنا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وسلمناهم من هوان ذلك اليوم وذلكه، إن ربك - أيها الرسول - هو القوي العزيز الذي لا يغالبه أحد، ولذلك أهلك الأمم المكذبة.

﴿١٦﴾ وأخذت الصيحة الشديدة ثمود فماتوا من شدتها، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿١٧﴾ كان لم يقيموا في بلادهم في نعمة ورغد عيش، ألا إن ثمود كفروا بالله ربهم، لا زالوا مُبْعِدِينَ من رحمة الله. ﴿١٨﴾ ولقد جاءت الملائكة في هيئة رجال إلى إبراهيم عليه السلام؛ مبشرين إياه وزوجته بإسحاق ثم يعقوب، فقال الملائكة: سلامًا، فرد عليهم إبراهيم بقوله: سلام، وذهب مسرعًا، فجاءهم بعجل مشوي؛ ليأكلوا منه ظنًا منه أنهم رجال.

﴿١٩﴾ فلما رأى إبراهيم أن أيديهم لا تصل إلى العجل، وأنهم لم يأكلوا منه استنكر ذلك منهم، وأخفى في نفسه الخوف منهم، فلما رأته الملائكة خوفه منهم قالوا: لا تخف منا، نحن بعثنا الله إلى قوم لوط لنعذبهم.

﴿٢٠﴾ وامرأة إبراهيم سارة قائمة، فأخبرناها بما يسرها، وهو أنها تلد إسحاق، ويكون لإسحاق ولد هو يعقوب، فضحكت فبشرنها بإسحاق ومن وراءه إسحق يعقوب ﴿٢١﴾

﴿٢٢﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - بيان سنة الله في الأولين أنه يبعث لهم الرسل مبشرين ومنذرين حتى تقوم الحجة عليهم، ثم يهلك الكافرين، وينجي المؤمنين.
- ٢ - آية صالح عليه السلام من أعظم الآيات، ولم يؤمن بها قومه.
- ٣ - استحباب تبشير المؤمن بما هو خير له.
- ٤ - مشروعية السلام لمن دخل على غيره، ووجوب الرد.
- ٥ - وجوب إكرام الضيف.

﴿٧٢﴾ قالت سارة لما بشرتها الملائكة بتلك البشرية متعجبة: كيف ألد وأنا عجوز، وهذا هذه الحالة شيء عجيب، لم تجر العادة به.

﴿٧٣﴾ قال الملائكة لسارة لِمَا تعجبت من البشرية: أتعجيبين من قضاء الله وقدره؟ فمثلك لا يخفى عليه أن الله قادر على مثل هذا، رحمة الله وبركاته عليكم - يا أهل بيت إبراهيم - إن الله حميد في صفاته وأفعاله، ذو مجد ورفعة.

﴿٧٤﴾ فلما ذهب عن إبراهيم ﴿٧٤﴾ الخوف الذي أصابه من ضيوفه الذين لم يأكلوا طعامه بعد علمه أنهم ملائكة، وجاء الخبر السار بأنه سيولد له إسحاق، ثم يعقوب، طفق يجادل رسلنا في شأن قوم لوط؛ لعلهم يؤخرون عنهم العذاب، ولعلهم ينجون لوطاً وأهله.

﴿٧٥﴾ إن إبراهيم حليم، يحب تأخير العقوبة، كثير التضرع إلى ربه، كثير الدعاء، تائب إليه.

﴿٧٦﴾ قال الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا الجدل في قوم لوط، إنه قد جاء أمر ربك بإيقاع العذاب الذي قدره عليهم، وإن قوم لوط آتيتهم عذاب عظيم، لا يردده جدال ولا دعاء.

﴿٧٧﴾ ولما جاءت الملائكة لوطاً في هيئة رجال ساءه مجيئهم، وضاق صدره بسبب الخوف عليهم من قومه الذين يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال لوط: هذا يوم شديد؛ لظنه أن قومه سيغالبنه على ضيوفه.

﴿٧٨﴾ وجاء قوم لوط لوطاً مسرعين قاصدين فعل الفاحشة بضيوفه، ومن قبل ذلك كان عاداتهم إتيان الرجال شهوة من دون النساء، قال لوط مدافعاً قومه: يا قوم، هؤلاء نساء قومي فتزوجوهن؛ فهن أظهر لكم من فعل الفاحشة، فخافوا من الله، ولا تجلبوا لي العار في ضيوفي، أليس منكم - يا قوم - رجل ذو رشد ينهاكم عن هذا الفعل القبيح؟! قال له قومه: لقد علمت - يا لوط - أنه ليس لنا حاجة في نساء قومك، ولا شهوة، وإنك لتعلم ما نريده، فلا نريد إلا الرجال.

﴿٨٠﴾ قال لوط: ليت لي قوة أدفعكم بها، أو عشيرة تمنعني، فأحول بينكم وبين ضيوفي.

﴿٨١﴾ قالت الملائكة للوط ﴿٨١﴾: يا لوط، إنا رسلُ الله، لن يصل إليك قومك بسوء، فأخرج بقومك من هذه القرية ليلاً في ساعة مظلمة، ولا ينظر أحدكم إلى ما وراءه إلا امرأتك ستلتفت مخالفة؛ لأنه سينالها ما نال قومك من العذاب، إن موعد إهلاكهم الصبح، وهو موعد قريب.

﴿٨٢﴾ فإنا من الآيات:

- ١ - بيان فضل ومنزلة أهل بيت إبراهيم ﴿٨٢﴾.
- ٢ - مشروعية الجدل عمن يُرجى له الإيمان قبل الرفع إلى الحاكم.
- ٣ - بيان منزلة خليل الله إبراهيم ﴿٨٣﴾.
- ٤ - بيان فظاعة وقبح عمل قوم لوط.

﴿٨٦﴾ فلما جاء أمرنا بإهلاك قوم لوط صبرنا عالي قراهم سافلها برفعها وقلبها بهم، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب مصفوف بعضها فوق بعض بتتابع.

﴿٨٧﴾ هذه الحجارة مُعَلِّمة عند الله بعلامة خاصة، وليست هذه الحجارة من الظالمين من قريش وغيرهم ببعيدة، بل هي قريبة متى قدر الله إنزالها عليهم نزلت.

﴿٨٨﴾ وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا، قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، ما لكم من معبود يستحق العبادة غيره، ولا تنقصوا الكيل والوزن إذا كلتم الناس أو وزنتموهم، إني أراكم في سعة من الرزق ونعمة، فلا تغيروا عليكم نعمة الله بالمعاصي، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط يدرك كل أحد منكم، لا تجدون منه مهربًا ولا ملجأ.

﴿٨٩﴾ ويا قوم، أتموا المكيال والميزان بالعدل إن كلتم أو وزنتم لغيركم، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئًا بالتطفيف والغش والخداع، ولا تفسدوا في الأرض بالقتل وغيره من المعاصي.

﴿٩٠﴾ بقیة الله التي يقيها لكم من الحلال بعد إيفاء حقوق الناس بالعدل أكثر نفعًا وبركة من الزيادة الحاصلة بالتطفيف والإفساد في

الأرض، إن كنتم مؤمنين حقًا فارضوا بتلك البقية، ولست عليكم برفيق أحصي أعمالكم، وأحاسبكم عليها،

﴿٩١﴾ قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب، أصلاتك التي تصلها لله تأمرك أن تترك عبادة ما كان آباؤنا يعبدونه من الأصنام، وتأمرك أن تترك التصرف في أموالنا بما نشاء، وننميها بما نشاء؟! إنك لأنت الحليم الرشيد، فإنك أنت العاقل الحكيم كما عرفناك قبل هذه الدعوة، فما الذي أصابك؟

﴿٩٢﴾ قال شعيب لقومه: يا قوم، أخبروني عن حالكم إن كنت على برهان واضح من ربي، وبصيرة منه، ورزقني منه رزقًا حلالًا، ومنه النبوة، وما أريد أن أنهاكم عن شيء وأخالفكم في فعله، لا أريد إلا إصلاحكم بدعوتكم إلى توحيد ربكم وطاعته قدر استطاعتي، وما توفيقني إلى الحصول على ذلك إلا بالله سبحانه، عليه وحده توكلت في جميع أموري، وإليه أرجع.

﴿٩٣﴾ فَوَالَّذِينَ آتَيْنَا:

- ١ - من سنن الله إهلاك الظالمين بأشد العقوبات وأقطعها.
- ٢ - حرمة نقص الكيل والوزن ويخس الناس حقوقهم.
- ٣ - وجوب الرضا بالحلال وإن قل.
- ٤ - حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد.
- ٥ - فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب العمل بما يأمر الله به، والانتفاء عما ينهى عنه.

﴿١٩﴾ ويا قوم، لا تَحْمِلْنَكُمْ عداوتي على التَكْذِيبِ بما جئت به؛ خوف أن ينالكم من العذاب مثل ما نال قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، وما قوم لوط منكم ببعيد، لا زماناً ولا مكاناً، وقد علمتم ما أصابهم، فاعتبروا.

﴿٢٠﴾ واطلبوا المغفرة من ربكم، ثم توبوا إليه من ذنوبكم، إن ربي رحيم بالتائبين، كثير المحبة لمن تاب منهم.

﴿٢١﴾ قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب، ما نفهم كثيراً مما جئت به، وإنا لنراك فينا ضعيفاً، فلست من الكبراء والسادة، ولولا أن عشيرتك على ملتنا لقتلناك بالرمي بالحجارة، ولست علينا بعزير حتى نهاب قنلك، وإنما تركنا قنلك احتراماً لعشيرتك.

﴿٢٢﴾ قال شعيب لقومه: يا قوم، أعشيرتي أكرم عندهم وأعز من الله ربكم؟! وتركتهم الله وراءكم منبوذاً حين لم تؤمنوا بنبية الذي بعثه إليكم، إن ربي بما تعملون محيط، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها في الدنيا بالإهلاك، وفي الآخرة بالعذاب.

﴿٢٣﴾ ويا قوم، اعملوا ما تستطيعونه على طريقتكم التي ارتضيتموها، إني عامل على طريقتي التي ارتضيتها بما أستطيعه، سوف تعلمون من منا يأتيه عذاب يذله عقاباً له، ومن منا هو كاذب فيما يدعيه، فانتظروا ما يقضي به الله، إني معكم منتظر.

﴿٢٤﴾ ولما جاء أمرنا بإهلاك قوم شعيب أنقذنا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأصابت الذين ظلموا من قومه الصيحة الشديدة فماتوا، وأصبحوا ساقطين على وجوههم، قد لصقت وجوههم بالتراب.

﴿٢٥﴾ كأن لم يقيموا فيها من قبل، ألا بُعدت مدين من رحمة الله بحلول نعمته عليهم، كما طردت منها ثمود بإنزال سخطه عليهم.

﴿٢٦﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الدالة على توحيد الله، وبحججنا الواضحة الدالة على صدق ما جاء به. أرسلناه إلى فرعون والأشرف من قومه، فاتبع هؤلاء الأشرف أمر فرعون لهم بالكفر بالله، وليس أمر فرعون بأمر ذي رشد حتى يتبع.

﴿٢٧﴾ فاولئك من الآيات:

- ١ - ذم الجهلة الذين لا يفقهون عن الأنبياء ما جاؤوا به من الآيات.
- ٢ - ذم وتسفيه من اشتغل بأوامر الناس، وأعرض عن أوامر الله.
- ٣ - بيان دور العشيبة في نصره الدعوة والدعاة.
- ٤ - طرد المشركين من رحمة الله تعالى.

﴿١٨١﴾ يتقدم فرعون قومه يوم القيامة حتى يدخلهم النار وإياه، وساء المَورِد الذي يوردهم إليه.

﴿١٨٢﴾ وأتبعهم الله في الحياة الدنيا لعنة وطرْدًا وإبعادًا من رحمته مع ما أصابهم من الهلاك بالغرق، وأتبعهم طردًا وإبعادًا منها يوم القيامة، ساء ما حصل لهم من ترادف اللعنتين والعذاب في الدنيا والآخرة.

﴿١٨٣﴾ ذلك المذكور في هذه السورة من أخبار القرى نخبرك - أيها الرسول - به، من هذه القرى ما هو قائم المعالم، ومنها ما مُجِيت معالمه، فلم يبق له أثر.

﴿١٨٤﴾ وما ظلمناهم بما أصبناهم به من هلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بكفرهم بالله، فما دفعت عنهم آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ما نزل بهم من عذاب حين جاء أمر ربك - أيها الرسول - بإهلاكهم، وما زادتهم آلهتهم هذه إلا خسارًا وهلاكًا.

﴿١٨٥﴾ وكذلك الأخذ والاستصال الذي أخذ الله به القرى المكذبة في كل زمان ومكان، إن أخذه للقرى الظالمة أخذ مؤلم قوي.

﴿١٨٦﴾ إن في أخذ الله الشديد لتلك القرى الظالمة لعبرة وعظة لمن خاف عذاب يوم

القيامة، ذلك اليوم الذي يجمع الله له الناس لمحاسبتهم، وذلك يوم مشهود يشهده أهل المحشر.

﴿١٨٧﴾ ولا نُؤخر ذلك اليوم المشهود إلا لأجل معلوم العدد.

﴿١٨٨﴾ يوم يأتي ذلك اليوم لا تتكلم أي نفس بحجة أو شفاعة إلا بعد إذنه، والناس فيه نوعان: شقي يدخل النار، وسعيد يدخل الجنة.

﴿١٨٩﴾ فأما الأشقياء لكفرهم وفساد أعمالهم فيدخلون في النار، ترتفع فيها أصواتهم وأنفاسهم من شدة ما يعانون من لهيها.

﴿١٩٠﴾ ماكثون فيها أبدًا، لا يخرجون منها ما دامت السماوات والأرض، إلا من شاء الله إخراجهم من عصاة الموحدين، إن ربك - أيها الرسول - فعّال لما يريد، فلا مُستكبر له سبحانه.

﴿١٩١﴾ وأما السعداء الذين سبقت لهم السعادة من الله لإيمانهم وصلاح أعمالهم فهم في الجنة ماكثون فيها أبدًا ما دامت السماوات والأرض إلا من شاء الله إدخاله النار قبل الجنة من عصاة المؤمنين، إن نعيم الله لأهل الجنة غير مقطوع عنهم.

﴿١٩٢﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التحذير من اتباع رؤساء الشر والفساد، وبيان شوْم اتباعهم في الدارين.

٢ - تنزه الله تعالى عن الظلم في إهلاك أهل الشرك والمعاصي.

٣ - لا تنفع آلهة المشركين عابديها يوم القيامة، ولا تدفع عنهم العذاب.

٤ - انقسام الناس يوم القيامة إلى: سعيد خالد في الجنان، وشقي خالد في النيران.

﴿١٤٦﴾ فلا تكن - أيها الرسول - في ارتياب وشك

من فساد ما يعبد هؤلاء المشركون، فليس لهم على صحته برهان عقلي ولا شرعي، وإنما الحامل لهم على عبادة غير الله تقليدهم لأبائهم، وإنما لُمْتُونُ لهم نصيبهم من العذاب دون نقص.

﴿١٤٧﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فاختلف الناس فيها، فأمن بعضهم بها، وكفر بعض، ولولا قضاء من الله سبق أنه لا يُعَجَّلُ العذاب، بل يؤخره إلى يوم القيامة لحكمة، لنزل بهم ما يستحقون من العذاب في الدنيا، وإن الكافرين من يهود ومشركين لفي شك من القرآن موقع في الارتياب.

﴿١٤٨﴾ وإن كل من ذُكِرَ من المختلفين لِيُتِمَّنَ له ربك - أيها الرسول - جزاء أعمالهم، فما كان خيرا كان جزاؤه خيرا، وما كان شرا كان جزاؤه شرا، إن الله بما يعملونه خبير، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

﴿١٤٩﴾ فاستقم - أيها الرسول - كما أمرك الله، فامتثل أوامره، واجتنب نواهيه، وليستقم من تاب معك من المؤمنين، ولا تتجاوزوا الحد بارتكاب المعاصي، إنه بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿١٥٠﴾ ولا تميلوا إلى الكفار الظالمين بمداهنة أو مودة، فتصيبكم النار بسبب ذلك الميل، وليس لكم من دون الله أولياء ينقذونكم منها، ثم لا تجدون من ينصركم.

﴿١٥١﴾ وأتم - أيها الرسول - الصلاة على أحسن وجه في طرفي النهار وهما أول النهار وآخره، وأقمها في ساعات من الليل، إن الأعمال الصالحات يمحو صغائر الذنوب، ذلك المذكور موعظة للمتقين، وعبرة للمعتبرين.

﴿١٥٢﴾ واصبر على فعل ما أمرت به من الاستقامة وغيرها، وعلى ترك ما نهيت عنه من الطغيان والركون إلى الظلمة، إن الله لا يطل ثواب المحسنين، بل يتقبل منهم أحسن الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون.

﴿١٥٣﴾ فهلا كان من الأمم المعذبة قبلكم بقية من أهل الفضل والصلاح يهتدون تلك الأمم عن الكفر، وعن الفساد في الأرض بالمعاصي، لم تكن منهم تلك البقية، إلا قليل منهم كانوا يهتدون عن الفساد، فأنجيناهم حين أهلكنا قومهم الظالمين، واتبع الظالمون من أقوامهم ما هم فيه من النعيم، وكانوا ظالمين باتباعهم ذلك.

﴿١٥٤﴾ وما كان ربك - أيها الرسول - ليهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض، إنما يهلكها إن كان أهلها مفسدين بالكفر والظلم والمعاصي.

﴿١٥٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - سبق قضاء الله بتأخر العذاب في الدنيا إلى يوم القيامة، لحكمة أرادها سبحانه.
- ٢ - وجوب الاستقامة على دين الله تعالى.
- ٣ - التحذير من الركون إلى الكفار الظالمين بمداهنة أو مودة.
- ٤ - بيان أوقات الصلوات الخمس في طرفي النهار وفي زلف من الليل.
- ٥ - بيان سُنة الله تعالى في أن الحسنة تمحو السيئة.
- ٦ - الحث على إيجاد جماعة من أولي الفضل يأمرهم بالمعروف، وينهون عن الفساد والشر.
- ٧ - سُنة الله تعالى في أنه لا يهلك قرية من القرى إذا كان أهلها مصلحين في الأرض.

﴿١٧٨﴾ ولو شاء ربك - أيها الرسول - أن يجعل الناس أمة واحدة على الحق لفعّل، لكنه لم يشأ ذلك، فلا يزالون مختلفين فيه بسبب اتباع الهوى والبغي.

﴿١٧٩﴾ إلا من رحمهم الله بالتوفيق للهداية، فإنهم لا يختلفون في توحيد سبحانه، ولذلك الاختبار باختلاف خلقهم سبحانه، فمنهم شقي وسعيد، وتمت كلمة ربك - أيها الرسول - التي قضاها في الأزل بملء جهنم من اتباع الشيطان من الجن والناس.

﴿١٨٠﴾ وكل خبر نقصه عليك - أيها الرسول - من أخبار الرسل من قبلك نقصه لتثبت به قلبك على الحق ونقويّه، وجاءك في هذه السورة الحق الذي لا شك فيه، وجاءك فيها موعظة للكافرين، وذكرى للمؤمنين الذين ينتفعون بالذكرى.

﴿١٨١﴾ وقل - أيها الرسول - للذين لا يؤمنون بالله، ولا يوحّدونه: اعملوا على طريقكم في الإعراض عن الحق والصد عنه، إنا عاملون على طريقنا من الثبات عليه، والدعوة له، والصبر عليه.

﴿١٨٢﴾ وترقبوا ما ينزل بنا، إنا مترقبون ما ينزل بكم. ﴿١٨٣﴾ والله وحده علم ما غاب في السماوات، وما غاب في الأرض، لا يخفى عليه شيء منه، وإليه وحده يرجع الأمر جميعه يوم القيامة، فاعبده - أيها الرسول - وحده، وتوكل عليه في كل أمورك، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو عليم به، وسيجازي كلاً بما عمل.

﴿١٧٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَرِأُونَ مَخْلِفِينَ

﴿١٧٩﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

لَا تَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٨٠﴾ وَكَلَّا نَقْصُ

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۗ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ

الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨١﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ

﴿١٨٣﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ

فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

﴿١٨٤﴾

﴿١٨٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّةَ ۗ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ۗ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ

لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

مَكَّةَ

﴿١﴾ مقصد السورة:

هذه السورة تركز على الوعد بالتمكين بعد الابتلاء المبين، تبيّناً ووعداً للنبي ﷺ وللمؤمنين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ ﴿الر﴾ سبق الكلام عليها وعلى نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه الآيات التي أنزلت في هذه السورة من آيات القرآن الواضح فيما اشتمل عليه.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا القرآن بلغة العرب لعلمكم - أيها العرب - تفهمون معانيه.

﴿٣﴾ نحن نقص عليك - أيها الرسول - أحسن القصص لصدقها وسلامة ألفاظها وبلاغتها، بإنزالنا عليك هذا القرآن، وإنك كنت من قبل إنزاله من الغافلين عن هذا القصص، لا علم لك به.

﴿٤﴾ نخبرك - أيها الرسول - حين قال يوسف لأبيه يعقوب: يا أبت، إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً، ورأيت الشمس والقمر، رأيت كل أولئك لي ساجدين، فكانت هذه الرؤيا عاجل بشرى ليوسف ﷺ.

﴿٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - ذمّ الخلاف. ٢ - بيان الحكمة من القصص القرآني، وهي تثبيت قلب النبي ﷺ وموعظة المؤمنين. ٣ - انفراد الله تعالى بعلم الغيب لا يشركه فيه أحد. ٤ - الحكمة من نزول القرآن قريباً أن يعقله العرب؛ ليلغوه إلى غيرهم.
- ٥ - اشتمال القرآن على أحسن القصص.

١٠ قال يعقوب لابنه يوسف: يا بني، لا تذكر رؤياك لإخوتك، فيفهموها، ويحسدوك، فيدبروا لك مكيدة حسداً منهم، إن الشيطان للإنسان عدو واضح العداوة.

١١ وكما رأيت تلك الرؤيا يختارك - يا يوسف - ربك، ويعلمك تعبير المرآئي، ويكمل نعمته عليك بالجمع بين النبوة والملك كما أتم نعمته على أبويك من قبلك: إبراهيم وإسحاق بما أنعم عليهما من النعم الدينية والدنيوية، إن ربك عليم بخلقه، حكيم في تدبيره.

١٢ لقد كان في يوسف، وخبر إخوته عبر وعظات للسائلين عن أخبارهم.

١٣ حين قال إخوته فيما بينهم: ليوسف وأخوه الشقيق أحب إلى أبينا منا ونحن جماعة ذوو عدد، فكيف فضلهما علينا؟ إنا لنراه في خطأ بين حين فضلهما علينا من غير سبب يظهر لنا.

١٤ اقتلوا يوسف، أو غيبوه في أرض بعيدة يخلص لكم وجه أبيكم فيحبكم حباً كاملاً، وتكونوا من بعد ما تقدمون عليه من قتله أو تغيبه قوماً صالحين، حين تتوبون من ذنبيكم.

١٥ قال أحد الإخوة: لا تقتلوا يوسف، ولكن ارموه في قعر البئر يأخذه بعض المسافرين الذين يمرون به، فهذا أخف ضرراً من قتله، إن كنتم عازمين على ما قلمت بشأنه.

١٦ ولما اتفقوا على إبعاده قالوا لأبيهم يعقوب: يا أبانا، ما لك لا تجعلنا أمناء على يوسف؟ وإنا لمشفقون عليه نرعاه مما يضره، ونحن ناصحون له بحفظه ورعايته حتى يعود إليك سالمًا، فما الذي يمنعك من إرساله معنا؟

١٧ اسمح لنا بأخذه معنا غداً يتنزه ويستأنس، وإنا له لحافظون من كل أذى يصيبه.

١٨ قال يعقوب لأبنائه: إني ليحزني ذهابكم به؛ لأنني لا أصبر على فراقه، وأخاف عليه من أن يأكله الذئب وأنتم لاهون عنه بالرتع واللعب.

١٩ قالوا لأبيهم: لئن أكل الذئب يوسف ونحن جماعة إنا في هذه الحال لا خير فينا، فنحن خاسرون إذ لم نمنعه من الذئب.

٢٠ فإنا من الآيات:

١ - ثبوت الرؤيا شرعاً، وجواز تعبيرها.

٢ - مشروعية كتمان بعض الحقائق إن ترتب على إظهارها شيء من الأذى.

٣ - بيان فضل ذرية آل إبراهيم واصطفائهم على الناس بالنبوة.

٤ - الميل إلى أحد الأبناء بالحب يورث العداوة والحسد بين الإخوة.

﴿١٥﴾ فَأَرْسَلَهُ يَعْقُوبُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ
بَعِيدًا، وَعَزَمُوا عَلَى رَمِيهِ فِي قَعْرِ الْبَيْتِ،
وَأَوْحَيْنَا إِلَى يُوسُفَ فِي هَذِهِ الْحَالِ:
لَتُخْبِرَنَّهُمْ بِصَنِيْعِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِكَ
حَالَ إِخْبَارِكَ لَهُمْ.

﴿١٦﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ أَبَاهُمْ وَقْتَ الْعِشَاءِ
يَتَبَاكُونَ تَرْوِيحًا لِمَكْرِهِمْ.

﴿١٧﴾ قَالُوا: يَا أَبَانَا، إِنَّا ذَهَبْنَا تَسَابِقَ عَلَى
الْأَرْجْلِ وَتَرَامَى بِالنَّبَالِ، وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ
ثِيَابِنَا وَأَزْوَادِنَا لِيَحْفَظَهَا، فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ،
وَلَسْتُ بِمَصْدُقٍ لَنَا، وَإِنْ كُنَّا فِي الْوَأَقِعِ
صَادِقِينَ فِيمَا أَخْبَرْنَاكَ بِهِ.

﴿١٨﴾ وَأَكْدُوا خَبْرَهُمْ بِحِيلَةٍ، فَجَاؤُوا بِقَمِيصِ
يُوسُفَ مَلَطَحًا بِدَمٍ غَيْرِ دَمِهِ، مُوَهِّمِينَ أَنَّهُ أَثَرُ
أَكْلِ الذَّنْبِ لَهُ، فَفَطَنَ يَعْقُوبُ - بِقَرِينَةِ أَنْ
الْقَمِيصِ لَمْ يُمَرِّقْ - لِكَذِبِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ
الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرْتُمْ، بَلْ زَيَّنْتُمْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ
أَمْرًا سَيِّئًا صَنَعْتُمُوهُ بِهِ، فَأَمْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ لَا
جَزَعُ فِيهِ، وَاللَّهِ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ الْعَوْنُ عَلَى مَا
تَذَكَّرُونَهُ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ.

﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ قَافِلَةٌ مَأْرَةٌ، فَبِعَثُوا مِنْ يَسْتَقِي
لَهُمُ الْمَاءَ، فَأَرْسَلَ دُلُوهُ فِي الْبَيْتِ، فَتَعَلَّقَ
يُوسُفَ بِالْحَبْلِ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ مَرَسَلَهَا قَالَتْ
مَسْرُورًا: يَا بَشْرَايَ هَذَا غَلَامٌ، وَأَخْفَاهُ

وَأَرَادَهُمْ وَيَبْعُضُ أَصْحَابِهِ عَنِ قَبِيْعَةِ الْقَافِلَةِ زَاعِمِينَ أَنَّهُ بَضَاعَةٌ اسْتَبْضَعُوهَا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَهُ بِيُوسُفَ مِنْ
الْإِبْتِدَالِ وَالْبَيْعِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِمْ شَيْءٌ.

﴿٢٠﴾ وَبَاعَهُ الْوَارِدُ وَأَصْحَابَهُ بِمِصْرَ بَشْمَنَ زَهِيدٍ، فَهُوَ دِرَاهِمٌ سَهْلَةٌ الْعَدْلُ لَقَلَّتْهَا، وَكَانُوا مِنَ الزَّاهِدِينَ فِيهِ لِحِرْصِهِمْ
عَلَى التَّخْلِصِ مِنْهُ سَرِيْعًا، فَقَدْ عَلِمُوا مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَمْلُوكٍ، وَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَهْلِهِ، وَهَذَا مِنْ
تَمَامِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى مَعَهُمْ طَوِيلًا.

﴿٢١﴾ وَقَالَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ: أَحْسَنِي إِلَيْهِ، وَأَكْرَمِيهِ فِي مَقَامِهِ مَعْنًا؛ لَعَلَّهُ يَنْفَعُنَا فِي الْقِيَامِ
بِبَعْضِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ، أَوْ نُصَيِّرُهُ وَلَدًا بِالتَّبْيِي، وَكَمَا أَنْجَيْنَا يُوسُفَ مِنَ الْقَتْلِ، وَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْبَيْتِ، وَعَطَفْنَا عَلَيْهِ
قَلْبَ الْعَزِيزِ مَكْنًا لَهُ فِي مِصْرَ، وَلِنَعْلِمَهُ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، فَأَمْرُهُ نَافِذٌ، فَلَا مَكْرَهُ لَهُ سَبْحَانَهُ،
وَلَكِنْ غَالِبُ النَّاسِ - وَهُمْ الْكُفَّارُ - لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ يُوسُفَ كِمَالِ قُوَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْحَسِيَّةِ أَعْطَيْنَاهُ فَهْمًا وَعِلْمًا، وَمِثْلَ هَذَا الْجِزَاءِ الَّذِي جَزَيْنَاهُ بِهِ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

﴿٢٣﴾ فَوَالِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - بِيَانُ خَطُورَةِ الْحَسَدِ الَّذِي جَرَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ إِلَى الْكَيْدِ بِهِ وَالْمُؤَامَرَةِ عَلَى قَتْلِهِ.

٢ - مَشْرُوعِيَّةُ الْعَمَلِ بِالْقَرِينَةِ فِي الْأَحْكَامِ.

٣ - تَدْبِيرُ اللَّهِ لِيُوسُفَ ﷺ وَتَمَكِينُهُ فِي الْأَرْضِ وَتَعْلِيمُهُ تَأْوِيلَ الرُّؤْيَى.

﴿٣٣﴾ وطلبت امرأة العزيز برفق وإعمال حيلة من يوسف عليه السلام فعل الفاحشة، وعلقت الأبواب إمعاناً في الخلوة، وقالت له: هَلُمَّ وتعال إلي، فقال يوسف: أعتصم بالله مما دعوتني إليه، إن سيدي أحسن إلي في مقامي عنده فلن أخونه، فإن خنته كنت ظالمًا، إنه لا يفوز الظالمون.

﴿٣٤﴾ ولقد رغبت نفسها في فعل الفاحشة، وخطر على نفسه هو ذلك، لولا أنه رأى من آيات الله ما يكفه عن ذلك ويبعده، وقد أريناه ذلك لنكشف عنه السوء، ونبعده عن الزنى والخيانة، إن يوسف من عبادنا المختارين للرسالة والنبوة.

﴿٣٥﴾ وتسبقا إلى الباب: يوسف لينجو بنفسه، وهي لتمنعه من الخروج، فأمسكت بقميصه لتمنعه من الخروج، فشقت من خلفه، ووجدنا زوجها عند الباب، قالت امرأة العزيز للعزيز محتالة: ليس عقاب من قصد بزوجتك - يا عزيز - فعل الفاحشة إلا السجن، أو أن يُعذب عذابًا موجعًا.

﴿٣٦﴾ قال يوسف عليه السلام: هي التي طلبت مني الفاحشة، ولم أردها منها، وجعل الله صبيًا من أهلها يتكلم في المهمل، فشهد بقوله: إن كان قميص يوسف شق من أمامه فذلك قرينة

ورودته التي هوف بيتهما عن نفسه، وعلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴿٣٢﴾ ولقد همت به وهم بها لولا أن رآ برهن ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴿٣٤﴾ وأسبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألينا سيدها لدا الباب قالت ماجزأ من أراد يأهلك سوء إلا أن يسجن أو عذاب أليم ﴿٣٥﴾ قال هي رودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكذابين ﴿٣٦﴾ وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴿٣٧﴾ فلما رآ قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴿٣٨﴾ يوسف أعرض عن هذا وأستغفر لي لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴿٣٩﴾ وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتنها عن نفسها قد شعفها حبا إنا لرايتها في ضلال مبين ﴿٤٠﴾

على صدقها؛ لأنها كانت تمنعه من نفسها، فهو كاذب.

﴿٣٧﴾ وإن كان قميصه شق من خلفه فذلك قرينة على صدقه؛ لكونها كانت تراوده وهو هارب عنها، فهي كاذبة. ﴿٣٨﴾ فلما شاهد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام شق من خلفه تحقق من صدق يوسف، وقال: إن هذا القذف الذي قذفته به من جملة مكركن - معشر النساء - إن مكركن مكر قوي. ﴿٣٩﴾ وقال ليوسف: يا يوسف، أضرب عن هذا الأمر صفحا، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنت المغفرة لإتمك، إنك كنت من الأثمين بسبب مراودة يوسف عن نفسه. ﴿٤٠﴾ وانتشر خبرها في المدينة، وقالت طائفة من النساء على سبيل الإنكار: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حبه شغاف قلبها (أي غلافه)، إنا لراها بسبب مراودتها له وحبها إياه - وهو عبدها - في ضلال واضح.

﴿٤١﴾ فوالله من الآيات:

- ١ - تقرير أن كيد النساء عظيم في بعض المواقف.
- ٢ - قبح خيانة المحسن في أهله وماله، الأمر الذي ذكره يوسف من جملة أسباب رفض الفاحشة.
- ٣ - بيان عصمة الأنبياء وحفظ الله لهم من الوقوع في السوء والفحشاء.
- ٤ - وجوب دفع الفاحشة والهرب والتخلص منها.
- ٥ - مشروعية رد التهمة والدفاع عن النفس.
- ٦ - مشروعية العمل بالقرائن في الأحكام.

﴿٣٦﴾ فلما سمعت امرأة العزيز إنكارهن عليها واغتيابهن إياها بعثت إليهن تدعوهن ليرين يوسف فيعذرنها، وهيأت لهن محلاً فيه فراش ووسائد، وأعطت كل واحدة من المدعوات سكيناً تقطع به الطعام، وقالت ليوسف ﷺ: اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعظمه، واندھشن لحسنه، وانبهرن بجماله، وقطعن أيديهن من شدة الانبهار به بالسكاكين المعدة لقطع الطعام، وقلن: تنزه الله، ليس هذا الغلام بشراً، فما هو فيه من الجمال لم يُعهد في البشر، ليس إلا ملكاً كريماً من الملائكة الكرام.

﴿٣٧﴾ قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأت ما أصابهن: هذا هو الفتى الذي عيرتني بسبب حبه، ولقد طلبته، واحتلت لإغوائه، فاستعف وامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلاً ليدخلن السجن، وليكونن من الأذلاء.

﴿٣٨﴾ قال يوسف ﷺ داعياً ربه: يا رب، السجن الذي هددتني به أحب إلي مما يدعونني إليه من فعل الفاحشة، وإذا لم تكشف عني مكرهن أميل إليهن، وأكن من الجاهلين إن ملئت إليهن، وطاوعتهن فيما يردن مني.

﴿٣٩﴾ فأجاب الله دعوته، وكشف عنه مكر امرأة العزيز ومكر نسوة المدينة، إنه ﷺ السميع لدعاء يوسف، ولدعاء كل داع، العليم بحاله وحال غيره.

﴿٤٠﴾ ثم كان من رأي العزيز وقومه لما شاهدوا الأدلة على براءته أن يسجنوه، حتى لا تنكشف الفضيحة، إلى مدة غير معلومة.

﴿٤١﴾ فسجنوه، ودخل معه غلامان في السجن، قال أحد الغلامين ليوسف: إني رأيت في المنام أني أعصر العنب ليصير خمراً، وقال الثاني: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبتنا بتأويله، إنا نراك من أهل الإحسان، فأحسن إلينا بتعبير ما رأينا.

﴿٤٢﴾ قال يوسف ﷺ: لا يأتكما طعام يجري عليكم من الملك أو غيره إلا بينت لكما حقيقته وكيفيته قبل أن يأتكما، ذلكما التأويل الذي أعلمه هو مما علمني ربي، لا من الكهانة ولا من التنجيم، إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة جاحدون مع إقرارهم بها في أنفسهم.

﴿٤٣﴾ فإلامن الآيات:

- ١ - بيان جمال يوسف ﷺ الذي كان سبب افتتان النساء به.
- ٢ - إثارة يوسف ﷺ السجن على معصية الله.
- ٣ - تعبير الرؤى عند يوسف ﷺ من جملة ما أكرمه الله به.

﴿٣٨﴾ وَاتَّبَعَتْ دِينَ آبَائِي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو دين التوحيد لله، ما يصح لنا أن نشرك بالله غيره، وهو المنفرد بالوحدانية، ذلك التوحيد والإيمان الذي أنا عليه وآبائي هو من فضل الله علينا أن وفقنا له، ومن فضله على الناس جميعاً حين بعث إليهم الأنبياء به، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على نعمه، بل يكفرونه.

﴿٣٩﴾ ثم خاطب يوسف الغلامين في السجن قائلاً: أعبادة آلهة متعددة خير، أم عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لغيره، الذي لا يقهر؟

﴿٤٠﴾ ما تعبدون من دون الله إلا أسماء على غير مسميات، سميتوها أنتم وآبائكم آلهة، ليس لها في الألوهية نصيب، لم ينزل الله بتسميتكم لها حجة تدل على صحتها، ليس الحكم في جميع المخلوقات إلا لله وحده، لا لهذه الأسماء التي سميتوها أنتم وآبائكم، أمر الله سبحانه أن توحدوه بالعبادة، ونهى أن تشركوا معه غيره، ذلك التوحيد هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ولذلك يشركون بالله، فيعبدون بعض مخلوقاته.

وَاتَّبَعَتْ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْطَجِي السِّجْنِ أَرْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهَ أَمَرَ الْأَعْبَادَ وَالْآيَاتُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْفَيْتُمْ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْطَجِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ مَا فَسَّقَنِي رَبِّي خَمْرًا أَوْ أَمَا الْآخِرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قِضِيَ الْأَمْرُ لِلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أَذْكَرَ نِي عِنْدَ رَبِّكَ فَآنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضَعِ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤْتُونِي فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤١﴾ أيها الرفيقان في السجن، ها أنا أعبر لكليهما رؤياه، أما الذي رأى أنه يعصر عبناً ليصير خمراً فإنه يخرج من السجن، ويرجع إلى عمله، فيسقي الملك، وأما الذي رأى أن فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه فإنه يقتل ويصلب، فتأكل الطير من لحم رأسه، فرغ الأمر الذي طلبتما الفتيا فيه وتم، فهو واقع لا محالة.

﴿٤٢﴾ وقال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما - وهو ساقى الملك -: اذكر قصتي وشأني عند الملك؛ لعله يخرجني من السجن، فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك، فمكث يوسف في السجن بعد ذلك عدة سنوات.

﴿٤٣﴾ وقال الملك: إني رأيت في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأيت سبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، يا أيها السادة والأشراف، أخبروني بتأويل رؤيائي هذه إن كنتم عالمين بتأويل الرؤيا.

﴿٤٤﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - وجوب اتباع ملة إبراهيم، والبراءة من الشرك وأهله.
- ٢ - وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والحكم.
- ٣ - كل الآلهة التي تُعبد من دون الله ما هي إلا أسماء على غير مسميات، ليس لها في الألوهية نصيب.
- ٤ - استغلال المناسبات للدعوة إلى الله، كما استغلها يوسف ﷺ في السجن.

﴿٤٤﴾ قالوا: رؤياك أخلط أحلام، وما كان كذلك فلا تأويل له، ولسنا عالمين بتأويل الأحلام المختلطة.

﴿٤٥﴾ وقال الساقى الذي نجا من الغلامين السجينين، وتذكر يوسف ﷺ وما هو عليه من علم تأويل الرؤيا بعد مدة: أنا أخبركم بتأويل ما رآه الملك بعد سؤال من له علم بتأويلها، فابعثني - أيها الملك - إلى يوسف ليأول رؤياك.

﴿٤٦﴾ فلما وصل الناجي إلى يوسف قال له: يا يوسف، أيها الصديق، أخبرنا عن تأويل من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات، ورأى سبع سنبلات خضر، ورأى سبع سنبلات يابسات؛ لعلني أرجع إلى الملك ومن عنده لعلهم يعلمون تعبير رؤيا الملك، ويعلمون فضلك ومكانتك.

﴿٤٧﴾ قال يوسف ﷺ معبراً هذه الرؤيا: تزرعون سبع سنين متتابعة بجد، فما حصدتم في كل سنة من تلك السنين السبع فاتركوه في سنابله منعاً له من التسوس، إلا قليلاً مما تحتاجون لأكله من الحبوب.

﴿٤٨﴾ ثم تجيء من بعد تلك السنين السبع المُخَصَّبة التي زرعتم فيها سبع سنين مجدبة يأكل الناس فيها كل ما حُصد في السنين المُخَصَّبة إلا قليلاً مما تحفظونه مما يكون بذراً.

﴿٤٩﴾ ثم يجيء بعد تلك السنين المجدبة عام تنزل فيه الأمطار، وتنبت الزروع، ويعصر فيه الناس ما يحتاج للعصر كالعنب والزيتون والقصب.

﴿٥٠﴾ وقال الملك لأعوانه لما بلغه تعبير يوسف لرؤياه: أخرجوه من السجن، وأتوني به، فلما جاء يوسف رسول الملك قال له: أرجع إلى سيدك الملك فاسأله عن قصة النسوة اللاتي جرحن أيديهن، حتى تظهر براءته قبل الخروج من السجن، إن ربي بما صنع بي من المُرادة عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٥١﴾ قال الملك مخاطباً النسوة: ما شأنكن حين طلبتن يوسف بحيلة؛ ليعمل الفاحشة معكن؟ قالت زوجة العزيز مُفِرَّةً بما صنعت: الآن يظهر الحق، أنا حاولت إغواءه، ولم يحاول إغوائي، وإنه لمن الصادقين فيما ادعاه من براءته مما رميته به.

﴿٥٢﴾ قالت امرأة العزيز: ليعلم يوسف حين أقررت أنني أنا الذي راودته، وأنه صادق أنني لم أفتري عليه في غيابه، فقد تبين لي مما حصل أن الله لا يوفق من يكذب ويمكر.

﴿٥٣﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - كمال علم يوسف ﷺ في حسن تعبير الرؤى.
- ٢ - مشروعية تبرئة النفس مما نُسب إليها ظلمًا، وطلب تقصي الحقائق لإثبات الحق.
- ٣ - فضيلة الصدق وقول الحق ولو كان على النفس.

﴿٥٦﴾ وواصلت امرأة العزيز كلامها قائلة: وما أنزه نفسي عن إرادة السوء، وما أردت بذلك تزكية نفسي؛ لأن شأن النفس البشرية كثرة الأمر بالسوء لميلها إلى ما تشتهيهِ وصعوبة كفها عنه، إلا ما رحمهُ الله من النفوس، فعصمها من الأمر بالسوء، إن ربي غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿٥٧﴾ وقال الملك لأعوانه لما تبين براءة يوسف وعلمه: جيئوني به أجعله خالصاً لنفسي، فجاؤوه به، فلما كلمه، وتبين له علمه وعقله قال له: إنك - يا يوسف - قد صرت اليوم عندنا صاحب مكانة وجاه ومؤتمناً.

﴿٥٨﴾ قال يوسف للملك: ولني على حفظ خزان المال والأقوات في أرض مصر، فيأني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه.

﴿٥٩﴾ وكما مننا على يوسف بالبراءة والخلاص من السجن منناً عليه بالتمكين له في مصر، ينزل ويقيم في أي مكان شاء، نعطي من رحمتنا في الدنيا من نشاء من عبادنا، ولا نضيع ثواب المحسنين، بل نوفيهم إياه كاملاً غير منقوص.

﴿٦٠﴾ ولثواب الله الذي أعده في الآخرة خير من ثواب الدنيا للذين آمنوا بالله وكانوا يتقونه بامثال أوامره واجتتاب نواهيه.

﴿٦١﴾ وقدم إخوة يوسف إلى أرض مصر ببضاعة لهم، فدخلوا عليه، فعرف أنهم إخوته، ولم يعرفوا أنه أخوهم؛ لطول المدة وتغير هيئته؛ لأنه كان صبياً حين رموه في البئر.

﴿٦٢﴾ ولما أعطاهم ما طلبوه من الميرة والزداد، وقال بعد أن أخبروه أن لهم أخاً من أبيهم تركوه عند أبيه: جيئوني بأخيك من أبيكم أزدكم حمل بعير، ألا ترون أني أكمل الكيل ولا أنقصه، وأنا خير المضيفين.

﴿٦٣﴾ فإن لم تجيئوني به تبين كذبكم في دعواكم أن لكم أخاً من أبيكم، فلن أكيل لكم طعاماً، ولا تقربوا بلدي.

﴿٦٤﴾ فأجابه إخوته قائلين: سنطلبه من أبيه، ونجتهد في ذلك، وإنا لفاعلون ما أمرتنا به دون تقصير.

﴿٦٥﴾ وقال يوسف لعماله: ردوا ببضاعة هؤلاء إليهم حتى يعرفوا عند عودتهم أننا لم نبتعها منهم، وهذا يجبرهم على الرجوع ثانية ومعهم أخوهم؛ ليثبتوا ليوسف صدقهم، ويقبل منهم بضاعتهم.

﴿٦٦﴾ فلما رجعوا إلى أبيهم، وقصوا عليه ما كان من إكرام يوسف لهم قالوا: يا أبانا مُنِعَ منا الكيل إن لم نأت بأخيña معنا فابعثه معنا، فإنك إن بعثته معنا نكتل الطعام، وإنا لنتعهد لك بحفظه حتى يرجع إليك سالمًا.

﴿٦٧﴾ فإلهام من الآيات:

- ١ - من أعداء المؤمن: نفسه التي بين جنبيه؛ لذا وجب عليه مراقبتها وتقويم اعوجاجها.
- ٢ - من محاسن الأخلاق: التواضع والاعتراف بالذنب والتقصير إن وقع.
- ٣ - اشتراط العلم والأمانة فيمن يتولى منصباً يصلح به أمر العامة.
- ٤ - عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على المحسن الصابر في الدارين.
- ٥ - بيان أن ما في الآخرة من فضل الله، إنما هو خير وأبقى وأفضل لأهل الإيمان.
- ٦ - جواز طلب الرجل المنصب ومدحه لنفسه إن دعت الحاجة، وكان مريداً للخير والصلاح.

﴿١٤﴾ قال لهم أبوهم: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه الشقيق: يوسف من قبل؟! فقد أمنتكم عليه، وتعهدتم بحفظه، ولم تفوا بما تعهدتم به، فلا ثقة عندي بتعهدكم بحفظه، وإنما ثقتي بالله، فهو خير الحافظين لمن أراد حفظه، وأرحم الراحمين بمن أراد رحمته.

﴿١٥﴾ ولما فتحوا أوعية طعامهم الذي جلبوه وجدوا ثمنه رد إليهم، فقالوا لأبيهم: أي شيء نطلب من هذا الملك بعد هذا الإكرام؟ وهذا ثمن طعامنا رده الملك تفضلاً منه علينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا مما تخافه عليه، ونزداد كيل بعير بسبب اصطحابه، فزيادة كيل بعير أمر سهل عند الملك.

﴿١٦﴾ قال لهم أبوهم: لن أبعثه معكم حتى تؤتوني عهد الله مؤكداً أن تردوه إليّ إلا إن أحاط هلاك بكم جميعاً، ولم يُبق منكم أحداً، ولم تقدرُوا على دفعه ولا الرجوع، فلما أعطوه عهد الله المؤكد على ذلك، قال: الله شهيد على ما نقول، فتكفينا شهادته.

﴿١٧﴾ وقال لهم أبوهم موصياً إياهم: لا تدخلوا مصر من باب واحد مجتمعين، لكن ادخلوا من أبواب متفرقة، فذلك أسلم من أن يعتمك أحد بضرر إن أراد بهكم، ولا أقول

الْبَيْتُ الْوَالِدِيُّ الْعَقْبِيُّ
سُورَةُ يُوسُفَ
قَالَ هَلْ أَمْنَكُم عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنَكُم عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبَغِي هَذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ وَقَالَ يُبْنَىٰ لَنَا دُخُلًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

لكم ذلك لأدفع عنكم ضرراً أراد بهكم، ولا لأجلب لكم نفعاً لم يرد بهكم، فالقضاء ليس إلا قضاء الله، والأمر ليس إلا أمره، عليه وحده توكلت في كل أمورِي، وعليه وحده فليتوكل المتوكلون في أمورهم.

﴿١٨﴾ فارتحلوا ومعهم أخوه الشقيق، ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة شيئاً مما قدره الله عليهم، إنما هي شفقة يعقوب على أولاده، أظهرها، ووصاهم بها، وهو يعلم أن لا قضاء إلا قضاء الله، فهو عالم بما علمناه من الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

﴿١٩﴾ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف، ومعهم أخوه الشقيق، ضم إليه أخاه الشقيق، وقال له سراً: إني أنا أخوك الشقيق: يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوتك من الأعمال الطائشة؛ من إيذاء وحقد علينا، وإلقائهم إياي في البئر.

﴿٢٠﴾ فَوَالِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأمر بالاحتياط والحذر ممن أثير عنه غدر (لا يُلْدَغ مؤمن من جُحْر واحد مرتين).
- ٢ - من وجوه الاحتياط التأكد بأخذ المواثيق المؤكدة باليمين، وجواز استحلاف المخوف منه على حفظ الودائع والأمانات.
- ٣ - يجوز لطالب اليمين أن يستثني بعض الأمور التي يرى أنها ليست في مقدور من يحلف اليمين.
- ٤ - من الأخذ بالأسباب الاحتياط من المعاطب.

(٧٦) فلما أمر يوسف خُدَّامه بتحميل إبل إخوته بالطعام جعل مكيال الملك الذي يكيل به الطعام للمُتَّارين في وعاء أخيه الشقيق دون علمهم توصلًا إلى إبقائه معه، فلما ارتحلوا عائدين إلى أهلهم نادى مناد في إثرهم: يا أصحاب الإبل المحملة بالميرة، إنكم لسارقون.

(٧٧) قال إخوة يوسف، وأقبلوا على المنادي في إثرهم ومن معه من أصحابه: ماذا ضاع منكم حتى تتهموننا بالسرقة؟

(٧٨) قال المنادي ومن معه من أصحابه لإخوة يوسف: ضاع منَّا صاع الملك الذي يكيل به، ولمن جاء بصاع الملك قبل التفتيش جُعل، وهو حمل جمل، وأنا ضامن له ذلك.

(٧٩) قال لهم إخوة يوسف: والله لقد علمتم نراهننا وبراءتنا، كما رأيتموه من أحوالنا، وأنا ما جننا أرض مصر لنفسد فيها، وما كنا في حياتنا سارقين.

(٨٠) قال المنادي وأصحابه: فما جزاء من سرقه عندكم إن كنتم كاذبين في دعواكم البراءة من السرقة؟

(٨١) قال لهم إخوة يوسف: جزاء السارق عندنا أن من وُجد المسروق في وعائه يسلم

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ

أَدَنَّ مَوْزِنًا أَيْتَهَا الْعِيرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا

عَلَيْهِمْ مَاذَا أَنْفَقِدُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَنْفَقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ

وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ

﴿٧٩﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ

مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

﴿٨١﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ

وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ

فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ

وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ

فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ

وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

تَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَاشِيخًا كِبِيرًا

فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

برقبته للمسروق منه يسترقه، مثل هذا الجزاء بالاسترقاق نجزي السارقين.

(٨١) فأرجعهم إلى يوسف لتفتيش أوعيتهم، فبدأ بتفتيش أوعية إخوته غير الأشقاء قبل تفتيش وعاء أخيه الشقيق سترًا للحيلة، ثم فتش وعاء شقيقه، وأخرج صاع الملك منه، كما كدنا ليوسف بتدبير وضع الصاع في وعاء أخيه، كدنا له أمرًا آخر أن يأخذ إخوته بعقاب بلدهم باسترقاق السارق، هذا الأمر لا يتحقق لو عمل بعقاب الملك للسارق الذي هو الضرب والتغريم، إلا أن يشاء الله تدييرًا آخر فهو قادر عليه، نرفع مراتب من نشاء من عبادنا كما رفعنا مرتبة يوسف، وفوق كل صاحب علم من هو أعلم منه، وفوق علم الجميع علم الله الذي يعلم كل شيء.

(٨٢) قال إخوة يوسف: إن يسرق فلا عجب، فقد سرق أخ له شقيق من قبل سرقة هو، يعنون يوسف ﷺ، فأخفى يوسف تأديبه بقولتهم هذه، ولم يظهرها لهم، قال لهم في نفسه: ما أنتم عليه من حسدٍ وصنيعٍ سوءٍ سبق منكم هو الشر بعينه في هذا المقام، والله تعالى أعلم بهذا الافتراء الذي يصدر منكم.

(٨٣) قال إخوة يوسف ليوسف: أيها العزيز، إن له والدًا شيخًا طاعنًا في السن يحبه كثيرًا، فأمسك أحدنا بدلًا منه، إن نراك من المحسنين في معاملتنا ومعاملته غيرنا، فأحسن إلينا بذلك.

﴿قَوْلًا مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - جواز الحيلة التي يتوصل بها لإحقاق الحق، بشرط عدم الإضرار بالغير.
- ٢ - يجوز لصاحب الضلالة أو الحاجة الضائعة رصد جُعل «مكافأة» مع تعيين قدره وصفته لمن عاونه على ردها.

﴿٧٦﴾ قال يوسف **﴿٧٦﴾**: عيادًا بالله أن نظلم بريئًا بجرم ظالم، فتمسك غير من وجدنا صاع الملك في وعائه، إنا إن فعلنا ذلك لظالمون، حيث عاقبنا بريئًا، وتركنا جانيًا.

﴿٧٧﴾ فلما يئسوا من إجابة يوسف لطلبهم انفردوا عن الناس للتشاور، قال أخوهم الكبير: أذكركم أن أباكم قد أخذ عليكم عهد الله مؤكدًا على أن تردوا إليه ابنه إلا أن يحاط بكم بما لا تقدرُونَ على دفعه، ومن قبل ذلك قد فرطتم في يوسف، ولم تفوا بعهدكم لأبيكم فيه، فلن أترك أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالرجوع إليه، أو يقضي الله لي بأخذ أخي، والله خير القاضين، فهو يقضي بالحق والعدل.

﴿٧٨﴾ وقال الأخ الكبير: عودوا إلى أبيكم، فقولوا له: إن ابنك سرق، فاستترقه عزيز مصر عقوبة له على سرقة، وما أخبرنا إلا بما علمناه من مشاهدتنا للصاع يخرج من وعائه، وما كان لنا علم بأنه يسرق، ولو علمنا ذلك ما عاهدناك على رده.

﴿٧٩﴾ ولتتحقق من صدقنا أسأل - يا أبانا - أهل مصر التي كنا فيها، واسأل أصحاب القافلة التي جئنا معها يخبروك بما أخبرناك به، وإنا لصادقون حقًا فيما أخبرناك به من سرقة.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِذَا
إِذَا ظَلَمْتُمْ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْسُّوْا مِنْهُ خَلَصُوا بِحَيَاتٍ
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ
مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ
الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
﴿٧٧﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ
وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِالْمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ
﴿٧٨﴾ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا
فَصَبِّرْ جَمِيلًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٠﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ
يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨١﴾
قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا
أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنَاتِي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَاعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٨٠﴾ قال لهم أبوهم: ليس الأمر كما ذكرت من كونه سرق، بل زينت لكم أنفسكم أن تمكروا به كما مكرتم بأخيه يوسف من قبل، فصبري صبر جميل، لا شكوى فيه إلا إلى الله، عسى الله أن يعيدهم إلي جميعًا: يوسف وشقيقه، وأخاهما الكبير، إنه سبحانه هو العليم بحالي، الحكيم في تدييره لأمري.

﴿٨١﴾ وابتعد معرضًا عنهم، وقال: يا أسفي على يوسف، وصار سواد عينيه بياضًا من كثرة ما بكى عليه، فهو مملوء حزنًا وهمًا، يكتنم حزنه عن الناس.

﴿٨٢﴾ قال إخوة يوسف لأبيهم: تالله لا تزال - يا أبانا - تذكر يوسف، وتتفجع عليه حتى يشتد بك المرض، أو تهلك فعلاً.

﴿٨٣﴾ قال لهم أبوهم: ما أشكو ما أصابني من الهم والحزن إلا إلى الله وحده، وأعلم من لطف الله وإحسانه وإجابته للمضطر وجزائه للمصاب ما لا تعلمونه أنتم.

﴿٨٤﴾ فَوَاوِزَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لا يجوز أخذ بريء بجريرة غيره، فلا يؤخذ مكان المجرم شخص آخر.
- ٢ - الصبر الجميل هو ما كانت فيه الشكوى لله تعالى وحده.
- ٣ - على المؤمن أن يكون على تمام يقين بأن الله تعالى يفرج كربته.

﴿٨٧﴾ قال لهم أبوهم: يا أبنائي، اذهبوا فنعرفوا من أخبار يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من تفریح الله وتنفيسه عن عباده، إنه لا يقنط من تفریجه وتنفيسه إلا القوم الكافرون؛ لأنهم يجهلون عظیم قدرة الله وخفي إفضاله على عباده.

﴿٨٨﴾ فامتثلوا أمر أبيهم، وذهبوا بحثًا عن يوسف وأخيه، فلما دخلوا على يوسف قالوا له: أصابتنا الشدة والفقرة، وأتينا ببضاعة حقيرة زهيدة، فكل لنا كيلًا وافيًا كما كنت تكيل لنا من قبل، وتصدق علينا بزيادة على ذلك أو بالتغاضي عن بضاعتنا الحقيرة، إن الله يجازي المتصدقين بأحسن الجزاء.

﴿٨٩﴾ فلما سمع كلامهم رق لهم رحمة بهم، وعرفهم بنفسه قال لهم: قد علمتم ما فعلتم بيوسف وشقيقه حين كنتم جاهلين عاقبة ما فعلتم بهما.

﴿٩٠﴾ فتفاجؤوا، وقالوا: إنك أنت يوسف؟! قال لهم يوسف: نعم أنا يوسف، وهذا الذي ترون معي: أخي الشقيق، قد تفضل الله علينا بالخلاص مما كنا فيه، وبرفع القدر، إنه من يتق الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، ويصبر على البلاء؛ فإن عمله من الإحسان، والله لا يضيع أجر المحسنين، بل يحفظه لهم.

﴿٩١﴾ قال له إخوته معتردين عما صنعوا به: تالله لقد فضلك الله علينا بما أعطاك من صفات الكمال، ولقد كنا فيما صنعنا بك مسئين ظالمين.

﴿٩٢﴾ فقبل يوسف اعتذارهم، وقال: لا لوم عليكم اليوم يقتضي عقابكم ولا توبيخ، أسأل الله أن يغفر لكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين.

﴿٩٣﴾ فأعطاهم قميصه لما أعلموه بما آل إليه بصر أبيه، وقال: اذهبوا بقميصي هذا، فاطرحوه على وجه أبي يمد له بصره، وأحضروا إلي أهليكم كلهم.

﴿٩٤﴾ ولما خرجت القافلة من مصر، وفارقت العامر منها قال يعقوب عليه السلام لأبنائه ولمن عنده في أرضه: إني لأشم رائحة يوسف، لولا أنكم تجهلونني وتنسبونني إلى الخرف بقولكم: هذا شيخ خرف، يقول ما لا يعلم.

﴿٩٥﴾ قال من عنده من الناس: والله إنك لا تزال في توهمك السابق بشأن منزلة يوسف عندك وإمكانية رؤيته ثانية.

﴿٩٦﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - بذل الأسباب في تحصيل المطلوبات، مع الوثوق بالله تعالى، وعدم القنوط من رحمته.
- ٢ - من محاسن الأخلاق: اعتذار المسيء، واعترافه على نفسه، وطلبه الصفح ممن تضرر منه.
- ٣ - أن من خلق المعتذر الصادق أن يطلب المغفرة من الله تعالى.
- ٤ - قبول اعتذار المسيء وترك الانتقام، خاصة عند التمكن منه، وترك تأنيبه على ما سلف منه.

﴿٩٦﴾ فلما جاء المُخْبِرُ بما يسرّ يعقوب ألقى قميص يوسف على وجهه فصار بصيراً، عندئذ قال لأبنائه: ألم أقل لكم إني أعلم من لطف الله وإحسانه ما لا تعلمونه أنتم؟

﴿٩٧﴾ قال أبنأوه معتذرين لأبيهم يعقوب ﷺ عما فعلوه بيوسف وأخيه: يا أبانا، اطلب من الله المغفرة لذنوبنا السابقة، إنا كنا مذنبين مسيئين فيما فعلناه بيوسف وشقيقه.

﴿٩٨﴾ قال لهم أبوهم: سوف أطلب لكم المغفرة من ربي، إنه هو الغفور للذنوب الثائبين من عبادته، الرحيم بهم.

﴿٩٩﴾ وخرج يعقوب وأهله من أرضهم قاصدين يوسف في مصر، فلما دخلوا عليه ضم إليه أباه وأمه، وقال لإخوته وأهلهم: ادخلوا مصر بمشيئة الله آمين لا يصيبكم فيها أذى.

﴿١٠٠﴾ وأجلس أبويه على السرير الذي يجلس عليه، وحيأه أبواه وإخوته الأحد عشر بالسجود (وكان ذلك جائزاً في شريعتهم)،

وقال يوسف ﷺ لأبيه: هذه التحية بالسجود لي منكم هي تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل وقصصتها عليك، قد صيّرها ربي حقاً بوقوعها، وقد أحسن إليّ ربي حين أخرجني من السجن، وحين جاء بكم من البادية من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إن

ربي لطيف في تدبيره لما يشاء، إنه هو العليم بأحوال عبادته، الحكيم في تدبيره.

﴿١٠١﴾ ثم دعا يوسف ربه، فقال: يا رب، قد أعطيتني ملك مصر، وعلمتني تعبير المرائي، يا خالق السماوات والأرض ومبدعهما على غير مثال سابق، أنت متولي جميع أموري في الحياة الدنيا، ومتولي جميعها في الآخرة، اقبضني عند انتهاء أجلي مسلماً، وألحقني بالأنبياء الصالحين من آبائي وغيرهم في الفردوس الأعلى من الجنة.

﴿١٠٢﴾ ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته نوحيه إليك - أيها الرسول -، لم يكن لك علم به، إذ لم تكن حاضراً عند إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في قعر البئر، ودبروا ما دبروا من الحيلة، ولكننا أوحينا إليك ذلك.

﴿١٠٣﴾ وما أكثر الناس بمؤمنين ولو بذلت - أيها الرسول - كل جهد ليؤمنوا، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٠٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - استجاب البشارة بما يدخل السرور على قلب المسلم ويفرحه.

٢ - بر الوالدين وتبجيلهما وتكريمهما واجب.

٣ - أن الرؤيا قد يقع تعبيرها بعد سنين طويلة من رؤيتها.

٤ - التحذير من نزع الشيطان، ومن الذي يسعى بالوقعة بين الأحباب؛ ليفرق بينهم.

٥ - مهما ارتفع العبد في دينه أو دنياه فإن ذلك كله مرجعه إلى تفضل الله تعالى وإنعامه عليه.

٦ - سؤال الله حسن الخاتمة والسلامة والفوز يوم القيامة والالتحاق برفقة الصالحين في الجنان.

﴿١٤٦﴾ ولو عقولوا لآمنوا بك؛ لأنك لم تطلب منهم - أيها الرسول - على القرآن ولا على ما تدعوهم إليه ثواباً، فليس القرآن إلا تذكيراً لجميع الناس. ﴿١٤٧﴾ وكثيرة هي الآيات الدالة على توحيد سبحانه مبثوثة في السماوات وفي الأرض، يمرّون عليها وهم عن التأمل فيها والاعتبار بها معرضون، لا يلفتون إليها.

﴿١٤٨﴾ وما يقرّ أكثر الناس بالله أنه الخالق الرازق المحيي المميت إلا وهم يعبدون معه غيره من الأصنام والأوثان، ويدعون أن له ولداً، سبحانه. ﴿١٤٩﴾ أفأمن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة في الدنيا تغمرهم وتجلبثهم، لا يستطيعون دفعها، أو تأتيهم الساعة فجأة، وهم لا يحسون بآياتها فيستعدوا لها، فلذلك لم يؤمنوا؟! ﴿١٥٠﴾ قل - أيها الرسول - لمن تدعوه: هذه طريقي التي أدعو الناس إليها، على حجة واضحة أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، واهتدى بهديي، واستن بسنتي، ولست من المشركين بالله، بل أنا من الموحدين له سبحانه.

﴿١٥١﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر لا ملائكة، نوحى إليهم كما أوحينا إليك، من أهل المدن لا من أهل البوادي، فكذبهم أمهم فأهلكناها، أفلم يسر هؤلاء المكذوبون بك في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية المكذابين من قبلهم فيعتبروا بهم، أفلا تعقلون أن ذلك خير فتقوا الله بامتثال أوامره -

وما في الدار الآخرة من النعم خير للذين اتقوا الله في الدنيا، أفلا تعقلون أن ذلك خير فتقوا الله بامتثال أوامره - وأعظمها الإيمان - وباجتناب نواهيه، وأكبرها الشرك بالله.

﴿١٥٢﴾ هؤلاء الرسل الذين نرسلهم نمهل أعداءهم، ولا نعالجهم العقوبة استدراجاً لهم، حتى إذا تأخر إهلاكهم، ويشس الرسل من هلاكهم، وظن الكفار أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به من العقاب للمكذابين، وإنجاء المؤمنين؛ جاء نصرنا لرسلنا، ونجى الرسل والمؤمنون من الهلاك الواقع على المكذابين، ولا يرد عذابنا عن القوم المجرمين عندما ننزل بهم.

﴿١٥٣﴾ لقد كان في قصص الرسل وقصص أمهم، وفي قصة يوسف وإخوته موعظة يتعظ بها أصحاب العقول السليمة، ما كان القرآن المشتمل على ذلك كلاماً مختلفاً مكذوباً على الله، ولكن كان تصديقاً للكتب السماوية المنزلة من عند الله، وتفصيلاً لكل ما يحتاج إلى تفصيله من الأحكام والشرائع، وإرشاداً لكل خير، ورحمة لقوم يؤمنون به، فهم الذين يتفجعون بما فيه.

﴿١٥٤﴾ فإذن من الآيات:

١ - ليس للعبد مهما ارتفع مكانه أن يطلع على الغيب من تلقاء نفسه، وإنما ذلك مما اختص الله به نفسه. ٢ - من فضل الله تعالى أنه يُطلع أنبياءه على بعض من أمور الغيب لغايات وحكم. ٣ - إن الداعية لا يملك تصريف قلوب العباد وحملها على الطاعات، وإن أكثر الخلق ليسوا من أهل الهداية. ٤ - ذم المعرضين عن آيات الله الكونية ودلائل توحيد المبتوثة في صفحات الكون. ٥ - شملت هذه الآية ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ذكر بعض أركان الدعوة، ومنها: أ - وجود منهج: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾. ب - ويقوم المنهج على العلم: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾. ج - وجود داعية: ﴿أَدْعُوا﴾ (أنا). د - وجود مدعوين: ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾. ٦ - بشرية الأنبياء والمرسلين وكونهم من جنس الذكور، لا من جنس الإناث. ٧ - من وسائل الإقناع في الدعوة: التأمل في أحوال الماضين، والاعتبار بقصصهم التي يذكرها القرآن الكريم. ٨ - قصص القرآن محض حق لا تشوبه شوائب الاصطناع والتأليف، ولا تتسلل إليه مفتريات الوضّاعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
عِمْدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يَدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ
رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَ
وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْبَيْتَ
النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ
قِطْعٌ مَّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَّرَعَ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ
وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفِضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾
وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْمُهُمْ أَمَّا ذَاكَ تُرَابًا لَعَلَّ الْفِي خَلْقِ
جَدِيدٍ أَوْلِيكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ
فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾

﴿١﴾ مقصد النبوة:

بيان حقيقة القوة والقدرة الإلهية ومظاهرها، وإثبات الوعد والوعيد وسنة الله في التغيير والتبديل.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ المرء: تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه الآيات الرفيعة في هذه السورة، والقرآن الذي أنزله الله عليك - أيها الرسول - هو الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك أنه من عند الله، ولكن أكثر الناس لا يصدقون به عنادًا وتكبرًا.

﴿٢﴾ الله هو الذي خلق السماوات مرفوعات دون دعائم تشاهدونها، ثم استوى على العرش استواء يليق به سبحانه من غير تكيف ولا تمثيل، ودلّل الشمس والقمر لمنافع خلقه، كل من الشمس والقمر يجري لأمد محدد في علم الله، يصرف سبحانه الأمر في السماوات والأرض بما يشاء، يبين الآيات الدالة على قدرته رجاء أن توقنوا بقاء ربكم يوم القيامة، فتستعدوا له بالعمل الصالح.

﴿٣﴾ وهو سبحانه الذي بسط الأرض، وخلق فيها جبالًا ثوابت حتى لا تضطرب بالناس، ومن كل أنواع الشمرات جعل فيها صنفين

كالذكر والأنثى في الحيوان، يلبس الليل النهار، فيصير مظلمًا بعدما كان منيرًا، إن في ذلك المذكور لأدلة وبراهين لقوم يتفكرون في صنع الله، ويتأملون فيه، فهم الذين ينتفعون بتلك الأدلة والبراهين.

﴿٤﴾ وفي الأرض بقاع متقاربة، وفيها بساتين من أعناب، وفيها زرع، ونخلات مجتمعة في أصل واحد، ونخلات منفردات بأصلها، تُسقى هذه البساتين وتلك الزروع بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الطعم وغيره من الفوائد على رغم تجاورها وسقيها بماء واحد، إن في ذلك المذكور لأدلة وبراهين لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بذلك.

﴿٥﴾ وإن تتعجب - أيها الرسول - من شيء، فأحق ما تتعجب منه تكذيبهم بالبعث، وقولهم احتجاجًا لإنكاره: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية نخرة أنبثت ونُعَاد أحياء؟! أولئك المنكرون للبعث بعد الموت الذين كفروا بربهم فأنكروا قدرته على بعث الموتى، وأولئك توضع السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة، وأولئك هم أصحاب النار، وهم فيها ما كانوا أبدًا، لا يلحقهم فناء، ولا ينقطع عنهم العذاب.

﴿٦﴾ هو إله من الآيات:

١ - إثبات قدرة الله ﷻ والتعجب من خلقه للسماوات على غير أعمدة تحملها، وهذا مع عظيم خلقها واتساعها.
٢ - إثبات قدرة الله وكمال ربوبيته ببرهان الخلق، إذ ينبت النبات الضخم، ويخرجه من البذرة الصغيرة، ثم يسقيه من ماء واحد، ومع هذا تختلف أحجام وألوان ثمراته وطعمها.

٣ - إن إخراج الله تعالى للأشجار الضخمة من البذور الصغيرة، بعد أن كانت معدومة، فيه رد على المشركين في إنكارهم للبعث؛ فإن إعادة جمع أجزاء الرفات المتفرقة والمتحللة في الأرض، وبعثها من جديد، بعد أن كانت موجودة، هو بمنزلة أسهل من إخراج المعدوم من البذرة.

٦) ويستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعقوبة، ويستبطنون نزولها بهم قبل استكمالهم النعم التي قدرها الله لهم، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من الأمم المكذبة، فلم لا يعتبرون بها؟ وإن ربك - أيها الرسول - لذو تجاوز للناس مع ظلمهم، فلا يعاجلهم بالعقاب ليثوبوا إلى الله، وإنه لقوي العقاب للمُصْرِبِينَ على كفرهم إن لم يتوبوا.

٧) ويقول الذين كفروا بالله - تمادياً في الصدود والعدا - هلاً أنزل على محمد آية من ربه مثل ما أنزل على موسى وعيسى. إنما أنت - أيها الرسول - منذر تخوف الناس من عذاب الله، وليس لك من الآيات إلا ما أعطاك الله، ولكل قوم نبي يرشدهم إلى طريق الحق، ويدلهم عليه.

٨) الله يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها، يعلم كل شيء عنه، ويعلم ما يحصل في الأرحام من نقص وزيادة وصحة واعتلال، وكل شيء عنده سبحانه مُقَدَّرٌ بمقدار لا يزيد عليه ولا ينقص عنه.

٩) لأنه سبحانه عالم كل ما غاب عن حواس خلقه، وعالم كل ما تدركه حواسهم، العظيم في صفاته وأسمائه وأفعاله، المستعلي على كل مخلوق من مخلوقاته بذاته وصفاته.

١٠) يعلم السر وأخفى، يستوي في علمه من أخفى منكم - أيها الناس - القول، ومن أعلنه، ويستوي في علمه كذلك من هو مستتر بظلمة الليل عن أعين الناس، ومن هو ظاهر بأعماله

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ٧ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٧ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٨ عَلَّمَ الْقَنْبِرَ وَالشَّهَادَةَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ ٩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ١٠ لَهُمْ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدًّا لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ١١ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ١٢ وَيَسْجِعُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ١٣

في وَضَحِ النَّهَارِ.

١١) له ملائكة يعقب بعضهم بعضاً على الإنسان، يأتي بعضهم بالليل، وبعضهم بالنهار، يحفظون الإنسان بأمر الله، ويكتبون أقواله وأعماله، إن الله لا يغير ما بقوم من حال طيبة إلى حال غيرها لا تسرهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من حال الشكر، وإذا أراد الله سبحانه بقوم هلاكاً فلا راد لما أَرَادَهُ، وما لكم - أيها الناس - من دون الله من متول يتولى أموركم، فتلجؤوا إليه لدفع ما أصابكم من بلاء.

١٢) هو الذي يريكم - أيها الناس - البرق، ويجمع لكم به الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وهو الذي ينشئ السحاب المثلث بماء المطر الغزير.

١٣) ويسبح الرعد ربّه تسييحاً مقروناً بحمده سبحانه، وتسبح الملائكة ربّه خوفاً منه وإجلالاً وتعظيماً له، ويرسل الصواعق المحرقة على من يشاء من مخلوقاته فيهلكه، والكفار يخاصمون في وحدانية الله، والله شديد الحول والقوة، قوي العقاب لمن عصاه.

١٤) فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - عظيم مغفرة الله وحلمه عن خطايا بني آدم، فهم يستكبرون ويتحدون رسله وأنبياءه، ومع هذا يرزقهم ويعافهم ويحلم عنهم.
- ٢ - سعة علم الله تعالى بما في ظلمة الرحم، فهو يعلم أمر النطفة الواقعة في الرحم، وصيرورتها إلى تخليق ذكر أو أنثى، وصحته واعتلاله، ورزقه وأجله، وشقي أم سعيد، فعلمه بها عام شامل.
- ٣ - عظيم عناية الله ببني آدم، وإثبات وجود الملائكة التي تحرسه وتصوره وغيرهم مثل الحفظة.
- ٤ - أن الله تعالى يغير حال العبد إلى الأفضل متى ما رأى منه اتباعاً لأسباب الهداية، فهداية التوفيق منوطة باتباع هداية البيان.
- ٥ - إثبات تسبيح الرعد لله ﷻ.

⑬ لله وحده دعوة التوحيد لا يشاركه فيها أحد، والأصنام التي يدعوها المشركون من دونه لا تستجيب دعاء من يدعوها في أي مسألة، وما دعاؤهم لها إلا مثل عطشان يبسط يده إلى الماء ليصل إلى فيه فيشرب منه، وما الماء بواصل إلى فيه، وما دعاء الكافرين لأصنامهم إلا في ضياع وبعيد عن الصواب؛ لأنها لا تملك لهم جلب نفع، ولا دفع ضرر.

⑭ لله وحده يخضع بالسجود جميع من في السماوات ومن في الأرض، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، غير أن المؤمن يخضع له ويسجد طوعاً، وأما الكافر فيخضع له كرهاً، وتلمي عليه فطرته أن يخضع له طوعاً، وله يتقاد ظل كل ما له ظل من المخلوقات أول النهار وآخره.

⑮ قل - أيها الرسول - للكفار الذين يعبدون مع الله غيره: من خالق السماوات والأرض ومدبر أمرهما؟ قل - أيها الرسول -: الله هو خالقهما ومدبر أمرهما، وأنتم تقرون بذلك، قل - أيها الرسول - لهم: أفأخذتم لأنفسكم أولياء من دون الله عاجزين، لا يستطيعون جلب نفع لأنفسهم، ولا كشف ضرر عنها، فإني لهم أن يستطيعوا ذلك لغيرهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: هل يستوي الكافر الذي هو أعمى البصيرة، والمؤمن الذي هو البصير المهتدي؟ أم هل يستوي الكفر الذي هو ظلمات، والإيمان الذي هو نور؟ أم جعلوا لله سبحانه

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبْسِطَ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ۗ ۝١٤ ۚ وَلِلّٰهِ سَجْدٌ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمْتَهُمْ بِالْعُدْوٰى وَالْأَصٰلِ ۗ ۝١٥ ۚ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللّٰهُ قُلْ أَفَأَخَذْتُمْ مِّنْ دُونِهِۦٓ اَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُوْنَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰتُ وَالنُّوْرُ اَمْ جَعَلُوْا لِلّٰهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوْا كَخَلْقِهٖ فَتَشْبِهُهٗ الْحَاقُّ عَلَيْهِمْ قُلْ اللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ۗ ۝١٦ ۚ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ اَوْدِيُهٗٓ يُقَدِّرُهَآ فَاحْتَمَلَ السَّبِيْلُ زَيْدًا رَّيْبًا وَمِمَّا يُوقِدُوْنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلٰلٍۭٓةٍ اَوْ مَتَّعِ زَيْدٌ مِّثْلَهٗ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذٰهُبُ جَفَاً وَّامَّا مَّا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْاَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ ۗ ۝١٧ ۚ لِلَّذِيْنَ اٰسْتَجَابُوْا رِيبَهُمُ الْحُسْنٰى وَالَّذِيْنَ لَمْ يَسْتَجِيبُوْا لِهٖٓ لَوْ اَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا وَمِثْلَهٗ مَعَهٗ لَافْتَدَوْا بِهٖ ۗ ۝١٨ ۚ اُولٰٓئِكَ هُمُ سَوَءُ الْحِسَابِ وَمَا وٰنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ السَّمٰوٰتِ

شركاء معه في الخلق خلقوا مثل خلق الله، فاختلط عندهم خلق الله بخلق شركائهم؟ قل لهم - أيها الرسول -: الله وحده هو خالق كل شيء، لا شريك له في الخلق، وهو المنفرد بالالوهية، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، القهار.

⑯ ضرب الله مثلاً لتلاشي الباطل وبقاء الحق بماء مطر نازل من السماء حتى سالت به الأودية، كل حسب حجمه صغيراً وكبيراً، فحمل السيل الغثاء والرغوة مرتفعاً فوق الماء، وضرب مثلاً آخر لهما ببعض ما يوقد الناس عليه من المعادن النفيسة ابتغاء صهرها وصنع ما يتزين الناس به، بمثل هذين المثليين يضرب الله مثل الحق والباطل، فالباطل مثل الغثاء والزبد الطافي على الماء، ومثل ما ينفيه صهر المعدن من الصدأ، والحق مثل الماء الصافي الذي يشرب منه، وينبت الثمار والكأ والعشب، ومثل ما بقي من المعدن بعد صهره فيتتبع الناس به، كما ضرب الله هذين المثليين يضرب الله الأمثال للناس؛ ليتضح الحق من الباطل.

⑰ للمؤمنين الذين أجابوا ربهم لما دعاهم لتوحيدهم وطاعته المثوبة الحسنى وهي الجنة، والكفار الذين لم يجيبوا دعوته إلى توحيدهم وطاعته لو اتفق أن لهم ما في الأرض من أنواع المال، ولهم مثله مضافاً إليه؛ لبدلوا كل ذلك فداءً لأنفسهم من العذاب، أولئك الذين لم يجيبوا دعوته يحاسبون على سيئاتهم كلها، ومسكنهم الذي يأوون إليه جهنم، وساء فراشهم ومستقرهم الذي هو النار.

⑱ فإذ من الآيات:

١ - بيان ضلال المشركين في دعوتهم واستغاثتهم بغير الله تعالى، وتشبيه حالهم بحال من يريد الشرب فيسقط يده للماء بلا تناول له، وليس بشارب مع هذه الحالة؛ لكونه لم يتخذ وسيلة صحيحة لذلك. ٢ - أن من وسائل الإيضاح في القرآن: ضرب الأمثال، وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد. ٣ - إثبات سجود جميع الكائنات لله تعالى طوعاً، أو كرهاً بما تمليه الفطرة من الخضوع له سبحانه.

﴿١٦﴾ لا يستوي الذي يعلم أن ما أنزله الله عليك - أيها الرسول - من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه، وهو المؤمن المستجيب لله، ومن هو أعمى، وهو الكافر غير المستجيب لله، إنما يعتبر ويتعظ بذلك أصحاب العقول السليمة.

﴿١٧﴾ الذين استجابوا لله هم الذين يوفون بما عاهدوا الله عليه أو عاهدوا عليه عباده، ولا ينكون العهود الموثقة مع الله، أو مع غيره.

﴿١٨﴾ وهم الذين يصلون كل ما أمر الله بوصله من الأرحام ومن إخوانهم في الله، ويخشون ربهم خشية تدفعهم إلى امتثال أوامره واجتباب نواهيهم، ويخافون أن يحاسبهم الله على كل ما اكتسبوه من الإثم، فمن نوقش الحساب هلك.

﴿١٩﴾ وهم الذين صبروا على طاعة الله، وعلى ما قدره الله عليهم مما يسر أو يسوء، وصبروا عن معصيته طلباً لمرضاة الله، وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وبذلوا مما أعطيناهم من الأموال الحقوق الواجبة، وبذلوا منها تطوعاً خفية للبعد عن الرياء، وجهراً ليتأسى بهم غيرهم، ويدفعون سوء من أساء إليهم بالإحسان إليه، أولئك المتصفون بهذه الصفات لهم العاقبة المحمودة يوم القيامة.

﴿٢٠﴾ هذه العاقبة المحمودة هي جنات يقيمون فيها منعمين إقامة دائمة، ومن تمام نعيمهم فيها أن يدخلها معهم من استقام من آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم وأولادهم إكمالاً لأنسهم بلقائهم، والملائكة يدخلون عليهم مهنتين من جميع أبواب منازلهم في الجنة.

﴿٢١﴾ وتحييهم الملائكة كلما دخلوا عليهم بقولهم: سلام عليكم؛ أي: سلمتم من الآفات بسبب صبركم على طاعة الله، وعلى ممر أقداره، وصبركم عن معصيته، فنعمة عاقبة الدار التي كانت عاقبتكم.

﴿٢٢﴾ ولما ذكر الله صفات المؤمنين ثبى بصفات الكفار المعرضين، فقال: والذين ينكثون عهد الله من بعد توكيده، ويقطعون ما أمر الله بوصله من الأرحام، أولئك البعداء الأشقياء لهم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء العاقبة وهو النار.

﴿٢٣﴾ الله يوسع في الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء من عباده، وليس توسيع الرزق علامة على السعادة ولا على محبة الله، ولا ضيقه علامة على الشقاء، وفرح الكفار بالحياة الدنيا فركنوا واطمأنوا إليها، وليست الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متاعاً قليلاً ذاهباً.

﴿٢٤﴾ ويقول الذين كفروا بالله وبآياته: هلاً أنزل على محمد آية حسنة من ربه تدل على صدقه، فنؤمن به، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المقترحين: إن الله يضل من يشاء بعدله، ويهدي إليه من رجع إليه بالتوبة بفضل، وليست الهداية بأيديهم حتى يربطوها بإنزال الآيات.

﴿٢٥﴾ هؤلاء الذين يهديهم الله هم الذين آمنوا، وتستأنس قلوبهم بذكر الله بتسبيحه وتحميده، وبتلاوة كتابه وسماعه، ألا بذكر الله وحده تستأنس القلوب، خليق بها ذلك.

﴿٢٦﴾ فوازم من الآيات: ١ - إثبات فضيلة العلم والعلماء، وذلك بنفي مساواة العالم لغيره. ٢ - الترغيب في جملة من فضائل الأخلاق الموجبة للجنة، ومنها: حسن الصلة، وخشية الله تعالى، والوفاء بالعهود، والصبر والإنفاق، ومقابلة السيئة بالحسنة. ٣ - التحذير من بعض الخصال الموجبة للعن والطرد من رحمة الله تعالى، ومنها: نقض عهد الله، وقطع ما أمر الله تعالى بوصله، والإفساد في الأرض. ٤ - أن مقاليد الرزق بيد الله ﷻ، وأن توسعة الله تعالى أو تضيقه في رزق عبداً ما لا ينبغي أن يكون موجباً لفرح أو حزن، فهو ليس دليلاً على رضى الله أو سخطه على ذلك العبد. ٥ - أن الهداية ليست بالضرورة مربوطة بإنزال الآيات والمعجزات التي اقترح المشركون إظهارها. ٦ - من آثار القرآن على العبد المؤمن أنه يورثه طمأنينة في القلب.

﴿٢٧﴾ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يندكر أولوا الأبصار ﴿٢٨﴾ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴿٢٩﴾ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴿٣٠﴾ والذين صبروا ابتغاءاً وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدعرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴿٣١﴾ جنّت عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴿٣٢﴾ سلم عليهم بما صبرتم فنعمة عقبى الدار ﴿٣٣﴾ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة وهم سوء الدار ﴿٣٤﴾ الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ﴿٣٥﴾ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنا لله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ﴿٣٦﴾ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴿٣٧﴾

﴿٢١﴾ وهؤلاء الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة التي تقربهم إلى الله لهم عيش طيب في الآخرة، ولهم العاقبة الحسنة وهي الجنة.

﴿٢٢﴾ مثل هذا الإرسال الذي أرسلنا به الرسل السابقين إلى أممهم؛ أرسلناك - أيها الرسول - إلى أمتك؛ لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحيناه إليك، فهو كاف في الدلالة على صدقك، لكن حال قومك أنهم يجحدون هذه المعجزة؛ لأنهم يكفرون بالرحمن حيث يشركون معه غيره، قل لهم - أيها الرسول -: الرحمن الذي تشركون به غيره هو ربي الذي لا معبود بحق غيره، عليه توكلت في جميع أموري، وإليه توبتي.

﴿٢٣﴾ ولو كان من صفات كتاب من الكتب الإلهية أن تزال به الجبال عن أماكنها، أو تشقق به الأرض فتستحيل أنهاراً وعيوناً، أو يقرأ على الموتى، فيصيروا أحياء لكان هذا القرآن المنزل عليك - أيها الرسول -، فهو واضح البرهان، عظيم التأثير لو أنهم كانوا أتقياء القلوب، لكنهم جاحدون. بل لله الأمر كله في إنزال المعجزات وغيرها، أفلم يعلم المؤمنون بالله أن لو يشاء الله هداية الناس جميعاً دون إنزال معجزات لهداهم جميعاً دونها؟ لكنه لم يشأ ذلك، ولا يزال الذين كفروا بالله تصيبهم بما عملوا من الكفر والمعاصي داهية شديدة تفرعهم، أو تنزل تلك الداهية قريباً من دارهم

حتى يأتي وعد الله بنزول العذاب المتصل، إن الله لا يترك إنجاز ما وعد به إذا جاء وقته المحدد له.

﴿٢٤﴾ ولست أول رسول كذب به قومه وسخروا منه، فقد استهزأت أمم من قبلك - أيها الرسول - برسائها وكذبوا بهم، فأهملت الذين كفروا برسلمهم حتى ظنوا أنني غير مهلكهم، ثم أخذتهم بعد الإمهال بصنوف العذاب، فكيف رأيت عقابي لهم؟ لقد كان عقاباً شديداً.

﴿٢٥﴾ أفمن هو رقيب على كل نفس بما كسبت من عمل، فيجازيها على أعمالها، أولى أن يُعبد، أم هذه الأصنام التي لا حق لها أن تعبد؟ وقد جعلها الكفار شركاء لله ظلماً وزوراً، قل لهم - أيها الرسول -: سمو لنا الشركاء الذين عبدتموهم مع الله إن كنتم صادقين في دعواكم، أم تخبرون الله بما لا يعلم في الأرض من الشركاء، أم تخبرونه بظاهر من القول لا حقيقة له؟ بل حسن الشيطان للذين كفروا تدبيرهم السيئ، فكفروا بالله، وصرفهم عن سبيل الرشاد والهداية، ومن يضل الله عن سبيل الرشاد فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٦﴾ لهم عذاب في الحياة الدنيا بما ينالهم من القتل والأسر على أيدي المؤمنين، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشد عليهم وأثقل من عذاب الدنيا؛ لما فيه من الشدة والدوام الذي لا ينقطع، وليس لهم مانع يحميهم من عذاب الله يوم القيامة.

﴿٢٧﴾ فإذن من الآيات:

١ - أن الأصل في كل كتاب منزل أنه جاء للهداية، وليس لاستنزال الآيات والمعجزات، فذاك أمر الله تعالى يقدره متى شاء، وكيف شاء.

٢ - تسلية الله تعالى للنبي ﷺ، وإحاطته علماً أن ما يسلكه معه المشركون من طرق التكذيب ليس حديثاً، بل واجهه أنبياء سابقون.

﴿٢٥﴾ صفة الجنة التي وعد الله المتقين له بامثال أوامره واجتناب نواهيه أنها تجري من تحت قصورها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، عكس ثمار الدنيا، وظلها دائم لا يزول، ولا يتقلص، تلك هي عاقبة الذين اتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين النار يدخلونها ماكثين فيها أبداً.

﴿٢٦﴾ والذين أعطيناهم التوراة من اليهود، والذين أعطيناهم الإنجيل من النصارى، يفرحون بما أنزل عليك - أيها الرسول -؛ لموافقته لبعض ما أنزل عليهم، ومن طوائف اليهود والنصارى من ينكر بعض ما أنزل إليك مما لا يتفق مع أهوائهم، أو مما يفهم بالتبديل والتحريف، قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرني الله أن أعبده وحده، ولا أشرك به غيره، إليه وحده أدعو ولا أدعو لغيره، وإليه وحده مرجعي، وبهذا جاءت التوراة والإنجيل.

﴿٢٧﴾ ومثل إنزالنا الكتب بالسنة أقوامها أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن قولاً فصلاً مبيناً للحق عربياً، ولئن اتبعت - أيها الرسول - أهواء أهل الكتاب في مساومتهم لك بحذف ما لا يتفق مع أهوائهم بعدما جاءك من العلم الذي علمك الله إياه، فليس لك من الله ولي يتولى أمرك، وينصرك على أعدائك، وليس لك مانع يمنعك من عذابه.

مَثَلِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى

الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ

بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ

أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٦﴾

وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ مَا

جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ

أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ

لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ ﴿٢٨﴾

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾

وَإِنْ مَا نَرَيْنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَقَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْنَاكَ

الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٣٠﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا

مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿٣١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا

يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٣٢﴾

﴿٢٧﴾ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك - أيها الرسول - من البشر، فليست بدعاً من الرسل، وجعلنا لهم أزواجاً، وجعلنا لهم أولاداً كسائر البشر، ولم نجعلهم ملائكة لا يتزوجون ولا ينجبون، وأنت من هؤلاء الرسل الذين هم بشر يتزوجون وينجبون، فلماذا يعجب المشركون من كونك كذلك؟ ولا يصح لرسول أن يأتي من عنده بمعجزة إلا إن أذن الله بإتيانه بها، لكل أمر قضاه الله كتاب ذكر فيه ذلك، وأجل لا يتقدم ولا يتأخر.

﴿٢٩﴾ يزيل الله ما يشاء إزالته من خير أو شر أو سعادة أو شقاء وغيرها، ويثبت ما يشاء منها، وعند اللوح المحفوظ، فهو مرجع كل ذلك، وما يظهر من محو أو إثبات مطابق لما هو فيه.

﴿٣٠﴾ وإن أريناك - أيها النبي - بعض ما نعدهم به من العذاب قبل موتك فذلك إليّ، أو أمتناك قبل أن نريك إياه فليس عليك إلا تبلغ ما أمرناك بتبليغه، وليس عليك مجازاتهم ولا محاسبتهم، فذلك علينا.

﴿٣١﴾ أولم يشاهد هؤلاء الكفار أنا نأتي أرض الكفر ننقصها من أطرافها بنشر الإسلام، وفتح المسلمين لها، والله يحكم ويقضي بما يشاء بين عباده، ولا أحد يتعقب حكمه بنقض أو تغيير أو تبديل، وهو سبحانه سريع الحساب، يحاسب الأولين والآخرين في يوم واحد.

﴿٣٢﴾ وقد مكرت الأمم السابقة بأنبيائها، وكادت لهم، وكذبوا بما جاؤوا به، فماذا فعلوا بتدبيرهم لهم؟ لا شيء؛ لأن التدبير الفاعل هو تدبير الله لا غيره، كما أنه سبحانه هو الذي يعلم ما تكسبه نفوسهم ويجازيهم عليه، وعندئذ سيعلمون كم كانوا مخطفين في عدم الإيمان بالله، وكم كان المؤمنون مصيبين، فحازوا بذلك الجنة والعاقبة الحسنة.

﴿٣٣﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الترغيب في الجنة ببيان صفتها، من جريان الأنهار وديمومة الرزق والظل. ٢ - بيان أن الرسل بشر، لهم أزواج وذريات، وأن نبينا ﷺ ليس بدعاً بينهم، فقد كان مماثلاً لهم في ذلك.

﴿١٣﴾ ويقول الذين كفروا: لست - يا محمد - مرسلًا من الله، قل لهم - أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم على أنني مرسل من ربي إليكم، ومن عنده علم من الكتب السماوية التي جاء فيها نعتي، ومن كان الله شاهدًا بصدقه، فلا يضره تكذيب من كذب.

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة:

بيان وظيفة الرسل وحرصهم على إخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، في مقابل إعراض أقوامهم، تثبيتًا للنبي ﷺ وتوعّدًا للظالمين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ الر: تقدّم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها الرسول - لتخرج الناس من الكفر والجهل والضلالة إلى الإيمان والعلم والهداية إلى دين الإسلام الذي هو طريق الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿٢﴾ الله الذي له وحده ملك ما في السماوات، وله وحده ملك ما في الأرض، فهو المستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به شيء من خلقه، وسينال الذين كفروا عذاب قوي.

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الرَّكْتَبِ اَنْزَلْنَاهُ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّورِ يٰۤاٰدِن رَّبِّهِمْ اِلَى صِرَاطٍ الْعَزِیْزِ الْحَمِیْدِ ﴿١﴾

اللّٰهُ الَّذِیْ لَهٗ مَا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا فِی الْاَرْضِ وَوِیْلٌ لِّلْکٰفِرِیْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِیْدٍ ﴿٢﴾ الَّذِیْنَ یَسْتَحْبِبُوْنَ الْحَیٰوةَ الدُّنْیَا عَلٰی الْاٰخِرَةِ وَیَصُدُّوْنَ عَنِ سَبِیْلِ اللّٰهِ وَیَبْغُوْنَهَا عَوْجًا اُولٰٓئِکَ فِی ضَلٰلٍ بَعِیْدٍ ﴿٣﴾ وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا بِلِسٰنٍ قَوْمِهٖ لِیُبَيِّنَ لَهُمْ فِیْضْلَ اللّٰهِ مِنْ یَشَآءُ وَیَهْدِیْ مَنْ یَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِیْزُ الْحَکِیْمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوْسٰی بِآیٰتِنَا اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَکَ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّورِ وَذَكَرْنٰهُمْ بِآیٰتِنَا اللّٰهِ اِنَّ فِیْ ذٰلِکَ لَاٰیٰتٍ لِّکُلِّ صَبّٰرٍ شٰکُوْرٍ ﴿٥﴾

﴿٣﴾ الذين كفروا يُؤثرون الحياة الدنيا وما فيها من نعيم زائل على الآخرة وما فيها من نعيم دائم، ويصرفون الناس عن طريق الله، ويطلبون لطيفه التشويه والزيغ عن الحق والميل عن الاستقامة حتى لا يسلكها أحد، وأولئك المتصفون بتلك الصفات في ضلال بعيد عن الحق والصواب.

﴿٤﴾ وما بعثنا من رسول إلا بعثناه مُتَحَدِّثًا بلغة قومه؛ ليسهل عليهم فهم ما جاء به من عند الله، ولم نبعثه لإجبارهم على الإيمان بالله، فالله يضل من يشاء بعدله، ويوفق من يشاء للهداية بفضله، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتديبه.

﴿٥﴾ ولقد بعثنا موسى وأيدناه بالمعجزات الدالة على صدقه، وأنه مرسل من ربه، وأمرناه أن يُخْرِجَ قومه من الكفر والجهل والاسترقاق إلى الإيمان والعلم والحرية من استعباد فرعون وملئه لهم، وأمرناه أن يذكرهم بأيام الله التي أنعم عليهم فيها، وبأيام نقمه التي انتقم فيها من المكذبين، إن في تلك الأيام دلالات جلية على توحيد الله وعظيم قدرته، وإنعامه على المؤمنين، وانتقامه من المجرمين المكذبين، وهذا ما ينتفع به الصابرون على طاعة الله المتداومون على شكر نعمه وآلاته.

﴿٦﴾ فَوَاوِزَ مِنَ الْآيٰتِ: ١ - أن وظيفة القرآن والمقصد من إنزاله هو الهداية بإخراج الناس من ظلمات الباطل إلى نور الحق. ٢ - أن إرسال الرسل يكون بلسان أقوامهم ولغتهم؛ لأنه أبلغ في الفهم عنهم، فيكون أدعى للقبول والامتثال. ٣ - وظيفة الرسل تلخص في إرشاد وقيادة الناس للخروج من الظلمات إلى النور.

٦) واذكر - أيها الرسول - حين امتثل موسى أمر ربه فقال لقومه من بني إسرائيل مُذَكِّرًا إياهم بنعم الله عليهم: يا قوم، اذكروا نعمة الله عليكم حين أنقذكم من آل فرعون، وسلمكم من بأسهم، يذيقونكم شر العذاب، حيث كانوا يذبحون أبناءكم الذكور حتى لا يولد فيكم من يستولي على ملك فرعون، ويقون نساءكم على قيد الحياة لإذلالهن وإهانتهن، وفي أفعالهم هذه اختبار لكم عظيم على الصبر، فكافأكم الله على صبركم على هذا البلاء بإنقاذكم من بأس آل فرعون.

٧) وقال لهم موسى: اذكروا حين أعلمكم ربكم إعلامًا بليغًا: لئن شكرتم الله على ما أنعم به عليكم من تلك النعم المذكورة ليزيدنكم عليها من إنعامه وفضله، ولئن جحدتم نعمه عليكم ولم تشكروها، فإن عذابه لمن يجحد نعمه ولا يشكرها لشديد.

٨) وقال موسى لقومه: يا قوم، إن تكفروا أنتم، ويكفر معكم جميع من في الأرض فضرر كفركم يعود عليكم؛ فإن الله غني بنفسه، مستوجب الحمد بذاته، لا ينفعه إيمان المؤمنين، ولا يضره كفر الكافرين.

٩) ألم يجنكم - أيها الكفار - خبر إهلاك الأمم المكذبة من قبلكم: قوم نوح، وعاد

قوم هود، وثمود قوم صالح، والأمم الذين جاؤوا من بعدهم، وهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله؟ أتتهم رسلهم بالدلائل الواضحة، ومنها المعجزات، فلم يستجيبوا لرسلمهم ولم يصدقوهم، ولم ينطقوا بشيء يدل على إيمانهم، وقالوا لرسلمهم: إنا كفرنا بما أرسلتم به، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه باعث على الريبة.

١٠) قالت لهم رسلهم ردًا عليهم: أفي توحيد الله وإفراده بالعبادة شك، وهو خالق السماوات وخالق الأرض، وموجدهما على غير مثال سابق؟! يدعوكم إلى الإيمان به ليمحو عنكم من ذنوبكم السابقة، ويؤخركم إلى حين استيفائكم لآجالكم المحددة في حياتكم الدنيا. قالت لهم أقوامهم: لستم إلا بشرًا مثلنا، لا مزية لكم علينا، تريدون صرفنا عن عبادة ما كان يعبد آباؤنا، فأتونا بحجة واضحة تدل على صدقكم فيما تدعونه من أنكم رسل من الله إلينا.

١١) فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - من وسائل الدعوة تذكير المدعويين بنعم الله تعالى عليهم، خاصة إن كان ذلك مرتبطًا بنعمة كبيرة، مثل نصر على عدو أو نجاة منه.
- ٢ - من فضل الله تعالى أنه وعد عباده مقابلة شكرهم بمزيد الإنعام، وفي المقابل فإن وعيده شديد لمن يكفر به.
- ٣ - كفر العباد لا يضر الله البتة، كما أن إيمان العباد لا يضيف له شيئًا، فهو غني حميد بذاته.

﴿١٦﴾ ألم تعلم - والخطاب لكل من يصلح له - أن الله خلق السماوات وخلق الأرض بالحق، فلم يخلقهما عبثاً، إن يشأ إذهابكم - أيها الناس - والإتيان بخلق آخر يعبده ويطيعه بدلاً منكم لأذهبكم وجاء بخلق آخر يعبده ويطيعه، فهو أمر سهل يسير عليه.

﴿١٧﴾ وليس إهلاككم والإتيان بخلق غيركم بمعجزه سبحانه، فهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿١٨﴾ وخرج الخلائق من قبورهم إلى الله يوم الميعاد، فقال الأتباع الضعفاء للسادة الرؤساء: إنا كنا لكم - أيها السادة - أتباعاً، نأتمر بأمركم، وننتهي بنهيكم، فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله شيئاً؟ قال السادة الرؤساء: لو وَقَفْنَا الله للهداية لأرشدناكم إليها، فنحن جميعاً من عذابه، ولكن ضللنا فأضللناكم، يستوي علينا وعليكم أن ضَعَفْنَا عن تحمل العذاب أم صبرنا، ليس لنا مهرب من العذاب.

﴿١٩﴾ وقال إبليس حين دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدكم الوعد الحق، فأنجزكم ما وعدكم، ووعدتكم وعد الباطل فلم أف ب ما وعدتكم به، وما كان لي من قوة أقهركم بها في الدنيا على الكفر

والضلال، لكن دعوتكم إلى الكفر، وزينت لكم المعاصي، فسارعتم إلى اتباعي، فلا تلوُموني على ما حصل لكم من الضلال، ولوموا أنفسكم، فهي أولى باللوم، ما أنا بمغيثكم بدفع العذاب عنكم، وما أنتم بمغيثي بدفعه عني، إني كفرت بجعلكم إياي شريكاً لله في العبادة، إن الظالمين بالشرك بالله في الدنيا والكفر به لهم عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

ولما ذكر الله مصير الكفار يوم القيامة ترهيباً منه ذكر مصير المؤمنين ترغيباً فيه، فقال:

﴿٢٠﴾ وبخلاف مصير الظالمين أدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكنين فيها أبداً ياذن ربهم وحوله، يُحَيِّي بعضهم بعضاً، وتحييهم الملائكة، ويحييهم ربهم سبحانه بالسلام.

﴿٢١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف ضرب الله مثلاً لكلمة التوحيد التي هي: لا إله إلا الله، حين مثلها بشجرة طيبة هي النخلة، جذعها ضارب في قرار الأرض تشرب الماء بعروقها الطيبة، وفرعها مرتفع إلى السماء يشرب من الندى، ويستنشق الهواء الطيب.

﴿٢٢﴾ فإذ من الآيات:

١ - بيان سوء عاقبة التابع والمتبوع إن اجتمعا على الباطل.

٢ - بيان أن الشيطان أكبر عدو لبني آدم، وأنه كاذب مخذول ضعيف، لا يملك لنفسه ولا لأتباعه شيئاً يوم القيامة.

٣ - اعتراف إبليس أن وعد الله تعالى هو الحق، وأن وعد الشيطان إنما هو محض الكذب.

٤ - تشبيه كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة الثمر، العالية الأغصان، الثابتة الجذور.

﴿٢٥﴾ تعطي هذه الشجرة الطيبة ثمرها الطيب كل وقت بأمر ربها، ويضرب الله تعالى الأمثال للناس رجاء أن يتذكروا.

﴿٢٦﴾ ومثل كلمة الشرك الخبيثة مثل شجرة خبيثة، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أصلها، ليس لها ثبات على الأرض، ولا ارتفاع إلى السماء، فتموت وتذورها الرياح، فكلمة الكفر مآلها الفناء، ولا يصعد لصاحبها إلى الله عمل طيب.

﴿٢٧﴾ يُبَيِّنُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ الثَّابِتَةِ إيمَانًا تَامًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُوتُوا وَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَفِي الْبَرْزَخِ فِي قُبُورِهِمْ عِنْدَ السُّؤَالِ، وَيُثَبِّتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ وَالْكَفْرِ بِهِ عَنِ الصَّوَابِ وَالرُّشْدِ، وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ مِنْ إِضْلَالٍ مَنْ أَرَادَ إِضْلَالَهُ بِعَدْلِهِ، وَمَنْ هَدَايَةَ مَنْ شَاءَ هَدَايَتَهُ بِفَضْلِهِ، فَلَا مَكْرَهُ لَهُ سُبْحَانَهُ.

﴿٢٨﴾ لَقَدْ رَأَيْتَ حَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ مِنْ قُرَيْشٍ حِينَ اعْتَاظُوا عَنْ إِنْعَامِ اللهِ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ فِي الْحَرَمِ، وَبِعِثَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فِيهِمْ، اعْتَاظُوا عَنْ ذَلِكَ الْكُفْرِ بِنِعْمَةِ حِينَ كَذَبُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنْزَلُوا مِنْ اتَّبَعَهُمْ فِي الْكُفْرِ مِنْ أَقْوَامِهِمْ دَارَ الْهَلَاكِ.

﴿٢٩﴾ وَدَارَ الْهَلَاكِ هِيَ جَهَنَّمُ يَدْخُلُونَهَا، يِقَاسُونَ حَرَّهَا، وَسَاءَ الْمَسْتَقَرُّ مَسْتَقَرَّهُمْ.

تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَشْبِتُ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللهِ كَفْرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ وجعل المشركون لله أمثالا ونظراء ليضلوا من اتبعهم عن سبيل الله بعد أن ضلوا هم عنها، قل لهم - أيها الرسول -: تمتعوا بما أنتم فيه من الشهوات، ونشر الشبهات في هذه الحياة الدنيا، فإن مرجعكم يوم القيامة إلى النار، ليس لكم مرجع غيرها.

﴿٢٦﴾ قل - أيها الرسول - للمؤمنين: أيها المؤمنون، أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأنفقوا مما رزقكم الله النفقات الواجبة والمستحبة خفية خوفاً من الرياء، وجهراً ليقنتي بكم غيركم، من قبل أن يجيء يوم لا بيع فيه ولا فداء فيفتدي من عذاب الله، ولا صداقة حتى يشفع الصديق لصديقه.

﴿٢٧﴾ الله الذي أنشأ السماوات وأنشأ الأرض على غير مثال سابق، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرج بذلك الماء المنزل من أصناف الثمار رزقا لكم - أيها الناس -، وذلك لكم السفن تجري على الماء وفق تقديره، وذلك لكم الأنهار لتشربوا منها، وتسقوا أنعامكم وزروعكم.

﴿٢٨﴾ وذلك لكم الشمس والقمر يجريان باستمرار، وذلك لكم الليل والنهار يتعاقبان، الليل لنومكم وراحتكم، والنهار لنشاطكم وكدكم.

﴿٣٠﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَلِدْنَ

١ - تشبيه كلمة الكفر بشجرة الحنظل الزاحفة، فهي لا ترتفع، ولا تنتج طيباً، ولا تدوم.

٢ - الرابط بين الأمر بالصلاة والزكاة مع ذكر الآخرة فيه إشعار بأنهما مما تكون به النجاة يومئذ.

﴿٣٤﴾ وأعطاكم من جميع ما طلبتموه، ومما لم تطلبوه، وإن تعدوا نعم الله لا تقدروا على حصرها؛ لكثرتها وتعددتها، فما ذكر لكم أمثلة منها، إن الإنسان لظلوم لنفسه، كثير الجحود لنعم الله ﷻ.

﴿٣٥﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم بعد أن أسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة: يا رب، اجعل هذا البلد الذي أسكنت فيه أهلي - وهو مكة - بلداً ذا أمن، لا يسفك فيه دم، ولا يظلم فيه أحد، وأبعدني وأبعد أولادي من عبادة الأصنام.

﴿٣٦﴾ يا رب، إن الأصنام أضللت كثيراً من الناس، حيث ظنوا أنها تشفع لهم، ففتنوا بها، وعبدوها من دون الله، فمن تعني من الناس في توحيد الله وطاعته فإنه من شيعتي وأتباعي، ومن عصاني فلم يتبعني في توحيد طاعته فإنك - يا رب - غفور لذنوب من شئت أن تغفر له، رحيم بهم.

﴿٣٧﴾ ربنا إني أسكنت بعض ذريتي، وهم ابني إسماعيل وأبناؤه بوادي (وهو مكة) لا زرع فيه ولا ماء بجوار بيتك المحرم، ربنا أسكنتهم بجواره ليقيموا الصلاة فيه، فصير - يا رب - قلوب الناس تحن إليهم، وإلى هذا البلد، وارتزقهم من الثمرات رجاء أن يشكروك على إنعامك عليهم.

﴿٣٨﴾ ربنا، إنك تعلم كل ما نسرّه، وكل ما نجهر به، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، بل يعلمه، فلا يخفى عليه احتياجنا وفقرنا إليه.

﴿٣٩﴾ الشكر والثناء لله سبحانه الذي أجاب دعائي أن يهب لي من الصالحين، فأعطاني على كبر سني إسماعيل من هاجر، وإسحاق من سارة، إن ربي سبحانه سمع دعاء من دعاه.

﴿٤٠﴾ يا رب، اجعلني مؤدياً للصلاة على أكمل وجه، واجعل ذريتي ممن يؤديها كذلك، يا ربنا، وأجب دعائي واجعله مقبولاً عندك.

﴿٤١﴾ ربنا، اغفر لي ذنوبي، واغفر ذنوب والدي (قالها قبل أن يعلم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)، واغفر للمؤمنين ذنوبهم يوم يقوم الناس لحسابهم أمام ربهم.

﴿٤٢﴾ ولا تظنن - أيها الرسول - أن الله إذ يؤخر عذاب الظالمين غافل عما يعمل الظالمون من التكذيب والصد عن سبيل الله وغير ذلك، بل هو عالم بذلك، لا يخفى عليه منه شيء، إنما يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ترتفع فيها الأبصار خوفاً من هول ما تشاهده.

﴿٤٣﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - الإشارة لشدة كفر بعض بني آدم مع ما وهبهم الله تعالى من نعم وافرة.
- ٢ - بيان فضيلة مكة التي دعا لها نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام.
- ٣ - أن الإنسان مهما ارتفع شأنه في مراتب الطاعة والعبودية ينبغي له أن يخاف على نفسه وذريته من جليل الشرك ودقيقه.
- ٤ - دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدل على أن العبد مهما ارتفع شأنه يظل مفتقراً إلى الله تعالى ومحتاجاً إليه.
- ٥ - من أساليب التربية: الدعاء للأبناء بالصالح وحسن المعتقد والتوفيق في إقامة شعائر الدين.

٤٣ حين يقوم الناس من قبورهم مسرعين إلى الداعي، رافعي رؤوسهم ينظرون جزعًا إلى السماء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى شاخصة من هول ما يشاهدونه، وقلوبهم فارغة لا عقل لها، ولا فهم من فزع المشهد.

٤٤ وخوف - أيها الرسول - أمتك من عذاب الله يوم القيامة، فيقول عند ذلك الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والشرك به: يا ربنا، أمهلنا، وأخر عنا العذاب، وردنا إلى الدنيا مدة يسيرة نؤمن بك، وتتبع الرسل الذين بعثتهم إلينا، فيجابون توبيخًا لهم: ألم تكونوا حلفتُم في الحياة الدنيا أنكم لا انتقال لكم من الحياة الدنيا إلى الآخرة منكرين البعث بعد الموت؟!!

٤٥ ونزلتم في مساكن الأمم السابقة الظالمة من قبلكم لأنفسها بالكفر بالله، مثل قوم هود وقوم صالح، واتضح لكم ما أوقعناه بهم من الهلاك، وضررنا لكم الأمثال في كتاب الله لتتظنوا، فما اتعظتم بها.

٤٦ وقد دبر هؤلاء النازلون في مساكن الأمم الظالمة المكائد لقتل النبي محمد ﷺ، والقضاء على دعوته، والله يعلم تدبيرهم لا يخفى عليه منه شيء، وتدبير هؤلاء ضعيف، فهو لا يزيل الجبال ولا غيرها لضعفه، خلًا لمكر الله بهم.

٤٧ فلا تظنن - أيها الرسول - أن الله الذي وعد رسله بالنصر وإظهار الدين مُخَلَّف ما وعد

به رسله، إن الله عزيز لا يغلبه شيء، وسيجز أوليائه، ذو انتقام شديد من أعدائه وأعداء رسله.

٤٨ هذا الانتقام من الكفار يحصل يوم تقوم القيامة، يوم تبدل هذه الأرض أرضًا أخرى بيضاء نقية، وتبدل السماوات سماوات غيرها، وظهر الناس من قبورهم بأبدانهم وأعمالهم للوقوف بين يدي الله المنفرد بملكه وعظمته، القهار الذي يقهر ولا يقهر، ويغلب ولا يُغلب.

٤٩ وتُبصِر - أيها الرسول - يوم تبدل الأرض غير الأرض، وتبدل السماوات؛ الكفار والمشركين قد شدَّ بعضهم إلى بعض في القيود، فُرت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالسلاسل، ثيابهم التي يلبسونها من القِطران (وهي مادة شديدة الاشتعال)، وتعلو وجوههم الكالحة النار.

٥٠ ليشيب الله كل نفس ما عملت من خير أو شر، إن الله سريع الحساب، فهو يحاسب الأولين في يوم واحد، لا يشغله حساب أحد عن حساب آخر.

٥١ هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ إعلَام من الله إلى الناس، وليخوفوا بما فيه من الترهيب والوعيد الشديد، وليعلموا أن المعبود بحق هو الله وحده فيعبده ولا يشركوا به أحدًا، وليتعض به ويعتبر أصحاب العقول السليمة؛ لأنهم هم الذين يتفتنون بالعظات والعبر.

❁ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تصوير مشاهد يوم القيامة وجزع الخلق وخوفهم وضعفهم ورهبتهم، وتبديل الأرض والسماوات.
- ٢ - وصف شدة العذاب والذل الذي يلحق بأهل المعصية والكفر يوم القيامة.
- ٣ - إن العبد في سعة من أمره في حياته في الدنيا، فعليه أن يجتهد في الطاعة، فإن الله تعالى لا يتيح له فرصة أخرى إذا بعثه يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّتِلَآءِ آيَتِ الْكُتُبِ وَقُرْآنِ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَاكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ كَإِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِلُ الْمَلَكِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَجْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي
قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ أَبْصَارِنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :
تركز على إنذار المكذبين بالعقاب من خلال
عرض مشاهد المهلكين، تحذيرًا للمخاطبين
وتشبيهاً للمؤمنين.

﴿٢﴾ التفسير :
﴿١﴾ الر : تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة
البقرة، هذه الآيات رقيقة الشأن الدالة على أنها منزلة
من عند الله هي آيات قرآن موضح للتوحيد والشرايع .
﴿٢﴾ سيمنى الكفار يوم القيامة لو كانوا مسلمين
عندما يتضح لهم الأمر، وينكشف لهم بطلان
ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا .

﴿٣﴾ اترك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين
ياكلوا كما تأكل الأنعام، ويتمتعوا بملذات
الدنيا المنقطة، ويشغلهم طول الأمل عن
الإيمان والعمل الصالح، فسوف يعلمون ما هم
فيه من الخسران إذا وردوا على الله يوم القيامة .
﴿٤﴾ وما أنزلنا الهلاك على قرية من القرى الظالمة إلا كان
لها أجل محدد في علم الله، لا تتقدم عنه ولا تتأخر .

﴿٥﴾ لا يأتي أمة من الأمم هلاكها قبل أن يحين
أجلها، ولا يتأخر عنها الهلاك إذا حان أجلها،
فعلى الظالمين أن لا يغتروا بإمهال الله لهم .
﴿٦﴾ وقال الكفار من أهل مكة للرسول ﷺ :
يا أيها الذي نزل عليه - كما يدعي - الذكر إنك
بدعواك هذه لمجنون تتصرف تصرف المجانين .

﴿٧﴾ هلا جئنا بالملائكة يشهدون لك، أو طلبت إهلاكنا بسبب كفرنا .
﴿٨﴾ قال الله رداً على ما اقترحوه من مجيء الملائكة: لا ننزل الملائكة إلا وفق ما تقتضيه الحكمة حين يحين
إهلاككم بالعذاب، وليسوا إذا جئنا بالملائكة ولم يؤمنوا بمبتهلين، بل سيعاجلون بالعقاب .
﴿٩﴾ إنا نحن وحدنا الذين نزلنا هذا القرآن على قلب محمد ﷺ تذكيراً للناس، وإنا للقرآن لحافظون من الزيادة
والتقصان والتبديل والتحريف .

﴿١٠﴾ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً في جماعات الكفر السابقة فكذبوهم، فلست بدعاً من الرسل في تكذيب أمثك لك .
﴿١١﴾ وما يأتي جماعات الكفر السابقة رسول إلا كذبوه وسخروا منه .
﴿١٢﴾ كما تركنا التكذيب في قلوب تلك الأمم تتركه كذلك في قلوب مشركي مكة بإعراضهم وعنادهم .
﴿١٣﴾ لا يؤمنون بهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ، وقد مضت سنة الله في إهلاك المكذبين بما جاءت به رسلهم،
فليعتبر المكذبون بك .

﴿١٤﴾ وهؤلاء المكذبون معاندون حتى لو اتضح لهم الحق بالأدلة الجلية، فلو فتحنا لهم باباً من السماء فظلوا يصعدون .
﴿١٥﴾ لما صدقوا، وقالوا: إنما سددت أبصارنا عن الإبصار، بل ما نراه هو بتأثير السحر، فتحن مسحورون .

﴿١٦﴾ فإذن من الآيات: ١ - القرآن الكريم جامع بين صفة الكمال في كل شيء، والوضوح والبيان . ٢ - سيندم الكفار
يوم القيامة على كفرهم، ويتمنون أن لو كانوا مسلمين . ٣ - يهتم الكفار عادة بالماديات، فتراهم مُتَغَمِّسين في
الشهوات والأهواء، مغترين بالأمانى الزائفة، منشغلين بالدنيا عن الآخرة . ٤ - إهلاك الأمم الكافرة المكذبة
لرسل بسبب جحودها وكفرها وتكذيبها بآيات الله ورسله . ٥ - هلاك الأمم مُقَدَّر بتاريخ معين، ومقرر في أجل
محدد، لا تأخير فيه ولا تقديم، وإن الله لا يعجل لعجلة أحد . ٦ - تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من التغيير
والتبديل، والزيادة والتقص، إلى يوم القيامة .

﴿٣٦﴾ قال الله لإبليس بعد امتناعه من السجود
لآدم: ما حملك ومنعك من أن تسجد مع
الملائكة الذين سجدوا امتثالاً لأمرى؟
﴿٣٧﴾ قال إبليس متكبراً: ما يصح لي أن أسجد
لبشر خلقته من طين يابس كان طيناً أسود متغيراً.
﴿٣٨﴾ قال الله لإبليس: اخرج من الجنة فإنك
مطروء.

﴿٣٩﴾ وإن عليك اللعنة والطرء من رحمتى إلى
يوم القيامة.

﴿٤٠﴾ قال إبليس: يا رب، أمهلني ولا تمتني
إلى يوم يبعث آدم وذريته.

﴿٤١﴾ قال الله له: فإنك من الممهلين الذين
أخرت آجالهم.

﴿٤٢﴾ إلى الوقت الذي يموت فيه جميع
الخلائق عند النفخة الأولى.

﴿٤٣﴾ قال إبليس: يا رب، بسبب إضلالك لي
لأحسنت لهم المعاصي في الأرض،
ولأضلنهم كلهم عن الصراط المستقيم.

﴿٤٤﴾ إلا من اصطفيتهم من عبادك لعبادتك.

﴿٤٥﴾ قال الله: هذا طريق معتدل موصل إليّ.

﴿٤٦﴾ إن عبادي المخلصين ليس لك قدرة ولا
تسلط على إغوائهم إلا من اتبعك من الضالين.

﴿٤٧﴾ وإن جهنم لموعده إبليس ومن اتبعه من
الضالين كلهم.

﴿٣٦﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ

لَأَسْجُدَ لِلْبَشَرِ خَلَقْتُهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ

فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ

الَّذِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٤٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا

أَغْوَيْتَنِي لَأَتَّبِعَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٣﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ

اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٧﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمِينٍ ﴿٤٨﴾

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ

﴿٤٩﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ وَأَنَّ عَذَابِي

هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٣﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٤﴾

﴿٥٥﴾

﴿٤٤﴾ لجهنم سبعة أبواب يدخلون منها، لكل باب من أبوابها من أتباع إبليس قدر معلوم منهم يدخل منه.

﴿٤٥﴾ إن الذين اتقوا ربهم بامثال أمره واجتناب نهيه في جنات وعيون.

﴿٤٦﴾ يقال لهم عند دخولها: ادخلوها بسلامة من الآفات، وأمن من المخاوف.

﴿٤٧﴾ وأزلنا ما في صدورهم من حقد وعداوة، إخوة متحابين يجلسون على أسرة ينظر بعضهم إلى بعض.

﴿٤٨﴾ لا يصيبهم فيها تعب، وليسوا بمُخْرَجِينَ منها، بل هم خالدون فيها.

﴿٤٩﴾ أعلم - أيها الرسول - عبادي أنني أنا الغفور الرحيم به.

﴿٥٠﴾ وأعلمهم أن عذابي هو العذاب الموجع، فليتوبوا إلي لينالوا مغفرتي، ويأمنوا من عذابي.

﴿٥١﴾ وأعلمهم بخبر ضيوف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين جاؤوه بالبشرى بالولد، ويأهلاكم قوم لوط.

﴿٥٢﴾ فَإِنَّكَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - أمر الله للملائكة بالسجود لآدم تكريم للجنس البشري.

٢ - في الآيات دليل على تراور المتقين واجتماعهم وحسن أدهم فيما بينهم، في كون كل منهم مقابلاً للآخر لا مستدبراً له.

٣ - ينبغي للعبد أن يكون قلبه دائماً بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة.

٤ - سجد الملائكة لآدم كلهم أجمعون سجد تحية وتكريم إلا إبليس رفض وأبى.

٥ - لا سلطان لإبليس على الذين هداهم الله واجتباهم واصطفاهم في أن يلقبهم في ذنب يمنعهم عفو الله.

٦ - تعليم أدب الضيف بالتحية والسلام حين القدوم على الآخرين.

٥١ حين دخلوا عليه، فقالوا له: سلامًا، فأجابهم بأحسن من تحيتهم، وقدم لهم عجلًا مشويًا ليأكلوه، فقد ظن أنهم بشر، فلما لم يأكلوا منه، قال: إنا منكم خائفون.

٥٢ قال الرسل من الملائكة: لا تخف، إنا نخبرك بما يسرك، أنه سيكون لك ولد ذكر عليم.

٥٣ قال لهم إبراهيم - وقد تعجب من تبشيرهم إياه بولد -: أبشروني بولد مع ما أصابني من الكبر والشيخوخة، فعلى أي وجه تبشروني؟

٥٤ قال الرسل من الملائكة لإبراهيم: بشرك بالحق الذي لا مرية فيه، فلا تكن من اليائسين مما بشرك به.

٥٥ قال إبراهيم: وهل يبأس من رحمة ربه إلا المنحرفون عن صراط الله المستقيم؟!

٥٦ قال إبراهيم: فما شأنكم الذي جاء بكم - أيها المرسلون - من الله تعالى؟

٥٧ قال الرسل من الملائكة: إنا أرسلنا الله لإهلاك قوم عظيمي الفساد، عظيمي الشر، وهم قوم لوط.

٥٨ إلا أهل لوط وأتباعه من المؤمنين، فلا يشملهم الإهلاك، إنا مسلموهم جميعًا منه.

٥٩ إلا زوجته، فقد حكمنا أنها من الباقيين الذين يشملهم الهلاك.

٦٠ فلما قدم الملائكة المرسلون إلى آل لوط في صور رجال.

٦١ قال لهم لوط **سبحان**: لا أعرفكم، ولا أعلم من أنتم.

٦٢ قال الرسل من الملائكة للوط: لا تخف، بل جئناك - يا لوط - بما كان يشك فيه قومك من العذاب المهلك لهم، وجئناك بالحق الذي لا هزل فيه، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به.

٦٣ فسّر بأهلك بعد مضي جانب من الليل، وسر خلفهم، ولا يلتفت أحد منكم إلى الوراء لينظر ما حل بهم، وامضوا إلى حيث أمركم الله أن تمضوا.

٦٤ وأنهيها إلى لوط عن طريق الوحي ذلك الأمر الذي قدرناه، وهو أن هؤلاء القوم سيستأصلون بإهلاك آخرهم إذا دخلوا في الصبح.

٦٥ وجاء أهل سدوم مستبشرين بضيوف لوط؛ طمعًا في فعل الفاحشة.

٦٦ قال لهم لوط: إن هؤلاء القوم ضيوفي، فلا تفضحوني بما تريدون بهم.

٦٧ وخافوا الله بترك هذه الفاحشة، ولا تذولوني بصنيعكم الشنيع.

٦٨ قال له قومه: ألم ننهك عن إضافة أحد من الناس؟ وقد أعذر من أنذر.

٦٩ **فوائد من الآيات:**

- ١ - ضرورة الإرشاد إلى الشيء المباح غير الحرام، كما أرشد لوط قومه إلى الزواج.
- ٢ - من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم لا سبيل له إلى القنوط من رحمة الله.
- ٣ - يُسِّنُّ الإسراع حين المرور بآثار القوم الذين دمرهم الله؛ لأنها أماكن غضب ولعنة.
- ٤ - نهى الله تعالى لوطًا وأتباعه عن الالتفات أثناء نزول العذاب بقوم لوط حتى لا تأخذهم الشفقة عليهم.
- ٥ - تصميم قوم لوط على ارتكاب الفاحشة مع هؤلاء الضيوف دليل على طمس فطرتهم، وشدة فحشهم.

﴿٧٦﴾ قَالَ لَهُمْ لَوْ طَعْنْتُمْ هَؤُلَاءِ نِسَاءَ قَوْمِي،

وَهُنَّ بِمَنْزِلَةِ بَنَاتِي، فَتَزَوَّجُوهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ قَاصِدِينَ قِضَاءَ شَهْوَتِكُمْ.

﴿٧٧﴾ وَحَيَاتِكُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِنْ قَوْمُ لَوْطٍ لَفِي طَغْيَانٍ شَهْوَتِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.

﴿٧٨﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ الْمَهْلِكُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي وَقْتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

﴿٧٩﴾ فَقَلَبْنَا قُرَاهِمَ بِجَعْلِهَا سَافِلًا، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُتَحَجَّرِ.

﴿٨٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِمَّا حَلَّ بِقَوْمِ لَوْطٍ مِنْ هَلَاكِ لَعَلَّمَاتٍ لِلْمُتَأَمِّلِينَ.

﴿٨١﴾ وَإِنْ قَرَى قَوْمُ لَوْطٍ لَعَلَى طَرِيقٍ ثَابِتٍ، يَرَاهَا مِنْ يَمْرِ بِهَا مِنَ الْمَسَافِرِينَ.

﴿٨٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ الَّذِي حَدَثَ لِدَلَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿٨٣﴾ وَقَدْ كَانَ قَوْمُ شَعِيبٍ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ذَاتِ الشَّجَرِ الْمَلْتَفِ ظَالِمِينَ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرَسُولِهِ شَعِيبٍ عليه السلام.

﴿٨٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ حَيْثُ أَخَذَهُمُ الْعَذَابُ، وَإِنْ قَرَى قَوْمُ لَوْطٍ، وَمَوَاطِنُ أَصْحَابِ شَعِيبٍ لِبَطْرِيقٍ وَاضِحٍ لِمَنْ مَرَّ بِهِ.

﴿٨٥﴾ وَلَقَدْ كَذَبْتَ ثَمُودُ، وَهَمَّ أَصْحَابُ الْحِجْرِ (مَكَانٌ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ) جَمِيعَ الرِّسْلِ حِينَ كَذَبُوا نَبِيَهُمْ صَالِحًا عليه السلام.

﴿٨٦﴾ وَأَعْطَيْنَاهُمُ الْحِجَجَ وَالِدَّلَالَاتِ عَلَى صَدَقَةٍ

﴿٧٦﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٨﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَةٌ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٨٠﴾ وَإِنَّهَا لَلْبَسِيلُ مَقِيمٌ ﴿٨١﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِئْسَ مَا مَرَّيْنِيْنَ ﴿٨٤﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٥﴾ وَعَاقِبْنَاهُمْ عَائِتًا فَكَانُوا عَنَّا مُعْرِضِينَ ﴿٨٦﴾ وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا لِأَمْنٍ ﴿٨٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٨﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَعِيلَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٩٢﴾ لَتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٩٤﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٥﴾

فيما جاء به من ربه، ومن ذلك الناقة، فلم يعتبروا بتلك الدلائل، ولم يبالوا بها.

﴿٨٦﴾ وكانوا ينحتون من صخور الجبال بيوتاً لهم يسكنونها آمين مما يخافون.

﴿٨٧﴾ فأخذتهم صاعقة العذاب عند دخولهم وقت الصبح.

﴿٨٨﴾ فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يكسبون من الأموال والمساكن.

﴿٨٩﴾ وما خلقنا السماوات والأرض وما خلقنا ما بينهما باطلاً دون حكمة، ما خلقنا كل ذلك إلا بالحق، وإن الساعة لآتية لا محالة، فأعرض - أيها الرسول - عن المكذبين بك، واعف عنهم عفواً حسناً.

﴿٩٠﴾ إن ربك - أيها الرسول - هو الخلاق لكل شيء، العليم به.

﴿٩١﴾ ولقد أعطيناك الفاتحة التي هي سبع آيات، وأعطيناك القرآن العظيم.

﴿٩٢﴾ لا تمدد بصرك إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار من متع زائلة، ولا تحزن على تكذيبهم، وتواضع للمؤمنين.

﴿٩٣﴾ وقل - أيها الرسول -: إني أنا النذير من العذاب، المبين لما يهديكم.

﴿٩٤﴾ أنذركم أن يصيبكم مثل ما أنزل الله على المتخالفين على تكذيب الرسل.

﴿٩٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - أن الله تعالى إذا أراد أن يهلك قرية ازداد شرهم وطمغيانهم، فإذا انتهى أوقع بهم من العقوبات ما يستحقونه. ٢ - في قصة لوط عبرة وعظة للمؤمنين الصادقين. ٣ - كراهة دخول مواطن العذاب ومثلها دخول مقابر الكفار، فإن دخل الإنسان إلى تلك المواضع والمقابر فعليه الإسراع. ٤ - لا يطمح بصر المؤمن إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى عليه السلام. ٥ - على المؤمن أن يكون بعيداً من المشركين، ولا يحزن إن لم يؤمنوا، قريباً من المؤمنين، متواضعاً لهم، محبباً لهم، ولو كانوا فقراء.

﴿٩١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا الْقُرْآنَ أَجْزَاءً، فَقَالُوا: هُوَ سِحْرٌ، أَوْ كَهَانَةٌ، أَوْ شِعْرٌ.
 ﴿٩٢﴾ فَوَيْلٌ لَّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمِيعَ الَّذِينَ صَبَرُوهُ أَجْزَاءً.
 ﴿٩٣﴾ لِنَسْأَلَنَّهُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا.
 ﴿٩٤﴾ فَاعْلُنْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى مَا يَقُولُهُ، وَيُفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ.
 ﴿٩٥﴾ وَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، فَقَدْ كَفَيْتَكَ السَّاحِرِينَ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرِ مِنْ قَرِيشٍ.
 ﴿٩٦﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مَعَ اللَّهِ مَعْبُودًا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ شُرَكَهِمُ السَّيِّئَةِ.
 ﴿٩٧﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ لَكَ وَسَخْرِيَتِهِمْ مِنْكَ.
 ﴿٩٨﴾ فَالْجَأُ إِلَى اللَّهِ بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَكُنْ مِنَ الْعَابِدِينَ لِلَّهِ، الْمُصْلِينَ لَهُ، فِي ذَلِكَ عِلَاجَ لَضِيقِ صَدْرِكَ.
 ﴿٩٩﴾ وَدَاوِمْ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَاسْتَمِرَّ عَلَيْهَا مَا دُمْتَ حَيًّا حَتَّى يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ.

سُورَةُ النَّحْلِ
 مَكِّيَّةٌ -

﴿١﴾ مقصد السورة: تركيز على التذكير بالنعم الدالة على المنعم، إلزاماً بعبوديته وتحذيراً من جحود نعمته.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿٩١﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَيْلٌ لَّكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ
 مَكِّيَّةٌ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَقْرَبَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿٢﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿١﴾ اقتربت الساعة وما قضى الله به من عذابكم - أيها الكفار -، فلا تطلبوا تعجيله قبل أوانه، تنزه الله وتعالى عما يجعل له المشركون من الشركاء.
 ﴿٢﴾ ينزل الله الملائكة بالوحي الذي تحيا به النفوس على من يشاء من رسله: أن خوفوا - أيها الرسل - الناس من الشرك بالله، فلا معبود بحق إلا أنا، فاتقوني - أيها الناس - بامثال أوامري واجتنب نواهي.
 ﴿٣﴾ خلق الله السماوات وخلق الأرض على غير مثال سابق بالحق، فلم يخلقهما باطلا، بل خلقهما ليُسْتَدَلَّ بهما على عظمتها، تَنْزَهُ عَنْ إِشْرَاكِهِمْ بِهِ غَيْرُهُ.
 ﴿٤﴾ خلق الإنسان من نطفة مهينة، فمما خلقاً من بعد خلق، فإذا هو شديد الجدال بالباطل ليطمس به الحق، مبین في جداله به.
 ﴿٥﴾ والأنعام من الإبل والبقر والغنم خلقها لمصالحكم - أيها الناس -، ومن هذه المصالح الدفء بأصوافها وأوبارها، ومصالح أخرى في ألبانها وجلودها وظهورها، ومنها تأكلون.
 ﴿٦﴾ ولكم فيها زينة حين تدخلون في المساء، وحين تخرجونها للمرعى في الصباح.

﴿١﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - في الآيات دليل على أن الجميع من الناس يُسأل: كافرهم ومؤمنهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب. ٢ - عناية الله ورعايته بصون النبي ﷺ وحمانيته من أذى المشركين. ٣ - التسبيح والتحميد والصلاة علاج الهموم والأحزان، وطريق الخروج من الأزمات والمآزق والكروب. ٤ - المسلم مطالب على سبيل الفرضية بالعبادة التي هي الصلاة على الدوام حتى يأتيه الموت، ما لم يغلب الغشيان أو فقد الذاكرة على عقله. ٥ - إن خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان دليل واضح على قدرة الله تعالى ووجوده ووحدانيته. ٦ - وكذلك خلق الأنعام بما فيها من منافع امتن الله بها على الإنسان دليل آخر على قدرة الله وتوحيده. ٧ - ملكنا الله تعالى الأنعام والدواب ودلّلها لنا، وأباح لنا تسخيرها والانتفاع بها؛ رحمة منه تعالى بنا.

﴿٧﴾ وتحمل هذه الأنعام التي خلقناها لكم أمتعتكم الثقيلة في أسفاركم إلى بلد لم تكونوا واصليه إلا بمشقة عظيمة على الأنفس، إن ربكم - أيها الناس - لرؤوف، رحيم بكم حيث سخر لكم هذه الأنعام.

﴿٨﴾ وخلق الله لكم الخيل والبغال والحمير لكي تركبوها، وتحملوا عليها أمتعتكم، ولتكون جَمَالاً لكم تتعلمون به في الناس، ويخلق ما لا تعلمون مستقبلاً من وسائل الركوب وغيرها.

﴿٩﴾ وعلى الله بيان الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاته وهو الإسلام، ومن الطرق ما هو من طرق الشيطان المائلة عن الحق، وكل طريق غير طريق الإسلام فهو مائل، ولو شاء الله أن يوقفكم جميعاً للإيمان لوقفكم له جميعاً.

﴿١٠﴾ هو سبحانه الذي أنزل لكم من السحاب ماء، لكم من ذلك الماء شراب تشربونه وتشربه أنعامكم، ومنه ما يحصل به نبات الشجر الذي فيه ترعون مواشيتكم.

﴿١١﴾ ينبت الله لكم بذلك الماء الزروع التي تأكلون منها، وينبت لكم به الزيتون والنخل والأعنان، وينبت لكم من جميع الثمرات، إن في ذلك الماء وما ينشأ عنه دلالة على قدرة الله لقوم يتفكرون في خلقه، فيستدلون به على عظمته سبحانه.

﴿١٢﴾ وذلل الله لكم الليل لتسكنوا فيه

وتستريحوا، والنهار لتكسبوا فيه ما تعيشون به، وسخر لكم الشمس، وجعلها ضياء، والقمر وجعله نوراً، والنجوم مذلات لكم بأمره القدري، بها تهتدون في ظلمات البر والبحر، وتعلمون الأوقات وغير ذلك، إن في تسخير ذلك كله لدلالات واضحة على قدرة الله لقوم يعملون عقولهم، فهم الذين يدركون الحكمة منها.

﴿١٣﴾ وسخر لكم ما خلق سبحانه في الأرض مما اختلف ألوانه من المعادن والحيوان والنبات والزروع، إن في ذلك المذكور من الخلق والتسخير لدلالة جلية على قدرة الله سبحانه لقوم يعتبرون به، ويدركون أن الله قادر ومنعم.

﴿١٤﴾ وهو سبحانه الذي ذلل لكم البحر، فمكّنكم من ركوبه واستخراج ما فيه؛ لتأكلوا مما تصطادون من سمكه لحمًا غُضًا لينًا، وتستخرجوا منه زينة تلبسونها وتلبسها نساؤكم مثل اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن تشق عباب البحر، وتركبون هذه السفن طلباً لفضل الله الحاصل من ربح التجارة، ورجاء أن تشكروا الله على ما أنعم به عليكم، وتفردوه بالعبادة.

﴿١٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يشمل كل وسائل النقل والركوب الحديثة.
- ٢ - خلق الله النجوم لزينة السماء، والهداية في ظلمات البر والبحر، ومعرفة الأوقات وحساب الأزمنة.
- ٣ - الثناء والشكر على الله الذي أنعم علينا بما يصلح حياتنا ويعيننا على أفضل معيشة.
- ٤ - الإنزال والإنبات دلالة على قدرة الله ووجوده ووحديته لقوم يتأملون ويتفكرون.
- ٥ - الله سبحانه أنعم علينا بتسخير البحر لتناول اللحوم (الأسماك)، واستخراج اللؤلؤ والمرجان، وللركوب، والتجارة، وللدفاع عن البلاد من أذى محتل وعدوان مستعمر.

﴿١٧﴾ وبث في الأرض جبلاً تبتُّها حتى لا تضطرب بكم وتميل، وأجرى فيها أنهاراً لتشربوا منها، وتسقوا نعامكم وزروعكم، وشق فيها طرقاً تسلكونها، فتصلون إلى مقاصدكم دون أن تضلوا. ﴿١٨﴾ وجعل لكم في الأرض معالم ظاهرة تهتدون بها في السير نهاراً، وجعل لكم النجوم في السماء رجاء أن تهتدوا بها ليلاً. ﴿١٩﴾ أفمن يخلق هذه الأشياء وغيرها كمن لا يخلق شيئاً؟! أفلا تتذكرون عظمة الله الذي يخلق كل شيء، وتفردوه بالعبادة، ولا تشركوا به ما لا يخلق شيئاً؟ ﴿٢٠﴾ وإن تحاولوا - أيها الناس - عد نعم الله الكثيرة التي أنعم بها عليكم، وحضرها لا تستطيعوا ذلك لكثرتها وتنوعها، إن الله لغفور حيث لم يؤاخذكم بالغفلة عن شكرها، رحيم حيث لم يقطعها عنكم بسبب المعاصي والتقصير في شكره. ﴿٢١﴾ والله يعلم ما تخفون - أيها العباد - من أعمالكم، ويعلم ما تظهرون منها، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها. ﴿٢٢﴾ والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يخلقون شيئاً ولو كان قليلاً، ومن عبدوهم من دون الله هم الذين يصنعونهم، فكيف يعبدون من دون الله ما يصنعونه بأيديهم من الأصنام؟! ﴿٢٣﴾ ومع كون عابديهم صنعوهم بأيديهم فهم جمادات لا حياة فيها ولا علم، فهم لا يعلمون متى يبعثون مع عابديهم يوم القيامة؛ ليرموا معهم في نار جهنم.

وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ حَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتْ وَيَا لَتَجْمِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرَتُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ مَوْتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْثُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَكَذَا نُفِخُ فِي السُّورِ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرَتُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رِيكُمُ قَالُوا أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَقْبَأَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾ معبودكم بحق هو معبود واحد لا شريك له وهو الله، والذين لا يصدقون بالبعث للجزاء قلوبهم جاحدة وحدانية الله لعدم خوفها، فهي لا تؤمن بحساب ولا عقاب، وهم متكبرون لا يقبلون الحق، ولا يخضعون له. ﴿٢٨﴾ حقاً إن الله يعلم ما يسره هؤلاء من الأعمال، ويعلم ما يظهره منها، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيهم عليها، إنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن عبادته والخضوع له، بل بمقتهم أشد المقت. ﴿٢٩﴾ وإذا قيل لهؤلاء الذين ينكرون وحدانية الخالق، ويكذبون بالبعث: ماذا أنزل الله على محمد ﷺ؟ قالوا: لم ينزل عليه شيئاً، وإنما جاء من نفسه بقصص الأولين وأكاذيبهم. ﴿٣٠﴾ ليكون مآلهم أن يحملوا آثامهم دون نقص، ويحملوا من آثام الذين أضلوه عن الإسلام جهلاً وتقليداً، فما أشد قبح ما يحملونه من آثامهم وآثام أتباعهم. ﴿٣١﴾ لقد أتى الكفار من قبل هؤلاء بالمكائد لرسولهم، فهدم الله أبنيتهم من أسسها، فسقطت عليهم سقوفهم من فوقهم، وجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون، فقد كانوا يتوقعون أن أبنيتهم تحميهم، فأهلكوا بها. ﴿٣٢﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - في الآيات دليل على استعمال الأسباب، وقد كان الله قادراً على تسكين الأرض دون الجبال. ٢ - في الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم، مجمل ومفصل، يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره وذكره ودعائه. ٣ - طبيعة الإنسان الظلم والتجرؤ على المعاصي والتقصير في حقوق ربه، كفار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله. ٤ - من شفقة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام دعوته للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله. ٥ - إبطال الله مكر أعدائه؛ فيصير مكرهم وبالاً عليهم، ويصير تدبيرهم فيه تدميرهم. ٦ - مساواة المضلل للضال في جريمة الضلال؛ إذ لولا إضلاله إياه لاهتدى بنظره أو بسؤال الناصحين. ٧ - أخذ الله للمجرمين فجأة أشد نكايته؛ لما يصحبه من الرعب الشديد، بخلاف الشيء الوارد تدريجياً.

﴿٢٧﴾ ثم يوم القيامة يهينهم الله بالعذاب، ويذلهم به، ويقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة، وكنتم تعادون أنبيائي والمؤمنين بسببهم؟ قال العلماء الربانيون: إن الهوان والعذاب يوم القيامة واقع على الكافرين.

﴿٢٨﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم وهم متلبسون بظلم أنفسهم بالكفر بالله، فانقادوا مستسلمين لما نزل بهم من الموت، وأنكروا ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي؛ ظنًا منهم أن الإنكار ينفعهم، فيقال لهم: كذبتم، قد كنتم كافرين تعملون المعاصي، إن الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه.

﴿٢٩﴾ ويقال لهم: ادخلوا حسب أعمالكم أبواب جهنم ما كنتم فيها أبدًا، فلَسَاءت مَقَرًّا للمتكبرين عن الإيمان بالله وعبادته وحده.

﴿٣٠﴾ وقيل للذين اتقوا ربهم بامثال أوامره واجتنب نواهي: ماذا أنزل ربكم على نبيكم محمد ﷺ؟ أجابوا: أنزل الله عليه خيرًا عظيمًا، للذين أحسنوا عبادة الله، وأحسنوا التعامل مع خلقه في هذه الحياة الدنيا مثوبة حسنة، منها النصر وسعة الرزق، وما أعد الله لهم من الثواب في الآخرة خير مما عجله لهم في الدنيا، ولنعم دار المتقين لربهم بامثال أوامره واجتنب نواهي دار الآخرة.

﴿٣١﴾ جنات إقامة واستقرار يدخلونها، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، لهم في هذه الجنات ما تشتهي أنفسهم من المأكول والمشرب وغيرهما، بمثل هذا الجزاء الذي يجزي به المتقين من أمة محمد ﷺ من الأمم السابقة. ﴿٣٢﴾ الذين يقبض ملك الموت وأعوانه من الملائكة أرواحهم في حال طهارة قلوبهم من الكفر، تخاطبهم الملائكة بقولهم: سلام عليكم، سلمتم من كل آفة، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح. ﴿٣٣﴾ هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذوبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه من الملائكة لقبض أرواحهم وضرب وجوههم وأدبارهم، أو يأتي أمر الله باستئصالهم بالعذاب في الدنيا؟ مثل هذا الفعل الذي يفعله المشركون في مكة فعلة المشركون من قبلهم فأهلكهم الله، وما ظلمهم حين أهلكهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بالكفر بالله.

﴿٣٤﴾ فنزلت عليهم عقوبات أعمالهم التي كانوا يعملونها، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه إذا دُكروا به.

﴿٣٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - فضيلة أهل العلم، وأنهم الناطقون بالحق في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وأن لقولهم اعتبارًا عند الله وعند خلقه.
- ٢ - من كرم الله وجوده أنه يعطي أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنه يدكرهم أشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم.
- ٣ - العمل هو السبب والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك يحصل برحمة الله ومنتته على المؤمنين لا بحولهم وقوتهم.
- ٤ - من أدب الملائكة مع الله أنهم أسندوا العلم إلى الله دون أن يقولوا: إنا نعلم ما كنتم تعملون، وإشعارًا بأنهم ما علموا ذلك إلا بتعليم من الله تعالى.

﴿٣٦﴾ وقال الذين أشركوا مع الله غيره في عبادتهم: لو شاء الله أن نعبد وحده، ولا نشرك به لما عبدنا أحدًا غيره، لا نحن ولا آباؤنا من قبلنا، ولو شاء أن لا نُحرم شيئًا ما حَرَمناه، يمثل هذه الحجة الباطلة قال الكفار السابقون، فما على الرسل إلا التبليغ الواضح لما أمروا بتبليغه وقد بَلَّغُوا، ولا حجة للكفار في الاعتذار بالقدر بعد أن جعل الله لهم مشيئة واختيارًا، وأرسل إليهم رسله.

﴿٣٧﴾ ولقد بعثنا في كل أمة سابقة رسولًا يأمر أمته بأن يعبدوا الله وحده، ويتركوا عبادة غيره من الأصنام والشياطين وغيرهم، فكان منهم من وفقه الله فأمن به، واتبع ما جاء به رسوله، وكان منهم من كفر بالله وعصى رسوله فلم يوفقه، فوجب عليه الضلالة، فسيروا في الأرض لتروا بأعينكم كيف كان مصير المكذبين بعدما حل بهم من عذاب وهلاك.

﴿٣٧﴾ إن تجتهد - أيها الرسول - بما تستطيع من دعوتك لهؤلاء، وتحرص على هدايتهم، وتأخذ بأسباب ذلك؛ فإن الله لا يوفق للهداية من يضلّه، وليس لهم من دون الله من أحد ينصرهم بدفع العذاب عنهم.

﴿٣٨﴾ وحلّف هؤلاء المكذبون بالبعث بأقصى أيمانهم التي يحلفون بها للتأكيد: لا يبعث الله من يموت؛ دون أن تكون لهم حجة على ذلك،

بلى، سيبعث الله كل من يموت، وعدًا عليه حقًا؛ لأن من أوجدهم من العدم على غير مثال سابق قادر على إحيائهم بعد إماتتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله يبعث الموتى، فينكرون البعث.

﴿٣٩﴾ يبعثهم الله جميعًا يوم القيامة ليوضح لهم حقيقة ما كانوا يختلفون فيه من التوحيد والبعث والنبوة، وليعلم الكفار أنهم كانوا كاذبين في ادعائهم شركاء مع الله وفي إنكارهم للبعث.

﴿٤٠﴾ إنا إذا أردنا إحياء الموتى وبعثهم فلا مانع يمنعنا من ذلك، إنما نقول لشيء إذا أردناه: (كن)، فيكون لا محالة. والذين تركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم مهاجرين من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله من بعد ما عذبهم الكفار وضيقوا عليهم لنتنزلهم في الدنيا دارًا يكونون فيها أعزّة، وثواب الآخرة أعظم لأن منه الجنة، لو كان المتخلفون عن الهجرة يعلمون ثواب المهاجرين لما تخلفوا عنها.

﴿٤١﴾ هؤلاء المهاجرون في سبيل الله هم الذين صبروا على أذى أقوامهم ومفارقة أهلهم وأوطانهم، وصبروا على طاعة الله، وهم على ربهم وحده يعتمدون في كل أمورهم، فأعطاهم الله هذا الجزاء العظيم.

﴿٤٢﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - بعثة الرسل في كل الأمم عامة شاملة وهدفها واحد، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الطاغوت.
- ٢ - العاقل من يعتبر ويتعظ بما حل بالضالين المكذبين كيف آل أمرهم إلى الدمار والخراب والعذاب والهلاك.
- ٣ - الحكمة من البعث والمعاد إظهار الله الحق فيما يختلف فيه الناس من أمر البعث وكل شيء.
- ٤ - فضيلة الصبر والتوكل، أما الصبر فلما فيه من قهر النفس، وأما التوكل فللعزوف عن الخلق والاتجاه إلى الحق.
- ٥ - جزاء المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وصبروا على الأذى، وتوكلوا على ربهم، هو الموطن الأفضل، والمنزلة الحسنة، والعيشة الرضية، والرزق الطيب الوفير، والنصر على الأعداء، والسيادة على البلاد والعباد.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لِتَعْمُرُونَ ﴿٤٦﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لَتبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ
﴿٤٧﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٨﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ
رَيْبَكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
يَنْفَعُوا ظِلَالَهُمْ مِنَ الْعَمِيقِ وَالشَّمَائِلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ دَرِجُونَ
﴿٥١﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٢﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا لِلَّهِ
أَثِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَكُفُّ
نِعْمَةَ اللَّهِ فَمَنْ أَكْفَىٰ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجَشَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ
إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٧﴾

﴿٤٦﴾ وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - إلا رجلاً من البشر نوحى إليهم، فلم نرسل رسلاً من الملائكة، وهذه سنتنا المطردة، وإن كنتم تنكرون ذلك فاسألوا أهل الكتب السابقة يخبروكم أن الرسل كانوا بشرًا، ولم يكونوا ملائكة، إن كنتم لا تعلمون أنهم بشر.

﴿٤٧﴾ أرسلنا هؤلاء الرسل من البشر بالدلائل الواضحة، وبالكتب المنزلة، وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن لتوضح للناس ما يحتاج منه إلى توضيح، ولعلمهم يعملون أفكارهم، فيتعظروا بما تضمنه.

﴿٤٨﴾ فأمن الذين دبروا المكاييد ليصدوا عن سبيل الله أن يخسف الله بهم الأرض كما خسفها بقارون، أو يجيئهم العذاب من حيث لا ينتظرون مجيئه.

﴿٤٩﴾ أو يصيبهم العذاب في حال تقليبهم في أسفارهم وسعيهم لمكاسبهم، فليسوا بفاتنين ولا ممتنعين.

﴿٥٠﴾ أو آمنوا أن ينالهم عذاب الله حال خوفهم منه، فالله قادر على تعذيبهم في كل حال، إن ربكم لرؤوف رحيم لا يعاجل بالعقوبة لعل عباده يتوبون إليه.

﴿٥١﴾ أولم ينظر هؤلاء المكذبون نظر تأمل إلى مخلوقاته، تميل ظلالها يمينًا وشمالًا تبعًا لحركة الشمس وسيرها نهارًا وللقمر ليلاً، خاضعة لربها ساجدة، وهي ذليلة تحت تسخير الله وقهره.

﴿٥٢﴾ والله وحده يسجد جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض من دابة، وله وحده يسجد الملائكة، وهم لا يستكبرون عن عبادة الله وطاعته.

﴿٥٣﴾ وهم - مع ما هم عليه من العبادة والطاعة الدائمة - يخافون ربهم الذي هو فوقهم بذاته وقهره وسلطانه، ويفعلون ما يأمرهم به ربهم من الطاعة.

﴿٥٤﴾ وقال الله سبحانه لجميع عباده: لا تتخذوا معبودين اثنين، إنما هو معبود بحق واحد لا ثاني له ولا شريك، فإياي فخافوني، ولا تخافوا غيري.

﴿٥٥﴾ وله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدبيرًا، وله وحده الطاعة والخضوع والإخلاص ثابتًا، أغير الله تخافون؟! لا، بل خافوه وحده.

﴿٥٦﴾ وما بكم - أيها الناس - من نعمة دينية أو دنيوية فمن الله سبحانه لا من غيره، ثم إذا أصابكم بلاء أو مرض أو فقر فإليه وحده تتضرعون بالدعاء؛ ليكشف عنكم ما أصابكم، فمن يمنح النعم ويكشف النقم هو الذي يجب أن يُعبد وحده.

﴿٥٧﴾ ثم إذا استجاب دعوتكم فصرف ما بكم من ضرر إذا طائفة منكم بربهم يشركون، حيث يعبدون معه غيره، فأى لؤم هذا!؟

﴿٥٨﴾ قوله من الآيات: ١ - فضل أهل العلم، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم. ٢ - على المجرم أن يستحي من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات. ٣ - ينبغي لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي الخوف من الله تعالى أن يأخذهم بالعذاب على غرّة وهم لا يشعرون. ٤ - جميع النعم من الله تعالى، سواء المادية كالرزق والسلامة والصحة، أو المعنوية كالأمان والجاه والمنصب ونحوها. ٥ - لا يجد الإنسان ملجأ لكشف الضر عنه في وقت الشدائد إلا الله تعالى، فيضج بالدعاء إليه؛ لعل أنه لا يقدر أحد على إزالة الكرب سواه.

﴿٥٥﴾ شَرِكُهُمْ بِاللَّهِ جَعَلَهُمْ يَجْحَدُونَ نِعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ومنها كشف الضر، ولهذا قيل لهم: تمتعوا بما أنتم فيه من نعيم حتى يأتيكم عذاب الله الآجل والعاجل. ﴿٥٦﴾ ويجعل المشركون لأصنامهم التي لا تعلم شيئاً - لأنها جمادات، ولا تنفع ولا تضر - قسماً من أموالهم التي رزقناهم، يتقربون به إليها، والله لتسألن - أيها المشركون - يوم القيامة عما كنتم تزعمون من أن هذه الأصنام آلهة، وأن لها قسماً من أموالكم. ﴿٥٧﴾ وينسب المشركون لله البنات، ويعتقدون أنها الملائكة، فينسبون إليه البنوة، ويختارون له ما لا يحبونه لأنفسهم، تنزه سبحانه وتقدس عما يجعلونه له منها، ويجعلون لهم ما تميل إليه أنفسهم من الأولاد الذكور، فأى جرم أعظم من هذا؟! ﴿٥٨﴾ وإذا أخبر أحد هؤلاء المشركين بميلاد أنثى أسود وجهه من شدة كراهية ما أُخبر به، وامتلاً قلبه همًا وحزنًا، ثم هو ينسب إلى الله ما لا يرضاه لنفسه!

﴿٥٩﴾ وإذا أخبر أحد هؤلاء المشركين بميلاد أنثى أسود وجهه من شدة كراهية ما أُخبر به، وامتلاً قلبه همًا وحزنًا، ثم هو ينسب إلى الله ما لا يرضاه لنفسه!

﴿٦٠﴾ يخفي ويتغيب عن قومه من سوء ما أُخبر به من ميلاد أنثى، تحدثه نفسه: أيملك هذه البنت التي أُخبر بها على ذل وانكسار أو يئدها، فيخفيها في التراب؟ ما أقيح ما يحكم به المشركون، حيث حكموا لربهم بما يكرهون لأنفسهم.

﴿٦١﴾ للكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة صفة السوء من الحاجة للولد والجهل والكفر، والله الصفات الحميدة من الجلال والكمال والغنى

والعلم، وهو سبحانه العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره وتشريعه.

﴿٦٢﴾ ولو يعاقب الله سبحانه الناس بسبب ظلمهم وكفرهم به ما ترك على الأرض من إنسان ولا حيوان يدب على وجهها، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أمد محدد في علمه، فإذا جاء ذلك الأمد المحدد في علمه لا يتأخرون عنه ولا يتقدمون، ولو وقتًا سيرًا.

﴿٦٣﴾ ويجعلون لله سبحانه ما يكرهون نسبه إليهم من الإناث، وتنطق ألسنتهم بالكذب أن لهم عند الله المنزلة الحسنى إن صح أنهم سيبعثون كما يقولون، حقًا أن لهم النار، وأنهم متروكون فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

﴿٦٤﴾ تالله لقد بعثنا رسلاً إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة من الشرك والكفر والمعاصي، فهو نصيرهم المزعوم يوم القيامة فليستنصروه، ولهم يوم القيامة عذاب موعج.

﴿٦٥﴾ وما أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن إلا لتبين لجميع الناس ما اختلفوا فيه من التوحيد والبعث وأحكام الشرع، وأن يكون القرآن هداية ورحمة للمؤمنين بالله وبرسله، وبما جاء به القرآن، فهم الذين يتبعون بالحق.

﴿٦٦﴾ فوالله من الآيات:

١ - من جهالات المشركين: • نسبة البنات إلى الله تعالى، ونسبة البنين لأنفسهم، وأفتتهم من البنات. • تغير وجوههم حزنًا وغمًا بالبنت، واستخفاء الواحد منهم وتغيبه عن مواجهة القوم من شدة الحزن وسوء الخزي والعار والحياء الذي يلحقه بسبب البنت. ٢ - من سنن الله إهمال الكفار وعدم معاجلتهم بالعقوبة لترك الفرصة لهم للإيمان والتوبة. ٣ - أجل موت الإنسان ومنتهى عمره لا يتقدم ولا يتأخر ساعة أو لحظة واحدة. ٤ - سئته الله في عباده إرسال الرسل بالحجة الواضحة والبيان الشافي، وما محمد ﷺ إلا كغيره من الرسل. ٥ - مهمة النبي ﷺ الكبرى هي تبيان ما جاء في القرآن، وبيان ما اختلف فيه أهل الملل والأهواء من الدين والأحكام، فتقوم الحجة عليهم بيانه.

﴿١٥﴾ والله أنزل من جهة السماء مطرًا، فأحيا به الأرض بإخراج النبات منها بعد أن كانت قاحلة جافة، إن في إنزال المطر من جهة السماء، وإخراج نبات الأرض به لدلالة واضحة على قدرة الله لقوم يسمعون كلام الله ويتدبرونه.

﴿١٦﴾ وإن لكم - أيها الناس - في الإبل والبقر والغنم لعظة تتعظون بها، حيث نسقيكم من ضروعها لبنًا خارجًا من بين ما يحتويه البطن من فضلات وما في الجسم من دم، ومع هذا يخرج لبنًا خالصًا نقيًا لذيدًا يطيب للشاربين.

﴿١٧﴾ ولكم عظة فيما نرزقكم من ثمرات النخل ومن ثمرات الأعناب، فتتخذون منه مسكرًا يذهب بالعقل، وهو غير حسن، وتتخذون منه رزقًا حسنًا تنتفعون به مثل التمر والزبيب والخل والدبس، إن في ذلك المذكور لدلالة على قدرة الله وإنعامه على عباده لقوم يعقلون، فهم الذين يعتبرون.

﴿١٨﴾ وألهم ربك - أيها الرسول - النحل، وأرشدنا أن اتخذنا لك بيوتًا في الجبال، واتخذنا بيوتًا في الشجر، وفيما بينه الناس ويسقونه.

﴿١٩﴾ ثم كلي من كل ما تشتهيته من الثمرات، واسلكي الطرق التي ألهمك ربك سلوكها مُدَلَّةً، يخرج من بطون تلك النحل عسل مختلف الألوان، فيه الأبيض والأصفر وغيرهما، فيه شفاء للناس، يعالجون به الأمراض، إن في إلهام النحل ذلك، وفي

العسل الذي يخرج من بطونها لدلالة على قدرة الله وتدبيره لشؤون خلقه لقوم يتفكرون، فهم الذين يعتبرون. ﴿٢٠﴾ والله خلقكم على غير مثال سابق، ثم يميتكم عند انقضاء أجلكم، ومنكم من يمتد عمره إلى أسوأ مراحل العمر وهو الهرم، فلا يعلم مما كان يعلمه شيئًا، إن الله عليم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، قدير لا يعجزه شيء.

﴿٢١﴾ والله ﷻ فضل بعضكم على بعض فيما منحكم من الرزق، فجعل منكم الغني والفقير، والسيد والمَسُود، فليس الذين فضلهم الله في الرزق برأيي ما أعطاهم الله على عبيدهم حتى يكونوا شركاء بالسوية معهم في الملك، فكيف يرضون الله شركاء من عبده، ولا يرضون لأنفسهم أن يكون لهم شركاء من عبيدهم يستون معهم؟ فأَي ظلم هذا، وأي جحود لنعم الله أعظم من هذا؟!

﴿٢٢﴾ والله جعل لكم - أيها الناس - من جنسكم أزواجًا تأنسون بهن، وجعل لكم من أزواجكم أولادًا وأولاد أولاد، ورزقكم من المأكولات - كاللحم والحبوب والفواكه - طيبها، أقبالباطل من الأصنام والأوثان يؤمنون، وينعم الله الكثيرة التي لا يستطيعون حصرها يجحدون ولا يشكرون الله بأن يؤمنوا به وحده؟!

﴿٢٣﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - جعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد، ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طريًا ونضيجًا وحاضرًا ومُدَحَّرًا وطعامًا وشرابًا. ٢ - في خلق النحلة الصغيرة وما يخرج من بطونها من عسل لذيد مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها دليل على كمال عناية الله تعالى، وتام لطفه بعباده، وأنه الذي لا ينبغي أن يُحِبَّ غيره ويُدَعَى سِوَاهُ. ٣ - من منن الله العظيمة على عباده أن جعل لهم أزواجًا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقرُّ بهم أعينهم، ويخلمونهم ويقضون حوائجهم، ويتنفعون بهم من وجوه كثيرة. ٤ - في الآيات دليل على جواز الانتفاع بالألبان من الشرب وغيره. ٥ - في النحل منافع كثيرة للأشجار والنباتات نفسها، وللإنسان أيضًا، وكذلك في العسل منافع للإنسان وشفاء.

﴿٧٦﴾ ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله أصنامًا، لا يملكون أن يرزقوهم أي رزق من السماوات ولا من الأرض، ولا يتأتى منهم أن يملكوا ذلك؛ لكونهم جمادات لا حياة لها ولا علم.

﴿٧٦﴾ فلا تجعلوا - أيها الناس - الله أشباهًا من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، فليس الله شبيهه حتى تشركوه معه في العبادة، إن الله يعلم ما له من صفات الجلال والكمال، وأنتم لا تعلمون ذلك، فتقعون في الشرك به، وادعاء مماثلته لأصنامكم.

﴿٧٥﴾ ضرب الله سبحانه مثلًا للرد على المشركين: عبداً مملوكًا عاجزًا عن التصرف، ليس له ما ينفقه، وحرًا أعطيتاه من لدنا ما لا حلالًا، يتصرف فيه بما يشاء، فهو يبذل منه في الخفاء والجهر ما يشاء، فلا يستوي هذان الرجلان؟ فكيف تُسوون بين الله المالك المتصرف في ملكه بما يشاء، وبين أصنامكم العاجزة؟ الثناء لله المستحق للثناء، بل أكثر المشركين لا يعلمون انفراد الله بالالوهية واستحقاق أن يعبد وحده.

﴿٧٤﴾ وضرب الله سبحانه مثلًا آخر للرد عليهم هو مثل رجلين: أحدهما أبكم لا يسمع ولا ينطق ولا يفهم؛ لصممه وبكمه، عاجز عن نفع نفسه وعن نفع غيره، وهو حمل ثقيل على من يعوله، ويتولى أمره، أينما يبعثه لجهة لا يأت بخير، ولا

يظفر بمطلوب، هل يستوي من هذه حالة مع من هو سليم السمع والنطق، نفعه مُتَعَدِّ، فهو يأمر الناس بالعدل، وهو مستقيم في نفسه، فهو على طريق واضح لا لبس فيه ولا عوج، فكيف تُسوون - أيها المشركون - بين الله المتصف بصفات الجلال والكمال وبين أصنامكم التي لا تسمع ولا تنطق، ولا تجلب نفعًا، ولا تكشف ضررًا؟!

﴿٧٣﴾ والله وحده علم ما غاب في السماوات، وعلم ما غاب في الأرض، فهو المختص بعلم ذلك دون أحد من خلقه، وما شأن القيامة التي هي من الغيوب المختصة به في سرعة مجيئها إذا أَرَادَهُ إِلَّا مِثْلَ انْطِاقِ جَفْنِ عَيْنٍ وَفَتْحِهِ، بل هو أقرب من ذلك، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، إذا أراد أمرًا قال له: (كن)، فيكون.

﴿٧٢﴾ والله أخرجكم - أيها الناس - من بطون أمهاتكم بعد انقضاء وقت الحمل أطفالًا لا تدركون شيئًا، وجعل لكم السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتتعلقوا بها؛ رجاء أن تشكروهم على ما أنعم به عليكم منها.

﴿٧١﴾ ألم ينظر المشركون إلى الطير مُدَلَّلَاتٍ مُهَيَّئَاتٍ للطيران في الهواء بما منحها الله من الأجنحة ورقة الهواء، وألهمها قبض أجنحتها وبسطها، ما يمسكهن في الهواء عن السقوط إلا الله القادر، إن في ذلك التذليل والإسماك عن السقوط لدلالات لقوم يؤمنون بالله؛ لأنهم الذين يتفنون بالدلالات والعبر.

﴿٧٠﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الله تعالى الحكمة البالغة في قسمة الأرزاق بين العباد، إذ جعل منهم الغني والفقير والمتوسط؛ ليتكامل الكون، ويتعايش الناس، ويخدم بعضهم بعضًا. ٢ - دَلَّ المثلان في الآيات على ضلالة المشركين وبطلان عبادة الأصنام؛ لأن شأن الإله المعبود أن يكون مالكًا قادرًا على التصرف في الأشياء، وعلى نفع غيره ممن يعبدونه، وعلى الأمر بالخير والعدل. ٣ - أن علم الغيب في السماوات والأرض مختص بالله تعالى، لا يعلم به أحد، إلا من أطلعه الله عليه من نبي أو ملك. ٤ - أن من نعمه تعالى ومن مظاهر قدرته خلق الناس من بطون أمهاتهم لا علم لهم بشيء، ثم تزويدهم بوسائل المعرفة والعلم، وهي السمع والأبصار والأفئدة، فيها يعلمون ويدركون.

﴿٨٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَصَرَفُوا غَيْرَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِنَاهُمْ عَذَابًا - بسبب فسادهم وإفسادهم بإضلالهم لغيرهم - على العذاب الذي استحقوه لكفرهم.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نبعث في كل أمة رسولاً يشهد عليهم بما كانوا عليه من كفر أو إيمان، هذا الرسول من جنسهم، ويتكلم بلسانهم، وجئنا بك - أيها الرسول - شهيداً على الأمم جميعاً، ونزلنا عليك القرآن لتبين كل ما يحتاج إلى تبيين من الحلال والحرام والثواب والعقاب وغير ذلك، ونزلناه هداية للناس إلى الحق، ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، وتبشيراً للمؤمنين بالله بما ينتظرون من النعيم المقيم.

﴿٩٠﴾ إن الله يأمر عباده بالعدل بأن يؤدي العبد حقوق الله وحقوق العباد، وأن لا يفضل أحداً على أحد في الحكم إلا بحق يوجب ذلك التفضيل، ويأمر بالإحسان بأن يتفضل العبد بما لا يلزمه كالإنفاق تطوعاً والعتق عن الظالم، ويأمر بإعطاء الأقرباء ما يحتاجون إليه، وينهى عن كل ما قبح، قولاً كفحش القول، أو فعلاً كالزنى، وينهى عما ينكره الشرع، وهو كل المعاصي، وينهى عن الظلم والتكبر على الناس، يعظكم الله بما أمركم به، ونهاكم عنه في هذه الآية رجاء أن تعتبروا بما وعظكم به.

﴿٩١﴾ وأوفوا بكل عهد عاهدتم الله أو عاهدتم الناس عليه، ولا تنقضوا الأيمان بعد تغيظها بالحلف بالله، وقد جعلتم الله شهيداً عليكم بالوفاء بما حلفتم عليه، إن الله يعلم ما تفعلون، لا يخفى عليه شيء منه، وسيجازيكم عليه. ﴿٩٢﴾ ولا تكونوا بنقض العهود سفهاء خفاف العقول، مثل امرأة حمقاء تعبت في غزل صوفها أو قطنها، وأحكمت غزله، ثم نقضته وجعلته محلولاً كما كان قبل غزله، فتعبت في غزله ونقضه، ولم تحصل على مطلوب، تُصَيِّرُونَ إيمانكم خديعة يخدع بعضكم بعضاً بها؛ لتكون أمتكم أكثر وأقوى من أمة أعدائكم، إنما يختبركم الله بالوفاء بالعهود، هل تفون بها، أم تنقضونها؟ وليوضحن الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، فيبين المحق من المبطل، والصادق من الكاذب.

﴿٩٣﴾ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقين على الحق، ولكنه سبحانه يضل من يشاء بخذلانه عن الحق وعن الوفاء بالعهود بعدله، ويوفق من يشاء بفضله لذلك، ولتسألنَّ يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿٩٤﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - للكفار الذين يصدون عن سبيل الله عذاب مضاعف بسبب إفسادهم في الدنيا بالكفر والمعصية.
- ٢ - لا تخلو الأرض من أهل الصلاح والعلم، وهم أئمة الهدى خلفاء الأنبياء، والعلماء حفظة شرائع الأنبياء.
- ٣ - حدت هذه الآيات دعائم المجتمع المسلم في الحياة الخاصة والعامة للفرد والجماعة والدولة.
- ٤ - وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق، وحرمة نقضها.
- ٥ - النهي عن الرشوة وأخذ الأموال على نقض العهد.

﴿٩٤﴾ وَلَا تُصَيِّرُوا آيْمَانَكُمْ خُدَيْعَةً يَخْدَعُ بِعُضْمِهَا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، تَتَّبِعُونَ فِيهَا أَهْوَاءَكُمْ، فَتَنْقُضُونَهَا مَتَى شِئْتُمْ، وَتَقُونَ بِهَا مَتَى شِئْتُمْ، فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَزِلُّ أَقْدَامَكُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ثَابِتَةً عَلَيْهِ، وَتَذُوقُوا الْعَذَابَ بِسَبَبِ ضَلَالِكُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِضْلَالِكُمْ غَيْرِكُمْ عَنْهَا، وَلَكُمْ عَذَابٌ مُضَاعَفٌ.

﴿٩٥﴾ وَلَا تَسْتَبَدُّوا بِاللَّهِ عِوَضًا قَلِيلًا عَلَى نَقْضِكُمُ الْعَهْدِ، وَتَرْكِ الْوَفَاءِ بِهِ، إِنْ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ النِّصْرِ وَالْغَنَائِمِ فِي الدُّنْيَا، وَمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَتْلَوْنَهُ مِنْ عِوَضٍ قَلِيلٍ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنَ الْمَالِ وَاللَّذَاتِ وَالنِّعَمِ يَنْقُضِي لَوْ كَانَ كَثِيرًا، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْجِزَاءِ بَاقٍ، فَكَيْفَ تَوَثِّرُونَ فَانِيًا عَلَى بَاقٍ؟ وَلَنْجِزِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى عَهْدِهِمْ وَلَمْ يَنْقُضُوا ثَوَابِهِمْ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَجَزِيهِمُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

﴿٩٧﴾ مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا صَالِحًا مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ ذِكْرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ؛ فَلَنْجِيزِيهِ فِي الدُّنْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً بِالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِالْقَنَاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَاتِ، وَلَنْجِزِيَهُمْ ثَوَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

﴿٩٨﴾ فَإِذَا أُرِدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ - فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعْزِمَكَ مِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ الْمَطْرُودِ عَنِ رَحْمَةِ اللَّهِ.

﴿٩٩﴾ إِنْ الشَّيْطَانُ لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَعَلَى رِبِّهِمْ وَحَدَهُ يِعْتَمِدُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا تَسَلُّطُهُ بِالْوَسْوَاسِ عَلَى الَّذِينَ يَتَّخِذُونَهُ وَلِيًّا، وَيَطِيعُونَهُ فِي إِغْوَائِهِ، وَالَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَائِهِ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ يَبْعُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

﴿١٠١﴾ وَإِذَا نَسَخْنَا حُكْمَ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِآيَةٍ أُخْرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْسَخُ مِنْهُ -

قَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ - يَا مُحَمَّدُ - كَاذِبٌ تَخْتَلِقُ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ النِّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ لِحُكْمِ الْإِلَهِيَّةِ الْبَالِغَةِ.

﴿١٠٢﴾ قُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -: نَزَلَ بِهَذَا الْقُرْآنِ جِبْرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ الَّذِي لَا خَطَأَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ

وَلَا تَحْرِيفَ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ عَلَى إِيمَانِهِمْ كُلَّمَا نَزَلَ مِنْهُ جَدِيدٌ، وَنُسِخَ مِنْهُ بَعْضٌ، وَلِيَكُونَ هُدًى لَهُمْ إِلَى

الْحَقِّ، وَبِشَارَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ.

﴿١٠٣﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - لَيْسَ بِعَاقِلٍ مَنْ آثَرَ الْفَانِي الْخَسِيسَ عَلَى الْبَاقِي الْنَفِيسِ. ٢ - الْعَمَلُ الصَّالِحُ الْمَقْرُونُ بِالْإِيمَانِ يَجْعَلُ الْحَيَاةَ

طَيِّبَةً. ٣ - وَجُوبُ الزُّهْدِ فِيمَا يَكُونُ ضَرْرًا عَلَى الْعَبْدِ، وَيُوجِبُ لَهُ الْإِشْتِغَالَ عَمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيمَهُ عَلَى

حَقِّ اللَّهِ. ٤ - الطَّرِيقُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ هُوَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنْ شَرِّهِ. ٥ - عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْعَلُوا الْقُرْآنَ إِمَامَهُمْ، فَيَتَرَبَّوْا بِعِلْمِهِ، وَيَتَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِهِ، وَيَسْتَضِيئُوا بِنُورِهِ، فَبِذَلِكَ تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمْ

الدُّنْيَوِيَّةُ وَالْدُّنْيَوِيَّةُ. ٦ - الْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مَطْلُوبَةٌ عِنْدَ الشَّرْعِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا،

حَتَّى لَا يَعْزُبَ الشَّيْطَانُ بَسْوَاسَتَهُ لِلْقَارِئِ، فَيَصْدَهُ عَنِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ. ٧ - لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ بِحَالِ سُلْطَانِ

وَقُوَّةِ الْإِغْوَاءِ وَالْكَفْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْذِقِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَرَفَ سُلْطَانَهُ عَنْهُمْ. ٨ - نَسْخَ

الْأَحْكَامِ وَاقَعَ فِي الْقُرْآنِ زَمَنَ الْوَحْيِ لِحُكْمِهِ، وَهِيَ مِرَاعَاةُ الْمَصَالِحِ وَالْحَوَادِثِ، وَتَبْدِيلُ الْأَحْوَالِ الْبَشَرِيَّةِ.

﴿١٢٢﴾ ونحن نعلم أن المشركين يقولون: إن محمداً ﷺ إنما يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ إِنْسَانًا، وهم كاذبون في دعواهم، فلغة من يزعمون أنه يعلمه أعجمية، وهذا القرآن نزل بلسان عربي واضح ذي بلاغة عالية، فكيف يزعمون أنه تلقَّاه من أعجمي؟!

﴿١٢٣﴾ إن الذين لا يصدقون بآيات الله أنها من عنده سبحانه لا يوفقه الله للهداية ما داموا مُصْرِيْن على ذلك، ولهم عذاب موجه بسبب ما هم فيه من الكفر بالله، والتكذيب بآياته.

﴿١٢٤﴾ ليس محمد ﷺ كاذبًا فيما جاء به من ربه، إنما يختلق الكذب الذين لا يصدقون بآيات الله؛ لأنهم لا يخافون عذابًا، ولا يرجون ثوابًا، وأولئك المتصفون بالكفر هم الكاذبون؛ لأن الكذب عادتهم التي اعتادوا عليها.

﴿١٢٥﴾ من كَفَرَ بالله من بعد إيمانه به فله حالتان: أن يكون كفره بقول أو فعل أُجْبِرَ عليه، وقلبه ثابت على إيمانه، فهذا مؤمن، والحالة الثانية أن يرضى بالكفر، ويطمئن به، فهذا ومن شاكله مرتدون عن الإسلام، وعليهم غضب من الله، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

﴿١٢٦﴾ ذلك الارتداد عن الإسلام بسبب أنهم آثروا ما ينالونه من حطام الدنيا مكافأة لكفرهم على الآخرة، وأن الله لا يوفق القوم الكافرين إلى الإيمان، بل يخذلهم.

﴿١٢٧﴾ أولئك المتصفون بالردة بعد الإيمان الذين ختم الله على قلوبهم فلا يفهمون المواعظ، وعلى أسماعهم فلا يسمعونها سماعًا يُتَّفَع به، وعلى أبصارهم فلا يبصرون الآيات الدالة على الإيمان، وأولئك هم الغافلون عن أسباب السعادة والشقاء، وعمَّا أعد الله لهم من العذاب.

﴿١٢٨﴾ حقًّا إنهم يوم القيامة هم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم بسبب كفرهم بعد إيمانهم الذي لو تمسكوا به لدخلوا الجنة.

﴿١٢٩﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - لغفور ورحيم بالمستضعفين من المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بعدما عذبهم المشركون حتى نطقوا بكلمة الكفر وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ثم جاهدوا في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وصبروا على مشاقه، إن ربك من بعد تلك الفتنه التي فُتِنُوا بها، والتعذيب الذي عُدُّوا به حتى نطقوا بكلمة الكفر؛ لغفور لهم، رحيم بهم؛ لأنهم ما نطقوا بكلمة الكفر إلا مُكْرَهِينَ.

﴿قَوْلُهُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ١ - الترخيص للمُستَكْرَه بالنطق بالكفر ظاهرًا مع اطمئنان القلب بالإيمان.
- ٢ - جزاء المرتدين في الدنيا القتل.
- ٣ - المرتدون استوجبوا غضب الله وعذابه؛ لأنهم استحَبوا الحياة الدنيا على الآخرة، وحرَموا من هداية الله، وطبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وجعلوا من الغافلين عما يراد بهم من العذاب الشديد يوم القيامة.
- ٤ - كَتَبَ اللهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَهَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا، وَصَبَرُوا عَلَى الْجِهَادِ.

وَلَقَدْ نَعَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَيَاةِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَيَاةِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٤﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٢٧﴾ لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا أَنَّهُمْ جَاهِدُوا بِأَنفُسِهِمْ وَأَلْجَأُوا إِلَى اللَّهِ فَاصْبِرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنَ الْبَعْدِ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٩﴾

﴿١١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يأتي كل إنسان يُحَاجُّ عن نفسه، لا يُحَاجُّ عن غيرها لعظم الموقف، وتُوَفَّى كل نفس جزاء ما عملت من خير وشر، وهم لا يُظلمون بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿١١٧﴾ وضرب الله مثلاً قرية - وهي مكة - كانت آمنة لا يخاف أهلها، مستقرة والناس من حولها يُتَخَفُّونَ، يجيئها رزقها هيناً سهلاً من كل مكان، فكفر أهلها بما أنعم الله عليهم من النعم ولم يشكروه، فجازاهم الله بالجوع والخوف الشديد الظاهر على أجسامهم فزعاً وهزاً، حتى صاروا كاللباس لهم بسبب ما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿١١٨﴾ ولقد جاء أهل مكة رسول منهم يعرفونه بالأمانة والصدق، وهو محمد ﷺ، فكذبوه فيما أنزله عليه ربه، فنزل بهم عذاب الله بالجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك حين أشركوا بالله، وكذبوا رسوله.

﴿١١٩﴾ فكلوا - أيها العباد - مما رزقكم الله سبحانه ما كان حلالاً من جنس ما يُسْتَطَابُ أكله، واشكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم بالإقرار بهذه النعم لله وصرافها في مرضاته، إن كنتم تعبدونه وحده ولا تشركون به.

﴿١٢٠﴾ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ مَا مَاتَ دُونَ ذِكَاةٍ مِمَّا يُذَكَّى، والدم المَسْفُوح، والخنزير بجميع أجزائه، وما ذبحه ذابحه قرباناً لغير الله، وهذا التحريم إنما هو في حالة الاختيار، فمن ألجأته الضرورة إلى أكل المذكورات، فأكل منها غير راغب في المحرم لذاته، ولا متجاوز لحد الحاجة؛ فلا إثم عليه، فإن الله غفور، يغفر له ما أكل، رحيم به حين أباح له ذلك عند الضرورة.

﴿١٢١﴾ ولا تقولوا - أيها المشركون - لما تصفه ألسنتكم من الكذب على الله: هذا الشيء حلال، وهذا الشيء حرام؛ بقصد أن تختلفوا على الله الكذب بتحريم ما لم يحرم، أو تحليل ما لم يحلل، إن الذين يختلفون على الله الكذب لا يفوزون بمللوب، ولا ينجون من مرهوب.

﴿١٢٢﴾ لهم متاع قليل حقير باتباعهم أهواءهم في الدنيا، ولهم يوم القيامة عذاب موجه.

﴿١٢٣﴾ ولما ذكر الله ما حرمه من المأكولات على هذه الأمة ذكر ما حرمه على اليهود فقال:

﴿١٢٤﴾ وعلى اليهود خاصة حرمنا ما قصصناه عليك (كما في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام)، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين ارتكبوا أسباب العقاب، فجزيناهاهم ببغيهم، فحرمنا عليهم ذلك عقوبة لهم.

﴿١٢٥﴾ فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الله تعالى ما حرم علينا إلا الخبائث تفضلاً منه، وصيانة عن كل مُسْتَقْدَرٍ.

٢ - وجوب الإيمان بالله وبالرسل، وعبادة الله وحده، وشكركه على نعمه وآلائه الكثيرة، وأن العذاب الإلهي لاحقٌ بكل من كفر بالله وعصاه، ووجد نعمة الله عليه.

٣ - الجزاء من جنس العمل؛ فإن أهل القرية لما بطروا النعمة بَدَّلُوا بنقيضها، وهو مَحْقُهَا وَسَلْبُهَا، ووقعوا في شدة الجوع بعد الشبع، وفي الخوف والهلع بعد الأمن والاطمئنان، وفي قلة موارد العيش بعد الكفاية.

﴿١٣٨﴾ ثم إن ربك - أيها الرسول - للذين عملوا السيئات جهلاً بعاقبتها وإن كانوا متعمدين، ثم تابوا إلى الله بعد ما عملوا من سيئات، وأصلحوا أعمالهم التي فيها فساد، إن ربك من بعد التوبة لغفور لذنبهم، رحيم بهم.

﴿١٣٩﴾ ولما كان المشركون يزعمون أنهم على ملة إبراهيم رد الله عليهم دعواهم، فقال:

﴿١٤٠﴾ إن إبراهيم عليه السلام كان جامعاً لخصال الخير، مديماً لطاعة ربه، مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ولم يكن من المشركين قط.

﴿١٤١﴾ وكان شاكراً لنعم الله التي أنعم بها عليه، اختاره الله للنبوّة، وهداه إلى دين الإسلام القويم. ﴿١٤٢﴾ وأعطيناه في الدنيا النبوّة والثناء الحسن والولد الصالح، وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين أعد الله لهم الدرجات العلى من الجنة.

﴿١٤٣﴾ ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والبراءة من المشركين والدعوة إلى الله والعمل بشريعته، مائلاً عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، وما كان من المشركين قط كما يزعم المشركون، بل كان موحداً لله.

﴿١٤٤﴾ إنما جعل تعظيم السبت فرضاً على اليهود الذين اختلفوا فيه؛ ليتفرغوا فيه من مشاغلهم للعبادة بعد أن ضلوا عن يوم الجمعة الذي أمروا بالتفرغ فيه، وإن ربك - أيها الرسول - ليحكم بين هؤلاء المختلفين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، فيجازي كلا بما يستحق.

﴿١٤٥﴾ ادع - أيها الرسول - إلى دين الإسلام أنت ومن اتبعك من المؤمنين بما تقتضيه حال المدعو وفهمه وانقياده، وبالنصح المشتمل على الترغيب والترهيب، وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن قولاً وفكراً وتهدياً، فليس عليك هداية الناس، وإنما عليك إبلاغهم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن دين الإسلام، وهو أعلم بالمهتدين إليه، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

﴿١٤٦﴾ وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صبرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.

﴿١٤٧﴾ واصبر - أيها الرسول - على ما يصيبك من أذاهم، وما توفيقك للصبر إلا بتوفيق الله لك، ولا تحزن لإعراض الكفار عنك، ولا يضق صدرك بسبب ما يقومون به من مكر وكيد.

﴿١٤٨﴾ إن الله مع الذين اتقوه بترك المعاصي، والذين هم محسنون بأداء الطاعات، وامثال ما أمروا به، فهو معهم بالنصر والتأييد.

﴿١٤٩﴾ فوالله من الآيات: ١ - إباحة الحلال الطيب الذي لا ضرر فيه، وتحريم الخبيث الضار الذي يؤدي إلى الأذى، وذلك يقتضي شكر النعمة. ٢ - أصول ما يحرم أكله في الشريعة أربعة: هي الميتة والدم ولحم الخنزير، والمذبوح لغير الله من الأصنام وغيرها. ٣ - يباح للضرورة التي يترتب على مخالفتها غلبة الظن بالوقوع في الهلاك تناول شيء من الأطعمة المحرمة. ٤ - تحذير المؤمنين من التشبه بالكفار في تحليل الحرام وتحريم الحلال دون دليل شرعي. ٥ - اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون السوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم. ٦ - يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم عليه السلام قدوة له. ٧ - على الدعوة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ٨ - العقاب يكون بالممثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم. ٩ - جواز التماثل في القصاص، فمن قُتل بحديدة قُتل بها، ومن قُتل بحجر قُتل به، ولا يتعدى قدر الواجب.

﴿١٣٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْهُنَّ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّ رَبَّكَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾

﴿١٣٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحْبَبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿١٤١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٣﴾ إِنَّمَا جَعَلُ السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ

اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ﴿١٤٤﴾ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴿١٤٥﴾

وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴿١٤٦﴾ وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴿١٤٧﴾

إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴿١٤٨﴾

﴿١٤٩﴾ فوالله من الآيات: ١ - إباحة الحلال الطيب الذي لا ضرر فيه، وتحريم الخبيث الضار الذي يؤدي إلى الأذى، وذلك يقتضي شكر النعمة. ٢ - أصول ما يحرم أكله في الشريعة أربعة: هي الميتة والدم ولحم الخنزير، والمذبوح لغير الله من الأصنام وغيرها. ٣ - يباح للضرورة التي يترتب على مخالفتها غلبة الظن بالوقوع في الهلاك تناول شيء من الأطعمة المحرمة. ٤ - تحذير المؤمنين من التشبه بالكفار في تحليل الحرام وتحريم الحلال دون دليل شرعي. ٥ - اقتضت رحمة الله أن يقبل توبة عباده الذين يعملون السوء من الكفر والمعاصي، ثم يتوبون ويصلحون أعمالهم، فيغفر الله لهم. ٦ - يحسن بالمسلم أن يتخذ إبراهيم عليه السلام قدوة له. ٧ - على الدعوة إلى دين الله اتباع هذه الطرق الثلاث: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. ٨ - العقاب يكون بالممثل دون زيادة، فالمظلوم منهي عن الزيادة في عقوبة الظالم. ٩ - جواز التماثل في القصاص، فمن قُتل بحديدة قُتل بها، ومن قُتل بحجر قُتل به، ولا يتعدى قدر الواجب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَلْتَمِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ۝٢
ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عِبَادًا شُكْرًا ۝٣
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَنْ عُلَّوْا كَيْدًا ۝٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْأَخِرَةِ لِيَسْتَوْأْوِجُوهُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا تَنْبِيرًا ۝٧

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :
التركيز على كمال الرسالة المحمدية، وفيها
إشارات وبشارات للرسالة مضموناً ومستقبلاً .

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ تنزه الله سبحانه عن كل ما لا يليق به، فهو
الذي سير عبده محمداً ﷺ روحاً وجسداً يقظة
بجزء من الليل من المسجد الحرام إلى مسجد
بيت المقدس الذي باركنا حوله بالثمار والزرع
وبمنازل الأنبياء ﷺ؛ ليرى بعض آياتنا الدالة
على قدرة الله سبحانه، إنه هو السميع فلا يخفى
عليه مسموع، البصير فلا يخفى عليه مَبْصُر .

﴿٢﴾ وأعطينا موسى ﷺ التوراة وجعلناها هادية
ومرشدة لبني إسرائيل، وقلنا لبني إسرائيل: لا
تتخذوا من دوني وكيلًا تفوضون إليه أموركم،
بل توكلوا علي وحدي .

﴿٣﴾ أنتم من نسل من أنعمنا عليهم بالنجاة مع
نوح ﷺ من الغرق في الطوفان، فتذكروا هذه
النعمة، واشكروا الله تعالى بعبادته وحده
وطاعته، واقتدوا في ذلك بنوح، فإنه كان كثير
الشكر لله تعالى .

﴿٤﴾ وأخبرنا بني إسرائيل وأعلمناهم في التوراة
أنه لا بد أن يقع منهم فساد في الأرض بفعل
المعاصي والبطر مرتين، وليستغلن على الناس بالظلم والبغي متجاوزين الحد في الاستعلاء عليهم .

﴿٥﴾ فإذا حصل منهم الإفساد الأول سلطنا عليهم عباداً لنا أصحاب قوة وبطش عظيم يقتلونهم ويشردونهم، فجالوا
بين ديارهم يفسدون ما مروا عليه، وكان وعد الله بذلك واقعا لا محالة .

﴿٦﴾ ثم أعدنا لكم - يا بني إسرائيل - الدولة والغلبة على من سلطوا عليكم عندما تبتم إلى الله، وأمددناكم بأموال
بعد نهيبها، وأولاداً بعد سبيهم، وصيرناكم أكثر جمعاً من أعدائكم .

﴿٧﴾ إن أحسنتم - يا بني إسرائيل - أعمالكم، وجتت بها على الوجه المطلوب، فجزاء ذلك عائد لكم، فالله غني
عن أعمالكم، وإن أسأتم أفعالكم فعاقة ذلك عليكم، فالله لا ينفعه إحسان أفعالكم، ولا تضره إساءتها، فإذا
حصل الإفساد الثاني سلطنا عليكم أعداءكم ليخزوكم، ويجعلوا المساءة ظاهرة على وجوهكم، لما يذيقونكم من
صنوف الهوان، وليدخلوا بيت المقدس ويخربوه كما دخلوه وخربوه المرة الأولى، وليدمروا ما غلبوا عليه من
البلاد تدميراً كاملاً .

﴿٨﴾ فوائد من الآيات :

- ١ - فضيلة المسجد الحرام والمسجد الأقصى .
- ٢ - بيان فضيلة الشكر، والافتداء بالشاكرين من الأنبياء والمرسلين .
- ٣ - إن نفع الإحسان والاستقامة على الطاعة لله عائد للإنسان نفسه، وكذلك سوء الإساءة ومخالفة أوامر الله
مردود على الإنسان ذاته .
- ٤ - من حكمة الله وسنته أن يعث على المفسدين من يمنهم من الفساد؛ لتحقيق حكمة الله في الإصلاح .
- ٥ - التحذير لهذه الأمة من العمل بالمعاصي؛ لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنة الله واحدة لا تتبدل ولا تتحول .

عسى ربكم - يا بني إسرائيل - أن يرحمكم بعد هذا الانتقام الشديد إن تبتم إليه، وأحسنتم أعمالكم، وإن رجعتم إلى الإفساد مرة ثالثة أو أكثر رجعتنا إلى الانتقام منكم، وصبرنا جهنم للكافرين بالله محبساً يحبسون فيه، لا يجدون منه مخلصاً.

١٤١ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يدل على أحسن السبل وهي سبيل الإسلام، ويخبر المؤمنين بالله الذين يعملون الأعمال الصالحات بما يسره، وهو أن لهم ثواباً عظيماً من الله.

١٤٢ ويخبر الذين لا يؤمنون بيوم القيامة بما يسوؤهم، وهو أننا أعدنا لهم يوم القيامة عذاباً موجعاً.

١٤٣ ويدعو الإنسان لجهله على نفسه وولده وماله عند الغضب بالشرور، مثل دعائه لنفسه بالخير، فلو استجبنا دعاءه بالشر لهلك، وهلك ماله وولده، وكان الإنسان مجبولاً على العجلة، ولذا فإنه قد يتعجل ما يضره.

١٤٤ وخلقتنا الليل والنهار علامتين دالتين على وحدانية الله وقدرته؛ لما فيهما من الاختلاف في الطول والقصر والحرارة والبرودة، فجعلنا الليل مظلماً للراحة والنوم، وجعلنا النهار مضيئاً يبصر فيه الناس فيسعون لمعاشهم، رجاء أن تعلموا بتعاقبهما عدد السنين، وما تحتاجون إليه من حساب أوقات الشهور والأيام والساعات، وكل شيء بيّناه تبييناً لتتميز الأشياء، ويتضح المحقُّ من المُبطل.

١٤٥ وكل إنسان جعلنا عمله الصادر عنه ملازماً له ملازمة القلادة للعنق، لا ينفصل عنه حتى يُحاسب عليه، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه جميع ما عمل من خير وشر يجده أمامه مفتوحاً مبسوطاً.

١٤٦ ونقول له يومئذ: اقرأ - أيها الإنسان - كتابك، وتولَّ حساب نفسك على أعمالك، كفى بنفسك يوم القيامة محاسباً لك. من اهتدى إلى الإيمان فتواب هدايته له، ومن ضل فعقاب ضلاله عليه، ولا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى، وما كنا معذبين قوماً حتى نقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل إليهم.

١٤٧ وإذا أردنا إهلاك قرية لظلمها أمرنا من أبطرتهم النعمة بالطاعة فلم يمتثلوا، بل عصوا وخرجوا عن الطاعة، فحقَّ عليهم القول بالعذاب المُستأصل، فأهلكناهم هلاك استتصال.

١٤٨ وما أكثر الأمم المكذبة التي أهلكناها من بعد نوح مثل عاد وثمود، وكفى بربك - أيها الرسول - بذنوب عباده خبيراً بصيراً، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

١٤٩ **فَوَالَّذِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: ١** - من اهتدى بهدي القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره. ٢ - القرآن مشتمل على البشارة والنذارة وذكر الأسباب التي تنال بها البشارة. ٣ - التحذير من الدعوة على النفس والأولاد بالشر. ٤ - اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة الليل، كل ذلك دليل على وحدانية الله ووجوده وكمال علمه وقدرته. ٥ - دورة الليل والنهار تعرّفنا عدد السنوات والأشهر والأيام المتماثلة. ٦ - النهار وقت مناسب للعمل والحركة والتقلب في الأرض لكسب المعاش وتحصيل الأرزاق. ٧ - كل إنسان معلق بعمله، وعمله مختص به ولازم له، خيراً أو شراً. ٨ - تقرر الآيات مبدأ المسؤولية الشخصية، عدلاً من الله ورحمة بعباده.

١٨ من كان يقصد بأعمال البر الحياة الدنيا، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يُلْقِي لها بالاً، عَجَلْنَا له فيها ما نشأؤه نحن لا ما يشأؤه هو من نعيم، ثم جعلنا له جهنم يدخلها يوم القيامة يعاني حرها، مذمومًا على اختياره الدنيا وكفره بالآخرة، مطرودًا من رحمة الله.

١٩ ومن قصد ثواب الآخرة بأعمال البر، وسعى لها سعيها الخالي من الرياء والسمعة، وهو مؤمن بما أوجب الله الإيمان به، فأولئك المتصفون بتلك الصفات كان سعيهم مقبولًا عند الله، وسيجازيهم عليه.

٢٠ كلاً من هذين الفريقين - الفاجر والبرّ - نزيده من عطاء ربك - أيها الرسول - دون انقطاع، وما كان عطاء ربك في الدنيا ممنوعًا عن أحد، برًا كان أو فاجرًا.

٢١ تأمل - أيها الرسول - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق والمراتب، وللآخرة أعظم تفاوتًا في درجات النعيم من الحياة الدنيا، وأعظم تفضيلًا، فليحرص المؤمن عليها.

٢٢ لا تجعل - أيها العبد - مع الله معبودًا آخر تعبده، فتصير مذمومًا عند الله، وعند عباده الصالحين، مخذولًا منه.

٢٣ وأمر ربك - أيها العبد - وأوجب أن لا يُعْبَد غيره، وأمر بالإحسان إلى الوالدين خاصة، فلا تتشجر منهما بالتفؤه بما يدل على ذلك،

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَوْ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ

جَعَلْنَا لِمَنْ يَجْهَدُ يَصِلْهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ١٨ وَمَنْ أَرَادَ

الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ

سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ١٩ كَلَّا تَمُدُّ هتولاءً وهتولاءً مِنْ عَطَاءِ

رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ٢٠ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا

٢١ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ٢٢

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا

يَبْلُغُنَّ عَلَيْكَ الْكُفْرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا

أُفِي وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَأَخْوَضَ

لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ٢٤ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ

فَأِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥ وَءَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ٢٦ إِنْ الْمُبْذِرِينَ

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧

عند بلوغ الكبر، فإن بلغ أحد الوالدين الكبر أو بلغه كلاهما عندك، فلا تتشجر منهما بالتفؤه بما يدل على ذلك،

ولا تزجرهما ولا تغلظ عليهما في القول، وقل لهما قولًا كريمًا فيه لين ولطف.

٢٤ وتواضع لهما ذلًا ورحمة بهما، وقل: يا رب، ارحمهما رحمة لأجل تربيتهما إياي في صغري.

٢٥ ربكم - أيها الناس - أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص له في العبادة وأعمال الخير، والبر بالوالدين، فإن كانت نياتكم في عبادتكم ومعاملتكم لوالديكم وغيرهما صالحة فإنه سبحانه كان للرجاعين إليه بالتوبة غفورًا، فمن تاب من تقصيره السابق في طاعته لربه أو لوالديه غفر الله له.

٢٦ وأعط - أيها المؤمن - القريب حقه من صلة رحمه، وأعط الفقير المحتاج، وأعط المنقطع في سفره، ولا تنفق مالك في معصية، أو على وجه الإسراف.

٢٧ إن المنفقين أموالهم في المعاصي، والمسرفين في الإنفاق كانوا إخوان الشياطين، يطعونهم فيما يأمرونهم به من التبذير والإسراف، وكان الشيطان لربه كفورًا، فلا يعمل إلا بما فيه معصية، ولا يأمر إلا بما يسخط ربه.

٢٨٤

١ - ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه؛ ليُثَاب على ذلك.

٢ - اقتضت حكمة الله ورحمته أن يرزق المؤمنين والكافرين في الدنيا، فلا يكون عطاؤه محبوسًا ممنوعًا عن أحد.

٣ - إن النعم في الدنيا لا ينبغي أن يُسْتَدَل بها على رضا الله تعالى؛ لأن الدنيا قد تحصل مع أن عاقبتها المصير إلى عذاب الله.

٤ - الإحسان إلى الوالدين فرض لازم واجب، وقد قرن الله شكرهما بشكره لعظيم فضلها.

٥ - يحرم الإسلام التبذير، والتبذير إنفاق المال في غير حقه.

﴿٢٧﴾ وَإِنِ امْتَنَعْتَ عَنِ إِعْطَاءِ هَؤُلَاءِ؛ لَعَدَمُ وَجُودِ مَا تُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ مُنْتَظَرًا مَا يَفْتَحُ اللَّهُ بِكَ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقٍ، فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا لَيِّنًا سَهْلًا، مِثْلَ أَنْ تَدْعُو لَهُمْ بِسَعَةِ الرِّزْقِ، أَوْ تَعْدَهُمْ بِالْعَطَاءِ إِنْ رَزَقَكَ اللَّهُ مَا لَا. ﴿٢٨﴾ وَلَا تَمْسِكْ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ، فَتَصِيرَ مَلُومًا يَلُومُكَ النَّاسُ عَلَى بَخْلِكَ إِنْ أَمْسَكَتَ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، مُنْقَطِعًا عَنِ الْإِنْفَاقِ لِإِسْرَافِكَ، فَلَمْ تَجِدْ مَا تَتَفَقَّهُ.

﴿٢٩﴾ إِنْ رَبِّكَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، إِنَّهُ كَانَ عِبَادَهُ خَيْرِيًّا بَصِيرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، فَيَصْرِفُ أَمْرَهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ.

﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ مُسْتَقْبَلًا إِذَا أَفْقَمْتُمْ عَلَيْهِمْ، نَحْنُ نَتَكْفَلُ بِرِزْقِهِمْ، وَنَتَكْفَلُ بِرِزْقِكُمْ أَنْتُمْ، إِنْ قَتَلْتُمْ كَانُوا إِثْمًا كَبِيرًا؛ إِذْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ وَلَا سَبَبَ يَسْتَوْجِبُ قَتْلَهُمْ.

﴿٣١﴾ وَاحْذَرُوا الزَّوْجَةَ، وَتَجَنَّبُوا مَا يَشْجَعُ عَلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ مُتَنَاهِيًّا فِي الْقُبْحِ، وَسَاءَ طَرِيقًا لِمَا يُؤَدِيهِ مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَسْبَابِ، وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي عَصَمَ اللَّهُ دَمَهَا بِإِيْمَانٍ أَوْ بِأَمَانٍ إِلَّا إِنْ اسْتَحَقَّتِ الْقَتْلَ بَرْدَةً، أَوْ بَرْنَا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ بِقِصَاصٍ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا دُونَ سَبَبٍ يَبِيحُ قَتْلَهُ فَقَدْ جَعَلْنَا لِمَنْ يَلِي أَمْرَهُ مِنْ وَرَثَتِهِ تَسْلُطًا عَلَى قَاتِلِهِ، فَلَهُ أَنْ يَطْلُبَ بِقَتْلِهِ قِصَاصًا، وَلَهُ الْعَفْوُ دُونَ مِقَابِلٍ، وَلَهُ الْعَفْوُ وَأَخَذَ الدِّيَةِ، فَلَا يَسْرِفُ بِالْمِثْمَالِ بِالْقَاتِلِ أَوْ بِقَتْلِهِ بغير ما قتل به أو بقتل غير القاتل، إِنَّهُ كَانَ مُؤَيَّدًا مَعَانًا.

﴿٣٣﴾ وَلَا تُتَصَرَّفُوا فِي مَالٍ مِنْ مَاتِ وَالِدِهِ مِنَ الْأَطْفَالِ إِلَّا بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُ مِنْ تَنْمِيَتِهِ وَحِفْظِهِ حَتَّى يَبْلُغَ كِمَالِ عَقْلِهِ وَرَشْدِهِ، وَأَوْفُوا بِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَبِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ عَهْدٍ دُونَ نَقْضٍ أَوْ نَقْصٍ، إِنْ اللَّهُ يَسْأَلُ مَعْطَى الْعَهْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلْ وَفَى بِهِ فَيْشِبُهُ أَوْ لَمْ يَفِ بِهِ فَيُعَاقِبُهُ.

﴿٣٤﴾ وَأَتَمُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ لغيركم ولا تخسروه، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئًا ولا يبخره، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكيال والموازين.

﴿٣٥﴾ وَلَا تَتَّبِعْ - يَا ابْنَ آدَمَ - مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَتَّبِعَ الظُّنُونَ وَالْحَدْسَ، إِنْ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ عَمَّا اسْتُخْدِمَ فِيهِ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَفَوَادَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيُنَابِئُ عَلَى الْخَيْرِ، وَيُعَاقِبُ عَلَى الشَّرِّ.

﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ تَكْبِيرًا وَاخْتِيَالًا، إِنَّكَ إِنْ تَمْشَى فِيهَا مُتَعَالِيًّا لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِمَشِيَّتِكَ، وَلَنْ تَصِلَ قَامَتِكَ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْجِبَالُ طَوْلًا وَارْتِفَاعًا، فَعَلَامٌ التَّكْبِيرُ إِذَا؟! ﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾ كُلُّ مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ كَانَ السَّيِّئِ مِنْهُ عِنْدَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - مَمْنُوعًا، لَا يُرِضِي اللَّهُ عَنِ مَرْتَكِبِهِ، بَلْ يَبْغِضُهُ.

﴿٣٩﴾ فَوَإِذَا مَرَّ بِالْآيَاتِ: ١ - الأدب الرفيع هو رد ذوي القربى بلطف، ووعدهم وعدًا جميلًا بالصلة عند اليسر، والاعتدال إليهم بما هو مقبول. ٢ - الإنفاق المحمود هو التوسط والاعتدال من غير بخل ولا إسراف. ٣ - الله أرحم بالأولاد من والديهم؛ فهني الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفًا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. ٤ - النهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه. ٥ - في الآيات دليل على أن الحق في القتل للولي، فلا يُقْتَضَى إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِنْ عَفَا سَقَطَ الْقِصَاصُ. ٦ - من لطف الله ورحمته باليتيم أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وتنميته حتى يبلغ أشده. ٧ - ضرورة العدل وإيفاء المكيال والموازين بالقسط من غير بخل ولا نقص، حتى تحل على العبد البركات. ٨ - العبد مسؤول عن أقواله وأفعاله.

﴿٢٧﴾ وَإِنِ امْتَنَعْتَ عَنِ إِعْطَاءِ هَؤُلَاءِ؛ لَعَدَمُ وَجُودِ مَا تُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ مُنْتَظَرًا مَا يَفْتَحُ اللَّهُ بِكَ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقٍ، فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا لَيِّنًا سَهْلًا، مِثْلَ أَنْ تَدْعُو لَهُمْ بِسَعَةِ الرِّزْقِ، أَوْ تَعْدَهُمْ بِالْعَطَاءِ إِنْ رَزَقَكَ اللَّهُ مَا لَا. ﴿٢٨﴾ وَلَا تَمْسِكْ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ، فَتَصِيرَ مَلُومًا يَلُومُكَ النَّاسُ عَلَى بَخْلِكَ إِنْ أَمْسَكَتَ يَدَكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ، مُنْقَطِعًا عَنِ الْإِنْفَاقِ لِإِسْرَافِكَ، فَلَمْ تَجِدْ مَا تَتَفَقَّهُ. ﴿٢٩﴾ إِنْ رَبِّكَ يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، إِنَّهُ كَانَ عِبَادَهُ خَيْرِيًّا بَصِيرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، فَيَصْرِفُ أَمْرَهُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ. ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ مُسْتَقْبَلًا إِذَا أَفْقَمْتُمْ عَلَيْهِمْ، نَحْنُ نَتَكْفَلُ بِرِزْقِهِمْ، وَنَتَكْفَلُ بِرِزْقِكُمْ أَنْتُمْ، إِنْ قَتَلْتُمْ كَانُوا إِثْمًا كَبِيرًا؛ إِذْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ وَلَا سَبَبَ يَسْتَوْجِبُ قَتْلَهُمْ. ﴿٣١﴾ وَاحْذَرُوا الزَّوْجَةَ، وَتَجَنَّبُوا مَا يَشْجَعُ عَلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ مُتَنَاهِيًّا فِي الْقُبْحِ، وَسَاءَ طَرِيقًا لِمَا يُؤَدِيهِ مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَسْبَابِ، وَمِنْ عَذَابِ اللَّهِ. ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي عَصَمَ اللَّهُ دَمَهَا بِإِيْمَانٍ أَوْ بِأَمَانٍ إِلَّا إِنْ اسْتَحَقَّتِ الْقَتْلَ بَرْدَةً، أَوْ بَرْنَا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ بِقِصَاصٍ، وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا دُونَ سَبَبٍ يَبِيحُ قَتْلَهُ فَقَدْ جَعَلْنَا لِمَنْ يَلِي أَمْرَهُ مِنْ وَرَثَتِهِ تَسْلُطًا عَلَى قَاتِلِهِ، فَلَهُ أَنْ يَطْلُبَ بِقَتْلِهِ قِصَاصًا، وَلَهُ الْعَفْوُ دُونَ مِقَابِلٍ، وَلَهُ الْعَفْوُ وَأَخَذَ الدِّيَةِ، فَلَا يَسْرِفُ بِالْمِثْمَالِ بِالْقَاتِلِ أَوْ بِقَتْلِهِ بغير ما قتل به أو بقتل غير القاتل، إِنَّهُ كَانَ مُؤَيَّدًا مَعَانًا. ﴿٣٣﴾ وَلَا تُتَصَرَّفُوا فِي مَالٍ مِنْ مَاتِ وَالِدِهِ مِنَ الْأَطْفَالِ إِلَّا بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُ مِنْ تَنْمِيَتِهِ وَحِفْظِهِ حَتَّى يَبْلُغَ كِمَالِ عَقْلِهِ وَرَشْدِهِ، وَأَوْفُوا بِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَبِمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ مِنْ عَهْدٍ دُونَ نَقْضٍ أَوْ نَقْصٍ، إِنْ اللَّهُ يَسْأَلُ مَعْطَى الْعَهْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَلْ وَفَى بِهِ فَيْشِبُهُ أَوْ لَمْ يَفِ بِهِ فَيُعَاقِبُهُ. ﴿٣٤﴾ وَأَتَمُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ لغيركم ولا تخسروه، وزنوا بالميزان العدل الذي لا ينقص شيئًا ولا يبخره، ذلك الإيفاء للكيل والوزن خير لكم في الدنيا والآخرة، وأحسن عاقبة من التطفيف بنقص المكيال والموازين. ﴿٣٥﴾ وَلَا تَتَّبِعْ - يَا ابْنَ آدَمَ - مَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ، فَتَتَّبِعَ الظُّنُونَ وَالْحَدْسَ، إِنْ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ عَمَّا اسْتُخْدِمَ فِيهِ سَمِعَهُ وَبَصَرَهُ وَفَوَادَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيُنَابِئُ عَلَى الْخَيْرِ، وَيُعَاقِبُ عَلَى الشَّرِّ. ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ تَكْبِيرًا وَاخْتِيَالًا، إِنَّكَ إِنْ تَمْشَى فِيهَا مُتَعَالِيًّا لَنْ تَقْطَعَ الْأَرْضَ بِمَشِيَّتِكَ، وَلَنْ تَصِلَ قَامَتِكَ إِلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْجِبَالُ طَوْلًا وَارْتِفَاعًا، فَعَلَامٌ التَّكْبِيرُ إِذَا؟! ﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾ كُلُّ مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ كَانَ السَّيِّئِ مِنْهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَمْنُوعًا، لَا يُرِضِي اللَّهُ عَنِ مَرْتَكِبِهِ، بَلْ يَبْغِضُهُ.

﴿٣٩﴾ فَوَإِذَا مَرَّ بِالْآيَاتِ: ١ - الأدب الرفيع هو رد ذوي القربى بلطف، ووعدهم وعدًا جميلًا بالصلة عند اليسر، والاعتدال إليهم بما هو مقبول. ٢ - الإنفاق المحمود هو التوسط والاعتدال من غير بخل ولا إسراف. ٣ - الله أرحم بالأولاد من والديهم؛ فهني الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفًا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع. ٤ - النهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه. ٥ - في الآيات دليل على أن الحق في القتل للولي، فلا يُقْتَضَى إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَإِنْ عَفَا سَقَطَ الْقِصَاصُ. ٦ - من لطف الله ورحمته باليتيم أن أمر أوليائه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه وتنميته حتى يبلغ أشده. ٧ - ضرورة العدل وإيفاء المكيال والموازين بالقسط من غير بخل ولا نقص، حتى تحل على العبد البركات. ٨ - العبد مسؤول عن أقواله وأفعاله.

﴿٣٦﴾ ذلك الذي وضعناه من الأوامر والنواهي والأحكام مما أوحاه إليك ربك، ولا تتخذ - أيها الإنسان - مع الله معبودًا آخر، فترمى في جهنم يوم القيامة ملومًا تلومك نفسك ويلومك الناس، مطرودًا عن كل خير.

﴿٣٧﴾ يا من تدعون أن الملائكة بنات الله، أفأختصكم ربكم - أيها المشركون - بالذكور من الأولاد، واتخذ لنفسه الملائكة بنات؟ تعالى الله عما تقولون، إنكم لتقولون على الله سبحانه قولًا بالغ القبح حيث تنسبون له الولد، وترعمون أن له البنات إمعانًا في الكفر به.

﴿٣٨﴾ ولقد أوضحنا في هذا القرآن الأحكام والمواعظ والأمثال ليتعظ بها الناس، فيسلوكوا ما ينفعهم، ويتروكوا ما يضرهم، والحال أن بعضهم ممن انتكست فطرتهم لم يزد بذلك إلا بعدًا عن الحق وكرهية له.

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله تعالى معبودات كما يقولون افتراء وكذبًا إذا طلبت تلك المعبودات المزعومة إلى الله ذي العرش طريقًا لتغالبه على ملكه وتنازعه فيه.

﴿٤٠﴾ تنزه الله سبحانه وتقدس عما يصفه به المشركون، وتعالى عما يقولونه علوًا كبيرًا.

﴿٤١﴾ تسبح لله السماوات، وتسبح لله الأرض، ويسبح لله من في السماوات والأرض من المخلوقات، وما من شيء إلا ينزهه قارئًا تنزيهه إياه بالثناء، ولكن لا تفهمون كيفية تسبيحهم،

فأنتم لا تفهمون إلا تسبيح من يسبح بلسانكم، إنه تعالى كان حليمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لمن تاب إليه.

﴿٤٢﴾ وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن فسمعوا ما فيه من الزواجر والمواعظ جعلنا بينك وبين الذين لا يصدقون يوم القيامة حجابًا ساترًا يمنعهم من فهم القرآن عقابًا لهم على إعراضهم.

﴿٤٣﴾ وصيرنا على قلوبهم أعظية حتى لا يفهموا القرآن، وصيرنا في آذانهم ثقلاً حتى لا يسمعه سماع انتفاع، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولم تذكر آلهتهم المزعومة رجعوا على أعقابهم متباعدين عن إخلاص التوحيد لله.

﴿٤٤﴾ نحن أعلم بطريقة استماع رؤسائهم للقرآن، فهم لا يريدون الاهتداء به، بل يريدون الاستخفاف واللغو عند قراءتك، ونحن أعلم بما يتناجون به من التكذيب والصد عنه، حين يقول هؤلاء الظالمون لأنفسهم بالكفر: لا تتبعون - أيها الناس - إلا رجلاً مسحوراً اختلط عقله.

﴿٤٥﴾ تأمل - أيها الرسول - لعجب مما وصفوك به من صفات مذمومة مختلفة، فأنحرفوا عن الحق، وচারوا فلم يهتدوا إلى طريق الحق.

﴿٤٦﴾ وقال المشركون إنكارًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا، ولبيت أجسامنا، أنبعث بعثًا جديدًا؟ إن هذا لمستحيل.

﴿٤٧﴾ فإذن من الآيات: ١ - الزعم بأن الملائكة بنات الله افتراء كبير، وقول عظيم الإثم عند الله ﷻ. ٢ - أكثر الناس لا تزيدهم آيات الله إلا نفورًا؛ لبغضهم للحق ومحبتهم ما كانوا عليه من الباطل. ٣ - ما من مخلوق في السماوات والأرض إلا يسبح بحمد الله تعالى فينبغي للعبد ألا تسبقه المخلوقات بالتسبيح. ٤ - من حلم الله على عباده أنه لا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم وسوء صنيعهم، فرحمته سبقت غضبه. ٥ - المشركون منكرون بوقوع البعث والمعاد. ٦ - يُقدَّر الناس بعد البعث أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا زمنًا قليلًا؛ لطول لبثهم في الآخرة. ٧ - من يتعجب من إعادة الحياة للعظام البالية والرِّفات الفاني، فلقصور إدراكه، وضعف قدراته، ونقص قواه العقلية.

﴿٥٦﴾ قل لهم - أيها الرسول -: كونوا - أيها المشركون - إن استطعتم حجارة في شدتها، أو كونوا حديدًا في قوته، ولن تستطيعوا ذلك.

﴿٥٧﴾ أو كونوا خلقًا آخر أعظم منهما مما يعظم في صدوركم، فإن الله معيذكم كما بدأكم، ومحييكم كما خلقكم أول مرة، فيقول هؤلاء المعاندون: من يعيدنا أحياء بعد موتنا، قل لهم: يعيذكم الذي خلقكم أول مرة على غير مثال سابق، فسيحركون رؤوسهم ساخرين من ردك عليهم، ويقولون مستعدين: متى هذه الإعادة؟ قل لهم: لعلها قريبة، فكل ما هو آت قريب.

﴿٥٨﴾ يعيذكم الله يوم يناديكم إلى أرض المحشر، فتستجيبون منقادين لأمره، حامدين إياه، وتظنون أنكم ما مكثتم في البرزخ إلا زمنًا قليلًا.

﴿٥٩﴾ وقل - أيها الرسول - لعبادي المؤمنين بي: يقولوا الكلمة الطيبة عندما يحاورون، ويحتجوا الكلمة السيئة المنفرة؛ لأن الشيطان يستغلها فيسعى بينهم بما يفسد عليهم حياتهم الدنيوية والأخروية، إن الشيطان كان للإنسان عدوًا واضح العداوة، فعليه أن يحذر منه.

﴿٦٠﴾ ربكم - أيها الناس - أعلم بكم، فلا يخفى عليه منكم شيء، إن يشأ أن يرحمكم رحمكم بأن يوفقكم للإيمان والعمل الصالح، وإن يشأ أن يعذبكم عذبكم بأن يخذلكم عن الإيمان ويميتكم على الكفر، وما بعثناك - أيها الرسول - عليهم

﴿٥٦﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٦﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَغْضِبُونَ لِيكَ رَأْيِهِمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٧﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٨﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٩﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ شِئَانِ رَحْمَتِكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآءَاتَيْنَا دَاوُدَ ذِكْرًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْبَةٍ إِلَّا لَأَنحُنَّ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الرِّقْمَةِ ﴿٥٨﴾ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٩﴾

وكيلاً تجبرهم على الإيمان، وتمنعهم من الكفر، وتحصي عليهم أعمالهم، إنما أنت مبلغ عن الله ما أمرك بتبليغه.

﴿٥٥﴾ وربك - أيها الرسول - أعلم بكلّ من في السماوات والأرض، وأعلم بأحوالهم وبما يستحقون، ولقد فضلنا بعض الأنبياء على بعض بكثرة الأتباع وبيّنزال الكتب، وأعطينا داود كتابًا هو الزبور.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا - أيها المشركون - الذين زعمتم أنهم آلهة من دون الله إن نزل بكم ضر، فهم لا يملكون دفع الضر عنكم، ولا يملكون نقله إلى غيركم لعجزهم، ومن كان عاجزًا لا يكون إلهاً.

﴿٥٧﴾ أولئك الذين يدعونهم من الملائكة ونحوهم هم أنفسهم يطلبون ما يقربهم إلى الله من العمل الصالح، ويتنافسون أيهم أقرب إليه بالطاعة، ويرجون أن يرحمهم، ويخافون أن يعذبهم، إن عذاب ربك - أيها الرسول - مما ينبغي أن يحذر.

﴿٥٨﴾ وما من قرية أو مدينة إلا نحن منزلون بها العذاب والهلاك في الحياة الدنيا بسبب كفرها، أو مبتلوا بعقاب قوي بالقتل أو غيره بسبب كفرها، كان ذلك الإهلاك والعذاب قضاءً إلهيًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

﴿٦٠﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ:

- ١ - لا يسع البشر حين دعوتهم بالخروج من قبورهم إلا الامتثال والطاعة والانقياد، وذلك يحصل بلحظة سريعة جدًا.
- ٢ - القول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإنّ من ملك لسانه ملك جميع أمره.
- ٣ - فاضل الله بين الأنبياء بعضهم على بعض عن علم منه وحكمة.
- ٤ - الله لا يريد عباده إلا ما هو الخير، ولا يأمرهم إلا بما فيه مصلحتهم.
- ٥ - علامة محبة الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله، وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله والنصح فيها.
- ٦ - لا يملك أحد غير الله ﷻ كشف الضر من فقر أو مرض أو بلاء أو غيره.

﴿٥٩﴾ وما تركنا إنزال المعجزات الحسية التي طلبها المشركون كإحياء الموتى ونحوه، إلا لأننا أنزلناها على الأمم الأولى فكذبوا بها، فقد أعطينا ثمود آية عظيمة واضحة، هي الناقة، فكفروا بها فعاجلناهم بالعذاب، وما نبعث بالمعجزات على أيدي الرسل إلا تخويفاً لأممهم؛ لعلهم يسلمون.

﴿٦٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته، والله مانعك منهم، فبلغ ما أمرت بتبليغه، وما جعلنا ما أريناك عياناً ليلة الإسراء إلا امتحاناً للناس، هل يصدقون به، أم يكذبون به؟ وما جعلنا شجرة الزقوم المذكور في القرآن أنها تنبت في أصل الجحيم إلا ابتلاء لهم، فإذا لم يؤمنوا بهاتين الآيتين فلن يؤمنوا بغيرهما، ونخوفهم بإنزال الآيات فما يزدادون بالتخويف بإنزالها إلا زيادة في الكفر وتماديًا في الضلال.

﴿٦١﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية لا سجود عبادة، فامتثلوا وسجدوا كلهم له، لكن إبليس أبى تكبراً أن يسجد له قائلاً: أسجد لمن خلقته من الطين، وأنا خلقتني من النار؟! فأنأ أشرف منه.

﴿٦٢﴾ قال إبليس لربه: رأيت هذا المخلوق الذي كرمته عليّ بأمرك لي بالسجود له؟ لئن صراطك المستقيم إلا قليلاً ممن عصمت منهم، وهم عبادك المخلصون.

﴿٦٣﴾ قال له ربه: اذهب أنت ومن أطاعك منهم، فإن جهنم هي جزاؤك وجزاؤهم جزاء كاملاً موفراً على أعمالكم. ﴿٦٤﴾ واستخف من استطعت أن تستخفه منهم بصوتك الداعي إلى المعصية، وصيخ عليهم بفرسانك ومشاتك الداعين لطاعتك، وشاركهم في أموالهم بتزيين كل تصرف يخالف الشرع، وشاركهم في أولادهم بادعائهم كذباً، وتحصيلهم بالزنى، وتعبيدهم لغير الله عند التسمية، وزين لهم الوعود الكاذبة والأمانى الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا الوعود الكاذبة التي تخدعهم.

﴿٦٥﴾ إن عبادي المؤمنين العاملين بطاعتي ليس لك - يا إبليس - عليهم تسلط؛ لأن الله يدفع عنهم شرّك، وكفى بالله

﴿٦٦﴾ وكيلاً لمن اعتمد عليه في أموره. ﴿٦٧﴾ ربكم - أيها الناس - هو الذي يسرّ لكم السفن في البحر رجاء أن تطلبوا رزقه بأرباح التجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيمًا حيث يسرّ لكم هذه الوسائل.

﴿٦٨﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - من رحمة الله بالناس عدم إنزاله الآيات التي يطلبها المكذبون حتى لا يعاجلهم بالعقاب إذا كذبوا بها.
- ٢ - ابتلى الله العباد بالشیطان الداعي لهم إلى معصية الله بأقواله وأفعاله.
- ٣ - من صور مشاركة الشيطان للإنسان في الأموال والأولاد: ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وعدم تأديب الأولاد.

﴿٧٧﴾ وإذا أصابكم - أيها المشركون - بلاء ومكروه في البحر حتى خشيتم الهلاك غاب عن خاطركم ما كنتم تعبدون من دون الله، ولم تذكروا إلا الله فاستغثتم به، فلما أغاثكم وسلمكم مما تخافونه، وصرتم في البر أعرضتم عن توحيدِه ودعائه وحده، ورجعتم إلى أصنامكم، وكان الإنسان جحودًا لنعم الله.

﴿٧٨﴾ أفأنتم - أيها المشركون - حين نجاكم إلى البر أن يجعله الله ينهار بكم؟ أو أمنتُم أن ينزل عليكم حجارة من السماء تمطركم مثل ما فعل قوم لوط، ثم لا تجدوا حافظًا يحفظكم، ولا ناصرًا يمنعكم من الهلاك.

﴿٧٩﴾ أم أمنتُم أن يعيدكم الله إلى البحر مرة أخرى، ثم يبعث عليكم ريحًا شديدة، فيغرقكم بسبب كفركم بنعمة الله لما أنجاكم أولًا، ثم لا تجدوا لكم مطالبًا يطالبنا بما فعلنا بكم انتصارًا لكم.

﴿٨٠﴾ ولقد كرمتنا ذرية آدم بالعقل وإسجاد الملائكة لأبيهم وغير ذلك، وسخرنا لهم ما يحملهم في البر من الدواب والمراكب، وما يحملهم في البحر من السفن، ورزقناهم من طيات المأكَل والمشارب والمناجح وغيرها، وفضلناهم على كثير من مخلوقاتنا تفضيلًا عظيمًا، فعليهم أن يشكروا نعم الله عليهم.

﴿٨١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم ننادي كل مجموعة بإمامها الذي كانت تقتدي به في الدنيا، فمن أعطى كتاب عمله يمينه فأولئك يقرؤون كتبهم مسرورين، ولا ينقصون من أجورهم شيئًا، وإن بلغ في صغره قدر الخيط الذي في شق النواة.

﴿٨٢﴾ ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب عن قبول الحق والإذعان له، فهو يوم القيامة أشد عمى، فلا يهتدي لطريق الجنة، وأضل طريقًا عن الهداية، والجزاء من جنس العمل.

﴿٨٣﴾ ولقد أوشك المشركون أن يصرفوك - أيها الرسول - عما أوحينا إليك من القرآن؛ لتختلق علينا غيره مما يوافق أهواءهم، ولو فعلت ما أرادوا من ذلك لاصطفوك حبيبًا.

﴿٨٤﴾ ولولا أن منّا عليك بالثبوت على الحق لقد أوشكت أن تميل إليهم بعض الميل، فتوافقهم فيما اقترحوه عليك؛ لقوة خداعهم وشدّة احتيالهم مع فرط حرصك على إيمانهم، لكن عصمتك من الميل إليهم.

﴿٨٥﴾ ولو ملت إليهم فيما يقترحون عليك لأصبتك بعداب مضاعف في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم لا تجد نصيرًا يناصرك علينا، ويدفع عنك العذاب.

﴿٨٦﴾ قوله من الآيات:

١ - الإنسان كفور للنعم إلا من هدى الله.

٢ - كل أمة تُدعى إلى دينها وكتابها، هل عملت به أم لا؟ والله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ومخالفته لها.

٣ - أهل الخير يعطون كتبهم بإيمانهم، ويحصل لهم من الفرح والسرور شيء عظيم، وإن أهل الشر بعكس ذلك.

٤ - عداوة المجرمين والمكذبين للرسول وورثتهم ظاهرة بسبب الحق الذي يحملونه، وليس لذواتهم.

٥ - الله تعالى عصم النبي من أسباب الشر ومن البشر، فثبته وهداه الصراط المستقيم، ولورثته مثل ذلك على حسب اتباعهم له.

﴿٧٦﴾ ولقد أوشك الكفار أن يزعجوك بعداوتهم إياك ليخرجوك من مكة، لكن منعهم الله من إخراجك حتى هاجرت بأمر ربك، ولو أخرجوك لم يبقوا بعد إخراجك إلا زمناً يسيراً. ﴿٧٧﴾ ذلك الحكم بعدم بقائهم بعدك إلا زمناً يسيراً سنة الله المطردة في الرسل من قبلك، وهي أن أي رسول أخرجته قومه من بينهم أنزل الله بهم العذاب، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة تغييراً، بل ستجدها ثابتة مطردة.

﴿٧٨﴾ أقم الصلاة بالإتيان بها على أتم وجه في أوقاتها من زوال الشمس عن كبد السماء، ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر، إلى ظلمة الليل، وتشمل المغرب والعشاء، وأقم صلاة الفجر وأطل القراءة فيها، فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿٧٩﴾ ومن الليل قم - أيها الرسول - وصل بعضاً منه لتكون صلاتك زيادة لك في رفع درجاتك، متحريراً أن يعثرك ربك يوم القيامة شافعاً للناس مما هم فيه من أهوال يوم القيامة، ويكون لك مقام الشفاعة العظمى الذي يحمداه الأولون والآخرون.

﴿٨٠﴾ وقل - أيها الرسول - رب، اجعل مداخلي ومخارجي كلها في طاعتك وعلى مرضاتك، واجعل لي من عندك حجة ظاهرة تنصرتني بها على عدوي.

﴿٨١﴾ وقل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: جاء الإسلام، وتحقق ما وعد الله به من نصره، وذهب الشرك والكفر، إن الباطل ذاهب مُتلاشٍ لا يثبت أمام الحق.

﴿٨٢﴾ ونزل من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الجهل والكفر والشك، وما هو شفاء للأبدان إذا رقيت به، وما هو رحمة للمؤمنين العاملين به، ولا يزيد هذا القرآن الكفار إلا هلاكاً؛ لأن سماعه يغنيهم، ويزيدهم تكديراً وإعراضاً عنه.

﴿٨٣﴾ وإذا أئمننا على الإنسان بنعمة مثل الصحة والغنى أعرض عن شكر الله وطاعته، وتباعد تكبراً، وإذا أصابه مرض أو فقر ونحوهما كان شديد القنوط واليأس من رحمة الله.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول -: كل إنسان يعمل على طريقته التي تشابه حاله في الهداية والضلال، فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً إلى الحق.

﴿٨٥﴾ ويسألك - أيها الرسول - الكفار من أهل الكتاب عن حقيقة الروح، فقل لهم: الروح من أمر ربي، وما أعطيتم أتم وجميع الخلق من العلم إلا قليلاً في جنب علم الله سبحانه.

﴿٨٦﴾ والله لو شئنا لذهب بالذي أنزلنا إليك - أيها الرسول - من الوحي بمحوه من الصدور والكتب لذهبنا به، ثم لا تجد من ينصرك ويتولى رده.

﴿٨٧﴾ فإيا من الآيات: ١ - سنة الله التي لا تحوّل ولا تُبدّل في جميع الأمم أن كل أمة كذبت رسولها وأخرجته عاجلها الله بالعقوبة. ٢ - في الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال مُتَمَلِّقاً لربه أن يثبته على الإيمان. ٣ - عند ظهور الحق يَضْمَجِلُ الباطل، ولا يعلو الباطل إلا في الأزمنة والأمكنة التي يكسل فيها أهل الحق. ٤ - الشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والمقاصد السيئة. ٥ - في الآيات دليل على أن المسؤول إذا سئل عن أمر ليس في مصلحة السائل فالأولى أن يعرض عن جوابه، ويدله على ما يحتاج إليه، ويرشده إلى ما ينفعه.

﴿٨٧﴾ لكن لم نذهب به رحمة من ربك، وتركناه محفوظًا، إن فضل ربك كان عليك عظيمًا حيث جعلك رسولًا، وختم بك الأنبياء، وأنزل عليك القرآن.

ولما كان المشركون يتذرعون بأن هذا القرآن من جنس ما يقوله البشر، واقترحوا تبديله تحذاهم الله بالإتيان بمثله، فقال:

﴿٨٨﴾ قل - أيها الرسول -: لئن اجتمع الإنس والجن كلهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنزل عليك في بلاغته، وحسن نظمته، وجزالته، لن يأتوا به أبدًا ولو كان بعضهم لبعض معينًا ونصيرًا.

﴿٨٩﴾ ولقد بينّا للناس في هذا القرآن، ونوعنا فيه من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبر والأوامر والنواهي والقصص رجاء أن يؤمنوا، فأبى معظم الناس إلا جحودًا وإنكارًا لهذا القرآن. ولما عجزوا بدأوا يقدمون مقترحات للتعجيز، فاقترحوا ما يلي:

﴿٩٠﴾ وقال المشركون: لن نصدق بك حتى تُخرج لنا من أرض مكة عينا جارية لا تضب.

﴿٩١﴾ أو يكون لك بستان كثير الأشجار، فتجري فيه الأنهار بغزارة.

﴿٩٢﴾ أو تُسقط علينا السماء - كما ذكرت - قطعًا من العذاب، أو تجيء بالله والملائكة عيانًا حتى يشهدوا لك بصحة ما تدّعيه.

﴿٨٧﴾ الْإِرْحَمَةَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ فَضَلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِيِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا لِسَفَاؤِ تَابِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَيْلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِنَانًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

﴿٩٣﴾ أو يكون لك بيت مُزخرف بالذهب وغيره، أو تصعد في السماء، ولن نصدق بأنك مرسل إن صعدت إليها إلا إذا نزلت بكتاب من عند الله مسطور نقرأ فيه أنك رسول الله. قل لهم - أيها الرسول -: سبحان ربي، هل كنت إلا بشرًا رسولًا كسائر الرسل، لا أملك الإتيان بشيء، فكيف لي أن أجيء بما اقترحموه؟! ﴿٩٤﴾ وما منع الكفار من الإيمان بالله وبرسوله، والعمل بما جاء به الرسول إلا إنكارهم أن يكون الرسول من جنس البشر، حيث قالوا استنكارًا: أبعث الله إلينا رسولًا من البشر؟! ﴿٩٥﴾ - قل أيها الرسول - ردًا عليهم: لو كان على الأرض ملائكة يسكنونها ويسرون مطمئنين كما هو حالكم لبعثنا إليهم رسولًا مَلَكًا من جنسهم؛ لأنه الذي يستطيع أن يفهمهم ما أرسل به، فليس من الحكمة أن نرسل إليهم رسولًا من جنس البشر، وكذلك حالكم أتم.

﴿٩٦﴾ - قل أيها الرسول -: كفى بالله شاهدًا بيني وبينكم أني رسول إليكم، وأني بلغتكم ما أرسلت به إليكم، إنه كان بأحوال عبادته محيطًا، لا يخفى عليه منها شيء، بصيرًا بكل خفايا نفوسهم.

﴿٩٦﴾ فإذ من الآيات:

١ - بين الله للناس في القرآن من كل ما يُعتبر به من المواعظ والعبر والأوامر والنواهي والقصص؛ رجاء أن يؤمنوا.

٢ - القرآن كلام الله ومعجزة النبي الخالدة، ولن يقدر أحد على المجيء بمثله.

٣ - بيان شدة عناد المشركين للنبي ﷺ وعدم إيمانهم به.

٤ - من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم بشرًا منهم، فإنهم لا يطيقون التلقي من الملائكة.

٥ - من شهادة الله لرسوله ما أيده به من المعجزات، وما أنزل عليه من الآيات، ونصره على من عاداه وناوأه.

﴿١٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فهو المهتدي حقًا، ومن يخذله عنها ويضله فلن تجد - أيها الرسول - لهم أولياء يهدونهم إلى الحق، ويدفعون عنهم الضر، ويجلبون لهم النفع، ونحشرهم يوم القيامة يُسحبون على وجوههم لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون، منزلهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما سكن لهيبها زدناهم اشتعلاً.

﴿١٨﴾ ذلك العذاب الذي يلقونه هو جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا المنزلة على رسولنا، ويقولهم استبعادًا للبعث: إذا متنا وصرنا عظامًا بالية، وأجزاء مُفْتَتة أُنبت بعد ذلك خلقًا جديدًا؟

ولما ذكروا ما يتشبهون به لإنكار البعث رد الله عليهم بقوله:

﴿١٩﴾ أولم يعلم هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض على عظمها قادر على أن يخلق مثلهم، فمن قدر على خلق ما هو عظيم قادر على خلق ما دونه، وقد جعل الله لهم في الدنيا وقتًا محددًا تنتهي فيه حياتهم، وجعل لهم أجلًا لبعثهم لا شك فيه، ومع ظهور أدلة البعث أبي المشركون إلا جحودًا بالبعث مع وضوح أدلته.

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رحمة ربي التي لا تنفد، ومن طبع الإنسان أنه يخيل إلا إن كان مؤمنًا، فهو ينفق رجاء ثواب الله.

ولما لقي النبي ﷺ من المشركين ما لقي من التكذيب جاءت تسليته بقصة موسى مع فرعون وقومه، فقال:

﴿٢١﴾ ولقد أعطينا موسى تسع دلائل واضحة تشهد له، وهي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والظوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فأسأل - أيها الرسول - اليهود حين جاء موسى أسلافهم بتلك المعجزات، فقال له فرعون: إني لأظنك - يا موسى - رجلًا مسحورًا؛ لما تأتي به من الغرائب.

﴿٢٢﴾ قال موسى ردًا عليه: لقد أيقنت - يا فرعون - ما أنزل هذه المعجزات إلا الله رب السماوات والأرض، أنزلن دلائل على قدرته، وعلى صدق رسوله، ولكنك جحدت، وإني لأعلم أنك - يا فرعون هالك خاسر.

﴿٢٣﴾ فأراد فرعون أن يعاقب موسى ﷺ وقومه بإخراجهم من مصر، فأهلكناه ومن كان معه من جنوده جميعًا بالغرق.

﴿٢٤﴾ وقلنا من بعد إهلاك فرعون وجنوده لبني إسرائيل: اسكنوا أرض الشام، فإذا كان يوم القيامة أتينا بكم جميعًا إلى المحشر للحساب.

﴿٢٥﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الله تعالى هو المنفرد بالهداية والإضلال، فمن يهده فهو المهتدي على الحقيقة، ومن يضلله ويخذله فلا هادي له.
- ٢ - مأوى الكفار ومستقرهم ومقامهم جهنم، كلما سكنت نارها زادها الله نارًا تلتهب.
- ٣ - وجوب الاعتصام بالله عند تهديد الطغاة والمُستبدين.
- ٤ - الطغاة والمُستبدون يلجؤون إلى استخدام السلطة والقوة عندما يواجهون أهل الحق؛ لأنهم لا يستطيعون مواجهتهم بالحجة والبيان.

﴿١٥﴾ وبالحق أنزلنا هذا القرآن على محمد ﷺ، وبالحق نزل عليه دون تبديل ولا تحريف، وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشراً أهل التقوى بالجنة، ومخوفاً أهل الكفر والعصيان من النار. ﴿١٦﴾ وأنزلناه قرآناً فصلناه، وبيتناه رجاء أن تقرأه على الناس على مهل وترسل في التلاوة؛ لأنه أدعى للفهم والتدبير، ونزلناه منجماً مفرداً حسب الحوادث والأحوال.

﴿١٧﴾ قل - أيها الرسول -: آمنوا به، فلا يزيد إيمانكم شيئاً، أو لا تؤمنوا به، فلا ينقصه كفركم شيئاً، إن الذين قرؤوا الكتب السماوية السابقة، وعرفوا الوحي والنبوة إذا يقرأ عليهم القرآن يخزون على وجوههم ساجدين لله شكراً.

﴿١٨﴾ ويقولون في سجودهم: تنزه ربنا عن خلف الوعد، فما وعد به من بعثة محمد ﷺ كائن، إن وعد ربنا بذلك وبغيره لواقع لا محالة.

﴿١٩﴾ ويقعون على وجوههم ساجدين لله يكون من خشيته، ويزيدهم سماع القرآن وتدبر معانيه خضوعاً لله وخشية له.

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لمن أنكر عليك الدعاء بقولك: (يا الله، يا رحمن): الله والرحمن اسمان له سبحانه فادعوه بأي منهما أو بغيرهما من أسمائه، فله - سبحانه - الأسماء الحسنى، وهذان منها فادعوه بهما أو بغيرهما من أسمائه الحسنى، ولا تجهر بالقراءة في صلاتك فيسمعك المشركون، ولا تسر بها فلا يسمعها المؤمنون، واطلب طريقاً وسطاً بين الأمرين.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةَ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾

قُلْ ءَأَمِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُوْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُسْمَعُ

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ

وَعَدَ رَبْنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ

خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرِ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ

بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاكٌ مِنَ الدَّلِيلِ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿٢١﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾

فَيَمَّا يَسُدِّرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِّيَّةٌ

فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿١﴾ مقصد السورة:

التركيز على منهج التعامل مع الفتن وتمييز القيم الصحيحة فيها، وضرب النماذج لذلك.

﴿١﴾ الثناء بصفات الكمال والجلال، وبالنعم الظاهرة والباطنة لله وحده الذي أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ القرآن، ولم يجعل لهذا القرآن اعوجاجاً وميلاً عن الحق. ﴿٢﴾ بل جعله مستقيماً لا تناقض فيه ولا اختلاف؛ ليخوف الكافرين من عذاب قوي من عند الله ينتظرهم، ويخبر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بما يسرهم من أن لهم ثواباً حسناً لا يداينهم ثواب. ﴿٣﴾ خالدين في هذا الثواب أبداً، فلا ينقطع عنهم. ﴿٤﴾ ويخوف اليهود والنصارى وبعض المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً.

﴿١﴾ فوائده من الآيات: ١ - أنزل الله القرآن متضمناً الحق والعدل والشريعة والحكم الأمثل. ٢ - جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى. ٣ - الدعاء أو القراءة في الصلاة يكون بطريقة متوسطة بين الجهر والإسرار. ٤ - القرآن الكريم قد اشتمل على كل عمل صالح موصل لما تستبشر به النفوس وتفرح به الأرواح.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَسْبُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ خَيْرٌ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَمْ يَشَأْ أَمْدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

﴿٥﴾ ليس لهؤلاء المفترين من علم على ما يدعونه من نسبة الولد إلى الله، وليس لأبائهم الذين قلدوهم في ذلك علم، عظمت في القبح تلك الكلمة التي تخرج من أفواههم دون تعقل، ما يقولون إلا قولاً كذباً، لا أساس له ولا مستند.

﴿٦﴾ فلعلك - أيها الرسول - مهلك نفسك حزناً وأسفاً إن لم يصدقوا بهذا القرآن، فلا تفعل، فليس عليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ.

﴿٧﴾ إنا جعلنا ما فوق وجه الأرض من المخلوقات جمالاً لها لنختبرهم أيهم أحسن عملاً بما يرضي الله، وأيهم أسوأ عملاً، لنجزى كلًا بما يستحقه.

﴿٨﴾ وإنا لمصبرون ما على وجه الأرض من المخلوقات تراباً خالياً من النبات، وذلك بعد انقضاء حياة ما عليها من المخلوقات، فليعتبروا بذلك.

﴿٩﴾ لا تظنن - أيها الرسول - أن قصة أصحاب الكهف، ولو جهم الذي كُتبت فيه أسماؤهم من آياتنا العجيبة، بل غيرها أعجب مثل خلق السماوات والأرض.

﴿١٠﴾ اذكر - أيها الرسول - حين التجأ الشبان المؤمنون فراراً بدينهم، فقالوا في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من عندك رحمة بأن تغفر ذنوبنا، وتنجيننا من أعدائنا، واجعل لنا من أمر الهجرة عن الكفار، والإيمان اهتداءً إلى طريق الحق وسداداً.

﴿١١﴾ ثم بعد سيرهم ولجوتهم إلى الكهف ضربنا على آذانهم حجاباً عن سماع الأصوات، وألقينا عليهم النوم أعواماً كثيرة.

﴿١٢﴾ ثم بعد نومهم الطويل أيقظناهم لنعلم علم ظهور؛ أي الطائفتين المتنازعتين في أمد مكثهم في الكهف أعلم بمقدار ذلك الأمد.

﴿١٣﴾ نحن نطلعك - أيها الرسول - على خبرهم بالصدق الذي لا مزية معه، إنهم شبان صدقوا ربهم، وعملوا بطاعته، وزدناهم هداية وتثبيتاً على الحق.

﴿١٤﴾ وقويتنا قلوبهم بالإيمان والثبات عليه، والصبر على هجر الأوطان فيه، حين قاموا معلنين بين يدي الملك الكافر إيمانهم بالله وحده، فقالوا له: ربنا الذي آمننا به وعبدناه هو رب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا إن عبدنا غيره قولاً جائزاً بعيداً عن الحق.

﴿١٥﴾ ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين: هؤلاء قوما اتخذوا من دون الله معبودات يعبدونها، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه.

﴿١٦﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الداعي إلى الله عليه التبليغ والسعي بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فيها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف. ٢ - في العلم بمقدار لبث أصحاب الكهف، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته. ٣ - في الآيات دليل صريح على الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرباب والأصدقاء والأوطان والأموال: خوف الفتنة. ٤ - ضرورة الاهتمام بتربية الشباب؛ لأنهم أركى قلوباً، وأنقى أفئدة، وأكثر حماسة، وعليهم تقوم نهضة الأمم. ٥ - جمع الشباب بين الإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية والتزام ذلك، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله لهم.

﴿١٦﴾ وحين تنحيتهم عن قومكم، وتركتم ما يعبدون من دون الله، فلم تعبدوا إلا الله وحده، فالجؤوا إلى الكهف فراراً بدينكم يبسط لكم ربكم سبحانه من رحمته ما يحفظكم به من أعدائكم ويحكمكم، وييسر لكم من أمركم من أسباب العيش ما تنتفعون به مما يعوضكم عن العيش بين ظهري قومكم.

﴿١٧﴾ فامتثلوا ما أمروا به، وألقى الله النوم عليهم، وحفظهم من عدوهم، وترى - أيها المشاهد لهم - الشمس إذا طلعت من مشرقها تميل عن كهفهم جهة يمين الداخل فيه، وإذا غابت عند غروبها تعدل عنه جهة شماله فلا تصيبه، فهم في ظل دائم لا يؤذيه حر الشمس، وهم في مُتَسَعٍ من الكهف ينالهم من الهواء ما يحتاجون إليه، ذلك الحاصل لهم من إيوائهم إلى الكهف، وإلقاء النوم عليهم، وانحراف الشمس عنهم، واتساع مكانهم وإنجائهم من قومهم من عجائب صنع الله الدالة على قدرته، من يوفقه الله لطريق الهداية فهو المهتدي حقاً، ومن يخذله عنها ويضله فلن تجد له ناصرًا يوفقه للهداية، ويرشده إليها؛ لأن الهداية بيد الله، وليست بيده هو.

﴿١٨﴾ وتظنهم - أيها الناظر إليهم - مستيقظين لانفتاح أعينهم، والواقع أنهم نيام، ونقلهم في نومهم تارة يمينًا، وتارة شمالاً حتى لا تاكل الأرض أجسامهم، وكلبهم المرافق لهم ما ذراعيه بمدخل الكهف، لو اطلعت عليهم وشاهدتهم لأدبرت عنهم هاربًا خوفًا منهم، ولا متلات نفسك رعبًا منهم.

﴿١٩﴾ وكما فعلنا بهم مما ذكرنا من عجائب قدرتنا أيقظناهم بعد مدة طويلة ليسأل بعضهم بعضًا عن المدة التي مكثوها نائمين، فأجاب بعضهم: مكثنا نائمين يوماً أو بعض يوم، وأجاب بعض منهم ممن لم تظهر له مدة مكثهم نائمين: ربكم أعلم بمدة مكثكم نائمين، ففوضوا إليه علم ذلك وانشغلوا بما يعينكم، فأرسلوا أحداكم بنقودكم الفضية هذه إلى مدينتنا المعهودة، فلينظر أي أهلها أطيب طعاماً وأطيب مكسباً، وليتأن في دخوله وخروجه ومعاملته، وليكن ليقاً، ولا يدع أحداً يعلم بمكانكم؛ لما يترتب على ذلك من ضرر عظيم.

﴿٢٠﴾ إن قومكم إن يطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرحم بالحجارة، أو يرجعوكم إلى ملتهم المنحرفة التي كنتم عليها قبل أن يمن الله عليكم بالهداية إلى دين الحق، وإن رجعتم إليها فلن تفوزوا أبداً، لا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة، بل ستخسرون فيهما الخسران العظيم بسبب ترككم دين الحق الذي هداكم الله إليه، ورجوعكم إلى تلك الملة المنحرفة.

﴿٢١﴾ فوازل من الآيات:

- ١ - من حكمة الله وقدرته أن قلبهم على جنوبهم يميناً وشمالاً بقدر ما لا تفسد الأرض أجسامهم، وهذا تعليم من الله لعباده.
- ٢ - جواز اتخاذ الكلاب للحاجة والصيد والحراسة.
- ٣ - انتفاع الإنسان بصحبة الأخيار ومخالطة الصالحين حتى لو كان أقل منهم منزلة، فقد حفظ ذكر الكلب لأنه صاحب أهل الفضل.
- ٤ - دلت الآيات على مشروعية الوكالة، وعلى حسن السياسة والتلطف في التعامل مع الناس.

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ يَنْهَمُّ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْتُوا عَلَيْهِمُ بَنِينَ ارْتَبَهُمْ أَغْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ نَلْجَأُ بِرَبِّنَا عَلَىٰ الْمَوْتِ وَيُرَوِّدُونَنَا وَمَا بَدَأْتُمْ بِهِمْ إِلَّا أَنفُسَهُمْ لِيُؤْخَرُوا بِهَا مِنَ النَّارِ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ بَعْضَهُمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرًّا ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَاءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُمْ غَدًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذْ أَنْسَيْتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٦﴾ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٧﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لِغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٨﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٩﴾

﴿٢١﴾ وكما فعلنا بهم الأفعال العجيبة الدالة على قدرتنا من إنامتهم سنين كثيرة، وإيقاظهم بعدها، أطلعنا عليهم أهل مدينتهم ليعلم أهل مدينتهم أن وعد الله بنصر المؤمنين وبالبعث حق، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما انكشف أمر أصحاب الكهف وماتوا اختلف المُطَّلِعُونَ عليهم: ماذا يفعلون بشأنهم؟ قال فريق منهم: ابنوا على باب كهفهم بنياناً يحجبهم ويحميهم، ربهم أعلم بحالهم، فحالهم يقتضي أن لهم خصوصية عنده. وقال أصحاب النفوذ ممن ليس لهم علم ولا دعوة صحيحة: لنتخذن على مكانهم هذا مسجداً للعبادة تكريماً لهم وتذكيراً بمكانهم.

﴿٢٢﴾ سيقول بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، وكلتا الطائفتين إنما قالت ما قالته تبعاً لظنهما من غير دليل، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، قل - أيها الرسول -: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلا قليل ممن علمهم الله عددهم، فلا تجادل في عددهم ولا في غيره من أحوالهم أهل الكتاب ولا غيرهم إلا جдалاً ظاهراً لا عمق فيه، بأن تقتصر على من نزل عليك وحى بشأنهم، ولا تسأل أحداً منهم عن تفاصيل شأنهم، فإنهم لا يعلمون ذلك.

﴿٢٣﴾ ولا تقولن - أيها النبي - لشيء تريد فعله غداً: إني فاعل هذا الشيء غداً؛ لأنك لا تدري هل تفعله، أو يحال بينك وبينه؟ وهو توجيه لكل مسلم.

﴿٢٤﴾ إلا أن تعلق فعله على مشيئة الله بأن تقول: سأفعله - إن شاء الله - غداً، واذكر ربك بقولك: إن شاء الله - إن نسيت أن تقولها -، وقل: أرجو أن يرشدني ربي لأقرب من هذا الأمر هداية وتوفيقاً.

﴿٢٥﴾ ومكث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين. قل - أيها الرسول -: الله أعلم بما مكثوا في كهفهم، وقد أخبرنا بمدة مكثهم فيه، فلا قول لأحد بعد قوله سبحانه، له سبحانه وحده ما غاب في السماوات وما غاب في الأرض خلقاً وعلماً، ما أبصره سبحانه! فهو يبصر كل شيء، وما أسمعه! فهو يسمع كل شيء، ليس لهم من دونه ولي يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه أحداً، فهو المنفرد وحده بالحكم.

ولما بين ﴿٢٦﴾ أن الحكم له وحده أمر رسوله بتلاوة ما أوحى إليه من حكم ربه واتباعه، فقال: ﴿٢٧﴾ وقرأ - أيها الرسول - واعمل بما أوحى الله به إليك من القرآن، فلا مبدل لكلماته؛ لأنها صدق كلها وعدل كلها، ولن تجد من دونه سبحانه ملجأً تلجأ إليه، ولا معاذاً تعوذ به سواه.

﴿٢٨﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - اتخاذ المساجد على القبور، والصلاة فيها، والبناء عليها؛ غير جائز في شرعنا.
- ٢ - في القصة إقامة الحججة على قدرة الله على الحشر وبعث الأجساد من القبور والحساب.
- ٣ - دلت الآيات على أن المرء والجدال المحمود المتصف بالتي هي أحسن.
- ٤ - السنَّة والأدب الشرعيان يقتضيان تعليق الأمور المستقبلية بمشيئة الله تعالى.

١٨) لازم وقرب الفقراء من أصحابك الذين يدعون ربهم دعاء عبادة ودعاء مسألة أول النهار وآخره، مخلصين له، لا تتجاوز عينك عنهم، تريد مجالسة أهل الغنى والشرف، ولا تطع من صيرنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بختنا عليه، فأمرك بتنحية الفقراء عن مجلسك، وقدم اتباع ما تهواه نفسه على طاعة ربه، وكانت أعماله وأفعاله سفهاً وتفريطاً وضياعاً.

١٩) وقل - أيها الرسول -: لهؤلاء اللاهين عن ذكر الله لغفلة قلوبهم: ما جئتمكم به هو الحق، وهو من عند الله لا من عندي، ولست مجيب دعوتكم إياي أن أطرده المؤمنين، فمن شاء منكم الإيمان بهذا الحق فليؤمن به، وسيسر بجزائه، ومن شاء منكم الكفر به فليكفر، وسيستاء بالعقاب الذي ينتظره، إنا أعدنا للظالمين أنفسهم باختيار الكفر ناراً عظيمة أحاط بهم سورها، فلا يستطيعون فراراً منها، وإن يطلبوا غوثاً بماء من شدة ما يلاقون من العطش يغيثوا بماء كالزيت العكبر شديد الحرارة، يشوي وجوههم من شدة حره، ساء شراباً هذا الشراب الذي يُغاثون به، فهو لا يغني من عطش بل يزيده، ولا يطفى اللهب الذي يُلْفَح جلودهم، وساءت النار منزلاً ينزلونه، ومقاماً يقيمون فيه.

ولما ذكر الله ما أعد للظالمين من عذاب ذكر ما أعد للمؤمنين من ثواب كريم، فقال:

وَأَصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ٢٨) وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا بِهَمِّ سُرَادِقِهَا وَإِن يَسْتَعِينُوا يَأْتُوا بِآيَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩) إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ٣١) وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ٣٢) كُنَّا الْبُنْيَانِ أَنْتَ أَكْلَاهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَاهُمَا نَهْرًا ٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْرَمُكَ مَا لَأَوْعَزْتُمْ أَنَّ أَكْرَمُكَ مَا لَأَوْعَزْتُمْ نَفَرًا ٣٤)

٢٨) إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات قد أحسنوا عملهم فلمهم ثواب عظيم، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

٢٩) أولئك الموصوفون بالإيمان وفعل الأعمال الصالحات لهم جنات إقامة يقيمون فيها أبداً، تجري من تحت منازلهم أنهار الجنة العذبة، يزنون فيها بأسورة من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الحرير وغلظه، يتكئون على الأسرة المزيّنة بالسائر الجميلة، حسن الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً ومقاماً يقيمون فيه.

ولما بين سبحانه جزاء الظالمين وجزاء المؤمنين ضرب مثلاً لهما، فقال:

٣٠) واضرب - أيها الرسول - مثلاً لرجلين: كافر ومؤمن، جعلنا للكافر منهما حديقتين، وأحطنا الحديقتين بنخل، وأثبتنا في الفارغ من مساحتهما زروعاً.

٣١) فأثمرت كل حديقة ثمارها من تمر وعنب وزرع، ولم تنقص منه شيئاً، بل أعطته وافيّاً كاملاً، وأجرنا بينهما نهراً لسقيهما بيسر.

٣٢) وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مُعْتَرَاً: أنا أكثر منك أموالاً، وأعز منك جانباً، وأقوى عشيرة.

٣٣) فإلا من الآيات: ١ - فضيلة صحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم وإن كانوا فقراء؛ فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يُحصى. ٢ - الإسلام دين المساواة، فلا فرق في نظامه بين شريف ووضيع، وغني وفقير، ورئيس ومرؤوس. ٣ - قاعدتا الثواب وأساس النجاة: الإيمان مع العمل الصالح؛ لأن الله رتب عليهما الثواب في الدنيا والآخرة.

﴿٣٥﴾ ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالْعُجْب، قال الكافر: ما أظن أن تفني هذه الحديقة التي تشاهدها؛ لما اتخذت لها من أسباب البقاء.

﴿٣٦﴾ وما أظن أن القيامة قائمة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بعثت وأرجعت إلى ربي لأجدن بعد البعث ما أرجع إليه مما هو أفضل من حديقتي هذه، فكوني غنيًا في الدنيا يقتضي أن أكون غنيًا بعد البعث.

﴿٣٧﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يراجعه الكلام: أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من ميني، ثم صيرك إنسانًا ذكرًا، وعدل أعضائك وجعلك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك.

﴿٣٨﴾ لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحدًا في العبادة.

﴿٣٩﴾ لبتك حين دخلت حديقتك قلت: ما شاء الله، لا قوة لأحد إلا بالله، فهو الذي يفعل ما يشاء وهو القوي، إن ترني أفقر منك وأقل أولادًا.

﴿٤٠﴾ فأنا أتوقع أن يعطيني الله خيرًا من حديقتك، وأن يبعث على حديقتك عذابًا من السماء، فتصبح حديقتك أرضًا لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام لملوستها.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ

أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي

لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا

﴿٣٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ

دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا

أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ

جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِصَ صَعِيدًا

زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصِصَ مَاءً وَهَاجِرًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَقْلُبْ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ

فِتْنَةٌ يَصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ

لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقَابًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿٤١﴾ أو يذهب ماؤها غائرًا في الأرض فلا تستطيع الوصول إليه بوسيلة، وإذا غار ماؤها فلا بقاء لها.

﴿٤٢﴾ وتَحَقَّق ما توقعه المؤمن، فأحاط الهلاك بشمار حديقة الكافر، فأصبح الكافر يقلب كفيه من شدة الحسرة والندم على ما بذل في عمارتها وإصلاحها من أموال، والحديقة ساقطة على دعائمها التي تُمَدَّد عليها أغصان العنب، ويقول: يا ليتني آمنت بربي وحده، ولم أشرك معه أحدًا في العبادة.

﴿٤٣﴾ ولم تكن لهذا الكافر جماعة يمنعونه مما حلَّ به من عقاب، وهو الذي كان يفتخر بجماعته، وما كان هو ممتنعًا من إهلاك الله لحديقته.

﴿٤٤﴾ في ذلك المقام النصرة لله وحده، هو سبحانه خيرٌ ثوابًا لأولياته من المؤمنين، فهو يضاعف لهم الثواب، وخيرٌ عقابًا لهم.

﴿٤٥﴾ واضرب - أيها الرسول - للمُعْتَرِّين بالدنيا مثلًا، فمثلها في زوالها وسرعة انقضائها مثل ماء مطر أنزلناه من السماء، فنبت بهذا الماء نبات الأرض وأُتِيع، فأصبح هذا النبات متكسرًا متفتتًا، تحمل الرياح أجزاءه إلى نواح أخرى، ف تعود الأرض كما كانت، وكان الله على كل شيء مقتدرًا، ويفني ما شاء.

﴿٤٦﴾ فَاذْكُرْ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - على المؤمن ألا يستكين أمام عزة الغني الكافر، وعليه نصحه وإرشاده إلى الإيمان بالله، والإقرار بوحديته، وشكر نعمه وأفضاله عليه. ٢ - ينبغي لكل من أعجبه شيء من ماله أو ولده أن يضيف النعمة إلى مولئها ومُسئديها بأن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. ٣ - إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل له العقوبة في الدنيا. ٤ - جواز الدعاء بتلف مال من كان سبب طغيانه وكفره وخسرانه. ٥ - ولاية الله وعدمها وإنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم. ٦ - المال والولد لا ينفعان إن لم يعينا على طاعة الله. ٧ - سرعة زوال الدنيا وفنائها، والله وحده هو الباقي المقتدر على كل شيء من الإنشاء والإفناء والإحياء.

﴿٤٦﴾ المال والأولاد مما يُتَزَيَّن به في الحياة الدنيا، ولا نفع للمال في الآخرة إلا إن أنفق فيما يرضي الله، والأعمال والأقوال المرضية عند الله خير ثواباً من كل ما في الدنيا من زينة، وهي خير ما يؤمله الإنسان؛ لأن زينة الدنيا فانية وثواب الأعمال والأقوال المرضية عند الله باق.

﴿٤٧﴾ واذكر يوم نزيل الجبال من مواطنها، وترى الأرض ظاهرة لزوال ما عليها من جبال وشجر وبناء، وجمعنا جميع المخلوقات، فلم نترك منهم أحداً إلا بعثناه.

﴿٤٨﴾ وعرض الناس على ربك صفوفًا فيحاسبهم، ويقال لهم: لقد جئتمونا فرادى حفاة عراة غرلاً كما خلقناكم أول مرة، بل زعمتم أنكم لن تبعثوا، وأنا لن نجعل لكم زماناً ومكاناً نجازيكم فيه على أعمالكم.

﴿٤٩﴾ ووضِع كتاب الأعمال، فَمِنْ أَحَدِ كِتَابِهِ بيمينه، ومن أَحَدِ إِيَّاهِ بِشماله، وترى - أيها الإنسان - الكافرين خائفين مما فيه؛ لأنهم يعلمون ما قدموا فيه من الكفر والمعاصي، ويقولون: يا هلاكنا ومصيبتنا! ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا إلا حفظها وعدّها، ووجدوا ما عملوا في حياتهم الدنيا من المعاصي مكتوباً مثبتاً، ولا يظلم ربك - أيها الرسول - أحداً، فلا يعاقب أحداً من غير ذنب، ولا ينقص المطيع من أجر طاعته شيئاً.

﴿٤٦﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِرَ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قَبْلَ زَعْمْتُمْ أَلَّنُ جَعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعْنَا الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿٥٠﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم له امتثالاً لأمر ربهم إلا إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة، فأبى واستكبر عن السجود، فخرج عن طاعة ربه، أفنتخذونه - أيها الناس - هو وأولاده أولياء توالونهم من دوني وهم أعداء لكم، فكيف تتخذون أعداءكم أولياء لكم؟ بشس وقبح صنيع الظالمين الذين جعلوا الشيطان ولياً لهم بدلاً من موالاته الله تعالى.

﴿٥١﴾ هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني هم عبيد أمثالكم، ما أشهدتهم خلق السموات ولا خلق الأرض حين خلقتهما، بل لم يكونوا موجودين، وما أشهدت بعضهم خلق بعض، فأنا المنفرد بالخلق والتدبير، وما كنت متخذ المضلين من شياطين الإنس والجن أعواناً، فأنا غني عن الأعوان.

﴿٥٢﴾ واذكر لهم - أيها الرسول - يوم القيامة إذ يقول الله للذين أشركوا به في الدنيا: ادعوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء لي لعلمهم بنصرونكم، فدعوه فلم يستجيبوا لدعائهم ولم ينصروهم، وجعلنا بين العابدين والمعبدون مهلكاً يشتركون فيه، وهو نار جهنم.

﴿٥٣﴾ وعين المشركون النار، فأيقنوا تمام اليقين أنهم واقعون فيها، ولم يجدوا عنها مكاناً ينصرفون إليه.

﴿٥٤﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْأَيَّاتِ:

- ١ - على العبد الإكثار من الباقيات الصالحات، وهي كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة.
- ٢ - على العبد تذكُر أهوال القيامة، والعمل لهذا اليوم حتى ينجو من أهواله، وينعم بجنة الله ورضوانه.
- ٣ - كَرَّمَ اللهُ تَعَالَى أَبَانَ آدَمَ ﷺ وَالْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ بِأَجْمَعِهِ بِأَمْرِهِ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَهُ فِي بَدءِ الْخَلْقِ سَجُودَ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.
- ٤ - في الآيات الحث على اتخاذ الشيطان عدواً.

﴿٤٦﴾ ولقد بينا ونوعنا في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ الكثير من أنواع الأمثال ليتذكروا ويتعظوا، لكن الإنسان - وخاصة الكافر - أكثر شيء يظهر منه المجادلة بغير الحق.

﴿٤٧﴾ وما حال بين الكفار المعاندين وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ من ربه، وما حال بينهم وبين طلب المغفرة من الله لذنوبهم نقص البيان، فقد ضُرب لهم الأمثلة في القرآن، وجاءتهم الحجج الواضحة، وإنما منعهم طلبهم - بتعنت - إيقاع عذاب الأمم السابقة عليهم، ومعابنة العذاب الذي وعدوا به.

﴿٤٨﴾ وما نبعث من نبعث من رسلنا إلا مبشرين أهل الإيمان والطاعة، ومخوفين أهل الكفر والعصيان، وليس لهم تسلط على القلوب بحملها على الهداية، ويخاصم الذين كفروا بالله الرسل مع وضوح الدليل لهم؛ ليزيلوا باطلهم الحق المنزل على محمد ﷺ، وصيروا القرآن وما خُوفوا به أضحوكة وسخرية.

﴿٤٩﴾ ولا أحد أشد ظلماً ممن دُكر بآيات ربه، فلم يعبأ بما فيها من وعيد بالعذاب، وأعرض عن الاتعاظ بها، ونسي ما قدم في حياته الدنيا من الكفر والمعاصي ولم يتب منها، إنا جعلنا على قلوب من هذا وصفهم أغطية تمنعها من فهم القرآن، وفي آذانهم صمماً عنه، فلا يسمعون سماع قبول، وإن تدعهم إلى الإيمان فلن يستجيبوا لما تدعوهم إليه أبداً ما دامت

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَفِشْقٍ جَدلاً ﴿٤٦﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٤٧﴾ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا الْمُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٤٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاہُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٤٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَنَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ لَا آتِبْرَحَ حَتَّىٰ أَتْبِغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَا سَبِيلًا فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٥٣﴾

على قلوبهم أغطية، وفي آذانهم صم.

﴿٥٤﴾ وثلاثا يتسوّف النبي ﷺ إلى معاجلة المكذبين به بالعذاب، قال الله له: وربك - أيها الرسول - الغفور لذنوب عباده التائبين، ذو الرحمة التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أنه يمهّل العصاة لعلهم يتوبون إليه، فلو أنه تعالى يعاقب هؤلاء المعرضين لعجل لهم العذاب في الحياة الدنيا، لكنه حلِيم رحيم، أخر عنهم العذاب ليتوبوا، بل لهم مكان وزمان محددان يجازون فيه على كفرهم وإعراضهم إن لم يتوبوا، لن يجدوا عن ذلك مندوحة.

﴿٥٥﴾ وتلك القرى الكافرة القريبة منكم مثل قرى قوم هود وصالح وشعيب أهلكتناهم حين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، وجعلنا لإهلاكهم وقتاً محدداً.

﴿٥٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال موسى ﷺ لخدامه يوشع بن نون: لا أزال أسير حتى أصل ملتقى البحرين، أو أسير زمناً حتى ألقى العبد الصالح، فأتعلم منه.

﴿٥٧﴾ فسارا، فلما وصلا ملتقى البحرين نسيا حوتهما الذي اتخذاه زاداً لهما، فأحيا الله الحوت، واتخذ الحوت طريقاً في البحر مثل السرداب، لا يلتصق الماء معه.

﴿٥٨﴾ فإزل من الآيات: ١ - عظمة القرآن وجلالته وعمومه؛ لأن فيه من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر. ٢ - من حكمة الله ورحمته أن تقيضه المبطلين المجادلين الحق بالباطل من أعظم الأسباب إلى وضوح الحق، وتبين الباطل وفساده. ٣ - في الآيات من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك. ٤ - لا أحد أظلم ممن وُعط بآيات ربه فتهاون بها وأعرض عن قبولها، وترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها. ٥ - من سنّة الله في الأولين والآخرين أن لا يعاجلهم بالعقاب، بل يستدعيهم إلى التوبة، فإن تابوا غفر لهم ورحمهم، وإلا أنزل بهم بأسه. ٦ - فضيلة العلم والرحلة في طلبه، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم.

﴿٦٦﴾ فلما تعديا ذلك المكان، قال موسى ﷺ لخادمه: أتنا طعام الغدوة، لقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا شديدًا.

﴿٦٧﴾ قال الغلام: رأيت ما حصل حين التجأنا إلى الصخرة فإني نسيت أن أذكر لك أمر الحوت، وما أنساني أن أذكره لك إلا الشيطان، فقد حَيَّبَ الحوت، واتخذ له طريقًا في البحر يحمل على التعجب.

﴿٦٨﴾ قال موسى ﷺ لخادمه: ذلك ما كنا نريد، فهو علامة مكان العبد الصالح، فرجعا يتبعان آثار أقدامهما؛ لئلا يضيعا عن الطريق حتى انتهيا إلى الصخرة، ومنها إلى مدخل الحوت.

﴿٦٩﴾ فلما وصلا مكان فقد الحوت وجدا عنده عبدًا من عبادنا الصالحين (وهو الخضر ﷺ)، أعطيناه رحمة من عندنا، وعلمناه من عندنا علمًا لا يطلع عليه الناس، وهو ما تضمنته هذه القصة.

﴿٧٠﴾ قال له موسى في تواضع وتلطف: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله من العلم ما هو رشاد إلى الحق؟

﴿٧١﴾ قال الخضر: إنك لن تطيق الصبر على ما تراه من علمي؛ لأنه لا يوافق ما لديك من علم.

﴿٧٢﴾ وكيف تصبر على ما ترى من الأفعال التي لا تعلم وجه الصواب فيها؛ لأنك تحكم فيها بمبلغ علمك!؟

﴿٧٣﴾ قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أرى منك من أفعال، ملتزمًا بطاعتك، لا أعصي لك أمرًا أمرتني به.

﴿٧٤﴾ قال الخضر لموسى: إن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء مما تشاهدني أقوم به حتى أكون أنا البادئ بتبيين وجهه. فلما اتفقا على ذلك انطلقا إلى ساحل البحر حتى لقيا سفينة، فركبا فيها دون أجرة تكرمة للخضر، فخرق الخضر السفينة بقلع لوح من ألواحها، فقال له موسى: أخرقت السفينة التي حملنا أهلها فيها بغير أجرة رجاء أن تُغرق أهلها، لقد آتيت أمرًا مُحِيرًا يُتَعَجَّبُ منه.

﴿٧٥﴾ قال الخضر لموسى: ألم أقل: إنك لن تطيق معي صبرًا على ما ترى مني!؟

﴿٧٦﴾ قال موسى ﷺ للخضر: لا تؤاخذني بسبب تركي لعهدك نسيانًا، ولا تضيق علي وتشدد في صحبتك.

﴿٧٧﴾ فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان على الساحل، فأبصرا غلامًا لم يبلغ الحلم يلعب مع غلمان، فقتله الخضر، فقال له موسى: أقتلت نفسًا طاهرة لم تبلغ الحلم دونما ذنب؟ لقد آتيت أمرًا مُنْكَرًا!!

﴿٧٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ إِِنَّا عَدَوْنَا لِقَدَّ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَتَّبِعُ ﴿٦٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَيْنَا آثَارُهُمَا فَضَضَّا ﴿٦٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٧٠﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٥﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتُلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٩﴾

١ - جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر؛ لكفاية المؤمن، وطلب الراحة. ٢ - استحباب كون خادم الإنسان ذكيًا فطنًا كَيِّسًا ليتم له أمره الذي يريده. ٣ - أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله يُعان ما لا يُعان غيره. ٤ - التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب. ٥ - النسيان لا يقتضي المؤاخظة، ولا يدخل تحت التكليف، ولا يتعلق به حكم. ٦ - تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يَتَمَهَّر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة. ٧ - إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها. ٨ - العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير. ٩ - فضيلة الصبر فمن استعمل الصبر، ولما أدرك به كل أمر سعى فيه.

﴿٧٥﴾ قال الخضر لموسى ﷺ: إني كنت قلت لك: إنك - يا موسى - لن تستطيع الصبر على ما أقوم به من أمر.

﴿٧٦﴾ قال موسى ﷺ: سامحتي مرة ثانية، فإن سألت عن شيء بعد هذه المرة ففارقني، فقد وصلت إلى الغاية التي تُعذر فيها على ترك مصابحتي؛ لكوني خالفت أمرك ثلاث مرات.

﴿٧٧﴾ فسارا حتى إذا جاء أهل قرية طلبا من أهلها طعاماً، فامتنع أهل القرية من إطعامهما، وتادية حق الضيافة إليهما، فوجدا في القرية حائطاً مائلاً قارب أن يسقط وينهدم، فسوّاه الخضر حتى استقام، فقال موسى ﷺ للخضر: لو شئت اتخذت أجر على إصلاحه لاتخذته؛ لحاجتنا إليه بعد امتناعهم من ضيافتنا.

﴿٧٨﴾ قال الخضر لموسى: هذا الاعتراض على عدم أخذني أجراً على إقامة الحائط هو محل الفراق بيني وبينك، سأخبرك بتفسير ما لم تستطع أن تصبر عليه مما شاهدتني قمت به.

﴿٧٩﴾ أما السفينة التي أنكرت عليّ خرقها؛ فكانت لضعفاء يعملون عليها في البحر لا يستطيعون الدفع عنها، فأردت أن تصير معيبة بما أحدثته فيها؛ حتى لا يستولي عليها ملك كان أمامهم يأخذ كل سفينة صالحة كرهاً من أصحابها، ويترك كل سفينة معيبة.

﴿٨٠﴾ وأما الغلام الذي أنكرت عليّ قتله فكان أبواه مؤمنين، وكان هو في علم الله كافراً، فخفنا إن بلغ أن يحملهما على الكفر بالله

﴿٧٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا

﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنَا أَهْلُ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَبْوَابٍ يُبْصِفُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ

﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي

وَبَيْنِكَ سَأَلْتَنِيكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا

السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا

وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ

فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا

﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا

﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا

أَشَدَّهُمَا وَيُخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا عَلَّمَهُ

عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَسَأَلُونَكَ

عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

﴿٨٤﴾ وَذُرِّيَّةً مِنْ دُونِهَا لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مِنْ

أُمَّةٍ مَّا رَزَقْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ دُونَ ذَٰلِكَ وَلَهُمْ فِيهَا

أَنْزِلَاتٌ مِنْ سَمَاءٍ مَّوْجٍ مُّطَهَّرَةٍ تَجْرِي فِيهَا

الأنهار تجري سواها نخيل ذات أثمار وما يمشون

عليها ولا يبغون فيها أبداً ولا يسمعون فيها

سماً ولا جوارحاً ولا يسمعون فيها رجلاً ولا

يظنون فيها أنهم يملأونها ﴿٨٥﴾ وَتِلْكَ

أَمْثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَحْنُ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

﴿٨٦﴾ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ

﴿٨٧﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٨٨﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٨٩﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٠﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩١﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٢﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٣﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٤﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٦﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٩٧﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابٌ أَلِيمٌ

والطغيان من فرط محبتهما له، أو من فرط حاجتهما إليه.

﴿٨١﴾ فأردنا أن يعوضهما الله ولداً خيراً منه ديناً وصلاحاً وطهارة من الذنوب، وأقرب رحمة بوالديه منه.

﴿٨٢﴾ وأما الحائط الذي أصلحته وأنكرت عليّ إصلاحه فكان لصغيرين في المدينة التي جئناها قد مات أبوهما،

وكان تحت الحائط مال مدفون لهما، وكان أبو هذين الصغيرين صالحاً، فأراد ربك - يا موسى - أن يبلغا سن

الرشد ويكبرا، ويخرجا مالهما المدفون من تحته، إذ لو سقط الحائط الآن لانكشف مالهما وتعرض للضياع،

وكان هذا التدبير رحمة من ربك بهما، وما فعلته من اجتهادي، ذلك تفسير ما لم تستطع الصبر عليه.

ولما ذكر الله قصة الخضر ذكر قصة ذي القرنين؛ لما بينهما من ترابط، إذ إن كلاً منهما سعى لحماية الضعفاء، فقال:

﴿٨٣﴾ ويسألك - أيها الرسول - المشركون واليهود مُمتحنين عن خبر صاحب القرنين، قل: سأتلو عليكم من خبره

جزءاً تعتبرون به وتذكرون.

﴿٨٤﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

١ - وجوب التآني والتثبت وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يُعرف ما يراد منه وما المقصود.

٢ - تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة. ٣ - أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها،

وتُعلق بها الأحكام الدنيوية في الأموال والدماء وغيرها. ٤ - يُدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير، ويُراعى

أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما. ٥ - يجوز عمل الإنسان في مال غيره إذا كان على وجه المصلحة وإزالة

المفسدة، ولو بلا إذن، حتى لو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير. ٦ - خدمة الصالحين أو من يتعلق بهم

أفضل من غيرها. ٧ - أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال ويترك صحبته حتى يُعْتَبَهُ،

ويُعذر منه. ٨ - استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ بنسبة الخير إليه وعدم نسبة الشر إليه. ٩ - أن العبد

الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته.

﴿٨٤﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ مَطْلُوبُهُ طَرِيقًا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مَرَادِهِ .
﴿٨٥﴾ فَأَخَذَ بِمَا أُعْطِيَناه مِنَ الْوَسَائِلِ وَالطَّرِيقِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى مَطْلُوبِهِ فَاتَّجَهَ غَرْبًا .

﴿٨٦﴾ وَسَارَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى نَهَائِهِ الْأَرْضِ مِنْ جِهَةِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ رَأَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَارَةٍ ذَاتِ طِينٍ أَسْوَدٍ، وَوَجَدَ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ قَوْمًا كَفَرًا، قُلْنَا لَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّخْيِيرِ: يَا صَاحِبَ الْقُرَيْنِ، إِمَّا أَنْ تَعْذِبَ هَؤُلَاءِ بِالْقَتْلِ أَوْ بغيرِهِ، وَإِمَّا أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمْ .

﴿٨٧﴾ قَالَ صَاحِبُ الْقُرَيْنِ: أَمَا مِنْ أَشْرِكٍ بِاللَّهِ وَأَصْرَ عَلَى ذَلِكَ فَسَنَعَاقِبُهُ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا فَظِيمًا .

﴿٨٨﴾ وَأَمَا مِنْ آمَنٍ بِاللَّهِ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَلَهُ الْجَنَّةُ؟ جَزَاءً مِنْ رَبِّهِ عَلَى إِيْمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا مَا فِيهِ يَسْرٌ وَلِينٌ .

﴿٨٩﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا غَيْرَ طَرِيقِهِ الْأُولَى مُتَّجِهًا إِلَى جِهَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ .

﴿٩٠﴾ وَسَارَ حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَطَّلَعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَجَدَ الشَّمْسَ تَطَّلَعُ عَلَى أَقْوَامٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِ الشَّمْسِ مَا يَقيهِمْ مِنَ الْبُيُوتِ وَمِنْ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ .

﴿٩١﴾ كَذَلِكَ أَمَرَ صَاحِبَ الْقُرَيْنِ، وَقَدْ أَحَاطَ عَلِمْنَا بِمَا لَدَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ .

﴿٩٢﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ طَرِيقًا غَيْرَ الطَّرِيقَيْنِ الْأُولَيْنِ مُعْتَرِضًا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .

﴿٩٣﴾ وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ ثَغْرَةَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَوَجَدَ مِنْ قَبْلِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْهَمُونَ كَلَامَ غَيْرِهِمْ .

﴿٩٤﴾ قَالُوا: يَا ذَا الْقُرَيْنِ، إِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ (يَعْنُونَ أُمَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ) مَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ بِمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَغَيْرِهِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ مَا لَنَا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا؟

﴿٩٥﴾ قَالَ ذُو الْقُرَيْنِ: مَا رَزَقْنِي رَبِّي مِنَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ خَيْرَ لِي مِمَّا تَعْطُونَنِي مِنْ مَالٍ، فَأَعِينُونِي بِرِجَالٍ وَأَلَاتٍ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا .

﴿٩٦﴾ أَحْضَرُوا قِطْعَ الْحَدِيدِ، فَأَحْضَرُوهَا فَطَفَقَ بَيْنِي بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، حَتَّى إِذَا سَاوَاهُمَا بِنَائِهِ قَالَ لِلْعَمَلَةِ: أَشْعَلُوا النَّارَ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعِ، حَتَّى إِذَا أَحْمَرَتْ قِطْعَ الْحَدِيدِ قَالَ: أَحْضَرُوا نَحَاسًا أَصْبَهُ عَلَيْهِ .

﴿٩٧﴾ فَمَا اسْتَطَاعَ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ أَنْ يَعلُوا عَلَيْهِ لِارْتِفَاعِهِ، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَثْقُبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لِصَلَابَتِهِ .

﴿٩٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ:

١ - أَنْ ذَا الْقُرَيْنِ أَحَدَ الْمُلُوكِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَلَكَوا الدُّنْيَا وَسَيَّطَرُوا عَلَى أَهْلِهَا، فَقَدِ آتَاهُ اللَّهُ مَلِكًا وَاسِعًا، وَمَنْعَهُ حِكْمَةً وَهَيْبَةً وَعِلْمًا نَافِعًا .

٢ - مَنْ وَاجِبَ الْمَلِكِ أَوْ الْحَاكِمِ أَنْ يَقُومَ بِحِمَايَةِ الْخَلْقِ فِي حِفْظِ دِيَارِهِمْ، وَإِصْلَاحِ ثَغُورِهِمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

٣ - أَهْلَ الصَّلَاحِ وَالْإِخْلَاصِ يَحْرِصُونَ عَلَى إِنْجَازِ الْأَعْمَالِ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ .

﴿٩٨﴾ قال ذو القرنين: هذا السد رحمة من ربي يحول بين يأجوج ومأجوج وبين الإفساد في الأرض، ويمنعهم منه، فإذا جاء الوقت الذي حدده الله لخروجهم قبل قيام الساعة صَيَّرَهُ مستويًا بالأرض، وكان وعد الله بتسويته بالأرض ويخرج يأجوج ومأجوج ثابتًا، لا خُلف فيه.

﴿٩٩﴾ وتركنا يأجوج ومأجوج يوم يُهدم السد يضطربون ويختلطون لكثرتهم، ونفخ في الصور النفخة الثانية فأحييناهم جميعًا، وجمعنا ما تفرق من عظامهم ولحومهم، ثم جثنا بهم إلى المحشر.

﴿١٠٠﴾ وأظهرنا جهنم للكافرين إظهارًا لا لبس معه ليشاهدوها عيانًا.

﴿١٠١﴾ أظهرناها للكافرين الذين كانوا في الدنيا عميًا عن ذكر الله؛ لما على أعينهم من حجاب مانع من ذلك، وكانوا لا يستطيعون سماع آيات الله سماع قبول.

﴿١٠٢﴾ أظن الذين كفروا بالله أن يجعلوا عبادي من ملائكة ورسول وشياطين معبودين من دوني؟! إنا هيأنا جهنم للكافرين منزلًا لإقامتهم.

﴿١٠٣﴾ قل - أيها الرسول -: هل نخبركم - أيها الناس - بأعظم الناس خسارًا لعمله؟

﴿١٠٤﴾ الذين يرون يوم القيامة أن سعيهم الذي كانوا يسعون في الدنيا قد ضاع، وهم يظنون

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُكَّاءً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ مَجَعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا ﴿١٠١﴾ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي

أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ

فَغِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ

جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ

فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنفدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَكانَ يَرْجُوا

لِقَاءَ رَبِّهِ فَليَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

أنهم محسنون في سعيهم، وسيستفنون بأعمالهم، والواقع خلاف ذلك.

﴿١٠٥﴾ أولئك هم الذين كفروا بآيات ربهم الدالة على توحيده، وكفروا ببقائه، فبطلت أعمالهم لكفرهم بها، فلا يكون لهم يوم القيامة قدر عند الله.

﴿١٠٦﴾ ذلك الجزاء المعد لهم هو جهنم؛ لكفرهم بالله، واتخاذهم آياتي المنزلة ورسلي سخرية. ولما ذكر الله جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين، فقال:

﴿١٠٧﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات كانت لهم أعلى الجنان منزلًا لإكرامهم.

﴿١٠٨﴾ ماكنين فيها أبدًا، لا يطلبون عنها تحوّلًا؛ لأنها لا يدينها جزاء.

﴿١٠٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن كلمات ربي كثيرة، فلو كان البحر حبرًا لها تكتب به لانتهى ماء البحر قبل أن تنتهي كلماته سبحانه، ولو أتينا ببحور أخرى لنفدت أيضًا.

﴿١١٠﴾ قل - أيها الرسول -: إنما أنا بشر مثلكم، يُوحى إليّ أن معبودكم بحق معبود واحد لا شريك له، وهو الله، فمن كان يخاف لقاء ربه فليعمل عملًا موافقًا لشريعته، مخلصًا فيه لربه، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا.

﴿١١١﴾ قوله من الآيات:

١ - إثبات البعث والحشر بجمع الجن والإنس في ساحات القيامة بالنفخة الثانية في الصور. ٢ - إن أشد الناس خسارة يوم القيامة هم الذين ضل سعيهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا في عبادة من سوى الله. ٣ - لا يمكن حصر كلمات الله تعالى وعلمه وحكمته وأسراره، ولو كانت البحار والمحيطات وأمثالها دون تحديد حبرًا يكتب به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ١ ذَكَرْتُمْ رَبَّنَا عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ٢
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ
مِنِّي وَأَسْتَعَلُّ الرَّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ
أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ عَالِي عِصْمَتِي وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا ٦ يَنْزَكَرِيًّا
إِنَّا نَبِّشُرُكَ بِغُلَامٍ أَصْمٍ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا
٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ
مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١

﴿مقصد النبوة﴾:

بيان مظاهر رحمة الله بأوليائه؛ كهبة الولد الصالح، وتنزهه تعالى عن الولد والمعين، ردًا على المفترين.

﴿التفسير﴾:

﴿كَهَيْعَصَ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ هذا ذكر رحمة ربك بعبده زكريا ﷺ، نقضه عليك للاعتبار به.

﴿٢﴾ إذ دعا ربه سبحانه دعاء خفيًا ليكون أقرب إلى الإجابة.

﴿٣﴾ قال: يا رب، إني ضعفت عظامي، وكثر شيب رأسي، ولم أكن خائبًا في دعائي لك، بل كلما دعوتك أجبني.

﴿٤﴾ وإني خفت قرباتي أن لا يقوموا بعد موتي بحق الدين لانشغالهم بالدنيا، وكانت امرأتي عقيمًا لا تلد، فأعطني من عندك ولدًا معينًا.

﴿٥﴾ يرث النبوة عني، ويرثها من آل يعقوب ﷺ، وصيره - رب - مرضيًا في دينه وخلقه وعلمه.

﴿٦﴾ فاستجاب الله دعاءه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرك بما يسرك، فقد أجبنا دعاءك، وأعطيناك غلامًا اسمه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسم.

﴿٧﴾ قال زكريا متعجبًا من قدرة الله: كيف يولد لي ولد وامرأتي عاقرة لا تلد، وقد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام؟!

﴿٨﴾ قال الملك: الأمر كما قلت من أن امرأتك عاقرة، وأنت قد بلغت نهاية العمر من الكبر وضعف العظام، لكن ربك قال: خلقتك ليحيى من أم عاقرة، ومن أب بلغ نهاية العمر سهل، وقد خلقتك - يا زكريا - من قبل ذلك ولم تكن شيئًا يذكرك؛ لأنك كنت عدمًا.

﴿٩﴾ قال زكريا ﷺ: يا رب، اجعل لي علامة أطمئن بها تدل على حصول ما بشرتني به الملائكة، قال: علامتك على حصول ما بشرت به أن لا تستطيع كلام الناس ثلاث ليالٍ من غير علة، بل أنت صحيح معافى.

﴿١٠﴾ فخرج زكريا على قومه من مصلاه، فأشار إليهم من غير كلام: أن سبّحوا الله سبحانه أول النهار وآخره.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - الشيب دليل الضعف والكبر، ورسول الموت ورائده ونذيره. ٢ - الضعف والعجز من أحب وسائل التوسل إلى الله؛ لأنه يدل على التبرّي من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته. ٣ - يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه، وما يليق بالخضوع. ٤ - الحرص على مصلحة الدين وتقديمها على بقية المصالح. ٥ - يجوز الدعاء بطلب الولد، ويجوز التضرع إلى الله في هداية الولد، اقتداءً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والفضلاء. ٦ - تستحب الأسماء ذات المعاني الطيبة. ٧ - في الآيات دليل على قدرة الله الباهرة، فكما أن الله خلق الإنسان من العدم ولم يك شيئًا، فهو القادر على خلق يحيى وإيجاده. ٨ - جواز العمل بالإشارة المفهومة.

﴿١٢﴾ فولد له يحيى، فلما بلغ سنًا يخاطب فيها قلنا له: يا يحيى، خذ التوراة بجدًا واجتهاد، وأعطيناها الفهم والعلم والجد والعزم وهو في سنّ الصبا.

﴿١٣﴾ ورحمناه رحمة من عندنا، وطهرناه من الذنوب، وكان تقياً ياتمر بأوامر الله، ويجتنب نواهيه.

﴿١٤﴾ وكان براً بوالديه، لطيفاً بهما، محسناً إليهما، ولم يكن متكبراً عن طاعة ربه ولا طاعتهما، ولا عاصياً لربه أو لوالديه.

﴿١٥﴾ وسلام عليه من الله وأمان له منه يوم ولد، ويوم يموت ويخرج من هذه الحياة، ويوم يعث حياً يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثة هي أوحش ما يمر به الإنسان، فإذا أمن فيها فلا خوف عليه فيما عداها.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر مريم عليها السلام إذ تنحّت عن أهلها، وانفردت بمكان على جهة الشرق منهم.

﴿١٧﴾ فاتخذت لنفسها من دون قومها ساتراً يسترها حتى لا يروها حال عبادتها لربها، فبعثنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها في صورة إنسان سويّ الخلق، فظنّت أنه يريد بها بسوء.

﴿١٨﴾ فلما رآته في صورة إنسان سويّ الخلق يتجه إليها قالت: إني أستجير بالرحمن منك

يُحْيِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ

يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّم عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُعْثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ

مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي

أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي

غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسَّ سِنِي بِشَرٍّ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَهَذَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً

مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ
بِهِ مَكَانًا قَاصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ

قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّذْسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

أن ينالني منك سوء - يا هذا - إن كنت تقياً تخاف الله.

﴿١٢﴾ قال جبريل عليه السلام: أنا لست بشراً، إنما أنا رسول من ربك أرسلني إليك لأهب لك ولداً طيباً طاهراً.

﴿١٣﴾ قالت مريم متعجبة: كيف يكون لي ولد ولم يقربني زوج ولا غيره، ولست زانية حتى يكون لي ولد؟!

﴿١٤﴾ قال لها جبريل: الأمر كما ذكرت من أنك لم يمسسك زوج ولا غيره ولم تكوني زانية، لكن ربك سبحانه قال: خلقت ولد من غير أب سهل عليّ، وليكون الولد الموهوب لك علامة للناس على قدرة الله، ورحمة منا بهم لما ينالونه بسببه من الخير، وكان خلقت ولدك هذا قضاء من الله مقدراً، مكتوباً في اللوح المحفوظ.

﴿١٥﴾ فحملت به بعد نفخ الملك، فتنحّت به إلى مكان بعيد عن الناس.

﴿١٦﴾ فضربها المخاض، وألجأها إلى ساق نخلة، قالت مريم عليها السلام: يا ليتني مت قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً لا يذكّر حتى لا يُظن بي السوء.

﴿١٧﴾ فنادها جبريل من أسفل الوادي بقوله: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك جدول ماءٍ تشربين منه.

﴿١٨﴾ وأمسكي بجذع النخلة وهزيه تساقط عليك رطباً طرياً جني من ساعته.

﴿٢٥﴾ فوالله من الآيات:

١ - الصبر على القيام بالتكاليف الشرعية مطلوب. ٢ - عناية الله بأبيائه وأصفيائه. ٣ - العاق لوالديه جبار شقي. ٤ - علو منزلة بر الوالدين ومكانتها عند الله، فالله قرنه بشكره. ٥ - ثناء الله على المطيعين له.

﴿٢٦﴾ فكلني من الرطب، واشربي من الماء، وطبيبي نفساً بمولودك ولا تحزني، فإن رأيت من الناس أحداً فسألك عن خبر المولود فقولي له: إني أوجبت على نفسي لربي صمتاً عن الكلام، فلن أكلم اليوم أحداً من الناس.

﴿٢٧﴾ فجاءت مريم بابنها إلى قومها تحمله، قال لها قومها مستنكرين: يا مريم، لقد جئت أمراً عظيماً مفترى، حيث جئت بولد من غير أب.

﴿٢٨﴾ يا شبيهة هارون في العبادة (وهو رجل صالح) ما كان أبوك زانياً، ولا كانت أمك زانية، فأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح، فكيف تأتين بولد من غير أب؟!

﴿٢٩﴾ فأشارت إلى ابنها عيسى ﷺ وهو في المهد، فقال لها قومها متعجبين: كيف نكلم صبياً وهو في المهد؟!

﴿٣٠﴾ قال عيسى ﷺ: إني عبد الله، أعطاني الإنجيل، وجعلني نبياً من أنبيائه.

﴿٣١﴾ وجعلني كثير النفع للعباد أينما كنت، وأمرني بأداء الصلاة وإعطاء الزكاة طيلة حياتي.

﴿٣٢﴾ وجعلني برّاً بأمي، ولم يجعلني متكبراً عن طاعة ربي، ولا عاصياً له.

﴿٣٣﴾ والأمان من الشيطان وأعدائه عليّ يوم ميلادي ويوم موتي ويوم بعثي حياً يوم القيامة، فلم يتخطني الشيطان في هذه المواقف الثلاثة الموحشة.

﴿٢٦﴾ فكلني وأشرفي وقرري عيتاً فإماترين من البشر أحداً فقولني
إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً ﴿٢٧﴾
فأنت به قومها تحمله قالوا لئيمريم لقد جئت شيئاً فريباً ﴿٢٨﴾ يتأخت هرون ما كان أبوك أمراً سوءاً وما كانت أمك بغياً ﴿٢٩﴾ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً ﴿٣٠﴾ قال إني عبد الله أتيتني الكتاب وجعلني نبياً ﴿٣١﴾ وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴿٣٢﴾ وبرّاً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴿٣٣﴾ والسلم على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴿٣٤﴾ ذلك عيسى ابن مريم قولك الحق الذي فيه يمترون ﴿٣٥﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له لو كن فيكون ﴿٣٦﴾ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿٣٧﴾ فأخلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴿٣٨﴾ أسمع بهم وأصبر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴿٣٩﴾

﴿٢٦﴾ ذلك الموصوف بتلك الصفات هو عيسى ابن مريم، وهذا الكلام هو قول الحق فيه، لا ما يقوله الضالون الذين يشكون في أمره ويختلفون.

﴿٣٥﴾ ما ينبغي لله أن يتخذ من ولد، تقدس عن ذلك وتنزهه، إذا أراد أمراً، وإنما يكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون لا محالة، فمن كان كذلك فهو مُتَّزَّه عن الولد.

﴿٣٦﴾ وإن الله سبحانه هو ربي وهو ربكم جميعاً، فأخلصوا له العبادة وحده، هذا الذي ذكرت لكم هو الطريق المستقيم الموصل إلى مرضاة الله.

﴿٣٧﴾ فاختلفت طوائف اليهود والنصارى في شأن عيسى ﷺ، فقال عنه اليهود: هو ساحر، وقال عنه بعض النصارى: هو ابن الله، فويل للمختلفين في شأنه من شهود يوم القيامة العظيم بما فيه من مشاهد وحساب وعقاب.

﴿٣٨﴾ ما أقيح ما يسمعون ويصرون يوم القيامة، وما أشده عليهم، وما أعجب ما ترى من أحوالهم، لكن الظالمون في الحياة الدنيا في ضلال واضح عن الصراط المستقيم، فلا يستعدون للأخرة حتى تأتيهم بغتة وهم على ظلمهم.

﴿٣٩﴾ فوالله من الآيات:

١ - كمال قدرة الله تعالى، وأن الأسباب جميعها لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله. ٢ - في أمر مريم بالسكوت عن الكلام دليل على فضيلة الصمت في بعض المواطن. ٣ - لا يجوز نذر الصمت في شرعنا. ٤ - حظي عيسى بالسلامة من الله تعالى يوم ولادته في الدنيا من همز الشيطان، ويوم الموت في القبر، ويوم البعث في الآخرة. ٥ - إن ما أخبر به القرآن عن كيفية خلق عيسى هو الحق القاطع الذي لا شك فيه، وكل ما عداه من تقولات باطل لا يليق بالرسول. ٦ - في الدنيا يكون الكافر أصم وأعمى عن الحق، ولكنه سيصير ويسمع في الآخرة إذا رأى العذاب، ولن ينفعه ذلك.

﴿٤١﴾ وأنذر - أيها الرسول - الناس يوم الندامة حين يندم المسيء على إساءته، والمحسن على عدم استكثاره من الطاعة، إذ طويت صحف العباد، وفرغ من حسابهم، وصار كلُّ إلى ما قَدَّم، وهم في حياتهم الدنيا مُعْتَرُونَ بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يصدقون بيوم القيامة.

﴿٤٢﴾ إنا نحن الباقون بعد فناء الخلائق، نرث الأرض، ونرث من عليها لفنائهم ويقائنا بعدهم، وملكنا لهم، وتصرّفنا فيهم بما نشاء، والينا وحدنا يرجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إبراهيم عليه السلام، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات الله.

﴿٤٤﴾ إذ قال لأبيه آزر: يا أبت؛ لِمَ تعبد من دون الله صنماً لا يسمع دعاءك إن دعوته، ولا يبصر عبادتك إن عبدته، ولا يكشف عنك ضراً، ولا يجلب لك نفعاً.

﴿٤٥﴾ يا أبت، إني قد جاءني من العلم عن طريق الوحي ما لم يأتك، فاتبعني أرشدك إلى طريق مستقيم.

﴿٤٦﴾ يا أبت، لا تعبد الشيطان بطاعتك له، إن الشيطان كان للرحمن عاصياً، حيث أمره بالسجود لآدم فلم يسجد.

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿٤١﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ

﴿٤٢﴾ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ

لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا

﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا

سَوِيًّا

﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ

عَصِيًّا

﴿٤٥﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا

﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ عَالِيَّتِ

يَتَابِرْهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا

﴿٤٧﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ مَا سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا

﴿٤٨﴾ وَأَعْتَزَلَكُمُ وَمَاتِدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا

﴿٤٩﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا

﴿٥٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا

﴿٥١﴾ وَآذَرَ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا

﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾

﴿٥٤﴾

﴿٥٥﴾

﴿٥٦﴾

﴿٥٧﴾

﴿٥٨﴾

﴿٥٩﴾

﴿٦٠﴾

﴿٦١﴾

﴿٦٢﴾

﴿٦٣﴾

﴿٦٤﴾ فَوَالَّذِينَ فِي الْأَيَاتِ:

١ - يوم القيامة يوم حسرة للكافرين، ويوم فرح بالنسبة للصلحين. ٢ - التأدب واللطف والرفق في محاوره الوالدين واختيار أفضل الأسماء في مناداتهما. ٣ - المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته. ٤ - الله وعد كل محسن أن ينشر له ثناء صادقاً بحسب إحسانه، وإبراهيم عليه السلام وذريته من أئمة المحسنين.

﴿٥٢﴾ ونادينا من جانب الجبل الأيمن بالنسبة لموقع موسى ﷺ، وقربناه مناجياً، حيث أسمعه الله كلامه.

﴿٥٣﴾ وأعطيناه من رحمتنا وإنعامنا عليه أخاه هارون ﷺ نبياً؛ استجابة لدعائه حين سأل ربه ذلك.

﴿٥٤﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إسماعيل ﷺ، إنه كان صادق الوعد، لا يعد وعداً إلا وفى به، وكان رسولاً نبياً.

﴿٥٥﴾ وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وبإعطاء الزكاة، وكان عند ربه مرضياً.

﴿٥٦﴾ واذكر - أيها الرسول - في القرآن المنزل عليك خبر إدريس ﷺ، إنه كان كثير الصدق والتصديق بآيات ربه، وكان نبياً من أنبياء الله.

﴿٥٧﴾ ورفعنا ذكره بما أعطيناه من النبوة، فكان عالي المنزلة.

﴿٥٨﴾ أولئك المذكورون في هذه السورة ابتداءً بذكرنا، وختاماً بإدريس ﷺ هم الذين أنعم الله عليهم بالنبوة من أبناء آدم ﷺ، ومن أبناء حملنا في السفينة مع نوح ﷺ، ومن أبناء إبراهيم وأبناء يعقوب ﷺ، ومن وفقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياء، كانوا إذا سمعوا آيات الله تقرأ سجداً لله باكين من خشيته.

﴿٥٩﴾ وناديت من جانب الطور الأيمن وقربته نبياً ﴿٥٩﴾ ووهبنا له من

رحمتنا أخاه هرون نبياً ﴿٥٣﴾ وأذكر في الكتاب إسماعيل إنّه كان

صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴿٥٤﴾ وكان يأمر أهله بالصلاة

والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴿٥٥﴾ وأذكر في الكتاب إدريس

إنّه كان صديقاً نبياً ﴿٥٦﴾ ورفعناه مكاناً علياً ﴿٥٧﴾ أولئك الذين

أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح

ومن ذرية إبراهيم وإسراء بل ومن هدبنا وأحببنا إذ أنزلنا عليهم

آيات الرحمن خرواً وسجداً وبكياً ﴿٥٨﴾ خلف من بعدهم

خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً

﴿٥٩﴾ إلا من تاب وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة

ولا يظلمون شيئاً ﴿٦٠﴾ جنت عدن التي وعد الرحمن عباده

بالغيب إنّه كان وعدهم مانياً ﴿٦١﴾ لا يسمعون فيها لقاوا إلا سلاماً

ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيماً ﴿٦٢﴾ تلك الجنة التي نورت من

عبادنا من كان نبياً ﴿٦٣﴾ وما ننزل إلا بأمر ربك لهم ما بين

أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً ﴿٦٤﴾

﴿٦٥﴾

﴿٥٩﴾ فجاء من بعد هؤلاء الأنبياء المصطفين أتباع سوء وضلال، ضيعوا الصلاة، فلم يأتوا بها على الوجه المطلوب، وارتكبوا ما تشبهه أنفسهم من المعاصي كالزنا، فسوف يلقون شرّاً في جهنم وخيبة.

﴿٦٠﴾ إلا من تاب من تقصيره وتفريطه، وآمن بالله وعمل عملاً صالحاً فأولئك الموصوفون بهذه الصفات يدخلون الجنة، ولا ينقصون من أجور أعمالهم شيئاً ولو قلّ.

﴿٦١﴾ جنت إقامة واستقرار التي وعد الرحمن عباده الصالحين بالغيب أن يدخلهم فيها، وهم لم يروها فآمنوا بها، فوعد الله بالجنة - وإن كان غيباً - أت لا محالة.

﴿٦٢﴾ لا يسمعون فيها فضولاً، ولا كلام فحش، بل يسمعون سلام بعضهم على بعض، وسلام الملائكة عليهم، ويأتيهم ما يشتهون من الطعام فيها صباحاً ومساءً.

﴿٦٣﴾ هذه الجنة الموصوفة بهذه الصفات هي التي نورثها من عبادنا من كان ممثلاً للأوامر، مجتنباً للنواهي. ولما ذكر سبحانه ثواب المتقين ذكر أن التقوى هي الوقوف مع أمره، فقال:

﴿٦٤﴾ وقل - يا جبريل - لمحمد ﷺ: إن الملائكة لا تنزل من تلقاء أنفسها، وإنما تنزل بأمر الله، الله ما نستقبله من أمر الآخرة، وما خلفناه من أمر الدنيا، وما بين الدنيا والآخرة، وما كان ربك - أيها الرسول - ناسياً شيئاً.

﴿٦٥﴾ فإذن من الآيات:

١ - حاجة الداعية دوماً إلى أنصار يساعده في دعوته. ٢ - إثبات صفة الكلام لله تعالى. ٣ - صدق الوعد محمود، وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخلف مذموم. ٤ - إن الملائكة رسل الله بالوحي لا تنزل على أحد من الأنبياء والرسل من البشر إلا بأمر الله.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ
 هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ
 أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ
 وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
 لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ
 شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ
 هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ
 حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجِيَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ
 فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ
 أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنْثًا وَرِئِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَنْ
 كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلِمَ دِدْهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ
 إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا
 وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى
 وَالْبَلِيغَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿٦٥﴾ خالق السماوات وخالق الأرض،
 ومالكهما ومدبر أمرهما، وخالق ما بينهما
 ومالكة ومدبره، فاعبده وحده، فهو المستحق
 للعبادة، واثبت على عبادته، فليس له مثل ولا
 نظير يشاركه في العبادة.
 ﴿٦٦﴾ ويقول الكافر المنكر للبعث؛ استهزاء:
 إذا مت فإني سوف أخرج من قبري حيًّا حياة
 ثانية؟ إن هذا لبعيد.
 ﴿٦٧﴾ أو لا يتذكر هذا المنكر للبعث أنا خلقناه من
 قبل ولم يكن شيئًا؟ فيستدل بالخلق الأول على
 الخلق الثاني، مع أن الخلق الثاني أسهل وأيسر.
 ﴿٦٨﴾ فوربك - أيها الرسول - لنخرجتهم من
 قبورهم إلى المحشر مصحوبين بشياطينهم الذين
 أضلّوهم، ثم لنسوقهم إلى أبواب جهنم أذلاء،
 باركين على ركبهم.
 ﴿٦٩﴾ ثم لنجذبن بشدة وعنف من كل طائفة من
 طوائف الضلال أشدهم عصيًّا، وهم قادتهم.
 ﴿٧٠﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بدخول
 النار ومقاساة حرّها ومعاناته.
 ﴿٧١﴾ وما منكم - أيها الناس - أحد إلا سيعبر فوق
 الصراط المضروب على متن جهنم، كان هذا
 العبور قضاءً مُبرّمًا قضاه الله، فلا رادّ لقضائه.
 ﴿٧٢﴾ ثم بعد هذا العبور على الصراط نسلّم
 الذين اتقوا ربهم بامتثال أوامره واجتنباب
 نواهيه، وترك الظالمين باركين على ركبهم، لا
 يستطيعون الفرار منها.

﴿٧٣﴾ وإذا تُقرأ على الناس آياتنا المنزلة على رسولنا واضحات قال الكفار للمؤمنين: أي فريقنا خير إقامة ومسكنًا،
 وأحسن مجلسًا ومجتمعًا: فريقنا أم فريقكم؟
 ﴿٧٤﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكتها قبل هؤلاء الكفار المفتخرين بما هم فيه من تفوق مادي، هي أحسن منهم
 أموالًا، وأحسن منظرًا لنفاسة ثيابهم، وتنعّم أبدانهم.
 ﴿٧٥﴾ قل - أيها الرسول -: من كان يتخبط في ضلاله فسيمهله الرحمن حتى يزداد ضلالًا، حتى إذا عابنوا ما كانوا يوعدون به من
 العذاب المعجل في الدنيا، أو المؤجل يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من هو شر منزلًا وأقل ناصرًا، أهو فريقهم أم فريق المؤمنين؟
 ﴿٧٦﴾ ومقابل الإمهال لأولئك حتى يزدادوا ضلالًا يزيد الله الذين اهتدوا إيمانًا وطاعة، والأعمال الصالحات
 المؤدية إلى السعادة الأبدية أنفع عند ربك - أيها الرسول - جزاءً، وخير عاقبة.

﴿٧٦﴾ قوله من الآيات: ١ - على المؤمنين الاشتغال بما أمروا به والاستمرار عليه في حدود المستطاع. ٢ - الحشر
 وجمع الخلائق للحساب أمر ثابت بعد البعث من القبور. ٣ - يُحضر الله الكفار جاثين على ركبهم حول جهنم،
 فهم لشدة ما هم فيه من الأهوال لا يقدرّون على القيام. ٤ - يستخرج الله من كل أمة وأهل دين باطل أعتى الناس
 وأعصاهم، وهم القادة والرؤساء؛ لمضاعفة العذاب عليهم. ٥ - ورود جميع الخلائق على النار - أي: المرور
 على الصراط، لا الدخول في النار - أمر واقع لا محالة. ٦ - ينجي الله المتقين، ويخلصهم من نار جهنم، ويترك
 الكافرين فيها قعودًا مخلدين على الدوام. ٧ - إن معايير الدين ومفاهيمه الصحيحة تختلف عن تصورات الجهلة
 والعوام. ٨ - أهلك الله تعالى كثيرًا من الأمم والجماعات هم أكثر متاعًا وأموالًا بسبب كفرهم. ٩ - من كان غارقًا
 في الضلالة متأصلًا في الكفر يتركه الله في طغيان جهله وكفره، حتى يطول اغتراره، فيكون ذلك أشد لعقابه.
 ١٠ - يثبت الله المؤمنين على الهدى، ويزيدهم توفيقًا ونصرة، وينزل من الآيات ما يكون سببًا لزيادة اليقين مجازاة لهم.

﴿٧٧﴾ أفرايت - أيها الرسول - الذي كفر بحججنا، وأنكر وعيدنا، وقال: إن مت، وبعثت لأعطينَ مالا كثيرا وأولادا.

﴿٧٨﴾ أعلم الغيب فقال ما قال عن بيته؟ أم جعل عند ربه عهدا ليدخلته الجنة، ويعطينه مالا وأولادا؟

﴿٧٩﴾ ليس الأمر كما زعم، سنكتب ما يقوله وما يعمله، ونزيده عذابا فوق عذابه لما يدعيه من الباطل.

﴿٨٠﴾ ونرت ما تركه من مال وولد بعد إهلاكنا له، ويجيئنا يوم القيامة فردا قد سلب منه ما كان يتمتع به من مال ومن جاه.

﴿٨١﴾ واتخذ المشركون لهم معبودات من دون الله؛ ليكونوا لهم ظهيرا ومعينا ينتصرون بها.

﴿٨٢﴾ ليس الأمر كما زعموا، فهذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله ستجحد عبادة المشركين لها يوم القيامة، وتبيرا منهم، وتكون لهم أعداء.

﴿٨٣﴾ ألم تر - أيها الرسول - أنا بعثنا الشياطين، وسلطانهم على الكفار تهيجهم إلى فعل المعاصي والصد عن دين الله تهيجًا؟

﴿٨٤﴾ فلا تعجل - أيها الرسول - بطلب الله أن يعجل هلاكهم، إننا نحصي أعمالهم إحصاء، حتى إذا انتهى وقت إمهالهم عاقبناهم بما يستحقون.

﴿٨٥﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم القيامة يوم نجمع المتقين ربهم - بامثال أوامره واجتتاب نواهيه - إلى ربهم وفداً مكرمين معززين.

﴿٨٦﴾ ونسوق الكفار إلى جهنم عطاءً.

﴿٨٧﴾ لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة لبعضهم إلا من اتخذ عند الله في الدنيا عهداً بالإيمان به وبرسوله.

﴿٨٨﴾ وقال اليهود والنصارى وبعض المشركين: اتخذ الرحمن ولداً.

﴿٨٩﴾ لقد جئتم - أيها القائلون بهذا - شيئاً عظيماً.

﴿٩٠﴾ تكاد السماوات تتشقق من هذا القول المنكر، وتكاد الأرض تتصدع، وتكاد الجبال تسقط منهزمة.

﴿٩١﴾ كل ذلك من أجل أن نسبوا للرحمن ولداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿٩٢﴾ وما يستقيم للرحمن أن يتخذ ولداً لنتزهه عن ذلك.

﴿٩٣﴾ إن كل من في السماوات من الملائكة والإنس والجن إلا يأتي ربه يوم القيامة خاضعاً.

﴿٩٤﴾ لقد أحاط بهم علماً، وعدهم عداً، فلا يخفى عليه منهم شيء.

﴿٩٥﴾ وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفرداً لا ناصر له ولا مال.

﴿٩٦﴾ فإذ من الآيات:

١ - تدل الآيات على سخف الكافر وسداجة تفكيره، وتَمَيُّه الأمانى المعسولة، وهو سيجد نقيضها تماماً في عالم الآخرة. ٢ - سلط الله الشياطين على الكافرين بالإغواء والإغراء بالشر، والإخراج من الطاعة إلى المعصية. ٣ - أهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون بإذن الله يوم القيامة.

﴿١٣﴾ وأنا اصطفتيك - يا موسى - لتبليغ رسالتي، فاستمع لما أوجه إليك.

﴿١٤﴾ إني أنا الله لا معبود بحق غيري، فاعبدني وحدي، وأذ الصلاة على أكمل وجه لتذكرني فيها.

﴿١٥﴾ إن الساعة آتية لا محالة وواقعة، أكاد أخفيها فلا يعلم وقتها مخلوق، ولكن يعرفون علاماتها بإخبار النبي لهم؛ لكي تجازي كل نفس بما عملته، خيراً كان أو شراً.

﴿١٦﴾ فلا يصرفنك عن التصديق بها والاستعداد لها بالعمل الصالح من لا يؤمن بها من الكفار، واتبع ما تهواه نفسه من المحرمات، فتهلك بسبب ذلك.

﴿١٧﴾ وما تلك التي بيدك اليمنى يا موسى؟

﴿١٨﴾ قال موسى ﷺ: هي عصاي؛ أعتمد عليها في المشي، وأخبط بها الشجر ليسقط ورقها لغنمي، ولي فيها منافع غير ما ذكرت.

﴿١٩﴾ قال الله: ألقها يا موسى.

﴿٢٠﴾ فألقها موسى، فانقلبت حية تمشي بسرعة وخفة.

﴿٢١﴾ قال الله لموسى ﷺ: خذ العصا، ولا تخف من انقلابها حية، سنعيدها إذا أخذتها إلى حالتها الأولى.

﴿٢٢﴾ واضمم يدك إلى جنبك تخرج بيضاء من غير برص؛ علامة ثانية لك.

﴿٢٣﴾ أربناك هاتين العلامتين لنريك - يا موسى - من آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا، وعلى أنك رسول من عند الله.

﴿٢٤﴾ سر - يا موسى - إلى فرعون، فإنه تجاوز الحد في الكفر والتمرد على الله.

﴿٢٥﴾ قال موسى ﷺ: رب، وسع لي صدري لأتحمل الأذى.

﴿٢٦﴾ وسهل لي أمري. وأقدرني على النطق بالفصح من الكلام.

﴿٢٧﴾ يفهموا كلامي إذا بلغتهم رسالتك. واجعل لي معيناً من أهلي يعينني في أموري.

﴿٢٨﴾ هارون بن عمران أخي.

﴿٢٩﴾ واجعله شريكاً لي في الرسالة.

﴿٣٠﴾ ونذكرك ذكراً كثيراً.

﴿٣١﴾ إنك كنت بنا بصيراً، لا يخفى عليك شيء من أمرنا.

﴿٣٢﴾ قال الله: قد أعطيناك ما طلبت يا موسى.

﴿٣٣﴾ ولقد أنعمنا عليك مرة أخرى.

﴿٣٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - وجوب حسن الاستماع في الأمور المهمة، وأهمها الوحي المنزل من عند الله. ٢ - اشتمل أول الوحي إلى موسى على أصليين في العقيدة وهما: الإقرار بتوحيد الله، والإيمان بالساعة (القيامة)، وعلى أهم فريضة بعد الإيمان وهي الصلاة. ٣ - التعاون بين الدعاة ضروري لإنجاح المقصود؛ فقد جعل الله لموسى أخاه هارون نبياً ليعاونه في أداء الرسالة. ٤ - أهمية امتلاك الداعية لمهارة الإفهام للمدعوين.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ
فِي الْيَمِّ فليُفِيهِ يَمِّمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمُ وَالْقَيْتُ
عَلَيْكَ حَبِيبَةٌ مِنِّي وَلِنُصْنَعُ عَلَىٰ عَيْبِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ
فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ وَنَقَلْتَ نَفْسًا فَجِئْنَاكَ مِنَ الْغَيْرِ وَفَنَّاكَ فُؤَادًا
فَلَمَّسَتْ سَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسٌ ﴿٤٠﴾
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُنَبِّئُ
فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّسَانًا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرَطَ عَيْنَا
أَوْ أَنْ يُطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأُنَبِّئُهَا قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ
الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْؤُوسٌ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

﴿٣٨﴾ إِذْ أَلْهَمْنَا أُمَّكَ مَا أَلْهَمْنَاهَا مِمَّا حَفِظَكَ اللَّهُ
به من مكر فرعون.
﴿٣٩﴾ فَقَدْ أَمْرُنَاهَا حِينَ أَلْهَمْنَاهَا: أَنْ أَرْمِيَهُ بَعْدَ
وِلادته فِي الصَّنُوقِ، وَاطْرَحِي الصَّنُوقَ فِي
الْبَحْرِ، فَسَيَطْرَحُهُ الْبَحْرُ بِالشَّاطِئِ بِأَمْرِنَا،
فِيأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَهُوَ فِرْعَوْنُ، وَوَضَعْتَ
عَلَيْكَ حَبِيبَةً مِنِّي، فَأَحْبَبْتَ النَّاسَ، وَتَتَرَبَّيْتُ عَلَى
عَيْنِي وَفِي حَفِظِي وَرِعَايَتِي.

﴿٤٠﴾ إِذْ خَرَجْتَ أُخْتُكَ تَسِيرُ كَلِمًا سَارَ التَّابُوتُ
تَتَابَعَهُ، فَقَالَتْ لِمَنْ أَخْذُهُ: هَلْ أُرْسِدُكُمْ إِلَى
مَنْ يَحْفَظُهُ وَيَرْضَعُهُ وَيَرْبِيهِ؟ فَمَنَّنَا عَلَيْكَ
بِرَجَاعِكَ إِلَى أُمَّكَ لِتَسْرَ بِرَجُوعِكَ إِلَيْهَا، وَلَا
تَحْزَنَ مِنْ أَجْلِكَ، وَقَتَلْتَ الْقَبْطِيَّ الَّذِي وَكَّرْتَهُ،
فَمَنَّنَا عَلَيْكَ بِإِنجَاتِكَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَخَلَصْنَاكَ
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ مِنْ كُلِّ امْتِحَانٍ تَعَرَّضْتَ لَهُ،
فَخَرَجْتَ وَمَكَّمْتَ أَعْوَامًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ، ثُمَّ
أَتَيْتَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ فِيهِ
لِتَكَلِّمَكَ يَا مُوسَى.

﴿٤١﴾ وَاخْتَرْتِكَ لِتَكُونَ رَسُولًا عَنِّي لِتُبَلِّغَ النَّاسَ مَا
أَوْحَيْتَ بِهِ إِلَيْكَ.

﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ - يَا مُوسَى - وَأَخُوكَ هَارُونَ،
بِآيَاتِنَا الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَلَا
تَضَعُفَا عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَيْيَ، وَعَنْ ذِكْرِي.

﴿٤٣﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي
الْكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَى اللَّهِ.

- ﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَطِيفًا لَا عِظَ فِيهِ؛ رَجَاءً أَنْ يَتَذَكَّرَ، وَيَخَافَ اللَّهَ فَيَتُوبَ.
﴿٤٥﴾ قَالَ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٤﴾: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُعْجَلَ بِالْعُقُوبَةِ قَبْلَ إِتْمَامِ دَعْوَتِهِ، أَوْ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي ظُلْمِنَا بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ.
﴿٤٦﴾ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: لَا تَخَافَا؛ إِنِّي مَعَكُمَا بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، أَسْمَعُ وَأَرَى مَا يَحْدُثُ بَيْنَكُمَا وَبَيْنَهُ.
﴿٤٧﴾ فَأُنَبِّئُهَا، فَقُولَا لَهُ: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ - يَا فِرْعَوْنَ - فَابْعَثْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا تَعَذِّبْهُمْ بِقَتْلِ أَبْنَائِهِمْ، وَاسْتِحْيَاءِ
نِسَائِهِمْ، قَدْ أَتَيْنَاكَ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ عَلَى صِدْقِنَا، وَالأَمَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ لِمَنْ آمَنَ، وَاتَّبَعَ هُدَى اللَّهِ.
﴿٤٨﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى عَلَى مَن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.
﴿٤٩﴾ قَالَ فِرْعَوْنَ مُنْكَرًا لِمَا جَاءَهُ بِهِ: فَمَنْ رَبُّكُمَا الَّذِي زَعَمْتُمَا أَنَّهُ أَرْسَلَكُمْ إِلَيْيَ يَا مُوسَى؟
﴿٥٠﴾ قَالَ مُوسَى: رَبُّنَا هُوَ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ صُورَتَهُ وَشَكْلَهُ الْمُنَاسِبَ لَهُ، ثُمَّ هَدَى الْمَخْلُوقَاتِ لِمَا خَلَقَهَا لَهُ.
﴿٥١﴾ قَالَ فِرْعَوْنَ: فَمَا شَأْنُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الكُفْرِ؟

﴿٥٢﴾ فَرَأَى مِنْ الآيَاتِ:

- ١ - كَمَالِ اعْتِنَاءِ اللَّهِ بِكَلِمَتِهِ مُوسَى ﷺ، وَالأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَلِوَرِثَتِهِمْ نَصِيبٍ مِنْ هَذَا الإِعْتِنَاءِ عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ مَعَ اللَّهِ.
- ٢ - مِنْ اتِّبَاعِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَاهْتِدَى بِالشَّرْعِ الْمُبِينِ حَصَلَتْ لَهُ السَّلَامَةُ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَى. ٣ - مِنْ الْهَدَايَةِ الْعَامَّةِ لِلْمَخْلُوقَاتِ أَنْ تَجِدَ كُلَّ مَخْلُوقٍ يَسْعَى لِمَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَفِي دَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْهُ. ٤ - بَيَانِ فَضِيلَةِ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ بِالأَلِينِ مِنَ القَوْلِ لِمَنْ مَعَ القُوَّةِ، وَضُمَّتْ لَهُ العِصْمَةُ.
- ٥ - يَجِبُ عَلَى المَحْقِ اسْتِمَاعَ كَلَامِ المَبْطُلِ، وَالجَوَابَ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ إِيْذَاءٍ وَلَا إِحْشَاشٍ. ٦ - اللَّهُ هُوَ المَخْتَصُّ بِعِلْمِ الغَيْبِ فِي المَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَلِ.

٥١ قال موسى ﷺ لفرعون: عَلِمَ ما كانت عليه تلك الأمم عند ربي، مثبت في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربي في علمها، ولا ينسى ما علمه منها.

٥٢ عند ربي الذي صير لكم الأرض مَهْدَةً للعيش عليها، وجعل لكم فيها طرفًا صالحًا للسير عليها، وأنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء أصنافًا من النباتات مختلفة.

٥٣ كلوا - أيها الناس - مما أخرجنا لكم من الطيبات، وارعوا أنعامكم، إن في ذلك المذكور من النعم لدلائل على قدرة الله ووحديته لأصحاب العقول.

٥٤ من تراب الأرض خلقنا أباكم آدم ﷺ، وفيها نرجعكم بالدفن إذا مُتُّم، ومنها نخرجكم مرة أخرى للبعث يوم القيامة.

٥٥ ولقد أظهرنا لفرعون آياتنا التسع كلها، وشاهدها فكذب بها، وامتنع أن يستجيب إلى الإيمان بالله.

٥٦ قال فرعون: أجتئنا لتخرجنا من مصر بما جئت به من السحريا موسى، ليبقى لك ملكها؟

٥٧ فلنأتيتك - يا موسى - بسحر مثل سحرِكَ، فاجعل بيننا وبينك موعدًا في زمان معلوم ومكان محدد، لا نتخلف نحن ولا تتخلف أنت عنه، وليكن المكان وسطًا بين الفريقين معتدلاً.

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ٥١
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ٥٢
وَأَرْعَوْنَا لَكُمْ فِي ذَلِكَ لَأَيِّتٍ لِّأُولِي النُّهَى ٥٣
خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٤
وَلَقَدْ
أَرْبَيْنَاهُ أَهْلِيْنَا كُلَّهُمْ فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٥
قَالَ أَجِئْتَنَا لَتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ٥٦
فَلِنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوًى ٥٧
قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشِرَ النَّاسَ ضَحَى ٥٨
٥٩ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُمْ أَتَى ٦٠
قَالَ لَهُمْ
مُوسَى وَيَلِكُمْ لِاتَّقُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ٦١
فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
التَّجْوَى ٦٢
قَالُوا إِن هَذَا نَسْحَرَانِ إِنْ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمَثَلِ ٦٣
فَأَجْمَعُوا
كَيْدَهُمْ ثُمَّ اتَّوَصَفُوا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ٦٤

٥٩ قال موسى ﷺ لفرعون: الموعد بيننا وبينكم يوم العيد حيث يجتمع الناس محتفلين بعيدهم ضحى.

٦٠ فأدبر فرعون منصرفًا، وجمع مكره وحيله، ثم جاء في الزمان والمكان المحددين للمعابلة.

٦١ قال موسى يعظ سحرة فرعون: احذروا، لا تختلفوا على الله كذبًا بما تخذعون به الناس من السحر فيستأصلكم بعذاب من عنده، وقد خسر من اختلق على الله الكذب.

٦٢ فتناظر السحرة لما سمعوا كلام موسى ﷺ، وتناجوا بينهم سرًا.

٦٣ قال بعض السحرة لبعضهم سرًا: إن موسى وهارون ساحران، يريدان أن يخرجاكم من مصر بسحرهما الذي جاء به، ويذهبا بسنتكم العليا في الحياة، ومذهبكم الأرقى.

٦٤ فأحكموا أمركم، ولا تختلفوا فيه، ثم تقدموا مُصْطَفَيْنِ، وارموا ما عندكم دفعة واحدة، وقد ظفر بالمطلوب اليوم من غلب خصمه.

٦٥ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - من نعم الله تعالى أن جعل الأرض مَهْدَةً كالفراش، وقرارًا للاستقرار عليها، لتصلح للعيش. ٢ - إخراج أصناف من النبات المختلفة الأنواع والألوان من الأرض دليل واضح على قدرة الله تعالى ووجود الصانع. ٣ - ذكرت الآيات دليلين عقليين واضحين على الإعادة: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم. ٤ - أولو النهى هم المنتفعون بالآيات، الناظرون إليها نظر اعتبار. ٥ - كفر فرعون كفر عناد؛ لأنه رأى الآيات عيانًا لا خبيرًا، واقنع بها في أعماق نفسه. ٦ - اختار موسى يوم العيد؛ لتعلو كلمة الله، ويظهر دينه، ويكبت الكفر، أمام الناس قاطبة في المجمع العام ليُشيع الخير. ٧ - شعار الأنبياء، الصدق في الدعوة، وانتهاز الفرص المناسبة لإعلان دعوتهم.

١٥ قال السحرة لموسى عليه السلام: يا موسى، اختر أحد أمرين: أن تكون البادئ بإلقاء ما لديك من سحر، أو نكون نحن البادئين بذلك.

١٦ قال موسى عليه السلام: بل اطرحوا أنتم ماos لديهم أولاً، فطرحوا ما عندهم، فإذا حبالهم وعصيهم التي طرحوها يُخَيَّلُ إلى موسى من سحرهم أنها تعابين تتحرك بسرعة.

١٧ فأسر موسى في نفسه الخوف ظناً منه أنها تقصده.

١٨ قال الله لموسى عليه السلام مطمئناً إياه: لا تخف مما خيَّل إليك، إنك - يا موسى - أنت المستغلي عليهم بالغلبة والنصر.

١٩ واطرح العصا التي بيدك اليمنى تنقلب حية تنبلع ما صنعه من السحر، فما صنعه ليس إلا كيداً سحرياً، ولا يظفر الساحر بمطلوب أين كان.

٢٠ فطرح موسى عصاه فانقلبت حية، وابتلعت ما صنعه السحرة، فسجد السحرة لله لما علموا أن ما

عند موسى ليس سحراً، إنما هو من عند الله، قالوا: أمنا برب موسى وهارون، رب جميع المخلوقات.

٢١ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم ومتوعداً: أصدقتم بموسى قبل أن أذن لكم بذلك؟ إن موسى لهو رئيسكم - أيها السحرة - الذي علمكم السحر، فلأقطعن من كل واحد منكم رجلاً ويداً مخالفاً بين جهتيهما، ولأصلبن أبدانكم على جذوع النخل حتى تموتوا، وتكونوا عبرة لغيركم، ولتعلمن عند ذلك أننا أقوى عذاباً، وأدوم: أنا أو رب موسى؟

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ١٥ قَالَ

بَلِ الْقَوْمِ أَفَادِ جَاهُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى

١٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ١٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ

أَنْتَ الْأَعْلَى ١٨ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ لَتَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا

كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ١٩ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا

قَالُوا أَمْ تَأْتِرِبْ هُرُونَ وَمُوسَى ٢٠ قَالَ أَمِنتُمْ لِمُوقَدٍ أَنْ أَدْنَى

لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ

إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ٢١ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ

الْيَمِينِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٢٢ إِنَّمَا مَتَابِرْنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا

عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٢٣ إِنَّهُ مِنْ يَدِ رَبِّهِ يُجْرِمُهُمَا

فَإِنْ لَمْ يَجْهَنَّمْ لَأَيْمُوتْ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ٢٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ

عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٢٥ حَنَّتْ عَدْنٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ٢٦

٢٢ قال السحرة لفرعون: لن نفضل أتباعك - يا فرعون - على أتباع ما جاءنا من الآيات الواضحات، ولن نفضلك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع بنا، ما لك سلطان علينا إلا في هذه الحياة الفانية، وسيزول سلطانك.

٢٣ إنا أمنا بربنا رجاء أن يمحو عنا معاصينا السالفة من الكفر وغيره، ويمحو عنا ذنب السحر الذي أجبرتنا على تعلمه وممارسته ومغالبة موسى به، والله خير جزاء مما وعدتنا به، وأدوم عذاباً مما توعدتنا به من العذاب.

٢٤ إن الشأن والحاصل أن من يأتي ربه يوم القيامة كافراً به أن له نار جهنم يدخلها ماكثاً فيها أبداً، لا يموت فيها فيستريح من عذابها، ولا يحيى حياة طيبة.

٢٥ ومن يأت ربه يوم القيامة مؤمناً به قد عمل الأعمال الصالحات فأولئك الموصوفون بتلك الصفات العظيمة لهم المنازل الرفيعة، والدرجات العلية.

٢٦ تلك الدرجات هي جنات إقامة تجري من تحت قصورها الأنهار ماكثين فيها أبداً، وذلك الجزاء المذكور جزاء كل من تطهر من الكفر والمعاصي.

٢٧ **فوائد من الآيات:** ١ - الأدب الحسن يفيد في الدنيا والآخرة، فلما خير السحرة موسى بين أن يلقي أولاً أو يلقوا هم أفادهم ذلك في التوفيق للإيمان. ٢ - لا يفوز ولا ينجو الساحر حيث أتى من الأرض أو حيث احتال، ولا يحصل مقصوده بالسحر خيراً كان أو شراً. ٣ - ينبغي للعاقل أن يوازن بين لذات الدنيا ولذات الآخرة وبين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. ٤ - الإيمان يصنع المعجزات؛ فقد كان إيمان السحرة أرسخ من الجبال، فهان عليهم عذاب الدنيا، ولم يبالوا بتهديد فرعون. ٥ - دأب الطغاة التهديد بالعذاب الشديد لأهل الحق والإيمان في ذلك للإذلال والإهانة. ٦ - الكافر المكذب الجاحد في جهنم لا يموت فيها ولا يحيى. ٧ - جزاء من تطهر من الكفر والمعاصي جنات الخلد التي تجري من تحت غرفها وسرورها الأنهار من الخمر والعسل واللبن والماء.

﴿٧٧﴾ ولقد أوحينا إلى موسى: أن سر بعبادي ليلاً من مصر حتى لا يشعر بهم أحد، واجعل لهم طريقاً في البحر يابساً بعد ضرب البحر بالعصا، آمناً لا تخاف أن يلحق بك فرعون وملؤه، ولا تخشى من الغرق في البحر.

﴿٧٨﴾ فتبعهم فرعون مصحوباً بجنوده، فغمره وغمر جنوده من البحر ما غمرهم مما لا يعلم حقيقته إلا الله، فغرقوا جميعاً وهلكوا، ونجا موسى ومن معه.

﴿٧٩﴾ وأضل فرعون قومه بما حسنه لهم من الكفر، وخدعهم به من الباطل، ولم يرشدهم إلى طريق الهداية.

﴿٨٠﴾ وقلنا لبني إسرائيل بعد أن أنقذناهم من فرعون وجنوده: يا بني إسرائيل، قد أنقذناكم من عدوكم، ووعدناكم أن نكلم موسى بالجهة اليمنى من الوادي الواقع بجانب جبل الطور، ونزلنا عليكم في الثيِّه ما تأكلونه مما هو حلو الطعم يشبه الصمغ، ونزلنا عليكم طيراً يشبه السَّمانِي.

﴿٨١﴾ كلوا من المستلذات ممَّا رزقناكم من الأطعمة الحلال، ولا تتجاوزوا ما أبحناه لكم إلى ما حرَّمناه عليكم، فينزل عليكم غضبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك وسقط في النار.

﴿٨٢﴾ وإني لكثير المغفرة والعفو لمن تاب إليّ، وعمل عملاً صالحاً، ثم استقام على الحق.

﴿٨٣﴾ وما الذي جعلك تعجل عن قومك - يا موسى تاركاً إياهم خلفك؟

﴿٨٤﴾ قال موسى ﷺ: ها هم ورائي وسيلحقوني، وسبقت قومي إليك لترضى عني بمسارعتي إليك.

﴿٨٥﴾ قال الله: فإننا قد ابتلينا قومك الذين خلفتهم وراءك بعبادة العجل، فقد دعاهم إلى عبادته السامري، فأضلهم بذلك.

﴿٨٦﴾ فعاد موسى إلى قومه غضبان لعبادتهم العجل، حزناً عليهم، قال موسى ﷺ: يا قوم، أما وعدكم الله وعداً حسناً أن ينزل عليكم التوراة، ويدخلكم الجنة، فهل طال عليكم الزمان فنسيتم؟ أم أردتم بفعلكم هذا أن ينزل عليكم غضب من ربكم، ويقع عليكم عذابه، فلذلك أخلفتكم موعدي بالثبات على الطاعة حتى أرجع إليكم؟

﴿٨٧﴾ قال قوم موسى: ما أخلفنا موعدك - يا موسى - باختيارنا، بل باضطرار، فقد حملنا أحمالاً وأثقالاً من حلي قوم فرعون، فرميناها في حفرة للتخلص منها، فكما رميناها في الحفرة رمى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل ﷺ.

﴿٨٨﴾ فإِذَا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - من سُنَّة الله انتقامه من المجرمين بما يشفي صدور المؤمنين، ويقر أعينهم، ويذهب غيظ قلوبهم. ٢ - الإهلاك سُنَّة الله في عاقبة الكفر والضلال، وعدم الاهتداء بهدي الله. ٣ - من سلك الصراط المستقيم، وتابع الرسول الكريم، واقتدى بالدين القويم، يغفر الله أوزاره، ويعفو عما تقدم من ذنبه وإصراره. ٤ - الطاغية شؤم على نفسه وعلى قومه؛ لأنه يضلهم عن الرشد، وما يهديهم إلى خير ولا إلى نجاة. ٥ - النعم تقتضي الحفظ والشكر المقرون بالمزيد، وجحودها يوجب حلول غضب الله ونزوله. ٦ - الله غفور على الدوام لمن تاب من الشرك والكفر والمعصية، وآمن به وعمل الصالحات، ثم ثبت على ذلك حتى مات عليه. ٧ - إن العجلة وإن كانت في الجملة مذمومة فهي ممدوحة في الدين. ٨ - حُقَّ لموسى ﷺ أن يعود إلى قومه شديد الغضب والأسى بسبب ما أحدثوا بعده من عبادة العجل.

﴿٨٨﴾ فأخرج السامري من تلك الحلي لبني إسرائيل جسداً عجلاً لا روح فيه، له صياح كصياح البقر، فقال المفتونون منهم بعمل السامري: هذا هو معبودكم ومعبود موسى، نسيه وتركه هنا.

﴿٨٩﴾ أفلا يرى هؤلاء الذين فُتِنُوا بالعجل فعبده أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم، ولا يقدر على دفع ضر عنهم ولا عن غيرهم، ولا جلب نفع له، أو لغيره؟

﴿٩٠﴾ ولقد قال لهم هارون قبل رجوع موسى إليهم: ما في صياغة العجل من الذهب وخواره إلا اختبار لكم ليظهر المؤمن من الكافر، وإن ربكم - يا قوم - هو الله سبحانه، فاتبعوني في عبادته وحده، وأطيعوا أمري بترك عبادة غيره.

﴿٩١﴾ قال المفتونون بعبادة العجل: لن نزال مقيمين على عبادته حتى يعود إلينا موسى.

﴿٩٢﴾ قال موسى لأخيه هارون: ما الذي منعك حين رأيتم ضلوا بعبادة العجل من دون الله.

﴿٩٣﴾ أن تركهم وتلحق بي؟ أفعصيت أمري لك حين استخلفتك عليهم؟

﴿٩٤﴾ ولما أخذ موسى بلحية أخيه ورأسه يسحبه إليه مستكراً عليه صنيعه قال له هارون مستعظماً إياه: لا تمسك بلحيتي ولا بشعر رأسي، فإن لي عذراً في بقائي معهم، فقد خفت إن تركتهم

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُونَ مَأْمَنَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَذَكَّرُ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَآذِهِبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنْ تَحْرِقَ نَفْسَهُ ثُمَّ لِنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

وهدهم أن يتفرقوا، فتقول: إني فرقت بينهم، وإني لم أحفظ وصيتك فيهم.

﴿٩٥﴾ قال موسى ﷺ للسامري: فما شأنك أنت يا سامري؟ وما الذي دفعتك إلى ما صنعت؟

﴿٩٦﴾ قال السامري لموسى ﷺ: رأيت ما لم يروه، فقد رأيت جبريل على فرس، فأخذت قبضة من تراب من أثر فرسه، فطرحتها على الحلي المذاب المسبوك على صورة عجل، فنشأ عن ذلك عجل جسداً له خوار، وكذلك حسنت لي نفسي ما صنعت.

﴿٩٧﴾ قال موسى ﷺ للسامري: فآذِهِبْ أنت فإن لك أن تقول ما دمت حياً: لا أَمَسَّ ولا أَمَسَّ، فتعيش منبوءاً، وإن لك موعداً يوم القيامة تُحَاسَبُ فيه وتُعَاقَبُ، لن يخلفك الله هذا الموعد، وانظر إلى عجلك الذي اتخذته معبودك، وأقمت على عبادته من دون الله، لنشعلن عليه ناراً حتى ينصهر، ثم لنندرينه في البحر حتى لا يبقى له أثر.

﴿٩٨﴾ إنما معبودكم بحق - أيها الناس - هو الله الذي لا معبود بحق غيره، أحاط بكل شيء علماً، فلا يفوته سبحانه علم شيء.

﴿٩٩﴾ فَوَالَّذِينَ بَخَسُوا مَعَهُمْ فِي الْأَيَاتِ:

١ - خداع الناس بتزوير الحقائق مسلك أهل الضلال.

٢ - الغضب محمود إذا انتهكت محارم الله.

٣ - في الآيات أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم، وألا يُخَالَطُوا.

٤ - في الآيات وجوب التفكير في معرفة الله تعالى من خلال مفعولاته في الكون.

﴿٩٩﴾ مثل ما قصصنا عليك - أيها الرسول - خبر موسى وفرعون، وخبر قومهما نقص عليك أخبار من سبقوك من الأنبياء والأمم لتكون تسليية لك، وقد أعطيناك من عندنا قرآنًا يتذكر به من تذكر.

﴿١٠٠﴾ من أعرض عن هذا القرآن المنزل عليك فلم يؤمن به، ولم يعمل بما فيه؛ فإنه يأتي يوم القيامة حاملاً إنمًا عظيمًا، ومستحقًا عقابًا أليمًا.

﴿١٠١﴾ ماكثين في ذلك العذاب دائمًا، وبئس الحمل الذي يحملونه يوم القيامة.

﴿١٠٢﴾ يوم ينفخ المَلَكُ في الصور النفضة الثانية للبعث، ونحشر الكفار في ذلك اليوم رزقًا لتغيير ألوانهم وعبونهم من شدة ما لاقوه من أهوال الآخرة.

﴿١٠٣﴾ يحدث بعضهم بعضًا خفيةً بقوله: ما لبثتم في البرزخ بعد الموت إلا عشر ليالٍ.

﴿١٠٤﴾ نحن أعلم بما يتحدثون به بينهم سرًا، لا يفوتنا منه شيء، إذ يقول أوفرهم عقلاً: ما لبثتم في البرزخ إلا يومًا واحدًا لا أكثر.

﴿١٠٥﴾ ويسألونك - أيها الرسول - عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: الجبال يقتلعها ربي من أصولها ويُدْرِبُهَا، فتكون هباءً.

﴿١٠٦﴾ فيترك الأرض التي كانت تحملها مستوية لا بناء عليها ولا نبات.

﴿١٠٧﴾ لا ترى - أيها الناظر إليها - في الأرض من تمام استوائها ميلًا ولا ارتفاعًا ولا انخفاضًا.

﴿١٠٨﴾ في ذلك اليوم يتبع الناس صوت الداعي إلى المحشر، لا معدل لهم عن اتباعه، وسكتت الأصوات للرحمن رهبة، فلا تسمع في ذلك اليوم إلا صوتًا خفيًا.

﴿١٠٩﴾ في ذلك اليوم العظيم لا تنفع الشفاعة من أي شافع إلا شافعًا أذن له الله أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

﴿١١٠﴾ يعلم الله سبحانه ما يستقبله الناس من أمر الساعة، ويعلم ما استدبروه في دنياهم، ولا يحيط جميع العباد بذات الله وصفاته علمًا.

﴿١١١﴾ وذلت وجوه العباد، واستكانت للحي الذي لا يموت، القائم بأمر عبادته بتدبيرها وتصريفها، وقد خسر من حمل الإثم بإيراده نفسه موارد الهلاك.

﴿١١٢﴾ ومن يعمل الأعمال الصالحة وهو مؤمن بالله ورسله فسينال جزاءه وافيًا، ولا يخاف ظلمًا بأن يعذب بذنوب لم يفعله، ولا نقصًا لثواب عمله الصالح.

﴿١١٣﴾ ومثل ما أنزلنا من قصص السابقين أنزلنا هذا القرآن بلسان عربي مبين، وبيّنا فيه أنواع الوعيد من تهديد وتخويف؛ رجاء أن يخافوا الله، أو تنشى لهم مواعظ القرآن اعتبارًا.

﴿١١٤﴾ فَوَاظِرًا مِنَ الْآيَاتِ:

كذالك نقص عليك من أنبياء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴿٩٩﴾ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا

﴿١٠٠﴾ خلدتين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ﴿١٠١﴾ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ رزقا ﴿١٠٢﴾ يتخلفون

بينهم إن لبثتم إلا عسرا ﴿١٠٣﴾ نحن أعلم بما تقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا أيوما ﴿١٠٤﴾ وستأولونك عن الجبال

فقل ينسفها ربي نسفا ﴿١٠٥﴾ فيذرها قاعا صافصفا ﴿١٠٦﴾ لا ترى فيها عوجا ولا أمما ﴿١٠٧﴾ يومئذ يتبعون الداعي

لأعوج لهم وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ﴿١٠٨﴾ يومئذ لا نفع للشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له

قولا ﴿١٠٩﴾ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا ﴿١١٠﴾ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من

حمل ظلما ﴿١١١﴾ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴿١١٢﴾ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا

وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴿١١٣﴾

﴿١١٤﴾ فَوَاظِرًا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - قصص القرآن من أخبار الأمم وأحوالهم عبرة وعظة للعقلاء المكلفين. ٢ - القرآن العظيم كله تذكير ومواعظ للأمم والشعوب والأفراد، وشرف وفخر للإنسانية. ٣ - لا تنفع الشفاعة أحدًا إلا شفاعة من أذن له الرحمن، ورضي قوله في الشفاعة. ٤ - يكشف القرآن الكريم أهوال القيامة وما فيها من الزلازل والقلال. ٥ - اشتمل القرآن على ما فيه كفاية لجميع مستويات البشر. ٦ - القرآن مشتمل على أحسن ما يكون من الأحكام التي تشهد العقول والظفر بحسنها وكمالها. ٧ - من آداب التعامل مع القرآن تلقيه بالقبول والتسليم والتعظيم، والاهتداء بنوره إلى الصراط المستقيم، والاقبال عليه بالتعلم والتعليم. ٨ - ندم المجرمين يوم القيامة حيث ضيعوا الأوقات الكثيرة، وقطعوها ساهين لاهين، معرضين عما ينفعهم، مقبلين على ما يضرهم.

﴿١٤﴾ فتعالى الله وتقدس وجَلَّ الملك الذي له ملك كل شيء، الذي هو حق وقوله حق، تعالى عما يصفه به المشركون، ولا تسرع - أيها الرسول - بقراءة القرآن مع جبريل قبل أن ينهي إليك إبلاغه، وقل: رب زدني إلى ما علمتني علمًا. ولما ذكر الله قصة موسى وما اشتملت عليه من إعراض فرعون وغفلة بني إسرائيل ذكر قصة آدم ﷺ حنًا على رجوع من نسي إلى طاعة الله فقال:

﴿١٥﴾ ولقد وصينا آدم من قبل بعدم الأكل من الشجرة، ونهيناه عن ذلك، وبيننا له عاقبته، فنسي الوصية وأكل من الشجرة، ولم يصبر عنها، ولم تر له قوة عزم على حفظ ما وصيناه به.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية، فسجدوا كلهم إلا إبليس - الذي كان معهم ولم يكن منهم - امتنع من السجود تكبرًا.

﴿١٧﴾ فقلنا: يا آدم، إن إبليس عدو لك وعدو لزوجك، فلا يخرجتك أنت وزوجك من الجنة بطاعته فيما يوسوس به، فتتحمل أنت المشاق والمكاره.

﴿١٨﴾ إن لك على الله أن يطعمك في الجنة فلا تجوع، ويكسوك فلا تعري.

﴿١٩﴾ وأن يسقيك فلا تعطش، ويظلك فلا يصيبك حر الشمس.

فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسْوَى وَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكَ الْأَلْمُوجَ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ﴿١٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَآبِلِينَ ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿٢٢﴾ قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا نِينَ كُمْ مَنِّي هُدَى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾

﴿٢١﴾ فوسوس الشيطان إلى آدم، وقال له: هل أرشدك إلى شجرة، من أكل منها لا يموت أبدًا، بل يبقى حيًا مخلدًا، ويملك ملكًا مستمرًا لا ينقطع ولا ينتهي؟

﴿٢٢﴾ فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاها عن الأكل منها، فظهرت لهما عوراتهما بعد أن كانت مستورة، وشرعا ينزعان من أوراق شجر الجنة، ويستتران بها عوراتهما، وخالف آدم أمر ربه إذ لم يمثل أمره باجتناب الأكل من الشجرة، فتعدى إلى ما لا يجوز له.

﴿٢٣﴾ ثم اختاره الله وقبل توبته، ووقفه إلى الرشاد.

﴿٢٤﴾ قال الله لآدم وحواء: انزلا من الجنة أتما وإبليس، فهو عدو لكما وأتما عدوان له، فإن جاءكم مني بيان لسبيلي فمن اتبع منكم بيان سبيلي، وعمل به ولم ينحرف عنه؛ فلا يضل عن الحق، ولا يشقى في الآخرة بالعذاب، بل يدخله الله الجنة.

﴿٢٥﴾ ومن تولى عن ذكري ولم يقبله، ولم يستجب له فإن له معيشة ضيقة في الدنيا وفي البرزخ، ونسوقه إلى المحشر يوم القيامة فاقد البصر والحجة.

﴿٢٦﴾ يقول هذا المعرض عن الذكر: يا رب، لم حشرتني اليوم أعمى، وقد كنت في الدنيا بصيرًا.

﴿٢٧﴾ فإذن من الآيات: ١ - الأدب في تلقي العلم، وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المُلمِّي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض. ٢ - نسي آدم فنسيت ذريته، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، ويأدر بالتوبة فغفر الله له، ومن يشابه أباه فما ظلم. ٣ - فضيلة التوبة؛ لأن آدم ﷺ كان بعد التوبة أحسن منه قبلها. ٤ - ضرورة الحذر من الشيطان عدو الإنسان المرابط الملازم له ليلاً ونهارًا. ٥ - المعيشة الضنك في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة لأهل الكفر والضلال.

﴿١٦٦﴾ قال الله تعالى ردًا عليه: مثل ذلك فعلته في الدنيا، فقد جاءتك آياتنا فأعرضت عنها وتركتها، وكذلك فإنك تُتْرَك اليوم في العذاب. ﴿١٦٧﴾ ومثل هذا الجزاء نجزي من انهمك في الشهوات المحرمة، وأعرض عن الإيمان بالدلائل الواضحة من ربه. ولعذاب الله في الآخرة أقطع وأقوى من المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ وأدوم.

﴿١٦٨﴾ أفلم يتبين للمشركين كثرة الأمم التي أهلكناها من قبلهم، يمشون في مساكن تلك الأمم المهلكة، ويعينون آثار ما أصابهم؟ إن فيما أصاب تلك الأمم الكثيرة من الهلاك والدمار عبرًا لأصحاب العقول.

﴿١٦٩﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك - أيها الرسول - أنه لا يعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، ولولا أجل مُقَدَّر عنده لهم لعاجلهم العذاب؛ لاستحقاقهم إياه.

﴿١٧٠﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله المكذبون بك من أوصاف باطلة، وسبح بحمد ربك في صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وفي صلاة العصر قبل غروبها، وفي صلاة المغرب والعشاء من ساعات الليل، وفي صلاة الظهر عند الزوال الذي هو نهاية الطرف الأول من النهار وبداية الطرف الثاني؛ رجاء أن تنال عند الله من الثواب ما ترضى به.

﴿١٧١﴾ ولا تنظر إلى ما جعلناه لأصناف هؤلاء المكذبين متعة يتمتعون بها من زهرة الحياة الدنيا لنختبرهم، فإن ما جعلناه لهم من ذلك

قال كذلك أنك آيتنا فنسينها وكذلك اليوم نسئ ﴿١٦٦﴾ وكذلك تجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿١٦٧﴾ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم إن في ذلك لآية لولي النهي ﴿١٦٨﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى ﴿١٦٩﴾ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أناء الليل فسيح أطراف النهار لعلك ترضى ﴿١٧٠﴾ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴿١٧١﴾ وأمر أهلك بالصلوة وأصطر عليها لانسك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴿١٧٢﴾ وقالوا لولا آيتنا بإية من ربه أولم تأتتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴿١٧٣﴾ ولولا أن أهلكنا قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلل ونخزي ﴿١٧٤﴾ قل كل متريص فتريصا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴿١٧٥﴾

زائل، وثواب ربك الذي وعدك به حتى ترضى خير مما متعهم به في الدنيا من متع زائلة وأدوم؛ لأنه لا ينقطع.

﴿١٧١﴾ وأمر - أيها الرسول - أهلك بأداء الصلاة، واصطر أنت على أدائها، لا تطلب منك رزقا لنفسك ولا لغيرك، نحن نتكفل برزقك، والعاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة لأصحاب التقوى الذين يخافون الله، فيمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه.

﴿١٧٢﴾ وقال هؤلاء الكفار المكذبون بالنبي ﷺ: هلا آيتنا محمد بعلامة من ربه تدل على صدقه وأنه رسول، أولم يأت هؤلاء المكذبين القرآن الذي هو تصديق للكتب السماوية من قبله؟

﴿١٧٣﴾ ولو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين بالنبي ﷺ بإتزال عذاب عليهم لكفرهم وعنادهم قبل أن نرسل إليهم رسولا، ونزل عليهم كتابا لقالوا يوم القيامة معتذرين عن كفرهم: هلا أرسلت - ربنا - إلينا رسولا في الدنيا، فنؤمن به وتتبع ما جاء به من آيات من قبل أن يحل بنا الهوان والخزي بسبب عذابك.

﴿١٧٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: كل واحد منا ومنكم منتظر ما يُجرِّبه الله، فانظروا أنتم، فستعلمون - لا محالة - من أصحاب الطريق المستقيم، ومن المهتدون: نحن أم أنتم؟

﴿١٧٥﴾ **فوائد من الآيات:** ١ - لا عذر للكافر يوم القيامة بعد أن آتته في الدنيا الآيات والدلائل على إثبات وحدانية الله وقدرته ووجوب العمل بشرعه. ٢ - سيعلم الكفار أن النصر سيكون لمن اهتدى إلى دين الحق. ٣ - الآيات تنفع المؤمنين، ويزداد بها إيمانهم وإيقانهم، وأما المعرضون عنها، المعارضون لها فلا يؤمنون بها ولا ينتفعون.

٤ - من الأسباب المعينة على تحمل إيداء المعرضين استثمار الأوقات الفاضلة في التسبيح بحمد الله. ٥ - ينبغي على العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا وإقبالا عليها أن يوازن بين زينتها الزائلة ونعيم الآخرة الدائم.

٦ - على العبد أن يقيم الصلاة حق الإقامة، وإذا حزبه أمر صلى وأمر أهله بالصلاة، وصبر عليهم تأسيا بالرسول ﷺ. ٧ - العاقبة الجميلة المحمودة وهي الجنة لأهل التقوى.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمُ أَفْتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ
 تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمَ بَلْ
 أَفْرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

﴿١﴾ مقصد السورة: التركيز على قضية وحدة الرسالات من خلال التذكير بحال الرسل ودعوتهم الواحدة لعبادة الله وحده.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ قُرْبُ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ عَنِ الْآخِرَةِ؛ لِأَشْغَالِهِمْ بِالْدُنْيَا عَنْهَا.

﴿٢﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ قُرْآنٍ حَدِيثِ النَّزُولِ إِلَّا اسْتَمِعُوهُ سَمَاعًا غَيْرَ نَافِعٍ، بَلْ سَمَاعٌ لَعِبٌ غَيْرُ مَبَالِغٍ بِمَا فِيهِ.

﴿٣﴾ اسْتَمِعُوهُ وَقُلُوبُهُمْ غَافِلَةٌ عَنْهُ، وَأَخْفَى الظَّالِمُونَ بِالْكَفْرِ الْحَدِيثَ الَّذِي يَتَنَاجَوْنَ بِهِ قَائِلِينَ: هَلْ هَذَا الَّذِي يَدْعِي أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمْ، لَا مِيزَةَ لَهُ عِنْدَكُمْ؟ وَمَا جَاءَ بِهِ سِحْرٌ، أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَأَنْتُمْ تَدْرِكُونَ أَنَّهُ بَشْرٌ مِثْلَكُمْ، وَأَنْ مَا جَاءَ بِهِ سِحْرٌ؟

﴿٤﴾ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: رَبِّي يَعْلَمُ مَا أَخْفَيْتُمْ مِنَ الْحَدِيثِ، فَهُوَ يَعْلَمُ كُلَّ قَوْلٍ صَادَرَ مِنْ قَائِلِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، وَهُوَ السَّمِيعُ لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ، الْعَلِيمُ بِأَعْمَالِهِمْ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

﴿٥﴾ بَلْ تَرَدَّدُوا بِشَأْنِ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَتَارَةً قَالُوا: أَحْلَامٌ مُخْتَلِطَةٌ لَا تَأْوِيلَ لَهَا، وَقَالُوا تَارَةً: لَا، بَلْ اخْتَلَفَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَصْلٌ، وَقَالُوا تَارَةً: هُوَ شَاعِرٌ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي دَعْوَاهُ فَلْيَجْتَنِبْنَا بِمِعْجَزَةِ مِثْلِ الْأَوَّلِينَ مِنَ الرُّسُلِ، فَقَدْ جَاؤُوا بِالْمِعْجَزَاتِ، مِثْلَ عَصَا مُوسَى، وَنَاقَةَ صَالِحٍ.

﴿٦﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ هَؤُلَاءِ؟ وَمَا بَعَثْنَا قَبْلَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِلَّا رِجَالًا مِنَ الْبَشَرِ نُوحِي إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نَبْعَثْهُمْ مَلَائِكَةً، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّذِينَ نُرْسِلُهُمْ ذَوِي جَسَدٍ لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، بَلْ يَأْكُلُونَ كَمَا يَأْكُلُ غَيْرُهُمْ، وَمَا كَانُوا بَاقِيْنَ فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُونَ.

﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَا رُسُلَنَا مَا وَعَدْنَاهُمْ بِهِ حَيْثُ أَنْقَذْنَا مِنْهُمْ وَأَنْقَذْنَا مِنْ نَشْءٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْهَلَاكِ، وَأَهْلَكْنَا الْمُتَجَاوِزِينَ لِلْحُدُودِ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَارْتِكَابِهِمُ الْمَعَاصِيَ.

﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْقُرْآنَ فِيهِ شَرَفُكُمْ وَفَخْرُكُمْ إِنْ صَدَقْتُمْ بِهِ، وَعَمَلْتُمْ بِمَا فِيهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ذَلِكَ، فَتَسَارِعُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَضَمَّنَهُ؟! ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - قُرْبُ الْقِيَامَةِ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ الْاسْتِعْدَادَ لَهَا. ٢ - أَنَّ الْقُرْآنَ مُحَدَّثُ النَّزِيلِ حَسَبَ الْأَحْدَاثِ وَالْوَقَائِعِ. ٣ - انشغال القلوب باللهو بصرفها عن الحق. ٤ - عجز الباطل عن مواجهة الحق بالحجة. ٥ - إحاطة علم الله بما يصدر من عباده من قول أو فعل. ٦ - اختلاف المشركين في الموقف من النبي ﷺ يدل على تخبطهم واضطرابهم.
- ٧ - المعاند لا تنفع معه الحجج ولا المعجزات. ٨ - أن الله مع رسله والمؤمنين بالتأييد والعون على الأعداء. ٩ - القرآن شرف وعز لمن آمن به وعمل به.

﴿١١﴾ وما أكثر القرى التي أهلكتها بسبب ظلمها بالكفر، وخلقنا بعدها قومًا آخرين.
 ﴿١٢﴾ فلما شاهد المهلكون عذابنا المُستأصل، إذا هم من قريتهم يسرعون هربًا من الهلاك.
 ﴿١٣﴾ فينادون على وجه السخرية: لا تهربوا، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من التمتع بملذاتكم، وإلى مساكنكم؛ لعلكم تُسألون من دنياكم شيئًا.
 ﴿١٤﴾ قال هؤلاء الظالمون معترفين بذنبهم: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين لكفرنا بالله.
 ﴿١٥﴾ فما زال اعترافهم بذنبهم ودعاؤهم على أنفسهم بالهلاك دعوتهم التي يكررونها حتى صيرناهم مثل الزرع المحصود، ميتين لا حراكَ بهنَّ.

﴿١٦﴾ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لعبًا وعبثًا، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا.
 ﴿١٧﴾ لو أردنا اتخاذ صاحبة أو ولد لاتخذناه مما عندنا، وما كنا فاعلين ذلك لتزنها عنه.
 ﴿١٨﴾ بل نرمي بالحق الذي نوحيه به إلى رسولنا على باطل أهل الكفر فيدحضه، فإذا باطلهم ذاهب زائل، ولكم - أيها القائلون باتخاذ صاحبة وولدًا - الهلاك لو صفاكم له بما لا يليق به.

ولما كان اتخاذ صاحبة والولد منبئًا عن الافتقار بيننا وبين الله، أنه مالك هذا الكون، فقال:

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
 دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُنَّ
 أَلْفًا نَتَّخِذَنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ - وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا أَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ
 ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْتَلِعُ عَمَّا يُفَعِّلُ وَهُمْ يَسْتَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَعِيَ
 وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

﴿٢١﴾ وله سبحانه وحده ملك السماوات وملك الأرض، ومن عنده من الملائكة لا يتكبرون عن عبادته، ولا يتعبون منها.
 ﴿٢٢﴾ يواظبون على تسييح الله دائمًا، لا يملون منه.

﴿٢٣﴾ بل اتخذ المشركون آلهة من دون الله، لا يحيون الموتى، فكيف يعبدون عاجزًا عن ذلك؟!
 ﴿٢٤﴾ لو كان في السماوات والأرض معبودات متعددة لفسدنا بتنازع المعبودات في الملك، والواقع خلاف ذلك، فتنزه الله رب العرش عما يصفه به المشركون كذبًا من أن له شركاء.

﴿٢٥﴾ والله هو المتفرد في ملكه وقضائه، لا يسأله أحد عما قدره وقضى به، وهو يسأل عباده عن أعمالهم، ويجازيهم عليها.
 ﴿٢٦﴾ بل اتخذوا من دون الله معبودات، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججتكم على استحقاتها للعبادة، فهذا الكتاب المنزل علي، والكتب المنزلة على الرسل لا حجة لكم فيها، بل معظم المشركين لا يستندون إلا إلى الجهل والتقليد، فهم معرضون عن قبول الحق.

﴿٢٧﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الظلم سبب في الهلاك على مستوى الأفراد والجماعات.
- ٢ - ما خلق الله شيئًا عبثًا؛ لأنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن العبث.
- ٣ - غلبة الحق، ودحر الباطل سُنَّةٌ إلهية.
- ٤ - الملائكة مجبولون على طاعة الله، مخلوقون لها.
- ٥ - إبطال عقيدة الشرك بدليل التَّمَانِعِ.

﴿٢٥﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسولاً إلا نوحى إليه أنه لا معبود بحق إلا أنا فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي شيئاً.

﴿٢٦﴾ وقال المشركون: اتخذ الله الملائكة بنات، تَنْزَهُ سِجَانَهُ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُولُونَهُ مِنَ الكَذِبِ، بل الملائكة عباد الله، مكرمون منه، مقربون إليه.

﴿٢٧﴾ لا يتقدمون ربهم بقول، فلا ينطقون به حتى يأمرهم، وهم بأمره يعملون، فلا يخالفون له أمراً.

﴿٢٨﴾ يعلم سابق أعمالهم ولاحقها، ولا يسألون الشفاعة إلا بإذنه لمن ارتضى الشفاعة له، وهم من خوفه سبحانه حذرون، فلا يخالفونه في أمر ولا نهي.

﴿٢٩﴾ ومن يقل من الملائكة من باب الافتراض: إني معبود من دون الله، فإننا نجزيه على قوله بعداب جهنم يوم القيامة خالداً فيها، ومثل هذا الجزء نجزي الظالمين بالكفر والشرك بالله.

﴿٣٠﴾ أولم يعلم الذين كفروا بالله أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، لا فراغ بينهما فينزل منه المطر، ففصلنا بينهما، وجعلنا من الماء النازل من السماء إلى الأرض كل شيء من حيوان أو نبات، أفلا يعتبرون بذلك، ويؤمنون بالله وحده؟

﴿٣١﴾ وخلقنا في الأرض جبلاً ثابتة حتى لا تضطرب بمن عليها، وجعلنا فيها مسالك وطرقاً واسعة لعلمهم يهتدون في أسفارهم إلى مقاصدهم.

﴿٣٢﴾ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً من السقوط من غير عمد، ومحفوظاً من استيراق السمع، والمشركون عما في السماء من الآيات كالشمس والقمر معرضون لا يعتبرون.

﴿٣٣﴾ والله وحده هو الذي خلق الليل للراحة، وخلق النهار لكسب المعاش، وخلق الشمس علامة على النهار، والقمر علامة على الليل، كل من الشمس والقمر يجري في مداره الخاص به، لا ينحرف عنه ولا يميل.

﴿٣٤﴾ وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها الرسول - البقاء في هذه الحياة؟ أفإن انقضى أجلك في هذه الحياة ومث فهؤلاء باقون بعدك؟ كلا.

﴿٣٥﴾ كل نفس مؤمنة، أو كافرة ذائقة الموت في الدنيا، ونختبركم - أيها الناس - في الحياة الدنيا بالتكاليف والنعم والنقم، ثم بعد موتكم إينا لا إلى غيرنا ترجعون، فنجازيكم على أعمالكم.

﴿٣٦﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - اتفاق جميع الأنبياء على الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك.
- ٢ - تنزيه الله عن الولد.
- ٣ - منزلة الملائكة عند الله أنهم عباد خلقهم لطاعته، لا يوصفون بالذكورة ولا الأنوثة، بل عباد مكرمون.
- ٤ - الشفاعة لا تحصل إلا بإذن من الله، ورضاً عن المشفوع له.
- ٥ - خلقت السماوات والأرض وفق سنة التدرج، فقد خلقتا ملتصقتين، ثم فصل بينهما.
- ٦ - الموت سبيل كل حي، لا ينجو منه صالح ولا طالح.
- ٧ - الابتلاء كما يكون بالشرك يكون بالخير.

﴿٣٦﴾ وإذا رآك - أيها الرسول - هؤلاء المشركون لا يتخذونك إلا سخرية منقرنين أتباعهم بقولهم: أهذا هو الذي يسب آلهتكم التي تعبدونها؟ وهم مع السخرية بك بما أنزل الله عليهم من القرآن، وبما أعطاهم من النعم جاحدون، فهم أولى بالغيب لجمعهم كل سوء. ﴿٣٧﴾ طبع الإنسان على العجلة، فهو يستعجل الأشياء قبل وقوعها، ومن ذلك استعجال المشركين للعذاب، سأريكم - أيها المستعجلون لعذابي - ما استعجلتموه منه، فلا تطلبوا تعجيله.

﴿٣٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث على وجه الاستعجال: متى يكون ما تعدوننا به - أيها المسلمون - من البعث إن كنتم صادقين فيما تدعون من وقوعه؟

﴿٣٩﴾ لو يعلم هؤلاء الكفار المنكرون للبعث حين لا يصرفون النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم، وأن لا ناصر ينصرهم بدفع العذاب عنهم، لو يتقنوا ذلك لما استعجلوا العذاب.

﴿٤٠﴾ لا تأتيهم هذه النار التي يُعذبون بها عن علم، بل تأتيهم فجأة، فلا يقدر على ردها عنهم، ولا هم يُؤخرون حتى يتوبوا فتناهم الرحمة.

ولما عانى رسول الله ﷺ من استهزاء قومه به وتكذيبهم له سلاه الله بقوله:

﴿٤١﴾ ولئن سخر بك قومك فلست بدعًا في ذلك، فقد استهزئ برسل من قبلك - أيها الرسول - فأحاط بالكفار الذين كانوا يسخرون منهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا عندما تخوفهم رسلهم به.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: من يحفظكم بالليل والنهار مما يريد بكم الرحمن من إنزال العذاب والهلاك بكم؟ بل هم عن ذكر مواضع ربهم وحججه معرضون، لا يتدبرون شيئًا منها جهلاً وسفهاً.

﴿٤٣﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من عذابنا؟ لا يستطيعون نصر أنفسهم بدفع ضرعنا، ولا بجلب نفع لها، ومن لا ينصر نفسه فكيف ينصر غيره؟! ولا هم يُجارون من عذابنا.

﴿٤٤﴾ بل متعنا هؤلاء الكفار، ومتعنا آباءهم بما بسطنا عليهم من نعمنا؛ استدراجًا لهم حتى تطاول بهم الزمن فاغتروا بذلك، وأقاموا على كفرهم، أفلا يرى هؤلاء المغترّون بنعمنا المستعجلون بعذابنا أنا نأتي الأرض نقصها من جوانبها بقهرنا لأهلها، وغلبتنا لهم، فيعتبروا بذلك حتى لا يقع بهم ما وقع بغيرهم؟ فليس هؤلاء غاليين، بل هم مغلوبون.

﴿٤٥﴾ فإذ من الآيات:

١ - بيان كفر من يستهزئ بالرسول، سواء بالقول أو الفعل أو الإشارة.

٢ - من طبع الإنسان الاستعجال، والأناة خلق فاضل.

٣ - السخرية من الحق وأهله سلوك الكفار قديمًا وحديثًا.

٤ - لا يحفظ من عذاب الله إلا الله.

٥ - النعم للكافر استدراج له.

٦ - مآل الباطل الزوال، ومآل الحق البقاء.

وَأَذَارُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا

أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلهَتَكُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ الرِّحْمَانَ

هُمْ كَفْرًا ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ

آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ

لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا

هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا

يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ

بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ

الرِّحْمَانِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ

لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ

أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَّابِحُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ

وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي

الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٤٥﴾ قل - أيها الرسول -: إنما أخوفكم - أيها الناس - من عذاب الله بالوحي الذي يوحى إليه ربي، ولا يسمع الصم عن الحق ما يدعون إليه سماع قبول إذا خُوفوا من عذاب الله.

﴿٤٦﴾ ولئن مس هؤلاء المستعجلين بالعذاب نصيب من عذاب ربك - أيها الرسول - ليقولنَّ عندئذ: يا هلاكنا وخسراننا، إنا كنا ظالمين بالشرك بالله والتكذيب بما جاء به محمد ﷺ.

﴿٤٧﴾ وتُنصَب الموزن العادلة لأهل القيامة لتوزن بها أعمالهم، فلا تُظلم في ذلك اليوم نفس بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، وإن كان الموزون قليلاً مثل ما تزنه حبة خردل جثنا به، وكفى بنا مُحصين نحصي أعمال عبادنا.

﴿٤٨﴾ ولقد أعطينا موسى وهارون ﷺ الشورى فارقة بين الحلال والحرام، وهداية لمن آمنوا بها، وتذكيراً للمتقين لربهم.

﴿٤٩﴾ الذين يخافون عقاب ربهم الذي يؤمنون به مع أنهم لم يشاهدوه، وهم من الساعة وجلون.

﴿٥٠﴾ وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ ذكر لمن أراد أن يتذكر به وموعظة، كثير النفع والخير، أفأنتم له مع ذلك منكرون؟ غير مقرين بما فيه، ولا عاملين به؟

﴿٥١﴾ ولقد أعطينا إبراهيم الحجة على قومه في صغره وكنّا به عالمين، فأعطيناه ما يستحقّه في علمنا من الحجة على قومه.

﴿٥٢﴾ إذ قال لأبيه آزر ولقومه: ما هذه الأصنام التي صنعتموها بأيديكم، والتي أنتم مقيمون على عبادتها؟

﴿٥٣﴾ قال له قومه: وجدنا آباءنا يعبدونها، فعبدناها تأسياً بهم.

﴿٥٤﴾ قال لهم إبراهيم: لقد كنتم - أيها التابعون - أنتم وآباؤكم المتبعون في ضلال عن طريق الحق واضح.

﴿٥٥﴾ قال له قومه: أجبنا بالجد حين قلت ما قلت، أم أنت من الهازلين؟

﴿٥٦﴾ قال إبراهيم: بل جنتكم بالجد لا بالهزل، فربكم هو رب السماوات والأرض الذي خلقهن على غير مثال سابق، وأنا على أنه ربكم ورب السماوات والأرض من الشاهدين، وليس لأصنامكم حظ من ذلك.

﴿٥٧﴾ وقال إبراهيم بحيث لا يسمعه قومه: والله لأدبرنَّ لأصنامكم ما تكرهون بعد أن تذهبوا عنها إلى عيدكم.

﴿٥٨﴾ فإذن من الآيات:

١ - الجحود مانع من قبول الحق. ٢ - لا صبر للكفار على أقلّ درجات العذاب، فكيف بأشدّها؟ ٣ - نفع الإقرار بالذنب مشروط بمصاحبة التوبة قبل فوات أوانها. ٤ - ثبوت الميزان الذي توزن به أعمال العباد. ٥ - إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. ٦ - أهمية قوة الحجة في الدعوة إلى الله. ٧ - ضرر التقليد الأعمى. ٨ - الدعوة إلى الله دعوة جد لا دعوة هزل. ٩ - التدرج في تغيير المنكر، والبدء بالأسهل فالأسهل، فقد بدأ إبراهيم بتغيير منكر قومه بالقول والصدع بالحجة، ثم انتقل إلى التغيير بالفعل.

٥٨) فحطّم إبراهيم أصنامهم حتى صارت قطعاً صغيرة، وأبقى كبيرها رجاء أن يرجعوا إليه ليسألوه عن حطّمها.

٥٩) فلما رجعوا ووجدوا أصنامهم قد حطّمت سأل بعضهم بعضاً: من حطّم أصنامنا؟ إن من حطّمها لمن الظالمين، حيث حقر ما يستحق التعظيم والتقديس.

٦٠) قال من سمع إبراهيم يحلف بالله (ليكيّدن أصنامهم): سمعنا فتى يذكرهم بسوء ويعيهم يدعى إبراهيم، لعله هو الذي حطّمهم.

٦١) قال سادتهم: جيئوا بإبراهيم على مشهد من الناس ومرأى؛ لعلهم يشهدون على إقراره بما صنع، فيكون إقراره حجة لكم عليه.

٦٢) فجاؤوا بإبراهيم ﷺ فسألوه منكرين عليه: أنت فعلت هذا الفعل الشنيع بأصنامنا يا إبراهيم!؟

٦٣) قال إبراهيم - مُتهكماً بهم، مظهرًا عجز أصنامهم على مرأى من الناس -: ما فعلت ذلك، بل فعله كبير الأصنام، فاسألوا أصنامكم إن كانوا يتكلمون.

٦٤) فرجعوا إلى أنفسهم بالتفكير والتأمل، فتيّن لهم أن أصنامهم لا تنفع ولا تضر، فهم ظالمون حين عبدوها من دون الله.

٦٥) ثم عادوا للعناد والجحود، فقالوا: لقد أيقنت - يا إبراهيم - أن هذه الأصنام لا تنطق، فكيف تأمرنا أن نسألك؟ أرادوا ذلك حجة لهم، فكان حجة عليهم.

فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدَ إِبْرَاهِيمَ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ

٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ

عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ

هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ

هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ

أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ

رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ

أَفْتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ

وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ

٦٦) قال إبراهيم - منكرًا عليهم -: أفتعبدون من دون الله أصنامًا لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم، فهي عاجزة عن دفع الضرر عنها، أو جلب النفع لها.

٦٧) فُبَحًا لكم، وُقْبَحًا لما تعبدونه من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، أفلا تعقلون ذلك، وتركون عبادتها؟! فلما عجزوا عن مواجهته بالحجة لجأوا إلى القوة، فقالوا: حرّقوا إبراهيم بالنار؛ انتصارًا لأصنامكم التي هدمها وكسرها إن كنتم فاعلين به عقابًا رادعًا.

٦٨) فأوقدوا نارًا ورموه فيها، فقلنا: يا نار، كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم، فكانت كذلك، فلم يُصَبْ بأذى.

٦٩) وأراد قوم إبراهيم ﷺ به كيدًا بأن يحرقوه، فأبطلنا كيدهم، وجعلناهم الهالكين المغلوبين.

٧٠) وأنقذناه وأنقذنا لوطًا، وأخرجناهما إلى أرض الشام التي باركنا فيها؛ بما بعثنا فيها من الأنبياء، وبما بثناه فيها للمخلوقات من الخيرات.

٧١) ووهبنا له إسحاق حين دعا ربه أن يرزقه ولدًا، ووهبنا له يعقوب زيادة، وكلّ من إبراهيم وابنيه إسحاق ويعقوب صيّرناهم صالحين مطيعين لله.

فَوَالِدٌ مِن آلِ آدَمَ

١ - جواز استخدام الحيلة لإظهار الحق وإبطال الباطل. ٢ - تمسك أهل الباطل بباطلهم عائد إلى عنادهم، لا إلى قوة حجّتهم، ولا إلى ضعف حجة أهل الحق. ٣ - تعلق أهل الباطل بحجج يحسبونها لهم، وهي عليهم. ٤ - التعنيف في القول وسيلة من وسائل التغيير للمنكر إن لم يترتب عليه ضرر أكبر. ٥ - اللجوء لاستخدام القوة برهان على العجز عن المواجهة بالحجة. ٦ - نُصِرَ الله لعباده المؤمنين، وإنقاذه لهم من المحن من حيث لا يحتسبون.

﴿٧٣﴾ وصيّرناهم أئمة يهتدي بهم الناس في الخير، يدعون الناس إلى عبادة الله وحده بإذن منه تعالى، وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات، واثروا بالصلاة على أكمل وجه، وأدّوا الزكاة، وكانوا لنا مُتّقادين.

﴿٧٤﴾ ولوطاً أعطيناه فصل القضاء بين الخصوم، وأعطيناه علماً بأمر دينه، وسلّمناه من العذاب الذي أنزلناه على قريته (سدوم) التي كان أهلها يأتون الفاحشة، إنهم كانوا قوم فساد خارجين عن طاعة ربهم.

﴿٧٥﴾ وأدخلناه في رحمتنا إذ أنجيناه من العذاب الذي أصاب قومه، إنه من الصالحين الذين يأترون بأمرنا، ويتهون بنهينا.

﴿٧٦﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة نوح؛ إذ نادى الله من قبل إبراهيم ووط، فاستجبنا له بإعطائه ما طلب، فأنقذناه وأنقذنا أهله المؤمنين من الغمّ العظيم.

﴿٧٧﴾ ونجيناه من مكر القوم الذين كذبوا بما أيدناه به من الآيات الدالة على صدقه، إنهم كانوا قوم فساد وشر، فأهلكناهم أجمعين بالغرق.

﴿٧٨﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة داود وابنه سليمان عليهما السلام إذ يحكمان في قضية رُفعت إليهما بشأن خصمين: لأحدهما غنم انتشرت

وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا أَيَّدْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا دَاوُدَ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلَّمْنَا رِيحَ عَاصِفَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

ليلاً في حَرث الآخر فأفسدته، وكنا لحكم داود وسليمان شاهدين، لم يغب عنا من حكمهم شيء.

﴿٧٩﴾ فَفَهَّمْنَا الْقَضِيَةَ سُلَيْمَانَ دُونَ أَبِيهِ دَاوُدَ، وَكَلَّمْنَا مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ أُعْطِيَانِ النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ، لَمْ يَخْصُ بِهِ سُلَيْمَانَ وَحْدَهُ، وَطَوَّعْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ تَسْبِيحًا بِتَسْبِيحِهِ، وَطَوَّعْنَا لَهُ الطَّيْرَ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ لِذَلِكَ التَّفْهِيمِ وَإِعْطَاءِ الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ وَالتَّسْخِيرِ.

﴿٨٠﴾ وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ دُونَ سُلَيْمَانَ صِنَاعَةَ الدَّرْعِ لِتَحْمِيكُمْ مِنْ فِتْكَ السِّلَاحِ بِأَجْسَامِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - شَاكِرُونَ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ.

﴿٨١﴾ وَطَوَّعْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ شَدِيدَةَ الْهَوْبِ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِذَا أَمَرَهَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بِمَا بَعَثْنَا فِيهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبِمَا بَسَطَ فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿٨٢﴾ فَوَالِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - فعل الخير والصلاة والزكاة، مما اتفقت عليه الشرائع السماوية.
- ٢ - إنجاء أهل الحق، وإهلاك أهل الباطل سَنَّةَ إِلَهِيَّةٍ.
- ٣ - ارتكاب الفواحش سبب في وقوع العذاب المُسْتَأْصِلِ.
- ٤ - الصلاح سبب في الدخول في رحمة الله.
- ٥ - النصر نصيب أهل الحق على أهل الباطل.
- ٦ - الدعاء سبب في النجاة من الكروب.

﴿٨٢﴾ وسخرنا من الشياطين من يغوصون له في البحار يستخرجون اللؤلؤ وغيرها، ويعملون غير ذلك من الأعمال كالبناء، وكنا لأعدادهم وأعمالهم حافظين، لا يفوتنا شيء من ذلك.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة أيوب عليه السلام، إذ دعا ربه سبحانه حين أصابه البلاء قائلاً: يا رب، إنني أصيبت بالمرض وفقدت الأهل، وأنت أرحم الراحمين جميعاً، فاصرف عني ما أصابني من ذلك.

﴿٨٤﴾ فأجبنا دعوته، وصرفنا عنه ما أصابه من ضرر، وأعطيناه ما فقد من أهله وأولاده، وأعطيناه مثلهم معهم، كل ذلك فعلناه رحمة من عندنا، وتذكيراً لكل منقاد لله بالعبادة؛ ليصبر كما صبر أيوب.

﴿٨٥﴾ واذكر - أيها الرسول - إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام، كل واحد منهم من الصابرين على البلاء، وعلى القيام بما كلفهم الله به.

﴿٨٦﴾ وأدخلناهم في رحمتنا، فجعلناهم أنبياء، وأدخلناهم الجنة، إنهم من عباد الله الصالحين الذين عملوا بطاعة ربهم، وصلحت سرائرهم وعلانياتهم.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة صاحب الحوت يونس عليه السلام، إذ ذهب دون إذن من ربه مغاضباً قومه لتماديهم في العصيان، فظن أننا لن نضيق عليه بعقابه على ذهابه، فابتلي بشدة الضيق والحبس حين التقمه الحوت، فدعا في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل؛ مقرأً بذيته تائباً إلى الله منه، فقال: لا معبود بحق غيرك، تنزهت وتقدس، إني كنت من الظالمين.

﴿٨٨﴾ فاجبنا دعوته، ونجينا من كرب الشدة بإخراجه من الظلمات، ومن بطن الحوت، ومثل إنجاء يونس من كربته هذا نتجي المؤمنين إذا وقعوا في كرب ودعوا الله.

﴿٨٩﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة زكريا عليه السلام، إذ دعا ربه سبحانه قائلاً: رب، لا تتركني منفرداً لا ولد لي، وأنت خير الباقيين، فارزقني ولداً يبقى بعدي.

﴿٩٠﴾ فأجبنا له دعوته، وأعطيناه يحيى ولداً، وأصلحنا زوجه، فصارت ولوداً بعد أن كانت لا تلد، إن زكريا وزوجه وابنه كانوا يسارعون إلى فعل الخيرات، وكانوا يدعوننا راغبين فيما عندنا من الثواب، خائفين مما عندنا من العقاب، وكانوا لنا متضرعين.

﴿٩١﴾ فإذن من الآيات:

١ - الصبر خلق الأنبياء عليهم السلام.

٢ - الصلاح سبب للرحمة.

٣ - الإقرار بالذنب أدب من آداب الدعاء.

٤ - الالتجاء إلى الله وسيلة لكشف الكرب.

٥ - فضل طلب الولد ليبقى بعد الإنسان إذا مات.

٦ - من تعرّف إلى الله في الرخاء عرفه الله في الشدة.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
 وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ
 أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾
 وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلْتِنَانٍ جُوعُونَ ﴿٩٣﴾
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ
 لِسَعِيهِ، وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٤﴾ وَكَرَّمْ عَلَى قَرْبَةٍ
 أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ
 يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
 وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يُنَادُونَ يَا لَنْدَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا
 ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ
 هَتُولَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُّوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿٩١﴾ واذكر - أيها الرسول - قصة مريم عليها السلام
 التي صانت فرجها من الزنا، فأرسل الله إليها
 جبريل عليه السلام، فنفخ فيها فحملت بعيسى عليه السلام،
 وكانت هي وابنها عيسى علامة للناس على
 قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيء حيث خلقه من
 غير أب.
 ﴿٩٢﴾ إن هذه ملتكم - أيها الناس - ملة واحدة،
 وهي التوحيد الذي هو دين الإسلام، وأنا
 ربكم، فأخلصوا العبادة لي وحدي.
 ﴿٩٣﴾ وتفرق الناس، فصار منهم الموحّد
 والمشرک والكافر والمؤمن، وكل هؤلاء
 المتفرقين إلينا وحدنا راجعون يوم القيامة،
 فنجازيهم على أعمالهم.
 ﴿٩٤﴾ فمن عمل منهم الأعمال الصالحات وهو
 مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر فلا جحود
 لعمله الصالح، بل يضاعف الله له ثوابه،
 ويجده في كتاب عمله يوم يبعث، فيسرّ به.
 ﴿٩٥﴾ ومستحيل على أهل قرية أهلكتناها بسبب
 كفرها أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليتوبوا وتقبل
 توبتهم.
 ﴿٩٦﴾ لا يرجعون أبداً حتى إذا فُتح سدّ يأجوج
 ومأجوج، وهم يومئذ من كل مرتفع من
 الأرض يخرجون مسرعين.
 ﴿٩٧﴾ واقتربت القيامة بخروجهم، وظهرت

أهوالها وشدائدها، فإذا أبصار الكفار مفتوحة من شدة هولها يقولون: يا هلاكنا، قد كنا في الدنيا في لهو
 وانشغال عن الاستعداد لهذا اليوم العظيم، بل كنا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.
 ﴿٩٨﴾ إنكم - أيها المشركون - وما تعبدونه من دون الله من الأصنام، وممن يرضى بعبادتكم له من الإنس
 والجن وقود جهنم، أنتم ومعبوداتكم لها داخلون.
 ﴿٩٩﴾ لو كانت هذه المعبودات آلهة تُعبد بحق ما دخلوا النار مع من عبدوهم، وكل من العابدين والمعبودين في
 النار، ما كانوا فيها أبداً لا يخرجون منها.
 ﴿١٠٠﴾ لهم فيها من شدة ما يلاقونه من الآلام أنين وتنفس شديد، وهم في النار لا يسمعون الأصوات من شدة
 الهول المُفرع الذي أصابهم.
 ﴿١٠١﴾ ولما قال المشركون: (إن عيسى والملائكة الذين عُبدوا سيدخلون النار) قال الله: إن الذين سبق في
 علم الله أنهم من أهل السعادة مثل عيسى عليه السلام مبعدون عن النار.
 ﴿١٠٢﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - التنويه بالعفاف وبيان فضله.
- ٢ - اتفاق الرسالات السماوية في التوحيد وأسس العبادات.
- ٣ - الإيمان شرط لقبول العمل الصالح.
- ٤ - فُتح سدّ يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى.
- ٥ - الغفلة عن الاستعداد ليوم القيامة سبب لمعاناة أهوالها.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
 خَلِدُونَ ﴿١١٦﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
 ﴿١١٧﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا
 بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ بُعِيدَهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا بِآثَانَا فَاعْبُدِينَا
 ﴿١١٨﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَاتِ الْأَرْضُ
 بِرِثْهَا عِبَادِيَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٩﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا
 لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
 ﴿١٢١﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ
 عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٢٣﴾
 إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
 ﴿١٢٤﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ جِئْتُمُ
 رَبِّي أَحْكَمَ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٢٥﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

٧٨

٢٢

﴿١١٦﴾ لا يصل إلى سمعهم صوت جهنم، وهم فيما اشتهته أنفسهم من النعيم والملاذات ما كاثون، لا ينقطع نعيمهم أبدًا.

﴿١١٧﴾ لا يخيفهم الهول العظيم حين تطبق النار على أهلها، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة قائلين: هذا يومكم الذي كنتم توعدون به في الدنيا، وتبشرون بما تلاقون فيه من النعيم.

﴿١١٨﴾ يوم نطوي السماء مثل طي الصحيفة على ما فيها، ونحشر الخلق على هيئتهم التي خلقوا بها أول مرة، وعدنا بذلك وعدًا لا تخلف فيه، إنا كنا منجزين ما نعد به.

﴿١١٩﴾ ولقد كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الرسل من بعد ما كتبناه في اللوح المحفوظ: أن الأرض يرثها عباد الله الصالحون العاملون بطاعته، وهم أمة محمد ﷺ.

﴿١٢٠﴾ إن فيما أنزلناه من الوعظ لبلاغًا لقوم عابدين ربهم بما شرعه لهم، فهم الذين يتفجعون به.

﴿١٢١﴾ وما بعثناك - يا محمد - رسولًا إلا رحمة لجميع الخلق؛ لما تتصف به من الحرص على هداية الناس وإنقاذهم من عذاب الله.

﴿١٢٢﴾ قل - أيها الرسول -: إنما يوحى إلي من ربي أنما معبودكم بحق معبود واحد، لا شريك له وهو الله، فانقادوا للإيمان به، والعمل بطاعته.

﴿١٢٣﴾ فإن أعرض هؤلاء عما جئتهم به، فقل - أيها الرسول - لهم: أعلمتكم أنني وإياكم على أمر مستو بيني وبينكم من المفاصلة، ولست أعلم متى ينزل بكم ما وعد الله به من عذابه.

﴿١٢٤﴾ إن الله يعلم ما أعلنتم من القول، ويعلم ما تكتُمونه منه، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجزىكم عليه. ولست أدري هل إمهالكم بالعذاب اختبار لكم، واستدراج، وتمتيع لكم إلى أمد مقدر في علم الله؛ لتتمادوا في كفركم وضلالكم؟

﴿١٢٥﴾ قال رسول الله ﷺ داعيًا ربه: رب، افصل بيننا وبين قومنا الذين أصرّوا على الكفر بالقضاء الحق، وبربنا نستعين على ما تقولون من الكفر والتكذيب.

﴿فَوَاوِلَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - الصلاح سبب للتمكين في الأرض.
- ٢ - النبي ﷺ رحمة للعالمين.
- ٣ - الرسول ﷺ لا يعلم الغيب.
- ٤ - علم الله بما يصدر من عباده من قول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآتَاهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّكُمْ وَنَقَرَفِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرْدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على قضية التعظيم والاستسلام لله من خلال عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية، ولذلك افتتحت بالتحذير وتضمنت سجدين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم بامثال ما أمركم به، والكف عما نهاكم عنه، إن ما يصاحب القيامة من زلزلة الأرض وغيرها من الأحوال أمر عظيم، يجب الاستعداد له بالعمل بما يرضي الله، يوم تشاهدونها تغفل كل مرضعة عن رضيعها، وتسقط كل صاحبة حمل حملها من شدة الخوف، وترى الناس من غياب عقولهم مثل السكران من شدة هول الموقف، وليسوا سكارى من شرب الخمر، ولكن عذاب الله شديد، فقد أفقدهم عقولهم.

ولما ذكر الله ما يصاحب قيام الساعة من أهوال رَدَّ على الذين ينكرون القيامة والبعث، فقال:

﴿٢﴾ ومن الناس من يخاصم في قدرة الله على بعث الأموات دون علم يستند إليه، ويتبع في اعتقاده وقوله كل متمرد على ربه من الشياطين، ومن أئمة الضلال.

﴿٣﴾ كُتِبَ على ذلك المتمرد من شياطين الإنس والجن أن من اتبعه وصدق به فإنه يضل عن طريق الحق، ويسوقه إلى عذاب النار بما يقوده إليه من الكفر والمعاصي.

﴿٤﴾ يا أيها الناس إن كان لديكم شك في قدرتنا على بعثكم بعد الموت، فتأملوا في خلقكم؛ فقد خلقنا أباكم آدم من تراب، ثم خلقنا ذريته من مني يقذفه الرجل في رحم المرأة، ثم يتحول المنى دماً جامداً، ثم يتحول الدم الجامد إلى قطعة لحم، ثم تتحول قطعة اللحم إما إلى خلق سوي يبقى في الرحم حتى يخرج مولوداً حياً، وإما إلى خلق غير سوي يسقطه الرحم؛ لنبين لكم قدرتنا بخلقكم أطواراً، ونثبت في الأرحام ما نشاء من الأجنة حتى يولد في أجل محدد وهو تسعة أشهر، ثم نخرجكم أطفالاً، ثم لتصلوا إلى كمال القوة والعقل، ومنكم من يموت قبل ذلك، ومنكم من يعيش حتى يبلغ سن الهرم حيث تضعف القوة ويضعف العقل، حتى يصير أسوأ حالاً من الصبي، لا يعلم شيئاً مما كان يعلمه، وترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر فتفتحت عن النبات، وارتفعت بسبب نمو نباته، وأخرجت من كل صنف من النباتات جميل المنظر.

﴿٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - وجوب الاستعداد ليوم القيامة بزيادة التقوى.
- ٢ - ثبوت الحنان للأمهات لا سيما في حالة الإرضاع.
- ٣ - شدة أهوال القيامة.
- ٤ - منكر البعث لا يستند إلى حجة.
- ٥ - التدرج في الخلق سنة إلهية.
- ٦ - دلالة الخلق الأول على إمكان البعث.
- ٧ - ظاهرة المطر وما يتبعها من إنبات الأرض دليل ملموس على بعث الأموات.

① ذلك الذي ذكرنا لكم - من بدء خلقكم وأطواره وأحوال من يولد منكم - لأجل أن تؤمنوا بأن الله الذي خلقكم هو الحق الذي لا شك فيه، بخلاف ما تعبدون من أصنامكم، وتؤمنوا بأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

② ولتؤمنوا بأن الساعة آتية لا شك في إتيانها، وأن الله يبعث الموتى من قبورهم ليجازيهم على أعمالهم.

ولما ذكر الله سبحانه حال الضلال بسبب التقليد في الآية الثالثة ذكر حال ضلال رؤوس الكفر في هذه الآية فقال:

③ ومن الكفار من يجادل في توحيد الله، وفي إرساله رسوله بالهدى بغير مستند من عقل صحيح، أو نقل صحيح صريح، بل لمجرد هواه.

④ لاويًا عنقه تكبرًا ليعرف الناس عن الإيمان والدخول في دين الله، لمن هذا وصفه ذل في الدنيا بما يلحقه من عقاب، ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة.

⑤ ويقال له: ذلك العذاب الذي ذقته بسبب ما اكتسبته من الكفر والمعاصي، والله لا يعذب أحدًا من خلقه إلا بذنب.

⑥ ومن الناس مضطرب يعبد الله على شك، فإن أصابه خير من صحة وغنى استمر على إيمانه وعبادته لله، وإن أصابه ابتلاء بمرض وفقر تشاءم بدينه فارتد عنه، خسر دنياه، فلن يزيد كفره حظًا من الدنيا لم يكتب له، وخسر آخرته بما يلقاه من عذاب الله، ذلك هو الخسران الواضح.

⑦ يعبد من دون الله أصنامًا لا تضره إن عصاها، ولا تنفعه إن أطاعها، ذلك الدعاء لأصنام لا تضر ولا تنفع هو الضلال البعيد عن الحق.

⑧ يدعو هذا الكافر الذي يعبد الأصنام من ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود، لساء المعبود الذي ضره أقرب من نفعه، ساء ناصرًا لمن يستنصره، وصاحبًا لمن يصحبه.

⑨ إن الله يدخل الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحات جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من رحمة من يرحمه، وعقاب من يعاقبه، لا مكره له سبحانه.

⑩ من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى سماء بيته، ثم ليختنق به بقطع نفسه عن الأرض، ثم لينظر هل يذهب ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، فالله ناصر نبيه، شاء المعاند أم أبي.

❁ فإذ من الآيات:

١ - الكبر خلق يمنع من التوفيق للحق.

٢ - من عدل الله أنه لا يعاقب إلا على ذنب.

٣ - الإيمان والعمل الصالح سبب دخول الجنة.

٤ - الله ناصر نبيه ودينه ولو كره الكافرون.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

⑥ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي

الْقُبُورِ ⑦ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى

وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ⑧ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي

الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ⑨ ذَلِكَ

بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يَظْلِمُ لِّلْعَبِيدِ ⑩ وَمِنَ النَّاسِ

مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ

فِتْنَةٌ ائْتَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ⑪ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ

وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ⑫ يَدْعُوا لَمَن

ضُرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ⑬

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ⑭ مَن كَانَ

يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَىٰ

السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِظُ ⑮

شك، فإن أصابه خير من صحة وغنى استمر على إيمانه وعبادته لله، وإن أصابه ابتلاء بمرض وفقر تشاءم بدينه فارتد عنه، خسر دنياه، فلن يزيد كفره حظًا من الدنيا لم يكتب له، وخسر آخرته بما يلقاه من عذاب الله، ذلك هو الخسران الواضح.

⑦ يعبد من دون الله أصنامًا لا تضره إن عصاها، ولا تنفعه إن أطاعها، ذلك الدعاء لأصنام لا تضر ولا تنفع هو الضلال البعيد عن الحق.

⑧ يدعو هذا الكافر الذي يعبد الأصنام من ضرره المحقق أقرب من نفعه المفقود، لساء المعبود الذي ضره أقرب من نفعه، ساء ناصرًا لمن يستنصره، وصاحبًا لمن يصحبه.

⑨ إن الله يدخل الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحات جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، إن الله يفعل ما يريد من رحمة من يرحمه، وعقاب من يعاقبه، لا مكره له سبحانه.

⑩ من كان يظن أن الله لا ينصر نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى سماء بيته، ثم ليختنق به بقطع نفسه عن الأرض، ثم لينظر هل يذهب ذلك ما يجده في نفسه من الغيظ، فالله ناصر نبيه، شاء المعاند أم أبي.

﴿١٦﴾ وكما بينا لكم الحجج الواضحة على البعث أنزلنا على محمد ﷺ القرآن آيات واضحة، وأن الله يوفق بفضل من يشاء لسبيل الهداية والرشاد.

﴿١٧﴾ إن الذين آمنوا بالله وهم: المؤمنون من هذه الأمة، واليهود، والصابئين (طائفة من أتباع بعض الأنبياء)، والنصارى، والمجوس (عبدة النار)، وعبدة الأوثان، إن الله يقضي بينهم يوم القيامة فيدخل المؤمنين منهم الجنة، ويدخل غيرهم النار، إن الله على كل شيء من أقوال عباده وأعمالهم شهيد، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١٨﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسجد له سجد طاعة من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من مؤمني الإنس والجن، وتسجد له الشمس، ويسجد له القمر، وتسجد له النجوم في السماء، والجبال والشجر والدواب في الأرض؛ سجدوا انقياداً، ويسجد له كثير من الناس سجد طاعة، وكثير يمتنع عن السجود له طاعة، فحق عليهم عذاب الله لكفرهم، ومن يقض الله عليه بالذلة والمهانة لكفره فليس له أحد يكرمه، إن الله يفعل ما يشاء، فلا مكره له سبحانه.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُمِِنَ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِن مَّكْرَمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾
 هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَيْبِهِمَا فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّن حديدٍ ﴿٢١﴾ كَلِمًا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِّنْ غَيْرِ أَعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
 إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرٍ مِّن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾



ولما بين الله ﷻ من يسجد له طاعة ومن يمتنع، عَقَّب ذلك بمصير كل منهما فقال:

- ﴿١٦﴾ هذان فريقان متخاصمان في ريبهم أيهم المُحَقِّق: فريق الإيمان، وفريق الكفر، ففريق الكفر تحيط بهم النار مثل إحاطة الثياب بلباسها، ويصَّب من فوق رؤوسهم الماء المتناهي في الحرارة.
- ﴿١٧﴾ يُذَاب به ما في بطونهم من الأحشاء من شدة حره، ويصل إلى جلودهم فيذيبها.
- ﴿١٨﴾ ولهم في النار مطارق من حديد تضرب الملائكة بها رؤوسهم.
- ﴿١٩﴾ كلما حاولوا الخروج من النار من شدة ما يلاقونه فيها من الكرب رُدُّوا إليها، وقيل لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق.
- ﴿٢٠﴾ وفريق الإيمان وهم الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات يدخلهم الله في جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، يزينهم الله بتحليتهم بأسورة من الذهب، ويزينهم بالتحلية باللؤلؤ، ويكون لباسهم فيها الحرير.

﴿٢١﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - الهداية بيد الله يمنحها من يشاء من عباده.
- ٢ - رقابة الله على كل شيء من أعمال عباده وأحوالهم.
- ٣ - خضوع جميع المخلوقات لله قدراً، وخضوع المؤمنين له طاعة.
- ٤ - العذاب نازل بأهل الكفر والعصيان، والرحمة ثابتة لأهل الإيمان والطاعة.

﴿١٤﴾ وأرشدهم الله في الحياة الدنيا إلى طيب الأقوال كشهادة أن لا إله إلا الله، والتكبير والتحميد، وأرشدهم إلى طريق الإسلام المحمود.

﴿١٥﴾ إن الذين كفروا بالله، ويصرفون غيرهم عن الدخول في الإسلام، ويصدون الناس عن المسجد الحرام، مثل ما فعل المشركون عام الحديبية، ذلك المسجد الذي جعلناه قبلة للناس في صلاتهم ومنسكًا من مناسك الحج والعمرة، يستوي فيه المكي المقيم فيه، والطارئ فيه من غير أهل مكة، ومن بهم فيه بأمر قطع من المعاصي عامدًا نذقه من عذاب مؤلم.

﴿١٦﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ بينا إبراهيم مكان البيت وحدوده بعد أن كان مجهولاً، وأوحينا إليه أن لا تشرك بعبادتي شيئاً، بل اعبدي وحدي، وطهر بيتي من الأنجاس الحسية والمعنوية للطائفين به، والمصلين فيه.

﴿١٧﴾ وناد في الناس داعياً إياهم إلى حج هذا البيت الذي أمرناك ببنائه؛ بأتوك مشاةً أو ركباناً على كل بعير مهزول مما عانى من السير، تأتي بهم الإبل تحملهم من كل طريق بعيد.

﴿١٨﴾ ليحضروا ما يعود لهم بالنفع من مغفرة الذنوب، والحصول على الثواب، وتوحيد الكلمة وغير ذلك، وليذكروا اسم الله على ما يذبحونه من الهدايا في أيام معلومات هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله

على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من هذه الهدايا، وأطعموا منها من كان شديد الفقر.

﴿١٩﴾ ثم ليقضوا ما بقي عليهم من مناسك حجهم، ويتحللوا بخلق رؤوسهم وقص أظفارهم وإزالة الوسخ المتراكم عليهم بسبب الإحرام، وليوفوا بما أوجبوا على أنفسهم من حج أو عمرة أو هدي، وليطوفوا طواف الإفاضة بالبيت الذي أعتقه الله من تسلط الجبابرة عليه.

﴿٢٠﴾ ذلك الذي أمرتم به من التحلل بخلق الرأس وقص الأظفار وإزالة الأوساخ، والوفاء بالنذر والطواف بالبيت هو ما أوجه الله عليكم، فعظمو ما أوجه الله عليكم، ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه؛ تعظيمًا منه لحدود الله أن يواقعها، وحرمانها أن يستحلها فهو خير له في الدنيا والآخرة عند ربه سبحانه، وأبيحت لكم - أيها الناس - الأنعام من الإبل والبقر والغنم، فلم يحرم عليكم منها حاميًا ولا بحيرةً ولا وصيلةً، فلم يحرم منها إلا ما تجدونه في القرآن من حرمة الميتة والدم وغيرهما، فابتعدوا عن القدر الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن الكذب وشهادة الزور.

﴿٢١﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - خلو الجنة من المنعصات القولية والفعلية.
- ٢ - حرمة البيت الحرام تقتضي الاحتياط من المعاصي فيه أكثر من غيره.
- ٣ - وجوب تطهير بيوت الله من النجاسات المعنوية والحسية.
- ٤ - بيت الله مأوى أئمة المؤمنين في كل زمان ومكان.
- ٥ - منافع الحج عائدة إلى الناس سواء الدنيوية أو الأخروية.
- ٦ - شكر النعم يقتضي العطف على الضعفاء.
- ٧ - وجوب تطهير القلوب من العقائد الفاسدة، وتطهير الألسنة من الكذب.

﴿٣١﴾ اجتنبوا ذلك ماثلين عن كل دين سوى دينه المُرْتَضَى عنده، غير مشركين به في العبادة أحدًا، ومن يشرك بالله فكأنما سقط من السماء، فإما أن تخطف الطير لحمه وعظامه، أو تقذفه الريح في مكان بعيد.

﴿٣٢﴾ ذلك ما أمر الله به من توحيده والإخلاص له، واجتناب الأوثان وقول الزور. ومن يعظم معالم الدين - ومنها الهدى ومناسك الحج - فإن تعظيمها من تقوى القلوب لربها.

﴿٣٣﴾ لكم في الهدايا التي تنحرونها بالبيت منافع، مثل الركوب والصوف والنسل واللبن إلى أجل محدد بوقت ذبحها عند القرب من بيت الله الذي أعتقه من تسلط الجبابرة.

﴿٣٤﴾ ولكل أمة ماضية جعلنا منسكًا لإراقة الدماء قربانًا لله؛ رجاء أن يذكروا اسم الله على ما يذبحونه من تلك القرابين عند الذبح؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فمعبودكم بحق - أيها الناس - معبود واحد لا شريك له، فله وحده انقادوا بالإذعان والطاعة، وأخبر - أيها الرسول - الخاشعين المخلصين بما يسرهم.

﴿٣٥﴾ الذين إذا ذُكِرَ الله خافوا من عقابه، فابتعدوا عن مخالفة أمره، وأدوا الصلاة تامة، ويصبرون إن أصابهم بلاء، وينفقون في وجوه

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

السَّمَاءِ فَتَخَفَطُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ

الْعَتِيقِ ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ

اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهَا كَالْبَهْمِ الْوَحِيدِ

فَلَهُمْ أَسْلُمُوا وَيُبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ

قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ

اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِجَتْ

جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَنَاعِ وَالْمَعْتَرِ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا

وَلَكِنْ يَبَالُهَا التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا

اللَّهِ عَلَى مَا هَدَىٰكُمْ وَيُبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ

يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

البر مما رزقهم الله.

﴿٣٦﴾ والبُدْنُ التي تُهْدَى إلى البيت جعلناها لكم من شعائر الدين وأعلامه، لكم فيها منافع دينية ودنيوية، فقولوا: (بسم الله) عند نحرها بعد أن تصف قوائمها وهي قائمة قد عقلت إحدى يديها حتى لا تشرد، فإذا سقطت بعد النحر على جنبها، فكلوا - أيها المُهْدُونَ - منها، وأعطوا منها الفقير الذي يتعفف عن السؤال، والفقير الذي يتعرض ليعطى منها، كما ذللناها لكم لتحملوا عليها وتركبوها ذللناها لكم فانقادت إلى حيث تنحرونها؛ تقريبًا لله لعلكم تشكرون الله على نعمة تذليلها لكم.

﴿٣٧﴾ لن يصل إلى الله لحوم ما تقدمونه من هدايا ولا دماؤها، ولن تُرْفَعَ إليه، لكن يرفع إليه اتقاؤكم الله فيها؛ بأن تخلصوا له في امتثالكم للتقرب بها إليه، كذلك ذللها الله لكم لتكبروا الله شاكرين إياه على ما وفقكم له من الحق، وأخبر - أيها الرسول - المحسنين في عبادتهم لربهم، وفي تعاملهم مع خلقه بما يسرهم.

﴿٣٨﴾ إن الله يدفع عن الذين آمنوا بالله شر أعدائهم، إن الله لا يحب كل خوان لأمانته، جحود لنعم الله، بل يبعثه.

﴿٣٩﴾ فَوَالَّذِينَ نَادَى:

١ - صَرَّبَ المثل لتقريب الصور المعنوية بجعلها في ثوب حسي مقصد تربوي عظيم. ٢ - تعظيم شعائر الدين نابع من تقوى القلوب. ٣ - المنتفع بالطاعة هو العبد. ٤ - فضل التواضع. ٥ - الهدى من شعائر الله. ٦ - إطعام الفقير المتعفف والسائل مقصد من مقاصد تشريع الهدى. ٧ - قبول الأعمال منوط بالإخلاص لله. ٨ - الإحسان سبب للسعادة. ٩ - الإيمان سبب لدفاع الله عن العبد ورعايته له.

ولما بين الله ﷻ أنه يدافع عن المؤمنين، فاطمأنت نفوسهم أذن لهم في قتال الكفار، فقال:

﴿٤٣﴾ أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلهم المشركون بالقتال؛ لما وقع عليهم من ظلم أعدائهم لهم، وإن الله على نصر المؤمنين على عدوهم دون قتال لقدير، لكن حكيمته اقتضت أن يختبر المؤمنين بقتال الكافرين.

﴿٤٤﴾ الذين أخرجهم الكفار من ديارهم ظلماً، لا لجرم ارتكبوه إلا أنهم قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، ولولا ما شرعه الله للأنبياء وللمؤمنين من قتال أعدائهم لاعتدوا على مواطن العبادة، فهدموا صوامع الرهبان، وكنائس النصراني، ومعابد اليهود، ومساجد المسلمين المعدة للصلاة، فيها يذكر المسلمون الله ذكراً كثيراً، ولينصرون الله من ينصر دينه ونيبه، إن الله لقوي على نصر من ينصر دينه، عزيز لا يغالبه أحد.

﴿٤٥﴾ هؤلاء الموعودون بالنصر هم الذين إن مكناهم في الأرض بالنصر على أعدائهم أدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالهم، وأمروا بما أمر به الشرع، ونهوا عما نهى عنه، والله وحده مرجع الأمور في الثواب عليها والعقاب.

﴿٤٦﴾ وإن يكذبك - أيها الرسول - قومك، فاصبر فلست أول من كذبه قومه من الرسل، فقد كذب قبل قومك قوم نوح، وكذبت عاد هوداً، وثمود صالحاً.

﴿٤٧﴾ وكذب قوم إبراهيم إبراهيم، وكذب قوم لوط لوطاً.

﴿٤٨﴾ وكذب أصحاب مدين شعبياً، وكذب فرعون وقومه موسى، فأخزرت عن أقوامهم العقوبة استدراجاً لهم، ثم أخذتهم بالعذاب، فتأمل كيف كان إنكاري عليهم، فقد أهلكتهم بسبب كفرهم.

﴿٤٩﴾ فما أكثر القرى التي أهلكناها - وهي ظالمة بكفرها - بعذاب مستأصل، فديارها مهدمة خالية من سكانها، وما أكثر الآبار الخالية من ورائها لهلاكهم، وما أكثر القصور العالية المزخرفة التي لم تحصن ساكنيها من العذاب.

﴿٥٠﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذوبون بما جاء به الرسول ﷻ في الأرض؛ ليعاينوا آثار تلك القرى المهلكة، فيتفكروا بعقولهم ليعتبروا، ويسمعوا قصصهم سماع قبول ليتعظوا، فإن الثابت أن العمى ليس عمى البصر، بل العمى المهلك المردي هو عمى البصيرة، بحيث لا يكون لصاحبه اعتبار ولا اتعاض.

﴿٥١﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - الجهاد امتحان للمؤمن.
- ٢ - إثبات صفتي القوة والعزة لله.
- ٣ - إثبات مشروعية الجهاد؛ للحفاظ على مواطن العبادة.
- ٤ - النصر حليف من ينصر الدين.
- ٥ - إقامة الدين سبب لنصر الله لعبيده المؤمنين.
- ٦ - تسلية الرسول ﷻ بأنه ليس الوحيد الذي كذبه قومه، وبأن مصير المكذبين الهلاك.
- ٧ - عمى القلوب مانع من الاعتبار بآيات الله.

﴿٤٧﴾ ويستعجلك - أيها الرسول - الكفار من قومك بالعذاب المُعَجَّل في الدنيا وبالعذاب المُؤَجَّل في الآخرة لما أنذروا بهما، ولن يخلفهم الله ما وعدهم به منه، ومن المُعَجَّل ما حل بهم يوم بدر، وإن يوماً من العذاب في الآخرة مثل ألف سنة مما تعدون من سني الدنيا بسبب ما فيه من العذاب.

﴿٤٨﴾ وما أكثر القرى التي أمهلتها بالعذاب وهي ظالمة لكفرها، ولم أعاجلها به استدراجاً لها، ثم أخذتها بعذاب مُسْتَأْصِل، والتي وحدي مرجعهم يوم القيامة، فأجازهم على كفرهم بالعذاب الدائم.

﴿٤٩﴾ يا أيها الناس، إنما أنا لكم منذر أبلغكم ما أرسلت به، واضح في إنذاري.

﴿٥٠﴾ فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات لهم من ربهم مغفرة لذنوبهم، ولهم رزق كريم في الجنة لا ينقطع أبداً.

﴿٥١﴾ والذين سعوا في التكذيب بآياتنا مُقَدَّرِينَ أنهم سيعجزون الله ويفوتونه فلا يعذبهم، أولئك أصحاب الجحيم يلازمونها كما يلازم صاحب صاحبه.

﴿٥٢﴾ وما بعثنا من قبلك - أيها الرسول - من رسول ولا نبي إلا إذا قرأ كتاب الله ألقى الشيطان في قراءته ما يكون شبهة، فيبطل الله ما يلقيه الشيطان

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلْنَا لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا إِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمِّيَّتِهِ ۚ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۖ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيضَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ۖ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

من الوسواس، ويثبت آياته، والله عليم بكل شيء، لا يخفي عليه شيء، حكيم في خلقه وتقديره وتدييره.

﴿٥٢﴾ يُلْقِي الشيطان في قراءة النبي ليصير الله ما يلقيه امتحاناً للمنافقين، وللذين قست قلوبهم من المشركين، وإن الظالمين من المنافقين والمشركين لفي عداوة لله ورسوله ويُعَدُّ عن الحق والرشاد.

﴿٥٣﴾ وليتقن الذين أعطاهم الله العلم أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو الحق الذي أوحى به الله إليك - أيها الرسول - فيزدادوا إيماناً به، وتخضع له قلوبهم وتخضع، وإن الله لهادي الذين آمنوا به إلى طريق الحق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه؛ جزاء لهم على خضوعهم له.

﴿٥٤﴾ ولا يزال الذين كفروا بالله وكذبوا برسوله في شك مما أنزل الله عليك من القرآن، مستمرين حتى تأتيهم الساعة فجأة وهم على ذلك، أو يأتيهم عذاب يوم لا رحمة فيه ولا خير، وهو يوم القيامة بالنسبة لهم.

﴿٥٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - الظلم من أسباب هلاك الأمم.
- ٢ - استدراج الظالم حتى يتمادى في ظلمه سنَّة إلهية.
- ٣ - حفظ الله لكتابه من التبديل والتحرif وصراف مكابيد أعوان الشيطان عنه.
- ٤ - النفاق وقسوة القلوب مرضان قاتلان.
- ٥ - العلم وسيلة للتفريق بين الحق والباطل.
- ٦ - الإيمان ثمرة للعلم، والخشوع والخضوع لأوامر الله ثمرة للإيمان.

٥٦ الملك يوم القيامة - يوم يأتي هؤلاء ما كانوا يوعدون به من العذاب - الله وحده، لا منازع له فيه، هو سبحانه يحكم بين المؤمنين والكافرين، فيحكم لكل منهم بما يستحقه، فالذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة لهم ثواب عظيم هو جنات النعيم المقيم الذي لا ينقطع.

٥٧ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا لهم عذاب مذل يلهم الله به في جهنم.

٥٨ والذين تركوا ديارهم وأوطانهم طلباً لمرضاة الله وإعزازاً لدينه، ثم قُتلوا في الجهاد في سبيله، أو ماتوا ليرزقهم الله في الجنة رزقاً حسناً دائماً لا ينقطع، وإن الله سبحانه لهو خير الرازقين.

٥٩ ليدخلتهم الله موضعاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله لعليم بأفعالهم ونياتهم، حلیم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة على ما فرطوا فيه.

٦٠ ذلك المذكور؛ من إدخال المهاجرين في سبيل الله الجنة، ومن الإذن بمقابلة المعتدي بمثل ما اعتدى بحيث لا إثم عليه في ذلك، فإذا عاود المعتدي اعتدائه فإن الله ينصر الْمُعْتَدَى عليه، إن الله عفو عن ذنوب المؤمنين، غفور لهم.

٦١ ذلك النصر للمُعْتَدَى عليه لأن الله قادر

الْمَلِكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَأْتِي هَؤُلَاءَ مَا كَانُوا يُوْعَدُونَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ - اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا مَنَازِعَ لَهُ فِيهِ، هُوَ سُبْحَانَهُ يَحْكُمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَيَحْكُمُ لِكُلِّ مَنَّهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ هُوَ جَنَّاتُ النَّعِيمِ الَّذِي لَا يَنْقُطُ.

٥٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

٥٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

٥٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

٦٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

٦١ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا



على ما يشاء، ومن قدرته إدخال الليل في النهار، والنهار في الليل بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وأن الله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

٦٢ ذلك المذكور من إدخال الله الليل في النهار، والنهار في الليل؛ لأن الله هو الحق، فدينه حق، ووعده حق، ونصره للمؤمنين حق، وأن ما يعبده المشركون من دون الله من الأوثان هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي على خلقه ذاتاً وقدرًا وقهرًا، الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والجلال.

٦٣ ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض بعد نزول المطر عليها خضراء بما أنبتته من نبات، إن الله لطيف بعباده حيث أنزل لهم المطر، وأنت لهم الأرض، وخبير بمصالحهم، لا يخفى عليه شيء منها.

٦٤ له وحده ملك ما في السماوات وملك ما في الأرض، وإن الله لهو الغني الذي لا يفتقر إلى أي مخلوق من مخلوقاته، المحمود في كل حال.

فوائد من الآيات:

- ١ - مكانة الهجرة في الإسلام وبيان فضلها.
- ٢ - جواز العقاب بالمثل.
- ٣ - نصر الله للمُعْتَدَى عليه يكون في الدنيا أو الآخرة.
- ٤ - إثبات الصفات العُلى لله بما يليق بجلاله؛ كالعلم والسمع والبصر والعلو.

﴿٦٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله ذلّل لك وللناس ما في الأرض من الدواب والجمادات لمنافعكم وحاجاتكم، وذلّل لكم السفن تجري في البحر بأمره وتسخره من بلد إلى بلد، ويمسك السماء حتى لا تسقط على الأرض إلا بإذنه، فلو أذن لها أن تسقط عليها لسقطت، إن الله بالناس لرؤوف رحيم، حيث سخر لهم هذه الأشياء مع ما فيهم من ظلم.

﴿٦٦﴾ والله هو الذي أحياكم حيث أوجدكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم إذا انقضت أعماركم، ثم يحييكم بعد موتكم ليحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها، إن الإنسان لكثير الجحد لنعم الله مع أنها ظاهرة.

﴿٦٧﴾ لكل أهل ملة جعلنا شريعة، فهم يعملون بشريعتهم، فلا يُنازعنك - أيها الرسول - المشركون وأهل الأديان الأخرى في شريعتك، فأنت أولى بالحق منهم؛ لأنهم أصحاب باطل، وادع الناس إلى إخلاص التوحيد لله، إنك لعلی طريق مستقيم، لا اعوجاج فيه.

﴿٦٨﴾ وإن امتنعوا إلا أن يجادلوك بعد ظهور الحجة فيك أمرهم إلى الله قائلاً على سبيل الوعيد: الله أعلم بما تعملون من عمل، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعْ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعٌ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَدَاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسِوَالْمُصِيرِ ﴿٧٢﴾

﴿٧٢﴾ الله يحكم بين عباده: مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا من أمر الدين.

﴿٧٣﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماء، ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، إن علم ذلك مسجّل في اللوح المحفوظ، إن علم ذلك كله على الله سهل.

﴿٧٤﴾ ويعبد المشركون من دون الله أصناماً لم ينزل الله حجة على عبادتها في كتبه، وليس لهم عليها دليل من علم، وإنما مستندهم التقليد الأعمى لأبائهم، وليس للظالمين من نصير يمنعهم مما يحلّ بهم من عذاب الله.

﴿٧٥﴾ وإذا قرأ عليهم آياتنا في القرآن واضحات تعرف في وجوه الذين كفروا بالله إنكارها من عبوسهم عند سماعهم لها، يكادون من شدة الغضب يبطشون بالذين يقرؤون عليهم آياتنا، قل لهم - أيها الرسول -: أفأخبركم بما هو شر من غيظكم وعبوسكم؟ هو النار التي وعد الله الكفار أن يدخلهم فيها، وساء المصير الذي يصيرون إليه.

﴿٧٦﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - من نعم الله على الناس تسخير ما في السماوات وما في الأرض لهم.
- ٢ - إثبات صفتي الرأفة والرحمة لله.
- ٣ - إحاطة علم الله بما في السماوات والأرض وما بينهما.
- ٤ - التقليد الأعمى هو سبب تمسك المشركين بشركهم بالله.
- ٥ - لجوء أهل الباطل إلى العنف؛ لعجزهم عن مواجهة الحجة بالحجة.

﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ضُرب مثل فاستمعوا له، واعتبروا به، إن ما تعبدون من أصنام وغيرها من دون الله لن يخلقوا ذبابًا على صغره لعجزهم، ولو اجتمعوا كلهم على أن يخلقوه ما خلقوه، وإذا أخذ الذباب شيئًا مما عليهم من طيب وما أشبهه لم يقدروا على إنقاذه منه، ويعجزهم عن خلق الذباب، وإنقاذ أشياءهم منه؛ تبين عجزهم عما هو أكبر من ذلك، فكيف تعبدونها - مع عجزها - من دون الله؟! ضَعُفَ هذا الطالب وهو الصنم المعبود الذي لا يستطيع إنقاذ ما استلبه الذباب منه، وضَعُفَ هذا المطلوب الذي هو الذباب.

﴿٧٥﴾ ما عظموا الله حق تعظيمه حين عبدوا معه بعض مخلوقاته، إن الله لقوي، ومن قوته وقدرته خلق السماوات والأرض ومن فيهما، عزيز لا يغالبه أحد بخلاف أصنام المشركين فهي ضعيفة ذليلة لا تخلق شيئًا.

﴿٧٤﴾ الله ﷻ يختار من الملائكة رسلاً، ويختار من الناس رسلاً كذلك، فيرسل بعض الملائكة إلى الأنبياء مثل جبريل أرسله إلى الرسل من البشر، ويرسل الرسل من البشر إلى الناس، إن الله سميع لما يقوله المشركون في رسله، بصير بمن يختاره لرسالته.

﴿٧٣﴾ يعلم سبحانه ما عليه رسله من الملائكة والناس قبل خلقهم وبعد موتهم، وإلى الله وحده ترجع الأمور يوم القيامة، حيث يبعث عباده فيجازيهم على ما قدموا من عمل.

﴿٧٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم، اركعوا واسجدوا في صلاتكم لله وحده، وافعلوا الخير من صدقة وصلة؛ رجاء أن تفوزوا بالمطلوب، وتنجوا من المرهوب.

﴿٧١﴾ وجاهدوا في سبيل الله جهادًا خالصًا لوجهه، هو اختاركم وجعل دينكم سَمَحًا لا ضيق فيه ولا شدة، هذه الملة السَّمْحَةُ هي ملة أبيكم إبراهيم ﷺ، وقد سماكم الله المسلمين في الكتب السابقة وفي القرآن؛ ليكون الرسول شهيدًا عليكم أنه بلغكم ما أمر بتبليغه، ولتكونوا أنتم شهودًا على الأمم السابقة أن رسلها بلغت، فاشكروا الله على ذلك بالإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، والجؤوا إلى الله، واعتمدوا عليه في أموركم، فهو سبحانه نعم المولى لمن تولاه من المؤمنين، ونعم النصير لمن استنصره منهم، فتولوه يتولكم، واستنصروه ينصركم.

﴿٧٠﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - أهمية ضرب الأمثال لتوضيح المعاني، وهي طريقة تربوية جليلة.

٢ - عجز الأصنام عن خلق الأذى دليل على عجزها عن خلق غيره.

٣ - الإشراف بالله سببه عدم تعظيم الله.

٤ - إثبات صفتي القوة والعزة لله، وأهمية أن يستحضر المؤمن معاني هذه الصفات.

٥ - عبادة الله وفعل الخيرات سبب للفلاح.

٦ - رفع الحرج في الدين.

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٤﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٢﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧١﴾

سُورَةُ الْمَوْعِنُونَ

١١٣ آيَاتٍ

١١٣ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ مقصد السورة: قضية الإيمان وحقيقته وثماره وعواقب مخالفته ودم الكافرين، ولذلك افتتحت بفلاح المؤمنين وعدم فلاح الكافرين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ قد فاز المؤمنون بالله العاملون بشرعه بالحصول على ما يطلبون، والنجاة مما يرهبون.

﴿٢﴾ الذين هم في صلاتهم متدللون، قد سكنت فيها جوارحهم، وفرغت قلوبهم من الشواغل.

﴿٣﴾ والذين هم عن الباطل واللهو وما فيه معصية من الأقوال والأفعال معرضون.

﴿٤﴾ والذين هم لتطهير أنفسهم من الرذائل، وتطهير أموالهم بإخراج زكاتها فاعلون.

﴿٥﴾ والذين هم لفروجهم بإبعادها عن الزنا واللواط والفواحش حافظون، فهم أعتاب طاهرون.

﴿٦﴾ إلا على زوجاتهم أو ما يملكون من الإماء، فإنهم لا يلامون في الاستمتاع بهن باللوط وغيره.

﴿٧﴾ فمن طلب الاستمتاع بما عدا الزوجات أو إمامه اللاتي يملكها فهو متجاوز لحدود الله

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ

فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ

لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ

يَحْفَظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ

الْأَرْضَ دُونَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن

سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا

آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ

لَمَسِيونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ

خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ عُفْلِينَ ﴿١٧﴾

بتجاوز ما أحله من التمتع إلى ما حرمه منه.

﴿٨﴾ والذين هم لما اتتمهم الله عليه، أو اتتمهم عباده، ولعهدهم حافظون لا يضيعونها، بل يوفون بها.

﴿٩﴾ والذين هم على صلواتهم يحافظون بالمداومة عليها، وعلى أدائها في أوقاتها بأركانها وواجباتها ومستحباتها.

﴿١٠﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الوارثون.

﴿١١﴾ الذين يرثون أعلى الجنة هم فيها ما كاثون أبداً، لا ينقطع نعيمهم فيها.

﴿١٢﴾ ولقد خلقنا أبا البشر آدم من طين، أخذت تربته من خلاصة استخرجت من ماء مختلط بتربة الأرض.

﴿١٣﴾ ثم خلقنا ذريته متناسلين من نطفة تستقر في الرحم إلى حين الولادة.

﴿١٤﴾ فخلقنا بعد ذلك النطفة المستقرة في الرحم علقة حمراء، ثم خلقنا تلك العلقة الحمراء قطعة لحم، فخلقنا قطعة اللحم تلك عظماً متصلاً، فالبسنا تلك العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه، وإخراجه إلى

الحياة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿١٥﴾ ثم إنكم - أيها الناس - بعد ما مررتم به من تلك الأطوار ستموتون عند انقضاء آجالكم.

﴿١٦﴾ ثم إنكم بعد موتكم تبعثون من قبوركم يوم القيامة؛ لتحاسبوا على ما قدمتم من عمل.

﴿١٧﴾ ولقد خلقنا فوقكم - أيها الناس - سبع سماوات بعضها فوق بعض، وما كنا بغافلين عن خلقنا، ولا ناسين إياه.

﴿١٨﴾ فَوَاللَّهِ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - للفلاح أسباب متنوعة يحسن معرفتها والحرص عليها.

٢ - التدرج في الخلق والشرع سنة إلهية.

٣ - إحاطة علم الله بمخلوقاته.

﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهَا لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَانشَأْنَا لَهُ مِنْهُ بَهِيمَةً وَمَنِئِمَّةً ﴿١٩﴾ وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِذَلِكَ الْمَاءِ بَسَاتِينَ مِنَ النَّخِيلِ وَالْعِنَبِ، لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ مُتَعَدَّةٌ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، كَالثِّينِ وَالرَّمَانِ وَالنَّفَّاحِ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.

﴿٢٠﴾ وَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ شَجَرَةَ الزَّيْتُونِ الَّتِي تَخْرُجُ فِي أَصْلِهَا مِنْ أَرْضِ طُورِ سَيْنَاءَ، تَنْبِتُ الدَّهْنَ الَّذِي يَسْتَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهَا يُدَّهِنُ بِهِ وَيُؤْتَدَمُ.

﴿٢١﴾ وَإِن لَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فِي الْأَنْعَامِ (الْإِبِلِ، الْبَقَرِ، الْغَنَمِ) لَعِبْرَةٌ وَدَلَالَةٌ تَسْتَدَلُّونَ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَلَطْفِهِ بِكُمْ، نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ تَنْتَفِعُونَ بِهَا مِنْهَا؛ كَالرُّكُوبِ وَالصُّوفِ وَالوَبْرِ وَالشَّعْرِ، وَتَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِهَا.

﴿٢٢﴾ وَعَلَى الْإِبِلِ مِنَ الْأَنْعَامِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَى الْسُفُنِ فِي الْبَحْرِ تُحْمَلُونَ.

﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا نُوحًا ﷺ إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، مَا لَكُمْ مِنْ مَعْبُودٍ بِحَقِّ غَيْرِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْأَشْرَافُ وَالسَّادَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ مِنْ قَوْمِهِ لِأَتْبَاعِهِمْ وَعَامَتِهِمْ: مَا هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ إِلَهِكُمْ بِشَرِّكُمْ يَرِيدُ الرِّيَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ عَلَيْكُمْ، فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَأَرْسَلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَمْ يُرْسِلْهُ مِنَ الْبَشَرِ، مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهَ جَنُونٌ، لَا يَعِي مَا يَقُولُ، فَانظُرُوا بِهِ حَتَّى يَتَّضِحَ أَمْرُهُ لِلنَّاسِ.

﴿٢٥﴾ قَالَ نُوحٌ ﷺ: رَبِّ انصُرْنِي عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَنْتَقِمَ لِي مِنْهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ.

﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْسُفِينَةَ بِمِرْأَى مَنَا وَتَعْلِيمِنَا إِيَّاكَ كَيْفَ تَصْنَعُهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ، وَنَبْعِ الْمَاءِ بَقْوَةً مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْبِزُ فِيهِ، فَادْخُلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الْإِحْيَاءِ ذَكَرًا وَأُنْثَى لِيَسْتَمِرَّ النَّسْلُ، وَادْخُلْ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ بِالْإِهْلَاكِ مِثْلَ زَوْجَتِكَ وَابْنِكَ، وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْكَفْرِ بِطَلْبِ نَجَاتِهِمْ وَتَرَكُوا إِهْلَاكَهُمْ، إِنَّهُمْ مُهْلِكُونَ - لَا مَحَالَةَ - بِالغُرُقِ فِي مَاءِ الطُّوفَانِ.

﴿٢٧﴾ فَادْخُلْ مِنَ الْبَابِ:

١ - لطف الله بعباده ظاهر بإنزال المطر وتيسير الانتفاع به.

٢ - التنويه بمنزلة شجرة الزيتون.

٣ - تسخير الأنعام للناس عبارة للمعتبر.

٤ - اعتقاد المشركين ألوهية الحجر، وتكذيبهم بنبوة البشر، دليل على سخف عقولهم.

٥ - نصر الله لرسوله ثابت عندما تكذبهم أممهم.

﴿٢٨﴾ فإذا علوت على السفينة أنت ومن معك من المؤمنين الناجين، فقل: الحمد لله الذي أنقذنا من القوم الكافرين فأهلكهم.

﴿٢٩﴾ وقل: رب أنزلي إنزالاً مباركاً، وأنت خير المُنزِلين.

﴿٣٠﴾ إن في ذلك المذكور من إنجاء نوح والمؤمنين معه، وإهلاك الكافرين؛ لدلالات جلية على قدرتنا على نصر رسلنا وإهلاك المكذبين بهم، وإن كنا لمختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ليتضح المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي.

﴿٣١﴾ ثم أنشأنا من بعد إهلاك قوم نوح جيلاً آخر، وهم عاد قوم هود عليه السلام.

﴿٣٢﴾ فبعثنا فيهم رسولاً منهم، وهو هود يدعوهم إلى الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ما لكم من معبود بحق غيره سبحانه، أفلا تتقون الله باجتنب نواهيه، وامتنال أوامره؟! عليه السلام

﴿٣٣﴾ وقال الأشراف والسادة من قومه الذين كفروا بالله، وكذبوا بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، وأطغاهم ما وسعنا لهم من النعم في الحياة الدنيا، قالوا لأتباعهم وعامتهم: ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون منه، فليس له مزية عليكم حتى يُبعث رسولاً إليكم.

﴿٣٤﴾ ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم لمتعذبون لترككم الهتكُم، واتباع من لا فضيلة له عليكم.

﴿٣٥﴾ أيعدكم هذا الذي يزعم أنه رسول أنكم إذا متم وصرتم تراباً وعظاماً بآية أنكم قبوركم أحياء؟ أيعقل هذا؟! عليه السلام

﴿٣٦﴾ بعيد ما توعدون به من إخراجكم من قبوركم أحياء بعد موتكم، ومصيركم تراباً وعظاماً بالية.

﴿٣٧﴾ ليست الحياة إلا الحياة الدنيا، لا الحياة الآخرة، تموت الأحياء منا ولا تحيي، ويولد آخرون فيحيون، ولسنا بمُخْرَجِينَ بعد موتنا للحساب يوم القيامة.

﴿٣٨﴾ ما هود الذي يدعي أنه رسول إليكم إلا رجل اختلق على الله كذباً بادعائه هذا، ولسنا له بمصدقين.

﴿٣٩﴾ قال هود: رب انصُرني عليهم بأن تنتقم لي منهم بسبب تكذيبهم إياي.

﴿٤٠﴾ فأجابه الله قائلاً: بعد زمن قليل سيصبح هؤلاء المكذوبون بما جئت به نادمين على ما وقع منهم من التكذيب.

﴿٤١﴾ فأخذتهم الصيحة الشديدة مصحوبة بريح باستحقاقهم العذاب لتعتتهم، فصيرتهم هلكى مثل غشاء السيل، فهلاكاً للقوم الظالمين.

﴿٤٢﴾ ثم بعد إهلاكهم أنشأنا أقواماً وأمماً آخرين مثل قوم لوط، وقوم شعيب، وقوم يونس.

﴿٤٣﴾ فإولئك من الآيات:

١ - وجوب حمد الله على النعم.

٢ - الترف في الدنيا ظاهره نعمة وباطنه نقمة.

٣ - إنكار المشركين للبعث ناتج عن تفكيرهم المادي.

٤ - عاقبة الكافر الندامة والخسران.

٥ - الظلم سبب في البعد عن رحمة الله.

﴿٤٣﴾ لا تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لمجيء هلاكها، ولا تتأخر عنه، مهما كان لها من الوسائل.

﴿٤٤﴾ ثم بعثنا رسلنا متتابعين رسولاً رسولاً، كلما جاء أمة من تلك الأمم رسولها المبعوث إليها كذوبه، فأتبعنا بعضهم ببعض بالهلاك، فلم يبق لهم وجود إلا أحاديث الناس عنهم، فهلاكاً لقوم لا يؤمنون بما جاءتهم به رسلهم من عند ربهم.

﴿٤٥﴾ ثم بعثنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع: (العصا، اليد، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، الطوفان، السنون، نقص الثمرات)، وبحجة واضحة.

﴿٤٦﴾ بعثناهما إلى فرعون والأشرف من قومه فاستكبروا، فلم يتقادوا للإيمان لهما، وكانوا قومًا مُستغربين على الناس بالقهر والظلم.

﴿٤٧﴾ فقالوا: أنصدق بشرين مثلنا، لا مزية لهما علينا، وقومهما (بنو إسرائيل) لنا مطيعون خاضعون؟

﴿٤٨﴾ فكذبوهما فيما جاء به من عند الله، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالغرق.

﴿٤٩﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة رجاء أن يهدي بها قومه إلى الحق، ويعملوا بها.

﴿٥٠﴾ وصيرنا عيسى ابن مريم وأمه مريم علامة دالة على قدرتنا، فقد حملت به من غير أب،

وأويناهما إلى مكان مرتفع من الأرض، مستو صالح للاستقرار عليه، فيه ماء جار متجدد.

﴿٥١﴾ يا أيها الرسل، كلوا مما أحللت لكم مما يُستطاب أكله، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرع، إني بما تعملون من عمل عليم، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء.

﴿٥٢﴾ وإن ملتكم - أيها الرسل - ملة واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم لا رب لكم غيري، فاتقوني بامثال أوامري، واجتنب نواهي.

﴿٥٣﴾ فتفرّق أتباعهم بعدهم في الدين، فصاروا أحزاباً وشيعاً، كل حزب معجب بما يؤمن أنه هو الدين المرضي عند الله، ولا يلتفت إلى ما عند غيره.

﴿٥٤﴾ فاتركهم - أيها الرسول - فيما هم فيه من الجهل والحيرة إلى حين نزول العذاب بهم.

﴿٥٥﴾ أيضًا هؤلاء الأحزاب الفرحون بما لديهم أن ما نعطهم من الأموال والأولاد في الحياة الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه؟! ليس الأمر كما ظنوا، إنما نعطهم ذلك إملاءً واستدرجاً لهم، لكنهم لا يحسّون بذلك.

﴿٥٦﴾ إن الذين هم مع إيمانهم وإحسانهم وجِلون من ربهم.

﴿٥٧﴾ والذين هم بآيات ربهم الكونية والشرعية يؤمنون.

﴿٥٨﴾ والذين هم يوحدون ربهم لا يشركون به شيئاً.

﴿٥٩﴾ فإذ من الآيات:

١ - رعاية الله لعباده بإرسال الرسل إليهم رسولاً بعد رسول إلى أن ختمهم بنبينا عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام. ٢ - الاستكبار مانع من التوفيق للحق. ٣ - إطابة المأكل شأن عباد الله المتقين. ٤ - التوحيد ملة جميع الأنبياء ودعوتهم. ٥ - الإنعام على الفاجر ليس إكراماً له، وإنما هو استدراج.

﴿١٠﴾ والذين يجتهدون في أعمال البر، ويتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة وهم خائفون أن لا يتقبل الله منهم إنفاقهم وأعمالهم الصالحة إذا رجعوا إليه يوم القيامة.

﴿١١﴾ أولئك الموصوفون بهذه الصفات العظيمة يبادرون إلى الأعمال الصالحة، وهم إليها سابقون، ومن أجلها سبقوا غيرهم.

﴿١٢﴾ ولا نكلف نفساً إلا قدر ما تستطيعه من العمل، وعندنا كتاب أثبتنا فيه عمل كل عامل، ينطق بالحق الذي لا مرية فيه، وهم لا يظلمون بنقص حسناتهم، ولا زيادة سيئاتهم.

﴿١٣﴾ بل قلوب الكفار في غفلة من هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، والكتاب الذي نزل عليهم، ولهم أعمال أخرى دون ما هم عليه من الكفر هم لها عاملون.

﴿١٤﴾ حتى إذا عاقبنا منعميهم في الدنيا بالعذاب يوم القيامة إذا هم يرفعون أصواتهم مستغيثين.

﴿١٥﴾ فيقال لهم تبيساً لهم من رحمة الله: لا تصرخوا، ولا تستغيثوا في هذا اليوم، فإنه لا ناصر لكم يمنعكم من عذاب الله.

﴿١٦﴾ قد كانت آيات كتاب الله تُقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم ترجعون مولين عنها إذا سمعتموها كراهية لها.

﴿١٧﴾ تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعمونه من أنكم أهل الحرم ولستم أهله؛ لأن

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا لِقُلُوبِهِمْ وَجِلَّةً أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَيْبِهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٠﴾

أُولَٰئِكَ يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا نَكْفِ بِنَفْسٍ إِلَّا أَوْسَعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٢﴾

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَهُمْ أَعْمَلُونَ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿١٣﴾

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿١٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَانْتَصِرُونَ ﴿١٥﴾ فَذَكَاتِ ءَايَاتِي نُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاكْتُمُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ نَنْكُصُونَ ﴿١٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرَاتٍ تَهْجُرُونَ ﴿١٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَمْنُكِرُونَ ﴿١٩﴾

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرَضُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّا لَنَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٤﴾

وَأَهْلُهُمُ الْمُتَّقُونَ، وتسامرون حوله بالسيئ من القول، فأنتم لا تقدسونه.

﴿١٨﴾ أفلم يتدبر هؤلاء المشركون ما أنزل الله من القرآن ليؤمنوا به، ويعملوا بما فيه، أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به.

﴿١٩﴾ أم إنهم لم يعرفوا محمداً ﷺ الذي أرسله الله إليهم، فهم منكرون له، لقد عرفوه وعرفوا صدقه وأمانته. بل يقولون: هو مجنون، لقد كذبوا، بل جاءهم بالحق الذي لا يرؤية فيه أنه من عند الله، ومعظمهم كارهون للحق، مبغضون له حسداً من عند أنفسهم، وتعصياً لباطلهم.

﴿٢٠﴾ ولو أجرى الله الأمور، ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفسدت السماوات والأرض، وفسد من فيهن لجهلهم بعواقب الأمور، وبالصحيح والفاسد من التدبير.

﴿٢١﴾ هل طلبت - أيها الرسول - أجراً من هؤلاء على ما جئتهم به، وذلك جعلهم يرفضون الدعوة؟ هذا لم يحدث منك، فتواب ربك وأجره خير من ثواب هؤلاء وغيرهم، وهو - سبحانه - خير الرازقين.

﴿٢٢﴾ وإنك - أيها الرسول - لتدعو هؤلاء وغيرهم إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام.

﴿٢٣﴾ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب وثواب عن طريق الإسلام لمائلون إلى غيرها من الطرق المعوجة الموصلة إلى النار.

﴿٢٤﴾ فإذ من الآيات:

١ - خوف المؤمن من عدم قبول عمله الصالح. ٢ - سقوط التكليف بما لا يُستطاع رحمة بالعباد. ٣ - الترف مانع من موانع الاستقامة وسبب في الهلاك. ٤ - الكبر مانع من وصول الهداية إلى القلوب. ٥ - قصور عقول البشر عن إدراك كثير من المصالح. ٦ - عدم الإيمان بالثواب والعقاب سبب من أسباب الانحراف والضلال.

﴿٧٥﴾ ولو رحمانهم ورفعنا عنهم ما بهم من فحط وجوع لتمادوا في ضلالهم عن الحق يترددون ويتخبطون.

﴿٧٦﴾ ولقد اختبرناهم بأنواع المصائب، فما تذللوا الربهم ولا خضعوا له، وما دعوه خاشعين ليرفع عنهم المصائب عند نزولها.

﴿٧٧﴾ حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد إذا هم فيه آيسون من كل فرج وخير. ولما كان إنكار البعث لا يصدر ممن له وسائل الإدراك من سمع وبصر وعقل ذكّرهم الله بما أنعم عليهم به منها، فقال:

﴿٧٨﴾ والله سبحانه هو الذي أحدث لكم - أيها المكذبون بالبعث - السمع لتسمعوا به، والأبصار لتبصروا بها، والقلوب لتفقهوا بها، ومع ذلك لا تشكرونه على هذه النعم إلا قليلًا.

﴿٧٩﴾ وهو الذي خلقكم - أيها الناس - في الأرض، وإليه وحده يوم القيامة تحشرون للحساب والجزاء.

﴿٨٠﴾ وهو وحده سبحانه الذي يحيي فلا محيي غيره، وهو وحده الذي يميت فلا مميت سواه، وإليه وحده تقدير اختلاف الليل والنهار ظلمة وإنارة وطولًا وقصرًا، أفلا تعقلون قدرته، وتفردّه بالخلق والتدبير؟! بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨١﴾ بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨٢﴾ قالوا على وجه الاستبعاد والإنكار: إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بآية أينا لمبعوثون أحياء للحساب؟! بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٨٣﴾ لقد وعدنا هذا الوعد - وهو البعث بعد الموت - ووعد أسلافنا من قبل بذلك، ولم نر ذلك الوعد تحقق، ما هذا إلا أباطيل الأقدمين وأكاذيبهم.

﴿٨٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث: لمن هذه الأرض، ولمن من هم عليها إن كان لكم علم؟

﴿٨٥﴾ سيقولون: الأرض ومن عليها لله، فقل لهم: ألا تتذكرون أن من له الأرض ومن عليها قادر على إحيائكم بعد موتكم؟

﴿٨٦﴾ قل لهم: من رب السماوات السبع؟ ومن رب العرش العظيم الذي لا يوجد مخلوق أعظم منه؟

﴿٨٧﴾ سيقولون: السماوات السبع والعرش العظيم ملك لله، فقل لهم: أفلا تتقون الله بامتنال أو امره واجتناب نواهيه لتسلموا من عذابه؟

﴿٨٨﴾ قل لهم: من الذي بيده ملك كل شيء، لا يشذ عن ملكه شيء، وهو يغيث من شاء من عباده، ولا أحد يمتنع ممن أراه هو بسوء، فيدفع عنه العذاب، إن كان لكم علم؟

﴿٨٩﴾ سيقولون: ملك كل شيء بيده سبحانه، فقل لهم: فيكيف تفقدون عقولكم، وتعبدون غيره مع إقراركم بذلك؟! بل قالوا مثل ما قال آباؤهم وأسلافهم في الكفر.

﴿٩٠﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - عدم اعتبار الكفار بالنعم أو النقم التي تقع عليهم دليل على فساد فطرتهم.
- ٢ - كفران النعم صفة من صفات الكفار.
- ٣ - التمسك بالتقليد الأعمى يمنع من الوصول للحق.
- ٤ - الإقرار بالربوبية ما لم يصحبه إقرار بالالوهية لا ينجي صاحبه.

﴿٩٧﴾ ليس الأمر كما يدعون، بل جئناهم بالحق الذي لا مرية فيه، وإنهم لكاذبون فيما يدعونه الله من الشريك والولد، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿٩٨﴾ ما اتخذ الله من ولد كما يزعم الكفار، وما كان معه من معبود بحق، ولو فرض أنه معه معبود بحق لذهب كل معبود بنصيبه من الخلق الذي خلقه، وَلَقَالَبَ بعضهم بعضاً، فيفسد نظام الكون، والواقع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، فدل على أن المعبود بحق هو الله وحده، تنزهه وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الولد والشريك.

﴿٩٩﴾ عالم كل ما غاب عن خلقه، وعالم كل ما يشاهد ويدرك بالحواس، لا يخفى عليه شيء من ذلك، فتعالى سبحانه أن يكون له شريك.

﴿١٠٠﴾ قل - يا أيها الرسول -: رب إما تريني في هؤلاء المشركين ما وعدتهم من العذاب.

﴿١٠١﴾ رب إن عاقبتهم وأنا أشاهد ذلك فلا تجعلني فيهم فيصيبني مما أصابهم من العذاب.

﴿١٠٢﴾ وإنا على أن نجعلك شاهد وتري ما نعدهم به من العذاب لقادرون، لا نعجز عن ذلك ولا عن غيره.

﴿١٠٣﴾ ادفع - أيها الرسول - من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه، نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب، وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.

بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٧﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ رَبِّ

إِمَّا تَرِينِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ وَإِنَّا عَلِيمٌ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمُ لَقَادِرُونَ ﴿١٠١﴾

أَدْفَعْ بِأَلَيْهِ هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ ﴿١٠٢﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٠٣﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٠٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

أَرْجِعُونِ ﴿١٠٥﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٦﴾

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٧﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٩﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٠﴾

﴿٩٧﴾ وقل: رب اعتصم بك من تزغات الشياطين ووساوسهم. و﴿٩٨﴾ وأعوذ بك رب أن يحضروني في شيء من أموري.

﴿٩٩﴾ حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین ما ينزل به قال ندماً على ما فات من عمره، وما فرط في جنب الله: رب أرجعني إلى الحياة الدنيا.

﴿١٠٠﴾ لعلي أعمل عملاً صالحاً إذا رجعت إليها، كلا، ليس الأمر كما طلبت، إنها مجرد كلمة هو قائلها، فلورُد إلى الحياة الدنيا لما وفي بما وعد به، وسبقي هؤلاء المتوقفون في حاجز بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور، فلا يرجعون منه إلى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم، ويصلحوا ما أفسدوه.

﴿١٠١﴾ فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية المؤذنة بالقيامة فلا أنساب بينهم يتفاخرون بها لانشغالهم بأهوال الآخرة، ولا يسأل بعضهم بعضاً لانشغالهم بما يهمهم.

﴿١٠٢﴾ فمن ثقلت موازينه لرجحان حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون بما يتلونه من مطلوبهم، وما يجتنبون من مرهوبهم. و﴿١٠٣﴾ ومن خفت موازينه لرجحان سيئاته على حسناته فأولئك هم الذين ضيعوا أنفسهم بفعل ما يضرها من الكفر والمعاصي، وترك ما ينفعها من الإيمان والعمل الصالح، فهم في نار جهنم ما تكون أبداً، لا يخرجون منها.

﴿١٠٤﴾ تحرق وجوههم النار، وهم فيها قد تقلصت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم من شدة العبوس.

﴿١٠٥﴾ فإولئك من الآيات: ١ - الاستدلال باستقرار نظام الكون على وحدانية الله. ٢ - إحاطة علم الله بكل شيء. ٣ - معاملة المسيء بالإحسان أدب إسلامي رفيع له تأثيره البالغ في الخصم. ٤ - ضرورة الاستعاذة بالله من وساوس الشيطان وإغراءاته. ٥ - ندم الكافر حين لا ينفع الندم. ٦ - الاعتبار في القيامة بالعمل لا بالنسب. ٧ - شدة أهوال يوم القيامة تسيء علائق النسب والقرابة. ٨ - كثرة الحسنات سبب السعادة، وكثرة السيئات سبب الشقاء.

١٥٥) ويقال لهم تقريباً لهم: ألم تكن آيات القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟!
 ١٥٦) قالوا: ربنا غلب علينا ما سبق في علمك من شقاوتنا، وكنا قومًا ضالين عن الحق.
 ١٥٧) ربنا أخرجنا من النار، فإن رجعنا إلى ما كنا عليه من الكفر والضلال فإننا ظالمون لأنفسنا، قد انقطع عذرنا.
 ١٥٨) قال الله: اقلعوا في النار، وامكثوا فيها أذلاء، ولا تكلموني أبداً.

١٥٩) إنه كان فريق من عبادي الذين آمنوا بي يقولون: ربنا أمانا بك فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير الراحمين.

١٦٠) فاتخذتم هؤلاء المؤمنين الداعين ربهم محلاً للاستهزاء تسخرون منهم، وتستهزئون بهم حتى أنساكم الانشغال بالسخرية منهم ذكر الله، وكنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

١٦١) إني جزيت هؤلاء المؤمنين الفوز بالجنة يوم القيامة؛ لصبرهم على طاعة الله وعلى ما كانوا يتلقونه منكم من الأذى.

ولما سألوا الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا ذكرهم بما عمروا فيها مما يمكنهم من التوبة لو أرادوا ذلك.

١٦٢) قال: كم مكثتم في الأرض من السنين؟ وكم أضعتم فيها من وقت؟

١٦٣) فيجيبون بقولهم: مكثنا يوماً أو جزءاً من يوم، فاسأل الذين يعنون بحساب الأيام والشهور.
 ١٦٤) قال: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً يسهل الصبر فيه على الطاعة لو أنكم كتمت تعلمون مقدار مكثكم.
 ١٦٥) أفحسبتم - أيها الناس - أنما خلقناكم لعباً دون حكمه، فلا ثواب ولا عقاب مثل البهائم، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة للحساب والجزاء!؟

١٦٦) فتنبه الله الملك المتصرف في خلقه بما يشاء، الذي هو حق، ووعدته حق، وقوله حق، لا معبود بحق غيره، رب العرش الكريم الذي هو أعظم المخلوقات، ومن كان رباً لأعظم المخلوقات فهو ربها كلها.

١٦٧) ومن يدع مع الله معبوداً آخر لا حجة له على استحقاقه العبادة (وهذا شأن كل معبود غير الله) فإنما جزاء عمله السيئ عنده سبحة، فهو الذي يجازيه بالعذاب عليه، إنه لا يفوز الكافرون بنيل ما يطلبون، ولا بالنجاة مما يرهبون.

١٦٨) وقل - أيها الرسول -: رب اغفر لي ذنوبي، وارحمني برحمتك وأنت خير الراحمين.

فوائد من الآيات:

- ١ - الكافر حقيق عند الله مهان.
- ٢ - الاستهزاء بالصالحين ذنب عظيم يستحق صاحبه العذاب.
- ٣ - الصبر على الأذى من صفات المؤمنين.
- ٤ - تضييع العمر لازم من لوازم الكفر.
- ٥ - الفوز من نصيب المؤمنين، والخسران من نصيب الكافرين.
- ٦ - الثناء على الله مظهر من مظاهر الأدب في الدعاء.

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْتَنِي نَذِيرًا عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٥٥ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ١٥٦ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ١٥٧ قَالُوا خَسِبُوا فِيهَا وَلَآتِكَلْمُونَ ١٥٨ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَآغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ١٥٩ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَ بِنَا حَقًّا أَسْوَأَ ذِكْرَىٰ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١٦٠ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ١٦١ قُلْ لِمَ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةٌ سِنِينَ ١٦٢ قَالُوا لَيْسَ نَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ ١٦٣ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٦٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَشِيًّا وَأَنَّا كُنَّا إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ١٦٥ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ١٦٦ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ١٦٧ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ١٦٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة أنزلناها وقرصناها وأنزلنا فيها آياتٍ بينتٍ لعلكم تذكرون

١ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفةٌ من المؤمنين ٢ الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو

مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ وحرم ذلك على

المؤمنين ٣ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم

الفسقون ٤ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفورٌ

رحيمٌ ٥ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم

فشهدوا أحدى أربع شهداتٍ بالله إنه لمن الصدقين ٦

والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكذابين ٧ ويدروا

عنها العذاب أن تشهد أربع شهداتٍ بالله إنه لمن الكذابين

٨ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصدقين ٩

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توابٌ حكيمٌ

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

٢١

٢٢

٢٣

٢٤

● مقصد السورة:

التركيز على قضية العفاف والستر وصفاء المجتمع المسلم وتحصينه من أسباب الفاحشة وكيد المنافقين في نشرها.

● التفسير:

١ هذه سورة أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها آيات بينات؛ رجاء أن تتذكروا ما فيها من الأحكام فتعملوا به.

٢ الزانية والزاني البكران فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رقة ورحمة بحيث لا تقيمون عليهما الحد أو تخففونه

عنهما إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليحضر إقامة الحد عليهما جمع من المؤمنين إمعاناً في التشهير بهما، وردعاً لهما ولغيرهما.

٣ الزاني لا يرغب في الزواج إلا من زانية مثله أو مشركة لا تتوقى الزنا، والزانية لا ترغب في الزواج إلا من زان مثلها أو مشرك لا يتوقاه، وحرم نكاح الزانية وإنكاح الزاني على المؤمنين.

٤ والذين يرمون بالفاحشة العفاف من النساء، (والأعفاء من الرجال مثلهن)، ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم - أيها الحكام - ثمانين

جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك الذين يرمون العفاف هم الخارجون عن طاعة الله.

٥ إلا الذين تابوا إلى الله بعد الذي أقدموا عليه من ذلك، وأصلحوا أعمالهم فإن الله يقبل توبتهم وشهادتهم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

٦ والذين يرمون من الرجال زوجاتهم وليس لهم شهود غير أنفسهم يشهدون على صحة ما رموهن به؛ يشهد الواحد منهم أربع شهادات بالله: إنه لصادق فيما رمى به زوجته من الزنا.

٧ ثم في شهادته الخامسة يزيد الدعاء على نفسه باستحقاق اللعنة إن كان كاذباً فيما رماها به.

٨ فتستحق هي بذلك أن تُحد حد الزنا، ويدفع عنها هذا الحد أن تشهد هي أربع شهادات بالله: إنه لكاذب فيما رماها به.

٩ ثم في شهادتها الخامسة تزيد الدعاء على نفسها بغضب الله عليها إن كان صادقاً فيما رماها به.

١٠ ولولا فضل الله عليكم - أيها الناس - ورحمته بكم، وأنه تواب على من تاب من عباده، حكيم في تدبيره وشرعه لعاجلكم بالعقوبة على ذنوبكم، ولفضحكم بها.

● فوازل الآيات:

- ١ - التمهيد للحديث عن الأمور العظام بما يؤذن بعضهم.
- ٢ - الزاني يفقد الاحترام والرحمة في المجتمع المسلم.
- ٣ - إقامة الحد وسيلة من وسائل الوقاية من الجرائم.
- ٤ - الحصار الاجتماعي على الزناة وسيلة لتحصين المجتمع منهم، ووسيلة لردعهم عن الزنا.
- ٥ - تنوع عقوبة القاذف إلى عقوبة مادية (الحد)، ومعنوية (رد شهادته، والحكم عليه بالفسق) دليل على خطورة هذا الفعل.

﴿١١﴾ إن الذين جاؤوا بالبُهتان (وهو رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة) جماعة تنتسب إليكم - أيها المؤمنون -، لا تظنوا أن ما افتروه شر لكم، بل هو خير لما فيه من الثواب والتحصيص للمؤمنين، ولما يصحبه من تبرة أم المؤمنين، لكل واحد شارك في رميها بالفاحشة جزاء ما اكتسبه من الإثم لتكلمه بالإفك، والذي تحمّل معظم ذلك ببذته به له عذاب عظيم، والمقصود به رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول.

﴿١٢﴾ هلاً إذ سمع المؤمنون هذا الإفك العظيم ظنوا سلامة من افترى عليه ذلك من إخوانهم المؤمنين، وقالوا: هذا كذب واضح.

﴿١٣﴾ هلاً أتى المفترون على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على فريتهم العظيمة بأربعة شهود يشهدون على صحة ما نسبوا إليها، فإن لم يأتوا بأربعة شهود على ذلك ولن يأتوا بهم أبداً فهم كاذبون في حكم الله.

﴿١٤﴾ ولولا تفضل الله عليكم - أيها المؤمنون - ورحمته بكم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وتاب على من تاب منكم؛ لأصابكم عذاب عظيم بسبب ما خضتم فيه من الكذب والافتراء على أم المؤمنين.

﴿١٥﴾ إذ يرويه بعضكم عن بعض، وتتناقلونه بأفواهكم مع بطلانه، فما لكم به علم، وتظنون أن ذلك سهل هين، وهو عند الله عظيم؛ لما فيه من الكذب ورمي بريء.

﴿١٦﴾ وهلاً إذ سمعتم هذا الإفك قلتم: ما يصح لنا أن نتكلم بهذا الأمر الشنيع، تنزيهاً لك ربنا، هذا الذي رموا به أم المؤمنين كذب عظيم.

﴿١٧﴾ يذكركم الله وينصحكم أن تعودوا لمثل هذا الإفك فترموا بريئاً بالفاحشة إن كنتم مؤمنين بالله.

﴿١٨﴾ ويوضح الله لكم الآيات المشتملة على أحكامه ومواعظه، والله عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيكم عليها، حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿١٩﴾ إن الذين يحيون أن تنتشر المنكرات - ومنها القذف بالزنا - في المؤمنين لهم عذاب موجه في الدنيا بإقامة حد القذف عليهم، ولهم في الآخرة عذاب النار، والله يعلم كذبهم، وما يؤول إليه أمر عباده، ويعلم مصالحتهم، وأتم لا تعلمون ذلك.

﴿٢٠﴾ ولولا تفضل الله عليكم - أيها الواقعون في الإفك - ورحمته بكم، ولولا أن الله رؤوف رحيم بكم لعاجلكم بالعقوبة.

﴿٢١﴾ فإذ من الآيات:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوْلَتْ يَدَاكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ تَوَلَّى فَضَلَّ اللَّهُ عَيْنَكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا فَأُوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قَالْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ تَوَلَّى فَضَلَّ اللَّهُ عَيْنَكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾

﴿٢٤﴾

﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾

١ - تركيز المنافقين على هدم مراكز الثقة في المجتمع المسلم بإشاعة الاتهامات الباطلة. ٢ - المنافقون قد يستدرجون بعض المؤمنين لمشاركتهم في أعمالهم. ٣ - ابتلاء المؤمن تكفير لسنيته، ورفع لدرجاته. ٤ - تكريم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بتبرئتها من فوق سبع سماوات. ٥ - تفاوت عقاب المشاركين في معصية بحسب أدوارهم فيها. ٦ - ضرورة التثبت تجاه الشائعات. ٧ - لا يثبت الزنا إلا ببينة، وادعاؤه دونها قذف. ٨ - البعد عن المشاركة في نشر الكذب هو اللائق بالمؤمن.

﴿٣١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، لَا تَتَّبِعُوا طَرِيقَ الشَّيْطَانِ فِي تَزِينِهِ لِلْبَاطِلِ، وَمَنْ يَتَّبِعْ طَرِيقَهُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَمِمَّا يَنْكَرُهُ الشَّرْعُ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مَا طَهَّرَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا بِالتَّوْبَةِ إِنْ تَابَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَطْهَرُ مَنْ يَشَاءُ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِقَوْلِكُمْ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِكُمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٣٢﴾ وَلَا يَحْلِفُ أَهْلُ الْفَضْلِ فِي الدِّينِ وَأَصْحَابُ السَّعَةِ فِي الْمَالِ عَلَى تَرْكِ إِعْطَاءِ أَقْرَبَائِهِمُ الْمُحْتَاجِينَ - لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - لِذَنْبِ ارْتِكَابِهِ، وَلِيَعْفُوا عَنْهُمْ، وَلِيَصْفَحُوا عَنْهُمْ، أَلَا تَجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ إِذَا عَفَوْتُمْ عَنْهُمْ وَصَفَحْتُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ، رَحِيمٌ بِهِمْ، فَلْيَتَّسَبَّحْ بِهِ عِبَادُهُ. نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه لِمَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مِسْطَحٍ لِمَشَارَكَتِهِ فِي الْإِفْكِ.

﴿٣٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْعَافِيَةَ مِنَ الْفَاحِشَةِ الَّتِي لَا يَفْطَنُ لَهَا الْمُؤْمِنَاتُ، طَرَدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٣٤﴾ يَحْصُلُ لَهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَا نَطَقُوا بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَتُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

﴿٣١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تَجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ إِنْ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِيَةَ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُؤْيَدُ يَوْمَهُمُ اللَّهُ ذِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَاسْلَمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٥﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ جَزَاءَهُمْ بَعْدَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هُوَ الْحَقُّ، فَكُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ حَقٌّ وَاضِحٌ لَا مَرِيَةَ فِيهِ.

﴿٣٦﴾ كُلُّ خَبِيثٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَنَاسِبٌ لِمَا هُوَ خَبِيثٌ وَمُوَافِقٌ لَهُ، وَكُلُّ طَيِّبٍ مِنْ ذَلِكَ مَنَاسِبٌ لِمَا هُوَ طَيِّبٌ مُوَافِقٌ لَهُ، أُولَئِكَ الطَّيِّبُونَ وَالطَّيِّبَاتُ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُهُ عَنَّهُمُ الْخَبِيثُونَ وَالْخَبِيثَاتُ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ يَغْفِرُ بِهَا ذُنُوبَهُمْ، وَلَهُمْ رِزْقٌ كَرِيمٌ وَهُوَ الْجَنَّةُ.

وَلَمَّا كَانَ الْإِطْلَاعُ عَلَى الْعَوْرَاتِ سَبَبًا لِإِثَارَةِ الشَّهْوَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ارْتِكَابِ الزُّنَا الْمَذْكُورِ فِي بَدَايَةِ السُّورَةِ، أَمَرَ اللَّهُ بِالِاسْتِئْذَانِ عَلَى الْبُيُوتِ؛ حِمَايَةَ لِلنَّظَرِ مِنَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْعَوْرَاتِ، فَقَالَ:

﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِشِرْعِهِ، لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا سَاكِنِيهَا فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِمْ، وَتَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَقُولُوا فِي السَّلَامِ وَالِاسْتِئْذَانِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ؟ ذَلِكَ الْاسْتِئْذَانُ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدَّخُولِ فَجَاءَ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَتَمَثَّلُوهُ.

﴿٣٨﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - إِغْرَاءَاتِ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ دَاعِيَةً إِلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، فَلْيَحْذَرِهَا الْمُؤْمِنُ.

- ٢ - التَّوْفِيقُ لِلتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنَ اللَّهِ لَا مِنَ الْعَبْدِ.
- ٣ - يُعَدُّ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالِإِحْسَانِ عَنِ الْإِنْتِقَامِ، وَمُعَامَلَةِ الْمَسِيءِ بِالْمِثْلِ.
- ٤ - الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَنِ الْمَسِيءِ سَبَبٌ لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ.
- ٥ - قَذْفُ الْعَافِيَةِ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.
- ٦ - اللَّاتِقُ بِالْخَبِيثِ مِثْلُهُ، وَبِالطَّيِّبِ مِثْلُهُ.
- ٧ - مَشْرُوعِيَّةُ الْاسْتِئْذَانِ لِحِمَايَةِ النَّظَرِ، وَالْحِفَافُ عَلَى حَرَمَةِ الْبُيُوتِ.

﴿٢٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِي تِلْكَ الْبُيُوتِ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ

أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - لِلْمُؤْمِنِينَ يَكْفُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا لَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالْعَوْرَاتِ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمِ، وَمَنْ كَشَفَهَا، ذَلِكَ الْكُفُّ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ أَطْهَرَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَسَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهِ. ﴿٣٣﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَكْفِفْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَىٰ مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَوْرَاتِ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ بِالْبَعْدِ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَبِالِسْتِرِّ، وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا مِمَّا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ كَالثِّيَابِ، وَلِيَضْرِبْنَ بِأَعْطِيَتِهِنَّ عَلَىٰ فَتْحَاتِ أَعْلَىٰ ثِيَابِهِنَّ لِيَسْتَرْنَ شَعُورَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ، وَلَا يُظْهِرْنَ زِينَتَهُنَّ الْخَفِيَّةَ إِلَّا لِأَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ آبَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَائِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءِ أَزْوَاجِهِنَّ، أَوْ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ، أَوْ نِسَائِهِنَّ الْمَأْمُونَاتِ، مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ كَافِرَاتٍ، أَوْ مَا مَلَكَنَّ مِنَ الْعَبِيدِ ذَكَورًا أَوْ إِنَاثًا، أَوْ التَّابِعِينَ الَّذِينَ لَا غَرَضَ لَهُمْ فِي النِّسَاءِ، أَوْ الْأَطْفَالَ الَّذِينَ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لِصُغُرِهِمْ، وَلَا يَضْرِبْنَ النِّسَاءَ بِأَرْجُلِهِنَّ قَصْدًا أَنْ يُعْلَمَ مَا يَسْتَرْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ مِثْلَ الْخُلْخَالِ وَمَا شَابِهَهُ، وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - مِمَّا يَحْصُلُ لَكُمْ مِنَ النَّظَرِ وَغَيْرِهِ؛ رَجَاءً أَنْ تَفُوزُوا بِالْمَطْلُوبِ، وَتَنْجُوا مِنَ الْمَرْهُوبِ.

﴿٣٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِ:

- ١ - جواز دخول المباني العامة دون استئذان.
- ٢ - وجوب غض البصر على الرجال والنساء عما لا يحل لهم.
- ٣ - وجوب الحجاب على المرأة.
- ٤ - جواز إبداء المرأة زيتها للأزواج ومن تحرم عليه لقراءة أو مصاهرة.
- ٥ - منع استخدام وسائل الإثارة.

ولما كانت العنوسة سبباً من أسباب انتشار الزنا أمر الله بإعانة الأيامى على النكاح، فقال:

﴿٣١﴾ وزوجوا - أيها المؤمنون - الرجال الذين لا زوجات لهم، والحرائر اللاتي لا أزواج لهن، وزوجوا المؤمنين من عبيدكم ومن إمائكم، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله الواسع، والله واسع الرزق، لا ينقص رزقه إغناء أحد، عليكم بأحوال عباده.

ولما أمر الله المؤمنين بتزويج الأيامى أمر الأيم أن يستعفت إذا لم يجد ما يتزوج به، فقال:

﴿٣٢﴾ وليطلب العفة عن الزنا الذين لا يستطيعون الزواج لفقرهم إلى أن يغنيهم الله من فضله الواسع، والذين يطلبون مكاتبه أسيادهم من العبيد على دفع مال ليتحرروا، فعلى أسيادهم أن يقبلوا منهم ذلك إن علموا فيهم القدرة على الأداء والصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم من مال الله الذي أعطاهم بأن يحفظوا عنهم جزءاً مما كاتبوهم على دفعه، ولا تجبروا إماءكم على الزنا بحثاً عن المال - كما فعل عبد الله بن أبي بأمته حين طلبنا التعفف والبعد عن الفاحشة - لتطلبوا ما تكسبه بفرجها، ومن يجبرهن منكم على ذلك فإن الله من بعد الإيجاب لهن غفور لذنهن، رحيم بهن؛ لأنهن مكروهات، والإثم على مكروههن.

﴿٣٣﴾ ولقد أنزلنا إليكم - أيها الناس - آيات واضحة لا لبس فيها، وأنزلنا إليكم مثلاً من الذين مضوا من قبلكم من المؤمنين والكافرين، وأنزلنا عليكم موعظة يتعظ بها الذين يتقون ربهم بامتنال أوامره واجتنب نواهي.

﴿٣٤﴾ الله نور السماوات والأرض، وهادي من فيهما، مثل نوره سبحانه في قلب المؤمن ككوة غير نافذة فيها ذبالة، الذبالة في زجاجة متوهجة كأنها كوكب مضيء كالدر، توقد الذبالة من زيت شجرة مباركة، هي شجرة الزيتون، الشجرة لا يسترها عن الشمس شيء، لا في الصباح ولا في المساء، يكاد زيتها لصفائه يضيء، ولو لم تمسه نار، فكيف إذا مسته؟ نور المصباح على نور الزجاجة، وهكذا قلب المؤمن إذا أشرق فيه نور الهداية، والله يوفق لاتباع القرآن من يشاء من عباده، ويبين الله الأشياء بأشبابها بضربه للأمثال، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٣٥﴾ يوقد هذا المصباح في مساجد أمر الله أن تنزه عن الأنجاس والأقذار، وأن يرفع شأنها، ويذكر فيها اسمه بالأذان والذكر والصلاة، يُصلي فيها ابتغاء مرضاة الله أول النهار وآخره.

﴿٣٦﴾ فإذ من الآيات:

١ - الحد من العنوسة بإعانة أصحابها على التخلص منها حتى لا تصبح سبباً لانتشار الفاحشة. ٢ - أمر العاجز عن النكاح لفقره بالبعد عن الفاحشة. ٣ - التخلص من الرق عن طريق المكاتب وإعانة الرقيق بالمال ليعتق حتى لا يشكل الرقيق طبقة مُستزدة تمتن الفاحشة. ٤ - محاربة المتاجرة بالأعراض عن طريق امتهان البغاء. ٥ - قلب المؤمن نير بنور الفطرة، ونور الهداية الربانية. ٦ - المساجد بيوت الله في الأرض أنشأها ليعبد فيها، فيجب إعادها عن الأقذار الحسية والمعنوية.

٣٧ رجال لا يلهيهم شراء ولا بيع عن ذكر الله سبحانه، والإتيان بالصلاة على أكمل وجه، وإعطاء الزكاة لمصارفها، يخافون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة من العذاب والخوف من العذاب، وتتقلب فيه الأبصار إلى أي ناحية تصير.

٣٨ عملوا ذلك ليشيهم الله على أعمالهم أحسن ما عملوا، ويزيدهم من فضله جزاء عليها، والله يرزق من يشاء بغير حساب على قدر أعمالهم، بل يعطيهم أضعاف ما عملوا. ٣٩ والذين كفروا بالله أعمالهم التي عملوها لا ثواب لها مثل السراب بمنخفض من الأرض يراه عطشان فيظنه ماءً، فيسير إليه حتى إذا جاءه ووقف عليه لم يجد ماءً، وكذا الكافر يظن أن أعماله تنفعه حتى إذا مات وبيعت لم يجد ثوابها، ووجد ربه أمامه فوفاه حساب عمله كاملاً، والله سريع الحساب.

٤٠ أو أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق، يعلوه موج، من فوق ذلك الموج موج آخر، من فوقه سحب يستر ما يهتدي به من النجوم، ظلمات متراكم بعضها فوق بعض، إذا أخرج من وقع في هذه الظلمات يده لم يكد يبصرها من شدة الظلمة، وهكذا الكافر، فقد تراكمت عليه ظلمات الجهل والشك والحيرة والطبع على قلبه، ومن لم يرزقه الله هدى من الضلالة، وعلمًا بكتابه، فما له هدى يهتدي به، ولا كتاب يستنير به.

رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ٣٧
لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨
بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهَا الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٣٩
أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَمِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ٤٠
اللَّهُ يَسْخِجُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمِ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ٤١
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ٤٢
سَحَابًا تُمْرِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ٤٣

٤١ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسخج له من في السماوات، ويسخج له من في الأرض من مخلوقاته، وتسبخ له الطيور قد صفت أجنحتها في الهواء، كل من تلك المخلوقات علم الله صلاة من يصلي منها كالإنسان، وتسبخ من يسبح منها كالطير، والله عليم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء. ٤٢ والله وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء. ٤٣ ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يسوق سحبًا، ثم يضم أجزاء بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكمًا يركب بعضه بعضًا، فتري المطر يخرج من داخل السحاب، وينزل من جهة السماء من قطع مثل الجبال بردًا، فيصيب بذلك البرد من يشاء من عباده، ويصرفه عن من يشاء منهم، يكاد ضوء برق السحاب من شدة لمعانه يذهب بالأبصار.

﴿فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

- ١ - موازنة المؤمن بين المشاغل الدنيوية والأعمال الأخروية أمر لازم.
- ٢ - بطلان عمل الكافر لفقد شرط الإيمان.
- ٣ - أن الكافر نشاز من مخلوقات الله المسبحة المطيعة.
- ٤ - جميع مراحل المطر من خلق الله وتقديره.

﴿٤٤﴾ يُعَاقِبُ اللَّهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ طَوْلًا وَقَصْرًا،
 إن في ذلك التعاقب الواقع بينهما عظة
 لأصحاب البصائر على قدرة الله ووحدانيته.
 ﴿٤٥﴾ والله خلق كل ما يدب على وجه الأرض
 من الحيوان من نطفة، فمنهم من يمشي على
 بطنه زحفاً كالحيات، ومنهم من يمشي على
 رجلين كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على
 أربع كالأنعام، يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما
 لم يذكر، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه
 شيء.

﴿٤٦﴾ لقد أنزلنا على محمد ﷺ آيات واضحة لا
 لبس فيها، والله يوفق من يشاء إلى طريق مستقيم
 لا اعوجاج فيه، فيوصله ذلك الطريق إلى الجنة.
 ﴿٤٧﴾ ويقول المنافقون: آمنا بالله، وآمنا
 بالرسول، وأطعنا الله، وأطعنا رسوله، ثم
 تتولى طائفة منهم، فلا يطيعون الله ورسوله في
 الأمر بالجهاد في سبيل الله وغيره بعد ما زعموه
 من الإيمان بالله ورسوله وطاعتها، وما أولئك
 المتولون عن طاعة الله ورسوله بالمؤمنين وإن
 ادعوا أنهم مؤمنون.

﴿٤٨﴾ وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى الله، وإلى
 الرسول ليحكم الرسول بينهم فيما يختصمون
 فيه، إذا هم معرضون عن حكمه لنفاقهم.
 ﴿٤٩﴾ وإن علموا أن الحق لهم، وأنه سيحكم
 لصالحهم بأنوا إليه متقادين خاضعين.

﴿٥٠﴾ أفي قلوب هؤلاء مرض لازم لها، أم شكوا في أنه رسول الله، أم يخافون أن يجور الله عليهم ورسوله في
 الحكم؟ ليس ذلك لشيء مما ذكر، بل لعدة في أنفسهم بسبب إعراضهم عن حكمه وعنادهم له.

﴿٥١﴾ ولما ذكر موقف المنافقين الراضين لحكم الله ورسوله ذكر موقف المؤمنين الراضين به، فقال:
 ﴿٥٢﴾ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله، وإلى الرسول ليحكم بينهم أن يقولوا: سمعنا قوله، وأطعنا أمره،
 وأولئك المتصفون بتلك الصفات هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

﴿٥٣﴾ ومن يطع الله ويطع رسوله، ويستسلم لحكمهما، ويخف ما تجرّه المعاصي، ويتق عذاب الله بامتثال أمره،
 واجتناب نهيها، فأولئك وحدهم هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

﴿٥٤﴾ وحلف المنافقون بالله أقصى أيمانهم المغلظة التي يستطيعون الحلف بها: لئن أمرتهم بالخروج إلى الجهاد
 ليخرجن، قل لهم - أيها الرسول -: لا تحلفوا، فكذبكم معروف، وطاعتكم المزعومة معروفة، والله خبير بما
 تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتموها.

﴿٥٥﴾ هُوَ الَّذِي يُرِي الْآيَاتِ:

- ١ - تنوع مخلوقات دليل على قدرة الله.
- ٢ - من صفات المنافقين الإعراض عن حكم الله إلا إن كان الحكم في صالحهم، ومن صفاتهم مرض القلب والشك، وسوء الظن بالله.
- ٣ - من صفات المؤمنين الإذعان لحكم الله، ولو كان عليهم.
- ٤ - طاعة الله ورسوله والخوف من الله من أسباب الفوز في الدارين.
- ٥ - الحلف على الكذب سلوك معروف عند المنافقين.

﴿٥٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنافقين: أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول في الظاهر والباطن، فإن تولوا عما أمرتم به من طاعتها فإنما عليه هو ما كلف به من التبليغ، وعليكم أنتم ما كلفتم به من الطاعة، والعمل بما جاء به، وإن تطيعوه بفعل ما أمركم بفعله، وبالكف عما نهاكم عنه تهتدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا البلاغ الواضح، فليس عليه حملكم على الهداية، وإجباركم عليها.

﴿٥٧﴾ وعد الله الذين آمنوا منكم بالله، وعملوا الأعمال الصالحات أن ينصرهم على أعدائهم، ويجعلهم خلفاء في الأرض مثل ما جعل من قبلهم من المؤمنين خلفاء فيها، ووعدهم أن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم، وهو دين الإسلام مكيئاً عزيزاً، ووعدهم أن يُبدلهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني وحدي، لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد تلك النعم فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

﴿٥٨﴾ وأدوا الصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الرسول بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه؛ رجاء أن تنجوا مما ترهبون، وتفوزوا بما تطلبون.

﴿٥٩﴾ لا تظنن - أيها الرسول - الذين كفروا بالله يفوتونني إذا أردت أن أنزل بهم العذاب، ومأواهم يوم القيامة جهنم، ولسأء مصير من جهنم مصيرهم.

ولما ذكر الله من قبل أحكام استئذان الأحرار البالغين ذكر هنا أحكام استئذان العبيد والأحرار غير البالغين، والأطفال إذا بلغوا، فقال:

﴿٥٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، ليطلب منكم الإذن عبيدكم وإماؤكم والأطفال الأحرار الذين لم يبلغوا سن الاحتلام ثلاث مرات في ثلاثة أوقات: من قبل صلاة الصبح وقت إبدال ثياب النوم بثياب اليقظة، وفي وقت الظهيرة حين تخلعون ثيابكم للليلولة، وبعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت نومكم وخلع ثياب اليقظة وليس ثياب النوم، هذه ثلاثة أوقات عورات لكم، لا يدخلون فيها عليكم إلا بعد إذن منكم، ليس عليكم حرج في دخولهم دون استئذان، ولا عليهم هم حرج فيما عداها من الأوقات، هم كثيرو التطواف، بعضكم يطوف على بعض، فيتعذر منهم من الدخول في كل وقت إلا باستئذان، كما بيّن الله لكم أحكام الاستئذان بيّن لكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من أحكام، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم من أحكام.

﴿٥٩﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ

١ - اتباع الرسول ﷺ علامة الاهتداء.

٢ - التبليغ مسؤولية الرسول، والهداية من الله.

٣ - على الداعية بذل الجهد في الدعوة، والنتائج بيد الله.

٤ - الإيمان والعمل الصالح سبب التمكين في الأرض والأمن.

٥ - إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول: أسباب لحصول الرحمة.

٦ - تأديب العبيد والأطفال على الاستئذان في أوقات ظهور عورات الناس.

٧ - المشقة تجلب التيسير.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْحَمُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿٥٩﴾ وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام فليطلبوا الإذن عند الدخول على البيوت في كل الأوقات مثل ما ذكر بشأن الكبار سابقاً، كما بيّن الله لكم أحكام الاستئذان بيّن الله لكم آياته، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم.

﴿٦٠﴾ والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في النكاح فليس عليهنّ إثم أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء والقناع، غير مظهرات للزينة الخفية التي أمرن بسترها، وأن يتركن وضع تلك الثياب خير لهنّ من وضعها إمعاناً في الستر والتعفف، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم عليها.

﴿٦١﴾ ليس على الأعمى الذي فقد بصره إثم؛ ولا على الأعرج إثم، ولا على المريض إثم؛ إن تركوا ما لا يستطيعون القيام به من التكاليف كالجهاد في سبيل الله، وليس عليكم - أيها المؤمنون - إثم في الأكل من بيوتكم، ومنها بيوت أبنائكم، ولا في الأكل من بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو إخوانكم أو أخواتكم أو أعمامكم أو عماتكم، أو أخوالكم أو خالاتكم، أو ما وكلتم على

حفظه من البيوت مثل حارس البستان، ولا حرج في الأكل من بيوت صديقتكم لطيب نفسه عادة بذلك، ليس عليكم إثم أن تأكلوا مجتمعين أو فرادى، فإذا دخلتم بيوتاً مثل البيوت المذكورة وغيرها فسلموا على من فيها بأن تقولوا: السلام عليكم، فإن لم يكن فيها أحد فسلموا على أنفسكم بأن تقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، تحية من عند الله شرعها لكم مباركة؛ لما تنشره من المودة والألفة بينكم، طيبة تطيب بها نفس سامعها، بمثل هذا التبيين المتقدم في السورة بيّن الله الآيات رجاء أن تعقلوها، وتعملوا بما فيها.

﴿٦١﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - جواز وضع العجائز بعض ثيابهنّ لانتهاء الريبة من ذلك.
- ٢ - الاحتياط في الدين شأن المتقين.
- ٣ - الأعداء سبب في تخفيف التكليف.
- ٤ - المجتمع المسلم مجتمع التكافل والتأزر والتآخي.

ولما ذكر الله الاستئذان عند الدخول ذكر الاستئذان عند الانصراف، فقال:

﴿١٧﴾ إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم هم الذين آمنوا بالله وأمنوا برسوله، وإذا كانوا مع النبي ﷺ في أمر يجمعهم لمصلحة المسلمين، لم ينصرفوا حتى يطلبوا منه الإذن في الانصراف، إن الذين يطلبون منك - أيها الرسول - الإذن عند الانصراف أولئك الذين يؤمنون بالله، ويؤمنون برسوله حقاً، فإذا طلبوا منك الإذن لبعض أمر يهمهم فأذن لمن شئت أن تأذن له منهم، واطلب لهم المغفرة لذنوبهم، إن الله غفور لذنوب من تاب من عباده، رحيم بهم.

﴿١٨﴾ شرفوا - أيها المؤمنون - رسول الله، فإذا ناديتموه فلا تناودوه باسمه مثل: يا محمد، أو باسم أبيه مثل: يا ابن عبد الله، كما يفعل بعضكم مع بعض، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وإذا دعاكم لأمر عام فلا تجعلوا دعوته كدعوة بعضكم بعضاً في الأمور التافهة عادة، بل سارعوا إلى الاستجابة لها، قد يعلم الله الذين ينصرفون منكم خفية دون إذن، فليحذر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ أن يصيبهم الله بمحنة وبلاء، أو يصيبهم بعذاب موجه لا صبر لهم عليه.

﴿١٩﴾ ألا إن الله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتديراً، يعلم ما أنتم - أيها الناس - عليه من الأحوال، لا يخفى عليه منها شيء، ويوم القيامة حين يرجعون إليه بالبعث بعد الموت يخبرهم بما عملوا من أعمال في الدنيا، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿٢٠﴾ مقصد السورة:

التكيز على قضية الانتصار للرسول ﷺ بعد تناول المشركين عليه.

﴿٢١﴾ التفسير:

﴿١﴾ تبارك الله الذي نزل القرآن على عبده ورسوله محمد ﷺ فارقاً بين الحق والباطل؛ ليكون رسولاً إلى الثقلين الإنس والجن، مخوفاً لهم من عذاب الله.

﴿٢﴾ الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وخلق جميع الأشياء، فقدّر خلقها وفق ما يقتضيه علمه وحكمته تقديراً، كل بما يناسبه.

﴿٣﴾ فوائد من الآيات: ١ - دين الإسلام دين النظام والآداب.

٢ - في الالتزام بالآداب بركة وخير.

٣ - منزلة رسول الله ﷺ تقتضي توقيره واحترامه أكثر من غيره.

٤ - شؤم مخالفة سنة النبي ﷺ.

٥ - إحاطة ملك الله وعلمه بكل شيء.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آيَاتُكَ
أَفْتَرِينَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٣﴾ وَقَالُوا أَسْطِطِرُّونَ الْأُولَىٰ ۚ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ وَقَالُوا
مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوفُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٦﴾ أَوْ يُنَزَّلُ
إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٧﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٨﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿٩﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

﴿١﴾ واتخذ المشركون من دون الله معبودات لا
يخلقون شيئاً صغيراً أو كبيراً وهم يخلقون، فقد
خلقهم الله من عدم، ولا يستطيعون دفع ضرر
عن أنفسهم، ولا جلب نفع لها، ولا يستطيعون
إماتة حي، ولا إحياء ميت، ولا يستطيعون
بعث الموتى من قبورهم.

ولما ذكّرهم شركهم بالله ذكر موقفهم من كتابه
ومن رسوله، فقال:

﴿١﴾ وقال الذين كفروا بالله وبرسوله: ما هذا
القرآن إلا كذب اختلقه محمد فنسبه بهتاناً
إلى الله، وأعانه على اختلاقه أناس آخرون،
فقد افترى هؤلاء الكافرون قولاً باطلاً، فالقرآن
كلام الله، لا يمكن أن يأتي البشر ولا الجن
بمثله.

﴿٢﴾ وقال هؤلاء المكذبون بالقرآن: القرآن
أحاديث الأولين وما يسطرونه من الأباطيل،
استنسخها محمد، فهي تُقرأ عليه أول النهار
وأخره.

﴿٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين:
أنزل القرآن الله الذي يعلم كل شيء في
السموات والأرض، وليس مُخْتَلَقًا كما
زعمتم، إن الله غفور لمن تاب من عباده،
رحيم بهم.

﴿٤﴾ وقال المشركون المكذبون بالنبى ﷺ: ما
لهذا الذي يزعم أنه رسول من عند الله يأكل
الطعام كما يأكل غيره من الناس، ويسير في الأسواق بحثاً عن المعاش، هلاً أنزل الله معه ملكاً يكون رفيقه يصدقه
ويساعده.

﴿٥﴾ أو ينزل عليه كنز من السماء، أو تكون له حديقة يأكل من ثمرها، فيستغني عن المشي في الأسواق وطلب
الرزق، وقال الظالمون: ما تتبعون - أيها المؤمنون - رسولاً، وإنما تتبعون رجلاً مغلوباً على عقله بسبب السحر.

﴿٦﴾ انظر - أيها الرسول - لتتعجب منهم كيف وصفوك بأوصاف باطلة، فقالوا: ساحر، وقالوا: مسحور، وقالوا:
مجنون، فضلوا بسبب ذلك عن الحق، فلا يستطيعون سلوك طريق للهداية، ولا يستطيعون سبيلاً إلى القدح في
صدقك وأمانتك.

﴿٧﴾ تبارك الله الذي إن شاء أن يجعل لك خيراً مما اقترحوه لك، بأن يجعل لك في الدنيا أحداثاً تجري من تحت
أشجارها الأنهار تأكل من ثمارها، ويجعل لك قصوراً تسكن فيها مُتَعَمًّا.

﴿٨﴾ ولم يصدر منهم ما صدر من الأقوال طلباً للحق وبحثاً عن البرهان، بل الحاصل أنهم كذبوا بيوم القيامة،
وأعدنا لمن كذب بيوم القيامة ناراً عظيمة شديدة الاستعار.

﴿٩﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - اتصاف الإله الحق بالخلق والنفع والإماتة والإحياء، وعجز الأصنام عن كل ذلك.
- ٢ - إعراض الكفار عن الحق مستلدين إلى شبهات لا أساس لها.
- ٣ - إثبات صفتي المغفرة والرحمة لله.
- ٤ - الرسالة لا تستلزم انتفاء البشرية عن الرسول.
- ٥ - تواضع النبي ﷺ حيث يعيش كما يعيش الناس.

﴿١٢﴾ إذا أشرف الكفار يوم القيامة على النار من مكان بعيد سمعوا لها غلياناً شديداً، وصوتاً مزعجاً من شدة غضبها عليهم.

﴿١٣﴾ وإذا رُمي هؤلاء الكفار في جهنم في مكان ضيق منها مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل دعوا على أنفسهم بالهلاك؛ رجاء الخلاص منها.

﴿١٤﴾ لا تدعوا - أيها الكفار - اليوم هلاكاً واحداً، وادعوا هلاكاً كثيراً، لكن لن تجابوا إلى ما تطلبون، بل ستبقون في العذاب الأليم خالدين.

﴿١٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أذلك المذكور من العذاب الذي وُصف لكم خير أم جنة الخلد التي يدوم نعيمها، ولا ينقطع أبداً؟ وهي التي وعد الله المتقين من عباده المؤمنين أن تكون لهم ثواباً، ومرجعاً يرجعون إليه يوم القيامة.

﴿١٦﴾ لهم في هذه الجنة ما يشاؤون من النعيم، كان ذلك على الله وعداً، يسأله إياه عباده المتقون، ووعد الله متحقق، فهو لا يخلف الميعاد.

﴿١٧﴾ ويوم يحشر الله المشركين المكذبين، ويحشر ما يعبدونه من دون الله، فيقول للمعبودين تقريباً لعبادتهم: أنتم أضللتم عبادي بأمركم لهم أن يعبدوكم، أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم؟

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُنْفُتُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرُونِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَبَاءَ هُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾

﴿١٨﴾ قال المعبودون: تنزهت - ربنا أن يكون لك شريك - ما يليق بنا أن نتخذ من دونك أولياء نتولاهم، فكيف ندعو عبادك أن يعبدونا من دونك؟ ولكن تمتعت - ربنا - هؤلاء المشركين بملذات الدنيا، وامتعت آباءهم من قبلهم استدراجاً لهم حتى نسوا ذكرك، فعبدوا معك غيرك، وكانوا قوماً هللكي بسبب شقائهم.

﴿١٩﴾ فقد كذبكم - أيها المشركون - من عبدتموهم من دون الله فيما تدعونونه عليهم، فما تستطيعون دفع العذاب عن أنفسكم ولا نصرها لعجزكم، ومن يظلم منكم - أيها المؤمنون - بالشرك بالله نذقه عذاباً عظيماً مثل ما أدقناه من ذكرك. ولما استنكر المشركون أن الرسول ﷺ يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ردَّ الله عليهم بقوله:

﴿٢٠﴾ وما بعثنا قبلك - أيها الرسول - من المرسلين إلا بشرًا كانوا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، فلست بدعاً من الرسل في ذلك، وجعلنا بعضهم - أيها الناس - لبعض اختباراً في الغنى والفقر والصحة والمرض بسبب هذا الاختلاف، أتصبرون على ما ابتليتكم به؟ فيثيبكم الله على صبركم، وكان ربك بصيراً بمن يصبر ومن لا يصبر، وبمن يطيعه ومن يعصيه.

﴿٢١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

- ١ - الجمع بين التهيب من عذاب الله والترغيب في ثوابه.
- ٢ - تبرؤ المعبودين من عبدتهم يوم القيامة.
- ٣ - متع الدنيا مُنْسِيَةً لذكر الله.
- ٤ - بشرية الرسل نعمة من الله للناس لسهولة التعامل معهم.
- ٥ - تفاوت الناس في النعم والنقم اختبار إلهي لعباده.



﴿٢١﴾ وَقَالَ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ لِقَاءَنَا، وَلَا يَخْشَوْنَ عَذَابَنَا: هَلَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ الْمَلَائِكَةَ، فَتَخْبِرُنَا عَنْ صَدَقِ مُحَمَّدٍ، أَوْ نَشَاهِدَ رَبَّنَا عَيَانًا، فَيُخْبِرُنَا بِذَلِكَ؟ لَقَدْ عَظُمَ الْكِبْرُ فِي نَفْسِهِ هَؤُلَاءِ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَتَجَاوَزُوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالطَّغْيَانِ.

﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَعَايِنُ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، وَفِي الْبُرْزَخِ، وَعِنْدَ بَعْثِهِمْ، وَحِينَ يُسَاقُونَ لِلْحِسَابِ، وَحِينَ يَدْخُلُونَ فِي النَّارِ، لَا بَشِيرَةَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاقِفِ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقُولُ لَهُمْ الْمَلَائِكَةُ: حَرَامًا مَحْرَمًا عَلَيْكُمْ الْبَشِيرَةُ مِنْ اللَّهِ.

﴿٢٣﴾ وَعَمَدْنَا إِلَى مَا عَمِلَهُ الْكَافِرُ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ فَصَيَّرْنَاهُ فِي بَطْلَانِهِ وَعَدَمَ نَفْعِهِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ مِثْلَ الْغَيْبَارِ الْمَفْرُوقِ يَرَاهُ النَّازِرُ فِي الْكُوَّةِ.

﴿٢٤﴾ الْمُؤْمِنُونَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَفْضَلُ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ مَكَانَ رَاحَةٍ وَنَوْمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ؛ ذَلِكَ لِإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ.

﴿٢٥﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَوْمَ تَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ عَنْ سَحَبٍ بَيْضَاءَ رَقِيقَةٍ، وَتُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَرْضِ الْمُحَشَّرِ تَنْزِيلًا كَثِيرًا لِكَثْرَتِهِمْ.

﴿٢٦﴾ الْمُلْكُ الَّذِي هُوَ الْمُلْكُ الْحَقُّ الثَّابِتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى الْكَافِرِ صَعْبًا بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ سَهْلٌ عَلَيْهِمْ.

﴿٢٧﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ بِسَبَبِ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ شِدَّةِ النَّدَمِ قَائِلًا: يَا لَيْتَنِي اتَّبَعْتُ الرَّسُولَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، وَاتَّخَذْتُ مَعَهُ طَرِيقًا إِلَى النِّجَاةِ.

﴿٢٨﴾ وَيَقُولُ مِنْ شِدَّةِ الْأَسْفِ دَاعِيًا عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَيْلِ: يَا وَيْلِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ الْكَافِرَ فَلَانًا صَدِيقًا.

﴿٢٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي هَذَا الصَّدِيقُ الْكَافِرُ عَنِ الْقُرْآنِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَنِي عَنْ طَرِيقِ الرَّسُولِ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ كَثِيرَ الْخِذْلَانِ، إِذَا نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ تَبَرَّأَ مِنْهُ.

﴿٣٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ شَاكِيًا حَالَ قَوْمِهِ: يَا رَبِّ، إِنْ قَوْمِي الَّذِينَ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِمْ تَرَكُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ.

﴿٣١﴾ وَمِثْلُ مَا لَاقَيْتُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مِنْ قَوْمِكَ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ عَدُوًّا مِنْ مَجْرَمِي قَوْمِهِ، وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَكَفَى بِهِ نَصِيرًا يَنْصُرُكَ عَلَى عَدُوِّكَ.

﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ: هَلَّا نُزِّلَ عَلَيَّ الْقُرْآنُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يُنَزَّلْ عَلَيَّ مَفْرَقًا، نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ كَذَلِكَ مَفْرَقًا لِتَثْبِيتِ قَلْبِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - بِنَزْوَلِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَأَنْزَلْنَاهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ لِتَسْهِيلِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ.

﴿٣٣﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الْكَبِيرُ مَانِعٌ مِنَ الْهِدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ. ٢ - الْكُفْرُ مَانِعٌ مِنْ قَبُولِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. ٣ - الْكُفْرُ سَبَبُ النَّدَمِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ٤ - خَطَرُ قِرْنَاءِ السُّوءِ. ٥ - ضَرَرُ هَجْرِ الْقُرْآنِ. ٦ - عِدَاوَةُ أَهْلِ الْبَاطِلِ لِأَهْلِ الْحَقِّ مُسْتَمْرَةً. ٧ - مِنْ حَكْمِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ مَفْرَقًا طَمَئِنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَيْسِيرِ فَهْمِهِ وَحِفْظِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ. ٨ - الرَّدُّ عَلَى شِبْهِ الْكَافِرِ الَّتِي يَثِيرُونَهَا عَلَى التَّدْرِجِ فِي نَزْوَلِ الْقُرْآنِ.

﴿٣٣﴾ ولا يأتيك - أيها الرسول - المشركون بمثل مما يقترحونه إلا جئناك بالجواب الحق الثابت عليه، وجئناك بما هو أحسن بياناً.

﴿٣٤﴾ الذين يساقون يوم القيامة مسحوبين على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً؛ لأن مكانهم جهنم، وأخطأ طريقاً؛ لأن طريقهم طريق الكفر والضلال.

﴿٣٥﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، وصيرنا معه أخاه هارون رسولاً ليكون له معيناً.

﴿٣٦﴾ فقلنا لهما: اذبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا. فامتثلا أمرنا، وذبا إليهم فدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوهما فأهلكناهم بسبب تكذيبهم إهلاكاً.

﴿٣٧﴾ وقوم نوح لما كذبوا الرسل بتكذيبهم نوحاً ﴿٣٧﴾ أهلكناهم بالغرق في البحر، وصيرنا إهلاكهم دلالة على قدرتنا على استئصال الظالمين، وأعدنا للظالمين يوم القيامة عذاباً موجعاً.

﴿٣٨﴾ وأهلكنا عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وأهلكنا أصحاب البئر، وأهلكنا أمماً كثيرة بين هؤلاء الثلاث.

﴿٣٩﴾ وكل من هؤلاء المهلكين وصفنا له إهلاك الأمم السابقة وأسبابه ليتعظوا، وكلاً أهلكنا إهلاكاً شديداً لكفرهم وعنادهم.

﴿٣٤﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٤﴾
 الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَىٰ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لِّمَا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَىٰ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفْكَمَ يَكُونُوا يُرْوَاهَا بَلَّ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخَذُوكَ بِالْأَهْرُورِ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿٤٠﴾ ولقد أتى المكذوبون من قومك في ذهابهم إلى الشام إلى قرية قوم لوط التي أمطرت بالحجارة؛ عقاباً لها على فعل الفاحشة ليعتبروا، أفعموا عن هذه القرية فلم يكونوا يشاهدونها؟ لا، بل كانوا لا يتوقعون بعثاً يحاسبون بعده.

﴿٤١﴾ وإذا قابلتك - أيها الرسول - هؤلاء المكذوبون سخروا منك قائلين على سبيل الاستهزاء والإنكار: أهدنا الذي بعثه الله رسولاً إلينا؟

﴿٤٢﴾ لقد أوشك أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، لولا أن صبرنا على عبادتها لصرفنا عنها بحججه وبراهينه، وسوف يعلمون حين يعانقون العذاب في قبورهم ويوم القيامة من أضل طريقاً أم هو؟ وسيعلمون أيهم الأضل.

﴿٤٣﴾ أرايت - أيها الرسول - من جعل من هواه إلهاً فأطاعه، أفأنت تكون عليه حفيظاً ترده إلى الإيمان، وتمنعه من الكفر؟

﴿٤٤﴾ فَوَاوِلَّامِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الكفر بالله والتكذيب بآياته سبب إهلاك الأمم.
- ٢ - غياب الإيمان بالبعث سبب عدم الاعتاظ.
- ٣ - السخرية بأهل الحق شأن الكافرين.
- ٤ - خطر اتباع الهوى.

﴿٤٣﴾ بل أتحسب - أيها الرسول - أن أكثر الذين تدعوهم إلى توحيد الله وطاعته يسمعون سماع قبول أو يعقلون الحجج والبراهين؟ ليسوا إلا مثل الأنعام في السماع والتعقل والفهم، بل هم أضل طريقاً من الأنعام.

﴿٤٤﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى آثار خلق الله حين بسط الظل على وجه الأرض، ولو شاء أن يجعله ساكناً لا يتحرك لجعله كذلك، ثم صيرنا الشمس دلالة عليه، يطول بها ويقصر.

﴿٤٥﴾ ثم قبضنا الظل بالنقص يتدرج شيئاً فشيئاً قبضاً قليلاً حسب ارتفاع الشمس.

﴿٤٦﴾ والله هو الذي صير لكم الليل بمنزلة لباس يستركم، ويستر الأشياء، وهو الذي صير لكم النوم راحة تستريحون به من أشغالكم، وهو الذي صير لكم النهار وقتاً تطلقون فيه إلى أعمالكم.

﴿٤٧﴾ وهو الذي بعث الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو من رحمته بعباده، وأنزلنا من السماء ماء المطر طاهراً يتطهرون به.

﴿٤٨﴾ لنحبي بذلك الماء النازل أرضاً قاحلة لا نبات فيها بانياتها بأنواع النبات وبث الخضرة فيها، ولنسقي بذلك الماء مما خلقنا أنعاماً وبشراً كثيراً.

﴿٤٩﴾ ولقد بينا ونوعنا في القرآن الحجج والبراهين ليعتبروا بها، فأبى معظم الناس إلا جحوداً بالحق وتنكراً له.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ

الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا سَيْرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ آيَاتٍ لِيَأْسَوا وَلِتُنْمُوا سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْ آسَى كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِم

لِيَذْكُرُوا فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطَّعِ الْكَافِرِينَ

وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

وَجَبْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿٥١﴾ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية رسولا ينذرهم ويخوفهم من عقاب الله، لكننا لم نشأ ذلك، وإنما بعثنا محمداً رسولاً إلى جميع الناس.

﴿٥٢﴾ فلا تطع الكفار فيما يطالبونك به من مداونتهم، وفيما يقدمونه من اقتراحات، وجاهدهم بهذا القرآن المُنزَّل عليك جهاداً عظيماً بالصبر على أذاهم وتحمل المشاق في دعوتهم إلى الله.

﴿٥٣﴾ والله سبحانه هو الذي خلط ماء البحرين، خلط العذب منهما بالمالح، وصير بينهما حاجزاً وستراً ساتراً يمنعهما من التمازج.

﴿٥٤﴾ وهو الذي خلق من مني الرجل والمرأة بشراً، ومن خلق البشر أنشأ علاقة القرابة وعلاقة المُصَاهرة، وكان ربك - أيها الرسول - قديراً لا يعجزه شيء، ومن قدرته خلق الإنسان من مني الذكر والمرأة.

﴿٥٥﴾ ويعبد الكفار من دون الله أصناماً لا تفهمهم إن أطاعوها، ولا تضرهم إن عصوها، وكان الكافر تابعاً للشيطان على ما يسخط الله سبحانه.

﴿٥٦﴾ فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ آلِ آدَمَ:

١ - انحطاط الكافر إلى مستوى دون مستوى الحيوان بسبب كفره بالله.

٢ - ظاهرة الظل آية من آيات الله الدالة على قدرته.

٣ - خلق الليل للراحة والنهار للعمل نعمة من نعم الله.

٤ - المطر رحمة من الله بخلقه.

٥ - تنوع الحجج والبراهين أسلوب تربوي ناجح.

٦ - الدعوة بالقرآن من صور الجهاد في سبيل الله.

﴿٥٦﴾ وما أرسلناك إلا مبشراً - أيها الرسول - إلا مبشراً من أطاع الله بالإيمان والعمل الصالح، ومنذراً من عصاه بالكفر والعصيان.

﴿٥٧﴾ قل - أيها الرسول -: لا أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إلا من شاء منكم أن يتخذ طريقاً إلى مرضاة الله بالإتفاق فليفعل.

﴿٥٨﴾ وتوكل - أيها الرسول - في جميع أمورك على الله الحي الباقي الذي لا يموت أبداً، ونزّهه مثنياً عليه سبحانه، وكفى به بذنوب عباده خبيراً لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٥٩﴾ الذي خلق السماوات وخلق الأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، وهو الرحمن، فاسأل - أيها الرسول - به خبيراً، وهو الله الذي يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء.

﴿٦٠﴾ وإذا قيل للكفار: اسجدوا للرحمن، قالوا: لا نسجد للرحمن، وما الرحمن؟ لا نعرفه ولا نقرّ به، أنسجد لما تأمرنا بالسجود له ونحن لا نعرفه؟! وزادهم أمره لهم بالسجود له بُعداً عن الإيمان بالله.

﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء منازل للكواكب والنجوم السيارة، وجعل في السماء شمساً تشعّ النور، وجعل فيها قمراً ينير الأرض بما يعكسه من ضوء الشمس.

﴿٦٢﴾ والله هو الذي صير الليل والنهار متعاقبين يعقب أحدهما الآخر ويخلفه، لمن أراد أن يعتبر بآيات الله فيهتدي، أو أراد شكر الله على نعمه.

﴿٥٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَعَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ ذُنُوبًا عَبَادَةً خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

﴿٦٣﴾ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض بوقار متواضعين، وإذا خاطبهم الجاهل لم يقابلوهم بالمثل، بل يقولون لهم قولاً يسلمهم من شرهم.

﴿٦٤﴾ والذين يبيتون لربهم سجداً على جباههم، وقياماً على أقدامهم يصلون لله.

﴿٦٥﴾ والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أبعد عنا عذاب جهنم، إن عذاب جهنم كان دائماً ملازماً لمن مات كافراً.

﴿٦٦﴾ إنها ساءت مكان استقرار لمن استقرّ فيها، وساءت مقاماً لمن يقيم فيها.

﴿٦٧﴾ والذين إذا بذلوا أموالهم لم يصلوا في بذلهم لها إلى حد التبذير، ولم يضيقوا في بذلها على من تجب عليهم نفقته من أنفسهم أو غيرها، وكان إنفاقهم بين التبذير والتقتير مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٦٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

- ١ - الداعي إلى الله لا يطلب الجزاء من الناس.
- ٢ - ثبوت صفة الاستواء لله بما يليق به ﷻ.
- ٣ - أن الرحمن اسم من أسماء الله لا يشاركه فيه أحد قط، دال على صفة من صفاته وهي الرحمة.
- ٤ - إعانة العبد بتعاقب الليل والنهار على ما فاته من الطاعة في أحدهما.
- ٥ - من صفات عباد الرحمن التواضع والحلم، وطاعة الله عند غفلة الناس، والخوف من الله، والتزام التوسط في الإنفاق وفي غيره من الأمور.

٦٥) والذين لا يدعون مع الله سبحانه معبودًا آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما أذن الله به من قتل القاتل أو المرتد أو الزاني المحصن، ولا يزنون، ومن يفعل هذه الكبائر يلقى يوم القيامة عقوبة ما ارتكبه من الإثم.

٦٦) يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد في العذاب ذليلاً حقيراً.

٦٧) لكن من تاب إلى الله، وعمل عملاً صالحاً يدل على صدق توبته، فأولئك يبذل الله ما عملوه من السيئات حسنات، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده، رحيماً بهم.

٦٨) ومن تاب إلى الله، وبرهن على صدق توبته بفعل الطاعات وترك المعاصي فإن توبته توبة مقبولة.

٦٩) والذين لا يحضرون الباطل كمواطن المعاصي والملاهي المحرمة، وإذا مروا باللغو من ساقط الأقوال والأفعال مروا عابراً، مكرمين أنفسهم بتزنيها عن مخالطته.

٧٠) والذين إذا ذكروا بآيات الله المسموعة والمشهودة لم يصموا أذانهم عن الآيات المسموعة، ولم يعموا عن الآيات المشهودة.

٧١) والذين يقولون في دعائهم لربهم: ربنا، أعطنا من أزواجنا، ومن أولادنا من يكون قرة عين لنا لتقواه واستقامته على الحق، وصيرنا للمتقين أئمة في الحق يُقتدى بنا.

٧٢) أولئك المتصفون بتلك الصفات يجزون الغرفات العالية في الفردوس الأعلى من الجنة بسبب صبرهم على طاعة الله، ويُلقون فيها من الملائكة بالتحية والسلام، ويسلمون فيها من الآفات.

٧٣) ماكنين فيها أبداً، حسنت مكان استقرار يستقرون فيه، ومكان مقام يقيمون فيه.

٧٤) قل - أيها الرسول - للكفار المُصِرِّين على كفرهم: ما يبالي بكم ربي لنفَع يعود إلي من طاعتكم، لولا أنه يدعوكم لما ينفَعكم لما بالي بكم، فقد كذبتُم الرسول فيما جاءكم به من ربيكم، فسوف يكون جزاء التكذيب ملازماً لكم.

٧٥) فإذن من الآيات:

- ١ - من صفات عباد الرحمن: البعد عن الشرك، وتجنب قتل الأنفس بغير حق، والبعد عن الزنا، والبعد عن الباطل، والاعتبار بآيات الله، والدعاء.
- ٢ - التوبة النصوح تقتضي ترك المعصية وفعل الطاعة.
- ٣ - الصبر سبب في دخول الفردوس الأعلى من الجنة.
- ٤ - غنى الله عن إيمان الكفار.

سورة التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِيعٌ فَنَسَكَ
 الْأَيَّامَ كُفْرًا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ دَشَانَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ
 أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ
 إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا
 بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهًا قَدْ ضَلَّنا فِيهَا مِنْ كُلِّ رِجْعٍ
 كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْتَقِيمُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
 إِلَيَّ هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ
 كَلَّا فَادْهَبْ بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَى فِرْعَوْنَ
 فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنِي إِسْرَائِيلَ
 ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَم نَمُقِّدْ فِينَا مِنْ عَمْرِكِ سِنِينَ ﴿١٨﴾
 وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

﴿١﴾ مقصد النبوة :

التركيز على مواجهة المُصْرِبِينَ على التكذيب بالرسول، الطاعنين برسالته وتوهين شأنهم.

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ طَسَّرَ ﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ تلك آيات القرآن المبين للحق من الباطل.

﴿٣﴾ لعلك - أيها الرسول - لحرصك على هدايتهم قاتل نفسك خوفًا عليهم إن لم يؤمنوا بالله.

﴿٤﴾ إن نشأ إنزال معجزة عليهم من السماء أنزلناها عليهم، فتنظّل أعناقهم خاضعة لها ذليلة، لكننا لم نشأ ذلك ابتلاء لهم: هل يؤمنون بالغيب؟

﴿٥﴾ وما يجيء هؤلاء المشركين من تذكير مُحَدَّثٍ إنزاله من الرحمن بحججه الدالة على توحيده وصدق نبيه إلا أعرضوا عن سماعه والتصديق به.

﴿٦﴾ فقد كذبوا بما جاءهم به رسولهم، فسيأتيهم تحقيق أنباء ما كانوا به يسخرون، ويحل عليهم العذاب.

﴿٧﴾ أبقى هؤلاء مُصْرِبِينَ على كفرهم فلم ينظروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل نوع من أنواع النبات حسن المنظر كثير المنافع.

﴿٨﴾ إن في إنبات الأرض بأنواع مختلفة من النبات للدلالة واضحة على قدرة من أنبتها على إحياء الموتى، وما كان معظمهم مؤمنين.

﴿٩﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، الرحيم بالمؤمنين من عباده.

﴿١٠﴾ واذكر - أيها الرسول - حين نادى ربك موسى أمرًا إياه أن يأتي القوم الظالمين بكفرهم بالله واستعباد قوم موسى.

﴿١١﴾ وهم قوم فرعون، فيأمرهم برفق ولين بتقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.

﴿١٢﴾ قال موسى ﷺ: إني أخاف أن يكذبوني فيما أبلغهم به عنك.

﴿١٣﴾ ويضيق صدري لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بالدعوة إلى الله، فأرسل جبريل ﷺ إلى أخي هارون ليكون معياني لي.

﴿١٤﴾ ولهم علي ذنب بسبب قتلي القبطي فأخاف أن يقتلوني.

﴿١٥﴾ قال الله لموسى ﷺ: كلا، لن يقتلوك، فاذهب أنت وأخوك هارون بآياتنا الدالة على صدقكما، فإننا معكما بالنصر والتأييد مستمعون لما تقولون ولما يقال لكم، لا يفوتنا من ذلك شيء.

﴿١٦﴾ فأتى فرعون، فقولا له: إنا رسولان إليك من رب المخلوقات كلها.

﴿١٧﴾ أن ابعت معنا بني إسرائيل.

﴿١٨﴾ قال فرعون لموسى ﷺ: أَلَمْ نُرَبِّكَ لَدِينَا صَغِيرًا، ومكثت فينا من عمرك سنين، فما الذي دعاك إلى ادعاء النبوة؟

﴿١٩﴾ وفعلت أمرًا عظيمًا حين قتلت القبطي انتصارًا لرجل من قومك، وأنت من الجاحدين لنعمي عليك.

﴿٢٠﴾ فَوَارِدًا مِنَ الْآيَاتِ:

١ - حرص الرسول ﷺ على هداية الناس. ٢ - إنبات صفة العزة والرحمة لله. ٣ - اللين مع المدعوين مطلوب مرغوب. ٤ - أهمية سعة الصدر والفصاحة للداعية. ٥ - دعوات الأنبياء تحرير من العبودية لغير الله. ٦ - توظيف الكفار خدماتهم للصد عن سبيل الله.

﴿٢١﴾ قال موسى ﷺ لفرعون: قتلت ذلك

الرجل وأنا من الجاهلين حرمة قتله قبل أن يأتيني وحي بحرمة القتل.

﴿٢٢﴾ فهربت منكم بعد قتله إلى مدين لما خفت

من قتلكم إياي به، فأعطاني ربي علمًا، وصيرني من رسله الذين يرسلهم إلى الناس.

﴿٢٣﴾ وتربيتك إياي من غير أن تستعبدني مع

استعدادك بني إسرائيل نعمة تمن بها علي؟!

﴿٢٤﴾ قال فرعون لموسى ﷺ: وما رب

المخلوقات الذي زعمت أنك رسوله؟

﴿٢٥﴾ قال موسى مجيبًا فرعون: رب المخلوقات

هو رب السماوات ورب الأرض، ورب ما

بينهما إن كنتم موقنين أنه ربهم فاعبدوه وحده.

﴿٢٦﴾ قال فرعون لمن حوله من سادة قومه: ألا

تستمعون إلى جواب موسى، وما فيه من زعم

كاذب.

﴿٢٧﴾ قال لهم موسى: الله ربكم ورب آبائكم

السابقين.

﴿٢٨﴾ قال فرعون: إن الذي يزعم أنه رسول

إلَيْكُمْ لمجنون لا يعي كيف يجيب، ويقول ما

لا يعقل.

﴿٢٩﴾ قال موسى: الله الذي أدعوكم إليه هو رب

المشرق، ورب المغرب، ورب ما بينهما إن

كانت لكم عقول تعقلون بها.

﴿٣٠﴾ قال فرعون لموسى بعد عجزه عن

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ

فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٣٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٣٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ

﴿٣٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ

الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ

لَئِن أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ

أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّثِينٍ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصّٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّثِينٌ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعُ يَدَهُ

فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ

عَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا

تَأْمُرُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ الْوَارِثَةُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدَّارَيْنِ حٰشِرِينَ

﴿٤٦﴾ يَا تَوَكُّبِكُمْ أَعْمَىٰ سِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٤٧﴾ فَجَمَعَ السَّحْرَةَ

لَمِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٤٩﴾

مُحَاجَّتِهِ: لئن عبدت معبودًا غيري لأصيرنك من المسجونين.

﴿٣٠﴾ قال موسى ﷺ لفرعون: أتصيرني من المسجونين حتى لو جئتك بما يبين صدقي فيما جئتك به من عند الله؟

﴿٣١﴾ قال: فأت بما ذكرت أنه يدل على صدقك إن كنت من الصادقين فيما تدعيه.

﴿٣٢﴾ فرمى موسى عصاه في الأرض فانقلبت فجاء ثعبانًا واضحًا للعيان.

﴿٣٣﴾ وأدخل يده في جيبه غير بيضاء، فأخرجها بيضاء نورانًا لا يبيض برص، يشاهده الناظرون كذلك.

﴿٣٤﴾ قال فرعون لسادة قومه من حوله: إن هذا الرجل لساحر عليم بالسحر.

﴿٣٥﴾ يريد بسحره أن يخرجكم من أرضكم، فما رأيكم فيما نتخذة فيه؟

﴿٣٦﴾ قالوا له: أخزّه وأخز أخاه، ولا تبادر بعقوبتهما، وأرسل في مدائن مصر من يجمعون السحرة.

﴿٣٧﴾ يأتوك بكل سحار عليم بالسحر.

﴿٣٨﴾ فجمع فرعون سحرته لمباراة موسى في مكان وزمان محددين.

﴿٣٩﴾ وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتروا الغالب أهو موسى أم السحرة؟

﴿٤٠﴾ فواتر من الآيات:

١ - اتخاذ الأسباب للحماية من العدو لا ينافي الإيمان والتوكل على الله.

٢ - دلالة مخلوقات الله على ربوبيته ووحدانيته.

٣ - ضعف الحجة سبب من أسباب ممارسة العنف.

٤ - إثارة العامة ضد أهل الدين أسلوب الطغاة.

﴿٤٠﴾ رجاء أن نتبع السحرة في دينهم إن كانت الغلبة لهم على موسى .

﴿٤١﴾ فلما جاء السحرة إلى فرعون ليغالبوا موسى قالوا له : هل لنا جزاء مادي أو معنوي إن كانت الغلبة لنا على موسى ؟

﴿٤٢﴾ قال لهم فرعون : نعم لكم جزاء ، وإنكم في حال فوزكم عليه لمن المقربين عندي بإعطائكم المناصب الرفيعة .

﴿٤٣﴾ قال لهم موسى واثقاً بنصر الله ومبيناً أن ما عنده ليس سحرًا : ألقوا ما أنتم ملقونه من حبالكم وعصيكم .

﴿٤٤﴾ فألقوا حبالهم وعصيهم ، وقالوا عند إلقائهما : بعمظة فرعون إنا لنحن الغالبون ، وموسى هو المغلوب .

﴿٤٥﴾ فألقى موسى عصاه فانقلبت حية ، فإذا هي تتلعق ما يُموهون به على الناس من السحر .

﴿٤٦﴾ فلما أبصر السحرة عصا موسى تتلعق ما ألقوه من سحرهم سقطوا ساجدين .

﴿٤٧﴾ قالوا : آمنا برب المخلوقات كلها .

﴿٤٨﴾ رب موسى ورب هارون عليهما السلام .

﴿٤٩﴾ قال فرعون منكراً على السحرة إيمانهم : أصدقتهم بموسى قبل أن أذن لكم بذلك ، إن موسى لهو كبيركم الذي علمكم السحر ، وقد تأمرتم جميعاً على إخراج أهل مصر منها ، فليسوف تعلمون ما أوقعه بكم من عقاب ،

لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا أَجْرٌ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأُطْعِمَنَّكُمْ مِنْ يَدَيْكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَاضْمِرْنَا إِلَى رَبِّنَا مَقْبَلِينَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ فَتَّبِعُوهُ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِن هَؤُلَاءِ لَشُرُذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

فلاقطن رجل كل واحد ويده مخالفاً بينهما ، ولأصلبكنم أجمعين على جذوع النخل ، لا أستبقي منكم أحداً .

﴿٦١﴾ قال السحرة لفرعون : لا ضرر فيما تهددنا به من القطع والصلب في الدنيا ، فعذابك يزول ، ونحن إلى ربنا متقبلون ، وسيدخلنا في رحمته الدائمة .

﴿٦٢﴾ إنا نرجو أن يمحو الله عنا خطايانا السابقة التي ارتكبتها لأجل أن كنا أول من آمن بموسى وصدق به .

﴿٦٣﴾ وأوحينا إلى موسى آمين إياه أن يسري ببني إسرائيل ليلاً ، فإن فرعون ومن معه متبعوهم ليردوهم .

﴿٦٤﴾ فبعث فرعون بعض جنوده في المدائن جامعين يجمعون الجيوش ليردوا بني إسرائيل لما علم بمسيرهم من مصر .

﴿٦٥﴾ قال فرعون مقللاً من شأن بني إسرائيل : إن هؤلاء لطائفة قليلة .

﴿٦٦﴾ وإنهم لفاعلون ما يغيظنا عليهم .

﴿٦٧﴾ وإنا لمستعدون لهم متيقظون .

﴿٦٨﴾ فأخرجنا فرعون وقومه من أرض مصر ذات الحدائق الغناء ، والعيون الجارية بالماء .

﴿٦٩﴾ وذات خزائن المال ، والمسكن الحسنة .

﴿٧٠﴾ وكما أخرجنا فرعون وقومه منها صيرناها من بعدهم لبني إسرائيل .

﴿٧١﴾ فسار فرعون وقومه في إثر بني إسرائيل في وقت شروق الشمس .

﴿٧٢﴾ فإذ من الآيات :

١ - العلاقة بين أهل الباطل هي المصالح المادية . ٢ - ثقة موسى بالنصر على السحرة تصديقاً لوعده ربه . ٣ - إيمان السحرة برهان على أن الله مُصْرِفُ القلوب يصرفها كيف يشاء . ٤ - أهل الطغيان يلجؤون إلى العنف لعجزهم عن مقارعة الحججة بالحجة . ٥ - الطغيان والظلم من أسباب زوال الملك .

﴿٦١﴾ فلما تقابل فرعون وقومه مع موسى وقومه بحيث صار يرى كل فريق الفريق الآخر قال أصحاب موسى: إن فرعون وقومه سيلحقوننا، ولا قبيل لنا بهم.

﴿٦٢﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما تصورتهم، فإن معي ربي بالتأييد والنصر، سيرشدني ويدلني إلى طريق النجاة.

﴿٦٣﴾ فأوحينا إلى موسى أمرين إياه أن يضرب البحر بعصاه، فضربه بها، فانشق البحر وتحول إلى اثني عشر مسلكا بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة منسقة من البحر مثل الجبل العظيم في العظم والنبات بحيث لا يسيل منها ماء.

﴿٦٤﴾ وقربنا فرعون وقومه حتى دخلوا البحر ظانين أن الطريق سالك.

﴿٦٥﴾ وأنقذنا موسى ومن معه من بني إسرائيل، فلم يهلك منهم أحد.

﴿٦٦﴾ ثم أهلكنا فرعون وقومه بالغرق في البحر.

﴿٦٧﴾ إن في انفلاق البحر لموسى ونجاته وهلاك فرعون وقومه لمعجزة دالة على صدق موسى، وما كان أكثر من مع فرعون بمؤمنين، بل كانوا مكذبين.

﴿٦٨﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

﴿٦٩﴾ واتل عليهم - أيها الرسول - قصة إبراهيم.

﴿٧٠﴾ حين قال لأبيه أزر وقومه: ما الذي تعبدونه من دون الله؟

فَلَمَّا تَرَأَهُ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ

كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَأَطْوَادِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾

وَأَرْزَقْنَاهُمُ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

ثُمَّ آخَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا

نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مَا تُنَادِي بِهَا نَادٍ ﴿٧١﴾

تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا

كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ

وَأَبَاءُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَاتَّبَعْتُمْ عَادُوًّا إِلَىٰ آرَابِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ

يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

﴿٧١﴾ قال له قومه: نعبد أصنامًا فننزل مقيمين على عبادتها ملازمين لها.

﴿٧٢﴾ قال لهم إبراهيم: هل تسمع الأصنام دعاءكم حين تدعونهم؟

﴿٧٣﴾ أو ينفعونكم إن أطعموهم، أو يضرركم إن عصيتوهم؟

﴿٧٤﴾ قالوا: لا يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا إن أطعناهم، ولا يضرروننا إن عصيناهم، بل الحاصل أنا وجدنا آباءنا يفعلون ذلك، فنحن نقلدهم.

﴿٧٥﴾ قال إبراهيم: أتأملتكم فرأيتم ما كنتم تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٧٦﴾ وما كان يعبد آباؤكم الأولون.

﴿٧٧﴾ فإنهم كلهم أعداء لي؛ لأنهم باطل إلا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٧٨﴾ الذي خلقتني، فهو يرشدني إلى خيري الدنيا والآخرة.

﴿٧٩﴾ والذي هو وحده يطعمني إذا جعت، ويسقيني إذا عطشت.

﴿٨٠﴾ وإذا مرضت فهو وحده الذي يشفيني من المرض لا شافي لي غيره.

﴿٨١﴾ والذي هو وحده يتوفاني إذا انقضى أجلي، ويحييني بعد موتي.

﴿٨٢﴾ والذي أرجوه وحده أن يغفر لي خطيئتي يوم الجزاء.

﴿٨٣﴾ قال إبراهيم داعيًا ربه: رب أعطني فقها في الدين، وألحقني بالصالحين من الأنبياء قبلي بأن تدخلني الجنة معهم.

﴿٨٤﴾ فوائد من الآيات: ١ - ثقة المؤمن بربه. ٢ - الله مع عباده المؤمنين بالنصر والتأييد والإنجاء من الشدائد. ٣

- ثبوت صفتي العزة والرحمة لله. ٤ - سفة المشركين حيث يعبدون أصنامًا لا تسمع ولا تنفع ولا تضر. ٥ -

- خطر التقليد الأعمى. ٦ - أمل المؤمن في ربه عظيم.

٨٤) واجعل لي ثناء صدق في الذين يأتون من بعدي .

٨٥) واجعلني ممن يرث منازل الجنة التي يتنعم فيها عبادك المؤمنون، وأسكني فيها .

٨٦) واغفر لأبي؛ إنه كان من الضالين عن الحق بسبب الشرك، دعا إبراهيم لأبيه قبل أن يتبين له أنه من أصحاب الجحيم، فلما تبين له ذلك تبرأ منه ولم يدع له .

٨٧) ولا تفضحني بالعذاب يوم يبعث الناس للحساب .

٨٨) يوم لا ينفع فيه مال قد جمعه الإنسان في دنياه، ولا بنون كان يتنصر بهم .

٨٩) إلا من جاء الله بقلب سليم؛ لا شرك فيه ولا نفاق ولا رياء ولا عجب، فإنه يتنفع بماله الذي أنفقه في سبيل الله، وبأبنائه الذين يدعون له .

٩٠) وقربت الجنة للمتقين لربهم بامثال أوامره، واجتنب نواهي .

٩١) وأظهرت النار في المحشر للضالين الذين ضلوا عن دين الحق .

٩٢) وقيل لهم تقريباً لهم: أين ما كنتم تعبدونه من الأصنام؟

٩٣) تعبدونه من دون الله؟ هل ينصرونكم بمنعكم من عذاب الله، أو ينتصرونهم لأنفسهم؟

٩٤) فرمي بعضهم في الجحيم فوق بعضهم ومن أضلوهم .

٩٥) وأعوان إبليس من الشياطين كلهم، لا يُسْتَنَى منهم أحد .

٩٦) قال المشركون الذين كانوا يعبدون غير الله، ويتخذونهم شركاء من دونه، وهم يتخاصمون مع من كانوا يعبدونهم من دونه:

٩٧) تالله لقد كنا في ضلال عن الحق واضح .

٩٨) إذ نعدلكم برب المخلوقات كلها، فنعبدكم كما نعبده . وما أضلنا عن طريق الحق إلا المجرمون الذين دعونا إلى عبادتهم من دون الله .

٩٩) فليس لنا شافعون يشفعون لنا عند الله لننجينا من عذابه . وليس لنا صديق خالص المودة يدافع عنا ويشفع لنا . فلو أن لنا رجعة إلى الحياة الدنيا فنكون من المؤمنين بالله . إن في ذلك المذكور من قصة إبراهيم عليه السلام، ومصير المكذبين لبعرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا

مكذبين بما جاءهم به إبراهيم من ربه . وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم . كذبت قوم نوح المرسلين حين كذبوا نوحاً عليه السلام . إذ قال لهم نوح: ألا تتقون الله بترك

عبادة غيره خوفاً منه؟ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أوحاه الله إلي ولا أنقص . فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهي، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه . وما أطلب منكم

ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات لا على غيره . فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهي، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه . قال له قومه: أنصداك - يا نوح - ونتبع ما

جئت به ونعمل؟ والحال أن أتباعك إنما هم السفلة من الناس، فلا يوجد فيهم السادة والأشراف .

٩٠) فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - أهمية سلامة القلب من الأمراض كالحسد والرياء والعجب . ٢ - الإقرار بالحق يوم القيامة لا ينفع . ٣ - تعليق المسؤولية عن الضلال على المضلين لا تنفع الضالين . ٤ - الداعية ينتظر الأجر من الله لا من عباده .

١٣١ قال لهم نوح ﷺ: وما علمي بما كان هؤلاء المؤمنون يعملون؟ فلست وكيلاً عليهم أحصي أعمالهم.

١٣٢ ما حسابهم إلا على الله الذي يعلم سرائرهم وعلاياتهم وليس إلي، لو تشعرون لما قلت ما قلت.

١٣٣ ولست بطارد المؤمنين عن مجلسي استجابة لطلبكم كي تؤمنوا.

١٣٤ ما أنا إلا نذير واضح النذارة أحذركم عذاب الله.

١٣٥ قال له قومه: لئن لم تكف عما تدعوننا إليه لتكونن من المقتولين بالرمي بالحجارة وبالشتم.

١٣٦ قال نوح داعياً ربه: رب إن قومي كذبوني، ولم يصدقوني فيما جئت به من عندك.

١٣٧ فاحكم بيني وبينهم حكماً يهلكهم لإصرارهم على الباطل، وأنقذني ومن معي من المؤمنين مما تهلك به الكفار من قومي.

١٣٨ فاستجبنا له دعاءه، وأنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس والحيوان.

١٣٩ ثم أغرقنا بعدهم الباقين، وهم قوم نوح.

١٤٠ إن في ذلك المذكور من قصة نوح وقومه، ونجاة نوح ومن معه من المؤمنين، وهلاك الكافرين من قومه لعمرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين.

١٤١ وإن ربك - أيها الرسول - هو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب منهم.

قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٣١ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَيَّ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ١٣٢ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ١٣٣ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ١٣٤ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ١٣٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ١٣٦ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَبِحَجِّي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٣٧ فَانجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ الْمَشْحُونِ ١٣٨ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ١٣٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٤٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤١ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ١٤٢ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٣ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٤ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٤٥ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٦ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ١٤٧ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٤٨ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٤٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٥٠ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ١٥١ أَمَدَّكُمْ بِأَعْيُنٍ وَبَيْنَ ١٥٢ وَجَنَّتْ وَعْيُونٍ ١٥٣ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٤ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ١٥٥

١٣١ كذبت عاد المرسلين حين كذبوا رسولهم هوداً ﷺ.

١٣٢ اذكر حين قال لهم نبيهم هود: ألا تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه؟

١٣٣ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين لا أزيد على ما أمرني الله بتبليغه ولا أنقصه.

١٣٤ فاتقوا الله؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

١٣٥ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

١٣٦ أتبنون بكل مكان مشرف مرتفع بنياناً علماً عبثاً دون فائدة تعود عليكم في دنياكم أو آخرتكم؟

١٣٧ وتتخذون حصوناً وقصوراً كأنكم تخذلون في هذه الدنيا، ولا تتقون عنها؟

١٣٨ وإذا سطوتم بالقتل أو الضرب سطوتم جبارين من غير رافة ولا رحمة.

١٣٩ فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه.

١٤٠ وخافوا من سخط الله الذي أعطاكم من نعمه ما تعلمون.

١٤١ أعطاكم أنعاماً، وأعطاكم أولاداً.

١٤٢ أعطاكم بساتين وعيوناً جارية.

١٤٣ إني أخاف عليكم - يا قومي - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

١٤٤ قال له قومه: يستوي عندنا تذكيرك لنا وعدم تذكيرك، فلن نؤمن بك، ولن نرجع عما نحن عليه.

﴿فوائد من الآيات﴾

١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم الحجج. ٢ - إهلاك الظالمين، وإنجاء المؤمنين سنة إلهية. ٣ - خطر

الركون إلى الدنيا. ٤ - تعنت أهل الباطل، وإصرارهم عليه.

ليس هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم .
 ١٣٦ ولسنا بمُعَذِّبِينَ .
 ١٣٧ فاستمروا على تكذيب نبيهم هود عليه السلام ،
 فأهلكناهم بسبب تكذبيهم بالريح العقيم ، إن
 في ذلك الإهلاك لعبرة للمعتبرين ، وما كان
 معظمهم مؤمنين ، بل كانوا مكذبين .
 ١٣٨ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي
 ينتقم من أعدائه ، الرحيم بمن تاب من عباده .
 ١٣٩ كذبت ثمود الرسل بتكذبيهم نبيهم
 صالحاً عليه السلام .
 ١٤٠ إذ قال لهم أخوهم في النسب صالح : ألا
 تتقون الله بترك عبادة غيره خوفاً منه ؟
 ١٤١ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم ، أمين
 فيما أبلغه عنه لا أزيد عليه ولا أنقص منه .
 ١٤٢ فاتقوا الله بامتثال أوامره ، واجتنب نواهيه ،
 وأطيعوني فيما أمرتكم به ، ونهيتكم عنه .
 ١٤٣ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من
 ربي ، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات ،
 لا على غيره .
 ١٤٤ أتطمعون أن تُتركوا فيما أنتم فيه من
 الخيرات والنعم آمين لا تخافون ؟
 ١٤٥ في بساتين وعبون جارية .
 ١٤٦ وزروع ونخل ثمرها لين لطيف .
 ١٤٧ وتنتحون من الجبال بيوتاً تسكنونها حاذقين
 بنحتها .

١٣٦ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۗ وَمَنْ حِينُ يَعْمَدِينَ ۗ فَكَذَّبُوهُ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۗ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَهَوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۗ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۗ إِذْ قَالَ
 لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالْتَفِقُونَ ۗ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۗ فَاقْتُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي
 إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۗ فَمَنْ
 فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۗ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هَاهُنَا حُضَيْمٌ ۗ
 وَتَنْتَحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَدَرَاهِينٌ ۗ فَاقْتُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ
 وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۗ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يَصْلِحُونَ ۗ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ ۗ مَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَشَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۗ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۗ وَلَا تَمَسُّوهَا
 بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۗ فَمَقَرُّوهَا فَاصْبَحُوا
 نَدِيمِينَ ۗ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَتْ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۗ

١٣٦ فاتقوا الله بامتثال أوامره ، واجتنب نواهيه ، وأطيعوني فيما أمرتكم به ، وفيما نهيتكم عنه .

١٣٧ ولا تنقادوا لأمر المسرفين على أنفسهم بارتكاب المعاصي .

١٣٨ الذين يفسدون في الأرض بما ينشرونه من المعاصي ، ولا يصلحون أنفسهم بالتزام طاعة الله .

١٣٩ قال له قومه : إنما أنت ممن سُجِّروا مراراً حتى غلب السحر على عقولهم فأذهبها .

١٤٠ لست إلا بشراً مثلنا فلا مزية لك علينا حتى تكون رسولاً ، فات بعلامة تدل على أنك رسول إن كنت صادقاً فيما تدعيه من أنك رسول .

١٤١ قال لهم صالح - وقد أعطاه الله علامة ، وهي ناقة أخرجها الله من الصخرة - : هذه ناقة ترى وتلمس ، لها نصيب من الماء ، ولكم نصيب معلوم ، لا تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم ، ولا تشربون أنتم في اليوم الذي هو نصيبها .

١٤٢ ولا تمسوها بما يسوؤها من عُقْرِ أو ضرب ، فَيَنَالِكُمْ بسبب ذلك عذاب من الله يهلككم به في يوم عظيم لما فيه من البلاء النازل عليكم .

١٤٣ فاتفقوا على عُقْرِها ، فَمَقَرُّها أشقاهم ، فأصبحوا نادمين على ما أقدموا عليه لَمَّا علموا أن العذاب نازل بهم لا محالة ، لكن الندم عند معاناة العذاب لا ينفع .

١٤٤ فأخذهم العذاب الذي وُعدوا به وهو الزلزلة والصيحة ، إن في ذلك المذكور من قصة صالح وقومه لعبرة للمعتبرين ، وما كان معظمهم مؤمنين ، بل كانوا مكذبين .

١٤٥ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه ، الرحيم بمن تاب من عباده .

١٤٦ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ الْحِسَابِ : ١ - التكذيب بنبي واحد يعني التكذيب بكل الرسل . ٢ - التذكير بالنعم يُرتجى منه الإيمان والعودة إلى الله من العبد . ٣ - المعاصي هي سبب الفساد في الأرض .

﴿١٢٦﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوط المرسلين لتكذيبهم نبيهم لوطاً ﷺ .

﴿١٢٧﴾ إذ قال لهم أخوهم في النسب لوط: ألا تتقون الله بترك الشرك به خوفاً منه؟

﴿١٢٨﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين فيما أبلغه عنه، لا أزيد عليه ولا أنقص.

﴿١٢٩﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما نهاكم عنه.

﴿١٣٠﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

﴿١٣١﴾ أتأتون الذكور من الناس في أدبارهم؟ وتتركون إتيان ما خلقه الله لتقضوا شهواتكم منه من فروج زوجاتكم، بل أنتم متجاوزون لحدود الله بهذا الشذوذ المنكر.

﴿١٣٢﴾ قال له قومه: لئن لم تكف يا لوط عن نهينا عن هذا الفعل وإنكاره علينا لتكونن أنت ومن معك من المخرجين من قريتنا.

﴿١٣٣﴾ قال لهم لوط: إني لعملكم هذا الذي تعملونه لمن الكارهين المبعضين.

﴿١٣٤﴾ قال داعياً ربه: رب نجني، ونج أهلي مما سيصيب هؤلاء من العذاب بسبب ما يفعلونه من المنكر.

﴿١٣٥﴾ فأجبنا دعاءه فنجيناه وأهله كلهم.

﴿١٣٦﴾ إلا زوجته فقد كانت كافرة، فكانت من الذاهبين الهالكين.

﴿١٣٧﴾ ثم بعدما خرج لوط وأهله من قرية (سدوم) أهلكنا قومه الباقين بعده أشد إهلاكاً.

﴿١٣٨﴾ وأنزلنا عليهم حجارة من السماء مثل إنزال المطر، فقبح مطر هؤلاء الذين كان ينذرهم لوط ويحذرهم من عذاب الله إن هم استمروا على ما هم عليه من ارتكاب المنكر.

﴿١٣٩﴾ إن في ذلك المذكور من العذاب النازل على قوم لوط بسبب فعل الفاحشة لعبرة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين.

﴿١٤٠﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

﴿١٤١﴾ كذب أصحاب الغيضة قرب مدين المرسلين حين كذبوا نبيهم شعيباً ﷺ .

﴿١٤٢﴾ إذ قال لهم نبيهم شعيب: ألا تتقون الله بترك الشرك به خوفاً منه؟

﴿١٤٣﴾ إني لكم رسول أرسلني الله إليكم، أمين فيما أبلغه عنه، لا أزيد على ما أمرني بتبليغه ولا أنقص.

﴿١٤٤﴾ فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أمرتكم به، وفيما نهيتكم عنه.

﴿١٤٥﴾ وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره.

﴿١٤٦﴾ أتوموا للناس الكيل عندما تبعونهم، ولا تكونوا ممن ينقص الكيل إذا باع الناس.

﴿١٤٧﴾ وزنوا إذا وزنتم لغيركم بالميزان المستقيم.

﴿١٤٨﴾ ولا تقصوا الناس حقوقهم، ولا تكثروا في الأرض الفساد بارتكاب المعاصي.

﴿١٤٩﴾ فإنا من الآيات: ١ - اللواط شذوذ عن الفطرة ومنكر عظيم. ٢ - إهلاك أهل الفساد والباطل، وإنجاء أهل الحق سنة إلهية. ٣ - العلاقات الأرضية ما لم يصحبها الإيمان، لا تنفع صاحبها إذا نزل العذاب. ٤ - وجوب وفاة الكيل وحرمة التطفيف.

﴿١٨٦﴾ واتقوا الذي خلقكم، وخلق الأمم السابقة بالخوف منه أن ينزل بكم عقابه.

﴿١٨٧﴾ قال قوم شعيب لشعيب: إنما أنت من الذين أصابهم السحر مرارًا حتى غلب السحر على عقلك، فغيبه.

﴿١٨٨﴾ ولست إلا بشرًا مثلنا فلا مزية لك علينا، فكيف تكون رسولًا؟ ولا نظنك إلا كاذبًا فيما تدعيه من أنك رسول.

﴿١٨٩﴾ فأسقط علينا قطعًا من السماء إن كنت صادقًا فيما تدعيه.

﴿١٩٠﴾ قال لهم شعيب: ربي أعلم بما تعملون من الشرك والمعاصي لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿١٩١﴾ فاستمروا على تكذيبه، فأصابهم عذاب عظيم حيث أظلمتهم سحابة بعد يوم شديد الحر، فأمرت عليهم نارًا فأحرقتهم، إن يوم إهلاكهم كان يومًا عظيم الهول.

﴿١٩٢﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك قوم شعيب لعة للمعتبرين، وما كان معظمهم مؤمنين، بل كانوا مكذبين.

﴿١٩٣﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لهو العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن تاب من عباده.

﴿١٩٤﴾ وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ منزل من رب المخلوقات.

﴿١٩٥﴾ نزل به جبريل الأمين ﷺ.

﴿١٩٦﴾ نزل به على قلبك - أيها الرسول - لتكون من الرسل الذين يندرون الناس، ويخوفونهم من عذاب الله.

﴿١٩٧﴾ نزل به بلسان عربي واضح.

﴿١٩٨﴾ وإن هذا القرآن لمذكور في كتب الأولين، فقد بشرت به الكتب السماوية السابقة.

﴿١٩٩﴾ أولم يكن لهؤلاء المكذبين بك علامة على صدقك أن يعلم حقيقة ما نزل عليك علماء بني إسرائيل، مثل عبد الله بن سلام.

﴿٢٠٠﴾ ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الأعاجم الذين لا يتكلمون باللسان العربي.

﴿٢٠١﴾ فقرأه عليهم ما صاروا به مؤمنين؛ لأنهم سيقولون: لا نفهمه، فليحمدوا الله أن نزل بلغتهم.

﴿٢٠٢﴾ كذلك جعلنا التكذيب والكفر في قلوب المجرمين.

﴿٢٠٣﴾ لا يتغيرون عما هم عليه من الكفر ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الموجع.

﴿٢٠٤﴾ فيأتيهم هذا العذاب فجأة، وهم لا يعلمون بمجيئه حتى يباغتهم.

﴿٢٠٥﴾ فيقولون حين ينزل بهم العذاب بغتة من شدة الحسرة: هل نحن مُمهلون فتوب إلى الله؟

﴿٢٠٦﴾ أبعذابنا يستعجل هؤلاء الكفار قائلين: لن نؤمن لك حتى تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا؟!

﴿٢٠٧﴾ فأخبرني - أيها الرسول - إن متعنا هؤلاء الكافرين المعرضين عن الإيمان بما جئت به بالنعم زمًا ممتدًا.

﴿٢٠٨﴾ ثم جاءهم بعد ذلك الزمن الذي نالوا فيه تلك النعم ما كانوا يوعدون به من العذاب.

﴿١٨٦﴾ وَأَتَقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿١٨٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

الْكَذِبِينَ ﴿١٨٨﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٩﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩٠﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩١﴾

إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن رَبَّكَ لَهُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٣﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٤﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ ﴿١٩٥﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٦﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبِينٍ ﴿١٩٧﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زَكْرٍ الْأُولَى ﴿١٩٨﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ

عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٩﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٠﴾

فَفَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ

فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ

الْأَلِيمَ ﴿٢٠٣﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٤﴾ فَيَقُولُوا

هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٦﴾ أَفَرَأَيْتَ

إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٧﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٨﴾

﴿١٨٦﴾ وَأَتَقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿١٨٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

الْكَذِبِينَ ﴿١٨٨﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٩﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩٠﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩١﴾

إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن رَبَّكَ لَهُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٣﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٤﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ ﴿١٩٥﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٦﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبِينٍ ﴿١٩٧﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زَكْرٍ الْأُولَى ﴿١٩٨﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ

عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٩﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٠﴾

فَفَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ

فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ

الْأَلِيمَ ﴿٢٠٣﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٤﴾ فَيَقُولُوا

هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٦﴾ أَفَرَأَيْتَ

إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٧﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٨﴾

﴿١٨٦﴾ وَأَتَقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأُولَى ﴿١٨٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

مِنَ الْمَسْحُورِينَ ﴿١٨٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

الْكَذِبِينَ ﴿١٨٨﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٩﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩٠﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩١﴾

﴿٣٧﴾ أي شيء ينفعهم ما كانوا عليه من نعم في الدنيا؟ فقد انقطعت تلك النعم، ولم تُجد شيئاً. ﴿٣٨﴾ وما أهلكننا من أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليها بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. ﴿٣٩﴾ عظة وتذكيراً لهم، وما كنا ظالمين بتعذيبهم بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب. ﴿٤٠﴾ وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن على قلب الرسول ﷺ:

﴿٤١﴾ وما يصح أن يتنزلوا على قلبه، وما يستطيعون ذلك.

﴿٤٢﴾ ما يستطيعونه لأنهم معزولون عن مكانه من السماء، فكيف يصلون إليه، ويتنزلون به؟

﴿٤٣﴾ فلا تعبد مع الله معبوداً آخر تشركه معه، فكون بسبب ذلك من المعذبين.

﴿٤٤﴾ وأنذر - أيها الرسول - الأقرب فالأقرب من قومك حتى لا يصيبهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

﴿٤٥﴾ وألن جانبك فعلاً وقولاً لمن اتبعك من المؤمنين رحمة بهم ورفقاً.

﴿٤٦﴾ فإن عصوك، ولم يستجيبوا لما أمرتهم به من توحيد الله وطاعته، فقل لهم: إني بريء مما تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٤٧﴾ واعتمد في أمورك كلها على العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بمن أناب منهم إليه.

﴿٤٨﴾ الذي يراك سبحانه حين تقوم إلى الصلاة.

﴿٤٩﴾ ويرى سبحانه قلبك من حال إلى حال في المصلين، لا يخفى عليه شيء مما تقوم به، ولا مما يقوم به غيرك.

﴿٥٠﴾ إنه هو السميع لما تتلوه من قرآن وذكر في صلاتك، العليم بنيتك.

﴿٥١﴾ ولما زعموا أن الشياطين تنزلت بالقرآن، وأن محمداً ﷺ شاعر رد الله عليهم زعمهم فقال:

﴿٥٢﴾ هل أخبركم على من تنزل الشياطين الذين زعمتم أنهم تنزلوا بهذا القرآن؟ تنزل الشياطين على كل كذاب كثير الإثم والمعصية من الكهان.

﴿٥٣﴾ يسترق الشياطين السمع من الملا الأعلى، فيلقونه إلى أوليائهم من الكهان، وأكثر الكهان كاذبون، إن صدقوا في كلمة كذبوا معها مائة كذبة.

﴿٥٤﴾ والشعراء الذين زعمتم أن محمداً ﷺ منهم يتبعهم المنحرفون عن طريق الهدى والاستقامة، فيروون ما يقولونه من شعر.

﴿٥٥﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن من مظاهر غوايتهم أنهم تائهون في كل واد يمضون في المدح تارة، وفي الذم تارة، وفي غيرهما تارات.

﴿٥٦﴾ وأنهم يكذبون، فيقولون: فعلنا كذا، ولم يفعلوه.

﴿٥٧﴾ إلا الذين آمنوا من الشعراء وعملوا الأعمال الصالحات، وذكروا الله ذكراً كثيراً، وانصروا من أعداء الله بعدما ظلموهم مثل حسان بن ثابت ؓ، وسيعلم الذين ظلموا بالشرك بالله والاعتداء على عباده أي مرجع يرجعون إليه، فيسرجعون إلى موقف عظيم، وحساب دقيق.

﴿٥٨﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - إثبات العدل لله، ونفي الظلم عنه. ٢ - تنزيه القرآن عن قرب الشياطين منه. ٣ - أهمية اللين والرفق للدعاة إلى الله. ٤ - الشعر حسنة حسن، وقيحه قبيح.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتِ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ١ هُدًى وَبُشْرَى
 لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
 بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبِّتَانَهُمْ
 أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
 وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَلْقَلْبِ الْقُرْءَانَ مِنْ
 لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ
 مِنِّي بَحِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ فَبَسَّ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٧ فَلَمَّا
 جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِكَ مِنَ النَّارِ وَمِنْ حَوْلِهَا وَسَبَّحَ اللَّهُ رَبَّ
 الْعَالَمِينَ ٨ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ وَأَلْقَ عَصَاكَ
 فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ
 إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ
 سُوءٍ فَأَفِي غَفُورٍ رَحِيمٍ ١١ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ
 مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَعَةِ آيَتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ
 ١٢ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سُحْرٌ مُؤْتَمِرَةٌ ١٣

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على الامتنان على النبي ﷺ بالمعجزة القرآنية وشكرها والصبر على تبليغها.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ ﴿طَسَّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه الآيات المنزلة عليك هي آيات القرآن، وكتاب واضح لا لبس فيه، من تدبره علم أنه من عند الله.

﴿٢﴾ هذه الآيات هادية إلى الحق مرشدة إليه، ومبشرة للمؤمنين بالله ورسوله.

﴿٣﴾ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم بصرها إلى مصارفها، وهم موقنون بما في الآخرة من ثواب وعقاب.

﴿٤﴾ إن الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، حسنتا لهم أعمالهم السيئة، فاستمروا على فعلها، فهم متحيرون لا يهتدون إلى صواب ولا رشد.

﴿٥﴾ أولئك الموصوفون بما ذكرهم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل والأسر، وهم في الآخرة أكثر الناس خسراتاً، حيث يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بتخليد هم في النار.

﴿٦﴾ وإنك - لتتلقى هذا القرآن

المنزل عليك من عند حكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، عليم لا يخفى عليه شيء من مصالح عباده.

﴿٧﴾ اذكر - أيها الرسول - حين قال موسى لأهله: إنني أبصرت نارا، سأتيكم منها بخير من موقدها يرشدنا إلى الطريق، أو آتيكم بشعلة نار مأخوذة منها رجاء أن توقدوا أنتم منها نارا تستدفنون بها من البرد.

﴿٨﴾ فلما وصل إلى مكان النار التي أبصرها ناداه الله أن قدس من في النار، ومن حولها من الملائكة، وتنزيها لله رب العالمين مما لا يليق به من الصفات التي يصفه بها الضالون.

﴿٩﴾ قال له الله: يا موسى، إنه أنا الله العزيز الذي لا يغالبني أحد، الحكيم في خلقي وتقديري وشرعي.

﴿١٠﴾ وألق عصاك، فامتثل موسى، فلما رآها موسى تضطرب وتحرك كأنها حية ولَّى مدبراً عنها ولم يرجع، فقال له الله: لا تخف منها، فإني لا يخاف عندي المرسلون من حية ولا من سواها.

﴿١١﴾ لكن من ظلم نفسه بارتكاب ذنب، ثم تاب بعد ذلك فإني غفور له، رحيم به.

﴿١٢﴾ وأدخل يدك في طوق قميصك تخرج بعد إدخالك لها بيضاء مثل الثلج من غير برص، ضمن تسع آيات تشهد بصدقك هي مع اليد: العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، إلى فرعون وقومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله بالكفر به.

﴿١٣﴾ فلما جاءتهم آياتنا هذه التي أيدنا بها موسى واضحة ظاهرة قالوا: هذا الذي جاء به موسى من الآيات سحر بين.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - القرآن هداية وبشرى للمؤمنين. ٢ - الكفر بالله سبب في اتباع الباطل من الأعمال والأقوال، والحيرة، والاضطراب. ٣ - تأمين الله لرسوله وحفظه لهم سبحانه من كل سوء.

﴿١٤﴾ وكفروا بهذه المعجزات ولم يقرؤا بها، واستيقنت أنفسهم أنها من عند الله؛ بسبب ظلمهم واستكبارهم عن الحق، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت عاقبة المفسدين في الأرض بكفرهم ومعاصيهم، فقد أهلكتناهم، ودمرتناهم كلهم.

﴿١٥﴾ ولقد أعطينا داود وابنه سليمان علمًا، ومنه علم كلام الطير، وقال داود وسليمان شاكرين الله ﷻ: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين بالنبوة، وبتسخير الجن والشياطين.

﴿١٦﴾ وورث سليمان أباه داود في النبوة والعلم والملك، وقال متحدثًا بنعمة الله عليه وعلى أبيه: يا أيها الناس، علمنا الله فهم أصوات الطير، وأعطانا من كل شيء أعطاه الأنبياء والملوك، إن هذا الذي أعطانا الله سبحانه لهو الفضل الواضح البين.

﴿١٧﴾ وجمع سليمان جنوده من البشر والجن والطير، فهم يُساقون بنظام.

﴿١٨﴾ فلم يزالوا يُساقون حتى إذا جاؤوا إلى وادي النمل (موضع بالشام) قالت نملة من النمل: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم حتى لا يهلككم سليمان وجنوده وهم لا يعلمون بكم، إذ لو علموا بكم لما داسوكم.

وَحَدِّوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿١٩﴾ فلما سمع سليمان كلامها تبسم ضاحكًا من قولها هذا، وقال داعيًا ربه سبحانه: رب وفقني وألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والديّ، ووفقني أن أعمل عملاً صالحًا ترضيه، وأدخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين.

﴿٢٠﴾ وتعهّد سليمان الطير فلم ير الهدهد، فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ أمعني من رؤيته مانع، أم كان من الغائبين؟

﴿٢١﴾ فقال لما تبين له غيابه: لأعذبه عذابًا شديدًا، أو لأذبحه عذابًا له على غيابه، أو ليأتيني بحجة واضحة تبين عذره في الغياب.

﴿٢٢﴾ فمكث الهدهد في غيابه زمناً غير بعيد، فلما جاء قال لسليمان ﷻ: اطلعت على ما لم تطلع عليه، وجئتك من أهل سبأ بخبر صادق لا شك فيه.

﴿٢٣﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - الكبر مانع من الاهداء إلى الحق.
- ٢ - شكر النعم أدب الأنبياء والصالحين مع ربهم.
- ٣ - نصح القوم بما يجنبهم الهلاك مسلك الأفراد العقلاء.
- ٤ - الاعتذار عن أهل الصلاح بظهور الغيب.
- ٥ - التيسم ضحك أهل الوقار.
- ٦ - سياسة الرعية بإيقاع العقاب على من يستحقه، وقبول عذر أصحاب الأعدار.
- ٧ - قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر.

﴿٣١﴾ إني وجدت امرأة تحكهم، وأعطيت هذه المرأة من كل شيء من أسباب القوة والملك، ولها سرير عظيم تدير من عليه شؤون قومها.

﴿٣٢﴾ وجدت هذه المرأة، ووجدت قومها يسجدون للشمس من دون الله ﷻ، وحسن لهم الشيطان ما هم عليه من أعمال الشرك والمعاصي، فصرفهم عن طريق الحق، فهم لا يهتدون إليه.

﴿٣٣﴾ حسن لهم الشيطان أعمال الشرك والمعاصي؛ لئلا يسجدوا لله وحده الذي يخرج ما ستره في السماء من المطر، وفي الأرض من النبات، ويعلم ما تخفونه من الأعمال وما تظهرونه، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

﴿٣٤﴾ الله لا معبود بحق غيره، رب العرش العظيم.

﴿٣٥﴾ قال سليمان ﷺ للهدد: سننظر أصدقت فيما تدعيه، أم كنت من الكاذبين.

﴿٣٦﴾ فكتب سليمان كتاباً، وسلمه للهدد، وقال له: اذهب بكتابي هذا فارمه إلى أهل سبأ وسلمهم إياه، وتبع عنهم جانباً بحيث تسمع ما يرددون بشأنه.

﴿٣٧﴾ واستلمت الملكة الكتاب، وقالت: يا أيها الأشراف إني ألقى إلي كتاب كريم جليل.

﴿٣٨﴾ مضمون هذا الكتاب المرسل من سليمان المفتوح ببسم الله الرحمن الرحيم:

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٥﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَلْقِي إِلَيَّ الْكِتَابَ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ الرَّحِيمِ ﴿٣٨﴾

﴿٣٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٩﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٤٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤١﴾

﴿٤٢﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٤٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٤٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٤٥﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٤٥﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٤٦﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٤٨﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٤٩﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٥١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٥٢﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٥٤﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٥٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾

﴿٥٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٥٧﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٥٨﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٦٠﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٦١﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٢﴾

﴿٦٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٦٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٦٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٦٦﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٦٦﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٦٧﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿٦٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٧٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿٧٢﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٧٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٧٥﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٧٦﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٧٧﴾

﴿٧٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٧٨﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٧٩﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٨٠﴾

﴿٨١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٨١﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٨٢﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٨٣﴾

- ﴿٨٤﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٨٤﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسْوَءِ الْأَشْرَافِ إِنَّهُمْ أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا لَهَا آذَانَ لَهَا مِنْ أُمَّةٍ وَكَذَلِكَ فَعَلُوا وَعَلَمُوا ﴿٨٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٨٦﴾
- ١ - إنكار الهدد على قوم سبأ ما هم عليه من الشرك والكفر دليل على أن الإيمان فطري عند الخلائق.
 - ٢ - التحقيق مع المتهم والتثبت من حججه.
 - ٣ - مشروعية الكشف عن أخبار الأعداء.
 - ٤ - من آداب الرسائل افتتاحها بالبسملة.
 - ٥ - إظهار عزة المؤمن أمام أهل الباطل أمر مطلوب.

﴿٣٦﴾ فلما جاء رسولها ومن معه من أعوانه يحملون الهدية إلى سليمان أنكر عليهم سليمان إرسال الهدية قائلاً: أتمدوني بالأموال لتثنوني عنكم، فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال خير مما أعطاكم، بل أنتم الذين تفرحون بما يهدى إليكم من حطام الدنيا.

﴿٣٧﴾ قال سليمان ﷺ لرسولها: ارجع إليهم بما جئت من هدية، فلأنتينها وقومها بجنود لا طاقة لهم بمواجهتهم، ولنخرجهم من سبأ وهم أذلة بعدما كانوا فيه من العزة مهانين إن لم يأتوني مفقادين.

﴿٣٨﴾ قال سليمان ﷺ مخاطباً أعيان أهل ملكه: يا أيها الملأ، أيكم يأتيني بسرير ملكها قبل أن يأتوني مفقادين؟

﴿٣٩﴾ أجابه مارذ من الجن قائلاً: أنا أتيك بسريرها قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي أنت فيه، وإني لقوي على حمله أمين على ما فيه، فلن أنقص منه شيئاً.

﴿٤٠﴾ قال رجل صالح عالم عند سليمان، عنده علم من الكتاب، ومن ضمنه اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: أنا أتيك بسريرها قبل أن يرجع إليك بصرك؛ بأن أدعو الله فيأتي به، فدعا فاستجاب الله له دعاءه، فلما رأى سليمان سريرها مستقراً عنده قال: هذا من فضل ربي سبحانه؛ ليختبرني أشكر نعمه أم أكفرها؟ ومن جحد نعم الله فلم يشكرها له فإن ربي

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ آتِنَا إِلَهُ اللَّهِ خَيْرَ مِمَّا آتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَدِيْتُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِنَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَنَخْرِجَهُمْ مِّنْهَا آذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْبِي عِنْدِي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوَيْبِنَا أَلَعَلَّ مِنْ قِبَلِهَا وَكُنَّا مُسْمِئِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

شكر الله فإنما نفع شكره عائد إليه، فالله غني لا يزيده شكر العباد، ومن جحد نعم الله فلم يشكرها له فإن ربي غني عن شكره كريم، ومن كرمه إفضاله على من يجحدها.

﴿٤١﴾ قال سليمان ﷺ: غيروا لها سرير ملكها عن هيئته التي كان عليها نظر: هل تهتدي إلى معرفة أنه سريرها، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفة أشياءهم؟

﴿٤٢﴾ فلما جاءت ملكة سبأ إلى سليمان قيل لها اختباراً لها: أهكذا عرشك؟ فأجابت طبق السؤال: كأنه هو، وأعطانا الله العلم من قبلها، وكنا مفقادين لأمر الله مطيعين له.

﴿٤٣﴾ وصرفها عن توحيد الله ما كانت تعبد من دون الله اتباعاً لقومها، وتقليداً لهم، إنها كانت من قوم كافرين بالله، فكانت كافرة مثلهم.

﴿٤٤﴾ قيل لها: ادخلي الصرح وهو كهيئة السطح، فلما رأته ظنته ماءً فكشفت عن ساقها لتخوضه، قال سليمان ﷺ: إنه صرح ممسلس من زجاج، ودعاها إلى الإسلام، فأجابته إلى ما دعاها إليه قائلة: رب إني ظلمت نفسي عبادة غيرك معك، وانقذت مع سليمان لله رب المخلوقات جميعها.

﴿٤٥﴾ فَوَالَّذِينَ نَادَى: ١ - عزة الإيمان تحصن المؤمن من التأثير بحطام الدنيا.

٢ - الفرح بالماديات والركون إليها صفة من صفات الكفار.

٣ - الخوارق للصالحين كرامات، وهي للفاجرين استدراج.

٤ - يقظة شعور المؤمن تجاه نعم الله.

٥ - اختبار ذكاء الخصم بغية التعامل معه بما يناسب.

٦ - إبراز التفوق على الخصم للتأثير فيه.

﴿٤٥﴾ ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم في النسب صالحًا ﴿٤٥﴾ أن اعبدوا الله وحده، فإذا هم بعد دعوته إياهم طائفتان: طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة يتنازعون أيهم على الحق.

﴿٤٦﴾ قال لهم صالح ﴿٤٦﴾: لِمَ تطلبون تعجيل العذاب قبل الرحمة؟ هَلَّا تطلبون المغفرة من الله لذنوبكم رجاء أن يرحمكم.

﴿٤٧﴾ قال له قومه في تعنت عن الحق: تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين، قال لهم صالح ﴿٤٧﴾: ما زجرتم من الطير لما يصيكم من المكاره عند الله علمه لا يخفى عليه منه شيء، بل أنتم قوم تُختبرون بما يبسط لكم من الخير وبما ينالكم من الشر.

﴿٤٨﴾ وكان في مدينة الحجر تسعة رجال يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا يصلحون فيها بالإيمان والعمل الصالح.

﴿٤٩﴾ قال بعضهم لبعض: ليحلف كل واحد منكم بالله لثأبته هو ومن معه من المؤمنين ليلاً، فلنقتلنهم، ثم لنقولن لولي دمه: ما حضرنا قتل صالح ولا قتل أتباعه، وإنا لصادقون فيما قلنا.

﴿٥٠﴾ ودبروا مكيذة خفية لإهلاك صالح وأتباعه من المؤمنين، ومكرنا مكرًا لنصره وإنجائه من مكرهم وإهلاك الكافرين من قومه، وهم لا يعلمون بذلك.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَبَّرْنَا كُنُفَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا نَقَاسِمُوا بِاللَّهِ لَئِن لَّمْ یُنزِلْ عَلَیْنَا مِنْ سَمَاءٍ مَّهْلَکًا أَهْلَهُ وَآئَاتِ الصَّادِقَاتِ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرًا مَّکْرًا وَمَكْرًا مَّکْرًا وَهُمْ لَا یَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ کَیْفَ کَانَ عَاقِبَةُ مَکْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْکَ بَیُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ یُمَاطِلُمُوهَا أُنْحُورًا فِی ذَٰلِکَ لَآیَةٌ لِّقَوْمٍ یَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجینَا الَّذِینَ ءَامَنُوا وَكَانُوا یَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَلِیْسَ لَکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٥١﴾ فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل ونهاية تدبيرهم ومكرهم؛ هل حصل لهم ما يريدون؟ لا، بل استأصلناهم بعذاب من عندنا فهلکوا عن آخرهم.

﴿٥٢﴾ فتلك بيوتهم قد انهدمت جدرانها على سقوفها، وبقيت خالية من أهلها بسبب ظلمهم، إنَّ فيما أصابهم من العذاب بسبب ظلمهم لعبرة لقوم يؤمنون، فهم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٥٣﴾ وأنقذنا الذين آمنوا بالله من قوم صالح ﴿٥٣﴾، وكانوا يتقون الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. واذكر - أيها الرسول - لو طًا حين قال لقومه موبخًا إياهم ومكرًا عليهم: أتأتون الخصلة القبيحة، وهي اللواط في أُنديتكم جهارًا يبصر بعضكم بعضًا؟! ﴿٥٤﴾

﴿٥٥﴾ أئنكم لتأتون الرجال على سبيل الاشتهااء دون النساء، لا تريدون إعفافًا ولا ولدًا، وإنما قضاء شهوة بهيمية، بل أنتم قوم تجهلون ما يجب عليكم من الإيمان والطهر والبعد عن المعاصي.

﴿٥٥﴾ فإِنَّ مِنْ آيَاتِ:

١ - الاستغفار من المعاصي سبب لرحمة الله. ٢ - التشاؤم بالأشخاص والأشياء ليس من صفات المؤمنين. ٣ - عاقبة التمالؤ على الشر والمكر بأهل الحق سيئة. ٤ - الظلم سبب نزول العذاب في الدنيا. ٥ - الإيمان والتقوى سبب النجاة من عذاب الله. ٦ - إعلان المنكر أقيح من الاستتار به. ٧ - الإنكار على أهل الفسوق والفجور واجب.

﴿٥٦﴾ فما كان لقومه من جواب إلا قولهم :
أخرجوا آل لوط من قريبتكم، إنهم أناس يتنزهون
عن الأقدار والأنجاس، قالوا ذلك استهزاءً بأل
لوط الذين لا يشاركونهم فيما يرتكبونه من
الفواحش، بل يتكرون عليهم ارتكابها .
﴿٥٧﴾ فسلمناه وسلمنا أهلها، إلا امرأته حكمتنا
عليها أن تكون من الباقيين في العذاب لتكون
من الهالكين .

﴿٥٨﴾ وأمطرنا على قوم لوط حجارة من سجيل
منضود، فقبح مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم
لوط فلم يستجيبوا له، بل بقوا مستمرين على
كفرهم وضلالهم، وفعلهم للفاحشة .

﴿٥٩﴾ قل - أيها الرسول -: الحمد لله على
نعمة، وأمنة منه على رسله الذين اختارهم
لتبليغ دينه، الله المعبود بحق الذي بيده
ملكوت كل شيء خير أم ما يعبد المشركون
من معبودات لا تملك نفعاً ولا ضرراً؟!

﴿٦٠﴾ أم من خلق السماوات والأرض على غير
مثال سابق، وأنزل لكم - أيها الناس - من السماء
ماء المطر، فأنبتنا لكم به حدائق ذات حسن
وجمال، ما كان لكم أن تنبتوا شجر تلك الحدائق
لعجزكم عن ذلك، فالله هو الذي أنبتنا، أمعبود
بحق مع الله؟! لا، بل هم قوم ينحرفون عن الحق
فيسؤون الخالق بالمخلوقين ظلماً .

﴿٦١﴾ أم من صير الأرض مستقرة ثابتة لا تضطرب بمن عليها، وصير داخلها أنهاراً تجري، وصير لها جبالاً
ثوابت، وصير بين البحرين: المالح والعذب فاصلاً يمنع اختلاط المالح بالعذب حتى لا يفسده، فلا يصلح
للشرب، أمعبود بحق مع الله الذي يجري ذلك كله؟! لا، بل معظمهم لا يعلمون، ولو كانوا يعلمون لما
أشركوا بالله أحداً من مخلوقاته .

﴿٦٢﴾ أم من يجب دعاء المضطر إذا دعاه طالباً كشف ضره، ويصرف ما يسوء الإنسان من مرض وفقر،
ويصيركم خلفاء في الأرض يخلف بعضكم بعضاً جيلاً بعد جيل، أمعبود بحق مع الله الذي يجري ذلك كله؟!
لا، قليلاً ما تتعظون وتعتبرون .

﴿٦٣﴾ أم من يهديكم في ظلمات البر وظلمات البحر بما ينصبه لكم من معالم ونجوم، ومن يبعث الرياح
مبشرات بقرب نزول المطر الذي يرحم به عباده، أمعبود بحق مع الله الذي يجري ذلك ويقدره؟! تنزه الله،
وتقدس عما يشركون به من مخلوقاته .

﴿٦٤﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - لجوء أهل الباطل للعنف عندما تحاصرهم حجج الحق .
- ٢ - رابطة الزوجية دون الإيمان لا تنفع في الآخرة .
- ٣ - ترسيخ عقيدة التوحيد من خلال التذكير بنعم الله .
- ٤ - الاضطرار سبب من أسباب استجابة الدعاء .

﴿١٤﴾ أم من يبدأ الخلق في الأرحام مرحلة بعد مرحلة، ثم يحييه بعدما يميته، ومن يرزقكم من السماء بالمطر المنزل من جهته، ويرزقكم من الأرض بالنبات الذي ينبت فيها! أمعبود بحق غير الله الذي يجري ذلك ويقدره؟! قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: هاتوا حججكم على ما أنتم عليه من الشرك، إن كنتم صادقين فيما تدعونه من أنكم على حق.

﴿١٥﴾ قل - أيها الرسول -: لا يعلم الغيب من في السماوات من الملائكة، ولا من في الأرض من الناس، لكن الله وحده هو الذي يعلمه، وما يعلم جميع من في السماوات ومن في الأرض متى يبعثون للجزاء إلا الله.

﴿١٦﴾ بل تكامل علمهم في الآخرة لما رأوها رأي عين بعد أن كانت الرسل تخبرهم بها وهي غيب، فينكرونها لأنهم لم يروها، وكانوا في شك وحيرة من الآخرة في حياتهم الدنيا، فقد عميت بصائرهم وقلوبهم عنها.

﴿١٧﴾ وقال الذين كفروا مستنكرين: إذا متنا وكنا تراباً أيمكن أن نبعث أحياء؟

﴿١٨﴾ لقد وعدنا نحن، ووعد أبائنا من قبل أننا نبعث جميعاً، فلم نر تحقيقاً لذلك الوعد، ما هذا الوعد الذي وعدناه جميعاً إلا أكاذيب الأولين التي دونوها في كتبهم.

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث:

﴿٢٠﴾ سبروا في أي جهة من الأرض فتأملوا كيف كانت نهاية المجرمين المكذبين بالبعث، فقد أهلكناهم لتكذيبهم به.

﴿٢١﴾ ولا تحزن بسبب إعراض المشركين عن دعوتك، ولا يضق صدرك، ونهتّم لما يقومون به من مكر تجاهك، فإن الله معك، وسينصرك عليهم.

﴿٢٢﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث من قومك: متى يتحقق ما تعدنا به أنت والمؤمنون من العذاب إن كنتم صادقين فيما تدعونه من ذلك؟

﴿٢٣﴾ قل لهم - أيها الرسول -: عسى أن يكون اقرب لكم بعض ما تستعجلون به من العذاب.

﴿٢٤﴾ وإن ربك - أيها الرسول - لذو فضل على الناس حيث يترك معاجلتهم بالعقوبة مع ما هم عليه من الكفر والمعاصي، ولكن معظم الناس لا يشكرون الله على ما ينعم به عليهم.

﴿٢٥﴾ وإن ربك ليعلم ما تضرم قلوب عباده وما يظهره، لا يخفي عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٦﴾ وما من شيء غائب عن الناس في السماء، ولا غائب عنهم في الأرض إلا هو في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ.

﴿٢٧﴾ إن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ يقصّ على بني إسرائيل أكثر ما يختلفون فيه، ويكشف انحرافاتهم.

﴿٢٨﴾ فوازي من الآيات:

- ١ - علم الغيب مما اختص به الله، فادعاه كفر.
- ٢ - الاعتبار بالأمم السابقة من حيث مصيرها وأحوالها طريق النجاة.
- ٣ - تسلية الرسول ﷺ وتبئته في وجه مكر المشركين.
- ٤ - إحاطة علم الله بأعمال عباده.
- ٥ - تصحيح القرآن لانحرافات بني إسرائيل وتحريفهم لكتبهم.

﴿٧٧﴾ وإنه لهدي ورحمة للمؤمنين العاملين بما جاء فيه.

﴿٧٨﴾ إن ربك - أيها الرسول - يقضي بين الناس مؤمنهم وكافرهم يوم القيامة بحكمه العدل، فيرحم المؤمن، ويعذب الكافر، وهو العزيز الذي يتقم من أعدائه. ولا يغالبه أحد، العليم الذي لا يلتبس عليه محق بمبطل.

﴿٧٩﴾ فتوكل على الله، واعتمد عليه في جميع أمورك، إنك على الحق الواضح.

﴿٨٠﴾ إنك - أيها الرسول - لا تسمع الموتى الذين ماتت قلوبهم بسبب الكفر بالله، ولا تسمع فاقد السمع ما تدعوهم إليه إذا رجعوا معرضين عنك.

﴿٨١﴾ ولست بهادي من عميت بصائرهم عن الحق، فلا تحزن عليهم وتتعب نفسك، لا تسمع دعوتك إلا من يؤمن بآياتنا فهم منقادون لأوامر الله.

﴿٨٢﴾ وإذا وجب العذاب وثبت عليهم لإصرارهم على كفرهم ومعاصيهم، وبقي شرار الناس، أخرجنا لهم عند اقتراب الساعة علامة من علاماتها الكبرى، وهي دابة من الأرض تكلمهم بما يفهمون أن الناس كانوا بآياتنا المنزلة على نبينا لا يصدقون.

﴿٨٣﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم نحشر من كل أمة من الأمم جماعة من كبرائهم ممن يكذب

وإنه لهدي ورحمة للمؤمنين ﴿٧٧﴾ إن ربك يقضى بينهم

بحكمه وهو العزيز العليم ﴿٧٨﴾ فتوكل على الله إنك على

الحق المبين ﴿٧٩﴾ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الأصم الدعاء

إذا ولوا مدينين ﴿٨٠﴾ وما أنت بهدي العمي عن ضلالتهم إن

تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴿٨١﴾ وإذا

وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن

الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴿٨٢﴾ ويوم نحشر من كل أمة

فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون ﴿٨٣﴾ حتى إذا جاءو

قال أكذبتهم بآيتي ولم تحيطوا بها علماً أما إذا كنتم تعملون

﴿٨٤﴾ ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ﴿٨٥﴾ ألم

يروا أننا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرات في

ذلك لا ينبت القوم يؤمنون ﴿٨٦﴾ ويوم ينفخ في الصور ففزع

من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه

دخرين ﴿٨٧﴾ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب

صنع الله الذي أنفق كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴿٨٨﴾

بآياتنا، يردها أولهم إلى آخرهم ثم يساقون إلى الحساب.

﴿٨٤﴾ ويستمر سوفهم حتى إذا جاؤوا مكان حسابهم قال لهم الله توبيخاً لهم: أكذبتهم بآياتي الدالة على توحيدتي والمشملة على شريعتي، ولم تحيطوا علماً بأنها باطلة فيسوغ لكم تكذيبها، أم ماذا كنتم تعملون بها من التصديق أو التكذيب؟

﴿٨٥﴾ ووقع عليهم العذاب بسبب ظلمهم بالكفر بالله وتكذيب آياته، فهم لا يتكلمون للدفاع عن أنفسهم لعجزهم عن ذلك، وبطلان حججهم.

ولما كانوا ينكرون البعث تبهم الله بما يدل عليه في حياتهم، وهو نومهم الذي هو بمنزلة الموت، واستيقاظهم الذي هو بمنزلة البعث، فقال:

﴿٨٦﴾ ألم ينظر هؤلاء المكذبون بالبعث أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم، وصيرنا النهار مضيئاً ليصروا فيه، فیسعوا إلى أعمالهم، إن في ذلك الموت المتكرر والبعث بعده لبراهين على البعث بعد الموت.

﴿٨٧﴾ واذكر - أيها الرسول -: يوم ينفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من استثناءه الله من الفزع؛ تفضلاً منه، وكل من مخلوقات الله يأتونه في ذلك اليوم مطيعين ذليين.

﴿٨٨﴾ وترى الجبال في ذلك اليوم تحسبها ثابتة لا تتحرك، وهي في واقع الأمر تسير مسرعة سير السحاب، صنع الله، فهو الذي يحركها، إنه خبير بما تفعلون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٨٩﴾ فإرسلنا من الآيات:

١ - أهمية التوكل على الله. ٢ - تزكية النبي ﷺ بأنه على الحق الواضح. ٣ - هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ. ٤ - دلالة النوم على الموت، والاستيقاظ على البعث.

٨٩ من جاء يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح فله الجنة، وهم آمنون بتأمين الله لهم من فزع يوم القيامة.

٩٠ ومن جاء بالكفر والمعاصي فلهم النار يلقون فيها على وجوههم، ويقال لهم توبخاً لهم وإهانة: هل تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي؟

٩١ قل لهم - أيها الرسول -: إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة (مكة) الذي حرّمها، فلا يُسفك فيها دم، ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُقتل صيدها، ولا يُقطع شجرها، وله سبحانه ملك كل شيء، وأُمرت أن أكون من المستسلمين لله المتقادين له بالطاعة.

٩٢ وأُمرت أن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بهديه، وعمل بما فيه، ففنع هدايته لنفسه، ومن ضل وانحرف عما فيه وأنكره، ولم يعمل بما فيه، فقل: إنما أنا من المنذرين أنذركم من عذاب الله، وليس بيدي هدايتكم.

٩٣ وقل - أيها الرسول -: الحمد لله على نعمه التي لا تحصى، سيريكم الله آياته في الآفاق والأنفس، فتعرفونها معرفة ترشدكم إلى الإذعان للحق، وليس ربك بغافل عما تعملون، بل هو مطلع عليه، لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازيكم عليه.

سورة القصص

— مكة —

● مقصد السورة:

التركيز على قضية الموازين الحقيقية للقوى والقيم، من خلال إظهار قدرة الله وسنته بنصرة المستضعفين وإهلاك المستكبرين.

● التفسير:

١ ﴿طس﴾. تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢ هذه آيات القرآن الواضح.

٣ نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي لا مرية فيه لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين يتنفون بما فيه.

٤ إن فرعون طغى في أرض مصر، وتسلط فيها، وصير أهلها طوائف مفرقاً بينها، يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل، بقتل ذكور أولادهم واستبقاء نسائهم للخدمة إمعاناً في إذلالهم، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والطغيان والتكبر.

٥ ونريد أن نمنّ على بني إسرائيل الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر؛ بإهلاك عدوهم، وإزالة الاستضعاف عنهم، وجعلهم أئمة يقتدى بهم في الحق، ويجعلهم ورثة يرثون ملك فرعون في مصر بعد أن أهلكه الله، وأهلك جنوده بالفرق.

● فوائد من الآيات:

١ - الإيمان والعمل الصالح سببا النجاة من الفزع يوم القيامة. ٢ - الكفر والعصيان سبب في دخول النار. ٣ - تحريم القتل والظلم والصيد في الحرم. ٤ - الهلاك عاقبة المتسلطين المتكبرين. ٥ - النصر والتمكين عاقبة المؤمنين.

﴿٦﴾ ونريد أن نمكّن لهم في أرض مصر بجعلهم أصحاب التسلط عليها، والحكم فيها، ونري فرعون ومسانده الأكبر في الملك هاما و جنودهما المعاوين لهما في ملكهما ما كانوا يخافونه من ذهاب ملكهم، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.

ولما ذكر الله ما سيؤول إليه ملك فرعون، وما سيكرم به موسى وقومه ذكر نشأة موسى ﷺ إلى أن بعثه الله رسولا، فقال:

﴿٧﴾ وألهمنا أم موسى ﷺ أن أرضعته حتى إذا خشيت عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعته في صندوق، وارميه في البحر، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني بسبب فراقه، إنا مرجعوه إليك حيا، ومصيره من رسل الله الذين يعينهم إلى خلقه.

﴿٨﴾ فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في البحر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أراد الله من أن موسى سيكون عدوا لفرعون يزيل الله ملكه على يده، جالبا لحزنهم، إن فرعون ووزيره هاما وأعوانهما كانوا أئمين بسبب كفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

﴿٩﴾ ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولدا بالتبني، وهم لا

وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ

أَنَّ أَرْضِيهَا فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّمِي فِي الْيَمْرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَأَوُوكَ وَإِنَّا بِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعُ: أَلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا شَعْرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي بَصُرَتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ

عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

﴿١٠﴾ وأصبح قلب أم موسى ﷺ خاليا من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتى قاربت أن تظهر أنه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربطنا على قلبها بتبنيته، وتصبيرها لتكون من المؤمنين المتوكلين على ربهم الصابرين على ما يقضي به.

﴿١١﴾ وقالت أم موسى ﷺ لأخته بعد إلقائها له في البحر: اتبعي أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرت به عن بعد حتى لا يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها أخته وأنها تتفقد خبره.

﴿١٢﴾ وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

﴿١٣﴾ فرجعنا موسى إلى أمه رجاء أن تقر عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن بسبب فراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرجاعه إليها حق لا مرية فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أمه.

﴿١٤﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تدبير الله لعباده الصالحين بما يسلمهم من مكر أعدائهم.

٢ - تدبير الظالم يؤول إلى تدميره.

٣ - قوة عاطفة الأمهات تجاه أبنائهن.

٤ - الاحتياط من الأعداء بإخفاء الوسائل والمقاصد.

٥ - جواز استخدام الحيلة المشروعة للتخلص من ظلم الظالم.

٦ - تحقيق وعد الله واقع لا محالة.

ولما ذكر الله مبدأ موسى ذكر مرحلة شبابه، فقال:

﴿١٤﴾ ولما حان اشتداد بدنه وقواه، وانتهى ذلك منه، وتناهى شبابه أعطيناه فهمًا في الدين وعلماً، وكما جزينا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان.

﴿١٥﴾ ودخل موسى المدينة في وقت غفلة أهلها، فوجد فيها رجلين يتخاصمان ويتضاربان، أحدهما من بني إسرائيل قوم موسى ﷺ، والآخر من القبط قوم فرعون أعداء موسى، فطلب الذي هو من قومه أن يعينه على الذي هو من القبط أعدائه، فضربه موسى بقبضة يده فقتله بتلك الضربة لقوته، قال موسى ﷺ: هذا من تزيين الشيطان وإغرائه، إن الشيطان عدو مضل لمن اتبعه، واضح العداوة، فما حصل مني بسبب عداوته، وبسبب أنه مضل يريد إضلائي.

﴿١٦﴾ قال موسى داعياً ربه معترفاً بما حصل منه: رب إنني ظلمت نفسي بقتل هذا القبطي، فاغفر لي ذنبي، فغفر الله له، إنه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم.

﴿١٧﴾ قال موسى: رب بسبب ما أنعمت علي به من التوبة وغيرها من النعم فلن أكون معيئاً للمجرمين على إجرامهم.

﴿١٨﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِثْلَ مِثْلٍ مِّنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اِسْتَمَرَ لَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُوحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ بِأَتْمَرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٨﴾ فلما حصل منه ما حصل من قتل القبطي أصبح في المدينة خائفاً يتربص ماذا يحدث، فإذا الذي طلب منه العون والنصر على عدوه القبطي بالأمس يستعين به على قبطي آخر، قال له موسى: إنك لذو غواية وضلال واضح.

﴿١٩﴾ فلما أن أراد موسى ﷺ أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وعدو لمن استغاثه، قال القبطي: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفساً بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض تقتل الناس وتظلمهم، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

﴿٢٠﴾ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ويركض شفقة على موسى من الملاحقة، فقال: يا موسى، إن الأشراف من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إنني لك من الناصحين شفقة عليك من أن يدركوك فيقتلوك.

﴿٢١﴾ فامتثل موسى أمر الرجل الناصح، فخرج من البلد خائفاً يتربص ماذا يحدث له، قال داعياً ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يصلوا إليّ بسوء.

﴿٢٢﴾ فَوَالَّذِينَ بَالِغُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْ آلِ آدَمَ:

١ - الاعتراف بالذنوب من آداب الدعاء.

٢ - الشكر المحمود هو ما يحمل العبد على طاعة ربه، والبعد عن معصيته.

٣ - أهمية المبادرة إلى النصيحة خاصة إذا ترتب عليه إنقاذ مؤمن من الهلاك.

٤ - وجوب اتخاذ أسباب النجاة، والاتجاء إلى الله بالدعاء.

﴿٣١﴾ ولما سار مقبلاً بوجهه جهة مدين قال: عسى

ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضل عنها.

﴿٣٢﴾ ولما وصل ماء مدين الذي يستقون منه

وجد جماعة من الناس يسقون مواشيهم،

ووجد من دونهم امرأتين تحبسان أغنامهما

عن الماء حتى يسقي الناس، قال لهما

موسى ﷺ: ما شأنكما لا تسقيان مع

الناس؟ قالتا له: عادتنا أن نتأني فلا نسقي

حتى ينصرف الرعاة؛ حذرًا من مخالطتهم،

وأبونا شيخ كبير السن، لا يستطيع أن يسقي،

فاضطرنا لسقي غنمنا.

﴿٣٣﴾ فرحمهما فسقى لهما أغنامهما، ثم

انصرف إلى الظل فاستراح فيه، ودعا ربه

بالتعريض بحاجته، فقال: رب إنني لما أنزلت

إلي من أي خير محتاج ملتجئ إليه.

﴿٣٤﴾ فلما ذهبتا أخبرتتا أباهما به، فأرسل

إحدهما إليه تدعوه، فجاءته تمشي في حياء،

قالت: إن أبي يدعوك أن تأتيه قصد أن

يجزيك أجرك على سقيك لنا، فلما جاء

موسى أباهما، وأخبره بأخباره، قال له مطمئنًا

إياه: لا تخف نجوت من القوم الظالمين

فرعون وملته، فإنهم لا سلطان لهم على

مدين، فلا يستطيعون أن يصلوا إليك بأذى.

﴿٣٥﴾ قالت إحدى ابنتيه: يا أبت استأجره ليرعى

غنمنا، فهو جدير بأن تستأجره؛ لجمعه بين القوة والأمانة، فبالقوة يؤدي ما كلف به، وبالأمانة يحفظ ما ائتمن عليه.

﴿٣٦﴾ قال أبوهما مخاطبًا موسى ﷺ: إنني أريد أن أزوجك إحدى ابنتي هاتين، على أن يكون مهرها أن ترعى غنمنا ثمانين

سنتين، فإن أكملت المدة عشر سنين فهذا تفضل منك لا يلزمك؛ لأن التعاقد إنما هو على ثمان سنين، فما فوقها تطوع،

وما أريد أن ألزمك ما فيه مشقة عليك، ستجدني - إن شاء الله - من الصالحين الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العقود.

﴿٣٧﴾ قال موسى ﷺ: ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأبي الأمدنين عملت لك: ثمان سنوات،

أو عشر سنوات، أكون قد وفيت بما علي، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.

﴿٣٨﴾ فوائد من الآيات:

١ - الالتجاء إلى الله طريق النجاة في الدنيا والآخرة.

٢ - حياء المرأة المسلمة سبب كرامتها وعلو شأنها.

٣ - لا حرج في الكلام بين الأجنبيين إن خلا من الريبة، وكان بقدر الحاجة.

٤ - جواز عمل المرأة إذا اضطرت إليه لعدم وجود من يقوم لها به مع البعد عن الاختلاط.

٥ - مشاركة البنت بالرأي، واعتماد رأيها إن كان صوابًا أمر محمود.

٦ - القوة والأمانة صفتا المسؤول الناجح.

٧ - الحرص على إعفاف النفس.

٨ - جواز أن يكون المهر منفعة.

﴿٢١﴾ فلما أكمل موسى الأجل المتفق عليه ثمان سنين أو عشر سنين، وسار بأهله من مدين إلى مصر أبصر من جانب الطور ناراً، قال لأهله: اثبتوا، إني أبصرت ناراً، لعلي آتاكم منها بخبر، أو آتاكم بشعلة من النار توقدون بها ناراً؛ لعلكم تستدفئون من البرد.

﴿٢٢﴾ فلما جاء موسى النار التي أبصرها ناداه ربه ﷻ من جانب الأيمن بالنسبة لموقع موسى ﷺ في البقعة المباركة من الشجرة أن: يا موسى إني أنا الله رب المخلوقات كلها.

﴿٢٣﴾ وأن اطرح عصاك، فطرحها موسى امتثالاً لأمر ربه، فلما رآها تتحرك وتضطرب كأنها حية في سرعتها ولى هارباً خوفاً منها، ولم يرجع من هربه، فناداه ربه: يا موسى أقبل، ولا تخف منها؛ فإنك من الآمنين منها ومن غيرها مما تخاف.

﴿٢٤﴾ أدخل يدك اليمنى في طوق قميصك تخرج بيضاء من غير برص، فأدخلها موسى فخرجت بيضاء كالثلج، واضمم إليك يدك ليهدأ خوفك، فضمها موسى إليه فذهب عنه الخوف، فهذان المذكوران: العصا واليد حجتان مرسلتان من ربك إلى فرعون والأشراف من قومه، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٢٥﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

﴿٢٦﴾ فَلَمَّا أَنهَا تُودِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّكَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿٢٧﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا هَآبَةً تَرْكَاةً جَانَ وَلَى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَّكَ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ

﴿٢٨﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ

﴿٣٠﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ

﴿٣١﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجَجَعَلُ لَكَ مَا سَأَلْتَنَا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ

﴿٣٢﴾ قَالَ مُوسَى مَتَّوَسَّلًا إِلَى رَبِّهِ: إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَهُوَ الْقَبْطِيُّ الَّذِي اسْتِغَاثَهُ عَلَيْهِ الَّذِي هُوَ مِنْ شِيعَتِهِ، فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي بِهِ إِنْ جِئْتَهُمْ لِأَبْلِغَهُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ.

﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَبِينِ مِنِّي كَلَامًا فَابِعْتُهُ مَعِيَ مَعِينًا، إِنْ كَذَّبَنِي فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِي كَمَا هِيَ عَادَةُ الْأُمَمِ الَّتِي بَعَثَتْ إِلَيْهَا الرِّسَالَ مِنْ قَبْلِي فَكَذَّبُوهُمْ.

﴿٣٤﴾ قَالَ اللَّهُ مُجِيبًا دَعْوَةَ مُوسَى: سَتَقْوِيكَ - يَا مُوسَى - بِيَعِثُ أَخِيكَ مَعَكَ رَسُولًا مَعِينًا، وَنَجْعَلُ لَكَ مَا سَأَلْتَنَا عَلَى عَدُوِّكُمْ، فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِسُوءِ تَكْرِهَانِهِ، أَذْهَبَا بِآيَاتِنَا، أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَعَدُوِّكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ هُمُ الْمَغْلُوبُونَ.

﴿٣٥﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَبِينِ مِنِّي كَلَامًا فَابِعْتُهُ مَعِيَ مَعِينًا، إِنْ كَذَّبَنِي فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِي كَمَا هِيَ عَادَةُ الْأُمَمِ الَّتِي بَعَثَتْ إِلَيْهَا الرِّسَالَ مِنْ قَبْلِي فَكَذَّبُوهُمْ.

﴿٣٦﴾ قَالَ اللَّهُ مُجِيبًا دَعْوَةَ مُوسَى: سَتَقْوِيكَ - يَا مُوسَى - بِيَعِثُ أَخِيكَ مَعَكَ رَسُولًا مَعِينًا، وَنَجْعَلُ لَكَ مَا سَأَلْتَنَا عَلَى عَدُوِّكُمْ، فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِسُوءِ تَكْرِهَانِهِ، أَذْهَبَا بِآيَاتِنَا، أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَعَدُوِّكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ هُمُ الْمَغْلُوبُونَ.

﴿٣٧﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَبِينِ مِنِّي كَلَامًا فَابِعْتُهُ مَعِيَ مَعِينًا، إِنْ كَذَّبَنِي فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِي كَمَا هِيَ عَادَةُ الْأُمَمِ الَّتِي بَعَثَتْ إِلَيْهَا الرِّسَالَ مِنْ قَبْلِي فَكَذَّبُوهُمْ.

﴿٣٨﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَبِينِ مِنِّي كَلَامًا فَابِعْتُهُ مَعِيَ مَعِينًا، إِنْ كَذَّبَنِي فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونِي كَمَا هِيَ عَادَةُ الْأُمَمِ الَّتِي بَعَثَتْ إِلَيْهَا الرِّسَالَ مِنْ قَبْلِي فَكَذَّبُوهُمْ.

﴿٣٩﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الوفاء بالعقود شأن المؤمنين.
- ٢ - تكليم الله لموسى ﷺ ثابت على الحقيقة.
- ٣ - حاجة الداعي إلى الله إلى من يؤازره.
- ٤ - أهمية الفصاحة بالنسبة للدعاة.
- ٥ - غلبة الحق وبقاؤه سنَّة إلهية.

﴿٣٦﴾ فلما جاءهم موسى ﷺ بآياتنا واضحات قالوا: ما هذا إلا كذب مختلق اختلقه موسى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأقدمين، فلو كان حقًا لسمعنا بمثله فيمن مضى من الأمم.

﴿٣٧﴾ وقال موسى مخاطبًا فرعون: ربي يعلم المحق الذي جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، إنه لا يفوز الظالمون بمطلوبهم، ولا ينجون من مرهوبهم.

﴿٣٨﴾ وقال فرعون مخاطبًا الأشراف من قومه: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأوقد لي يا هامان الأجرَّ فابن لي به بناءً عاليًا رجاء أن أنظر إلى معبود موسى وأقف عليه، وإني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه أنه مرسل من الله إليّ وإلى قومي.

﴿٣٩﴾ وتكبر فرعون عن الحق هو وجنوده واستعلوا في أرض مصر بغير موجب من الحق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للحساب والعقاب.

﴿٤٠﴾ فأخذناه هو وأخذنا جنوده فطرحناهم في البحر غرقى حتى هلكوا جميعًا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَّبِعْتُمْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَى وَمَا سَعَيْنَا بِهِ هَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ الْإِنسَانَ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهَانَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِنَعْلَمَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٤١﴾ وجعلناهم قدوة للطغاة والضَّالِّين الذين يدعون إلى النار بما يشونه من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنقاذهم من العذاب، بل يضاعف عليهم العذاب لما سنَّوه من سنن سيئة، ودعوا إليه من ضلالة، يكتب عليهم وزر عملهم بها، ووزر عمل من اتبعهم في العمل بها.

﴿٤٢﴾ واتبعناهم زيادة على عقوبتهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المُبْعَدِينَ عن رحمة الله المُبْعَضِينَ منه ومن عباده المؤمنين.

﴿٤٣﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة من بعدما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلنا فكذبوهم، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم لهم، فيها ما يُبْصِّرُ الناس بما ينفعهم فيعملون به، وما يضرهم فيتركونه، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة لما فيها من خيري الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون نعم الله عليهم فيشكرونها ويؤمنون به.

﴿٤٤﴾ هُوَذَا مِنْ آيَاتِ:

- ١ - ردُّ الحق بالشبه الواهية شأن أهل الطغيان.
- ٢ - الظلم سبب الخسران.
- ٣ - التكبر مانع من اتباع الحق.
- ٤ - سوء نهاية المتكبرين من سنن رب العالمين.
- ٥ - للباطل أئمتة ودعائه وصوره ومظاهرة.

﴿٤٣﴾ وما كنت - أيها الرسول - حاضرًا بجانب الجبل الغربي بالنسبة لموسى ﷺ حين أنهينا إلى موسى الأمر بإرساله إلى فرعون وملئه، وما كنت من الحاضرين حتى تعلم خبر ذلك فتقصه على الناس، فما تخبرهم به هو من وحي الله إليك.

﴿٤٤﴾ ولكننا أنشأنا أممًا وخلائق من بعد موسى، فطال عليهم الأمد، وامتدت بهم الأعمال حتى نسوا عهد الله، وما كنت مقيمًا في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ولكننا أرسلناك من عندنا، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مدين، فأخبرت الناس بما أوحى الله إليك من ذلك.

﴿٤٥﴾ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك لتندر قومًا ما جاءهم رسول من قبلك يندرهم لعلهم يتعظون، فيؤمنون بما جئتهم به من عند الله سبحانه.

﴿٤٦﴾ ولولا أن تنالهم عقوبة إلهية بسبب ما هم عليه من الكفر والمعاصي، فيقولوا محتجين بعدم إرسال رسول إليهم: هلاً بعثت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونعمل بها، ونكون من المؤمنين العاملين بأمر ربهم، لولا ذلك

لعاجلناهم بالعقاب، لكننا أخرناه عنهم حتى نعذر إليهم ببعث رسول إليهم.

﴿٤٨﴾ فلما جاءهم محمد رسولاً من ربه قالوا: هلاً أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من المعجزات الدالة على أنه رسول من ربه كاليد والعصا والمنزلة جملة واحدة، قل - أيها الرسول - رداً عليهم: ألم يكفر اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من التوراة والقرآن كافرون؟

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: جيئوا بكتاب منزل من عند الله أهدى سبيلاً من التوراة والقرآن، فإن أتيتم به أتبعه إن كنتم صادقين فيما تدعون من أن التوراة والقرآن سحران.

﴿٥١﴾ فإن لم يستجيبوا لما دعوتهم إليه من الإتيان بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فأيقن أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، وإنما هو عن اتباع للهوى، ولا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفق للهداية والرشاد القوم الظالمين لأنفسهم بكفرهم بالله ومحادثهم لرسله، ومواجهتهم للحق الذي جاءهم من عند الله بالباطل.

﴿٥٢﴾ فإلام من الآيات:

١ - نفي علم الغيب عن رسول الله ﷺ إلا ما أطلع الله عليه. ٢ - اندراس العلم بتطاول الزمن. ٣ - قطع العذر عن أهل الباطل. ٤ - كفر اليهود بالتوراة والقرآن. ٥ - تحدي الكفار بالإتيان بما هو أهدى من وحي الله إلى رسله. ٦ - ضلال الكفار بسبب اتباع الهوى، لا بسبب اتباع الدليل.

﴿٥١﴾ ولقد وصلنا للمشركين واليهود من بني إسرائيل القول بقصص الأمم السابقة، وما أحلنا عليهم من العذاب لما كذبوا رسلنا رجاء أن يتعتوا بذلك فيؤمنوا حتى لا يصيبهم ما أصابهم.

﴿٥٢﴾ الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل نزول القرآن هم بالقرآن يؤمنون لما يجدونه في كتبهم من الإخبار به ومن نعته.

﴿٥٣﴾ وإذا يقرأ عليهم قالوا: آمنا به إنه الحق الذي لا مزية فيه، المنزل من ربنا، إنا كنا من قبل هذا القرآن مسلمين لإيماننا بما جاء به الرسل من قبله.

﴿٥٤﴾ أولئك الموصوفون بما ذكر يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين بسبب صبرهم على الإيمان بكتابهم، وبإيمانهم بمحمد ﷺ حين بعث، ويدفعون بحسنات أعمالهم الصالحة ما اكتسبوه من الآثام، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير.

﴿٥٥﴾ وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب الباطل من القول أعرضوا عنه غير ملتفتين إليه، وقالوا مخاطبين أصحابه: لنا جزاء أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم، سلمتم منا من الشتم والأذى، لا نتبعي مصاحبة أصحاب الجهل لما فيها من الضرر والأذى على الدين والدنيا.

﴿٥٦﴾ إنك - أيها الرسول - لا تهدي من أحببت مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الذي يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ

ءَايَنَهُمُ الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بَدَأْنَا عَلَيْهِمْ

قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعُوا وَنَ بِالْحَسَنَةِ

السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ

أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا إِنَّا عَمَلْنَا وَلكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَّمْ عَلَيْكُمْ

لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن

نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ

حَرَمَاءَ آمَنَّا بِحَبِيٍّ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَدُنَّا وَلَكِنَّ

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ

بَطَرْتَ مَعِيشَتَهَا فَنَلَّكَ مَسَكِنُهُمْ لَوْ تَسْكُنُ مِنْ بَعْدِهِمْ

إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

الْقُرَى حَتَّى بَعَثَ فِي أُمِّهِمْ رَسُولًا لِيَمْلَأَ عَلَيْهِمُ الْبُؤْسَ وَمَا

كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

مثل أبي طالب وغيره بتوفيقه للإيمان، ولكن الله وحده هو الذي يوفق من يشاء للهداية، وهو أعلم بمن سبق في علمه أنه من المهتدين إلى الصراط المستقيم.

﴿٥٧﴾ وقال المشركون من أهل مكة معتذرين عن اتباع الإسلام والإيمان به: إن نتبع هذا الإسلام الذي جئت به ينتزعنا أعداؤنا من أرضنا بسرعة، أو لم نمكّن لهؤلاء المشركين حرماً يحرم فيه سفك الدماء والظلم، يأمنون فيه من إغارة غيرهم عليهم، تجلب إليه ثمار كل شيء رزقاً من لدنا سقناه إليهم، ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فيشكروه له.

﴿٥٨﴾ وما أكثر القرى التي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب والمعاصي، فأرسلنا عليها عذاباً فأهلكناها به، فتلك مساكنهم مندثرة يمرّ الناس عليها لم تسكن من بعد أهلها إلا قليلاً من بعض العابرين، وكنا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن فيهما.

﴿٥٩﴾ ولم يكن ربك - أيها الرسول - مهلك القرى حتى يعذر إلى أهلها بعث رسول في أم تلك القرى كما بعثك أنت في أم القرى، وما كنا لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، إنما نهلكهم إن كانوا ظالمين بالكفر وارتكاب المعاصي.

﴿٥٩﴾ فَوَالَّذِينَ الْبَايَاتِ:

- ١ - فضل من آمن من أهل الكتاب بالنبي محمد ﷺ، وأن له أجرين.
- ٢ - هداية التوفيق بيد الله لا بيد غيره من الرسل وغيرهم.
- ٣ - اتباع الحق وسيلة للأمن لا مبعث على الخوف كما يدعي المشركون.
- ٤ - خطر الترف على الفرد والمجتمع.
- ٥ - من رحمة الله أنه لا يهلك الناس إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل.

ولما اعتذر المشركون عن اتباع الحق بما يلاقونه من مصاعب الحرب وانقطاع التجارة أجابهم الله بقوله:

﴿١٥﴾ وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتترزنون في الحياة الدنيا ثم يفنى، وما عند الله من الثواب العظيم في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا ما هو باق على ما هو فان.

﴿١٦﴾ أفمن وعدناه في الآخرة الجنة وما فيها من نعيم مقيم كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الحياة الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المحضرين إلى نار جهنم؟!

﴿١٧﴾ ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلًا: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿١٨﴾ قال الذين وجب عليهم العذاب من الدعاة إلى الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا، نتبرأ إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

﴿١٩﴾ وقيل لهم: نادوا شركاءكم لينقذوكم مما أنتم فيه من الخزي، فنادوا شركاءهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المعد لهم، لو أنهم كانوا من المهتدين إلى الحق لما وقعوا في العذاب.

﴿٢٠﴾ ويوم يناديهم ربهم قائلًا: ماذا أحببتم به رسلي الذين بعثتهم إليكم؟

﴿٢١﴾ فخفي عليهم ما يحتاجون به فلم يذكروا شيئًا، فلا يسأل بعضهم بعضًا؛ لما هم فيه من هول الصدمة بسبب ما أيقنوا أنهم صاترون إليه من العذاب.

﴿٢٢﴾ فأما من تاب من هؤلاء المشركين من كفره وآمن بالله ورسله، وعمل عملاً صالحًا؛ فعسى أن يكون من الفائزين بما يطلبونه، الناجين مما يرهبونه.

﴿٢٣﴾ وربك - أيها الرسول - يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويصطفي ما يشاء لطاعته ونبوته، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء.

﴿٢٤﴾ وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، لا يخفي عليه شيء من ذلك، وسيجازيهم عليه.

﴿٢٥﴾ وهو الله سبحانه لا معبود بحق غيره، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مردّ له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٢٦﴾ فآيات من الآيات:

١ - العاقل من يؤثر الباقي على الفاني. ٢ - تبرؤ الظالمين بعضهم من بعض يوم القيامة. ٣ - التوبة تجب ما قبلها. ٤ - الاختيار لله لا لعباده، فليس لعباده أن يعترضوا عليه. ٥ - إحاطة علم الله بما ظهر وما خفي من أعمال عباده.

﴿٧١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صير الله عليكم الليل دائماً مستمراً، لا انقطاع له إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بضياء مثل ضياء النهار؟ أفلا تسمعون هذه الحجة، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك.

﴿٧٢﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أخبروني إن صير الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من معبود غير الله يأتيكم بليل نهار؟ أفلا تبصرون هذه الآيات، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم بذلك كله.

﴿٧٣﴾ ومن رحمته سبحانه أن جعل لكم - أيها الناس - الليل مظلماً؛ لتسكنوا فيه بعدما عانيتم من عمل في النهار، وجعل لكم النهار مضيئاً؛ لتسعدوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم ولا تكفرونها.

﴿٧٤﴾ ويوم يناديهم ربهم ﷻ قائلاً: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم من دوني، وتزعمون أنهم شركائي؟

﴿٧٥﴾ وأحضرنا من كل أمة نبيها يشهد عليها بما كانت عليه من الكفر والتكذيب، فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حججكم وأدلتكم على ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، فانقطعت حججهم وأيقنوا أن الحق الذي لا مزية فيه لله، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من الشركاء له سبحانه.

ولما ذكر الله أن فرعون علا في الأرض بسبب السلطان ذكر طغيان قارون بسبب المال، فقال:

﴿٧٦﴾ إن قارون كان من قوم موسى ﷻ فتكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البطر، إن الله لا يحب الفرحين فرح البطر، بل يبغضهم ويعذبهم على ذلك.

﴿٧٧﴾ واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة؛ بأن تنفقه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النعم، في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن التعامل مع ربك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يبغضهم.

﴿٧٨﴾ فإذ من الآيات:

١ - تعاقب الليل والنهار نعمة من نعم الله يجب شكرها له. ٢ - الليل للراحة والنهار للكسب. ٣ - الطغيان كما يكون بالرئاسة والملك يكون بالمال. ٤ - المال نعمة، لكنه ينقلب نقمة إذا لم يوظف فيما يرضي الله. ٥ - الفرح بطراً معصية يمقتها الله. ٦ - ضرورة النصح لمن يخاف عليه من الفتنة. ٧ - بغض الله للمفسدين في الأرض.

٧٨ قال قارون: إنما أعطيت هذه الأموال لعلم عندي وقدرة، فأنا أستحقها لذلك. أولم يعلم قارون أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشد قوة وأكثر جمعاً لأموالهم؟ فما نفعتهم قوتهم ولا أموالهم، ولا يسأل يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها، فسؤالهم سؤال تبيكت وتوبخ.

٧٩ فخرج قارون في زينته مظهرًا أبهته، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحاب قارون: يا ليتنا أعطينا من زينة الدنيا مثل ما أعطي قارون، إن قارون لذنو نصيب واف كبير.

٨٠ وقال الذين أعطوا العلم حين رأوا قارون في زينته وسمعوا ما تمناه أصحابه: ويلكم! ثواب الله في الآخرة، وما أعده من النعيم لمن آمن به وعمل عملًا صالحًا، خير مما أعطي قارون من زهرة الدنيا، ولا يوفق لقول هذه الكلمة والعمل بما تقتضيه إلا الصابرون الذين يصبرون على إيثار ما عند الله من ثواب على ما في الدنيا من متاع زائل.

٨١ فحسبنا الأرض به وبداره ومن فيها انتقامًا منه على بغيه، فما كان له من جماعة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين بنفسه.

٨٢ وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه من المال والزينة قبل الخسف به يقولون معتبرين: ألم نعلم

قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ٧٨ فخرج على قوميه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يلبت لنا مثل ما أوفى قرون إنَّهُ لذو حظٍ عظيمٍ ٧٩ وقال الذين أوتوا العلم ويليكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقها إلا الصابرون ٨٠ فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ٨١ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون وبكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا وبكأنه لا يفلح الكافرون ٨٢ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين ٨٣ من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون ٨٤

أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، لولا أن من الله علينا فلم يعاقبنا بما قلنا؛ لخسف بنا مثل ما خسف بقارون، إنه لا يفوز الكافرون، لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إن مصيرهم ومآلهم الخسران فيهما.

٨٢ تلك الدار الآخرة نجعلها دار نعيم وتكريم للذين لا يريدون تكبرًا في الأرض عن الإيمان بالحق واتباعه، ولا يريدون فسادًا فيها، والعاقبة المحمودة المتمثلة بما في الجنة من نعيم، وما يحلّ فيها من رضا الله للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهي.

٨٣ من جاء بالحسنة يوم القيامة - من صلاة وزكاة وصيام وغيره - فله جزاء خير من تلك الحسنه حيث تضاعف له الحسنه إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة - بالسيئة من كفر وأكل ربا وزنا وغير ذلك - فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة.

٨٤ فوايل من الآيات:

- ١ - كل ما في الإنسان من خير ونعم، فهو من الله خلقًا وتقديرًا.
- ٢ - على الإنسان العاقل أن يعتبر بأحوال من سبقه.
- ٣ - أهل الدنيا هم الأسرع للاغترار بها، والوقوع في الفتن.
- ٤ - أهل العلم هم أهل الحكمة والنجاة من الفتن؛ لأن العلم يوجه صاحبه إلى الصواب.
- ٥ - العلو والكبر في الأرض ونشر الفساد عاقبته الهلاك والخسران.
- ٦ - سعة رحمة الله وعدله بمضاعفة الحسنات للمؤمن وعدم مضاعفة السيئات للكافر.

٨٥) إن الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك تبليغه والعمل بما فيه لمرجعك إلى مكة فاتحاً، قل - أيها الرسول - للمشركين: ربي أعلم بمن جاء بالهدى، ومن هو في ضلال واضح عن الهدى والحق.

٨٦) وما كنت - أيها الرسول - تأمل - قبل البعثة - أن يُلقى إليك القرآن وحياً من الله، لكن رحمة منه سبحانه اقتضت إنزاله عليك، فلا تكونن معيئاً للكافرين على ما هم فيه من الضلال.

٨٧) ولا بصرفنك هؤلاء المشركون عن آيات الله بعد إنزالها عليك فتترك تلاوتها وتبليغها، وادع الناس إلى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بشرعه، ولا تكونن من المشركين الذين يعبدون مع الله غيره، بل كن من الموحدون الذين لا يعبدون إلا الله وحده.

٨٨) ولا تعبد مع الله معبوداً غيره، لا معبود بحق غيره، كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، له وحده الحكم يحكم بما يشاء، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

سورة العنكبوت

— مكية —

● مقصد السورة:

تركز على قضية الثبات والصبر حال الابتلاء والفتن وعاقبته.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٨٥
أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨٦ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ٨٧
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ ٨٨ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَنْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٨٩ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٩٠

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر ١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٤) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٦)

● التفسير:

- ١) سبق الكلام عن نظائرها في بداية سورة البقرة.
- ٢) أظن الناس أنهم بقولهم: أمنا بالله يتركون دون اختبار بين حقيقة ما قالوا: هل هم مؤمنون حقاً؟ ليس الأمر كما ظنوا.
- ٣) ولقد اختبرنا الذين كانوا قبلهم، فليعلمن الله علم ظهور ويكشف لكم صدق الصادقين في إيمانهم وكذب الكاذبين فيه.
- ٤) بل أظن الذين يعملون المعاصي من الشرك وغيره أن يعجزونا، وينجوا من عقابنا؟ قبح حكمهم الذي يحكمون به، فهم لا يعجزون الله، ولا ينجون من عقابه إن ماتوا على كفرهم.
- ٥) من كان يأمل لقاء الله يوم القيامة ليشبهه فليعلم أن الأجل الذي ضربه الله لذلك لآت قريباً، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.
- ٦) ومن جاهد نفسه بحملها على الطاعة والبعد عن المعصية، وجاهد في سبيل الله فإنما يجاهد نفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليها، والله غني عن المخلوقات كلها، فلا تزيده طاعتهم، ولا تنقصه معصيتهم.

● فوائد من الآيات:

- ١ - النهي عن إعانة أهل الضلال.
- ٢ - الأمر بالتمسك بتوحيد الله والبعد عن الشرك به.
- ٣ - ابتلاء المؤمنين واختبارهم سنة إلهية.
- ٤ - غنى الله عن طاعة عباده.

٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَبَرُوا عَلَىٰ امْتِحَانِنَا لَهُمْ وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ لَنُحْمُوَنَ ذُنُوبَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَنُثَبِّتَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا.

٨) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ أَنْ يَبْرَهَمَا وَيَحْسِنَ إِلَيْهِمَا، وَإِنْ جَاهَدَكَ أَبُوهَا الْإِنْسَانُ - وَالذَّكَاءُ لَتَشْرِكْ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِإِشْرَاكِهِ عِلْمٌ - كَمَا وَقَعَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه مِنْ أُمِّهِ - فَلَا تَطْعَمُهُمَا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، إِلَيَّ وَحْدِي رَجُوعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَخْبِرْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا، وَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ، فَنَحْشُرُهُمْ مَعَهُمْ، وَنُثَبِّتُهُمْ ثَوَابَهُمْ. ١٠) وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ: آمَنَّا بِاللَّهِ، فَإِذَا آذَاهُ الْكُفَّارُ عَلَىٰ إِيمَانِهِ جَعَلَ عَذَابَهُمْ لَهُ كَعَذَابِ اللَّهِ فَارْتَدَّ عَنِ الْإِيمَانِ مُوَافِقَةً لِلْكَفَّارِ، وَلَئِنْ حَصَلَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لَيَقُولُنَّ: إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عَلَى الْإِيمَانِ، أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا صَدُرَ النَّاسُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا فِيهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، فَكَيْفَ يَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِيهَا مِنْهُمْ.

١١) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ - عِلْمَ ظَهْوَرٍ يَظْهَرُ بِعِبَادِهِ -

الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ حَقًّا، وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ الْإِيمَانَ، وَيُضْمَرُونَ الْكُفْرَ.

١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ: اتَّبِعُوا دِينَنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَنَحْمِلْ نَحْنُ عَنْكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فَجَازَىٰ عَلَيْهِا دُونَكُمْ، وَلَيْسُوا بِحَامِلِينَ شَيْئًا مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ هَذَا. وَلَمَّا كَانَ نَفْيَ حَمْلِهِمْ لِخَطَايَا غَيْرِهِمْ قَدْ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْكُفَّارَ الدَّاعِينَ إِلَىٰ ضَلَالَتِهِمْ لَا يَأْتُمُونَ إِثْمًا زَائِدًا بِسَبَبِ ذَلِكَ رَفَعَ ذَلِكَ الْإِيهَامَ بِقَوْلِهِ:

١٣) وَلَيَحْمِلُنَّ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُوكُونَ الدَّاعُونَ إِلَىٰ بَاطِلِهِمْ ذُنُوبَهُمْ الَّتِي اقْتَرَفُوهَا، وَلَيَحْمِلُنَّ ذُنُوبَ مَنْ اتَّبَعَ دَعْوَتَهُمْ دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ذُنُوبِ التَّابِعِينَ لَهُمْ شَيْءٌ، وَلَيْسَ أَلَّنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَخْتَلِقُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْبَاطِلِ.

١٤) وَلَقَدْ بَعَثْنَا نُوْحًا رَسُوْلًا إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَمَكَثَ فِيهِمْ مَدَّةَ تِسْعِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللَّهِ، فَكَذَّبُوهُ وَاسْتَمَرُّوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرُسُلِهِ، فَهَلَكُوا بِالْغُرُقِ.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾

- ١ - الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ يُكْفِّرُ اللَّهُ بِهَا الذُّنُوبَ.
- ٢ - تَأْكُدُ وَجُوبَ الْبِرِّ بِالْأَبْوِينِ.
- ٣ - طَاعَةُ اللَّهِ مُقَدِّمَةٌ عَلَىٰ طَاعَةِ الْأَبْوِينِ.
- ٤ - الْإِيمَانُ بِاللَّهِ يَقْتَضِي الصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى فِي سَبِيلِهِ.
- ٥ - مِنْ سَنِّ سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ فَعَلِيهِ وَزَرَهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلٍ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٧) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَكَ لِتَشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ٩) وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَأَمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَّ أَثْقَالَهُمْ وَلَيْسَ لَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ ١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ءَفَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا الْخَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ١٤)

﴿١٥﴾ فَأَنْقَذْنَا نوحًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّفِينَةِ مِنَ الْهَلَاكِ بِالْغُرُقِ، وَجَعَلْنَا السَّفِينَةَ عِبْرَةً لِلنَّاسِ يَعْتَبِرُونَ بِهَا.

﴿١٦﴾ وَأَذَكَرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - قِصَّةَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَاحِدَهُ، وَاتَّقُوا عِقَابَهُ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، ذَلِكَ الْمَأْمُورُ بِهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ.

﴿١٧﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - أَصْنَامًا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَتَخْتَلِقُونَ الْكُذْبَ حِينَ تَزْعُمُونَ اسْتِحْقَاقَهَا لِلْعِبَادَةِ، إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَيرزقوكم، فاطلبوا عند الله الرزق فهو الرزاق، واعبدوه وحده، واشكروا له ما أنعم به عليكم من الرزق، إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء لا إلى أصنامكم.

﴿١٨﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَدْ كَذَبَتْ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْوَاضِحُ، وَقَدْ بَلَّغَكُمْ مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ بِتَبْلِيغِهِ إِلَيْكُمْ.

﴿١٩﴾ أَوْلَمْ يَرِ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ كَيْفَ يَخْلُقُ اللَّهُ الْخَلْقَ ابْتِدَاءً، ثُمَّ يَعِيدُهُ بَعْدَ فَنَائِهِ، إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ سَهْلٌ، فَهُوَ قَادِرٌ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿٢٠﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْمَكْذِبِينَ بِالْبَعْثِ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَأْمَلُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ، ثُمَّ اللَّهُ يُحْيِي النَّاسَ بَعْدَ مَوْتِهِمُ الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَلَا يَعْجِزُ عَنْ بَعْثِ النَّاسِ كَمَا لَمْ يَعْجِزْ عَنْ خَلْقِهِمْ أَوَّلًا.

﴿٢١﴾ يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَلَهُ، وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ بِفَضْلِهِ، وَإِلَيْهِ وَاحِدَهُ تَرْجِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ حِينَ يَبْعَثُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً.

﴿٢٢﴾ وَلَسْتُمْ بِفَاتِتِينَ رَبِّكُمْ، وَلَا مَنفَلِتِينَ مِنْ عِقَابِهِ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ يَتَوَلَّى أَمْرَكُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ نَصِيرٌ يَرْفَعُ عَنْكُمْ عَذَابَهُ.

﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَبِلِقَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْلَيْكَ قَنْطَوْنَا مِنْ رَحْمَتِي، فَلَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبَدًا لِكُفْرِهِمْ، وَأَوْلَيْكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ يَنْتَظِرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الأصنام لا تملك رزقًا، فلا تستحق العبادة.

٢ - طلب الرزق إنما يكون من الله الذي يملك الرزق.

٣ - بدء الخلق دليل على البعث.

٤ - دخول الجنة محرم على من مات على كفره.

﴿٤٤﴾ فما كان جواب قوم إبراهيم له - بعدما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة غيره من الأوثان - إلا أن قالوا: اقتلوه أو ارموه في النار انتصارًا لألهتكم، فسلمه الله من النار، إن في تسليمه من النار بعد رميه فيها لعبيرًا لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالعبير.

﴿٤٥﴾ وقال إبراهيم ﷺ لقومه: إنما اتخذتم أصنامًا آلهة تعبدونها للتعرف والتواذ على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة ينقطع ذلك التواذ بينكم، فبتبراً بعضكم من بعض عند معاينة العذاب، ويلعن بعضكم بعضًا، ومقرّم الذي تاوون إليه النار، وليس لكم من ناصرين يمنعونكم من عذاب الله، لا من أصنامكم التي كنتم تعبدونها من دون الله، ولا من غيرها.

﴿٤٦﴾ فأمن له لوط ﷺ، وقال: إني مهاجر إلى ربي إلى أرض الشام المباركة، إنه هو العزيز الذي لا يغالب، ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تقديره وتدبيره.

﴿٤٧﴾ وأعطينا إبراهيم إسحاق وابنه يعقوب، وصيرنا في أولاده النبوة، والكتب المنزلة من عند الله، وأعطيناه ثواب صبره على الحق في الدنيا، وإنه في الآخرة ليُجزى جزاء الصالحين، لا ينقص ما أعطي في الدنيا ما أعدّ له من الجزاء الكريم في الآخرة.

﴿٤٨﴾ واذكر - أيها الرسول - لوطًا حين قال لقومه: إنكم لتأتون الذنب القبيح ما سبقكم إلى الإتيان به أحد من العالمين قبلكم، فأنتم أول من ابتدع هذا الذنب الذي تاباه الفطر السليمة.

﴿٤٩﴾ فَأَمَّا كَاتِبَاتُ جَوَابِ قَوْمِهِ= إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

﴿٥٠﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم مِّبَعْضًا وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥١﴾ فَمَأْنِ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٣﴾

﴿٥٤﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ= إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ= إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٧﴾

﴿٥٨﴾ وَأَنبَأَ الْفُطْرَ السَّلِيمَةَ

﴿٥٩﴾ وَأَعْطَيْنَاهُ الثَّوَابَ صَبْرَهُ عَلَى الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا

﴿٦٠﴾ وَلَا يَنْقُصُ مَا أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا مَا أُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ

﴿٦١﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لُوطًا حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ= إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الذَّنْبَ الْقَبِيحَ مَا سَبَقَكُمْ إِلَى الْإِتْيَانِ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَكُمْ، فَأَنْتُمْ أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَعَ هَذَا الذَّنْبَ الَّذِي تَابَاهُ الْفُطْرُ السَّلِيمَةُ.

﴿٦٢﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ فِي أَدْبَارِهِمْ لِقِضَاءِ شَهْوَتِكُمْ، وَتَقَطِّعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَسَافِرِينَ فَلَا يَمْرُونَ بِكُمْ خَشْيَةَ مَا تَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَتَأْتُونَ فِي مَجَالِسِكُمُ الْأَفْعَالِ الْمُنْكَرَةَ كَالْعَرِيِّ وَيُذَاءُ مِنْ يَمْرِكُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ؟ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ لَهُ بَعْدَ نَهْيِهِ لَهُمْ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ إِلَّا أَنْ قَالُوا لَهُ: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ الَّذِي تَهْدِدُنَا بِهِ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِيمَا تَدَّعِيهِ.

﴿٦٣﴾ قَالَ لُوطٌ ﷺ دَاعِيًا رَبَّهُ بَعْدَ تَعْنَتِ قَوْمِهِ وَطَلَبِهِمْ إِزْالَ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ اسْتِخْفَافًا بِهِ: رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ بِمَا يَنْشُرُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي الْمُسْتَقْبِحَةِ.

﴿٦٤﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ

﴿٦٥﴾ وَأَنبَأَ الْفُطْرَ السَّلِيمَةَ

﴿٦٦﴾ وَأَعْطَيْنَاهُ الثَّوَابَ صَبْرَهُ عَلَى الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا

﴿٦٧﴾ وَلَا يَنْقُصُ مَا أُعْطِيَ فِي الدُّنْيَا مَا أُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ

﴿٦٨﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لُوطًا حِينَ قَالَ لِقَوْمِهِ= إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الذَّنْبَ الْقَبِيحَ مَا سَبَقَكُمْ إِلَى الْإِتْيَانِ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَكُمْ، فَأَنْتُمْ أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَعَ هَذَا الذَّنْبَ الَّذِي تَابَاهُ الْفُطْرُ السَّلِيمَةُ.

﴿٣١﴾ ولما جاءت الملائكة الذين بعثناهم يبشرون إبراهيم بإبراهيم يسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قالوا له: إنا مهلكو أهل قرية سدوم قرية قوم لوط؛ إن أهلها كانوا ظالمين بما يقومون به من فعل الفاحشة.

﴿٣٢﴾ قال إبراهيم ﷺ للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطاً، وليس هو من الظالمين، قال الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننقذنه وأهله من الهلاك المنزل على أهل القرية إلا امرأته كانت من الباقين الهالكين، فسنهلكها معهم.

﴿٣٣﴾ ولما أتت الملائكة الذين بعثناهم لإهلاك قوم لوط لوطاً ساءه وأحزنه مجيئهم خوفاً عليهم من خبث قومه، فقد جاءته الرسل في شكل رجال، وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقال له الملائكة: لا تخف، فلن يصل إليك قومك بسوء، ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم، إنا منقذوك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقين الهالكين، فسنهلكها معهم.

﴿٣٤﴾ إنا منزلون على أهل هذه القرية التي كانت تعمل الخبائث عذاباً من السماء، وهو حجارة من سجيل؛ عقاباً لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يرتكبون من الفاحشة

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا

أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَوْنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ

وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا

أَنَّ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَاءَ بِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا

وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْقِذُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ

كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ

هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جَنَيمٍ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَّيَّرَ

لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَلَهُمْ فُصِّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

القيحة، وهي إتيان الرجال دون النساء شهوة.

﴿٣٥﴾ ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكتنا آية واضحة لقوم يعقلون؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

﴿٣٦﴾ وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً ﷺ، فقال: يا قوم، اعبدوا الله وحده، وارجوا بعبادتكم إياه الجزاء في اليوم الآخر، ولا تفسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها.

﴿٣٧﴾ فكذب قومه، فأصابتهم الزلزلة، فأصبحوا صرعى ميّتين في دارهم، لا حراك بهم.

﴿٣٨﴾ وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود، وثمود قوم صالح، وقد تبين لكم - يا أهل مكة - من مساكنهم بالحجر والشجر من حضرموت ما يدل لكم على إهلاكهم، فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك، وحسن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر وغيره من المعاصي، فصرفهم عن الطريق المستقيم، وكانوا ذوي إِبصار بالحق والضلال والرشد والغي بما علمتهم رسلهم، لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.

﴿٣٩﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الظلم سبب يؤدي إلى الهلاك.
- ٢ - اتباع الحق سبب يؤدي للنجاة من الهلاك.
- ٣ - العلائق البشرية لا تنفع إلا مع الإيمان.
- ٤ - الحرص على أمن الضيوف وسلامتهم من الاعتداء عليهم.
- ٥ - منازل المهلكين بالعذاب عبرة للمعتبرين.
- ٦ - العلم بالحق لا ينفع مع اتباع الهوى وإيثاره على الهدى.

﴿٣٦﴾ وأهلكنا قارون لما بغى على قوم موسى بالخسف به وبيداره، وأهلكنا فرعون ووزيره هامان بالغرق في البحر، ولقد جاءهم موسى بالمعجزات الواضحات الدالة على صدقه، فاستكبروا في أرض مصر عن الإيمان به، وما كانوا لیسلموا من عذابنا بفوتهم لنا.

﴿٣٧﴾ فأخذنا كلاً من المذكورين سابقاً بعدابنا المهلك، فمنهم قوم لوط الذين أرسلنا عليهم حجارة من سجيل منضود، ومنهم قوم صالح وقوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة، ومنهم قارون الذي خسفنا به وبيداره الأرض، ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان الذين أهلكناهم بالغرق، وما كان الله ليلظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي، فاستحقوا العذاب.

﴿٣٨﴾ مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها رجاء نفعهم أو شفاعتهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقيها من الحر والبرد والاعتداء عليها، وإن أضعف البيوت لبیت العنكبوت، فهو لا يدفع برداً ولا يقي من حر، وكذلك أصنامهم لا تنفع ولا تضر ولا تشفع، لو كان المشركون يعلمون ذلك لما اتخذوا أصناماً يعبدونها من دون الله.

﴿٣٩﴾ إن الله ﷻ يعلم ما يعبدونه من دونه، لا

يخفى عليه شيء من ذلك، وهو العزيز الذي لا يُعَالَب، الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره.

﴿٤٠﴾ وهذه الأمثال التي نضربها للناس لتوقظهم وتبصرهم بالحق، وتهديهم إليه، ما يدركها على الوجه المطلوب إلا العالمون بشرح الله وحكمه.

﴿٤١﴾ خلق الله ﷻ السماوات وخلق الأرض بالحق، ولم يخلقها بالباطل ولم يخلقها عبثاً، إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يستدلون بخلق الله على الخالق سبحانه، وأما الكافرون فإنهم يَمرون على الآيات في الآفاق والأنفس دون أن تلفت انتباههم إلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

﴿٤٢﴾ اقرأ - أيها الرسول - على الناس ما أوحى به الله إليك من القرآن، واثت بالصلاة على أكمل وجه، إن الصلاة المؤداة بصفحتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات؛ لما تحدته من نور في القلوب يمنع من اقتتاف المعاصي، ويرشد إلى عمل الصالحات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء، والله يعلم ما تصنعونه، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿٤٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - تعدد أنواع العذاب في الدنيا. ٢ - تنزه الله عن الظلم. ٣ - التعلق بغير الله تعلق بأضعف الأسباب.
- ٤ - فضل العلم. ٥ - أهمية الصلاة في تقويم سلوك المؤمن. ٦ - فضل ذكر الله.

﴿٤٦﴾ ولا تحاوروا - أيها المؤمنون - ولا

تخاصموا اليهود والنصارى الذين أنزلت عليهم الكتب السماوية إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة والحجج البينة، إلا الذين ظلموا منهم بالعدا والمكابرة، وأعلنوا الحرب عليكم، فقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وقولوا لليهود والنصارى: آمنا بالذي أنزل الله إلينا من القرآن، وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وكماله، ونحن له وحده متقادون متذللون.

﴿٤٧﴾ وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن، فبعض هؤلاء الذين يقرؤون التوراة مثل عبد الله بن سلام يؤمنون به؛ لما يجدونه من نعتيه في كتبهم، ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر والجحود للحق مع ظهوره.

﴿٤٨﴾ وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب، وما كنت تكتب شيئاً بيمينك؛ لأنك أُمِّي لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ

﴿٤٦﴾ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطُوتِ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٌ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

وتكتب لشك الجهلة من الناس في نبوتك، وتذرعوا بأنك كنت تكتب عن الكتب السابقة.

﴿٤٩﴾ بل القرآن المنزل عليك آيات واضحات في صدور الذين أعطوا العلم من المؤمنين، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.

﴿٥٠﴾ وقال المشركون: هلاً أنزل على محمد معجزات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المقترحين: إنما المعجزات بيد الله سبحانه، ينزلها متى شاء، وليس إليّ إنزالها، وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله، واضح النذارة.

﴿٥١﴾ أولم يكف هؤلاء المقترحين للآيات أنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن يقرأ عليهم، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون، فهم الذين يتفنون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما اقترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقاً.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - كفى بالله سبحانه شاهداً على صدقي فيما جئت به، وعلى تكذيبكم به، يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، والذين آمنوا بالباطل من كل ما يعبد من دون الله، وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة، أولئك هم الخاسرون؛ لاستبدالهم الكفر بالإيمان.

﴿٥٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - مجادلة أهل الكتاب تكون بالتي هي أحسن.

٢ - الإيمان بجميع الرسل والكتب دون تفريق شرط لصحة الإيمان.

٣ - القرآن الكريم المعجزة الخالدة والعلامة الدائمة على صدق النبي ﷺ.

﴿٥٦﴾ يستعجلك - أيها الرسول - المشركون بالعذاب الذي أُنذرتهم إياه، ولولا أن الله قَدَّرَ لعذابهم وقتًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر لَجاءهم ما طلبوا من العذاب، وليأتيتهم فجأة وهم لا يتوقعونه.

﴿٥٧﴾ يستعجلونك بالعذاب الذي وعدتهم إياه، وإن جهنم التي وعد الله الكافرين لمحيطه بهم، لا يستطيعون الفرار من عذابها.

﴿٥٨﴾ يوم يُعْطِيهِم العذاب من فوقهم، ويكون فراشًا لهم من تحت أرجلهم، ويقول لهم الله توبيخًا لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي.

﴿٥٩﴾ يا عبادي، هاجروا من أرض لا تتمكنون فيها من عبادتي، إن أرضي واسعة فاعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحدًا.

﴿٦٠﴾ ولا يمنعكم من الهجرة خوف الموت، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٦١﴾ والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات التي تقرب إليه لننزلتهم من الجنة غرًا تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبدًا، لا يلحقهم فيها فناء، نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء.

﴿٦٢﴾ نعم جزاء العاملين بطاعة الله الذين

صبروا على طاعته وعن معصيته، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم.

﴿٦٣﴾ كل الدواب - على كثرتها - التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حمله الله يرزقها ويرزقكم، فلا عذر لكم في ترك الهجرة خوفًا من الجوع، وهو السميع لأقوالكم، العليم بنياتكم وأفعالكم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وسيجازيكم عليه.

﴿٦٤﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات؟ ومن خلق الأرض؟ ومن سخر الشمس والقمر والجمادى؟ ليقولن: خلق السماوات، وخلق الأرض، وسخر الشمس والقمر دائبين الله، فكيف يُصْرَفُونَ عن الإيمان بالله وحده، ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع ولا تضر؟

﴿٦٥﴾ الله يوسع الزرق على من يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها هو، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، فلا يخفى عليه ما يصلح لعباده من تدبير.

﴿٦٦﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من نزل من السماء ماء فأنبث به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ ليقولن: أنزل المطر من السماء وأنبث به الأرض الله، قل - أيها الرسول -: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون؛ إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا مع الله أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

﴿٦٧﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - استعجال الكافر بالعذاب دليل على حمقه. ٢ - باب الهجرة من أجل سلامة الدين مفتوح. ٣ - فضل الصبر والتوكل على الله. ٤ - الإقرار بالربوبية دون الإقرار بالألوهية لا يحقق لصاحبه النجاة والإيمان.

وما هذه الحياة الدنيا - بما فيها من الشهوات والمتاع - إلا لهو لقلوب المتعلقين بها ولعب، ما يلبث أن ينتهي بسرعة، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية لبقائها، لو كانوا يعلمون لما قدموا ما يفنى على ما يبقى.

ولما سجل الله على المشركين تناقضهم؛ بإيمانهم بربوبية الله عندما يُسألون عن خلق السماوات والأرض، وكفرهم بألوهيته عندما يعبدون غيره، سجل عليهم تناقضاً آخر هو إخلاصهم التوحيد عند الخوف من الغرق وعودتهم للشرك عند أمنهم منه، فقال:

وإذا ركب المشركون في السفن في البحر دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء أن ينجيهم من الغرق، فلما نجاهم من الغرق انقلبوا مشركين يدعون معه آلهتهم.

انقلبوا مشركين ليكفروا بما أعطيناهم من النعم، وليتمتعوا بما أعطوا من زهرة الحياة الدنيا، فسوف يعلمون عاقبتهم السيئة عندما يموتون.

أولم ير هؤلاء الجاحدون نعمة الله عليهم حين نجاهم الله من الغرق نعمة أخرى؛ هي أننا جعلنا لهم حرماً يأمنون فيه على دمائهم وأموالهم، على حين أن غيرهم تُشن عليهم الغارات، فيقتلون ويؤسرون وتُسبى نساؤهم وذرايهم، وتُنهب أموالهم، أفعال باطل من آلهتهم المزعومة يصدقون، وبنعمة الله عليهم يجحدون، فلا يشكرونها لله؟

لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بأن نسب إليه شريكاً، أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله، لا شك أن في جهنم مسكناً للكافرين ولأمثالهم.

والذين جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا لتوفيقهم لإصابة الطريق المستقيم، وإن الله مع المحسنين بالعون والنصر والهداية.

سورة الروم

— مكة —

﴿مقصد السورة﴾:

تركز على بيان الحقيقة الكونية في أن تصريف الأمور والأحوال والأحداث لله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

﴿التفسير﴾:

﴿المر﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. ﴿غَلَبَتْ فَارِسُ الرُّومِ﴾ في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس، والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبونهم. ﴿فِي زَمَانٍ لَا يَقُلُ عَنْ ثَلَاثِ سِنِيَّاتٍ﴾ ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون. ﴿يَفْرَحُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ لِلرُّومِ﴾ لأنهم أهل كتاب، ينصر الله من يشاء على من يشاء، وهو العزيز الذي لا يُغَلَبُ، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: ١ - لجوء المشركين إلى الله في الشدة ونسيانهم لأصنامهم، وإشراكهم به في الرخاء دليل على تخبطهم. ٢ - الجهاد في سبيل الله سبب للتوفيق إلى الحق. ٣ - إخبار القرآن بالغيبيات دليل على أنه من عند الله.

٦ هذا النصر كان وعدًا من الله تعالى،
وبتحقيقه يزداد المؤمنون يقينًا بوعده الله بالنصر،
أما أكثر الناس فلا يفقهون هذا لكفرهم.

٧ لا يعلمون الإيمان وأحكام الشرع، وإنما
يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا يتعلق بكسبهم
لمعاشهم، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة
الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها.

٨ أولم يتفكر هؤلاء المشركون المكذبون
في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها.

ما خلق الله السماوات وما خلق الأرض إلا
بالحق، فلم يخلقهما عبثًا، وجعل لهما أجلاً
محددًا لبقائهما في الدنيا، وإن كثيرًا من
الناس بقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، لذلك
فهم لا يستعدون للبعث بالعمل الصالح
المرضي عند ربهم.

٩ أولم يسر هؤلاء في الأرض ليتأملوا كيف
كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت
هذه الأمم أشد منهم قوة، وقلبوا الأرض
للزراعة والتعمير، وعمرها أكثر مما عمرها
هؤلاء، وجاءتهم رسلهم بالبراهين والحجج
الواضحة على توحيد الله فكذبوا، فما
ظلمهم الله حين أهلكتهم، ولكن كانوا أنفسهم
يظلمون بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم.

١٠ ثم كانت نهاية الذين ساءت أعمالهم
بالشرك بالله وعمل السيئات، النهاية البالغة في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزئون بها، ويسخرون منها.

١١ الله يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يميتهم، ثم يعيدهم، ثم إليه وحده ترجعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

١٢ ويوم تقوم الساعة ييأس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم فيه؛ لانقطاع حجتهم على الكفر بالله.

١٣ ولم يكن لهم من شركائهم - الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا - من يشفعون لإنقاذهم من العذاب، وكانوا
بشركائهم كافرين، فقد خذلوهم حين كانوا بحاجة إليهم لأنهم كلهم سواء في الهلاك.

١٤ ويوم تقوم الساعة في ذلك اليوم يتفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا، بين مرفوع إلى
عليين، ومخفض إلى أسفل سافلين.

١٥ فأما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات المرضية عنده، فهم في جنة يُسَرُّون بما ينالون فيها من
النعيم الدائم الذي لا ينقطع أبدًا.

فوائد من الآيات:

- ١ - العلم بما يصلح الدنيا مع العفلة عما يصلح الآخرة لا ينفع.
- ٢ - آيات الله في الأنفس وفي الآفاق كافية للدلالة على توحيده.
- ٣ - الظلم سبب هلاك الأمم السابقة.
- ٤ - يأس الكافر يوم القيامة لانقطاع حجته.
- ٥ - يوم القيامة يرفع الله المؤمنين، ويخفض الكافرين.

﴿٦٦﴾ وأما الذي كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا، وكذبوا بالبعث والحساب، فأولئك للعذاب ملازمون.

﴿٦٧﴾ فسبحوا الله حين تدخلون في وقت المساء؛ وهو وقت صلاتي العشاءين: المغرب والعشاء، وسبحوه حين تدخلون في وقت الصباح، وهو وقت صلاة الفجر.

﴿٦٨﴾ وله وحده سبحانه الثناء في السماوات يحمده ملائكته، وفي الأرض تحمده خلائقه، وسبحوه حين تدخلون في العشي وهو وقت صلاة العصر، وسبحوه حين تدخلون في وقت الظهر.

﴿٦٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، مثل إخراجة الإنسان من النطفة، والفرخ من البيضة، ويُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، مثل إخراجة النطفة من الإنسان، والبيضة من الدجاجة، ويحيي الأرض بعد جفافها بإنزال المطر وإنباتها، ومثل إحياء الأرض بإنباتها تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿٧٠﴾ ومن آيات الله العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: أن خلقكم - أيها الناس - من تراب حين خلق أباكم من طين، ثم إذا أنتم بشر تتكاثرون بالتناسل، وتنتشرون في مشارق الأرض ومغاربها.

﴿٧١﴾ ومن آياته العظيمة كذلك الدالة على قدرته ووحدانيته أن خلق لأجلكم - أيها الرجال - من جنسكم أزواجاً لتطمئن أنفسكم إليهن للتجانس بينكم، وصَيْرَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَجْعَةً وَشَفَقَةً، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات واضحة لقوم يتفكرون؛ لأنهم الذين يستفيدون من إعمال عقولهم.

﴿٧٢﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: خلق السماوات وخلق الأرض، ومنها اختلاف لغاتكم، واختلاف ألوانكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لأهل العلم والبصيرة.

﴿٧٣﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: نومكم بالليل، ونمامكم بالنهار لتستريحوا من عناء أعمالكم، ومن آياته أن جعل لكم النهار لتنتشروا فيه مبتغين الرزق من ربكم، إن في ذلك المذكور لبراهين ودلالات لقوم يسمعون سماع تدبر وسماع قبول.

﴿٧٤﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته: يريكم البرق في السماء، ويجمع لكم فيه بين الخوف من الصواعق، والطمع في المطر، وينزل لكم من السماء ماءً فيحيي الأرض بعد جفافها بما ينبت فيها من نبات، إن في ذلك لبراهين ودلالات واضحة لقوم يعقلون، فيستدلون بها على البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

﴿٧٥﴾ فَاذْكُرُوا مِنْ آيَاتِ:

١ - إعمار العبد أوقاته بالصلاة والتسبيح علامة على حسن العاقبة. ٢ - الاستدلال على البعث بتجدد الحياة، حيث يخلق الله الحي من الميت والميت من الحي. ٣ - آيات الله في الأنفس والآفاق لا يستفيد منها إلا من يعمل وسائل إدراكه الحسية والمعنوية التي أنعم الله بها عليه.

﴿٢٥﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام بأمره سبحانه، ثم إذا دعاكم سبحانه دعوة من الأرض بنفخ الملك في الصور إذا أنتم تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء .

﴿٢٦﴾ وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض ملكًا وخلقًا وتقديرًا، كل من في السماوات، وكل من في الأرض من مخلوقاته متقادون له مستسلمون لأمره .

﴿٢٧﴾ وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق على غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفنائه، والإعادة أسير من الابتداء، وكلاهما سهل عليه لأنه إذا أراد شيئًا قال له: (كن) فيكون، وله صفات الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يُعَالَب، الحكيم في خلقه وتدييره .

﴿٢٨﴾ ضرب الله لكم - أيها المشركون - مثالًا مأخوذًا من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية، تخافون منهم كما يخاف بعضهم من بعض؟ هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم بهذا؟ لا شك أنكم لا ترضون بذلك، فالله أولى بأن لا يكون له شريك في ملكه من مخلوقاته وعبيده، بمثل ذلك من ضرب

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتِكُمْ فَإِن مَّ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَالٍ آلِيهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

الأمثال وغيره نبين الحجج والبراهين بتوحيها لقوم يعقلون، لأنهم هم الذين ينتفعون بذلك .

﴿٢٩﴾ ليس سبب ضلالهم قصورًا في الأدلة، ولا عدم بيان لها، وإنما هو اتباع الهوى وتقليد آبائهم، فمن يوفق للهداية من أضله الله؟ لا أحد يوفقه، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم عذاب الله .

﴿٣٠﴾ فأقم - أيها الرسول - أنت ومن معك وجهك، وتوجه للدين الذي وجهك الله إليه؛ مائلًا عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين .

﴿٣١﴾ وارجعوا إليه سبحانه بالتوبة من ذنوبكم، واتقوه بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، ولا تكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة فيشركون مع الله غيره في عبادتهم .

﴿٣٢﴾ ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وأمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فرقة وأحزابًا، كل حزب منهم بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل .

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - خضوع جميع الخلق لله سبحانه قهرًا واختيارًا .
- ٢ - دلالة النشأة الأولى على البعث واضحة المعالم .
- ٣ - يحسن ضرب الأمثال لتوضيح الحق وتبيين الباطل .
- ٤ - اتباع الهوى يضل ويظني .
- ٥ - دين الإسلام دين الفطرة السليمة .

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ
مِنْهُ رَحِمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
ءَانَيْنَهُمْ فَمَتَعُوا فَسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهَوِيَ كَلِمَ بَمَا كَانُوا بِهٖ يَشْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ فِيهِ ذَلِكَ لَأَنبَتَ لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَتَاتَ ذَا الْقُرْنَى
حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَاءَ آيَاتِنَا مِن رَّبِّا
لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يُرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آيَاتِنَا مِن رِّكَوَةٍ
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٤٣﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن
شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مَن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَنَعٰلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٧﴾ وإذا أصاب المشركين شدة من مرض أو فقر أو قحط دعوا ربهم سبحانه وحده راجعين إليه بالتضرع والالتجاء أن يصرف عنهم ما أصابهم، ثم إذا رحمهم بكشف ما أصابهم، إذا جماعة منهم يرجعون إلى إشراكهم مع الله غيره في الدعاء.

﴿٣٨﴾ إذا جحدوا نعم الله - ومنها نعمة كشف الضر - وتمتعوا بما بين أيديهم في هذه الحياة فسوف يرون يوم القيامة بأعينهم أنهم كانوا في ضلال واضح.

﴿٣٩﴾ ما الذي دعاهم إلى الشرك بالله ولا حجة لهم؟! فما أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتجون بها على شركهم بالله، وليس معهم كتاب يتكلم بشركهم، ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر.

﴿٤٠﴾ وإذا أذقنا الناس نعمة من نعمنا كالصحة والغنى فرحوا بها فرح بطر وتكبروا، وإن ينلهم ما يسوؤهم من مرض وفقر بما كسبته أيديهم من المعاصي، إذا هم يياسون من رحمة الله، ويقظون من زوال ما يسوؤهم.

﴿٤١﴾ أولم يروا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً له أشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء منهم ابتلاء له أيصبر أم يتسخط؟ إن في توسيع الرزق لبعض، وتضييقه على بعض، للدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته.

﴿٤٢﴾ فأعط - أيها المسلم - صاحب القرابة ما يستحقه من البر والصلة، وأعط المحتاج ما يدفع به حاجته، وأعط الغريب الذي انقطعت به السبيل عن بلده، ذلك الإعطاء في تلك الوجوه خير للذين يريدون به وجه الله، الذين يقدمون هذه المعونة والحقوق هم الفائزون بنيلهم ما يطلبونه من الجنة، وسلامتهم مما يرهبونه من العذاب.

﴿٤٣﴾ ولما بين ما يتقرب به إلى الله من العمل بين ما يبرأ به غير وجهه، وإنما يبرأ به مقصد دنيوي رخيص، فقال: ﴿٤٤﴾ وما دفعتم من أموال إلى أحد من الناس بغية أن يردها إليكم بزيادة فلا ينمو أجره عند الله، وما أعطيتهم من أموالكم إلى من يدفع بها حاجة تريدون بذلك وجه الله، لا تريدون منزلة ولا مثوبة من الناس، فأولئك هم الذين يضاعف لهم الأجر عند الله.

﴿٤٥﴾ الله وحده هو الذي انفرد بخلقكم، ثم رزقكم، ثم إمامتكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم التي تعبدونها من دونه من يفعل شيئاً من ذلك؟! تنزه سبحانه وتقدس عما يقول ويعتقد المشركون.

﴿٤٦﴾ ظهر الفساد في البر والبحر في معاش الناس بنقصها، وفي أنفسهم بحدوث الأمراض والأوبئة، بسبب ما عملوه من المعاصي، ظهر ذلك ليديقهم الله جزاء بعض أعمالهم السيئة في الحياة الدنيا رجاء أن يرجعوا إليه بالتوبة.

﴿٤٧﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

- ١ - تناقض المشركين حيث يخلصون لله العبادة في وقت الشدة، ويشركون معه غيره في وقت الرخاء.
- ٢ - فرح البطر عند النعمة، والقنوط من الرحمة عند النعمة، صفتان من صفات الكفار.
- ٣ - إعطاء الحقوق لأهلها سبب للفلاح.
- ٤ - محق الربا، ومضاعفة أجر الإنفاق في سبيل الله.
- ٥ - أثر الذنوب في انتشار الأوبئة وخراب البيئة مشاهد.

﴿٤٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: سيروا في الأرض، فتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلكم؟ فقد كانت عاقبة سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بسبب إشراكهم بالله.

﴿٤٤﴾ فأقم - أيها الرسول - وجهك لدين الإسلام المستقيم الذي لا اعوجاج فيه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا راد له، في ذلك اليوم يتفرق الناس: فريق في الجنة مُنعمون، وفريق في النار معذبون.

﴿٤٥﴾ من كفر بالله فضرر كفره - وهو الخلود في النار - عائد عليه، ومن عمل عملاً صالحاً يتغي به وجه الله فلا أنفسهم يُهيئون دخول الجنة والتنعيم بما فيها خالدين فيها أبداً.

﴿٤٦﴾ يفرق الله الناس، ويوزعهم فريقين ليجزي الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات التي ترضي ربهم، إنه سبحانه لا يحب الكافرين به ويرسله، بل يمقتهم أشد المقت، وسيعذبهم يوم القيامة.

﴿٤٧﴾ ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته ووحدانيته أن يبعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيقكم - أيها الناس - من رحمته بما يحصل بعد المطر من خضب ورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، ولتطلبوا من فضله بالتجارة في البحر، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم فيزيدكم منها.

﴿٤٨﴾ ولقد بعثنا من قبلك - أيها الرسول - رسلاً إلى أممهم، فجاؤوهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فكذبوا بما جاءتهم به رسلهم، فانتقمنا من الذين ارتكبوا السيئات، فأهلكناهم بعدابنا، وأنجينا الرسل والمؤمنين بهم من الهلاك، وإنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجبناه علينا.

﴿٤٩﴾ الله سبحانه هو الذي يسوق الرياح وبيعثها، فتشير تلك الرياح السحاب وتحركه، فيمدّه في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويصيره قطعاً، فتري - أيها الناظر - المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عباده إذا هم به يسرون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي يعقبه إنبات الأرض بما يحتاجونه لأنفسهم ولدوابهم.

﴿٥٠﴾ وقد كانوا من قبل أن ينزل عليهم الله المطر لآيسين من نزوله عليهم.

﴿٥١﴾ فانظر - أيها الرسول - إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بما ينبت عليها من أنواع النبات بعد جفافها ويسسها، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة لهو باعث الأموات أحياء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٥٢﴾ فإذن من الآيات:

١ - انقسام الناس يوم القيامة حسب أعمالهم في الدنيا إلى سعداء وأشقياء.

٢ - إرسال الرياح وإنزال المطر وجريان السفن في البحر: نعم تستدعي أن تشكر الله عليها.

٣ - إهلاك المجرمين ونصر المؤمنين سنّة إلهية.

٤ - إنبات الأرض بعد جفافها دليل على البعث.

٥١ ولئن بعثنا على زروعهم ونباتهم ريحاً تفسده عليهم، فرأوا زروعهم مُضفّرة الألوان بعد أن كانت مُحضّرة لظّلوا بعد مشاهدتهم لها يكفرون بنعم الله السابقة على كثرتها.

٥٢ فكما أنك لا تستطيع إسماع الموتى ولا تستطيع إسماع الصم، وقد ابتعدوا عنك ليتأكد عدم سماعهم فكذلك لا تستطيع أن تهدي من أشبه هؤلاء بالإعراض وعدم الانتفاع.

٥٣ وما أنت بموفق من ضلّ عن الطريق المستقيم إلى سلوك سبيل الرشاد، لا تُسمع سماعاً يُنتفع به إلا من يؤمن بآياتنا؛ لأنه هو الذي ينتفع بما تقوله، فهم متقادون لأمرنا، خاضعون له.

٥٤ الله هو الذي خلقكم - أيها الناس - من ماء مهين، ثم جعل من بعد ضعف طفولتكم قوة الرجولة، ثم جعل من بعد قوة الرجولة ضعف الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء من ضعف وقوة، وهو العليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء.

٥٥ ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا في قبورهم إلا ساعة، كما صُرفوا عن معرفة قدر ما لبثوا في قبورهم كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق.

وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُضْفَرًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ

٥١ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا

مُدْبِرِينَ ٥٢ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِنِهِمْ إِنْ سَمِعُ إِلَّا

مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ٥٣ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ٥٤

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ

كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ

لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ

وَلَكِن كُنْتُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٥٦ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ

ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ٥٨ كَذَلِكَ

يَطَّعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٥٩ فَأَصْبِرْ إِنَّ

وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠

٥١ وقال الذين أعطاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، ولكنكم كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتم به.

٥٧ فيوم يبعث الله الخلائق للحساب والجزاء لا ينفع الظالمين ما يخلتقونه من أعدار، ولا يطلب منهم إرضاء الله بالتوبة والإنابة إليه لفوات وقت ذلك.

٥٨ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن - عناية بهم - من كل مثل؛ ليتضح لهم الحق من الباطل، ولئن جئتهم - أيها الرسول - بحجة على صدقك ليقولنّ الذين كفروا بالله: ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به.

٥٩ مثل هذا الختم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بآية لا يؤمنون بها، يختم الله على قلوب كل الذين لا يعلمون أن ما جئتهم به حق.

٦٠ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك، إن وعد الله لك بالنصر والتمكين ثابت لا مرية فيه، ولا يدفعك الذين لا يوقنون بأنهم مبعوثون، إلى الاستعجال وترك الصبر.

﴿فَوَاظِرٌ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - يأس الكافرين من رحمة الله عند نزول البلاء.

٢ - هداية التوفيق بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ.

٣ - مراحل العمر عبرة لمن يعتبر.

٤ - الختم على القلوب سببه الذنوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ٢ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ٣ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ٦ وَإِذْ نُنزِلُ عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٨
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفَنِّ فِي الْأَرْضِ رَوْسِيًّا أَنْ تَمِيدَ
بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ١٠ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ١١

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على الأمر باتباع حكمة الله في القرآن، وقصة لقمان مثلاً.

﴿التفسير﴾:

﴿المر﴾ سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ هذه الآيات المنزلة عليك - أيها الرسول - آيات الكتاب الذي ينطق بالحكمة.

﴿٣﴾ وهو هداية ورحمة للذين يحسنون العمل، بقيامهم بحقوق ربهم وحقوق عباده.

﴿٤﴾ الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بعث وحساب وثواب.

﴿٥﴾ أولئك المتصفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، وأولئك هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، والبعد عما يرهبونه.

ولما ذكر الله صفات المحسنين ذكر صفات المسيئين فقال:

﴿٦﴾ ومن الناس - مثل النضر بن الحارث - من يختار الأحاديث الملهية ليصرف الناس إليها عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هزواً يسخر منها، وأولئك الموصوفون بتلك الصفات لهم عذاب مُدَلٍّ في الآخرة.

﴿٧﴾ وإذا تُقْرَأُ عليه آياتنا أَدْبَرَ مُسْتَكْبِرًا عن سماعها كأنه لم يسمعها، كأن في أذنيه صمماً عن سماع الأصوات، فَبَسَّرَهُ - أيها الرسول - بعذاب أليم ينتظره.

﴿٨﴾ إن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات، لهم جنات النعيم، يتمتعون فيما أعدَّ الله لهم فيها.

﴿٩﴾ ماكتين فيها، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً لا شك فيه، وهو سبحانه العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وشرعه.

﴿١٠﴾ خلق الله السموات مرفوعة بغير أعمدة، ونصب في الأرض جبالاً ثوابت حتى لا تضطرب بكم، وبثَّ فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزلنا من السماء ماء المطر، فأنبأنا في الأرض من كل صنف بهيج المنظر ينتفع به الناس والدواب.

﴿١١﴾ هذا المذكور خلق الله، فأروني - أيها المشركون - ماذا خلق الذين من دونه ممن تعبدونهم من دون الله، بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق، حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئاً وهم يُخْلِقُونَ.

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

١ - طاعة الله تقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

٢ - تحريم كل ما يصد عن الصراط المستقيم من قول أو فعل.

٣ - التكبر مانع من اتباع الحق.

٤ - انفراد الله بالخلق، وتحدي الكفار أن تخلق آلهتهم شيئاً.

﴿١٢﴾ ولقد أعطينا لقمان الفقه في الدين والإصابة في الأمور، وقلنا له: اشكر - يا لقمان - لربك ما أنعم به عليك من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإنما نفع شكره عائد إلى نفسه، فالله غني عن شكره، ومن جحد نعمة الله عليه فإنما ضرر جحوده عليه، فالله لا يضره جحوده لنعمته شيئاً، فإن الله سبحانه غني عن خلقه جميعاً، محمود على كل حال.

﴿١٣﴾ واذكر - أيها الرسول - إذ قال لقمان لابنه وهو يرغب في الخير، ويحذره من الشر: يا بني، لا تعبد مع الله خلقاً غيره، إن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب يؤدي إلى خلودها في النار.

﴿١٤﴾ ووصينا الإنسان بطاعة أبويه وبرهما فيما لا معصية فيه لله، حملته أمه في بطنها ملائمة مشقة بعد مشقة، وفطامه عن الرضاعة في عامين، وقلنا له: اشكر لله ما أنعم به عليك من نعم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيته ورعايتك، إليّ وحدي المرجع فأجازي كلاً بما يستحقه.

﴿١٥﴾ وإن بذل الوالدان جهداً ليحملاك على أن تشرك بالله غيره تحكماً منهما - مثل ما فعلت أم سعد بن أبي وقاص به - فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ﴿١٢﴾ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه بنبي لا تشرك بالله إيت الشريك ظلم عظيم ﴿١٣﴾ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴿١٤﴾ وإن جهداك علي أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من آتاب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴿١٥﴾ بنبي إيتا إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴿١٦﴾ بنبي أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴿١٧﴾ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴿١٨﴾ وأقص في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴿١٩﴾

الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والإحسان، واتبع طريق من آتاب إليّ بالتوحيد والطاعة، ثم إليّ وحدي يوم القيامة مرجعكم جميعاً، فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من عمل، وأجازيكم عليه.

﴿١٢﴾ يا بني، إن السيئة أو الحسنة مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من خردل وكانت في بطن صخرة لا يطلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض؛ فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف بعباده، خبير بهم، لا يخفى عليه من أمورهم شيء.

﴿١٣﴾ يا بني، أقم الصلاة بأدائها على أكمل وجه، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، واصبر على ما نالك من مكروه في ذلك، إن ما أمرت به من ذلك مما عزم الله به عليك أن تفعله، فلا خيرة لك فيه.

﴿١٤﴾ ولا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً، ولا تمش فوق الأرض مختالاً متكبراً، إن الله لا يحب كل مختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم لا يشكر الله عليها، بل يبغيه.

﴿١٥﴾ وتوسط في مشيك بين الإسراع والدبيب مشياً يظهر الوقار، واخفضض من صوتك، لا ترفعه رفعا يؤدي، إن أقيح الأصوات لصوت الحمير لارتفاع أصواتها.

﴿١٦﴾ فإنا من الآيات:

- ١ - نفع الطاعة وضرر المعصية عائد على العبد. ٢ - وجوب تعاهد الأبناء بالتربية والتعليم. ٣ - البر بالأبوين خاصة الأم. ٤ - لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ٥ - دقة الحساب يوم القيامة.
- ٦ - شمول الآداب في الإسلام للسلوك الفردي والجماعي.

﴿١٦﴾ ألم تروا وتشهدوا - أيها الناس - أن الله يَسَّرَ لكم الانتفاع بما في السماوات؛ من شمس وقمر وكواكب، وَيَسَّرَ لكم أيضًا ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليكم نعمه ظاهرة للعيان؛ كجمال الصورة وحسن الهيئة، وباطنة خفية كالعقل والعلم، ومع وجود هذه النعم فمن الناس من يجادل في توحيد الله بغير علم مستند إلى وحي من الله، أو عقل مستنير، ولا كتاب واضح منزل من الله.

﴿١٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الوحي، قالوا: لا نتبعه، بل نتبع ما وجدنا عليه أسلافنا من عبادة الأصنام، أيتبعون أسلافهم ولو كان الشيطان يدعوهم بما يضلهم به من عبادة الأوثان إلى عذاب السعير يوم القيامة؟

﴿١٨﴾ ومن يُقْبَل على الله مخلصًا له عبادته ومحسنًا في عمله، فقد أمسك بأوثق ما يتعلق به من يرجو النجاة حيث لا يخاف انقطاع ما أمسك به، وإلى الله وحده مصير الأمور، ومرجعها، فيجازي كلًا بما يستحق.

﴿١٩﴾ ومن كفر بالله فلا يحزنك - أيها الرسول - كفره، وإنما وحدنا مرجعهم يوم القيامة، فنخبرهم

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٧﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهَا ۗ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٩﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ لِلَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٢﴾ لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا نَعْتَكُمُ إِلَّا كَفْئَسٍ وَاحِدَةً ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٤﴾

بما عملوا من سيئات في الدنيا، ونجازيهم عليها، إن الله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

﴿٢٥﴾ نمتهم بما نعطهم من الملمات في الدنيا زمانًا قليلًا، ثم نلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد هو عذاب النار.

﴿٢٦﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهنَّ الله، قل لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم.

﴿٢٧﴾ لله وحده ما في السماوات، وما في الأرض خلقًا وملكًا وتدبيرًا، إن الله هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٢٨﴾ ولو أن ما في الأرض من شجر قطع وبُري أقلامًا، والبحر مداد يمدّه سبعة أبحر أخرى، ما فنيت ولا انتهت كلمات الله لعدم تناهيها، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره.

﴿٢٩﴾ ما خلقتكم - أيها الناس - ولا بعثتكم يوم القيامة للحساب والجزاء، إلا كخلق وبعثت نفس واحدة في السهولة، إن الله سميع لا يشغله سماع صوت عن سماع صوت آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار شيء آخر، وهكذا لا يشغله خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.

﴿٣٠﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - نعم الله وسيلة لشكره والإيمان به، لا وسيلة للكفر به. ٢ - خطر التقليد الأعمى، وخاصة في أمور الاعتقاد. ٣ - أهمية الاستسلام لله والانقياد له وإحسان العمل من أجل مرضاته. ٤ - عدم تناهي كلمات الله.
- ٥ - قدرة الله على خلق الناس وبعثهم.

﴿٣١﴾ ألم تر أن الله ينقص من الليل ليزيد النهار، وينقص من النهار ليزيد الليل، وقدّر مسار الشمس والقمر، إذ يجريان كل في مداره إلى أمدٍ مُّحدّد، وأن الله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

﴿٣٢﴾ ذلك التدبير والتقدير يشهدان بأن الله وحده هو الحق، فهو حق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يعبد المشركون من دونه هو الباطل الذي لا أساس له، وأن الله هو العلي بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته، الذي لا أعلى منه، الذي هو أكبر من كل شيء.

﴿٣٣﴾ ألم تر أن السفن تجري في البحر بلطفه وتسخيره؛ ليريكم - أيها الناس - من آياته الدالة على قدرته سبحانه ولطفه، إن في ذلك لدلالات على قدرته لكل صَبَّارٍ على ما يصيبه من ضراء، شكور لما يناله من نعماء.

﴿٣٤﴾ وإذا أحاط بهم من كل جانب موج مثل الجبال والغمام، دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء والعبادة، فلما استجاب الله لهم، وأنقذهم إلى البر، وسلمهم من الغرق، فمنهم مقتصد لم يقم بما وجب عليه من الشكر على وجه الكمال، ومنهم جاحد لنعمة الله، وما يجحد بآياتنا إلا كل عُذَّار،

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعَوْنَ
مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ
كَالظُّلُمِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَحَثْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفَاقًا رَبُّكُمْ وَأَخْشَاوًا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ
عَنْ وِلْدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازِعٌ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ
حَقًّا فَلَا تَعْرَتُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزَتُكُمْ بِاللَّهِ
الْعُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

سورة السجدة

مثل هذا الذي عاهد الله لئن أنجاه لكونن من الشاكرين له، كفور بنعم الله لا يشكر ربه الذي أنعم بها عليه.

﴿٣٣﴾ يا أيها الناس، اتقوا ربكم؛ بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وخافوا عذاب يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا يغني مولود عن والده شيئاً، إن وعد الله بالجزاء يوم القيامة ثابت وواقع لا محالة، فلا تخدعتم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملهيات، ولا يخدعنكم الشيطان بحلم الله عليكم وتأخيره العذاب عنكم.

﴿٣٤﴾ إن الله عنده وحده علم الساعة؛ فيعلم متى تقع، وينزل المطر متى شاء، ويعلم ما في الأرحام أذكر هو أم أنثى، شقي أم سعيد، وما تعلم نفس ما تكسب غداً من خير أو شر، وما تعلم نفس بأي أرض تموت، بل الله هو الذي يعلم ذلك كله، إن الله عليم خبير بكل ذلك، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٣٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - نقص الليل والنهار وزيادتهما وتسخير الشمس والقمر: آيات دالة على قدرة الله سبحانه، ونعم تستحق الشكر.
- ٢ - الصبر والشكر وسيلتان للاعتبار بآيات الله.
- ٣ - إيمان المشرِك في وقت الشدة وكفره في وقت الرخاء لؤم عظيم.
- ٤ - شدة يوم القيامة حيث لا ينفع فيه قريب قريباً.
- ٥ - الخوف من القيامة بقي من الاغترار بالدنيا، ومن الخضوع لوساوس الشياطين.
- ٦ - إحاطة علم الله بالغيب كله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ:

تركز على بيان دلائل ومشاهد الحق التي نزل بها القرآن، ومنها حقيقة الخلق وأحوال الإنسان.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ التَّوْبَةُ ﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ منزل عليه من رب العالمين لا شك في ذلك.

﴿٣﴾ إن هؤلاء الكافرين يقولون: إن محمداً اختلقه على ربه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مرية فيه، المنزل من ربك - أيها الرسول - عليك لتخوف قوماً ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم من عذاب الله، لعلهم يهتدون إلى الحق فيتبعونه ويعملون به.

﴿٤﴾ الله هو الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، ما لكم - أيها الناس - من دونه من ولي يتولى أمركم، أو شفيع يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتفكرون، وتعبدون الله الذي خلقكم ولا تعبدون معه غيره؟

﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأُرِيَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَتَأْتِنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَنْوَفِّقُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿٥﴾ يدبر الله ﷻ أمر جميع المخلوقات في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون أنتم - أيها الناس - في الدنيا.

﴿٦﴾ ذلك الذي يدبر ذلك كله هو عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي لا يغالبه أحد الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿٧﴾ الذي أتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان على غير مثال سابق من طين.

﴿٨﴾ ثم جعل أولاده من بعده من ماء ضعيف هو المني.

﴿٩﴾ ثم أتم خلق الإنسان سوياً، ونفخ فيه من روحه بأمر الملك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم - أيها الناس - الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتعقلوا بها، قليلاً ما تشكرون هذه النعم الله التي أنعم بها عليكم.

﴿١٠﴾ وقال المشركون المكذبون بالبعث: إذا متنا وغبنا في الأرض، وصارت أجسامنا تراباً، فهل نُبعث أحياء من جديد؟! لا يعقل ذلك، بل هم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به.

﴿١١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي وكله الله بقبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء.

﴿١٢﴾ فوائد من الآيات:

١ - تنزيل الكتاب من الله يقتضي المسارعة إلى الإيمان والعمل به. ٢ - الحكمة من بعثة الرسل أن يهدوا أقوامهم إلى الصراط المستقيم. ٣ - التدرج في خلق الكون لتعليم البشر قيمة التدرج، إلا فالله قادر على خلقه في أقل من طرفة عين. ٤ - ثبوت صفة الاستواء لله من غير تشبيه ولا تمثيل. ٥ - استبعاد المشركين للبعث مع وضوح الأدلة عليه.

﴿١٢﴾ سوف يظهر المجرمون يوم القيامة وهم أذلاء يخفضون رؤوسهم بسبب كفرهم بالبعث، يشعرون بالخزي ويقولون: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعتنا مصداق ما جاءت به الرسل من عندك فارجعنا إلى الحياة الدنيا نعمل عملاً صالحاً يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وبصدق ما جاءت به الرسل، لو رأيت المجرمين على تلك الحال رأيت أمراً عظيماً.

﴿١٣﴾ ولو شئنا إعطاء كل نفس رشدها وتوفيقيها لحملناها على هذا، ولكن وجب القول مني حكمة وعدلاً: لأملأن جهنم يوم القيامة من أهل الكفر من الثقلين: الجن والإنس؛ لا اختيارهم طريق الكفر والضلال على طريق الإيمان والاستقامة.

﴿١٤﴾ ويقال لهم يوم القيامة تَبَكَّيْنَا لَهُمْ وتوبيخاً: فذوقوا العذاب بسبب غفلتكم في الحياة الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة لحسابكم، إنا تركناكم في العذاب غير مباليين بما تقاسونه منه، وذوقوا عذاب النار الدائم الذي لا ينقطع بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي. ولما ذكر الله حال المجرمين ذكر حال المؤمنين فقال:

﴿١٥﴾ إنا يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجودوا لله مسبحين بحمده، وهم

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ

﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَكُنَّا بِقَوْلِهِمْ

مِنَى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتُكُمْ

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ

بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُّوا وَسَجَدُوا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ

رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ

عَنِ الْمَصَاحِبِ يُدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا

لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ

جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا

فَمَا وَهُمْ نَارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ

لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

لا يستكبرون عن عبادة الله ولا عن السجود له بأي حال.

﴿١٦﴾ تتباعد جنوبيهم عن فرشهم التي كانوا عليها في نومهم يتركونها ويتوجهون إلى الله، يدعوونه في صلاتهم وغيرها خوفاً من عذابه، وطمعاً في رحمته، ويبدلون الأموال التي أعطيناها إياها في سبيل الله.

﴿١٧﴾ فلا تعلم نفس أيّاً كانت ما أعدّه الله لهم مما تقرّ به أعينهم، جزاءً منه لهم على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات، فهو جزاء لا يحيط به إلا الله لعظمه.

﴿١٨﴾ من كان مؤمناً بالله، عاملاً بأوامره، محتجباً لنواهيها، ليس كمن كان خارجاً عن طاعته، لا يستوي الفريقان عند الله في الجزاء.

﴿١٩﴾ أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات فجزاؤهم المعدّ لهم جنات يستقرون فيها كرامة من الله لهم، جزاءً على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿٢٠﴾ وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بالكفر وارتكاب المعاصي فمستقرّهم الذي أُعدّ لهم يوم القيامة النار ما كثين فيها أبداً، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها، وقيل لهم تَبَكَّيْنَا لَهُمْ: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون به في الدنيا عندما كانت رسلكم تخوّفكم منه.

﴿٢١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

١ - إيمان الكفار يوم القيامة لا ينفعهم، لأنها دار جزاء لا دار عمل.

٢ - خطر الغفلة عن لقاء الله يوم القيامة.

٣ - من هدي المؤمنين قيام الليل.

٤ - أعدّ الله لعباده المتقين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

٥ - كما لا يستوي المؤمن والفاجر في الصفات، لا يستويان في الجزاء.

﴿١١﴾ ولنذيقنّ هؤلاء المكذبين الخارجين عن طاعة ربهم من المحن والبلاء في الدنيا قبل العذاب الأكبر المعدّ لهم في الآخرة إن لم يتوبوا؛ لعلمهم بسبب تلك المحن يتوبون إلى الله. ﴿١٢﴾ ولا أحد أظلم ممن وعظ بآيات الله فلم يتعظ بها، وأعرض عنها غير مُبالٍ بها، إنّا من المجرمين - بارتكاب الكفر والمعاصي الذين يعرضون عن آيات الله - منتقمون لا محالة. ﴿١٣﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن - أيها الرسول - في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديًا لبني إسرائيل من الضلال. ﴿١٤﴾ وجعلنا من بني إسرائيل أئمة يقتدي بهم الناس في الحق، يرشدون إلى الحق، لما صبروا على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وعلى الأذى في سبيل الدعوة، وكانوا بآيات الله المنزلة على رسولهم يوقنون.

﴿١٥﴾ إن ربك - أيها الرسول - هو الذي يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبين المحق والمبطل، ويجازي كلًا بما يستحقه.

﴿١٦﴾ أعصي هؤلاء فلم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من الأمم السالفة؟! فها هم يمشون في مساكنهم التي كانوا يسكنونها قبل إهلاكهم، فلم يتعظوا بحالهم، إن فيما حدث لتلك الأمم من الإهلاك بسبب كفرهم ومعاصيهم لعبرا يستدل بها على

﴿١٧﴾ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلمهم يرجعون ﴿١٨﴾ ومن أظلم ممن ذكر آيات ربّه ثم أعرض عنها إنّنا من المجرمين مننقمون ﴿١٩﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريّة من لقاياه وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴿٢٠﴾ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴿٢١﴾ إنّ ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا في شك من ﴿٢٢﴾ أولم يهدوهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآية لآي سمعون ﴿٢٣﴾ أولم يروا أنّنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أئمتهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴿٢٤﴾ ويقولون متى هذا الفتح إنّ كنتم صديقين ﴿٢٥﴾ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ﴿٢٦﴾ فأعرض عنهم وأنظر إنّهم منتظرون ﴿٢٧﴾

صدق رسلهم الذين جاؤوهم من عند الله، أفلا يسمع هؤلاء المكذوبون بآيات الله سماع قبول واطعاً؟ ﴿٢٧﴾ أولم ير هؤلاء المكذوبون بالبعث أنا نرسل ماء المطر إلى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها، فنخرج بذلك الماء زرعاً تأكل منه إبلهم وبقرةم وغنمهم، ويأكلون هم منه؟ أفلا يبصرون ذلك، ويدركون أن من أنبت الأرض القاحلة قادر على إحياء الموتى؟ ﴿٢٨﴾ ويقول المكذوبون بالبعث مستعجلين العذاب: متى هذا الحكم الذي تزعمون أنه سيفصل بيننا وبينكم يوم القيامة، فيكون مصيرنا النار ومصيركم الجنة؟

﴿٢٩﴾ قل لهم - أيها الرسول -: هذا الوعد هو يوم القيامة، إنه يوم الفصل بين العباد حين لا ينفع الذين كفروا بالله في الدنيا تصديقهم بعد معاينة يوم القيامة، ولا هم يؤخرون حتى يتوبوا إلى ربهم وينيبوا إليه. ﴿٣٠﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء بعد تماديهم في ضلالهم، وانتظر ما يحلّ بهم من عذاب الله، إنهم ينتظرون بك رب المنون، والحق أنهم منتظرون هلاكهم.

﴿٣١﴾ فَوَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

١ - عذاب الكافر في الدنيا وسيلة لتوبته.

٢ - خطر الإعراض عن آيات الله.

٣ - ثبوت اللقاء بين نبينا ﷺ وموسى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

٤ - الصبر واليقين صفتا أهل الإمامة في الدين.

٥ - إنزال المطر وإنبات الأرض دليل على البعث يوم القيامة.

٦ - التوبة من الذنوب تكون في الدنيا وقبل معاينة الموت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا وَحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جُوفِهِ. وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَسْنَاءَكُمْ ذَلِكَ كَقَوْلِكُمْ يَا فَوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا بَلَاغٌ لَكُمْ فِيهِ لَكُمْ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على عناية الله بنبيه ﷺ وحماية جنابه وأهل بيته.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يا أيها النبي، اثبت ومن معك على تقوى الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وحفه وحده، ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما تهوى نفوسهم، إن الله كان عليماً بما يكيد الكفار والمنافقون، حكيمًا في خلقه وتديبه.

﴿٢﴾ واتبع ما ينزله عليك ربك من الوحي، إن الله كان بما تعملون خبيرًا، لا يفوته من ذلك شيء، وسيجازيكم على أعمالكم.

﴿٣﴾ واعتمد على الله وحده في أمورك كلها، وكفى به سبحانه حافظًا لمن توكل عليه من عباده.

﴿٤﴾ كما لم يجعل الله قلبين في صدر رجل واحد - كما يتوهم بعضهم - كذلك لم يجعل الزوجات بمنزلة الأمهات في التحريم، ولم يجعل كذلك الأبناء بالتبني بمنزلة الأبناء من الصُّلب، فإن الظهار وهو تحريم الرجل زوجته عليه، وكذلك التبني عادات جاهلية أبطلها الإسلام، ذلك التحريم بالظهار، والتبني لمن لا أبوة لكم عليه، قول تردونه بأفواهكم، ولا حقيقة له، فليست

الزوجة أمًا، ولا الدَّعِي ابناً لمن ادعاه، والله سبحانه يقول الحق ليعمل به عباده، وهو يرشد إلى طريق الحق.

﴿٥﴾ انسبوا من تزعمون أنهم أبناؤكم إلى آبائهم حقيقة، فنسبتهم إليهم هو العدل عند الله، فإن لم تعلموا لهم آباء تنسبونها إليهم فهم إخوانكم في الدين وأبناء عمومكم، فادعوا أحدهم بيا أخي ويا ابن عمي، ولا إثم عليكم إذا أخطأ أحدكم، فنسب دعياً إلى مدعيه، ولكن تأثمون عند تعدد النطق بذلك، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيمًا بهم حيث لم يؤاخذهم بالخطأ.

﴿٦﴾ النبي محمد ﷺ أحق بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما دعاهم إليه، ولو كانت أنفسهم تميل إلى غيره، وزوجاته ﷺ بمنزلة أمهات لجميع المؤمنين، فيحرم على أي مؤمن أن يتزوج إحداهن بعد موته ﷺ، وذوو القرابة بعضهم أحق ببعض في الإرث في حكم الله من أهل الإيمان والهجرة في سبيل الله، الذين كانوا يتوارثون فيما بينهم في صدر الإسلام، ثم نسخ توارثهم بعد ذلك، إلا أن تفعلوا - أيها المؤمنون - إلى أوليائكم من غير الورثة معروفاً من إيصاء لهم وإحسان إليهم فلکم ذلك، كان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مسطوراً فيجب العمل به.

﴿٧﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - لا أحد أكبر من أن يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر.
- ٢ - تشبيه الزوجات بالأمهات منكر عظيم وزور.
- ٣ - حرمة التبني. ٤ - رفع المواخذة بالخطأ عن هذه الأمة.
- ٥ - وجوب تقديم مراد النبي ﷺ على مراد الأنفس.
- ٦ - بيان علو مكانة أزواج النبي ﷺ، وحرمة نكاحهن من بعده؛ لأنهن أمهات للمؤمنين.
- ٧ - توريث ذوي الأرحام.

٧ واذكر - أيها الرسول - إذ أخذنا من الأنبياء عهداً مؤكداً أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وأن يبلغوا ما أنزل إليهم من الوحي، وأخذناه على وجه الخصوص منك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، أخذنا منهم عهداً مؤكداً على الوفاء بما ائتمنوا عليه من تبليغ رسالات الله.

٨ أخذ الله هذا العهد المؤكد من الأنبياء لسأل الصادقين من الرسل عن صدقهم نبيكنا للكافرين، وأعد الله للكافرين به وبرسله يوم القيامة عذاباً موجعاً هو نار جهنم.

٩ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، اذكروا نعمة الله عليكم، حين جاءت المدينة جنود الكفار متحزبين على قتالكم، وساندهم المنافقون واليهود، فبعثنا عليهم ريحاً هي ريح الصبا التي نصر بها النبي ﷺ، وبعثنا جنوداً من الملائكة لم تروها، فولى الكفار هارين لا يقدر على شيء، وكان الله بما تعملون بصيراً لا يخفى عليه شيء من ذلك، وسيجازيكم على أعمالكم.

١٠ وذلك حين جاءكم الكفار من أعلى الوادي ومن أسفل من جهتي المشرق والمغرب، حينها مالت الأبصار عن كل شيء إلا عن نظر عدوها، ووصلت القلوب إلى الحناجر من شدة الخوف، وتظنون بالله الظنون المختلفة، فتارة تظنون النصر، وتارة تظنون اليأس منه.

وإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧
لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩
إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ١٠
هَٰذَا لِكَيْ تَبْلُغُوا أَهْلَ الْبَيْتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَتُزَلِّزُوا لَهُمْ الْأَسْبَابَ ١١
وَأَذْكُرُوا لِلْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ١٢
وَأَذْكُرُوا لِلْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مِمَّنْ يَبْتَغِي غَيْرَ اللَّهِ لَمَقَامٍ كَثِيرٍ فَأَرْتَجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ١٣
وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَمْتٍ رَّهَاتِمٌ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنفَعُوا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا لِيَسِيرًا ١٤
وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَكُمْ فِي اللَّهِ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْتُونَكَ الْأَدْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ١٥

١١ في ذلك الموقف في غزوة الخندق اختير المؤمنون بما لاقوه من تكالب أعدائهم عليهم، واضطربوا اضطراباً شديداً من شدة الخوف، وتبين بهذا الاختبار المؤمن والمنافق.

١٢ يومئذ قال المنافقون وضعاف الإيمان الذين في قلوبهم شك: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على عدونا والتمكين لنا في الأرض إلا باطلاً لا أساس له.

١٣ واذكر - أيها الرسول - حين قال فريق من المنافقين لأهل المدينة: يا أهل يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام)، لا إقامة لكم عند سفح سلع قرب الخندق فارجعوا إلى منازلكم، ويطلب فريق منهم الإذن من النبي ﷺ أن ينصرفوا إلى بيوتهم بدعوى أن بيوتهم مكشوفة للعدو، وليست بمكشوفة كما زعموا، وإنما يريدون بهذا الاعتذار الكاذب الفرار من العدو.

١٤ ولو دخل العدو عليهم المدينة من جميع نواحيها، وسألهم العودة إلى الكفر والشرك بالله لأعطوا عدوهم ذلك، وما تخلفوا عن الردة والنكوص إلى الكفر إلا قليلاً.

١٥ ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله بعد فرارهم يوم أحد من القتال؛ لئن أشهدهم الله قتالاً آخر ليقاتلن عدوهم، ولا يفروا خوفاً منهم، ولكنهم نكثوا، وكان العبد مسؤولاً عما عاهد الله عليه، وسوف يُسأل عنه.

فَوَايِسْ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - منزلة أولي العزم من الرسل.
- ٢ - تأييد الله لعباده المؤمنين عند نزول الشدائد.
- ٣ - عظم ما ابتلي به المؤمنون في غزوة الأحزاب.
- ٤ - خذلان المنافقين للمؤمنين في المحن.
- ٥ - الادعاء الكاذب ونقض العهد صفات للمنافقين.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَأْمَنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَعِدُونَ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٧١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٧٢﴾

﴿٦٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من القتال خوفًا من الموت أو من القتل؛ لأن الأجل مقدرة، والقتال لا يقرّبها والفرار لا يبعدها، وإذا فررتم ولم يحن أجلكم فإنكم لا تستمتعون في الحياة إلا زمنًا قليلًا.

﴿٦٧﴾ قل لهم - أيها الرسول -: من ذا الذي يمنعكم من الله إن أراد بكم ما تكرهونه من الموت أو القتل، أو أراد بكم ما ترجونه من السلامة والخير، لا أحد يمنعكم من ذلك، ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله وليًا يتولى أمرهم، ولا نصيرًا يمنعهم من عقاب الله لهم.

﴿٦٨﴾ يعلم الله المُتَبَطِّينَ منكم لغيرهم عن القتال مع رسول الله ﷺ والقائِلِينَ لغيرهم عن القتال إلينا ولا تقاتلوا معه حتى لا تُقتلوا، فإننا نخاف عليكم القتل، وهؤلاء المُحَدِّثُونَ لا يأتون الحرب ولا يشاركون فيها إلا نادرًا؛ ليدفعوا عن أنفسهم العار، لا لينصروا الله ورسوله.

﴿٦٩﴾ بخلاء عليكم - معشر المؤمنين - بأموالهم فلا يعينونكم ببذلها، وبخلاء بأنفسهم فلا يقاتلون معكم، وبخلاء بمودتهم فلا يوادونكم، فإذا جاء الخوف عند ملاقات العدو رأيتهم ينظرون إليك - أيها الرسول - تدور أعينهم من الجبن مثل دوران عيني من يعاني سكرات الموت، فإذا ذهب عنهم الخوف واطمأنوا آذوكم بالكلام بالسنة ذرية حداد، أشحّة على الغنائم يبحثون عنها، أولئك

المتصفون بهذه الصفات لم يؤمنوا حقًا، فأبطل الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك الإبطال يسيرًا على الله.

﴿٧٠﴾ يظن هؤلاء الجبناء أن الأحزاب المتألبية لقتال رسول الله ﷺ وقاتل المؤمنين لن يذهبوا حتى يستأصلوا المؤمنين، وإن قدر أن جاء الأحزاب مرة أخرى يود هؤلاء المنافقون الجبناء أنهم لم يكونوا في المدينة، وإنما هم مع الأعراب بعيدًا عنها، يسألون عن أخباركم: ماذا حدث لكم بعد قتال عدوكم لكم؟ ولو كانوا فيكم - أيها المؤمنون - ما قاتلوا معكم إلا قليلًا، فلا تبالوا بهم، ولا تأسوا عليهم.

﴿٧١﴾ لقد كان لكم فيما قاله رسول الله وقام به وفعله، قدوة حسنة، فقد حضر بنفسه الكريمة، وباشر الحرب، فكيف تبخلون بعد ذلك بأنفسكم عن نفسه؟ ولا يتأسى برسول الله ﷺ إلا من كان يرجو اليوم الآخر، ويعمل له، وذكر الله ذكرًا كثيرًا، وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر، ولا يذكر الله كثيرًا فإنه لا يتأسى برسوله ﷺ.

﴿٧٢﴾ ولما عاين المؤمنون الأحزاب المجتمعة لقتالهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والمحن والنصر، وصدق الله ورسوله في هذا، فقد تحقق، وما زادتهم معايتهم للأحزاب إلا إيمانًا بالله، وانقيادًا له.

﴿٧٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الأجل محددة لا يُقرّبها قتال، ولا يُبعدها هروب منه.
- ٢ - الشيطان عن الجهاد في سبيل الله شأن المنافقين دائمًا.
- ٣ - المنافقون قليلون عند الفزع، كثيرون عند الطمع.
- ٤ - المنافقون لا يحملون هم الأمة.
- ٥ - الرسول ﷺ قدوة المؤمنين في أقواله وأفعاله.
- ٦ - الثقة بالله والانقياد له من صفات المؤمنين.

﴿٢٣﴾ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فوفوا بما عاهدوه عليه من الثبات والصبر على الجهاد في سبيل الله، فمنهم من مات أو قتل في سبيل الله، ومنهم من ينتظر الشهادة في سبيله، وما غير هؤلاء المؤمنون ما عاهدوا الله عليه مثل ما فعله المنافقون بعهودهم.

﴿٢٤﴾ ليجزي الله الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم، ويعذب المنافقين الناقضين لعهودهم إن شاء، بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة، وكان الله غفوراً لمن تاب من ذنوبه، رحيماً به.

﴿٢٥﴾ ورد الله الجموع الكافرة المتألمة على قتال المؤمنين، ولم يظفروا بما أرادوا من استئصال المؤمنين، خاسرين مُغتاطين من رجوعهم خائبين، وكفى الله المؤمنين القتال معهم؛ بما أرسله من الريح وأنزله من الملائكة، وكان الله قوياً عزيزاً لا يغالبه أحد إلا غلبه وخذله.

﴿٢٦﴾ وأنزل الله الذين أعانوهم من اليهود من حصونهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم، وألقى الخوف في نفوسهم، فريقاً تقتلونهم - أيها المؤمنون - وفريقاً تأسرونهم.

﴿٢٧﴾ وملكتكم الله بعد هلاكهم أرضهم بما

فيها من زروع ونخيل، وملكتكم منازلهم وأموالهم الأخرى، وملكتكم أرض خيبر التي لم تطؤوها بعد، لكنكم ستطؤونها، وهذا وعد وبشرى للمؤمنين، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٢٨﴾ يا أيها النبي، قل لأزواجك حين طلبن منك التوسعة في النفقة ولم يكن عندك ما توسع به عليهن: إن كنتن تردن الحياة الدنيا وما فيها من زينة، فتعالين إليّ أمتعنكم بما تُمَتِّع به المطلقات، وأطلقن طلاقاً لا إضرار فيه ولا إيذاء.

﴿٢٩﴾ وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة، فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجراً عظيماً.

﴿٣٠﴾ يا نساء النبي، من يأت منكن بمعضية ظاهرة يُضَاعَف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ. وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.

﴿٣١﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - تزكية الله لأصحاب رسول الله ﷺ، وهو شرف عظيم لهم.
- ٢ - عون الله ونصره لعباده من حيث لا يحتسبون إذا اتقوا الله.
- ٣ - سوء عاقبة الغدر على اليهود الذين ساعدوا الأحزاب.
- ٤ - اختيار أزواج النبي ﷺ رضا الله ورسوله دليل على قوة إيمانهم.

﴿٣٦﴾ وَلَا يَصِحُّ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا حَكَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهِمْ بِأَمْرٍ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْإِخْتِيَارُ فِي قَبُولِهِ أَوْ رَفْضِهِ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ضَلَالًا وَاضِحًا.

﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَقُولُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ بِالْعَتَقِ، وَالْمَقْصُودُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رضي الله عنه حِينَ جَاءَكَ مَشَاوِرًا فِي شَأْنِ طَلَاقِ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ تَقُولُ لَهُ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَتِكَ وَلَا تَطْلُقْهَا، وَاتَّقِ اللَّهَ بِأَمْتَالِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَتَحَكُّمِ فِي نَفْسِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - مَا اللَّهُ مَظْهَرُهُ مِنْ طَلَاقِ زَيْدٍ لَهَا وَأَمْرِهِ لِكَانِ بِالزَّوْجِ مِنْهَا، وَتَخْشَى النَّاسَ فَلَمْ تَظْهَرِ مَا عَلِمْتَهُ، وَاللَّهُ أَوْلَى أَنْ تَخْشَاهُ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا طَابَتِ نَفْسُ زَيْدٍ وَرَغِبَ عَنْهَا وَطَلَّقَهَا زَوْجَانِهَا؛ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِثْمٌ فِي التَّزْوِجِ بِزَوْجَاتِ أَيْبَانِهِمْ بِالتَّبَيُّنِ إِذَا طَلَّقُوهُنَّ، وَانْقَضَتْ عَدَّتُهُنَّ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا لَا مَانِعَ مِنْهُ، وَلَا حَائِلَ دُونِهِ.

﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مِنْ إِثْمٍ أَوْ تَضْيِيقٍ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْ نِكَاحِ زَوْجَةِ ابْنِهِ بِالتَّبَيُّنِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَتَّبِعُ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ، فَلَيْسَ هُوَ صلى الله عليه وسلم بِدَعَا مِنَ الرَّسْلِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ - مِنْ إِيْتِمَامِ هَذَا

الزَّوْجِ وَإِبْطَالِ التَّبَيُّنِ وَلَيْسَ لِلنَّبِيِّ فِيهِ رَأْيٌ أَوْ خِيَارٌ - قَضَاءً نَافِذًا لَا مَرَدَّ لَهُ.

﴿٣٩﴾ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ الْمُنزَلَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى أُمَّمِهِمْ، وَلَا يَخَافُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ صلى الله عليه وسلم، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى مَا يَقُولُهُ غَيْرُهُمْ عِنْدَمَا يَفْعَلُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَكَفَى بِاللَّهِ حَافِظًا لِأَعْمَالِ عِبَادِهِ لِيَحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَجَازِيَهُمْ بِهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٍ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٍّ.

﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ، فَلَيْسَ هُوَ وَالِدُ زَيْدٍ حَتَّى يَحْرَمَ عَلَيْهِ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ إِذَا طَلَّقَهَا، وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ.

﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمَلُوا بِمَا شَرَعَهُ لَهُمْ، أَذْكُرُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ وَجَوَارِحِكُمْ ذِكْرًا كَثِيرًا.

﴿٤٢﴾ وَنَزَّهَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لِفَضْلِهِمَا وَسَهُولَةِ الذِّكْرِ فِيهِمَا.

﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يَرْحَمُكُمْ وَيُنْثِي عَلَيْكُمْ، وَتَدْعُوا لَكُمْ مَلَائِكَتَهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا؛ فَلَا يَعْذِبُهُمْ إِذَا هُمْ أَطَاعُوهُ فَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ وَاجْتَنَبُوا نَهْيَهُ.

﴿٤٤﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - وجوب استسلام المؤمن لحكم الله والالتقياد له.
- ٢ - اطلاع الله على ما في النفوس.
- ٣ - من مناقب أم المؤمنين زينب بنت جحش: أن زوجها الله من فوق سبع سماوات.
- ٤ - فضل ذكر الله، خاصة وقت الصباح والمساء.

﴿٤٤﴾ تحية المؤمنين يوم يلقون ربهم سلام وأمان من كل سوء، وأعدّ الله لهم أجرًا كريمًا - وهو جنته - جزاء لهم على طاعتهم له، وبعدهم عن معصيته.

﴿٤٥﴾ يا أيها النبي، إنا بعثناك إلى الناس شاهدًا عليهم بأن بلغتهم ما أرسلت به إليهم، ومبشرًا للمؤمنين منهم بما أعدّ الله لهم من الجنة، ومخوفًا للكافرين مما أعدّ لهم من عذابه.

﴿٤٦﴾ وبعثناك داعيًا إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثناك مصباحًا منيرًا يستنير به كل من يريد الهداية.

﴿٤٧﴾ وأخبر المؤمنين بالله الذين يعملون بما شرعه لهم بما يسرهم أن لهم من الله سبحانه فضلًا عظيمًا يشمل نصرهم في الدنيا وفوزهم في الآخرة بدخول الجنة.

﴿٤٨﴾ ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من الصد عن دين الله، وأعرض عنهم، فلعل ذلك يكون أدمى لأن يؤمنوا بما جنتهم به، واعتمد على الله في كل أموركم؛ ومنها النصر على أعدائكم، وكفى بالله وكيلًا يعتمد عليه العباد في جميع أمورهم في الدنيا والآخرة.

﴿٤٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا عقدتم على المؤمنات عقد نكاح، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهنّ فما لكم عليهن

تحيتهنّ يوم يلقونهنّ سلّمٌ وأعدّ لهم أجرًا كريمًا ﴿٤٤﴾ يتأيها
التي إنا أرسلناك شهيدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴿٤٥﴾ وداعيًا
إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ﴿٤٦﴾ وبشر المؤمنين بأن لهم
من الله فضلًا كبيرًا ﴿٤٧﴾ ولا تطع الكافرين والمنافقين
ودع أذنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا ﴿٤٨﴾
يتأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهنّ
من قبل أن تمسوهنّ بما لكم عليهنّ من عدة تعذونها
فتمتعوهنّ وسرحوهنّ سراحًا جميلًا ﴿٤٩﴾ يتأيها النبي إنا
أحللنا لك أزواجك التي آتيت أجورهنّ وما ملكت
يمينك مما آفأه الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خلاتك التي هاجرن معك وأمرأة
مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها
خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا
عليهنّ في أزواجهنّ وما ملكت أيمانهم لكيلا
يكون عليك حرج وكان الله غفورًا رحيمًا ﴿٥٠﴾

من عدة، سواء كانت بالأقراء أو الشهور؛ للعلم ببراءة أرحامهن بعدم البناء بهنّ، وتمتعوهنّ بأموالكم حسب وسعكم؛ جبرًا لخاطرهنّ المنكسرة بالطلاق، وخلصوا سبيلهنّ ينطلقن إلى أهلهنّ دون إيذاء لهن.

﴿٥٠﴾ يا أيها النبي، إنا أبحننا لك أزواجك اللاتي أعطيتهنّ مهورهنّ، وأحللنا لك ما ملكت من الإماء مما آفأه الله به عليك من السبايا، وأحللنا لك نكاح بنات عمك ونكاح بنات عماتك ونكاح بنات خالك، ونكاح بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، وأحللنا لك أن تنكح امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي من غير مهر إن أراد هو أن ينكحها، ونكاح الهبة خاص به ﷺ لا يجوز لغيره من الأمة، قد علمنا ما أوجبناه على المؤمنين في شأن زوجاتهم حيث لا يجوز لهم أن يتجاوزوا أربع نسوة، وما شرعناه لهم في شأن إمائهم حيث إن لهم أن يستمتعوا بمن شئن منهنّ دون تقييد بعدد، وأبحننا لك ما أبحننا مما ذكر مما لم نبهه لغيرك؛ لئلا يكون عليك ضيق ومشقة، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده، رحيمًا بهم.

﴿٥١﴾ فوازم الآيات:

١ - الصبر على الأذى من صفات الداعية الناجح.

٢ - جواز طلاق المرأة قبل الدخول بها.

٣ - سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول بها.

٤ - يُنذَب للزوج أن يعطي مطلقته قبل الدخول بها بعض المال جبرًا لخاطرها.

٥ - خصوصية النبي ﷺ بجواز نكاح الهبة، وإن لم يحدث منه.

﴿١٤﴾ **تَوَخَّرَ** - أيها الرسول - من تشاء تأخير قَسْمَهُ من نسائك فلا تبيت معها، وتَضَمَّنْ إليك من تشاء منهنّ فبيتت معها، ومن طلبت أن تضمها ممن طلبت أن تؤخرها فلا إثم عليك في ذلك، ذلك التخيير والتوسيع لك أقرب أن تقر به أعين نسائك، وأن يرضين بما أعطيتهنّ جميعهنّ؛ لعلهنّ أنك لم تترك واجباً، ولم تبخل بحق، والله يعلم ما في قلوبكم - أيها الرجال - من الميل إلى بعض النساء دون بعض، وكان الله عليماً بأعمال عباده، لا يخفى عليه منها شيء، حلماً لا يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يتوبون إليه.

﴿١٥﴾ لا يجوز لك - أيها الرسول - أن تتزوج بنساء غير زوجاتك اللاتي هن في عصمتك، ولا يحلّ لك أن تطلقهن، أو تطلق بعضهنّ لتأخذ غيرهن من النساء، ولو أعجبك حسن من تريد أن تتزوج بها من النساء غيرهن، لكن يجوز لك أن تتسرى بما ملكت يمينك من الإماء دون حصر في عدد محدد، وكان الله على كل شيء حفيظاً. وهذا الحكم يدل على فضل أمهات المؤمنين، فقد منع طلاقهن والزواج عليهن.

﴿١٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لهم، لا تدخلوا بيوت النبي إلا بعد أن يأذن لكم بدخولها بدعوتكم إلى طعام، ولا تطيلوا الجلوس تنتظرون نضج الطعام، ولكن إذا دعيت

إلى طعام فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا، ولا تمكثوا بعده يستأنس بعضكم بحديث بعض، إن ذلك المكث كان يؤذي النبي ﷺ فيستحي أن يطلب منكم الانصراف، والله لا يستحي أن يأمر بالحق، فأمركم بالانصراف عنه حتى لا تؤذوه ﷺ بالمكث، وإذا طلبتم من زوجات النبي ﷺ حاجة مثل آنية ونحوها فاطلبوا حاجتكم تلك من وراء ستر، ولا تطلبوها منهنّ مواجهة حتى لا تراهنّ أعينكم صوتاً لهنّ لمكانة رسول الله ﷺ، ذلكم الطلب من وراء ستر أظهر لقلوبكم، وأظهر لقلوبهنّ حتى لا يتطرق الشيطان إلى قلوبكم وقلوبهنّ بالسوسة وتزيين المنكر، وما ينبغي لكم - أيها المؤمنون - أن تؤذوا رسول الله ﷺ بالمكث للحديث، ولا أن تتزوجوا نساءه من بعد موته، فهنّ أمهات المؤمنين، ولا يجوز لأحد أن يتزوج أمه، إن ذلكم الإيذاء - ومن صورته نكاحكم نساءه من بعد موته - حرام ويعدُّ عند الله إثماً عظيماً.

﴿١٧﴾ إن تظفروا شيئاً من أعمالكم، أو تستروه في أنفسكم فلن يخفى على الله منه شيء، إن الله كان بكل شيء عليماً، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا من غيرها، وسيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿١٨﴾ **قَوْلِهِمْ مِنَ الْآيَاتِ:**

﴿١٨﴾ **تُرْجَى** من تشاء منهنّ وتؤتى إليك من تشاء ومن ابغيت ممن عزلت فلاجتاح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهنّ ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهنّ كهنّ والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليماً حلماً ﴿١٩﴾ لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً ﴿٢٠﴾ يتايا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير نظيرين إنته ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فأنشروا ولا مستعنين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متعافستوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴿٢١﴾ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً ﴿٢٢﴾

إلى طعام فادخلوا، وإذا سألتموهن متعافستوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴿٢١﴾ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليماً ﴿٢٢﴾

﴿٢٣﴾ إن تظفروا شيئاً من أعمالكم، أو تستروه في أنفسكم فلن يخفى على الله منه شيء، إن الله كان بكل شيء عليماً، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ولا من غيرها، وسيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

- ١ - ثبوت صفتي العلم والحلم لله.
- ٢ - وجوب التأدب مع الرسول ﷺ بعدم الدخول إلى بيوته دون إذنه، وعدم المكث عنده بعد أكل ما دعا إليه من طعام.
- ٣ - الحياء من أخلاق النبي ﷺ.
- ٤ - صيانة مقام أمهات المؤمنين من زوجات النبي ﷺ.
- ٥ - حرمة نكاح أمهات المؤمنين بعد وفاة النبي ﷺ.

﴿٥٤﴾ لا إثم عليهن أن يراهنَّ ويكلمهنَّ دون حجاب أبائهنَّ، وأولادهنَّ، وإخوانهنَّ، وأبناء إخوانهنَّ، وأبناء أخواتهنَّ من النسب أو الرضاة، ولا إثم عليهنَّ أن يكلمهنَّ دون حجاب: النساء المؤمنات، وما ملكت إيمانهنَّ، واتقين الله أيتها المؤمنات فيما أمر به ونهى عنه سبحانه، فهو مشاهد لما يظهر منكهنَّ ويصدر عنكنَّ.

﴿٥٥﴾ إن الله يثني عند ملائكته على الرسول محمد ﷺ، وملائكته يدعون له، يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرع لعباده صلوا على الرسول، وسلموا عليه تسليمًا. ولما أمر الله بتعظيم الرسول ﷺ والصلاة عليه نهى عن إيذائه فقال:

﴿٥٦﴾ إن الذين يؤذون الله ورسوله بالقول أو الفعل أبعدهم الله وطردهم من رحاب رحمته في الدنيا وفي الآخرة، وأعد لهم في الآخرة عذابًا مذلًا جزاء لهم على ما اقترفوه من إيذاء رسوله.

﴿٥٧﴾ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول أو الفعل بغير ذنب اكتسبوه من جنابة توجب ذلك الإيذاء، فقد احتملوا كذبًا وإثما

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا بَنَاتِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا بَنَاتِهِنَّ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنَهُنَّ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٤﴾

﴿٥٥﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾

﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَدَابَعُوا أَعْتَمَلُوا بَهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

﴿٥٩﴾ لَئِنْ لَرَبِّنَا الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾

﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا ﴿٦١﴾

﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

ظاهراً.

﴿٥٩﴾ يا أيها النبي قل لأزواجك، وقل لبناتك، وقل لنساء المؤمنين: يُرَخِّينَ عليهنَّ من الجلابيب التي يلبسناها حتى لا تنكشف منهن عورة أمام الأجانب من الرجال، ذلك أقرب أن يعرفنَّ أنهنَّ حرائر فلا يتعرض لهنَّ أحد بالإيذاء كما يتعرض به للإماء، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده، رحيمًا به.

﴿٦٠﴾ لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم؛ بإضمارهم الكفر وإظهارهم الإسلام، والذين في قلوبهم فجور بتعلقهم بشهواتهم، والذين يأتون بالأخبار الكاذبة في المدينة ليفرقوا بين المؤمنين لناُمرتك - أيها الرسول - بمعاقتهم، ولنسلطتك عليهم، ثم لا يُسَاكنونك في المدينة إلا قليلاً من الزمن؛ لإهلاكهم أو طردهم عنها بسبب إفسادهم في الأرض.

﴿٦١﴾ مطرودين من رحمة الله، في أي مكان لُقُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا قَتِيلًا؛ لنفاقهم ونشرهم الفساد في الأرض.

﴿٦٢﴾ هذه سُنَّةُ اللَّهِ الجارية في المنافقين إذا أظهروا النفاق، وسُنَّةُ اللَّهِ ثابتة لن تجد لها أبداً تغييرًا.

﴿٦٣﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - علو منزلة النبي ﷺ عند الله وملائكته.
- ٢ - حرمة إيذاء رسول الله ﷺ بأي صورة من صور الإيذاء في نفسه وأهله.
- ٣ - حرمة إيذاء المؤمنين دون سبب.
- ٤ - النفاق سبب لنزول العذاب بصاحبه.

﴿١٣٦﴾ يسألك المشركون - أيها الرسول - سؤال إنكار وتكذيب، ويسألك اليهود أيضًا عن الساعة: متى وقتها؟ قل لهؤلاء: علم الساعة عند الله ليس عندي منه شيء، وما يشعرك - أيها الرسول - أن الساعة تكون قريبة؟

﴿١٣٧﴾ إن الله سبحانه طرد الكافرين من رحمته، وهبًا لهم يوم القيامة نارًا ملتهبة تنتظرهم.

﴿١٣٨﴾ ماكثون في عذاب تلك النار المعدة لهم أبداً، لا يجدون فيها وليًا ينفعهم، ولا نصيرًا يدفع عنهم عذابها.

﴿١٣٩﴾ يوم القيامة تقلب وجوههم في نار جهنم، يقولون من شدة التحسر والندم: يا ليتنا في حياتنا الدنيا كنا أطعنا الله بامثال ما أمرنا به، واجتنبنا ما نهانا عنه، وأطعنا الرسول فيما جاء به من ربه.

﴿١٤٠﴾ جاء هؤلاء بحجة واهية باطلة فقالوا: ربنا إنا أطعنا رؤساءنا وكبراء أقالمانا، فأضلونا عن الصراط المستقيم.

﴿١٤١﴾ ربنا، اجعل لهؤلاء الرؤساء والكبراء الذين أضلونا عن الصراط المستقيم ضعفي ما جعلت لنا من العذاب لإضلالهم إيانا، واطردهم من رحمتك طردًا عظيمًا.

﴿١٤٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تؤذوا رسولكم فتكونوا مثل الذين آذوا موسى بقولهم: إنه (عظيم الخصية) فبرأه الله مما قالوا، فتبين لهم سلامته مما قالوا فيه، وكان موسى عند الله وجيهاً، ولا يخيب مسعاه.

﴿١٤٣﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وقولوا قولاً صواباً صدقاً.

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٣٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ فِيهَا وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٨﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٣٩﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿١٤٠﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿١٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٤٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١٤٥﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤٦﴾

﴿١٤٤﴾ إنكم إن اتقيتم الله وقلتم قولاً صواباً، أصلح لكم أعمالكم، وتقبلها منكم، ويمح عنكم ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً لا يدانيه أي فوز، وهو الفوز برضا الله ودخول الجنة.

﴿١٤٥﴾ إنا عرضنا التكاليف الشرعية، وما يحفظ من أموال وأسرار، على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال، فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبتها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة حملها.

﴿١٤٦﴾ حملها الإنسان بقدر من الله؛ ليعذب الله المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء، والمشركين من الرجال والمشركات من النساء على نفاقهم وشركهم بالله، وليتوب الله على المؤمنين والمؤمنات الذين أحسنوا حمل أمانة التكليف، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده رحيماً بهم.

﴿١٤٧﴾ فَوَاظِبُوا أَيْمَانَكُمْ

١ - اختصاص الله بعلم الساعة.

٢ - شدة ندم الكافر يوم القيامة بسبب كفره وتقصيره.

٣ - تحميل الأتباع كبراءتهم مسؤولية إضلالهم لا يعفيهم هم من المسؤولية.

٤ - شدة التحريم لإيذاء الأنبياء بالقول أو الفعل.

٥ - تقوى الله والقول السديد من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

٦ - عظم الأمانة التي تحملها الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ۝٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٣ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ۝٥ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٦ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَتَّبِعُكُمْ إِذَا مَرَّ قَوْمٌ كُلٌّ مَّمْرَقٍ إِن كُنتُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧

﴿١﴾ مقصد السورة :
بيان مظاهر القدرة الإلهية على تبديل الأحوال، وأحوال الخلق في النعم بين الشكر والكفر.

﴿٢﴾ التفسير :
الحمد لله الذي له كل ما في السماوات وكل ما في الأرض، خلقًا وملكا وتدبيرًا، وله سبحانه الشئاء في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتدبيره، الخبير بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٣﴾ يعلم ما يدخل في الأرض من ماء ونبات ومعادن، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من المطر والملائكة والرزق، ويعلم ما يصعد في السماء من الملائكة وأعمال عباده وأرواحهم، وهو الرحيم بعباده المؤمنين، الغفور لذنوب من تاب إليه.

﴿٤﴾ وقال الذين كفروا بالله: لا تأتينا الساعة أبدًا، قل لهم - أيها الرسول -: بلى والله، لتأتينكم الساعة التي تكذبون بها، لكن لا يعلم وقت ذلك إلا الله، فهو سبحانه عالم ما غاب من الساعة وغيرها، لا يغيب عن علمه

سبحانه وزن أصغر نملة في السماوات ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر من ذلك المذكور ولا أكبر، إلا هو مكتوب في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء كائن إلى يوم القيامة.

﴿٥﴾ أثبت الله ما أثبت في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم من الله مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، ولهم رزق كريم؛ وهو جنته يوم القيامة. والذين عملوا جاهدين لإبطال ما أنزل الله من آيات، فقالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسولنا: كاهن، ساحر، شاعر، أولئك المتصفون بتلك الصفات لهم يوم القيامة أسوأ عذاب وأشدّه.

﴿٦﴾ ويشهد بعض علماء أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام أن الذي أنزله الله إليك من الوحي هو الحق الذي لا مزية فيه، ويرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في الدنيا والآخرة.

﴿٧﴾ وقال الذين كفروا بالله لبعضهم؛ تعجبًا وسخرية مما جاء به الرسول ﷺ: هل ندلكم على رجل يخبركم أنكم إذا متم وقطعتم تقطيعًا أنكم ستبعثون بعد موتكم أحياء؟!

﴿٨﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - سعة علم الله سبحانه المحيط بكل شيء.
- ٢ - جواز تأكيد الخبر بالحلف عند منكره.
- ٣ - فضل أهل العلم.
- ٤ - إنكار المشركين لبعث الأجساد تنكرًا لقدرة الله الذي خلقهم.

وقالوا: هل اختلق هذا الرجل على الله كذباً فزعم ما زعم من بعثنا بعد موتنا، أم هو مجنون يهذي بما لا حقيقة له؟ ليس الأمر كما زعم هؤلاء، بل الحاصل أن الذين لا يصدقون بالآخرة هم في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.

أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث ما بين أيديهم من الأرض، ويروا ما خلفهم من السماء؟ إن نشأ خسف الأرض من تحت أقدامهم خسفناها من تحتهم، وإن نشأ أن نسقط عليهم قطعاً من السماء لأسقطناها عليهم، إن في ذلك لعلامة قاطعة لكل عبد منيب إلى ربه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم وتمزيق أجسامكم.

ولقد أعطينا داود عليه السلام منا نبوة وملكاً، وقلنا للجبال: يا جبال، رجعي مع داود التسبيح، وهكذا قلنا للطير، وصبرنا له الحديد ليتألف ليصنع منه ما يشاء من أدوات.

أن اعمل - يا داود - دروعاً واسعة تقي مقاتليك بأس عدوهم، وصير المسامير مناسبة للجلق فلا تكون دقيقة بحيث لا تستقر فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، واعملوا عملاً صالحاً، إني بما تعملون بصير، لا يخفى عليّ من أعمالكم شيء، وسأجازيكم عليها.

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نُخِيفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفَرَفِي السَّرْدِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَرْوَرًا حَاهَا شَهْرٌ وَأَسْلُنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمَنْ أَلْجَأَ مِنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

وسخرنا لسليمان بن داود عليه السلام الريح، تسير في الصباح مسافة شهر، وتسير في المساء مسافة شهر، وسيلنا له عين النحاس ليصنع من النحاس ما يشاء، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، ومن يعدل من الجن عملاً أمرناه به من العمل نذقه من عذاب النار الملتهية.

يعمل هؤلاء الجن لسليمان ما أراد من مساجد للصلاة ومن قصور، وما يشاء من صور وما يشاء من قصاب مثل الحياض في السعة، وقدور ثابتات، وقلنا لهم: اعملوا يا آل داود شكراً لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لي على ما أنعمت عليه.

فلما حكمنا عليه بالموت ما أرشد الجن إلى أن سليمان قدمات إلا حشرة الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها، فلما سقط تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب المذل لهم، وهو ما كانوا عليه من الأعمال الشاقة التي يعملونها لسليمان عليه السلام ظناً منهم أنه حي يراقبهم.

فوائد من الآيات:

- ١ - تكريم الله لنبيه داود بالنبوة والملك، وبتسخير الجبال والطير يسبحن بتسبيحه، وبإلانة الحديد له.
- ٢ - تكريم الله لنبيه سليمان عليه السلام بالنبوة والملك.
- ٤ - اقتضاء النعم لشكر الله عليها.
- ٥ - اختصاص الله بعلم الغيب، فلا أساس لما يُدعى من أن الجن أو غيرهم لهم اطلاع على الغيب.

ولما ذكر الله ما أنعم به على داود وابنه سليمان **﴿١٥﴾**، ذكر ما أنعم به على أهل سبأ، إلا أن داود وسليمان **﴿١٦﴾** شكرا الله وأهل سبأ كفروه، فقال:

﴿١٧﴾ لقد كان لقبيلة سبأ في مسكنهم الذي كانوا يسكنون فيه علامة ظاهرة على قدرة الله وإنعامه عليهم؛ وهي جنتان: إحداهما عن اليمين، والثانية عن الشمال، وقلنا لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروه على نعمه؛ هذه بلدة طيبة، وهذا الله رب غفور يغفر ذنوب من تاب إليه.

﴿١٨﴾ فأعرضوا عن شكر الله والإيمان برسله، فعاقبناهم بتبديل نعمهم نقمًا، فأرسلنا عليهم سيلاً جارفاً حَرَبَ سدهم وأغرق مزارعهم، وبدلناهم بَبُسْتَانِيَّتِهِمْ بُسْتَانَيْنِ مُثْمَرَيْنِ بالثمر المر، وفيهما شجر الأثل غير المثمر، وشيء قليل من السدر.

﴿١٩﴾ ذلك التبديل - الحاصل لما كانوا عليه من النعم - بسبب كفرهم وإعراضهم عن شكر النعم، ولا نعاقب هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنعم الله.

﴿٢٠﴾ وجعلنا بين أهل سبأ في اليمن وبين قرى الشام التي باركنا فيها مقاربة، وقدرنا فيها السير بحيث يسبغون من قرية إلى قرية دون مشقة حتى يصلوا الشام، وقلنا لهم: سيروا فيها ما شئتم من ليل أو نهار في أمن من العدو والجوع والعطش.

﴿٢١﴾ فبطروا نعمة الله عليهم بتقريب المسافات، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا بإزالة تلك القرى حتى ندوق تعب الأسفار، وتظهر مزية ركائبنا، وظلموا أنفسهم ببطرهم نعمة الله وإعراضهم عن شكره وحسدهم للفقراء منهم، فصيرناهم أحاديث يتحدث بها من بعدهم، وفرقناهم في البلاد كل فريق، بحيث لا يتواصلون فيما بينهم، إن في ذلك المذكور؛ من الإنعام على أهل سبأ والانتقام منهم، لعمرة لكل صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معصيته وعلى البلاء، شكور لنعم الله عليه.

﴿٢٢﴾ ولقد حَقَّقَ عليهم إبليس ما ظنه من أنه يستطيع إغواءهم وإضلالهم عن الحق، فاتبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من المؤمنين فإنهم خيوا رجاء بعدم اتباعهم له.

﴿٢٣﴾ وما كان لإبليس عليهم من سلطان يقهرهم به على أن يضلوا، وإنما كان يزين لهم ويغويهم، إلا أنا أذنا له في إغوائهم لنعلم علماً يظهر للعباد من يصدق بالآخرة وما فيها من جزاء، ممن هو من الآخرة في شك، وربك - أيها الرسول - على كل شيء حفيظ، يحفظ أعمال عباده، ويجازيهم عليها.

﴿٢٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: نادوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله ليجلبوا لكم النفع أو يكشفوا عنكم الضر، فهم لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس لله من معين يعينه، فهو غني عن الشركاء وعن المعينين.

﴿٢٥﴾ فإزد من الآيات:

- ١ - الشكر يحفظ النعم، والجحود يسبب سلبها.
- ٢ - الأمن من أعظم النعم التي يمتن الله بها على العباد.
- ٣ - الإيمان الصحيح يعصم من اتباع إغواء الشيطان بإذن الله.
- ٤ - ظهور إبطال أسباب الشرك ومدخله كالزعم بأن للأصنام مُلْكًا أو مشاركة لله، أو إعانة أو شفاعة عند الله.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُم بِلْدَةِ طَيْبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ **﴿١٥﴾**
 فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ **﴿١٦﴾**
 ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرِينَ **﴿١٧﴾**
 وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَجَعَلْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرًا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ **﴿١٨﴾**
 فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِد بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ **﴿١٩﴾**
 وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ **﴿٢٠﴾**
 وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْخُذُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ **﴿٢١﴾**
 قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ **﴿٢٢﴾**

﴿١٦﴾ ولا تنفع الشفاعة عنده سبحانه إلا لمن أذن له، والله لا يأذن في الشفاعة إلا لمن ارتضى؛ لعظمته، ومن عظمته أنه إذا تكلم في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي بذاته وقهره، الكبير.

﴿١٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من السماوات بإنزال المطر، ومن الأرض بانبثاق الثمرات والزروع والفواكه؟ قل: الله هو الذي يرزقكم منها، وإننا أو إياكم - أيها المشركون - لعلى هداية أو في ضلال واضح عن الطريق، فأحدنا لا محالة كذلك، ولا شك أن أهل الهدى هم المؤمنون، وأن أهل الضلال هم المشركون.

﴿١٨﴾ قل لهم - أيها الرسول -: لا تسألون يوم القيامة، عن ذنوبنا التي ارتكبتها، ولا نسأل نحن عما كنتم تعملون.

﴿١٩﴾ قل لهم: يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا وبينكم بالعدل، فيبين المحق من المبطل وهو الحاكم الذي يحكم بالعدل، العليم بما يحكم به.

﴿٢٠﴾ قل لهم - أيها الرسول -: أروني الذين جعلتموهم الله شركاء تشركونهم معه في العبادة، كلا، ليس الأمر كما تصورت من أن

له شركاء، بل هو الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره.

﴿٢١﴾ وما بعثناك - أيها الرسول - إلا للناس عامة مبشراً أهل التقوى بأن لهم الجنة، ومُخَوِّفاً أهل الكفر والفجور من النار، ولكن معظم الناس لا يعلمون ذلك، فلو علموه لما كذبوك.

﴿٢٢﴾ ويقول المشركون مستعجلين بالعذاب الذي يخوفون منه: متى هذا الوعد بالعذاب إن كنتم صادقين فيما تدعون من أنه حق؟

﴿٢٣﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: لكم ميعاد يوم محدد؛ لا تتأخرون عنه ساعة، ولا تتقدمون عنه ساعة، وهذا اليوم هو يوم القيامة.

﴿٢٤﴾ وقال الذين كفروا بالله: لن نؤمن بهذا القرآن الذي يزعم محمد أنه منزل عليه، ولن نؤمن بالكتب السماوية السابقة، ولو ترى - أيها الرسول - إذ الظالمون محبوسون عند ربهم يوم القيامة للحساب، يتراجعون الكلام بينهم، يُلقِي كل منهم المسؤولية واللوم على الآخر، يقول الأتباع الذين استضعفوا لسادتهم الذين استضعفوه في الدنيا: لولا أنكم أضللتونا، لكاننا مؤمنين بالله وبرسوله.

﴿٢٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - التلطف بالمدعو حتى لا يلوذ بالعناد والمكابرة.

٢ - شمول رسالة النبي ﷺ للبشرية جمعاء، والجن كذلك.

٣ - من أحوال الناس يوم القيامة الخصام بين الأتباع والمتبعين، وتبرؤ كل طرف من الطرف الآخر.

﴿٣٢﴾ قال المتبوعون الذين استكبروا عن الحق للتابعين الذين استضعفوه: نحن منعناكم عن الهدى الذي جاءكم به محمد؟ لا، بل كنتم ظلمة وأصحاب فساد وإفساد.

﴿٣٣﴾ وقال المتبوعون الذين استضعفهم سادتهم لمتبوعيه المستكبرين عن الحق: بل صدنا عن الهدى مكرم بنا بالليل والنهار حين كنتم تأمروننا بالكفر بالله، وعبادة مخلوقين من دونه. وأخفوا الندامة على ما كانوا عليه من الكفر في الدنيا حين شاهدوا العذاب، وعلموا أنهم معذبون، وجعلنا الأصفاد في أعناق الكافرين، لا يجزون هذا الجزاء إلا بما كانوا يعملونه في الدنيا من عبادة غير الله وارتكاب المعاصي.

ولتسلية الرسول ﷺ حين كذبه قومه ذكره الله بأن التكذيب هو ذئب الأمم من قبله فقال:

﴿٣٤﴾ وما بعثنا في قرية من القرى من رسول يخونهم عذاب الله إلا قال المنعمون فيها من أصحاب السلطان والجاه والمال: إنا بما بُعِثْتُمْ به - أيها الرسل - كافرون.

﴿٣٥﴾ وقال أصحاب الجاه هؤلاء مُتَّبِعِينَ مفتخرين: نحن أكثر أموالاً وأكثر أولاداً، وما زعمتم من أننا مُعَذَّبُونَ كذب، فلسنا مُعَذَّبِينَ في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿٣٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المغرورين بما أتوا من النعم: ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء اختاراً له أشكر أم يكفر، ويضيقه على من يشاء ابتلاءً له أيصبر أم يتسخط؟ ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الله حكيم لا يقدر أمراً إلا لحكمة بالغة علمها من علمها، وجعلها من جهلها.

﴿٣٧﴾ وليست أموالكم ولا أولادكم التي تفتخرون بها هي التي تقودكم إلى رضوان الله، لكن من آمن بالله وعمل عملاً صالحاً حاز الأجر المُضَاعَفَ؛ فالأموال تقربه بإنفاقها في سبيل الله، والأولاد بدعائهم له، فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم ثواب هو ثواب ضعف ما عملوا من حسنات؛ لأن حسناتهم تُضَاعَفُ لهم، وهم في المنازل العليا من الجنة آمنون من كل ما يخافونه من العذاب والموت وانقطاع النعيم.

﴿٣٨﴾ والكفار الذين يبذلون غاية جهدهم في صرف الناس عن آياتنا ويسعون في تحقيق أهدافهم هؤلاء خاسرون في الدنيا مُعَذَّبُونَ في الآخرة.

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي ﷻ يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، وما أنفقتم من شيء في سبيل الله، فإله ﷻ يخلفه عليكم في الدنيا بإعطائكم ما هو خير منه، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله سبحانه هو خير الرازقين، فمن طلب الرزق فليلجأ إليه سبحانه.

﴿٤٠﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

- ١ - تبرؤ المتبوعين من الأتباع، والأتباع من المتبوعين لا يُعْفِي كلاً من مسؤوليته.
- ٢ - الترف مبعد عن الإذعان للحق والانقياد له.
- ٣ - المؤمن ينفعه ماله وولده، والكافر لا ينتفع بهما.
- ٤ - الإنفاق في سبيل الله يؤدي إلى إخلاف المال في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة.

﴿٤١﴾ واذكر - أيها الرسول - يوم يحشرهم الله جميعاً، ثم يقول سبحانه للملائكة تقريباً للمشركين وتوبيخاً لهم: أهؤلاء كانوا يعبدونكم في الحياة الدنيا من دون الله؟

﴿٤٢﴾ قال الملائكة: تنزهت وتقدست! أنت ولينا من دونهم، فلا موالة بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء المشركون يعبدون الشياطين؛ يتمثلون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم من دون الله، معظمهم بهم مؤمنون.

﴿٤٣﴾ يوم الحشر والحساب لا يملك المعبودون لمن عبدوهم في الدنيا من دون الله نفعاً، ولا يملكون لهم ضرراً، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿٤٤﴾ وإذا تقرأ على هؤلاء المشركين المكذبين آياتنا المنزلة على رسولنا واضحة لا لبس فيها قالوا: ما هذا الرجل الذي جاء بها إلا رجل يريد أن يصرفكم عما كان عليه أبائكم، وقالوا: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه على الله، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لما جاءهم من عند الله: ليس هذا إلا سحراً واضحاً لتفريقه بين المرء وزوجه، والابن وأبيه.

﴿٤٥﴾ وما أعطيناهم من كتب يقرؤونها حتى ترشدهم أن هذا القرآن كذب اختلقه محمد،

وما أرسلنا إليهم قبل إرسالك - أيها الرسول - من رسول يخوفهم من عذاب الله.

﴿٤٦﴾ وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل المشركون من قومك إلى معشار ما وصلت إليه الأمم السابقة من القوة والمنعة والمال والعدد، فكذب كل منهم رسوله، فما نفعهم ما أوتوا من المال والقوة والعدد، فحل بهم عذابي، فانظر - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم، وكيف كان عقابي لهم.

﴿٤٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أشير إليكم وأنصحكم بخصلة واحدة؛ هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه اثنين اثنين أو منفردين، ثم تفكروا في سيرة صاحبكم، وما علمتم من عقله وصدقه وأمانته؛ لتبينوا أنه ﷺ ليس به جنون، ما هو إلا محذر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا إلى الله من الشرك به.

﴿٤٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: ما سألتكم من ثواب أو أجر على ما جئتكم به من الهدى والخير، فهو - على تقدير وجوده - لكم، ليس ثوابي إلا على الله وحده، وهو سبحانه على كل شيء شهيد، فهو يشهد على أنني بلغتكم، ويشهد على أعمالكم، فيوفيكم جزاءها.

ولما بين سبحانه الحجج على أهل الباطل والشرك بين أن ذلك سئته فقال:

﴿٤٩﴾ قل - أيها الرسول -: إن ربي يسلط الحق على الباطل فيبطله، وهو علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه أعمال عباده.

﴿٥٠﴾ فإولاد من الآيات: ١ - تبرؤ الملائكة يوم القيامة من زعم بعض المشركين أنهم كانوا يعبدونهم. ٢ - مكر الشياطين بالمشركين حيث كانوا يزعمون لهم أنهم ملائكة فيعبدونهم. ٣ - التقليد الأعمى للأباء صارف عن الهداية. ٤ - التجرد من الهوى والتفكير بموضوعية وسيلة للوصول إلى القرار الصحيح، والفكر الصائب. ٥ - الداعية إلى الله لا ينتظر الأجر من الناس، وإنما ينتظره من رب الناس.

﴿٤١﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: جاء الحق الذي هو الإسلام، وزال الباطل الذي لا يبدو له أي أثر أو قوة ولا يعود إلى نفوذه.

﴿٤٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: إن ضللت عن الحق فيما أبلغكم فضرر ضلالي قاصر علي، لا ينالكم منه شيء، وإن اهتديت إليه فبسبب ما يوحيه إليّ ربي سبحانه، إنه سميع لأقوال عباده، قريب لا يتعذر عليه سماع ما أقول.

﴿٤٣﴾ ولو ترى - أيها الرسول - إذ فزع هؤلاء المكذبون لما عاينوا العذاب يوم القيامة، فلا مفر لهم منه، ولا ملجأ يلتجئون إليه، وأخذوا من مكان قريب سهل التناول من أول وهلة، لو ترى ذلك لرأيت أمراً عجباً.

﴿٤٤﴾ وقالوا حين رأوا مصيرهم: آمنا بيوم القيامة، وكيف لهم تعاطي الإيمان وتناوله وقد بعد عنهم مكان قبول الإيمان بخروجهم من دار الدنيا التي هي دار عمل لا جزاء، إلى الدار الآخرة التي هي دار جزاء لا عمل؟!

﴿٤٥﴾ وكيف يحصل منهم الإيمان ويُقبل، وقد كفروا به في الحياة الدنيا، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، فيقولون في الرسول ﷺ: ساحر، كاهن، شاعر؟!

﴿٤٦﴾ ومنع هؤلاء المكذبون من الحصول على ما يشتهونه من ملذات الحياة، ومن التوبة من الكفر والنجاة من النار، والعودة إلى الحياة الدنيا، كما فعل بأمثالهم من الأمم المكذبة من قبلهم، إنهم كانوا في شك مما جاءت به الرسل من توحيد الله والإيمان بالبعث، شك باعث على الكفر.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٣﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٥﴾ وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٤٦﴾

سورة قسط

آياتها ٤٦

نزلت بها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْلَىٰ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ زَبِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفِكُمْ ﴿٣﴾

سورة قسط

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على عرض مشاهد قدرة الله والإبداع في الخلق، وبواعث تعظيمه وخشيته والإيمان به وتذكر آلائه.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ الحمد لله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، وجعل من الملائكة رسلاً ينفذون أوامره القدرية، ومنهم من يبلغ الأنبياء الوحي، وقوّاهم على أداء ما اتمنهم عليه، فمنهم ذو جناحين وذو ثلاثة وذو أربعة، يطير بها لتنفيذ ما أمر به، يزيد الله في الخلق ما يشاء من عضو أو حُسن أو صوت، إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

﴿٢﴾ إن مفاتيح كل شيء بيد الله، فما يفتح للناس من رزق وهداية وسعادة فلا أحد يستطيع أن يمنعه، وما يمسه من ذلك فلا أحد يستطيع إرساله من بعد إمساكه له، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره.

﴿٣﴾ يا أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم، وبجوارحكم بالعمل، هل لكم من خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ينزله عليكم من المطر، ويرزقكم من الأرض بما ينبت من الثمار والزرع؟ لا معبود بحق غيره، فكيف بعد هذا تصرفون عن هذا الحق وتفترون على الله وتزعمون أن الله شركاء، وهو الذي خلقكم ورزقكم؟

﴿٤﴾ ﴿١﴾ من الآيات: ١ - مشهد فزع الكفار يوم القيامة مشهد عظيم. ٢ - محل نفع الإيمان في الدنيا؛ لأنها هي دار العمل. ٣ - عظم خلق الملائكة يدل على عظمة خالقهم سبحانه.

① وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فاصبر، فليست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت أمم من قبلك رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، وإلى الله وحده ترجع الأمور كلها، فيهلك المكذبين، وينصر رسله والمؤمنين.

② يا أيها الناس، ما وعد الله به - من البعث والجزاء يوم القيامة - حق لا شك فيه، فلا تخدعتم لذات الحياة الدنيا وشهواتها عن الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح، ولا يخدعكم الشيطان بتزيينه للباطل، والركون إلى الحياة الدنيا.

③ إن الشيطان لكم - أيها الناس - عدو دائم العداوة، فاتخذوه عدوًا بالتزام محاربهته، إنما يدعو الشيطان أتباعه إلى الكفر بالله لتكون عاقبتهم دخول النار المُستعمرة يوم القيامة.

④ الذين كفروا بالله اتباعًا للشيطان، لهم عذاب قوي، والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات لهم مغفرة من الله لذنوبهم، ولهم أجر عظيم منه وهو الجنة.

⑤ إن من حسن له الشيطان عمله السيئ فاعتقده هو حسنًا ليس كمن زين له الله الحق فاعتقده حقًا، فإن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، لا مكره له، فلا تهلك - أيها الرسول - نفسك حزنًا على ضلال الضالين، إن الله سبحانه عليم بما يصنعون، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور
④ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُودُ ⑤ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حَزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑥ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑦ أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ⑧ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَتَثِيرَ سَحابًا فَسَقَنَها إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَاها بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِها كَذَلِكَ النُّشُورُ ⑨ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ
⑩ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمِرُ مِنْ مُعَمَّرٍ
وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ⑪

① والله الذي بعث الرياح فتحرك هذه الرياح سحبًا، فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه، فأحيينا بمائه الأرض بعد جفافها بما أنتنتها فيها من النبات، فكما أحيينا هذه الأرض بعد موتها بما أودعنا فيها من النبات، يكون بعث الأموات يوم القيامة.

② من كان يريد العزة في الدنيا أو في الآخرة فلا يطلبها إلا من الله، فله وحده العزة فيهما، إليه يصعد ذكره الطيب، وعمل العباد الصالح يرفعه إليه، والذين يدبرون المكائد السيئة - كمحاولة قتل الرسول ﷺ - لهم عذاب شديد، ومكر أولئك الكفار يهلك، ولا يحقق لهم مقصدًا.

③ والله هو الذي خلق أبائكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة، ثم جعلكم ذكورًا وإناثًا تتزاجون بينكم، وما تحمل من أنثى جنبًا، ولا تضع ولدها إلا بعلمه سبحانه، لا يغيب عنه من ذلك شيء، وما يزداد في عمر أحد من خلقه، ولا ينقص منه إلا كان ذلك مسطورًا في اللوح المحفوظ، إن ذلك المذكور من خلقكم من تراب وخلقكم أطوارًا وكتابة أعماركم في اللوح المحفوظ على الله سهل.

④ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ:

- 1 - تسليية الرسول ﷺ بذكر أخبار الرسل مع أقوامهم.
- 2 - الاعتراض بالدنيا سبب الإعراض عن الحق.
- 3 - اتخاذ الشيطان عدوًا باتخاذ الأسباب المعينة على التحرز منه؛ من ذكر الله، وتلاوة القرآن، وفعل الطاعة، وترك المعاصي.
- 4 - ثبوت صفة العلو لله تعالى.

﴿١٢﴾ ولا يتساوى البحران: أحدهما عذب شديد العذوبة، سهل شربه لعذوبته، والثاني ملح مرّ لا يمكن شربه لشدة ملوحته، ومن كل من البحرين المذكورين تأكلون لحمًا طريًا هو السمك، وتستخرجون منهما اللؤلؤ والمرجان تلبسونها زينة، وترى السفن - أيها الناظر - تشق بجريها البحر مقبلة ومدبرة، لتطلبوا من فضل الله بالتجارة، ولعلكم تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من نعمه الكثيرة.

﴿١٣﴾ يُدْخِلُ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فَيَزِيدُ طَوْلًا، ويدخل النهار في الليل فيزيد طولًا، سبحانه الشمس، وسخر القمر، كل منهما يجري لموعده مقدر يعلمه الله، وهو يوم القيامة، ذلك الذي يقدر ذلك كله ويجريه هو الله ربكم؛ له وحده الملك، والذين تعبدونهم من دونه من الأوثان ما يملكون قدر لفاة نواة تمر، فكيف تعبدونهم من دوني؟! ﴿١٤﴾

﴿١٥﴾ إِن تَدْعُوا مَعْبُودِيكُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ، فهم جمادات لا حياة فيها ولا سمع لها، ولو سمعوا دعاءكم لهم - على سبيل التقدير - لما استجابوا لكم، ويوم القيامة يتبرؤون من شرككم وعبادتكم إياهم، فلا أحد يخبرك - أيها الرسول - أصدق من الله سبحانه.

﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أنتم المحتاجون إلى الله في كل شؤونكم، وفي كل أحوالكم، والله هو الغني الذي لا يحتاج إليكم في شيء، المحمود في الدنيا والآخرة على ما يقدره لعباده.

﴿١٧﴾ إِن يَشَأْ سَبَحَانَهُ أَنْ يَزِيلَكُمْ بِهَلَاكِهِمْ بِهَلَاكِكُمْ، ويأت بخلق جديد بدلکم يعبدونه، لا يشركون به شيئًا. ﴿١٨﴾ وما إزالتكم بإهلاككم، والإتيان بخلق جديد بدلکم؛ بمنتع على الله ﷻ.

﴿١٩﴾ وَلَا تَحْمِلْ نَفْسٌ مَذْنِبَ نَفْسٍ مَذْنِبَةً، بل كل نفس مذنبية تحمل ذنبها، وإن تدع نفس مُثْقَلَةٌ بحمل ذنوبها من يحمل عنها شيئًا من ذنوبها لا يُحْمَلُ عنها من ذنوبها شيء، ولو كان المدعو قريبًا لها، إنما تخوف - أيها الرسول - من عذاب الله الذين يخافون ربهم بالغيب، وأتموا الصلاة على أكمل وجوها، فهم الذين يتنفعون بتخوفك، ومن تطهر من المعاصي - وأعظمها الشرك - فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك عائد إليه، فالله غني عن طاعته، وإلى الله الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿٢٠﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - تسخير البحر، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر: من نعم الله على الناس، لكن الناس تعتاد هذه النعم فتغفل عنها.

٢ - سفه عقول المشركين حين يدعون أصنامًا لا تسمع ولا تعقل.

٣ - الافتقار إلى الله صفة لازمة للبشر، والغنى صفة كمال لله.

٤ - تزكية النفس عائدة إلى العبد؛ فهو يحفظها إن شاء أو يضيعها.

﴿١٦﴾ وما يستوي الكافر والمؤمن في المنزلة، كما لا يستوي الأعمى والبصير.
 ﴿١٧﴾ ولا يستوي الكفر والإيمان، كما لا تستوي الظلمات والنور.
 ﴿١٨﴾ ولا تستوي الجنة والنار في آثارهما، كما لا يستوي الظل والريح الحارة.
 ﴿١٩﴾ وما يستوي المؤمنون والكفار، كما لا يستوي الأحياء والأموات، إن الله يُسمع من يشاء هدايته، وما أنت - أيها الرسول - بمُسمع الكفار الذين هم مثل الموتى في القبور.
 ﴿٢٠﴾ ما أنت إلا منذر لهم من عذاب الله.
 ﴿٢١﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - بالحق الذي لا مزية فيه، مبشراً للمؤمنين بما أعد الله لهم من الثواب الكريم، ومنذراً للكافرين مما أعد لهم من العذاب الأليم، وما من أمة من الأمم السابقة إلا سلف فيها رسول من عند الله ينذرها من عذابه.
 ﴿٢٢﴾ وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - قومك فاصبر، فلست أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت الأمم السابقة لهؤلاء رسلهم مثل عاد وثمود وقوم لوط، جاءتهم رسلهم من عند الله بالحجج الواضحة، والمعجزات الباهرة الدالة على صدقهم، وجاءتهم رسلهم بالصحف، وبالكتاب المنير لمن تدبره وتأمله.

﴿١٦﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿١٧﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٠﴾ إِنَّكَ إِنَّا أَنْذِرٌ ﴿٢١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَإِن يَكْفُرُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٢٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٨﴾ لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٩﴾

﴿٢٦﴾ ومع ذلك كفروا بالله ورسله ولم يصدقوهم فيما جاؤوا به من عنده، فأهلكت الذين كفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم حيث أهلكتهم.
 ﴿٢٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله سبحانه أنزل من السماء ماء المطر، فأخرجنا بذلك الماء ثمرات مختلفاً ألوانها فيها الأحمر والأخضر والأصفر وغيرها بعد أن سقينا أشجارها منه، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمر، وطرائق حالكة السواد.

﴿٢٨﴾ ومن الناس، ومن الدواب، ومن الأنعام (الإبل، البقر، الغنم) مختلف ألوانه مثل ذلك المذكور، إنما يعظم مقام الله تعالى ويخشاه العالمون به سبحانه؛ لأنهم عرفوا صفاته وشرعه ودلائل قدرته، إن الله عزيز لا يغالبه أحد، غفور لذنوب من تاب من عباده.
 ﴿٢٩﴾ إن الذين يقرؤون كتاب الله الذي أنزلناه علي رسولنا ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم على سبيل الزكاة وغيرها خفيةً وجهراً، يرجون بتلك الأعمال تجارة عند الله لن تكسد. لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ كَامِلَةً، وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، فَهُوَ أَهْلٌ لِذَلِكَ، إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ غُفُورٌ لِذُنُوبِ الْمُتَصَفِّينَ بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

﴿٣٠﴾ فَاذْكُرُوا مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - نفي التساوي بين الحق وأهله من جهة، وبين الباطل وأهله من جهة أخرى.
- ٢ - كثرة عدد الرسل ﷺ قبل رسولنا ﷺ دليل على رحمة الله وعناد الخلق.
- ٣ - إهلاك المكذبين سنةً إلهية.
- ٤ - صفات الإيمان تجارة رابحة، وصفات الكفر تجارة خاسرة.

﴿٣١﴾ والذي أوحينا إليك - أيها الرسول - من الكتاب هو الحق الذي لا شك فيه، الذي أنزله الله تصديقًا للكتب السابقة، إن الله لخبير بعباده بصير، فهو يوحى إلى رسول كل أمة ما تحتاج إليه في زمانها.

﴿٣٢﴾ ثم أعطينا أمة محمد ﷺ الذين اخترناهم على الأمم القرآن، فمنهم ظالم لنفسه بفعل المحرمات وترك الواجبات، ومنهم مقتصد بفعل الواجبات وترك المحرمات، مع ترك بعض المستحبات وفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وذلك بفعل الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، ذلك المذكور - من الاختيار لهذه الأمة وإعطائها القرآن - هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

﴿٣٣﴾ جنات إقامة يدخلها هؤلاء المصطفون، يلبسون فيها أساور من ذهب ولؤلؤًا، ولباسهم فيها حرير.

﴿٣٤﴾ وقالوا بعد دخولهم الجنة: الحمد لله الذي أزال عنا الحزن بسبب ما كنا نخافه من دخول النار، إن ربنا لغفور لذنوب من تاب من عباده، شكور لهم على طاعتهم.

﴿٣٥﴾ الذي أنزلنا دار الإقامة - التي لا نقلة بعدها - من فضله، لا بحول منا ولا قوة، لا يصيبنا فيها تعب ولا آناء.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلبَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَلْهَنَّا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرِ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

ولما ذكر الله جزاء المُصْطَفَيْن من عباده ذكر جزاء الأردلين منهم وهم الكفار، فقال:

﴿٣١﴾ والذين كفروا بالله لهم نار جهنم خالدون فيها، لا يُقْضَى عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب، ولا يُخَفَّف عنهم من عذاب جهنم شيء، مثل هذا الجزاء نجزي يوم القيامة كل جحود لنعم ربه.

﴿٣٢﴾ وهم يصبحون فيها بأرفع أصواتهم يستغيثون قائلين: ربنا أخرجنا من النار نعمل عملاً صالحاً مغايراً لما كنا نعمل في الدنيا لننال رضاك، ونسلم من عذابك، فيجيبهم الله: أولم نجعلكم تعيشون عمراً يتذكر فيه من يريد أن يتذكر، فتتوب إلى الله ويعمل عملاً صالحاً، وجاءكم الرسول منذراً لكم من عذاب الله؟ فلا حجة لكم، ولا عذر بعد هذا كله، فذوقوا عذاب النار، فما للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير يتقدم من عذاب الله أو يخففه عنهم.

﴿٣٨﴾ إن الله عالم غيب السماوات والأرض، لا يفوته شيء منه، إنه عليم بما يخفيه عباده في صدورهم من الخير والشر.

﴿٣٩﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - فضل أمة محمد ﷺ على سائر الأمم.
- ٢ - تفاوت إيمان المؤمنين يعني تفاوت منزلتهم في الدنيا والآخرة.
- ٣ - الجنة دار راحة وسعادة، والنار دار تعب وشقاء.
- ٤ - الوقت أمانة يجب حفظها، فمن ضيعها ندم حين لا ينفع الندم.
- ٥ - إحاطة علم الله بكل شيء.

هو الذي جعل بعضكم - أيها الناس - يخلف في الأرض بعضًا ليختبركم كيف تعملون، فمن كفر بالله وبما جاءت به الرسل فأثم كفره وعقابه عائد عليه، ولا يضر كفره ربّه، ولا يزيد الكفار كفرهم عند ربهم سبحانه إلا مَقْتًا وبغضًا، ولا يزيد الكفار كفرهم إلا خسارًا، حيث إنهم يخسرون ما كان أعد الله لهم في الجنة لو آمنوا.

قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله، ماذا خلقوا من الأرض؟ أخلقوا جبالها؟ أخلقوا أنهارها؟ أخلقوا دوابها؟ أم أنهم شركاء مع الله في خلق السماوات؟ أم أعطيتناهم كتابًا فيه حجة على صحة عبادتهم لشركائهم؟ لا شيء من ذلك حاصل، بل لا يعد الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي بعضهم بعضًا إلا خداعًا.

إن الله سبحانه يمسك السماوات والأرض مانعًا إياهما من الزوال، ولئن زالتا على سبيل الفرض فلا أحد يمسكهما عن الزوال من بعده سبحانه، إنه كان حليمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورًا لذنوب من تاب من عباده.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ خَلْقَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَمَهُمْ عَلَىٰ يَنبِتٍ مِنْهُ بَلْ إِن يَبْدُو الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْآغْرُورًا ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إْحْدَى الْأُممِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَفُورًا ﴿٣٩﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيطُ الْمَكْرَ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن يَحْدُسُنَّتِ اللَّهُ تَبْدِيلًا وَلَن يَحْدُسُنَّتِ اللَّهُ تَحْوِيلًا ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤١﴾

وأقسم هؤلاء الكفار المكذبون قَسَمًا مؤكدًا مغلظًا: لئن جاءهم رسول من الله ينذرهم من عذابه ليكون أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ مرسلًا من ربه يخوفهم عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بُعدًا عن الحق وتعلقًا بالباطل، فلم يوفوا بما أقسموا عليه الأيمان المؤكدة من أن يكونوا أهدى ممن سبقوهم.

وقَسَمهم بالله على ما أقسموا عليه ليس عن حسن نية وقصد سليم، بل للاستكبار في الأرض والخداع للناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا سُنَّة الله الثابتة وهي إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم، فلن تجد لسنة الله في إهلاك المستكبرين تبديلًا بأن لا تقع عليهم، ولا تحويلًا بأن تقع على غيرهم؛ لأنها سُنَّة إلهية ثابتة.

أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من الأمم قبلهم؟ ألم تكن نهايتهم نهاية سوء حيث أهلكهم الله، وكانوا أشد قوة من هؤلاء؟! وما كان الله ليفوته شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأعمال هؤلاء المكذبين، لا يغيب عنه من أعمالهم شيء ولا يفوته، قديرًا على إهلاكهم متى شاء.

﴿فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - الكفر سبب لمقت الله، وطريق للخسارة والشقاء.

٢ - المشركون لا دليل لهم على شركهم من عقل ولا نقل.

٣ - تدبير الظالم في تدميره عاجلاً أو آجلاً.

﴿٤٥﴾ ولو يجعل الله العقوبة للناس بما عملوه من المعاصي، وما ارتكبوها من الآثام، لأهلك جميع أهل الأرض في الحال وما يملكون من دواب وأموال، ولكنه سبحانه يؤخرهم إلى أجل محدد في علمه وهو يوم القيامة، فإذا جاء يوم القيامة فإن الله كان عباده بصيرًا لا يخفى عليه منهم شيء، فيجازيهم على أعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

— مكة —

﴿٤٥﴾ مقصد السورة:

تركز على إثبات الرسالة والبعث ودلائلها.

﴿٤٥﴾ التفسير:

﴿٤٥﴾ سبب الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٤٥﴾ يقسم الله بالقرآن الذي أحكمت آياته، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ﴿٤٥﴾ إنك -أيها الرسول- لمن الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده؛ ليامروهم بتوحيده وعبادته وحده.

﴿٤٥﴾ على منهج مستقيم وشرع قويم. وهذا المنهج المستقيم والشرع القويم منزل من ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الرحيم بعباده المؤمنين. ﴿٤٥﴾ أنزلنا إليك ذلك لتخوف قومًا وتنذرهم، وهم العرب الذين لم يأتيهم رسول ينذرهم،

فهم لاهون عن الإيمان والتوحيد، وكذلك شأن كل أمة انقطع عنها الإنذار، تحتاج إلى من يذكرها من الرسل والعلماء والدعاة إلى الله.

﴿٤٥﴾ لقد وجب العذاب من الله لأكثر هؤلاء، بعد أن بلغهم الحق من الله على لسان رسوله فلم يؤمنوا به، ويقوا على كفرهم، فهم لا يصدقون بالله لا برسوله، ولا يعملون بما جاءهم من الحق.

﴿٤٥﴾ وهؤلاء لا يؤمنون ولا يهتدون، ومثلهم في ذلك مثل من جعلت أصداف في أعناقهم، وجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت مجامع لحاهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فلا يستطيعون خفضها، فهؤلاء مغفلون عن الإيمان بالله فلا يدعون له، ولا يخفضون رؤوسهم من أجله.

﴿٤٥﴾ وجعلنا من بين أيديهم حاجزًا عن الحق، ومن خلفهم حاجزًا، وأغشينا أبصارهم عن الحق فهم لا يبصرون إصيرًا ينتفعون به، حصل ذلك لهم بعد أن ظهر عنادهم وإصرارهم على الكفر.

﴿٤٥﴾ سواء عند هؤلاء الكفار المعاندين للحق أخوفتهم -يا محمد- أم لم تخوفهم، فهم لا يصدقون بما جئت به من عند الله. ﴿٤٥﴾ إن الذي ينتفع حقًا بإنذارك من صدق بهذا القرآن واتباع ما جاء فيه، وخاف من ربه في الخلوة، حيث لا يراه غيره، فأخبر من هذه صفاته بما يسره من محو الله لذنوبه ومغفرته لها، ومن ثواب عظيم ينتظره في الآخرة وهو دخول الجنة.

﴿٤٥﴾ إنا نحن نحیی الموتى ببعثهم للحساب يوم القيامة، ونكتب ما قدموه في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحة والسيئة، ونكتب ما كان لهم من أثر باق بعد حياتهم صالحًا كان كالصدقة الجارية أو سيئًا كالكفر، وقد أحصينا كل شيء في كتاب واضح؛ وهو اللوح المحفوظ.

﴿٤٥﴾ فإنا نحن (الآيات): ١ - العناد مانع من الهداية إلى الحق. ٢ - العمل بالقرآن وخشية الله من أسباب دخول الجنة.

٣ - فضل الولد الصالح والصدقة الجارية وما شابههما على العبد المؤمن.

١٣) واجعل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين المعاندين مثلاً يكون لهم عبرة، وهو قصة أهل القرية حين جاءتهم رسلكم.

١٤) حين أرسلنا إليهم أولاً رسولين ليدعواهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوا هذين الرسولين، فقويتهما بإرسال رسول ثالث معهم، فقال الرسل الثلاثة لأهل القرية: إنا - نحن الثلاثة - إليكم مرسلون؛ لندعوكم إلى توحيد الله واتباع شرعه.

١٥) قال أهل القرية للمرسلين: لستم إلا بشرًا مثلنا، فلا مزية لكم علينا، وما أنزل الرحمن عليكم من وحي، ولستم إلا تكذبون على الله في دعواكم هذه.

١٦) قال الرسل الثلاثة ردًا على تكذيب أهل القرية: ربنا يعلم إنا إليكم - يا أهل القرية - لمرسلون من عنده، وكفى بذلك حجة لنا.

١٧) وليس علينا إلا تبليغ ما أمرنا بتبليغه إليكم بوضوح، ولا نملك هدايتكم.

١٨) قال أهل القرية للرسل: إنا نشاء منا بكم، وإن لم تنتهوا عن دعوتنا إلى التوحيد لنعاقبكم بالرمي بالحجارة حتى الموت، ولينا لتكم منا عذاب موجه.

١٩) قال الرسل ردًا عليهم: شوؤمكم ملازم لكم بسبب كفركم بالله وترككم اتباع رسلكم، أتشاءمون إن ذكرناكم بالله؟ بل أنتم قوم تسرفون في ارتكاب الكفر والمعاصي.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٣

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِلَاثٍ فَقَالُوا إِنَّا

إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ١٤ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ

الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ١٥ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا

إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ١٧

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمُ

مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨ قَالُوا طَبِّئْ بِكُمْ مِثْلَ بَشَرٍ لَّمْ يَأْتِكُمْ

بِلَآئِهِمْ فَهُم مُّسْرِفُونَ ١٩ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ

يَسْعَى قَالَ يَنْفَوُا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ٢٠ أَتَّبِعُوا مِنْ

لَا يَسْتَلِكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ٢١ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي

فَطَّرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٢ أَتَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ

يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِبَصَرٍ لَّا تَعْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا

يُنْقِذُونَ ٢٣ إِنِّي إِذْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٤ إِنِّي ءَأَمَنْتُ

بِرَبِّي كُمْ فَاسْمَعُونَ ٢٥ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي

يَعْلَمُونَ ٢٦ يَا عَاقِرُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ٢٧

٢٨) وجاء من مكان بعيد من القرية رجل مسرع خوفًا على قومه من تكذيب الرسل وتهديدهم بالقتل والإيذاء، قال: يا قوم، اتبعوا ما جاء به هؤلاء المرسلون.

٢٩) اتبعوا - يا قوم - من لا يطلب منكم على إبلاغ ما جاء به ثوابًا منكم، وهم مهتدون فيما يبلغونه عن الله من وحيه، فمن كان كذلك فجدير بأن يتبع.

٣٠) وقال هذا الرجل الناصح: وأي مانع يمنعني من عبادة الله الذي خلقني؟ وأي مانع يمنعكم من عبادة ربكم الذي خلقكم، وإليه وحده ترجعون بالبعث للجزاء؟

٣١) أتتخذ من دون الله الذي خلقني معبودات بغير حق؟ إن يردني الرحمن بسوء لا تغن عني شفاعة هذه المعبودات شيئًا فلا تملك لي نفعًا ولا ضرًا، ولا تستطيع أن تقذني من سوء الذي أرادته الله بي إن مت على الكفر.

٣٢) إني إذا اتخذتهم معبودات من دون الله لفي خطأ واضح حيث عبدت من لا يستحق العبادة، وتركت عبادة من يستحقها.

٣٣) إني - يا قوم - صدقت بربي وربكم جميعًا فاسمعوني، فلا أبالي بما تهددونني به من القتل، فما كان من قومه إلا أن قتلوه، فأدخله الله الجنة.

٣٤) قيل تكريمًا لهذا الرجل بعد أن قتله قومه: ادخل الجنة بعد قتلك شهيدًا، فلما دخلها وشاهد ما فيها من النعيم قال متمنيًا: يا ليت قومي الذين كذبوني وقتلوني يعلمون بما حصل لي من مغفرة الذنوب، وبما أكرمني به ربي؛ ليؤمنوا مثلما أمنت، وينالوا جزءًا مثل جزائي.

٣٥) قولوا من الآيات:

١ - أهمية القصص في الدعوة إلى الله. ٢ - الطيرة والتشاؤم من أعمال الكفر. ٣ - النصح لأهل الحق واجب.

٤ - حب الخير للناس صفة من صفات أهل الإيمان.

﴿٢٨﴾ وما احتجنا في إهلاك قومه الذين كذبوه وقتلوه إلى جند من الملائكة نزلهم من السماء، فأمرهم أيسر عندنا من ذلك، فقد قدرنا أن يكون هلاكهم بصيحة من السماء، وليس بإنزال ملائكة العذاب.

﴿٢٩﴾ فما كانت قصة إهلاك قومه إلا صيحة واحدة أرسلناها عليهم فإذا هم صرعى لم تبق منهم باقية، مثلهم كنار كانت مشتعلة فانطفأت، فلم يبق لها أثر.

﴿٣٠﴾ يا ندامة العباد المكذبين وحسرتهم يوم القيامة حين يشاهدون العذاب، ذلك أنهم كانوا في الدنيا ما يأتهم من رسول من عند الله إلا كانوا يسخرون منه ويستهزئون به، فكان عاقبتهم الندامة يوم القيامة على ما فرطوا في جنب الله.

﴿٣١﴾ ألم ير هؤلاء المكذبون المستهزون بالرسول عبرة فيمن سبقهم من الأمم؟ فقد ماتوا، ولن يرجعوا إلى الدنيا مرة أخرى، بل أفضوا إلى ما قدموا من أعمال، وسيجازيهم الله عليها.

﴿٣٢﴾ وليس جميع الأمم دون استثناء إلا مُحَضَّرِينَ عندنا يوم القيامة بعد بعثهم لنجازيهم على أعمالهم.

﴿٣٣﴾ وعلامة للمكذبين بالبعث أن البعث حق: هذه الأرض اليابسة المجدبة أنزلنا عليها المطر من السماء، فأنبثنا فيها من أصناف النبات وأخرجنا فيها من أصناف الحبوب ليأكلها

﴿٢٨﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَنُودٌ ﴿٢٩﴾ يَحْسُرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لُحْمٍ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

الناس، فالذي أحيا هذه الأرض بإنزال المطر وإخراج النبات قادر على إحياء الموتى وبعثهم.

﴿٣٤﴾ وصيرنا في هذه الأرض التي أنزلنا عليها المطر بساتين من النخيل والعنب، وفجرنا فيها من عيون الماء ما يسقيها. ليأكل الناس من ثمار تلك البساتين ما أنعم الله به عليهم، ولم يكن لهم سعي فيه، أفلا يشكرون الله الذي أعطاهم كل ذلك تفضلاً منه ورحمة بهم بعبادته وحده والإيمان برسله؟! ﴿٣٥﴾

﴿٣٦﴾ تقديس الله وتعالى الذي أنشأ الأصناف من النبات والأشجار، ومن أنفس الناس حيث أنشأ الذكور والإناث، وما لا يعلم الناس من مخلوقات الله الأخرى في البر والبحر وغيرها.

﴿٣٧﴾ ودلالة للناس على توحيد الله أنا نذهب الضياء بذهاب النهار ومجيء الليل حين تنزع النهار منه، ونأتي بالظلمة بعد ذهاب النهار، فإذا الناس داخلون في ظلام.

﴿٣٨﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله هذه الشمس التي تجري لمستقر يعلم الله قدره لا تتجاوز، ذلك التقدير العزيز الذي لا يغالبه أحد، العليم الذي لا يخفى عليه شيء من أمر مخلوقاته.

﴿٣٩﴾ وآية لهم دالة على توحيد هذا القمر الذي قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ صغيراً ثم يكبر ثم يصغر حتى يصير مثل عذق النخلة المُتَمَرِّجِ المُتَدَرِّسِ في رفته وانحنائه وصفوته وقدمه.

﴿٤٠﴾ وآيات الشمس والقمر والليل والنهار مقدره بتقدير الله، فلا تتجاوز ما قدر لها، فلا الشمس يمكن أن تلحق بالقمر لتغيير مسراه أو إذهاب نوره، ولا الليل يمكنه أن يسبق النهار ويدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل هذه المخلوقات المسخرة وغيرها من الكواكب والمجرات لها مساراتها الخاصة بها بتقدير الله وحفظه.

﴿٤١﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - لا رجعة لأحد إلى الدنيا بعد الموت. ٢ - من الأدلة على البعث إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر، وإخراج الحب منه.

﴿٤١﴾ وعلامة لهم على وحدانية الله كذلك وإنعامه على عباده أنا حملنا من نجا من الطوفان من ذرية آدم زمن نوح في السفينة المملوءة بمخلوقات الله، فقد حمل الله فيها من كل جنس زوجين.

﴿٤٢﴾ وعلامة لهم على توحيده وإنعامه على عباده أنا خلقنا لهم من مثل سفينة نوح مراكب، وبعض أنواع الحيوان يقطعون عليها المسافات البعيدة.

﴿٤٣﴾ ولو أردنا إغراقهم أغرقناهم، فلا مغيث يغيثهم إن أردنا إغراقهم، ولا منقذ ينقذهم إذا غرقوا بأمرنا وقضائنا.

﴿٤٤﴾ إلا أن نرحمهم بإنجائهم من الغرق وإعادتهم ليتمتعوا إلى أجل محدد لا يتجاوزونه، لعلمهم يعتبرون فيؤمنون.

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لهؤلاء المشركين المعرضين عن الإيمان: احذروا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة وشدائدها، واحذروا الدنيا المذبذبة رجاء أن يمن الله عليكم برحمته؛ لم يمتثلوا لذلك، بل يعرضون عنه غير مباليين به.

﴿٤٦﴾ وكلما جاءت هؤلاء المشركين المعاندين آيات الله الدالة على توحيده واستحقاقه للإفراد بالعبادة، كانوا يعرضون عنها غير معتبرين بها.

﴿٤٧﴾ وإذا قيل لهؤلاء المعاندين: ساعدوا الفقراء والمساكين من الأموال التي رزقكم الله

﴿٤١﴾ وَعَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَسْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا يَصْرِحُ لَهُمْ وَلَا هُمْ بِنَجْدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا نَأْتِعُكُمْ مِنْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٥٢﴾ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنْ كُنَّا إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا يَوْمَ لَا تَنْظُمُ نَفْسٌ شَيْعًا وَلَا تَنْجُزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

من ذلك قوله

إياها، ردوا مستنكرين قائلين للذين آمنوا: أنطعم من لو يشاء الله إطعامه لأطعمه؟! فنحن لا نخالف مشيئته، ما أتم - أيها المؤمنون - إلا في خطأ واضح وبعُد عن الحق.

﴿٤٨﴾ ويقول الكفار المنكرون للبعث مكذابين به مستعدين له: متى هذا البعث إن كنتم - أيها المؤمنون - صادقين في دعوى أنه واقع؟ ما ينتظر هؤلاء المكذبون بالبعث المستعدون له إلا النفخة الأولى حين ينفخ في الصور، فتبغثهم هذه الصيحة وهم في مشاغلهم الدنيوية من بيع وشراء وسقي ورعي وغيرها من مشاغل الدنيا.

﴿٤٩﴾ فلا يستطيعون عندما تفجأهم هذه الصيحة أن يوصي بعضهم بعضاً، ولا يستطيعون الرجوع إلى منازلهم وأهلهم، بل يموتون وهم في مشاغلهم هذه.

﴿٥١﴾ ونُفِخَ في الصور النفخة الثانية للبعث، فإذا هم يخرجون جميعاً من قبورهم إلى ربهم يسرعون للحساب والجزاء. قال هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث نادمين: يا خسارتنا، من الذي بعثنا من قبورنا؟ فيجابون عن سؤالهم: هذا ما وعد الله به فإنه لا بد واقع، وصدق المرسلون فيما بلغوه عن ربهم من ذلك.

﴿٥٢﴾ ما كان أمر البعث من القبور إلا أثرًا عن نفخة ثانية في الصور، فإذا جميع المخلوقات مُحْضَرَةً عندنا يوم القيامة للحساب. يكون الحكم بالعدل في ذلك اليوم، فلا تظلمون - أيها العباد - شيئاً بزيادة سيئاتكم أو نقصان حسناتكم، وإنما توفون جزاء ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا.

﴿٥٥﴾ فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - من أساليب تربية الله لعباده أنه جعل بين أيديهم الآيات التي يستدلون بها على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. ٢ - الله تعالى مَكِّنَ العباد، وأعطاهم من القوة ما يقدرون به على فعل الأمر واجتناب النهي، فإذا تركوا ما أمروا به، كان ذلك اختياراً منهم. ٣ - في يوم القيامة يتجلى لأهل الإيمان من رحمة ربهم ما لا يخطر على بالهم.

إِنْ أَصْحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّيلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِحُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِحُهُمْ وَهُمْ مَآيِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْ يَبْصُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيُحِقِّ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٥٥﴾ إن أصحاب الجنة في هذا اليوم الذي هو يوم القيامة مشغولون عن التفكير في غيرهم؛ لما شاهدوه من النعيم المقيم، والفوز العظيم، فهم يتفكهون في ذلك مسرورين.

﴿٥٦﴾ هم وأزواجهم يتنعمون على الأسرة تحت ظلال الجنة الوارفة.

﴿٥٧﴾ لهم في هذه الجنة أنواع من الفواكه الطيبة من العنب والتين والرمان، ولهم كل ما يطلبون من الملائكة وأنواع النعيم، فما طلبوه من ذلك حاصل لهم.

﴿٥٨﴾ ولهم فوق هذا النعيم سلام حاصل لهم، قولاً من رب رحيم بهم، فإذا سلم عليهم حصلت لهم السلامة من كل الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها.

﴿٥٩﴾ ويقال للمشركين يوم القيامة: تميزوا عن المؤمنين، فلا يليق بهم أن يكونوا معكم لتباين جزائكم مع جزائهم وصفاتكم مع صفاتهم.

﴿٦٠﴾ ألم أوصمكم وأمركم على السنة رسلي وأقل لكم: يا بني آدم، لا تطيعوا الشيطان بارتكاب أنواع الكفر والمعاصي، إن الشيطان لكم عدو واضح العداوة، فكيف لعافل أن يطيع عدوه الذي تظهر له عداوته؟!

﴿٦١﴾ وأمرتمكم - يا بني آدم - أن تعبدوني وحدي، لا تشركون بي شيئاً فعبادتي وحدي وطاعتي طريق مستقيم يؤدي إلى رضاي ودخول الجنة، لكنكم لم تمتثلوا ما أوصيتكم وأمرتم به من ذلك.

﴿٦٢﴾ ولقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً، أفلم تكن لكم عقول تأمركم بطاعة ربكم وعبادته وحده سبحانه، وتحذركم من طاعة الشيطان الذي هو عدو واضح العداوة لكم؟

﴿٦٣﴾ هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم، وكانت غيباً عنكم، وأما اليوم فما أنتم تشاهدونها رأي العين. ادخلوها اليوم، وعانوا من حرها ماكنين فيها أبداً بسبب كفركم بالله في حياتكم الدنيا.

﴿٦٤﴾ اليوم نطبع على أفواههم فيصبرون خرساً لا يتكلمون بإنكار ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي، وتكلمنا أيديهم بما عملت به في الدنيا، وتشهد أرجلهم بما كانوا يرتكبون من المعاصي ويمشون إليها.

﴿٦٥﴾ ولو نشاء إذهب أبصارهم لأذهباها فلم يبصروا، كما طبعنا على أفواههم فلم يتكلموا، فاستبقوا إلى الصراط ليعبروا منه إلى الجنة، فبعيد أن يعبروا وقد ذهبت أبصارهم. ﴿٦٦﴾ ولو نشاء تغيير خلقهم وإقعادهم على أرجلهم لتغيرنا خلقهم وأعدناهم على أرجلهم، فلا يستطيعون أن يبرحوا مكانهم، ولا يستطيعون ذهاباً إلى أمام، ولا رجوعاً إلى وراء. ﴿٦٧﴾ ومن نمداً في حياته من الناس بإطالة عمره نرجعه إلى مرحلة الضعف، أفلا يتفكرون بعقولهم، ويدركون أن هذه الدار ليست دار بقاء ولا خلود، وأن الدار الباقية هي دار الآخرة. ﴿٦٨﴾ وما علمنا محمداً ﷺ الشعر، وما ينبغي له ذلك؛ لأنه ليس من طبعه، ولا تقتضيه جبلته حتى يصح لكم ادعاء أنه شاعر، ليس الذي علمناه إلا ذكراً وقرآناً واضحاً لمن تأمله، وليس شعراً. ﴿٦٩﴾ لينذر من كان حي القلب مستنير البصيرة، فهو الذي ينتفع به، ويحق العذاب على الكافرين، لما قامت عليهم الحجة بإزاله وبلوغ دعوته إليهم، فلم يبق لهم عذر يعتدرون به.

﴿٧٠﴾ فإرسلنا الآيات: ١ - أهل الجنة في شغل يسرهم، من كل ما تهواه النفوس، وتلذذ العيون، ويتمناه المتمدنون. ٢ - ذو القلب هو الذي يزكو بالقرآن، ويزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية. ٣ - أعضاء الإنسان - التي كانت عوناً لصاحبها في الدنيا - تصير يوم القيامة شاهدة عليه.

﴿٧٦﴾ أولم يروا أنا خلقنا لهم أنعامًا، فهم لأمر تلك الأنعام مالكون يتصرفون فيها بما تقتضيه مصالحهم.

﴿٧٧﴾ وسخرناها لهم وجعلناها منقادة لهم، فعلى ظهور بعضها يركبون ويحملون أثقالهم، ومن لحوم بعضها يأكلون.

﴿٧٨﴾ ولهم فيها منافع غير ركوب ظهورها والأكل من لحومها؛ مثل أصوافها وأوبارها وأشعارها وأثمانها؛ فمنها يصنعون فرشًا ولباسًا، ولهم فيها مشارب حيث يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي منّ عليهم بهذه النعم وغيرها؟

﴿٧٩﴾ واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها رجاء أن تصرفهم فتتقدمهم من عذاب الله.

﴿٨٠﴾ تلك الآلهة التي اتخذوها لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر من يعبدونهم من دون الله، وهم وأصنامهم جميعًا مُحضرون في العذاب يتبرأ كل منهم من الآخر.

﴿٨١﴾ فلا يحزنك - أيها الرسول - قولهم: إنك لست مرسلًا، أو إنك شاعر، وغير ذلك من بهتانهم، إنا نعلم ما يخفون من ذلك وما يظهرون، لا يخفى علينا منه شيء، وسنجازيهم عليه.

﴿٨٢﴾ أولم يفكر الإنسان الذي ينكر البعث بعد الموت أنا خلقناه من مني، ثم مر بأطوار حتى ولد وتربى، ثم صار كثير الخصام والجدال، ألم ير ذلك ليستدل به على إمكان وقوع البعث؟

﴿٨٣﴾ غفل هذا الكافر وجهل حين استدل بالعظام البالية على استحالة البعث، فقال: من يعيدها؟ وغاب عنه خلقه هو من العدم.

﴿٨٤﴾ قل - يا محمد - مجيبًا إياه: يحيي هذه العظام البالية من خلقها أول مرة، فمن خلقها أول مرة لا يعجز عن إعادة الحياة إليها، وهو سبحانه بكل خلق عليم، لا يخفى عليه منه شيء.

﴿٨٥﴾ الذي جعل لكم - أيها الناس - من الشجر الأخضر الرطب نارًا تستخرجونها منه فإذا أنتم توقدون منه نارًا، فمن جمع بين ضدين - بين رطوبة ماء الشجر الأخضر، والنار المشتعلة فيه - قادر على إحياء الموتى.

﴿٨٦﴾ أو ليس الذي خلق السموات والأرض على ما فيهما من عظم بقادر على إحياء الموتى بعد إماتتهم؟ بلى، إنه لقادر عليه، وهو الخالق الذي خلق جميع المخلوقات، العليم بها، فلا يخفى عليه منها شيء.

﴿٨٧﴾ إنما أمر الله وشأنه سبحانه أنه إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن، فيكون ذلك الشيء الذي يريده، ومن ذلك ما يريده من الإحياء والإماتة والبعث وغيرها.

﴿٨٨﴾ فتزده الله وتقصد عما ينسبه إليه المشركون من العجز، فهو الذي له ملك الأشياء كلها يتصرف فيها بما يشاء، ويده مفاتيح كل شيء، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٨٩﴾ فإذ من الآيات: ١ - من فضل الله ونعمته على الناس تذييل الأنعام لهم، وتسخيرها لمنافعهم في الركوب، وأكل لحومها وشرب ألبانها. ٢ - من صفات الله تعالى أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا

مَلَائِكُونَ ﴿٧٦﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُمُونَ ﴿٧٧﴾

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَأَتَّخِذُوا

مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يَبْصُرُونَ ﴿٧٩﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ

نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ

إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْتُرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨١﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا

خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٨٢﴾ وَصَرَبْنَا

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٨٣﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

﴿٨٤﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ

مِنهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٥﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٧﴾

فَسَبِّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَائِكَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًا ١ فَالترجبت زجرًا ٢ فَالتليبت ذكرا ٣

● مقصد السورة :
تركز على قضية تنزيه الله عما نسب إليه المشركون ، وإبطال مزاعمهم في الملائكة والجن .

● التفسير :

١ أقسم بالملائكة تصف في عبادتها مراضة .

٢ وأقسم بالملائكة تزجر السحاب ، وتسوقه إلى حيث يشاء الله له أن ينزل . ٣ وأقسم بالملائكة يتلون القرآن . ٤ إن معبودكم بحق - أيها الناس - لوحد لا شريك له ، وهو الله .

٥ رب السموات ، ورب الأرض ، ورب ما بينهما ، ورب الشمس في مطالعها ومغاربها طول السنة . ٦ إنا جئنا أقرب السماوات

إلى الأرض بزينة جميلة هي الكواكب التي هي في النظر كالجواهر المتألثة . ٧ وحفظنا السماء الدنيا بالنجوم من كل شيطان متمرد خارج عن الطاعة ؛ فيزيم بها . ٨ لا يستطيع هؤلاء الشياطين أن يسمعو الملائكة في السماء إذا تكلموا بما يوحيه إليهم ربهم من شرعه ولا من قدره ، ويرمون بالشهب من كل جانب . ٩

طردًا لهم وإبعادًا عن الاستماع إليهم ، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم دائم لا ينقطع . ١٠ إلا من اختطف من الشياطين خطفة ، وهي كلمة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم مما لم يصل علمه إلى أهل الأرض ، فيتبعه شهاب مضيء

يحرقه ، وربما يلقي تلك الكلمة قبل أن يحرقه الشهاب إلى إخوانه فنصل إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة .

١١ فاسأل - يا محمد - الكفار المنكرين للبعث : أهم أشد خلقًا وأقوى أجسامًا وأعظم أعضاء ممن خلقنا من السماوات والأرض والملائكة؟ إنا خلقناهم من طين لزج ، فكيف ينكرون البعث ، وهم مخلوقون من خلق ضعيف وهو الطين اللزج؟ ١٢ بل عجب - يا محمد - من قدرة الله وتدبيره لشؤون خلقه ، وعجب من تكذيب المشركين بالبعث ، وهؤلاء المشركون من شدة تكذيبهم بالبعث يسخرون مما تقول بشأنه . ١٣ وإذا وعظ هؤلاء المشركون بموعظة من المواعظ لم يتعضوا بها ، ولم ينتفعوا ؛ لما هم عليه من قساوة القلوب . ١٤ وإذا شاهدوا معجزة من معجزات النبي ﷺ الدالة على صدقه بالغوا في السخرية والتعجب منها . ١٥ وقالوا : ما هذا الذي جاء به محمد إلا سحر واضح . ١٦ فإذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية متفتتة إنا لمبعوثون أحياء بعد ذلك؟ إن هذا لمستبعد . ١٧ أو يبعث أبوانا الأولون الذين ماتوا قبلنا؟ قل - يا محمد - مجيبًا إياهم : نعم تبعثون بعد أن صرتم ترابًا وعظامًا بالية ، ويبعث أبواكم الأولون ، تبعثون جميعًا وأنتم صاغرون ذليلون . ١٨ فإنما هي نفخة واحدة في الصور (النفخة الثانية) فإذا هم جميعًا ينظرون إلى أهوال يوم القيامة يتربقون ما يفعل الله بهم . ١٩ وقال المشركون المكذبون بالبعث : يا هلاكنا هذا يوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على ما قدموا في حياتهم الدنيا من عمل . ٢٠ فيقال لهم : هذا يوم القضاء بين العباد الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به في الدنيا . ٢١ ويقال للملائكة في ذلك اليوم : اجتمعوا المشركين الظالمين بشركهم هم وأشباهم في الشرك والمشايعون لهم في التكذيب ، وما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام ، فعرّفوهم طريق النار ودلوهم عليها وسوقوهم إليها ، فإنها مصيرهم . ٢٢ واحبسوهم قبل إدخالهم النار للحساب ، فهم مسؤولون ، ثم بعد ذلك سوقوهم إلى النار .

٢٣ فوالذين الآيات : ١ - تزئين السماء الدنيا بالكواكب لمتافع ؛ منها : تحصيل الزينة ، والحفظ من الشيطان المارد . ٢ - إثبات الصراط ؛ وهو جسر ممدود على متن جهنم يعبره أهل الجنة ، وتزل به أقدام أهل النار .

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٢٤ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٢٥ وقوفوهم إنهم مستوثون ٢٦

● يوم الدين ٢٧ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٢٨

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٢٩ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٣٠ وقوفوهم إنهم مستوثون ٣١

● يوم الدين ٣٢ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٣٣

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٣٤ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٣٥ وقوفوهم إنهم مستوثون ٣٦

● يوم الدين ٣٧ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٣٨

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٣٩ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٤٠ وقوفوهم إنهم مستوثون ٤١

● يوم الدين ٤٢ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٤٣

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٤٤ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٤٥ وقوفوهم إنهم مستوثون ٤٦

● يوم الدين ٤٧ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٤٨

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٤٩ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٥٠ وقوفوهم إنهم مستوثون ٥١

● يوم الدين ٥٢ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٥٣

● أحشروا الذين ظلموا وأزوجهم مما كانوا يعبدون ٥٤ من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ٥٥ وقوفوهم إنهم مستوثون ٥٦

● يوم الدين ٥٧ هذا يوم الفصل الذي كثر به تكذيبوك ٥٨

١٥) ويقال لهم توبياً لهم: ما بالكم لا ينصر بعضهم بعضاً كما كنتم في الدنيا تتناصرون، وترغمون أن أصنامكم تنصركم؟ (١٦) بل هم اليوم متفادون لأمر الله ذليلون، لا ينصر بعضهم بعضاً لعجزهم وقلة حيلتهم. (١٧) وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون حين لا ينفع التلاوم والتخاصم. (١٨) قال الأتباع للمتبعين: إنكم - يا كبراءنا - كنتم تأتوننا من جهة الدين والحق فتزبون لنا الكفر والشرك بالله وارتكاب المعاصي، وتفروننا من الحق الذي جاءت به الرسل من عند الله. (١٩) قال المتبعون للأتباع: ليس الأمر - كما زعمتم - بل كنتم على الكفر ولم تكونوا مصدقين، بل كنتم منكرين. (٢٠) وما كان لنا عليكم أيها الأتباع، من تسلط بقهر أو غلبة حتى نوقعكم في الكفر والشرك وارتكاب المعاصي، بل كنتم قوماً متجاوزين الحد في الكفر والضلال، ولم تكن نحن الذين أضللناكم. (٢١) فوجب علينا وعليكم وعيد الله في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أجمعين﴾ [ص: ٨٥]، ومن ثم فإننا ذائقون - لا محالة - ما توعده ربنا. (٢٢) فدعوناكم إلى الضلال والكفر، إنا كنا ضالين عن طريق الهدى، فما كان منكم إلا أن اتبعتمونا لما كنتم عليه من قابلية الكفر والاستعداد للضلال. (٢٣) فإن الأتباع والمتبعين في العذاب يوم القيامة مشتركون، لا يعني بعضهم عن بعض شيئاً؛ لأنهم كانوا مشتركين في الدنيا في الضلال والكفر. (٢٤) إنا كما فعلنا بهؤلاء من

١٥) ما لكم لا تناصرون (١٥) بل هؤا اليوم مستسلمون (١٦) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (١٧) قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين (١٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (١٩) وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاعينين (٢٠) فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون (٢١) فأغويتكم إنا كنا غويين (٢٢) فاتمهم يومئذ في العذاب مشتركون (٢٣) إنا كذلك نفعل بالمجرمين (٢٤) إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٢٥) ويقولون إنا لتاركواء الهتنا لشاعر مجنون (٢٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٢٧) إنكم لذائقوا العذاب الأليم (٢٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٢٩) الإعباد لله المخلصين (٣٠) أولئك لهم رزق معلوم (٣١) فواكه وهم مكرمون (٣٢) في جنات النعيم (٣٣) على سرر متقابلين (٣٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٣٥) بيضاء لذة للشربين (٣٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٣٧) وعندهم قصرات أنظر عيون (٣٨) كأنهن بيض مكنون (٣٩) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٤٠) قال قائل منهم إني كان لي قرين (٤١)

إذاقتهم العذاب، نفعل بالمجرمين من غيرهم، فشرك تابعهم ومتبعهم في العذاب كل بحسب ما يستحقه من العذاب. (٢٥) إن هؤلاء المشركين كانوا إذا قيل لهم في الدنيا: لا إله إلا الله للعمل بمقتضاها وترك ما يخالفها رفضوا الاستجابة لذلك والإذعان له تكبراً عن الحق وترفعاً عليه. (٢٦) ويقولون محتجين لكفرهم: أترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يعنون بقولهم هذا: رسول الله ﷺ. (٢٧) لقد أعظموا الفرية، فما كان رسول الله ﷺ مجنوناً ولا شاعراً، بل جاء بالقرآن الداعي إلى توحيد الله واتباع رسوله، وصدق المرسلين فيما جاؤوا به من عند الله من التوحيد وإثبات المعاد، ولم يخالفهم في شيء. (٢٨) إنكم - أيها المشركون - لذائقوا العذاب الموجه يوم القيامة بسبب كفركم وتكذيبكم للرسل. (٢٩) وما تجزون - أيها المشركون - إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله وارتكاب المعاصي. (٣٠) لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم الله لعبادته، وأخلصوا له العبادة، هم بمنجاة من هذا العذاب. (٣١) أولئك العباد المخلصون لهم رزق يرزقهم الله إياه، معلوم في طيبه وحسنه ودوامه. (٣٢) ومن هذا الرزق أنهم يرزقون فواكه من أطيب ما يأكلونه ويشتهونه، وهم فوق ذلك مكرمون برفع الدرجات ويالنظر إلى وجه الله الكريم. (٣٣) كل ذلك يتألونه في جنات النعيم المقيم الثابت الذي لا ينقطع ولا يزول. (٣٤) يتكئون على أسرة متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض، ويسر كل منهم بقاء أخيه. (٣٥) يدار عليهم بكؤوس الخمر التي هي في صفائها كالماء الجاري. (٣٦) بيضاء اللون يلتذ بشربها من يشربها لذة كاملة. (٣٧) ليست كخمر الدنيا، فليس فيها ما يذهب العقول من السكر، ولا يتباب متعاطيها صداع، يسلم لشاربها جسمه وعقله. (٣٨) وعندهم في الجنة نساء عفيفات، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، حسان العيون. (٣٩) كأنهن في بياض ألوانهن المشوبة بصفرة بيض نعام مستور بالريش من الرياح والغبار، مصون لم تمسه الأيدي. (٤٠) فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون عن ماضيهم وما حدث لهم في الدنيا. (٤١) قال قائل من هؤلاء المؤمنين: إني كان لي في الدنيا صاحب مكر للبعث.

١) سبب عذاب الكافرين: العمل المنكر؛ وهو الشرك والمعاصي. ٢) من نعيم أهل الجنة أنهم نعموا باجتماع بعضهم مع بعض، ومقابلة بعضهم مع بعض، وهذا من كمال السرور.

٥٢ يقول لي منكراً وساخراً: هل أنت - أيها الصديق - من المصدقين ببعث الأموات؟
 ٥٣ إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً إننا لمبعوثون ومجازون على أعمالنا التي عملناها في الدنيا؟
 ٥٤ قال قرينه المؤمن لأصحابه من أهل الجنة: أطلعوا معي لنرى مصير ذلك القرين الذي كان ينكر البعث؟

٥٥ فاطلع هو فرأى قرينه في وسط جهنم.
 ٥٦ قال: تالله لقد قاربت - أيها القرين - أن تهلكني بدخول النار بدعوتك لي إلى الكفر وإنكار البعث.
 ٥٧ ولولا إنعام الله علي بالهداية للإيمان والتوفيق له، لكنت من المحضرين إلى العذاب مثلك.
 ولما أنهى كلامه مع قرينه من أهل النار توجه إلى خطاب قرنائه من أهل الجنة فقال:
 ٥٨ فلسنا نحن - أصحاب الجنة - بميتين،
 ٥٩ غير موتتنا الأولى في الحياة الدنيا، بل نحن مخلدون في الجنة، ولسنا بمعذبين كما يعذب الكفار.

٦٠ إن هذا الذي جازانا به ربنا - من دخول الجنة والخلود فيها والسلامة من النار - لهو الظفر العظيم الذي لا ظفر يساويه.
 ٦١ لمثل هذا الجزاء العظيم يجب أن يعمل العاملون، فإن هذا هو التجارة الرابعة. ٦٢
 ٦٣ ذلك النعيم المذكور الذي أعده الله لعباده الذين

يَقُولُ أَهِنَّكَ لِمَنِ الْمُسَدِّقِينَ ٥٢ أَهَذَا آمِنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَهِنَّكَ لِمَدِينُونَ ٥٣ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ٥٦ وَلَوْلَا بِعْثُهُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنْ هَذَا إِلَّا مَوَاقِفُ الْعُظْمِ ٦٠ لِيُمِثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ٦١ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ٦٥ فَأَيُّهَا لَّا يَكُونُ مِنْهَا لِقْوٌ لِّلَّذِينَ فِي الْبُطُونِ ٦٦ ثُمَّ إِنَّا لَنَهْمُ عَلَيْهَا لَشَوْبَانًا مِنْ جِيمِ ٦٧ ثُمَّ إِنَّا مَرَجَعَهُمْ لِآلِ الْجَحِيمِ ٦٨ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِينَ ٦٩ فَهَمُّ عَلَى آثَرِهِمْ مَهْرَعُونَ ٧٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ٧١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ٧٢ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ٧٣ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ٧٤ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمِ الْمَجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٧٦

أخلصهم لطاعته خير وأفضل مقاماً وكرامة، أم شجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي هي طعام الكفار الذي لا يسمن ولا يغني من جوع؟ ٦٣ إنا صبرنا هذه الشجرة فتنة يفتن بها الظالمون بالكفر والمعاصي، حيث قالوا: إن النار تأكل الشجر، فلا يمكن أن يثبت فيها. ٦٤ إن شجرة الزقوم شجرة خبيثة المنيبت، فهي شجرة تخرج في قعر الجحيم. ٦٥ ثمرها الخارج منها كريحه المنظر كأنه رؤوس الشياطين، وقبح المنظر دليل على قبح المخبر، وهذا يعني أن ثمرها خبيث الطعم. ٦٦ فإن الكفار لآكلون من ثمرها المر القبيح، ومالتون منه بطونهم الخاوية. ٦٧ ثم إنهم بعد أكلهم منها لهم شراب خليط قبيح حار. ٦٨ ثم إن رجوعهم بعد ذلك لإلى عذاب الجحيم، فهم ينتقلون من عذاب إلى عذاب. ٦٩ إن هؤلاء الكفار وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهداية، فتأسوا بهم تقليداً لا عن حجة. ٧٠ فهم يتبعون آثار آبائهم في الضلالة مسرعين كأنهم يُزْعَجُونَ إلى اتباعهم إزعاجاً، ويجبرون عليه إجباراً. ٧١ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين، فليس قومك - أيها الرسول - أول من ضل من الأمم. ٧٢ ولقد أرسلنا في تلك الأمم الأولى رسلاً يخوفونهم من عذاب الله، فكفروا. ٧٣ فانظر - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الأقسام الذين أنذرتهم رسلكم فلم يستجيبوا لهم، إن نهايتهم كانت دخول النار خالدين فيها بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلكم. ٧٤ إلا من أخلصهم الله للإيمان به وتوحيده، فإنهم ناجون من العذاب الذي كان نهاية أولئك المكذبين الكافرين. ٧٥ ولقد دعانا نبينا نوح عليه السلام حين دعا على قومه الذين كذبوه، فلنعم المجيبون نحن، فقد سارعنا في إجابة دعائه عليهم. ٧٦ ولقد سلمناه وأهل بيته والمؤمنين معه من أذى قومه ومن الغرق بالطوفان العظيم المرسل على الكافرين من قومه.

٧٧ فإِذَا مِنْ آيَاتٍ: ١ - الظفر بنعيم الجنان هو الفوز الأعظم، ولمثل هذا العطاء والفضل ينبغي أن يعمل العاملون. ٢ - إن طعام أهل النار هو الزقوم الثمر المر الكريه الطعم والرائحة، العسير البلع، المؤلم الأكل. ٣ - أجاب الله تعالى دعاء نوح عليه السلام بإهلاك قومه، والله نعم المقصود المجيب.

﴿٧٧﴾ وَنَجِّنَا أَهْلَهُ وَأَتْبَاعَهُ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدَّاهُمْ، فَقَدْ
أَغْرَقْنَا غَيْرَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ .

﴿٧٨﴾ وَأَبْقَيْنَا لَهُ فِي الْأُمَمِ اللَّاحِقَةِ ثَنَاءً حَسَنًا
يُثْنُونَ بِهِ عَلَيْهِ .

﴿٧٩﴾ أَمَانَ وَسَلَامًا لِنُوحٍ مِنْ أَنْ يُقَالَ فِيهِ سُوءٌ فِي
الْأُمَمِ اللَّاحِقَةِ، بَلْ سَبِقِيَ لَهُ الثَّنَاءُ وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ .

﴿٨٠﴾ إِنْ مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الَّذِي جَازَيْنَا بِهِ نُوحًا ﷺ
نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ عِبَادَتَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

﴿٨١﴾ إِنْ نُوحًا مِنْ عِبَادِنَا الْمُصَدِّقِينَ الْعَامِلِينَ
بِطَاعَةِ اللَّهِ .

﴿٨٢﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْبَاقِينَ بِالطُّوفَانِ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ
عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

﴿٨٣﴾ وَإِنْ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ الَّذِينَ وَافَقُوهُ فِي
الدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ .

﴿٨٤﴾ فَاذْكَرْ حِينَ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنَ الشَّرْكِ
وَمِنَ الشُّكِّ نَاصِحٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ .

﴿٨٥﴾ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ الْمُشْرِكِينَ مَوْجِبًا
لَهُمْ: مَا الَّذِي تَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟

﴿٨٦﴾ أَتُرِيدُونَ - يَا قَوْمَ - آلِهَةً تَعْبُدُونَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ لِمَجْرَدِ الْإِفْكَ الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ الْكُذْبِ؟

﴿٨٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ - يَا قَوْمَ - بِرَبِّ الْعَالَمِينَ إِذَا
لَقِيتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟ وَمَاذَا تَرَوْنَهُ صَانِعًا

بِكُمْ؟ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ يَدْبُرُ
مَكِيدَةً لِلتَّلْخُصِّ مِنَ الْخُرُوجِ مَعَ قَوْمِهِ . ﴿٨٩﴾ فَقَالَ

مَتَعَلِّلاً عَنِ الْخُرُوجِ مَعَ قَوْمِهِ إِلَى عِبَادَتِهِمْ: إِنِّي
مَرِيضٌ . ﴿٩٠﴾ فَتَرَكُوهُ وَرَاءَهُمْ وَذَهَبُوا . ﴿٩١﴾ فَمَالَ إِلَى آلِهِتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَقَالَ سَاحِرًا مِنْ آلِهِتِهِمْ: أَلَا

تَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يَصْنَعُهُ الْمُشْرِكُونَ لَكُمْ؟ ﴿٩٢﴾ مَا شَأْنُكُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ، وَلَا تَجِيبُونَ مَنْ يَسْأَلُكُمْ؟ أَمْثَلُ هَذَا يُعْبَدُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ ﴿٩٣﴾ فَمَالَ عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ يَضْرِبُهُمْ بِيَدِهِ الِيمْنَى لِيَكْسِرَهُمْ . ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ عِبَادَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ يَسْرِعُونَ . ﴿٩٥﴾

فَقَابَلَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بِثَبَاتٍ، وَقَالَ لَهُمْ مَوْجِبًا إِيَابَهُمْ: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً أَنْتُمْ تَتَحَنَّنُونَ بِأَيْدِيكُمْ؟ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهِ
سَبَّحَانَهُ خَلَقَكُمْ أَنْتُمْ، وَخَلَقَ عَمَلَكُمْ، وَمَنْ عَمَلَكُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ، فَهُوَ الْمَسْتَحَقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ، وَلَا يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ .

﴿٩٧﴾ فَلَمَّا عَجَزُوا عَنْ مَقَارَعَتِهِ بِالْحُجَّةِ لَجَّؤُوا إِلَى الْقُوَّةِ، فَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِيمَا يَقْعُلُونَهُ بِإِبْرَاهِيمَ، قَالُوا: ابْنَاؤُا لَهُ
بَنِيَانًا، وَامْلُؤُوهُ حَطْبًا وَأَضْرَمُوهُ، ثُمَّ ارْمُوهُ فِيهِ . ﴿٩٨﴾ فَأَرَادَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ بِإِبْرَاهِيمَ سُوءًا بَأَن يَهْلِكُوهُ فَيَسْتَرِيحُوا مِنْهُ،

فَصَيَّرْنَاهُمُ الْخَاسِرِينَ حِينَ جَعَلْنَا النَّارَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا . ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي تَارِكًا بِلَدِّ قَوْمِي
لَأَتَمَكَّنَ مِنْ عِبَادَتِهِ، سَيِّدِنِي رَبِّي عَلَيَّ مَا فِيهِ الْخَيْرُ لِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . ﴿١٠٠﴾ يَا رَبِّ، ارزُقْنِي وَلَدًا صَالِحًا يَكُونُ لِي

عَوْنًا وَعَوْضًا عَنِ قَوْمِي فِي الْغُرْبَةِ . ﴿١٠١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ دَعْوَتَهُ فَأَخْبَرْنَاهُ بِمَا يَسِرُهُ، حَيْثُ بَشَّرْنَاهُ بِوَلَدٍ كَبِيرٍ، وَيَصِيرُ حَلِيمًا،
وَهَذَا الْوَلَدُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ ﷺ . ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا شَبَّ إِسْمَاعِيلُ، وَأَدْرَكَ سَعِيَهُ سَعِي أَبِيهِ رَأَى أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ رُؤْيَا، وَرَوَّيَا الْأَنْبِيَاءَ

وَحْيًا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَخْبِرًا ابْنَهُ عَنْ فَحْوَى هَذِهِ الرُّؤْيَا: يَا بَنِي، إِنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فَانظُرْ مَا تَرَى فِي
ذَلِكَ، فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلُ أَبَاهُ قَائِلًا: يَا أَبِي، أَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْ ذَبْحِي، سَتَجِدُنِي مِنَ الصَّابِرِينَ الرَّاضِينَ بِحُكْمِ اللَّهِ .

﴿١٠٣﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - مِنْ مَظَاهِرِ الْإِنْعَامِ عَلَى نُوحٍ: نَجَاةُ نُوحٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، وَجَعَلَ ذَرْبَتَهُ أَصُولَ الْبَشَرِ وَالْأَعْرَاقِ
وَالْأَجْنَاسِ، وَإِبْقَاءُ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الْحَسَنِ . ٢ - مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسْلِ وَاحِدَةً؛ وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ،

وَالِى أَصُولِ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ . ٣ - أَعْمَالُ الْإِنْسَانِ يَخْلُقُهَا اللَّهُ وَيَفْعَلُهَا الْعَبْدُ بِاخْتِيَارِهِ . ٤ - مَشْرُوعِيَّةُ الْهَجْرَةِ
وَالْعَزَلَةِ إِذَا لَمْ يَتِمَكَّنِ الْمُسْلِمُ مِنْ إِقَامَةِ شَعَائِرِ دِينِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ . ٥ - الذَّبِيحُ بِحَسَبِ دَلَالَةِ هَذِهِ
الْآيَاتِ وَتَرْتِيبِهَا هُوَ إِسْمَاعِيلُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ أَوَّلًا، وَأَمَّا إِسْحَاقُ ﷺ فُشِّرَ بِهِ بَعْدَ إِسْمَاعِيلِ ﷺ .

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ
عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنْتُمْ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِن مِنْ
شَيْعَةٍ إِلَّا بِرَأْسِهِمْ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاءَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرِيضُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ
فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ
يَبْنِيْ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ
يَبْنَيتُ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٢﴾



﴿١٣٧﴾ فلما خضعنا لله وانقادا له، وضع إبراهيم ابنه على جانب جبهته لينفذ ما أمر به من ذبحه. ﴿١٣٨﴾ وناديننا إبراهيم وهو يهيمُ بتنفيذ أمر الله بذبح ابنه: أن يا إبراهيم. ﴿١٣٩﴾ قد حققت الرؤيا التي رأيتها في منامك بعزمك على ذبح ابنك، إنا - كما جزيناك بتخليصك من هذه المحنة العظيمة - نجزي المحسنين فنخلصهم من المحن والشدائد. ﴿١٤٠﴾ إن هذا لهو الاختبار الواضح، وقد نجح إبراهيم فيه. ﴿١٤١﴾ وفدينا إسماعيل بكبش عظيم بدلًا منه يذبح عنه. ﴿١٤٢﴾ وأبقينا على إبراهيم ثناء حسنًا في الأمم اللاحقة. ﴿١٤٣﴾ تحية من الله له، ودعاءً بالسلامة من كل ضر وأفة. ﴿١٤٤﴾ كما جازينا إبراهيم هذا الجزاء على طاعته نجازي المحسنين. ﴿١٤٥﴾ إن إبراهيم من عبادنا المؤمنين الذين يفون بما تقتضيه العبودية لله. ﴿١٤٦﴾ وبشرناه بولد آخر يصير نبياً وعبداً صالحاً وهو إسحاق؛ جزاءً على طاعته لله في ذبح إسماعيل ولده الوحيد. ﴿١٤٧﴾ وأنزلنا عليه وعلى ابنه إسحاق بركة منا، فأكثرنا لهما النعم، ومنها تكثير ولدتهما، ومن ذريتهما محسن بطاعته لربه، ومنهم ظالم لنفسه بالكفر وارتكاب المعاصي واضع الظلم. ﴿١٤٨﴾ ولقد مننا على موسى وأخيه هارون بالنبوة. ﴿١٤٩﴾ وسلمناهما وقومهما بني إسرائيل من استعباد فرعون لهم ومن الغرق. ﴿١٥٠﴾ ونصرناهم على فرعون وجنوده، فكانت الغلبة لهم على عدوهم. ﴿١٥١﴾ وأعطينا موسى وأخاه هارون التوراة كتاباً من عند الله واضحاً لا لبس فيه. ﴿١٥٢﴾ وهديناهما إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهو طريق دين الإسلام الموصلة إلى مرضاة الخالق سبحانه. ﴿١٥٣﴾ وأبقينا عليهما ثناء حسنًا وذكرًا طيباً في الأمم اللاحقة. ﴿١٥٤﴾ تحية من الله طيبة لهما وثناءً عليهما ودعاءً بالسلامة من كل مكروه. ﴿١٥٥﴾ إنا كما جازينا موسى وهارون هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين بطاعتهم لربهم. ﴿١٥٦﴾ إن موسى وهارون من عبادنا المؤمنين بالله العاملين بما شرع لهم. ﴿١٥٧﴾ وإن إلياس لمن المرسلين من ربه، أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة. ﴿١٥٨﴾ إذ قال لقومه الذين أرسل إليهم من بني إسرائيل: يا قوم، ألا تتقون الله؟ بامتثال أوامره، ومنها التوحيد، وابتعاد نواهيه، ومنها الشرك؟ ﴿١٥٩﴾ أتعبدون من دون الله صنمكم بعلًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين؟ ﴿١٦٠﴾ والله هوربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم من قبل، فهو المستحق للعبادة، لا غيره من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر. ﴿١٦١﴾ فوازم من الآيات: ١ - قول إسماعيل: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ سبب لتوفيق الله له بالصبر؛ لأنه جعل الأمر لله. ٢ - قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ دليل على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا في غاية التسليم لأمر الله تعالى.

﴿١٣٧﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣٧﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٣٨﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ هَذَا لَمَوْءَابِلْتَوُا الْمُئِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٤١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٤٢﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٣﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٤﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٥﴾ وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٦﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُمِيتٌ ﴿١٤٧﴾ وَلَقَدْ مَنَعْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٤٨﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٩﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْعَالِينَ ﴿١٥٠﴾ وَءَايَاتِنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٥١﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٥٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٥٣﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٥٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٥﴾ إِنَّهُمَا مِّن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦﴾ وَإِن إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٧﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥٩﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٦٠﴾

﴿١٣٧﴾ فما كان من قومه إلا أن كذبوه، وبسبب تكذيبهم فهم مُحضرون في العذاب.
 ﴿١٣٨﴾ إلا من كان من قومه مؤمناً مخلصاً لله في عبادته؛ فإنه نجا من الإحضار إلى العذاب.
 ﴿١٣٩﴾ وأبقينا عليه ثناءً حسناً وذكرًا طيباً في الأمم اللاحقة.
 ﴿١٤٠﴾ تحية من الله وثناءً على إلياس.
 ﴿١٤١﴾ إنا كما جازينا إلياس هذا الجزء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين.
 ﴿١٤٢﴾ إن إلياس من عبادنا المؤمنين حقًا الصادقين في إيمانهم بربههم.
 ﴿١٤٣﴾ وإن لوطًا لمن رسل الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين.
 ﴿١٤٤﴾ فاذكر حين سلمناه وأهله كلهم من العذاب المرسل على قومه.
 ﴿١٤٥﴾ إلا زوجته، فقد كانت امرأة شملها عذاب قومها؛ لكونها كانت كافرة مثلهم.
 ﴿١٤٦﴾ ثم أهلكنا الباقين من قومه ممن كذبوا به، ولم يصدقوا بما جاء به.
 ﴿١٤٧﴾ وإنكم - يا أهل مكة - لتمرون على منازلهم في أسفاركم إلى الشام في وقت الصباح.
 ﴿١٤٨﴾ وتمرون عليها كذلك ليلاً، أفلا تعقلون، وتتعضون بما آل إليه أمرهم بعد تكذيبهم وكفرهم وارتكابهم الفاحشة التي لم يسبقوا إليها؟

﴿١٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحَضَّرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِيَّاكَ اللَّهُ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٣٨﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِذْ يَأْسِيْنُ ﴿١٤٠﴾ إِنَّا كَذَّاكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا
 لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ إِذْ بَخَّيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا
 فِي الْغَيْبِينَ ﴿١٤٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَإِنَّكَ لَمُرُونَ عَلَيْهِمْ
 مُضْجِحِينَ ﴿١٤٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٩﴾ إِذْ أَنْبَأَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٥٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
 مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٥١﴾ فَالْقَمْعَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٥٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ
 كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٥٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٥٤﴾
 ﴿١٥٥﴾ فَبَدَّنْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٥٦﴾ وَأَنْبَأْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
 مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٥٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٥٨﴾
 فَفَامَنُوا فَتَعَنَّاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٥٩﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّيْكَ الْبَنَاتُ
 وَلَهُمُ الْبُسُوتُ ﴿١٦٠﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنْتِنَا وَهُمْ
 شَاهِدُونَ ﴿١٦١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ فِيكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٢﴾ وَوَلَدَ
 اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦٣﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿١٣٨﴾ وإن عبدنا يونس لمن رسل الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم مبشرين ومنذرين.
 ﴿١٣٩﴾ إذ غضب على قومه وتركهم، وركب سفينة مملوءة من الركاب والأمتعة.
 ﴿١٤٠﴾ فأوشكت السفينة أن تغرق لامتلائها، فاقترح الركاب ليُلْقُوا بعضهم؛ خوفًا من غرق السفينة بسبب كثرة الركاب، فكان يونس من هؤلاء المغلوبين، فألقوه في البحر.
 ﴿١٤١﴾ فلما ألقوه في البحر أخذته الحوت، وابتلعه، وهو آت بما يلام عليه؛ لذهابه إلى البحر بغير إذن ربه.
 ﴿١٤٢﴾ فلولا أن يونس كان من الذاكرين الله كثيرًا قبل ما حل به، ولولا تسيحه في بطن الحوت.
 ﴿١٤٣﴾ لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة بحيث يصير له قبرًا.
 ﴿١٤٤﴾ فألقيناه من بطن الحوت بأرض خالية من الشجر والبناء، وهو ضعيف البدن لمكثه مدة في بطن الحوت.
 ﴿١٤٥﴾ وأنبتنا عليه في تلك الأرض الخالية شجرة من القرع تظله.
 ﴿١٤٦﴾ وأرسلناه إلى قومه وعددهم مائة ألف، بل يزيدون. ﴿١٤٧﴾ فآمنوا وصدقوا بما جاء به، فمتعهم الله في حياتهم الدنيا إلى أن انقضت آجالهم المحددة لهم. ﴿١٤٨﴾ فأسأل - يا محمد - المشركين سؤال إنكار: أتجعلون الله البنات اللاتي تكهونهن، وتجعلون لكم البنين الذين تحبونهم؟ أي قسمة هذه؟ ﴿١٤٩﴾ كيف زعموا أن الملائكة إناث، وهم لم يحضروا خلقهم، وما شاهدوه؟ ﴿١٥٠﴾ ألا إن المشركين من كذبهم على الله وافترائهم عليه. ﴿١٥١﴾ ليسبون له الولد، وإنهم لكاذبون في دعواهم هذه. ﴿١٥٢﴾ هل اختار الله لنفسه البنات اللاتي تكهونهن على البنين الذين تحبونهم؟ كلا.
 ﴿١٥٣﴾ فإنا من الآيات: ١ - سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير: إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين. ٢ - ضرورة العظة والاعتبار بمصير الذين كذبوا الرسل حتى لا يحل بهم ما حل بغيرهم. ٣ - جواز القرعة شرعًا لقوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِزَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْإِجْتِهَادَ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ الْإِعْبَادَ لِلَّهِ الْأَمْخَاصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَعْتِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْحَنِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوَإِن عَدَدْنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوْلِيَيْنِ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْأَمْخَاصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكُفِّرُوا بِهِ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُفْمُنَا لِإِعْبَادَاتِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصَوَّرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴿١٧٣﴾ فَلَوْلَ عَنَّهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ سَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا لَيَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِجِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ سَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ النُّورِ

﴿١٥٤﴾ ما لكم - أيها المشركون - تحكمون هذا الحكم الجائر حيث تجعلون الله البنات، وتجعلون لكم البنين؟
 ﴿١٥٥﴾ أفلا تتذكرون بطلان ما أنتم عليه من هذا الاعتقاد الفاسد، فإنكم لو تذكرتم لما قلمت هذا القول.
 ﴿١٥٦﴾ أم لكم حجة جلية وبرهان واضح من كتاب بذلك أو رسول؟
 ﴿١٥٧﴾ فأتوا بكتابكم الذي يحمل لكم الحجة على هذا إن كنتم صادقين فيما تدعونه.
 ﴿١٥٨﴾ وجعل المشركون بين الله وبين الجن نسبًا حين زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سرّوات الجن، ولقد علمت الجن أن الله سيحضرهم للحساب، فلو كان بينه وبينهم نسب ما أحضرهم لذلك.
 ﴿١٥٩﴾ تنزه الله وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به سبحانه من الولد والشريك وغير ذلك.
 ﴿١٦٠﴾ إلا عباد الله المخلصين؛ فإنهم لا يصفون الله إلا بما يليق به سبحانه من صفات الجلال والكمال.
 ﴿١٦١﴾ فإنكم أنتم - أيها المشركون - وما تعبدون من دون الله.
 ﴿١٦٢﴾ لستم بمضلين من أحد عن دين الحق.
 ﴿١٦٣﴾ إلا من قضى الله عليه أنه من أصحاب

النار، فإن الله ينفذ فيه قضاءه فيكفر، ويدخل النار، أما أنتم ومعبوداتكم فلا قدرة لكم على ذلك.
 ﴿١٦٤﴾ وقالت الملائكة مبينة عبوديتها لله، وبراءتها مما زعمه المشركون: وليس منا أحد إلا له مقام معلوم في عبادة الله وطاعته.

﴿١٦٥﴾ ونحن الملائكة - لواقفون صفوفاً في عبادة الله وطاعته، وإنا لمتزّهون الله عما لا يليق به من الصفات والنعوت. ﴿١٦٦﴾ - وإن المشركين من أهلي مكة كانوا يقولون قبل بعثة محمد ﷺ: لو كان عندنا كتاب من كتب الأولين كالتوراة مثلاً؛ لأخلصنا لله العبادة، وهم كاذبون في ذلك، فقد جاءهم محمد ﷺ بالقرآن فكفروا به، فسوف يعلمون ما ينتظرهم من العذاب الشديد يوم القيامة. ﴿١٦٧﴾ - ولقد سبقت كلمتنا التي لا معقب لها ولا راد لرسلنا أنهم منصورون على أعدائهم بما من الله عليهم به من الحجة والقوة، وأن الغلبة لجندنا الذين يقاتلون في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا. ﴿١٦٨﴾ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المشركين المعاندين إلى مدة يعلمها الله حتى يأتي وقت عذابهم. ﴿١٦٩﴾ وانظرهم حين ينزل بهم العذاب، فسيصرون هم حين لا ينفعهم إبطار. ﴿١٧٠﴾ أفيستعجل هؤلاء المشركون بعذاب الله؟ ﴿١٧١﴾ فإذا نزل عذاب الله بهم فبئس الصباح صباحهم. ﴿١٧٢﴾ وأعرض - أيها الرسول - عنهم حتى يقضي الله بعذابهم. ﴿١٧٣﴾ وانظر فسينظر هؤلاء ما يحل بهم من عذاب الله وعقابه. ﴿١٧٤﴾ تنزه ربك - يا محمد - رب العزة، وتقدس عما يصفه به المشركون من صفات النقص. ﴿١٧٥﴾ وتحية الله وثناؤه على رسله الكرام. ﴿١٨١﴾ والثناء كله لله ﷻ، فهو المستحق له، وهو رب العالمين جميعاً، لا رب لهم سواه.

﴿١٨٢﴾ فإن من الآيات: ١ - سنة الله نصر المرسلين وورثتهم بالحجة والغلبة، وفي الآيات بشارة عظيمة؛ لمن اتصف بأنه من جند الله، أنه غالب منصور. ٢ - في الآيات دليل على بيان عجز المشركين وعجز آلهتهم عن إضلال أحد، وبشارة لعباد الله المخلصين بأن الله بقدرته منجهم من إضلال الضالين المضلين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْءَانَ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢
 كَرَاهِلِكُنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرْنٍ فَنَادَ أَوَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ٣ وَعَجِبُوا
 أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٤
 أٰجَعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥ وَأَنْطَلَقَ لَمَلًا
 مِنْهُمْ أَن أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦
 مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأِ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا خَيْلٌ ٧ أَمْ نَزَلِ
 عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَآيِدٌ وَفُؤَاعَدَابٍ
 ٨ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ لَهُمْ
 مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠
 جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
 نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ
 لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِن كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ
 فَحَقَّ عِقَابٌ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هُنَّ إِلَّا إِلَىٰ الصَّيْحَةِ وَوَجْدَةَ مَا هُنَّ
 مِنْ فِرَاقٍ ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على قضية المخاصمة بالباطل وعاقبتها.

﴿التفسير﴾:

﴿ص﴾ تقدم الكلام على نظائرها من الحروف المقطعة في بداية سورة البقرة. أقسم بالقرآن المشتمل على تذكير الناس بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، ليس الأمر كما يظنه المشركون من وجود شركاء مع الله. لكن الكافرين في حمية وتكبر عن توحيد الله، وفي خلاف مع محمد ﷺ وعداوة له. كم أهلكتنا من قبلهم من القرون التي كذبت برسولها فنادوا مستغيثين عند نزول العذاب عليهم، وليس الوقت وقت خلاص لهم من العذاب فتنفعمهم الاستغاثة منه. وتعجبوا حين جاءهم رسول من أنفسهم يخوفهم من عذاب الله إن استمروا على كفرهم، وقال الكافرون حين شاهدوا البراهين على صدق ما جاء به محمد ﷺ: هذا رجل ساحر يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه من أنه رسول من الله يوحى إليه. أ جعل هذا الرجل الآلهة المتعددة إلهاً واحداً لا إله غيره؟ إن صنيعه هذا لغاية في العجب. وانطلق أشرفهم وكبراهم قائلين لأتباعهم: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دين محمد، واثبتوا على عبادة آلهتكم، إن ما دعاكم

إليه محمد من عبادة إله واحد شيء مُدْبِرٌ يريدُه هو ليعلو علينا ونكون له أتباعاً. ما سمعنا بما يدعوننا إليه محمد من توحيد الله فيما وجدنا عليه آباءنا، ولا في ملة عيسى، وما ذلك الذي سمعناه منه إلا كذب وافتراء. أيصح أن ينزل عليه القرآن من بيننا، ويخص به، ولا ينزل علينا ونحن السادة الكبراء، بل هؤلاء المشركون في شك مما ينزل عليك من الوحي، ولما يذوقوا عذاب الله، فاغتروا بإمهالهم، ولو ذاقوه لما تجاسروا على الكفر والشرك بالله والشك فيما يوحى إليك. أم عند هؤلاء المشركين المكذبين خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالبه أحد، الذي يعطي ما يريد لمن يريد، ومن خزائن فضله النبوة، فيعطيها من يشاء، وليست هي لهم هم حتى يمنحوها من شاءوا ويمنعوها من أرادوا. أم لهم ملك السموات وملك الأرض وملك ما فيها؟ فيحق لهم أن يعطوا ويمنعوا؟ إن كان هذا زعمهم فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء لئتمكنوا من الحكم بما أرادوا من منع أو إعطاء، ولن يستطيعوا ذلك. هؤلاء المكذوبين بمحمد ﷺ جند مهزوم مثل من سبقه من الجنود التي كذبت رسلها فأهلكتها، فيجري على هذا الجند ما جرى على غيره. ليس هؤلاء المكذوبون أول مكذب؛ فقد كذب قبلهم قوم نوح، وكذبت عاد، وكذب فرعون ذو القوَّة. وكذبت ثمود، وكذب قوم لوط، وكذب قوم شعيب، أولئك هم الأحزاب الذين تحزبوا على تكذيب رسلهم والكفر بما جاؤوا به. ما كل أحد من هذه الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، فحق عليهم عذاب الله وحل عليهم عقابه وإن تأخر إلى حين. وما ينتظر هؤلاء المكذوبين بمحمد ﷺ إلا أن يُنْفَخَ في الصور النفخة الثانية التي لا رجوع فيها، فيقع عليهم العذاب إن ماتوا على تكذيبهم به. وقالوا مستهزئين: يا ربنا، عجل لنا نصيبنا من العذاب في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة.

﴿فَوَارِدٌ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - أقسم الله ﷻ بالقرآن العظيم، فالواجب تلقَّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج معانيه. ٢ - سبب إعراض الكفار عن الإيمان: التكبر والتجبر والاستعلاء عن اتباع الحق، ومخالفة الله تعالى وهدى رسوله ﷺ.

١٧ اصبر - أيها الرسول - على ما يقوله هؤلاء المكذبون مما لا يرضيك، واذكر عبدنا داود صاحب القوة على مقارعة أعدائه والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة، والعمل بما يرضيه.

١٨ إنا سخرنا الجبال مع داود يسبحن بتسبيحه إذا سبح آخر النهار وأوله عند الإشراق.

١٩ وسخرنا الطير محبوسة في الهواء، كل مطيع يسبح تبعاً له.

٢٠ وقوينا ملكه بما وهبناه من الهيبة والقوة والنصر على أعدائه، وأعطيناه النبوة والصواب في أموره، وأعطيناه البيان الشافي في كل قصد، والفصل في الكلام والحكم.

٢١ وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين حين علوا على داود عليه السلام مكان عبادته.

٢٢ إذ دخلا على داود فجأة، فارتاع من دخولهما عليه فجأة بهذه الطريقة غير المألوفة للدخول عليه، فلما تبين لهما ارتياعه قال: لا تخف؛ فنحن خصمان ظلم أحدنا الآخر، فاحكم بيننا بالعدل، ولا تجر علينا إذا حكمت بيننا، وأرشدنا إلى سواء السبيل الذي هو سبيل الصواب.

٢٣ قال أحد الخصمين لداود عليه السلام: إن هذا

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧
 إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨ وَالطَّيْرَ
 مُحْبَسَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَيَّدْنَاهُ الْحِكْمَةَ
 وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ٢٠ وَهَلْ آتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا
 الْمِحْرَابَ ٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
 خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ٢٢ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً
 وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ٢٣ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَيْنَا إِنَّا نَعَاكَ وَإِنَّا لَكَاثِمُونَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
 مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
 ٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّا لَهُ لَنَدِيمٌ وَحَسَنَ مَعَابٍ
 ٢٥ يٰ دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ٢٦

الرجل أخي، له تسع وتسعون نجمة، ولي نجمة واحدة، فطلب مني أن أعطيه إياها، وغلبنني في الحجة.

٢٤ فحكم داود بينهما وقال مخاطباً صاحب الدعوى: لقد ظلمك أخوك حين سألك ضم نعتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض بأخذ حقه وعدم الإنصاف، إلا المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات فإنهم ينصفون شركاءهم ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود عليه السلام أنما أوقعناه في فتنة بهذه الخصومة، فطلب المغفرة من ربه وسجد تقرباً إلى الله، وتاب إليه.

٢٥ فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مصير في الآخرة.

٢٦ يا داود، إنا صيرناك خليفة في الأرض تنفذ الأحكام والقضايا الدينية والدنيوية، فاقض بين الناس بالعدل، ولا تتبع الهوى في حكمك بين الناس؛ بأن تميل مع أحد الخصمين لقرابة أو صداقة أو تميل عنه لعداوة، فيضلك الهوى عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي بسبب نسيانهم يوم الحساب، إذ لو كانوا يذكرونه ويخافون منه لما مالوا مع أهوائهم.

﴿فَوَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

١ - بيان فضائل نبي الله داود وما اختصه الله به من معجزات. ٢ - الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى؛ لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة بنسيان أو غفلة عن حكم، ولكن الله يتداركهم ويبادهم بلطفه. ٣ - استدلال العلماء بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا كَثِيرٌ مِّنَ الْخَالِقَاتِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ على مشروعية الشركة بين اثنين وأكثر.

﴿١٧﴾ وما خلقنا السماء وما خلقنا الأرض عبثاً، بل خلقناهما لحكمة بالغة للدلالة على قدرة الله، وليعمل فيهما بطاعته، ذلك ظن الذين كفروا الذين يظنون أنهما خلقتا عبثاً، فويل لهؤلاء الكافرين الذين يظنون هذا الظن من عذاب النار يوم القيامة إذا ماتوا على ما هم عليه من الكفر وظن السوء بالله.

﴿١٨﴾ لن نجعل الذين صدقوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحات مثل المفسدين في الأرض بالكفر والمعاصي، ولا نجعل المتقين لربهم بامثال أولامره واجتنب نواهيهم مثل الكافرين والمنافقين المنغمسين في المعاصي، إن التسوية بينهما جور لا يليق بالله ﷻ، بل يجازي الله المؤمنين الأتقياء بدخول الجنة، ويعاقب الكافرين الأشقياء بدخول النار؛ لأنهم لا يستون عند الله، فلا يستوي جزاؤهم عنده.

﴿١٩﴾ إن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك - أيها النبي - وهو كثير الخير والنفع، أنزلناه ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها، وليتعظ به أصحاب العقول الراجحة النيرة.

﴿٢٠﴾ وهبنا لداود ابنه سليمان إنعاماً منا عليه وتفضلاً لتقر عينه به، نعم العبد سليمان، إنه كثير التوبة والرجوع إلى الله والإنابة إليه.

﴿٢١﴾ اذكر حين عرضت عليه عصراً الخيول الأصيلة السريعة، تقف على ثلاثة قوائم، وترفع الرابعة، فلم تزل تُعرض عليه تلك الخيول الأصيلة حتى غربت الشمس.

﴿٢٢﴾ فقال سليمان: إني آثرت حب المال - ومنه هذه الخيل - على ذكر ربي حتى غابت الشمس.

﴿٢٣﴾ ردوا علي هذه الخيل، فردوها عليه، فبدأ يضرب بالسيف سوقها وأعناقها.

﴿٢٤﴾ ولقد اخترنا سليمان وألقينا على كرسيه شق ولد، وذلك لما أقسم بالله ليطوفن على نسائه، وتأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل في يمينه هذه: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تلد واحدة منهن إلا واحدة ولدت شق ولد، ثم تاب سليمان إلى ربه.

﴿٢٥﴾ قال سليمان: يا رب، اغفر لي ذنوبي، وأعطني ملكاً خاصاً بي، لا يكون لأحد من الناس بعدي، إنك - يا رب - كثير العطاء، عظيم الجود. ﴿٢٦﴾ فاستجبت له وذللتنا له الريح تنقاد بأمره لينة، لا زعزعة فيها مع قوتها وسرعة جريها، تحمله حيث أراد. ﴿٢٧﴾ وذللتنا له الشياطين يأتمرون بأمره، فمنهم البنائون، ومنهم الغواصون الذين يغوصون في البحار، فيستخرجون الدر منها. ﴿٢٨﴾ ومن الشياطين مرده سُخَّرُوا له، فهم موثقون في الأغلال لا يستطيعون التحرك. ﴿٢٩﴾ يا سليمان، هذا عطاؤنا الذي أعطيناك استجابة لما طلبت منا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن نحاسب في إعطاء أو منع. ﴿٣٠﴾ وإن سليمان عندنا لمن المقربين، وله حُسن مرجع يرجع إليه وهو الجنة. ﴿٣١﴾ واذكر - أيها الرسول - عبدنا أيوب حين دعا الله ربه: أي أصابني الشيطان بأمر متعب معذب. ﴿٣٢﴾ فقلنا له: اضرب برجلك الأرض، فضرب برجله الأرض، فنبع له منها ماء يشرب منه ويغتسل، فيذهب ما به من الضر والأذى.

﴿٣٣﴾ فإذ من الآيات: ١ - الحث على تدبر القرآن. ٢ - في الآيات دليل على أنه بحسب سلامة القلب وفطنة الإنسان يحصل له التذكر والانتفاع بالقرآن الكريم. ٣ - ينبغي التزام الأدب في الدخول على أهل الفضل والمكانة. ٤ - في الآيات دليل على صحة القاعدة المشهورة «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

﴿٤٣﴾ فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضرر، وأعطيناه أهله، وزدناه عليهم مثلهم من البنين والحفدة رحمة منا به، وجزاء له على صبره، وليتذكر أصحاب العقول الراجحة أن عاقبة الصبر الفرج والثواب. ﴿٤٤﴾ حين غضب أيوب على زوجته، فأقسم ليضربنها مئة جلدة، قلنا له: خذ - يا أيوب - بيدك حزمة شَمَارِيخِ فاضربها إبرارًا لقسمك، ولا تحنت في قسمك الذي أقسمته، فأخذ بحزمة شَمَارِيخِ فاضربها وجدناه صابراً على ما ابتليناه به، نعم العبد هو، إنه كثير الرجوع والإنابة إلى الله. ﴿٤٥﴾ واذكر - أيها الرسول - عبادنا الذين اصطفيناهم ورسلنا الذين أرسلناهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقد كانوا أصحاب قوة في طاعة الله وتلمس مرضاته، وكانوا أصحاب بصيرة في الحق صادقة. ﴿٤٦﴾ إنا مننا عليهم بخاصة اختصاصهم بها، وهي إعمار قلوبهم بذكر الدار الآخرة والاستعداد لها بالعمل الصالح ودعوة الناس إلى العمل لها. ﴿٤٧﴾ وإنهم عندنا لمنن اصطفيناهم لطاعتنا وعبادتنا، واخترناهم لحمل رسالتنا وتبليغها للناس. ﴿٤٨﴾ واذكر - أيها النبي - إسماعيل بن إبراهيم، واذكر اليسع، واذكر ذا الكفل، وأثن عليهم بأحسن ثناء، فهم أهل له، وكل هؤلاء من المختارين عند الله المصطفين. ﴿٤٩﴾ هذا ذكر لهؤلاء بالثناء الجميل في القرآن، وإن للمتقين بامثال أوامر الله واجتناب نواهي

لمرجعاً حسناً في الدار الآخرة. ﴿٥٠﴾ هذا المرجع الحسن هو جنات إقامة يدخلونها يوم القيامة، وقد فتحت لهم أبوابها احتفاء بهم. ﴿٥١﴾ متكئين على الأرائك المزينة لهم، يطلبون من خدامهم أن يقدموا لهم ما يشتهون من الفواكه الكثيرة المتنوعة، ومن الشراب مما يشتهونه من خمر وغيرها. ﴿٥٢﴾ وعندهم نساء قاصرات أطرافهن على أزواجهن، لا تتجاوزهم إلى غيرهم، وهن مستويات في السن. ﴿٥٣﴾ هذا ما توعدون - أيها المتقون - من الجزاء الطيب يوم القيامة على أعمالكم الصالحة التي كنتم تعملونها في الدنيا. ﴿٥٤﴾ إن هذا الذي ذكرنا من الجزاء لرزقنا نرزق به المتقين يوم القيامة، وهو رزق مستمر، لا ينقطع ولا ينتهي. ﴿٥٥﴾ هذا الذي ذكرنا جزاء المتقين، وإن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي لجزاء مغايراً لجزاء المتقين، فلهم شر مرجع يرجعون إليه يوم القيامة. ﴿٥٦﴾ هذا الجزاء هو جهنم تحيط بهم، ويعانون حرها ولهبها، لهم منها فراش، فبئس الفراش فراشهم. ﴿٥٧﴾ هذا العذاب ماء متناهي الحرارة، وصديد سائل من أجساد أصحاب النار المعديين فيها، فليشربوه، فهو شرابهم الذي لا يروي من عطش. ﴿٥٨﴾ ولهم عذاب آخر من شكل هذا العذاب، فلهم عدة أصناف من العذاب يُعذَّبون بها في الآخرة. ﴿٥٩﴾ وإذا دخل أهل النار وقع بينهم ما يقع بين الخصوم من الشتم، وتبرأ بعضهم من بعض، فيقول بعضهم: هذه طائفة من أهل النار داخله النار معكم، فيجيبونهم: لا مرحباً بهم إنهم مفاسون من عذاب النار مثل ما نفاسيه. ﴿٦٠﴾ قال فوج الأتباع لسادته المتويعين: بل أنتم - أيها السادة المتويعون - لا مرحباً بكم، فأنتم من تسببت لنا بهذا العذاب الأليم بإضلالكم لنا وإغوائكم، فبئس القرار هذا القرار، قرار الجميع الذي هو نار جهنم. ﴿٦١﴾ قال الأتباع: يا ربنا، من أضلنا عن الهدى بعد إذ جاءنا فاجعل عذابه في النار عذاباً مضاعفاً.

﴿٦٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - من صبر على الضر فإله تعالى يثيبه ثواباً عاجلاً وأجلاً، ويستجيب دعاءه إذا دعاه. ٢ - لم يكن مرض أيوب عليه السلام منقراً؛ لأنه نبي يخالط الناس. ٣ - في الآيات دليل على أن للزوج أن يضرب امرأته تأديباً ضرباً غير مبرح؛ فأيوب عليه السلام حلف على ضرب امرأته ففعل.

﴿٦٢﴾ وقال المتكبرون الطغاة: ما لنا لا نرى معنا في النار رجالاً كنا نحسبهم في الدنيا من الأشقياء الذين يستحقون العذاب.

﴿٦٣﴾ أكانت سخريتنا واستهزاؤنا بهم خطأ فلم يستحقوا العذاب، أم أن استهزاءنا بهم كان صواباً، وقد دخلوا النار، ولم تقع عليهم أبصارنا؟ ﴿٦٤﴾ إن ذلك الذي ذكرنا لكم من تخاصم الكفار بينهم يوم القيامة لحق لا مرية فيه ولا ريب.

﴿٦٥﴾ قل - يا محمد - للكفار من قومك: إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يوقعه عليكم بسبب كفركم به وتكذيبكم لرسله، وليس يوجد إله يستحق العبادة إلا الله سبحانه، فهو المنفرد في عظمته وصفاته وأسمائه، وهو القهار الذي قهر كل شيء، فكل شيء خاضع له.

﴿٦٦﴾ وهو رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما، وهو العزيز في ملكه الذي لا يغالبه أحد، وهو الغفار لذنوب التائبين من عبادة.

﴿٦٧﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: إن القرآن خير ذو شأن عظيم.

﴿٦٨﴾ أنتم عن هذا الخبر العظيم الشأن معرضون، لا تلتفتون إليه.

﴿٦٩﴾ ليس لي من علم بما كان يدور من حديث بين الملائكة بشأن خلق آدم، لولا أن الله أوحى إليّ وعلمني.

﴿٧٠﴾ إنما يوحى الله إليّ ما يوحيه لأنني نذير لكم من عذابه بين النذارة.

﴿٧١﴾ اذكر حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشراً من طين وهو آدم ﷺ.

﴿٧٢﴾ فإذا سوّيت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي، فاسجدوا له.

﴿٧٣﴾ فامتثل الملائكة أمر ربهم، فسجدوا جميعهم سجود تحية وتكريم، ولم يبق منهم أحد إلا سجد لآدم.

﴿٧٤﴾ إلا إبليس تكبر عن السجود، وكان بتكبره على أمر ربه من الكافرين.

﴿٧٥﴾ قال الله: يا إبليس، أي شيء منعك من السجود لآدم الذي خلقته بيدي؟ أمنعك من السجود التكبر، أم كنت من قبل ذا تكبر وعلوّ على ربك؟

﴿٧٦﴾ قال إبليس: أنا خير من آدم، فقد خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار أشرف عنصرًا من الطين.

﴿٧٧﴾ قال الله لإبليس: فأخرج من الجنة فإنك ملعون مشتوم.

﴿٧٨﴾ وإن عليك الطرد من الجنة إلى يوم الجزاء، وهو يوم القيامة.

﴿٧٩﴾ قال إبليس: فأمهلي ولا تمنني إلى يوم تبعث عبادك.

﴿٨٠﴾ قال الله: فإنك من الممهّلين.

﴿٨١﴾ إلى يوم الوقت المعلوم المحدد لإهلاكك.

﴿٨٢﴾ قال إبليس: فأقسم بقدرتك وقهرك، لأضللّ بني آدم أجمعين.

﴿٨٣﴾ إلا من عصمته أنت من إضلالي وأخلصته لعبادتك وحدك.

﴿٨٤﴾ فإزل من الآيات:

١ - الكبر مانع من التوفيق للحق. ٢ - القياس والاجتهاد مع وجود النص الواضح مسلّك باطل. ٣ - كفر إبليس كفر عناد. ٤ - من أخلصهم الله لعبادته من الخلق لا سبيل للشيطان عليهم.

﴿٨٤﴾ قال الله تعالى: فالحق مني، والحق أقوله، لا أقول غيره.

﴿٨٥﴾ لأملأن يوم القيامة جهنم منك ومن ذريتك - يا إبليس - ومن تبعك في كفرك من بني آدم أجمعين.

﴿٨٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على ما أبلغكم من النصح من جزاء، وما أنا من المتكلمين بالإتيان بزيادة على ما أمرت به.

﴿٨٧﴾ ليس القرآن إلا تذكيراً للمتكلمين من الإنس والجن.

﴿٨٨﴾ ولتعلمنَّ خبر هذا القرآن، وأنه صادق بعد وقت قريب حين تموتون.

سورة التوحيد

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على الدعوة للتوحيد والإخلاص، ونبذ الشرك، وعاقبة كل في الآخرة.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه، ليس مُتَزَلًّا من غيره سبحانه.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق، فأخبره كلها صادقة

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمَنَّ بِنَاؤُهُ بِعَدْحِ بْنِ ﴿٨٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾

وأحكامها جميعها عادلة، فاعبد الله موحدًا له، مخلصًا له التوحيد من الشرك.

﴿٢﴾ ألا الله الدين الخالي من الشوائب، والذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأوثان والطواغيت يعبدونهم من دون الله معتذرين عن عبادتهم لهم بقولهم: ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا إلى الله منزلة، ويرفعوا حوائجنا إليه، ويشفعوا لنا عنده؛ إن الله يحكم بين المؤمنين الموحدين وبين الكافرين المشركين يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد، إن الله لا يوفق للهداية إلى الحق من هو كاذب على الله ينسب له الشرك، مُنْكَرٌ نَعَمَ اللهُ عَلَيْهِ.

﴿٣﴾ لو أراد الله اتخاذ ولد - كما يزعمه المشركون تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - لاختار من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزهه وتقديسه عما يقوله هؤلاء المشركون، هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له فيها، القهار لجميع خلقه.

﴿٤﴾ خلق السماوات وخلق الأرض لحكمة بالغة، لا عبثاً كما يقول الظالمون، يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، فإذا جاء أحدهما غاب الآخر، ودلّل الشمس، ودلّل القمر، وكل منهما يجري لوقت مُقَدَّرٌ هو انقضاء هذه الحياة، ألا هو سبحانه العزيز الذي ينتقم من أعدائه، ولا يغالبه أحد، الغفار لذنوب من تاب من عباده.

﴿٥﴾ فوائد من الآيات:

١ - الداعي إلى الله يحاسب الأجر من عنده، لا يريد من الناس أجراً على ما يدعوهم إليه من الحق.

٢ - التكلف ليس من الدين.

٣ - التوسل إلى الله يكون بأسمائه وصفاته وبالإيمان وبالعمل الصالح لا غير.

① خلقكم ربكم - أيها الناس - من نفس واحدة هي آدم، ثم خلق من آدم زوجته حواء، وخلق لكم من الإبل والبقر والضأن والمعز ثمانية أنواع، من كل صنف خلق ذكراً وأنثى، ينشئكم سبحانه في بطون أمهاتكم طوراً بعد طور في ظلمات البطن والرحم والمشيمة، ذلكم الذي يخلق ذلك كله هو الله ربكم، له وحده الملك، لا معبود بحق غيره، فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون؟

② إن تكفروا - أيها الناس - بربكم فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يضره كفركم، وإنما ضرر كفركم عائد إليكم، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، ولا يأمرهم بالكفر؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، وإن تشكروا الله على نعمه، وتؤمنوا به يرض شرككم، ويثبم عليه، ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، بل كل نفس بما كسبت رهينة، ثم إلى ربكم وحده مرجعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم على أعمالكم، إنه سبحانه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

③ وإذا أصاب الكافر ضرر من مرض وفقد مال وخوف غرق دعا ربه سبحانه أن يكشف

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فإني تصرفون ④ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إن الله عليم بذات الصدور ⑤ وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه مبيهاً إليه ثم إذا حوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وحمل لئله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ⑥ آمن هو قنيت آناء الليل ساجداً أوقاً يما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يذكروا أولوا الألباب ⑦ قل يعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ⑧

عنه ما به من ضرر راجعاً إليه وحده، ثم إذا أعطاه نعمة بأن كشف عنه الضر الذي أصابه ترك من كان يتضرع إليه من قبل وهو الله، وجعل الله شركاء يعبدهم من دونه، قل - أيها الرسول - لمن هذه حاله: استمتع بكفرك بقية عمرك، وهو زمن قليل، فإنك من أصحاب النار الملازمين لها يوم القيامة ملازمة الصاحب صاحبه.

④ أم من هو مطيع لله يقضي أوقات الليل ساجداً لربه وقائماً له، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه خيراً، أم ذلك الكافر الذي يعبد الله في الشدة ويكفر به في الرخاء، ويجعل مع الله شركاء؟ قل - أيها الرسول -: هل يستوي الذين يعلمون ما أوجب الله عليهم بسبب معرفتهم بالله وأولئك الذين لا يعلمون شيئاً من هذا؟ إنما يعرف الفرق بين هذين الفريقين أصحاب العقول السليمة.

⑤ قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا بي ورسلي: اتقوا ربكم بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، للذين أحسنوا منكم العمل في الدنيا حسنة في الدنيا بالنصر والصحة والمال، وفي الآخرة بالجنة، وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها حتى تجدوا مكاناً تعبدون الله فيه، لا يمنعكم مانع، إنما يعطى الصابرون ثوابهم يوم القيامة دون عد ولا مقدار لكثرتة وتنوعه.

⑥ فإذن من الآيات:

١ - رعاية الله للإنسان في بطن أمه . ٢ - ثبوت صفة الغنى وصفة الرضا لله . ٣ - تعرف الكافر إلى الله في الشدة، وتنگره له في الرخاء دليل على تخبطه واضطرابه . ٤ - الخوف والرجاء صفتان من صفات أهل الإيمان . ٥ - نفي مساواة الكافر العاصي والمؤمن المطيع .

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول -: إني أمرني الله أن أعبده وحده مخلصًا له العبادة، أمرني بذلك، وأمر من يتبعني .

﴿١٧﴾ وأمرني أن أكون أول من أسلم له وانقاد من هذه الأمة .

﴿١٨﴾ قل - أيها الرسول -: إني أخاف إن عصيت الله ولم أطعه عذاب يوم عظيم، وهو يوم القيامة .

﴿١٩﴾ قل - أيها الرسول -: إني أعبد الله وحده مخلصًا له العبادة، لا أعبد معه غيره .

﴿٢٠﴾ فاعبدوا أنتم - أيها المشركون - ما شئتم من دونه من الأوثان (والأمر للتهديد)، قل -

أيها الرسول -: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم، وخسروا أهلهم، فلم يلقوهم لمفارقتهم لهم بانفرادهم بدخول الجنة، أو بدخولهم معهم النار، فلن يلتقوا أبدًا، ألا ذلك حقًا هو الخسران الواضح الذي لا ليس فيه .

﴿٢١﴾ لهم من فوقهم دخان ولهب وحر، ومن تحتهم دخان ولهب وحر، ذلك المذكور من العذاب يخوف الله به عباده، يا عبادي، فاتقوني بامثال أوامري واجتنب نواهي .

ولما ذكر الله المجرمين ذكر أحوال عباده الصالحين فقال :

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٦﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿١٨﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٩﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي

قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا

ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ

وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَجْعَلُونَ ﴿٢١﴾

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٣﴾

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿٢٤﴾

لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مَالَهُمْ هُمْ عَرَفُوا مِنْ فَوْقَهَا عَرَفُوا مَبْنَةَ جَحَى

مِنْ تَحْتِهَا الْأَمْثَرُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ

يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

يَجْعَلُهُ حُطًّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٦﴾

﴿١٧﴾ والذين اجتنبوا عبادة الأوثان، وكل ما يعبد من دون الله، ورجعوا إلى الله بالتوبة؛ لهم البشرى بالجنة عند الموت، وفي القبر، ويوم القيامة، فبشّر - أيها الرسول - عبادي .

﴿١٨﴾ الذين يستمعون القول ويميزون بين الحسن منه والقيح، فيتبعون أحسن القول لما فيه من النفع، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الذين وفقهم الله للهداية، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة .

﴿١٩﴾ من وجبت عليه كلمة العذاب لاستمراره في كفره وضلاله، فلا حيلة لك - أيها الرسول - في هدايته، وتوفيقه، أفأنت - أيها الرسول - تستطيع إنقاذ من هذه صفته من النار؟

﴿٢٠﴾ لكن الذين اتقوا ربهم؛ بامثال أوامره واجتنب نواهي، لهم منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار، وعدهم الله بذلك وعدًا، والله لا يخلف الميعاد، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .

﴿٢١﴾ إنكم تعلمون بالمشاهدة أن الله أنزل من السماء ماء المطر، فأدخله في الأرض، ثم أخرجه عيونًا وأنهارًا، ثم يخرج بهذا الماء زرعًا مختلف الألوان، ثم يبس الزرع، فتراه - أيها المشاهد - مُصْفَرًّا اللون بعد أن كان مُخْضَرًّا، ثم يجعله بعد يبسه متكسرًا متهشمًا، إن في ذلك المذكور لتذكيرًا لأصحاب القلوب الحية .

﴿٢٢﴾ فوالله من الآيات:

١ - إخلاص العبادة لله شرط في قبولها .

٢ - المعاصي توجب عذاب الله وغضبه .

٣ - هداية التوفيق إلى الإيمان بيد الله، وليست بيد الرسول ﷺ .

﴿٢٢﴾ أفمن شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى إليه، فهو على بصيرة من ربه، مثل من قسا قلبه عن ذكر الله؟ لا يستويان أبدًا، فالنجاة للمهتدين، والخسران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك في ضلال واضح عن الحق.

﴿٢٣﴾ الله نزل على رسوله محمد ﷺ القرآن الذي هو أحسن حديث، أنزله متشابهًا يشبه بعضه بعضًا في الصدق والحسن والائتلاف وعدم الخلاف، تتعدد فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الحق، وصفات أهل الباطل وغير ذلك، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا ما فيه من الوعيد والتهديد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله إذا سمعوا ما فيه من الرجاء والبشارات، ذلك المذكور من القرآن وتأثيره هداية الله يهدي بها من يشاء، ومن يخذله الله، ولم يوفقه للهداية، فليس له من هاد يهديه.

﴿٢٤﴾ أيستوى هذا الذي هداه الله، ووفقه في الدنيا وأدخله الجنة في الآخرة، ومن كفر ومات على كفره فأدخله النار مغلول اليدين والرجلين، لا يستطيع أن يقي النار إلا بوجهه المكب عليه؟! وقيل للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي على سبيل التوبيخ: ذوقوا ما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي، فهذا جزاؤكم.

﴿٢٥﴾ كذبت الأمم التي كانت قبل هؤلاء

المشركين، فجاءهم العذاب فجأة من حيث لا يحسبون به فيستعدون له بالتوبة.

﴿٢٦﴾ فأذقهم الله بذلك العذاب الخزي والعار والفضيحة في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أعظم وأشد لو كانوا يعلمون.

﴿٢٧﴾ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ أنواع الأمثال في الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر وغير ذلك؛ رجاء أن يعتبروا بما ضربناه منها، فيعملوا بالحق، ويتركوا الباطل.

﴿٢٨﴾ جعلناه قرآنًا بلسان عربي، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، رجاء أن يتقوا الله؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

﴿٢٩﴾ ضرب الله مثلًا للمشرك والموحد رجلًا مملوكًا لشركاء متنازعين؛ إن أرضى بعضهم أغضب بعضًا، فهو في حيرة واضطراب، ورجلًا خالصًا لرجل، وحده يملكه، ويعرف مراده فهو في طمأنينة وهدوء بال، لا يستوي هذان الرجلان. الحمد لله، بل معظمهم لا يعلمون، فلذلك يشركون مع الله غيره.

﴿٣٠﴾ إنك - أيها الرسول - ميت، وإنهم ميتون لا محالة.

﴿٣١﴾ ثم إنكم - أيها الناس - يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تتنازعون فيه، فبيّن المحق من المبطّل.

﴿٣٢﴾ فإذن من الآيات:

١ - لا يستوي من كان على هدى من ربه ومن كان قلبه قاسيًا وهو في ضلال مبين. ٢ - القرآن الكريم هو أحسن الحديث؛ لأنه كلام الله وهو صادق في كل ما جاء به. ٣ - أهل الإيمان والتقوى هم الذين يخشعون لسماع القرآن، وأهل المعاصي والخذلان هم الذين لا ينتفعون به. ٤ - التكذيب بما جاءت به الرسل سبب نزول العذاب إما في الدنيا أو الآخرة أو فيهما معًا. ٥ - لم يترك القرآن شيئًا من أمر الدنيا والآخرة إلا بيّنه، إما إجمالًا أو تفصيلًا، وضرب له الأمثال.

﴿٣١﴾ ولا أحد أظلم ممن نسب إلى الله ما لا يليق به؛ من الشريك والزوجة والولد، وكذب بالقرآن، ولا أحد أظلم ممن كذب بما جاء به رسول الله ﷺ من الحق، أليس في النار مأوى ومسكن للكافرين بالله، وبما جاء به رسوله؟ بلى، إن لهم لمأوى ومسكناً فيها.

ولما ذكر الله الكاذب المكذب ذكر الصادق المصدق، فقال:

﴿٣٢﴾ والذي جاء بالصدق في أقواله وأفعاله من الأنبياء وغيرهم، وصدق به مؤمناً، وعمل بمقتضاه، أولئك هم المتقون حقاً، الذين يمثلون أمر ربهم، ويجتنبون نهيهِ.

﴿٣٣﴾ لهم ما يشاؤون عند ربهم من الملمات الدائمة، ذلك جزاء المحسنين أعمالهم مع خالقهم ومع عبيده.

﴿٣٤﴾ ليمحو الله عنهم أسوأ الذي كانوا يعملونه من المعاصي في الدنيا؛ لتوبتهم منها، وإنابتهم إلى ربهم، ويجزيهم ثوابهم بأحسن ما كانوا يعملون من الصالحات.

﴿٣٥﴾ أليس الله بكاف عبده محمداً ﷺ أمر دينه وديناه، ودفع عدوه عنه؟ بلى، إنه لكافيه، ويخوفونك - أيها الرسول - من جهلهم وسفاهتهم، من الأصنام التي يعبدونها

﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ؟ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ؟ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ؟ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٤١﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ؟ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَسِمْ فُسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٤﴾

من دون الله أن تنالك بسوء، ومن يخذله الله ولم يوفقه للهداية فما له من هاد يهديه ويوفقه. ﴿٣٧﴾ ومن يوفقه الله للهداية فلا مضل يستطيع إضلاله، أليس الله بعزيز لا يغالبه أحد، ذي انتقام ممن يكفر به ويعصيه؟ بلى إنه لعزيز ذو انتقام.

﴿٣٨﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، قل لهم إظهاراً لعجز آلهتهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، إن أراد الله أن يصيبني بضر هل تملك إزالة ضره عني؟ أو إن أراد ربي أن يمنحني رحمة منه هل تستطيع منع رحمته عني؟ قل لهم: حسبي الله وحده، عليه اعتمدت في أموري كلها، وعليه وحده يعتمد المتوكلون.

﴿٣٩﴾ قل - أيها الرسول -: يا قومي، اعملوا على الحالة التي ارتضيتموها من الشرك بالله، إني عامل على ما أمرني ربي به؛ من الدعوة إلى توحده، وإخلاص العبادة له، فسوف تعلمون عاقبة كل مسلك.

﴿٤٠﴾ سوف تعلمون من يأتيه عذاب في الدنيا يذله ويهينه، وينزل عليه في الآخرة عذاب مقيم، لا ينقطع، ولا يزول.

﴿٤١﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِيهِ:

- ١ - ثبوت حفظ الله للرسول ﷺ أن يصيبه أعداؤه بسوء.
- ٢ - الإقرار بتوحيد الربوبية فقط بغير توحيد الألوهية، لا ينجي صاحبه من عذاب النار.

﴿٤١﴾ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فإنما نفع هدايته لنفسه، فالله لا تنفعه هدايته؛ لأنه غني عنها، ومن ضل فإنما ضرر ضلاله على نفسه، فالله سبحانه لا يضره ضلاله، ولست عليهم موكلاً لتجبرهم على الهداية، فما عليك إلا تبليغهم ما أمرت بتبليغه.

﴿٤٢﴾ الله الذي يقبض الأرواح عند نهاية آجالها، ويقبض الأرواح التي لم تنقض آجالها عند النوم، فيمسك التي حكم عليها بالموت، ويرسل التي لم يحكم عليها به إلى أمد محدد في علمه سبحانه، إن في ذلك القبض والإرسال والإماتة والإحياء لدلائل لقوم يتفكرون على أن الذي يفعل ذلك قادر على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ لقد اتخذ المشركون من أصنامهم شفعاء يرجون عندهم النفع من دون الله، قل لهم - أيها الرسول -: أتتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون لكم ولا لأنفسهم شيئاً، ولا يعقلون؟ فهم جمادات صماء لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر.

﴿٤٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: الله وحده الشفاعة كلها، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى، له وحده ملك السماوات وملك الأرض، ثم إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء، فيجازيكم على أعمالكم.

﴿٤٥﴾ وإذا ذكر الله وحده نفرت قلوب المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء، وإذا ذكرت الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم مسرورون فرحون.

﴿٤٦﴾ قل - أيها الرسول -: اللهم خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليك شيء من ذلك، أنت وحدك تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فبين المحق والمبطل، والسعيد والشقي.

﴿٤٧﴾ ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ما في الأرض من نفائس وأموال؛ لافتدوا به من العذاب الشديد الذي شاهدوه بعد بعثهم، لكن ليس لهم ذلك، ولو فُرِضَ أنه لهم لم يُقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يتوقعونه.

﴿٤٨﴾ فَوَاوِلَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - النوم والاستيقاظ درسان يوميان للتعريف بالموت والبعث.

٢ - إذا ذكر الله وحده عند الكفار أصابهم ضيق وهم؛ لأنهم يتذكرون ما أمر به وما نهى عنه وهم معرضون عن هذا كله.

٣ - افتداء الكافر يوم القيامة نفسه بكل ما يملك مع بخله به في الدنيا، ولن يُقبل منه.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۗ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَّلَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾ وظهر لهم سيئات ما كسبوه من الشرك والمعاصي، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا إذا خُوفوا منه في الدنيا يستهزئون به.

﴿٤٩﴾ فإذا أصاب الإنسان الكافر مرض أو فقر ونحوه دعانا لنكشف عنه ما أصابه من ذلك، ثم إذا أعطيناه نعمة من صحة أو مال قال الكافر: إنما أعطاني الله ذلك لعلمه بأني أستحقه، والصحيح أنه ابتلاء واستدراج، ولكن معظم الكافرين لا يعلمون ذلك؛ فيعترون بما أنعم الله به عليهم.

﴿٥٠﴾ قد قال هذا القول الكفار من قبلهم، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الأموال والمنزلة شيئاً.

﴿٥١﴾ فأصابهم جزاء سيئات ما كسبوا من الشرك والمعاصي، والذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي من هؤلاء الحاضرين سيصيبهم جزاء سيئات ما كسبوا مثل الماضين، ولن يفوتوا الله ولن يغلبوه.

﴿٥٢﴾ أقال هؤلاء المشركون ما قالوا، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق على من يشاء ابتلاء له: أيشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من يشاء اختباراً له: أيصبر أم يتسخط على قدر الله؟ إن في ذلك المذكور من توسيع الرزق وتضييقه لدلالات على تدبير الله لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بالدلالات، وأما الكفار فهم يمرون عليها وهم عنها معرضون.

﴿٥٣﴾ قل - أيها الرسول - لعبادي الذين تجاوزوا الحد على أنفسهم بالشرك بالله وارتكاب المعاصي: لا تياسوا من رحمة الله، ومن مغفرته لذنوبكم، إن الله يغفر الذنوب كلها لمن تاب إليه، إنه هو الغفور للذنوب التائبين، الرحيم بهم.

﴿٥٤﴾ وارجعوا إلى ربكم بالتوبة والأعمال الصالحة، وانقادوا له، من قبل أن يأتيكم العذاب يوم القيامة ثم لا تجدون من أصنامكم أو أهليكم من ينصركم بإنقاذكم من العذاب.

﴿٥٥﴾ وابتعوا القرآن الذي هو أحسن ما أنزله ربكم على رسوله، فاعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة وأنتم لا تحسبون به فتستعدوا له بالتوبة.

﴿٥٦﴾ افعلوا ذلك حذر أن تقول نفس من شدة الندم يوم القيامة: يا ندمها على تفریطها في جنب الله بما كانت عليه من الكفر والمعاصي، وعلى أنها كانت تسخر من أهل الإيمان والطاعة.

﴿٥٧﴾ فوالله من الآيات:

١ - الكافر يدعو الله في الضراء، وينسأه في السراء.

٢ - النعمة على الكافر استدراج.

٣ - سعة رحمة الله بخلقه.

٤ - الندم النافع هو ما كان في الدنيا، وتبعته توبة نصوح.

﴿٥٧﴾ أو تحتجّ بالقدر، فتقول: لو أن الله وفقني لكنت من المتقين له، أمتثل أوامره، واجتنب نواهيه.

﴿٥٨﴾ أو تقول حين تشاهد العذاب مُتمنية: لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأتوب إلى الله، وأكون من المحسنين لأعمالهم.

﴿٥٩﴾ ليس الأمر كما زعمت من تمنى الهداية، فقد جاءتك آياتي فكذبت بها وتكبرت، وكنت من الكافرين بالله وبآياته ورسله.

﴿٦٠﴾ ويوم القيامة تشهد الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك والولد إليه وجوههم مسودة؛ علامة على شقائهم، أليس في جهنم مقرّ للمتكبرين على الإيمان بالله ورسله؟ بلى، إن فيها لمقرّ لهم.

﴿٦١﴾ ويُسَلِّمُ اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مِنَ الْعَذَابِ بِإِدْخَالِهِمْ مَكَانَ فَوْزِهِمْ وَهُوَ الْجَنَّةُ، لَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْحِظْوِظِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

﴿٦٢﴾ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا خَالِقَ غَيْرِهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ، يَدْبُرُ أَمْرَهُ، وَيَصْرِفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ.

﴿٦٣﴾ لَهُ وَحْدَهُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَمْنَحُهَا مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُهَا مَنْ يَشَاءُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ؛ لِحِرْمَانِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَلِدُخُولِهِمُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿٦٤﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يِرَاوِدُونَكَ أَنْ تَعْبُدَ أَوْثَانَهُمْ: أَنْتُمْ وَنَبِيِّنَا - أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ بِرَبِّكُمْ - أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ؟! لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، فَلَنْ أَعْبُدَ غَيْرَهُ.

﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ -، وَأَوْحَى إِلَيَّ الرِّسَالَةَ مِنْ قَبْلِكَ: لِئَنْ عِبَدْتَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لِيَبْطُلَنَّ ثَوَابُ عَمَلِكَ الصَّالِحِ، وَلِتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الدُّنْيَا بِخَسْرَانِ دِينِكَ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ.

﴿٦٦﴾ بَلْ أَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تَشْرِكْ بِهِ أَحَدًا، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لَهُ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ.

﴿٦٧﴾ وَمَا عَظَّمَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الضَّعِيفَةِ الْعَاجِزَةِ، وَغَفَلُوا عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ الَّتِي مِنْ مَظَاهِرِهَا أَنَّ الْأَرْضَ بِمَا فِيهَا مِنْ جِبَالٍ وَأَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ وَبِحَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَبْضَتِهِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ كُلَّهَا مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، تَنْزَّهَ وَتَقَدَّسَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَيَعْتَقِدُهُ الْمُشْرِكُونَ.

﴿٦٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ:

- ١ - الكبر خلق ذميمة مشؤوم يمنع من الوصول إلى الحق.
- ٢ - سواد الوجوه يوم القيامة علامة شقاء أصحابها.
- ٣ - الشرك محبط لكل الأعمال الصالحة.
- ٤ - ثبوت القبضة واليمين لله سبحانه دون تشبيهه ولا تمثيل.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
 ٦٨ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ
 بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
 ٦٩ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ
 وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
 فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
 يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
 هَذَا قَالُوا أَبْلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
 ٧١ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْىً
 الْمَتَّكِرِينَ ٧٢ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ
 الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
 خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ٧٣
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ
 نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٧٤

٦٨ يوم ينفخ المَلَكُ الموكل بالنفخ في القرن
 يموت كل من في السماوات ومن في
 الأرض، ثم ينفخ فيه المَلَكُ مرة ثانية
 للبعث، فإذا جميع الأحياء قائمون ينظرون
 ما الله فاعل بهم.

٦٩ وأضاءت الأرض لما تجلّى رب العزة
 للفصل بين العباد، ونُشرت صحف أعمال
 الناس، وحيء بالأنبياء، وحيء بالملائكة
 الحفظة الشهداء على أعمال الناس، وحكم الله
 بين جميعهم بالعدل، وهم لا يُظلمون في
 ذلك اليوم، فلا يزداد إنسان سيئة، ولا ينقص
 حسنة.

٧١ وأكمل الله جزاء كل نفس، خيرًا كان
 عملها أو شرًا، والله أعلم بما يفعلون،
 لا يخفى عليه من أفعالهم خيرها وشرها
 شيء، وسيجازيهم في هذا اليوم على
 أعمالهم.

٧٢ وساق الملائكة الذين كفروا بالله إلى
 جهنم جماعات ذليلة، حتى إذا جاؤوا جهنم
 فتحت لهم خزنتها من الملائكة الموكلين بها
 أبوابها، واستقبلوهم بالتوبيخ قائلين لهم: ألم
 يأتكم رسل من جنسكم يقرؤون عليكم آيات
 ربكم المنزلة عليهم، ويخوفونكم لقاء يوم
 القيامة لما فيه من عذاب شديد؟ قال الذين

كفروا مُقرّين على أنفسهم: بلى، قد حصل كل ذلك، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، ونحن كنا
 كافرين.

٧٣ قيل لهم إهانة لهم وتبئسًا من رحمة الله، ومن الخروج من النار: ادخلوا أبواب جهنم ماكين فيها أبدًا،
 فساء وقبح مقرّ المتكبرين المتعالين على الحق.

٧٤ وساق الملائكة برفق الذين اتقوا ربهم بامثال أوامره واجتناب نواهيهِ إلى الجنة جماعات مكرمة، حتى
 إذا جاؤوا الجنة فتحت لهم أبوابها، وقال لهم الملائكة الموكلون بها: سلام عليكم من كل ضرٍّ ومن كل ما
 تكرهونه، طابت قلوبكم وأعمالكم، فادخلوا الجنة ماكين فيها أبدًا.

٧٥ وقال المؤمنون لما دخلوا الجنة: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا على ألسنة رسله، فقد وعدنا
 بأن يدخلنا الجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل منها المكان الذي نشاء أن ننزله، فنعلم أجر العاملين الذين
 يعملون الأعمال الصالحة ابتغاء وجه ربهم.

﴿فوائد من الآيات﴾

- ١ - ثبوت النفختين.
- ٢ - بيان الإهانة التي يتلقاها الكفار، والإكرام الذي يُستقبل به المؤمنون.
- ٣ - ثبوت خلود الكفار في الجحيم، وخلود المؤمنين في النعيم.
- ٤ - طيب العمل يورث طيب الجزاء.

٧٥) ويكون الملائكة في هذا اليوم المشهود محيطين بالعرش، ينزهون الله عما لا يليق به مما يقوله الكفار، وقضى الله بين جميع الخلائق بالعدل، فأكرم من أكرم، وعذب من عذب، وقيل: الحمد لله رب المخلوقات على حكمه بما حكم به من رحمة لعباده المؤمنين، ومن عذاب لعباده الكافرين.

سُورَةُ الْعَنْفَالِ

— مَكِّيَّة —

● مقصد السورة:

التركيز على قضية معالجة المجادلين في آيات الله بمحاورتهم ودعوتهم للرجوع إلى الحق.

● التفسير:

١) حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢) تنزيل القرآن المنزل على رسول محمد ﷺ من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بمصالح عباده.

٣) غافر ذنوب المذنبين، قابل توبة من تاب إليه من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذي الإحسان والتفضل، لا معبود بحق غيره، إليه وحده مرجع العباد يوم القيامة، فيجازيهم بما يستحقون.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٧٥

سُورَةُ الْعَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم ١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَهُ الْمَصِيرُ ٣ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِنَا اللَّهُ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ ٤ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَالْأَحْزَابِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّنَا عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ٧

١) ما يخاصم في آيات الله الدالة على توحيده وصدق رسله إلا الذين كفروا بالله لفساد عقولهم، فلا تحزن عليهم، ولا يغرك ما هم فيه من بسط الرزق والنعم، فإمهالهم استدراج لهم ومكر بهم.

٢) كذب قبل هؤلاء قوم نوح، وكذبت قبلهم الأحزاب بعد قوم نوح، فكذبت عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكذب فرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتأخذه فتقتله، وجدالوا بما عندهم من الباطل ليزيلوا به الحق، فأخذت تلك الأمم كلها، فتأمل كيف كان عقابي لهم، فقد كان عقاباً شديداً.

٣) وكما حكم الله بإهلاك تلك الأمم المكذبة، وجبت كلمة ربك - أيها الرسول - على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

٤) الملائكة الذين يحملون عرش ربك - أيها الرسول - والذين هم من حوله، ينزهون ربهم عما لا يليق به، ويؤمنون به، ويطلبون المغفرة للذين آمنوا بالله، قائلين في دعائهم: ربنا، وسع علمك ورحمتك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من ذنوبهم، واتبعوا دينك، واحفظهم من النار أن تمسهم.

● فوائد من الآيات:

- ١ - الجمع بين الترغيب في رحمة الله، والترهيب من شدة عقابه، مسلك حسن.
- ٢ - أخذ الأمم المكذبة سنة إلهية.
- ٣ - تنزيه الملائكة لربهم.
- ٤ - الثناء على الله أدب من آداب الدعاء.
- ٥ - الدعاء للمسلم بظهر الغيب ينفع الداعي والمدعو له.

﴿٨﴾ وتقول الملائكة: ربنا، وأدخل المؤمنین جنات الخلد التي وعدتهم أن تدخلهم فيها، وأدخل من صلح عمله من آبائهم وأزواجهم وأولادهم، إنك أنت العزيز الذي لا يغلبك أحد، الحكيم في تقديرك وتديريك.

﴿٩﴾ واحفظهم من سيئات أعمالهم فلا تعذبهم بها، ومن تحفظه يوم القيامة من العقاب على سيئات أعماله فقد رحمته، تلك الوقاية من العذاب، والرحمة بدخول الجنة؛ هي الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

﴿١٠﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسله ينادون يوم القيامة عندما يدخلون النار ويمقتون أنفسهم ويلعنونها: لمقت الله لكم أعظم من مقتكم لأنفسكم حين كنتم تدعون في الدنيا إلى الإيمان بالله فتكفرون به، وتتخذون معه آلهة.

﴿١١﴾ وقال الكفار مُرَّين بذنوبهم حين لا ينفع إقرارهم ولا توبتهم: ربنا، أمتنا مرتين حيث كنا عدماً فأوجدتنا، ثم أمتنا بعد ذلك الإيجاد، وأحييتنا مرتين بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث، فاعترفنا بذنوبنا التي اكتسبناها، فهل إلى خروج من النار من طريق نسلكه فنعود إلى الحياة لنصلح أعمالنا، فترضى عنا؟

﴿١٢﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتهم به هو بسبب أنكم كنتم إذا دعى الله وحده ولم يشرك به أحد كفرتم به وجعلتم له شركاء، وإذا عبد مع الله شريك أمتتم، فالحكم لله وحده، العلي بذاته وقدره وقهره، الكبير.

﴿١٣﴾ الله هو الذي يريكم آياته في الآفاق والأنفس؛ لتدلكم على قدرته ووحديته، وينزل لكم من السماء ماء المطر ليكون سبباً لما ترزقون به من النبات والزروع وغيرهما، وما يتعظ بآيات الله إلا من يرجع إليه تائباً مخلصاً.

﴿١٤﴾ فادعوا الله - أيها المؤمنون - مخلصين له في الطاعة والدعاء، غير مشركين به، ولو كره الكافرون ذلك وأغضبهم.

﴿١٥﴾ فهو أهل لأن يُخلص له الدعاء والطاعة، فهو رفيع الدرجات مباين لجميع خلقه، وهو رب العرش العظيم، ينزل الوحي على من يشاء من عباده ليحيوا ويُحيوا غيرهم، وليخوفوا الناس من يوم القيامة الذي يتلاقى فيه الأولون والآخرون.

﴿١٦﴾ يوم هم ظاهرون قد اجتمعوا في صعيد واحد، لا يخفى على الله منهم شيء، لا من ذواتهم ولا أعمالهم ولا جزائهم، يسأل: لمن الملك اليوم؟ ليس الآن إلا جواب واحد؛ الملك لله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

﴿١٧﴾ فإنزل من الآيات:

١ - محل قبول التوبة الحياة الدنيا.

٢ - نفع الموعظة خاص بالمنيين إلى ربهم.

٣ - استقامة المؤمن لا تؤثر فيها مواقف الكفار الراضة لدينه.

٤ - خضوع الجبابرة والظلمة من الملوك لله يوم القيامة.

﴿٧﴾ اليوم تُجْزَى كل نفس بما كسبت من عمل، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، لا ظلم في هذا اليوم؛ لأن الحاكم هو الله العدل، إن الله سريع الحساب لعباده؛ لإحاطة علمه بهم.

﴿٨﴾ وخوفهم - أيها الرسول - يوم القيامة، هذه القيامة التي اقتربت، فهي آتية، وكل ما هو آت قريب، إذ القلوب من شدة هولها مرتفعة حتى تصل إلى حناجر أصحابها، صامتين لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الرحمن، ما للظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي من صديق ولا قريب، ولا شفيع يطاع إذا قُدِّرَ أنه يشفع.

﴿٩﴾ يعلم ما تختلسه أعين الناظرين خفية، ويعلم ما تكتمه الصدور، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿١٠﴾ والله يحكم بالعدل، فلا يظلم أحداً بنقص من حسناته، ولا بزيادة في سيئاته، والذين يعبدهم المشركون من دون الله لا يحكمون بشيء؛ لأنهم لا يملكون شيئاً، إن الله هو السميع لأقوال عباده، البصير بنياتهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

﴿١١﴾ أولم يسر هؤلاء المشركون في الأرض؛ فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، فقد كانت نهاية سيئة، كانت تلك الأمم أشد من هؤلاء قوة، وأثروا في الأرض بالبناء ما لم يؤثر فيها هؤلاء، فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وما كان لهم مانع يمنعهم من عقاب الله.

﴿١٢﴾ ذلك العذاب الذي أصابهم إنما أصابهم لأنهم كانت تأتيهم رسلكم من الله بالادلة الواضحة، والمعجزات الباهرة، فكفروا بالله وكذبوا رسلكم، ومع ما هم عليه من القوة فقد أخذهم الله فأهلكهم، إنه سبحانه قوي شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسلكم.

﴿١٣﴾ ولما واجهتكم تكذيب قومه له ذكر الله قصة موسى مع فرعون؛ تبشيراً له بأن عاقبة أمره النصر، فقال:

﴿١٤﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وبرهان قاطع. إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون، فقالوا: موسى ساحر كذاب فيما يدعيه من أنه رسول. فلما جاءهم موسى بالبرهان الدال على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم إهانة لهم، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب، لا أثر له.

﴿١٥﴾ فوالله من الآيات:

- ١ - شدة أهوال يوم القيامة.
- ٢ - إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.
- ٣ - مكر أهل الكفر زائل مهما كانت شدته.

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَقَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

﴿١٤﴾ فوالله من الآيات:

﴿١٥﴾ فوالله من الآيات:

﴿١٦﴾ فوالله من الآيات:

- ١ - شدة أهوال يوم القيامة.
- ٢ - إحاطة علم الله بأعمال عباده؛ خفية كانت أم ظاهرة.
- ٣ - مكر أهل الكفر زائل مهما كانت شدته.

﴿٣٦﴾ وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى عقاباً له، وليدع ربه أن يمنعه مني، فأنا لا أبالي أن يدعو ربه، إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والتخريب.

﴿٣٧﴾ وقال موسى ﷺ: لَمَّا عَلِمَ بِتَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ لَهُ: إني استجرت بربي وربكم من كل متكبر عن الحق والإيمان به، لا يؤمن بيوم القيامة، وما فيه من حساب وعقاب.

﴿٣٨﴾ وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون يكتُم إيمانه عن قومه منكرًا عليهم عزمهم على قتل موسى: أقتلون رجلاً دون جرم غير أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من ربه؟ وإن قدر أنه كاذب فضرر كذبه عائد عليه، وإن يكن صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب عاجلاً، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز لحدوده، مفتر عليه وعلى رسله.

﴿٣٩﴾ يا قوم، لكم الملك اليوم غالبين في أرض مصر، فمن ينصرونا من عذاب الله إن جاءنا بسبب قتل موسى؟ قال فرعون: الرأي رأبي والحكم حكمي، وقد رأيت أن أقتل موسى؛ دفعاً للشر والفساد، وما

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ

أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٣٦﴾

وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ

لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا

فَلْيَلِئِهِ كِذِبُوهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمُ

لَكُمْ أَلَمْ تَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ

بِأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا

أَهْدِيكُمْ إِلَّا لِسَبِيلِ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقَوْمُ إِنِّي

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤١﴾

وَيَنْقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَدْرِينِ

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾

أرشدكم إلا إلى الصواب والسداد.

﴿٣٦﴾ وقال الذي آمن ناصحاً قومه: إني أخاف عليكم - إن قتلتم موسى ظلماً وعدواناً - عذاباً مثل عذاب الأحزاب الذين تحزبوا على رسلهم من السابقين فأهلكهم الله.

﴿٣٧﴾ كعادة من كفر وكذب الرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم، فقد أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لرسله، وما الله يريد ظلماً للعباد، وإنما يعذبهم بذنوبهم؛ جزاءً وفاقاً.

﴿٣٨﴾ ويا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، ذلك اليوم الذي ينادي الناس بعضهم بعضاً بسبب قرابة أو جاه ظناً منهم أن هذا المسلك ينفعهم في هذا الموقف الرهيب.

﴿٣٩﴾ يوم تولتو هارين خوفاً من النار، ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ومن يخذله الله، ولا يوفقه للإيمان، فما له من هاد يهديه؛ لأن هداية التوفيق بيد الله وحده.

﴿٤٠﴾ فإذن من الآيات:

١ - إحداد فرعون.

٢ - لجوء المؤمن إلى ربه ليحميه من كيد أعدائه.

٣ - جواز كتم الإيمان للمصلحة الراجحة أو لدرء المفسدة.

٤ - تقديم النصح للناس من صفات أهل الإيمان.

﴿٢٤﴾ ولقد جاءكم يوسف من قبل موسى بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما زلت في شك وتكذيب لما جاءكم به، حتى إذا توفي ازددتم شكًا وارتيابًا، وقلتم: لن يبعث الله من بعده رسولًا كذلك يضل الله كل من هو متجاوز لحدود الله، شكًا في وحدانيته.

﴿٢٥﴾ الذين يخاصمون في آيات الله ليطولها بغير حجة ولا برهان أتاهم، كبر جدالهم مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا به وبرسله، كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا لإبطالها يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق متجبّر، فلا يهتدي إلى صواب، ولا يرشد إلى خير.

﴿٢٦﴾ وقال فرعون لوزيره هامان: يا هامان، ابن لي بناءً عاليًا؛ رجاء أن أبلغ الطرق.

﴿٢٧﴾ رجاء أن أبلغ طرق السماوات الموصلة إليها، فأنظر إلى معبود موسى الذي يزعم أنه المعبود بحق، واني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه، وهكذا زين لفرعون قبح عمله حين طلب ما طلب من هامان، وصرف عن طريق الحق إلى طرق الضلال، وما مكر فرعون لإظهار باطله الذي هو عليه، وإبطال الحق الذي جاء به موسى إلا في خسارة؛ لأن ماله الخيبة والإخفاق في سعيه، والشقاء الذي لا ينقطع أبدًا.

﴿٢٨﴾ وقال الرجل الذي آمن من آل فرعون ناصحًا قومه ومرشدًا إياهم إلى طريق الحق: يا قوم، اتبعوني أدلكم وأرشدكم إلى طريق الصواب، والهداية إلى الحق.

﴿٢٩﴾ يا قوم، إنما هذه الحياة الدنيا تمتع بملذات منقطعة، فلا تغرّكتم بما فيها من متاع زائل، وإن الدار الآخرة بما فيها من نعيم دائم لا ينقطع هي دار الاستقرار والإقامة، فاعملوا لها بطاعة الله، واحذروا من الانشغال عن العمل لها بحياتكم الدنيا.

﴿٣٠﴾ من عمل عملًا سيئًا فلن يعاقب إلا بمثل ما عمل، لا يزداد عليه عقاب، ومن عمل عملًا صالحًا يتنغي به وجه الله، ذكرًا كان العامل أو أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، فأولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة يدخلون الجنة يوم القيامة، يرزقهم الله مما أودعه فيها من الثمرات والنعيم المقيم الذي لا ينقطع أبدًا بغير حساب.

﴿٣١﴾ فاولئكَ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الجدال لإبطال الحق وإحقاق الباطل خصلة ذميمة، وهي من صفات أهل الضلال.

٢ - التكبر مانع من الهداية إلى الحق.

٣ - إخفاق حيل ومكر الكفار لإبطال الحق.

٤ - وجوب الاستعداد للآخرة، وعدم الانشغال عنها بالدنيا.

٤١) ويا قوم، ما لي أدعوكم إلى النجاة من الخسران في الحياة الدنيا والآخرة بالإيمان بالله والعمل الصالح، وتدعونني إلى دخول النار بما تدعونني إليه من الكفر بالله وعصيانه؟

٤٢) تدعونني إلى باطلكم رجاء أن أكفر بالله، وأعبد معه غيره مما لا علم لي بصحة عبادته مع الله، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، القهار الذي قهر كل شيء.

٤٣) حقاً إن ما تدعونني إلى الإيمان به وإلى طاعته؛ ليس له دعوة يُدعى بها بحق في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يستجيب لمن دعاه، وأن مرجعنا جميعاً إلى الله وحده، وأن المسرفين في الكفر والمعاصي هم أصحاب النار الذين يلزمون دخولها يوم القيامة.

٤٤) فرفضوا نصحه، فقال: ستذكرون ما قدمت لكم من نصح، وتتحسرون على عدم قبوله، وأفوض أموري كلها إلى الله وحده، إن الله بصير بعباده، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

٤٥) فحفظه الله من سوء مكرهم حين أرادوا قتله، وأحاط بأل فرعون عذاب الغرق، فقد أغرقه الله هو وجنوده كلهم في الدنيا.

٤٦) وبعد موتهم يعرضون على النار في قبورهم أول النهار وآخره، ويوم القيامة يقال: أدخلوا أتباع فرعون أشد العذاب وأعظمه؛ لما كانوا عليه من الكفر والتكذيب والصد عن سبيل الله.

٤٧) واذكر - أيها الرسول - حين يتخاصم الأتباع والمتبوعون من أصحاب النار، فيقول الأتباع المستضعفون للمتبوعين المتكبرين: إنا كنا لكم أتباعاً في الضلال في الدنيا، فهل أنتم مغنون عنا جزءاً من عذاب الله بتحمّله عنا؟

٤٨) قال المتبوعون المستكبرون: إنا - سواء كنا أتباعاً أو متبوعين - في النار، ولا يتحمل أحد منا جزءاً من عذاب الآخر، إن الله قد حكم بين العباد، فأعطى كل ما يستحقه من العذاب.

٤٩) وقال المعذبون في النار من الأتباع والمتبوعين لخزنة جهنم لما يسوا من الخروج من النار والعودة إلى الحياة الدنيا ليتوبوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً واحداً من هذا العذاب الدائم.

﴿فأولئك من الآيات﴾

١ - الإيمان سبب في النجاة، والكفر سبب في الهلاك.

٢ - أهمية التوكل على الله.

٣ - نجاة الداعي إلى الحق من مكر أعدائه.

٤ - ثبوت عذاب البرزخ.

٥ - تعلق الكافرين بأي سبب يريحهم من النار ولو لمدة محدودة، وهذا لن يحصل أبداً.

﴿٥٦﴾ قال خزنة جهنم ردًا على الكفار: أولم تكن تأتيكم رسلكم بالبراهين والأدلة الواضحة، قال الكفار: بلى، كانوا يأتيوننا بالبراهين والأدلة الواضحة، قال الخزنة تهكمًا بهم: فادعوا أنتم، فنحن لا نشفع للكفار، وما دعاء الكافرين إلا في بطلان وضيق؛ لعدم قبوله منهم بسبب كفرهم.

ولما ذكر الله قصة فرعون وما آل إليه أمره وأمر أتباعه في الدنيا والآخرة ذكر أمر الرسل والمؤمنين، وما يصيرون إليه من نصر في الدنيا والآخرة فقال:

﴿٥٧﴾ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالله وبرسله في الدنيا بإظهار حججهم وتأيدهم على أعدائهم، وننصرهم يوم القيامة بإدخالهم الجنة، وبعقاب خصومهم في الدنيا بإدخالهم النار بعد أن يشهد أهل الحق من الأنبياء والملائكة على حصول التبليغ وتكذيب الأمم.

﴿٥٨﴾ يوم لا ينفع الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي اعتذارهم عن ظلمهم، ولهم في ذلك اليوم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء الدار في الآخرة بما يلاقونه من العذاب الأليم.

﴿٥٩﴾ ولقد أعطينا موسى المعجزات، والعلم الذي يهتدي به بنو إسرائيل إلى الحق، وجعلنا التوراة كتابًا متواترًا في بني إسرائيل يرثونه جيلاً بعد جيل.

﴿٦٠﴾ هدايةً إلى طريق الحق، وتذكيرًا لأصحاب العقول السليمة.

﴿٦١﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما تلقاه من تكذيب قومك وإيذائهم، إن وعد الله لك بالنصر والتأييد حق لا مرية فيه، واطلب المغفرة لذنبك، وسيح بحمد ربك أول النهار وآخره.

﴿٦٢﴾ إن الذين يخاصمون في آيات الله سعيًا لإبطالها بغير حجة ولا برهان، ما يحملهم على ذلك إلا إرادة الاستعلاء والتكبر على الحق، ولن يصلوا إلى ما يريدونه من الاستعلاء عليه، فاعتصم - أيها الرسول - بالله، إنه هو السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٦٣﴾ لخلق السماوات والأرض لضخامتهما واتساعهما أعظم من خلق الناس، فالذي خلقهما مع عظمهما قادر على بعث الموتى من قبورهم أحياء ليحاسبهم ويجازيهم، ولكن معظم الناس لا يعلمون، فلا يعتبرون به، ولا يجعلونه دليلًا على البعث مع وضوحه.

﴿٦٤﴾ ولا يستوي الذي لا يبصر والذي يبصر، ولا يستوي الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله وأحسنوا أعمالهم، لا يستون مع من يسيء عمله بالاعتقاد الفاسد والمعاصي، لا تتذكرون إلا قليلاً؛ إذ لو تذكروا لعلمتم الفرق بين الفريقين لتسعوا إلى أن تكونوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات رغبة في مرضاة الله.

﴿٦٥﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - نصر الله لرسله وللمؤمنين سنة إلهية ثابتة.
- ٢ - اعتذار الظالم يوم القيامة لا ينفعه.
- ٣ - أهمية الصبر في مواجهة الباطل.
- ٤ - دلالة خلق السماوات والأرض على البعث؛ لأن من خلق ما هو عظيم قادر على إعادة الحياة إلى ما دونه.

٥٩) إن الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء لأتية لا محالة، لا شك فيها، ولكن معظم الناس لا يصدقون بمجيئها، ولذلك لا يستعدون لها بالإيمان والعمل الصالح.

٦٠) وقال ربكم - أيها الناس -: ادعوني وحدي واعبدوني وحدي، ولا تشركوا بي أحدًا، إن الذين يتكبرون عن عبادتي وحدي سيدخلون يوم القيامة جهنم صاغرين ذليلين.

٦١) الله هو الذي صير لكم الليل مظلمًا لتسكنوا فيه وتستريحوا، وصير النهار مضيئًا منيرًا لتعملوا فيه، إن الله لذو فضل عظيم على الناس حين أسبغ عليهم من ظاهر نعمه وباطنها، ولكن معظم الناس لا يشكرونه سبحانه على ما أنعم به عليهم منها.

٦٢) ذلكم الله الذي تفضل عليكم بنعمه هو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، لا معبود بحق إلا هو، فكيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا.

٦٣) كما صرف هؤلاء عن الإيمان بالله وعبادته وحده يصرف عنه من يجحد بآيات الله الدالة على توحده في كل زمان ومكان، فلا يهتدي إلى حق، ولا يُوقَّع لرشده.

٦٤) الله الذي صير لكم - أيها الناس -

إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّارْيَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾

الأرض قارة مهياة لاستقراركم عليها، وصير السماء محكمة البناء فوقكم ممنوعة من السقوط، وصوَّركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم، ورزقكم من حلال الأطعمة ومستطابها، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الله ربكم، فتبارك الله رب المخلوقات كلها، فلا رب لها غيره سبحانه.

٦٥) هو الحي الذي لا يموت، لا معبود بحق غيره، فادعوه دعاء عبادة ومسألة؛ قاصدين وجهه وحده، ولا تشركوا معه غيره من مخلوقاته، الحمد لله رب المخلوقات.

٦٦) قل - أيها الرسول -: إنني نهاني الله أن أعبد الذين تعبدونهم من دون الله من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر حين جاءني البراهين والأدلة الواضحة على بطلان عبادتها، وأمرني الله أن أنقاد له وحده بالعبادة، فهو رب الخلائق كلها، لا رب لها غيره.

﴿فوائد من الآيات﴾:

- ١ - دخول الدعاء في مفهوم العبادة التي لا تصرف إلا إلى الله؛ لأن الدعاء هو عين العبادة.
- ٢ - نعم الله تقتضي من العباد الشكر.
- ٣ - ثبوت صفة الحياة لله.
- ٤ - أهمية الإخلاص في العمل.

﴿٧٧﴾ هو الذي خلق أبائكم آدم من تراب، ثم جعل خلقكم من بعده من نطفة، ثم بعد النطفة من دم مُنْعَقِد، ثم بعد ذلك يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً صغاراً، ثم لتصلوا كمال قوتكم، ثم لتكبروا حتى تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا أمداً محدداً في علم الله، لا تنقصون عنه، ولا تزيدون عليه، ولعلكم تنتفعون بهذه الحجج والبراهين على قدرته ووحدانيته.

﴿٧٨﴾ هو وحده سبحانه الذي بيده الإحياء، وهو وحده الذي بيده الإمامة، فإذا قضى أمراً فإنما يقول لذلك الأمر: (كن)، فيكون.

﴿٧٩﴾ ألم تر - أيها الرسول - الذين يخاصمون في آيات الله مكذبين بها مع وضوحها؛ لتعجب من حالهم وهم يعرضون عن الحق مع وضوحه.

﴿٨٠﴾ الذين كذبوا بالقرآن، وبما بعثنا به رسلنا من الحق، سوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم، ويرون سوء الخاتمة.

﴿٨١﴾ يعلمون عاقبته حين تكون الأصفاد في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، تجرهم زبانية العذاب.

﴿٨٢﴾ يسحبونهم في الماء الحار الذي اشتد غليانه، ثم في النار يوقدون.

﴿٨٣﴾ ثم قيل لهم تَبَكَّيْتُمْ لَهُمْ وَتَوَيْخًا: أين الآلهة المزعومة التي أشركتم بعبادتها؟

﴿٨٤﴾ من دون الله من أصنامكم التي لا تنفع ولا تضر؟ قال الكفار: غابوا عنا فلنسنا نراهم، بل ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً يستحق العبادة، مثل إضلال هؤلاء يضل الله الكافرين عن الحق في كل زمان ومكان.

﴿٨٥﴾ ويقال لهم: ذلك العذاب الذي تقاسونه بسبب فرحكم بما كنتم عليه من الشرك، وبتوسعكم في الفرح.

﴿٨٦﴾ ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها أبداً، ففصح مستقر المتكبرين عن الحق الذي يستقرون فيه.

ولما عانى رسول الله ﷺ من قومه ما عانى، أمره الله بالصبر، وسأله بما وعده به من النصر، فقال:

﴿٨٧﴾ فاصبر - أيها الرسول - على أذى قومك وتكذيبهم، إن وعد الله بنصرك حق لا مِرْيَةَ فِيهِ، فإما نريتك في حياتك بعض الذي نعدهم به من العذاب كما حصل يوم بدر، أو تتوفيتك قبل ذلك، فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم على أعمالهم، فندخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٨٨﴾ فإذ من الآيات:

١ - التدرج في الخلق سنة إلهية يتعلم منها الناس التدرج في حياتهم.

٢ - قبح الفرح بالباطل.

٣ - أهمية الصبر في حياة الناس، وبخاصة الدعاة منهم.

﴿٧٦﴾ ولقد بعثنا رسلاً كثيرين من قبلك - أيها الرسول - إلى أممهم، فكذبوهم وأذوهم فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم، من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصص عليك خبرهم، وما يصح لرسول أن يأتي قومه بآية من ربه إلا بمشيئته سبحانه، فاقترح الكفار على أممهم الإتيان بالآيات ظلم، فإذا جاء أمر الله بالفتح أو الفصل بين الرسل وأقوامهم فصل بينهم بالعدل، فأهلك الكفار ونجى الرسل، وخسر في ذلك الموقف الذي يفصل فيه بين العباد أصحاب الباطل أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرها.

﴿٧٧﴾ الله هو الذي جعل لكم الإبل والبقر والغنم؛ لتركبوا بعضها، وتأكلوا لحوم بعضها. ﴿٧٨﴾ لكم في هذه المخلوقات منافع متعددة تتجدد في كل عصر، ويحصل لكم من خلالها ما ترغبون به مما في أنفسكم من حاجات، وأبرزها التنقل في البر والبحر. ﴿٧٩﴾ ويربيكم سبحانه من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته، فأي آيات الله لا تعترفون بها بعد أن تقرر لديكم أنها آياته؟

﴿٨٠﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم فيعتبروا بها؟ فقد كانت تلك الأمم أكثر منهم أموالاً، وأعظم قوة، وأشد آثاراً في الأرض، فما أغنى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلِكِ تُحْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٧٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّوهُوَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ ﴿٨٢﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

عنهم ما كانوا يكسبون من القوة لما جاءهم عذاب الله المهلك. ﴿٨٢﴾ فلما جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة والمعجزات الجليلة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك بما عندهم من العلم المنافي لما جاءتهم به رسلهم، ونزل بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب الذي كانت تخوفهم رسلهم منه. ﴿٨٣﴾ فلما رأوا عذابنا قالوا مقربين حين لا ينفعهم إقرار: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا نعبد من دونه من شركاء وأصنام. ﴿٨٤﴾ فلم يكن إيمانهم حين عاينوا عذابنا ينزل بهم نافعاً لهم، سُنَّةُ اللَّهِ التي مضت في عبادته أنه لا ينفعهم إيمانهم عندما يعاينون العذاب، وخسر الكافرون حين نزول العذاب أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب كفرهم بالله، وعدم التوبة منها قبل معاينة العذاب.

﴿٨٥﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - لله رسل غير الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم نؤمن بهم إجمالاً.
- ٢ - من نعم الله تبيينه الآيات الدالة على توحيده.
- ٣ - خطر الفرح بالباطل وسوء عاقبته على صاحبه.
- ٤ - بطلان الإيمان عند معاينة العذاب المهلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كِتَابٌ فُضِّلَتْ
آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيءِ آذَانِنَا وَقُرْءَانٍ مِّنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ
أَتَمِّ إِلَهِكُمُ اللَّهُ وَحْدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ
لِّلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْنُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ ٧ إِنَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩
وَجَعَلَ فِيهَا رِيسًا مِّنْ قَوْمِهَا وَبَرَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيْلٍ ١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضَ أَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١

﴿مَقْصَدُ السُّورَةِ﴾:

بيان كيفية معالجة المعرضين عن القرآن برفق،
بيان أن القرآن هو الحق، وعاقبة الإعراض.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في
بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ هذا القرآن تنزيل من الله الرحمن الرحيم.

﴿٣﴾ كتاب بُيِّنَتْ آيَاتُه أتمَّ تبيين وأكمله،
وجعل قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون؛ لأنهم الذين
ينتفعون بمعانيه، وبما فيه من الهداية إلى
الحق.

﴿٤﴾ مبشِّرًا المؤمنين بما أعدَّ الله لهم من
الجزاء الجزيل، ومخوِّفًا الكافرين من
عذاب الله الأليم، فأعرض معظمهم عنه،
فهم لا يسمعون ما فيه من الهدى سماع
قبول.

﴿٥﴾ وقالوا: قلوبنا مغطاة بأغلفة فلا تعقل ما
تدعوننا إليه، وفي آذاننا صمم فلا تسمعه،
ومن بيننا وبينك ستر فلا يصل إلينا شيء مما
تقول، فاعمل أنت على طريقتك، إنا عاملون
على طريقتنا، ولن نتبعك.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المعاندين: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الله أنما معبودكم بحق معبود واحد
هو الله، فأخلصوا له العبادة، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، والخسران المبين للمشركين الذين يعبدون غير الله
أو يشركون معه أحدًا.

﴿٧﴾ الذين لا يعطون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة - وما فيها من نعيم مقيم وعذاب أليم - كافرون.

﴿٨﴾ إن الذين آمنوا بالله وبرزلوه، وعملوا الأعمال الصالحات لهم ثواب خالد غير مقطوع وهو الجنة.

﴿٩﴾ قل - أيها الرسول - موبِّخًا المشركين: لماذا أنتم تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين: يوم الأحد
والاثنين، وتجعلون له نظراء تعبدونهم من دونه؟ ذلك رب المخلوقات كلهم.

﴿١٠﴾ وجعل فيها جبالًا ثوابت من فوقها تثبتها لئلا تضطرب، وقدر فيها أقوات الناس والبهائم في أربعة أيام
متمة لليومين السابقين هما: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سواء لمن أراد أن يسأل عنها.

﴿١١﴾ ثم قصد سبحانه إلى خلق السماء، وهي يومئذ دخان فقال لها، وقال للأرض: انقادا لأمرى مختارتين،
أو مكروهتين، لا مَجِيد لكما عن ذلك، قالتا: أتينا طائعتين، فلا إرادة لنا دون إرادتك يا ربنا.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - تعطيل الكافرين لوسائل الهداية عندهم يعني بقاءهم على الكفر.

٢ - بيان منزلة الزكاة، وأنها ركن من أركان الإسلام.

٣ - استسلام الكون لله وانقياده لأمره سبحانه بكل ما فيه.

﴿١٢﴾ فأنمَّ الله خلق السماوات في يومين: يوم الخميس ويوم الجمعة، وهما تم خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأوحى الله في كل سماء ما يقدره فيها، وما يأمر به من طاعة وعبادة، وزيننا السماء الدنيا بالنجوم، وحفظناها من استراق الشياطين السمع، ذلك المذكور كله تقدير العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بخلقه.

﴿١٣﴾ فإن أعرض هؤلاء عن الإيمان بما جئت به فقل لهم - أيها الرسول -: خوفتكم عذاباً يقع عليكم مثل العذاب الذي وقع على عاد قوم هود، وثمود قوم صالح لما كذبوهم.

﴿١٤﴾ حين جاءتهم رسلم يتبع بعضهم بعضاً بدعوة واحدة يأمرونهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده، قال الكفار منهم: لو شاء ربنا إنزال ملائكة إلينا رسلاً لأنزلهم، إنا كافرون بما أرسلتم به؛ لأنكم بشر مثلنا.

﴿١٥﴾ فأما عاد قوم هود فمخ كفروهم بالله تكبروا في الأرض بغير الحق، وظلموا من حولهم، وقالوا وهم مخدوعون بقوتهم: من أشد منا قوة؟ لا أحد أشد منهم قوة بزعمهم، فردَّ الله عليهم: أفلا يعلم هؤلاء ويشاهدوا أن الله الذي خلقهم وأودع فيهم القوة التي أطغتهم هو أشد منهم قوة؟ وكانوا يكفرون بآيات الله التي جاء بها هود عليه السلام.

فَقَضَّهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ
 عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٤﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
 خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
 فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا عَادًا فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
 ﴿١٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسَبَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ
 عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ
 لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
 الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ لَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ
 ﴿١٨﴾ وَبِجَنَاتِ الدِّينِ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
 أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَٰذَا شَهِدَ
 عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٦﴾ فبعثنا عليهم ريحاً ذات صوت مزعج في أيام مشؤمات عليهم لما فيها من العذاب؛ لنذيقهم عذاب الذل والمهانة لهم في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أشدَّ إذلالاً لهم، وهم لا يجدون من ينصرهم بإفقادهم من العذاب.

﴿١٧﴾ وأما ثمود قوم صالح فقد هديناهم بتبيين طريق الحق لهم، ففضلوا الضلال على الهداية إلى الحق، فأخذهم العذاب المذل بسبب ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي.

﴿١٨﴾ وأنجينا الذين آمنوا بالله ورسله، وكانوا يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، أنجيناهم من العذاب الذي حلَّ بقومهم.

﴿١٩﴾ ويوم يحشر الله أعداءه إلى النار، تردُّ الزبانية أولهم إلى آخرهم، لا يستطيعون الهرب من النار.

﴿٢٠﴾ حتى إذا ما جاؤوا النار التي سيقوا إليها، وتذكروا لما كانوا يعملون في الدنيا، شهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي.

﴿٢١﴾ فإذ من الآيات:

- ١ - الإعراض عن الحق سبب المهالك في الدنيا والآخرة.
- ٢ - التكبر والاعتزاز بالقوة مانعان من الإذعان للحق.
- ٣ - الكفار يُجمَع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.
- ٤ - إهلاك الكفار وإنجاء المؤمنين سنَّة إلهية.
- ٥ - شهادة الجوارح يوم القيامة على أصحابها.

﴿٦١﴾ وقال الكفار لجلودهم: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ قالت الجلود جواباً لأصحابها: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة عندما كنتم في الدنيا، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٦٢﴾ وما كنتم تستخفون حين ترتكبون المعاصي حتى لا تشهد عليكم أسماعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بحساب ولا عقاب ولا ثواب بعد الموت، ولكن ظننتم أن الله سبحانه لا يعلم كثيراً مما تعملونه، بل يخفى عليه، فاعتررتم.

﴿٦٣﴾ وذلكم الظن السيئ الذي ظننتم بربكم أهلككم، فأصبحتم بسبب ذلك من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.

﴿٦٤﴾ فإن يصبر هؤلاء الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم، فالنار مستقر لهم، وماوى يأوون إليه، وإن يطلبوا رضا الله عنهم ودخول الجنة، فما هم بنائلين رضاه ولا داخلين الجنة أبداً.

﴿٦٥﴾ وبعثنا على هؤلاء الكفار قرناء من الشياطين يلازمونهم، فزيتوا لهم الكفر والمعاصي وإنكار البعث والجزاء، ووجب عليهم العذاب في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين حيث خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بدخولهم النار.

﴿٦٦﴾ وقال الكفار متواصين فيما بينهم لما عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرؤه عليكم محمد، ولا تنقادوا لما فيه، وصيحوا وارفعوا أصواتكم عند قراءته له؛ لعلكم بذلك تنتصرون عليه، فيترك تلاوته والدعوة إليه، فنستريح منه.

﴿٦٧﴾ فلنذيقن الذين كفروا بالله، وكذبوا رسله عذاباً شديداً يوم القيامة، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون من الشرك والمعاصي عقاباً لهم عليها.

﴿٦٨﴾ ذلك الجزاء المذكور جزاء أعداء الله الذين كفروا به وكذبوا رسله النار، لهم فيها خلود لا ينقطع أبداً؛ جزاءً على جحدهم لآيات الله، وعدم إيمانهم بها مع وضوحها وقوة حجتها.

﴿٦٩﴾ وقال الذين كفروا بالله وكذبوا رسله: ربنا، أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس: إبليس الذي سنّ الكفر والدعوة إليه، وابن آدم الذي سنّ سفك الدماء، نجعلهما في النار تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين الذين هم أشد أهل النار عذاباً.

﴿٧٠﴾ فإذن من الآيات:

١ - سوء الظن بالله صفة من صفات الكفر.

٢ - الكفر والمعاصي سبب تسليط الشياطين على الإنسان.

٣ - تمتي الأتباع أن ينال متبوعهم أشد العذاب يوم القيامة.

وَقَالُوا الْجُلُودُ لَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا فَمَا نَآلُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦١﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾
وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٣﴾ فَإِنْ يَصَّبِرُوا فَالْتَأَرُّ مَشْوَى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْجِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٦٤﴾ * وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَافِیْهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ فَلَنَذِیْقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِیْدًا وَلَنَجْزِیْنَهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا یَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ التَّارِكِ لَهُمْ فِیْهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا یَأْتِیْنَآ بِمُحْمَدُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِیْنَ ﴿٦٩﴾

ولما ذكر الله جزاء أعدائه ذكر جزاء أوليائه، فقال:

﴿٣٠﴾ إن الذين قالوا: ربنا الله، لا رب لنا غيره، واستقاموا على امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، تنزل عليهم الملائكة عند احتضارهم قائلين لهم: لا تخافوا من الموت ولا مما بعده، ولا تحزنوا على ما خلقتكم في الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا على إيمانكم بالله وعملكم الصالح. ﴿٣١﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، وقد كنا نسددكم ونحفظكم، ونحن أولياؤكم في الآخرة، فولابتنا لكم مستمرة، ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم من المملذات والشهوات، ولكم فيها كل ما تطيبونه مما تشتهونه.

﴿٣٢﴾ رزقاً مهيباً لكم من رب غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، رحيم بهم. ﴿٣٣﴾ ولا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله والعمل بشرعه، وعمل عملاً صالحاً يرضي ربه، وقال: إنني من المستسلمين المتقادين لله، فمن فعل ذلك كله فهو أحسن الناس قولاً.

﴿٣٤﴾ ولا يستوي فعل الحسنات والطاعات التي ترضي الله، ولا فعل السيئات

والمعاصي التي تسخطه، ادفع بالخصلة التي هي أحسن إساءة من أساء إليك من الناس، فإذا الذي بينك وبينه عداوة سابقة - إذا دعت إساءته بالإحسان إليه - كأنه قريب شفيق.

﴿٣٥﴾ ولا يُوفَّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على الإيذاء، وما يلاقونه من الناس من السوء، ولا يُوفَّق لها إلا ذو نصيب عظيم؛ لما فيها من الخير الكثير، والنفع الوفير.

﴿٣٦﴾ وإن وسوس لك الشيطان في أي وقت بشرّ فاعتصم بالله والجاإ إليه، إنه هو السميع لما تقوله، العليم بحالك.

﴿٣٧﴾ ومن آيات الله الدالة على عظمته وتوحيده الليل والنهار في تعاقبهما، والشمس والقمر، لا تسجدوا - أيها الناس - للشمس، ولا تسجدوا للقمر، واسجدوا لله وحده الذي خلقهن إن كنتم تعبدونه حقاً.

﴿٣٨﴾ فإن استكبروا وأعرضوا، ولم يسجدوا لله الخالق، فالملائكة الذين هم عند الله يسبحونه ويحمدونه سبحانه في الليل والنهار معاً، وهم لا يملّون من عبادته.

﴿٣٩﴾ فوالله من الآيات:

١ - منزلة الاستقامة عند الله عظيمة.

٢ - الاستقامة سبب للأمن.

٣ - مكانة الدعوة إلى الله، وأنها أفضل الأعمال.

٤ - الصبر على الإيذاء والدفع بالتي هي أحسن خلقان لا غنى للداعي إلى الله عنهما.

﴿٣٦﴾ ومن آياته الدالة على عظمته وتوحيده وعلى قدرته على البعث أنك تعاین الأرض لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر تحركت بسبب نمو المخبوء فيها من بذور، وارتفعت، إن الذي أحيى هذه الأرض الميتة بالنبات، لمحبي الموتى وباعثهم للحساب والجزاء، إنه على كل شيء قدير، لا يعجزه إحياء أرض بعد موتها، ولا إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

﴿٣٧﴾ إن الذين يميلون في آيات الله عن الصواب بإنكارها والتكذيب بها وتحريفها لا يخفى حالهم علينا، فنحن نعلمهم، أفمن يُلقى في النار أفضل أم من يأتي يوم القيامة آمناً من العذاب؟ اعملوا - أيها الناس - ما شئتم من خير وشر، فقد بينا لكم الخير والشر، إن الله بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿٣٨﴾ إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم من عند الله لمعدوبون يوم القيامة.

﴿٣٩﴾ وإنه لكتاب عزيز منيع، لا يستطيع مُحَرَّف أن يحرفه، ولا مُبَدَّل أن يبدله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنقص أو زيادة أو تبديل أو تحريف، تنزيل من حكيم في خلقه وتقديره وتشريعه، محمود على كل حال.

ولما ذكر الله حال المكذبين بالكتاب صبر رسوله وسلاؤه بما كان يلقاه من قبله إخوانه

من الرسل من التكذيب والسخرية والافتراء، فقال:

﴿٤٠﴾ ما يقال لك - أيها الرسول - من التكذيب إلا ما قد قيل للرسل من قبلك فاصبر، فإن ربك لذو مغفرة لمن تاب إليه من عباده، وذو عقاب موجه لمن أصرّ على ذنوبه ولم يتب.

﴿٤١﴾ ولو أنزلنا هذا القرآن بغير لغة العرب لقال الكفار منهم: لولا بُيِّنَتْ آياته حتى نفهمها، أيكون القرآن أعجمياً، والذي جاء به عربي؟ قل - أيها الرسول - لهؤلاء: القرآن - للذين آمنوا بالله وصدقوا رسله - هداية من الضلال وشفاء لما في الصدور من الجهل وما يتبعه، والذين لا يؤمنون بالله في آذانهم صمم، وهو عليهم عمى لا يفهمونه، أولئك الموصوفون بتلك الصفات ينادون من مكان بعيد، فكيف لهم أن يسمعوا صوت المنادي!

﴿٤٢﴾ ولقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيه، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر به، ولولا وعد من الله أن يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه لحكم بين المختلفين في التوراة، فبين المحق والمبطل، فأكرم المحق وأهان المبطل، وإن الكفار لفي شك من أمر القرآن مريب.

﴿٤٣﴾ من عمل عملاً صالحاً ففعل عمل الصالح عائد إليه، فالله لا ينفعه العمل الصالح من أحد، ومن عمل عملاً سيئاً فضرر ذلك راجع إليه، فالله لا تضرّه معصية أحد من خلقه، وسيجازي كلًّا بما يستحقه، وما ربك - أيها الرسول - بظلام لعبيده، فلن ينقصهم حسنة، ولن يزيدهم سيئة.

﴿٤٤﴾ فاولئك من الآيات:

١ - حفظ الله القرآن من التبديل والتحريف، وتكفل سبحانه بهذا الحفظ، بخلاف الكتب السابقة له. ٢ - قطع الحجة على مشركي العرب بنزول القرآن بلغتهم. ٣ - نفي الظلم عن الله، وإثبات العدل له.

﴿٤٧﴾ إلى الله وحده يُردُّ علم الساعة؛ فهو وحده يعلم متى تقع، فلا يعلم ذلك غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها التي تحفظها، وما تحمل من أنثى إلا بعلمه، لا يفوته من ذلك شيء، ويوم ينادي الله المشركين الذين كانوا يعبدون معه الأصنام؛ مُوبِّخًا إياهم على عبادتهم لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء؟ قال المشركون: اعترفنا أمامك، ما منا من يشهد الآن أن لك شريكًا.

﴿٤٨﴾ وغاب عنهم ما كانوا يدعونه من الأصنام، وأيقنوا أنهم لا مهرب لهم من عذاب الله ولا مَجد.

﴿٤٩﴾ لا يمل الإنسان من طلب الصحة والمال والولد وغير ذلك من النعم، وإن أصابه فقر أو مرض ونحو ذلك فهو كثير اليأس والقنوط من رحمة الله.

﴿٥٠﴾ ولئن أذقناه منا صحة وغنى وعافية بعد بلاء ومرض أصابه ليقولن: هذا لي؛ لأنني أهل له ومستحق، وما أظن الساعة قائمة، ولئن قرّض أن الساعة قائمة فإن لي عند الله الحسنى، فكما أنعم عليّ في الدنيا لاستحقاقي ذلك ينعم عليّ في الآخرة،

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ
شُرَكَاءِئِي قَالُوا أَدْذَنَّا مِنْ شَيْءٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ حَيِّصٍ ﴿٤٨﴾
لَا يَسْعَمُ إِلَّا نُسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرْفُ فِئُوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْأٍ مَسَّاهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ الْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُدْفِقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرْفُ ذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ
بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ
آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ نَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ
فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

فلنخبرن الذين كفروا بالله بما عملوا من الكفر والمعاصي، ولنذيقنهم من عذاب بالغ في الشدة.

﴿٥١﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان بنعمة الصحة والعافية ونحوها غفل عن ذكر الله وطاعته، وأعرض بجانبه تكبرًا، وإذا مسه مرض وفقر ونحوه فهو ذو دعاء لله كثير، يشكو إليه ما مسه منه ليكشفه عنه، فهو لا يشكر ربه إذا أنعم عليه، ولا يصبر على بلائه إذا ابتلاه.

﴿٥٢﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كفرتم به وكذبتموه، فكيف سيكون حالكم؟ ومن أضل ممن هو في عناد للحق مع ظهوره ووضوح حجته وقوتها؟

﴿٥٣﴾ سنريهم آياتنا في السماوات وفي الأرض، ونريهم آياتنا في الأنفس حتى يتضح لهم بما يرفع الشك أن هذا القرآن هو الحق الذي لا مِرْيَة فيه، أو لم يكف هؤلاء المشركين أن القرآن حق بشهادة الله أنه من عنده؟ ومن أعظم شهادة من الله؟ فلو كانوا يريدون الحق لاكتفوا بشهادة ربهم.

﴿٥٤﴾ ألا إن المشركين في شك من لقاء ربهم يوم القيامة لإنكارهم البعث، فهم لا يؤمنون بالآخرة، لذلك لا يستعدون لها بالعمل الصالح، ألا إن الله بكل شيء محيط علمًا وقدرة.

﴿٥٥﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - علم الساعة عند الله وحده.

٢ - تعامل الكافر مع نعم الله ونقمه فيه تخبط واضطراب.

٣ - إحاطة الله بكل شيء علمًا وقدرة.

﴿١١﴾ الله خالق السماوات وخالق الأرض على

غير مثال سابق، جعل لكم من أنفسكم أزواجًا
أزواجًا، وجعل لكم من الإبل والبقر والغنم
أزواجًا، حتى تتكاثر من أجلكم، يخلفكم
فيما جعل لكم من أزواجكم بالتزواج،
ويعيشكم فيما جعل لكم من أنعامكم من
لحومها وألبانها، لا يماثله شيء من
مخلوقاته، هو السميع لأقوال عباده، البصير
بأفعالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم
على أعمالهم؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

﴿١٢﴾ له وحده مفاتيح خزائن السماوات
والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده؛
اختبارًا له أيشكر أم يكفر؟ ويضيقه على من
يشاء؛ ابتلاءً له أيبصير أم يتسخط على من
قدر الله؟ إنه بكل شيء عليم، لا يخفى عليه
شيء مما فيه مصالح عباده.

﴿١٣﴾ شرع لكم من الدين مثل ما أمرنا نوحًا
بتبليغه والعمل به، والذي أوحينا إليك - أيها
الرسول -، وشرع لكم مثل الذي أمرنا
إبراهيم وموسى وعيسى بتبليغه والعمل به،
وخلاصته: أن أقيموا الدين، وتركوا التفرقة
فيه، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من
توحيد الله، وترك عبادة غيره، الله يصطفي
من شاء من عباده، فيوفقه لعبادته وطاعته،

فَاطْرَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَفَاتِيحُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ

وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ

يَجْتَنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٢﴾ وَمَا

تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَقَطَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفَقَضْنَا بِهِمْ وَإِنَّ الدِّينَ

أُورِثُوا لَكِنَّا مِنْ بَعْدِهِمْ لَنْ نَشَاكَ مِنْهُ مُرِبِّ ﴿١٣﴾

فَلَذَلِكَ فَادَعُ مَا اسْتَقَمَ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

وَقُلْ أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ

بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ

لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ويهدي إليه من يرجع إليه منهم بالتوبة من ذنوبه.

﴿١٤﴾ وما تفرقة الكفار والمشركون إلا من بعدما قامت عليهم الحجة ببعثة محمد ﷺ إليهم، وما كان تفرقهم إلا بسبب
البغي والظلم، ولولا ما سبق في علم الله من أنه يؤخر عنهم العذاب إلى أمده محدد في علمه هو يوم القيامة لحكم الله
بينهم، فعجل لهم العذاب بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، وإن الذين أوتوا التوراة من اليهود، والإنجيل من
النصارى من بعد أسلافهم، ومن بعد هؤلاء المشركين، لفي شك من هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ومكذبون به.

﴿١٥﴾ ادع لهذا الدين المستقيم، واثبت عليه وفق ما أمرك الله، ولا تتبع أهواءهم الباطلة، وقل عند مجادلتهم:
أمنت بالله وبالكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرني الله أن أحكم بينكم بالعدل، الله الذي أعيدته ربنا
وربكم جميعًا، لنا أعمالنا خيرًا كانت أو شرًا، ولكم أعمالكم خيرًا كانت أو شرًا، لا جدال بيننا وبينكم بعد
أن تبين الحجة، واتضح المحجة، الله يجمع بيننا جميعًا، وإليه المصير يوم القيامة، فيجازي كلًا منا بما
يستحقه، فيتبين عندئذ الصادق من الكاذب، والمحق من المبطل.

﴿١٦﴾ فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - دين الأنبياء في أصوله دين واحد.
- ٢ - أهمية وحدة الكلمة، وخطر الاختلاف فيها.
- ٣ - من مقومات نجاح الدعوة إلى الله: صحة المبدأ، والاستقامة عليه، والبعد عن اتباع الأهواء، والعدل،
والتركيز على المشترك، وترك الجدال العقيم، والتذكير بالمصير المشترك.

﴿١٦﴾ والذين يجادلون بالحجج الباطلة في هذا الدين المنزل على محمد ﷺ من بعدما استجاب الناس لدعوته لقوة حجته ودخلوا فيه، هؤلاء المجادلون حججهم ذاهمة وساقطة عند ربهم وعند المؤمنين، لا أثر لها، وعليهم غضب من الله لكفرهم ورفضهم الحق، ولهم عذاب شديد ينتظرهم يوم القيامة.

ولما بين بطلان حجج الكافرين بين أصل الحجج الصحيحة التي يحتج بها المسلم وهي القرآن، فقال:

﴿١٧﴾ الله الذي أنزل القرآن بالحق الذي لا مرية فيه، وأمر فيه بالعدل ليحكم بين الناس به، وقد تكون الساعة التي يكذب بها هؤلاء قربية، ومعلوم أن كل آت قريب.

﴿١٨﴾ يطلب الذين لا يؤمنون بها تعجيلها؛ لأنهم لا يؤمنون بحساب ولا ثواب ولا عقاب، والذين آمنوا بالله خائفون منها لجهلهم بمصيرهم بعدها، ويعلمون علم اليقين أنها الحق الذي لا مزية فيه، إلا إن الذين يخاصمون في الساعة، ويشككون في وقوعها، لفي ضلال بعيد عن الحق.

﴿١٩﴾ الله ذو لطف بعباده، يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضيّق على من يشاء رحمة

به، وإن بدا غير ذلك، وهو القوي الذي لا يغلبه أحد، العزيز الذي ينتقم من أعدائه.

﴿٢٠﴾ من كان يريد ثواب الآخرة عاملاً لها عملها، نضاعف له ثوابه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن كان يريد الدنيا وحدها أعطيناه نصيبه المقدر له فيها، وليس له في الآخرة من حظ لإيثاره الدنيا عليها.

﴿٢١﴾ أم لهؤلاء المشركين آلهة من دون الله، وقد شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن لهم الله بشرعه من الشرك به وتحريم ما أحل، وتحليل ما حرم؟ ولولا ما ضربه الله من أجل محدد للفصل بين المختلفين، وأنه يؤخرهم إليه لفضل بينهم، وإن الظالمين لأنفسهم بالشرك بالله والمعاصي لهم عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٢٢﴾ ترى - أيها الرسول - الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي خائفين من العقاب بما كسبوا من الإثم، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا ينفعهم الخوف المجرد عن توبة، والذين آمنوا بالله وبرسله، وعملوا الأعمال الصالحات على النقيض منهم، فهم في بساتين الجنات يتنعمون، لهم ما يشاؤون عند ربهم من أنواع النعيم الذي لا ينقطع أبداً، ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

﴿٢٣﴾ فإذ من الآيات:

١ - خوف المؤمن من أهوال يوم القيامة يعين على الاستعداد لها.

٢ - لطف الله بعباده ظاهر.

٣ - خطر إيثار الدنيا على الآخرة.

١٣ ذلك التبشير العظيم الذي يبشر الله به على يد رسوله الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحات، قل - أيها الرسول -: لا أطلب منكم على تبليغ الحق ثواباً إلا ثواباً واحداً عائداً نفعه إليكم، وهو أن تحبوني لقرابتي فيكم، ومن يكسب حسنة نضاعف له أجره؛ الحسنه بعشر أمثالها، إن الله غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، شكور لأعمالهم الصالحة التي يعملونها ابتغاء وجهه.

١٤ إن من مزاعم المشركين أنهم يقولون: اختلق محمد كذباً على ربه بدعواه أنه رسول منه، ومما يؤكد أن القرآن وحي الله أنه لو شاء لأنساك هذا القرآن، ولكن الله يزيل الباطل ويحق الحق، وهو ما حدث لدعوة المشركين من الإزالة، ولدعوة الإسلام من التمكين، إنه عليم بما في قلوب عباده لا يخفى عليه شيء منه.

١٥ وهو سبحانه الذي يقبل توبة عباده من الكفر والمعاصي إذا تابوا إليه، ويتجاوز عن سيئاتهم التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من شيء، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

١٦ ويجيب دعاء الذين آمنوا بالله وبرسوله، ويزيدهم من فضله على ما لم يسألوه، والكافرون بالله وبرسوله لهم عذاب قوي ينتظرهم يوم القيامة.

١٧ ولو وسع الله الرزق لجميع عباده لطفوا في الأرض بالظلم، ولكنه سبحانه ينزل من الرزق بقدر ما يشاء من توسيع وتضييق، إنه خبير بأحوال عباده بصير بها، فيعطي لحكمة، ويمنع لحكمة أيضاً.

١٨ وهو الذي ينزل المطر على عباده من بعدما يشعرون من نزوله، وينشر رحمته بإنبات الأرض بعد نزوله، وهو المتولي شؤون عباده، المحمود على كل حال.

١٩ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحديته خلق السماوات وخلق الأرض، وما نشر فيهما من مخلوقات عجيبة، وهو على جمعهم للحشر والجزاء متى شاء قدير، لا يعجزه ذلك كما لم يعجزه خلقهم أول مرة.

٢٠ وما أصابكم - أيها الناس - من مصيبة في أنفسكم أو أموالكم فيما كسبته أيديكم من المعاصي، ويتجاوز الله لكم عن كثير منها، فلا يؤاخذكم به.

٢١ ولستم بقادرين على النجاة من ربكم هرباً إذا أراد عقابكم، وليس لكم من دونه ولي يتولى أموركم، ولا نصير يرفع عنكم العذاب إن أراد بهكم.

٢٢ فوالله من الآيات:

١ - الداعي إلى الله لا يبتغي الأجر عند الناس.

٢ - التوسيع في الرزق والتضييق فيه خاضع لحكمة إلهية قد تخفى على كثير من الناس.

٣ - الذنوب والمعاصي من أسباب المصائب.

﴿٢٢﴾ ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته السفن الجوارى في البحر مثل الجبال في ارتفاعها وعلوها .

﴿٢٣﴾ إن يشأ الله إسكان الريح التي تسيّرهن أسكنها ، فَيُظِلُّنَّ ثَوَابِتَ فِي الْبَحْرِ لَا يَتَحَرَّكْنَ ، إن في ذلك المذكور من خلق السفن وتسخير الرياح لدلالات واضحة على قدرة الله لكل صَبَّارٍ على البلاء والمحن ، شكور نعم الله عليه .

﴿٢٤﴾ أو إن يشأ سبحانه إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة عليها أهلكتها بسبب ما كسب الناس من الإثم ، ويتجاوز عن كثير من ذنوب عباده فلا يعاقبهم عليها .

﴿٢٥﴾ ويعلم عند إهلاك تلك السفن بإرسال الريح العاصفة الذين يجادلون في آيات الله لإبطالها ما لهم من مهرب عن الهلاك ، فلا يدعون إلا الله ، ويتركون من عباده .

﴿٢٦﴾ فما أعطيتم - أيها الناس - من مال أو جاه أو ولد ، فمتاع الحياة الدنيا وهو زائل منقطع ، والنعيم الدائم هو نعيم الجنة الذي أعده الله للذين آمنوا بالله ورسله ، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جميع أمورهم .

﴿٢٧﴾ والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وقبائحها ، وإذا غضبوا ممن أساء إليهم بالقول أو الفعل يغفرون له زلته ، ولا يعاقبونه عليها ، وهذا العفو تفضل منهم إذا كان فيه خير ومصالحة .

﴿٢٨﴾ والذين استجابوا لربهم ؛ بفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، وأنتموا الصلاة على أكمل

وجه ، والذين يشاورون في الأمور التي تهمهم ، ومما رزقناهم ينفقون ابتغاء وجه الله .

﴿٢٩﴾ والذين إذا أصابهم الظلم ينتصرون إكراماً لأنفسهم وإعزازاً لها ، إذا كان الظالم غير أهل للعفو ، وهذا الانتصار حق ، بخاصة إذا لم يكن في العفو مصلحة .

﴿٣٠﴾ ومن أراد أن يأخذ حقه فله ذلك ، لكن بالمثل دون زيادة أو تجاوز ، ومن عفا عن أساء إليه ولم يؤاخذه على إساءته ، وأصلح ما بينه وبين أخيه فتوبه عند الله ، إنه لا يحب الظالمين الذين يظلمون الناس في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم ، بل يبغضهم .

﴿٣١﴾ ومن انتصر لنفسه فأولئك ما عليهم من مؤاخذه لأخذهم بحقهم .

﴿٣٢﴾ إنما المؤاخذه والعقاب للذين يظلمون الناس ، ويعملون في الأرض بالمعاصي ، أولئك لهم عذاب موجه في الآخرة .

﴿٣٣﴾ وأما من صبر على إيذاء غيره له ، وتجاوز عنه ، فإن ذلك الصبر مما يعود بالخير عليه وعلى المجتمع ؛ وذلك أمر محمود ، ولا يوقف له إلا ذو حظ عظيم .

﴿٣٤﴾ ومن خذله الله عن الهداية فأصله عن الحق فليس له ولي من بعده يتولى أمره ، وترى الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي لما عاينوا العذاب يوم القيامة يقولون متمئين : يا ليتنا نستطيع العودة إلى الدنيا فتتوب إلى الله .

﴿٣٥﴾ فَوَلِّهِمْ مِنَ الْآيَاتِ :

١ - الصبر والشكر سببان للتوفيق للاعتبار بآيات الله .

٢ - مكانة الشورى في الإسلام عظيمة .

٣ - أهمية العفو عن المسيء ؛ لأن الله يحب أهل العفو .

٤ - جواز مؤاخذه الظالم بمثل ظلمه .

﴿٤٥﴾ وترى - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين حين يُعْرَضُونَ على النار وهم أذلاء وخزايا ينظرون إلى الناس خلسة من شدة خوفهم منها، وقال الذين آمنوا بالله وبرسوله: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بسبب ما لاقوه من عذاب الله، ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب دائم لا ينقطع أبدًا.

﴿٤٦﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم بإنقاذهم من عذاب الله يوم القيامة، ومن يخذله الله عن الحق فيضله فليس له أبدًا من طريق تؤديه إلى الهداية إلى الحق.

﴿٤٧﴾ استجيبوا - أيها الناس - لربكم بالمسارعة إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وترك التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي إذا جاء لا دافع له، ما لكم من ملجأ تلجؤون إليه، وما لكم من إنكار تنكرون به ذنوبكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

﴿٤٨﴾ فإن أعرضوا عما أمرتهم به فما بعثناك - أيها الرسول - عليهم حفيظًا تحفظ أعمالهم، ليس عليك إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه، وحسابهم على الله، وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة من غنى وصحة ونحوها فرح بها، وإن يصب البشر بلاء بمكروه بسبب ذنوبهم؛ فإن طبيعتهم كفر نعم الله، وعدم شكرها، والتسخط مما قدره الله بحكمته.

﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ الله ملك السماوات وملك الأرض، يخلق ما يشاء من ذكر أو أنثى أو غير ذلك، يعطي لمن يشاء إناثًا ويحرمه الذكور، ويعطي لمن يشاء الذكور ويحرمه الإناث، أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معًا، ويجعل من يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليهم بما هو كائن وبما سيكون في المستقبل، وهذا من تمام علمه وكمال حكمته، لا يخفى عليه شيء، قدير على كل شيء، لا يعجزه شيء.

﴿٥١﴾ ما يصح لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسوله، أو يرسل إليه ملكاً رسولاً مثل جبريل، فيوحى إلى الرسول البشري بإذن الله ما يشاء الله أن يوحى، إنه سبحانه عليٌّ في ذاته وصفاته، حكيم في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٥٢﴾ فإذن من الآيات:

- ١ - وجوب المسارعة إلى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.
- ٢ - مهمة الرسول البلاغ، والنتائج بيد الله.
- ٣ - جحود الكافر لنعم الله حجة عليه.
- ٤ - يوحى الله تعالى إلى أنبيائه بطرق شتى؛ ليحکم يعلمها سبحانه.

﴿٥٦﴾ وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تعلم قبله ما الكتب السماوية المنزلة على الرسل، وما كنت تعلم ما الإيمان؟ ولكن أنزلنا هذا القرآن ضياءً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتدل الناس إلى طريق مستقيم هو دين الإسلام.

﴿٥٧﴾ طريق الله الذي له ما في السماوات، وله ما في الأرض، خلقًا وملكًا وتدبيرًا، حتمًا إلى الله وحده ترجع الأمور في تقديرها وتدبيرها.

سُورَةُ الْحُرُوفِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿٥٨﴾ مَقْصِدُ السُّورَةِ :

بيان القيم القرآنية الصحيحة، ونقض التصورات الجاهلية الزائفة.

﴿٥٩﴾ التَّفْسِيرُ :

﴿١﴾ حَمَّ - تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ يقسم الله بالكتاب المنزل على محمد، الواضح لمن تدبره، الموضح لشرع الله.

﴿٣﴾ إنا أنزلناه قرآنًا بلسان العرب؛ رجاء أن تعقلوا - يا معشر من نزل بلسانكم - معانيه، وتفهموها لتتقلوها إلى الأمم الأخرى.

﴿٤﴾ وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ عندنا في الملائكة الأعلى عليّ قَدْرًا وَشَرَفًا وَمَحَلًّا، حكيم لا يخلو ما فيه من أوامر ونواهٍ من حكمة، مُحْكَمٌ لا تناقض فيه ولا اختلاف.

﴿٥﴾ لن ندع إنزال القرآن عليكم ودعوتكم إلى التوحيد لأجل أنكم منغمسون في الشرك بالله وارتكاب مناهيه، لا تفعل ذلك، بل الرحمة بكم تقتضي عكس هذا.

﴿٦﴾ وكم بعثنا من نبي في الأمم السابقة.

﴿٧﴾ وما يأتي تلك الأمم السابقة من نبي من عند الله إلا كانوا منه يسخرون.

﴿٨﴾ فأهلكنا من هم أشدَّ بطشًا من تلك الأمم، فلا نعجز عن إهلاك من هم أضعف منهم، ومضى في القرآن صفة إهلاك الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

﴿٩﴾ ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين المكذابين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولنَّ جوابًا لسؤالك: خلقهنَّ العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بكل شيء.

﴿١٠﴾ الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا ثابتًا، وصير لكم فيها طرقًا في جبالها وأوديتها؛ رجاء أن تسترشدوا بها في سيركم.

﴿١١﴾ فَوَالَّذِينَ بَخَسُوا مَالَهمْ لَا يَخْتَفُونَ هِيَ إِلَّا أَعْيُنهمْ وَمَا يَحِيطُونَ

١ - أهمية الوحي في هداية الناس، فهو بمنزلة الروح للجسد.

٢ - الهداية المسندة إلى الرسول ﷺ هي هداية الإرشاد لا هداية التوفيق.

٣ - ما عند المشركين من توحيد الربوبية لا ينفعهم يوم القيامة.

١١) والذي نزل من السماء ماءً بقدر ما يكفيكم، ويكفي بهائمكم وزروعكم، فأحيينا به بلدة قاحلة لا نبات بها، وكما أحيأ الله تلك الأرض القاحلة بالنبات يحييكم للبعث.

١٢) وصير لكم من السفن والأنعام ما تركبونه في أسفاركم، فتركبون السفن في البحر، وتركبون أنعامكم في البر.

١٣) صير لكم ذلك كله؛ رجاء أن تستقروا على ظهور ما تركبون منه في أسفاركم، ثم تذكروا بقلوبكم نعمة ربكم عليكم حيث سخرها لكم إذا استقرتم على ظهورها، وتقولوا بالستكم: تنزهه وتقُدس الذي سخر لنا هذا المركوب فصرنا نتحكم فيه، وما كنا له مطيقين لولا تسخير الله له.

١٤) وإنا إلى ربنا وحده لراجعون بعد موتنا للحساب والجزاء.

١٥) وزعم المشركون أن بعض المخلوقات متولدة عن الخالق سبحانه حين قالوا: الملائكة بنات الله، إن الإنسان الذي يقول مثل هذا القول لكفور بين الكفر والضلال.

١٦) أتقولون - أيها المشركون - اتخذ الله مما يخلق بنات لنفسه، وأخلصكم بالذكر من الأولاد؟ فأي قسمة هذه القسمة التي زعمتم؟

١٧) وإذا بُشِّر أحدكم بالأنثى التي ينسبها إلى ربه ظل وجهه مسودًا من شدة الهم والحزن، وظلّ هو ممتلئًا غيظًا، فكيف ينسب إلى ربه ما يغتم هو به إذا بُشِّر به؟

١٨) أينسون إلى ربهم من يرّبي في الزينة وهو في الحدال غير مبين الكلام لأنوثته؟

١٩) وسُموا الملائكة الذين هم عباد الرحمن سبحانه إناثًا، أحضروا حين خلقهم الله، فتيبنوا أنهم إناث؟ سكتت الملائكة شهادتهم هذه، ويسألون عنها يوم القيامة، ويعذبون بها لكذبهم.

٢٠) وقالوا محتجين بالقدر: لو شاء الله أن لا نعبد الملائكة ما عبدناهم، فكونه شاء ذلك منا يدلّ على رضاه، ليس لهم بقولهم هذا من علم، إن هم إلا يكذبون.

٢١) أم أعطينا هؤلاء المشركين كتابًا من قبل القرآن يبيح لهم عبادة غير الله؟ فهم متمسكون بذلك الكتاب، محتجون به.

٢٢) لا، لم يقع ذلك، بل قالوا محتجين بالتقليد: إنا وجدنا آباءنا من قبلنا على ملة، وقد كانوا يعبدون الأصنام، وإنا ماضون على آثارهم في عبادتها.

﴿فوازل من الآيات﴾:

٢ - كل نعمة تقتضي شكرًا.

٣ - جور المشركين في تصوراتهم عن ربهم حين نسبوا الإناث إليه، وكرهوهنّ لأنفسهم.

٤ - بطلان الاحتجاج على المعاصي بالقدر.

٥ - المشاهدة أحد الأسس لإثبات الحقائق.

٦ - خطر التقليد الأعمى.

﴿٣٢﴾ وكما كذب هؤلاء، واحتجوا بتقليدهم لأبائهم، لم نبعث من قبلك - أيها الرسول - في قرية من رسول ينذر قومه إلا قال المترفون من أهل تلك القرية: إنا وجدنا آباءنا على ملة، وإنا متبعون لأثارهم. فليس قومك يدعًا في ذلك.

﴿٣٣﴾ قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جنتكم بما هو خير من ملتهم التي كانوا عليها؟ قالوا: إنا كافرون بالذي أرسلت به أنت ومن سبقك من الرسل.

﴿٣٤﴾ فانتقمنا من الأمم التي كذبت بالرسول من قبلك فأهلكناهم، فتأمل كيف كانت نهاية المكذبين برسولهم، فقد كانت نهاية أئمة.

﴿٣٥﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني بريء مما تعبدون من الأصنام من دون الله.

﴿٣٦﴾ إلا الله الذي خلقتني فإنه سيرشدني إلى ما فيه نفعي من اتباع دينه القويم.

﴿٣٧﴾ وصير إبراهيم كلمته التوحيدية هذه باقية في ذريته من بعده، فلا يزال فيهم من يوحد الله لا يشرك به شيئًا؛ رجاء أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إليه من الشرك والمعاصي.

﴿٣٨﴾ لم أعاجل بالهلاك هؤلاء المشركين المكذبين، بل متعتهم بالبقاء في الدنيا، ومتعت آباءهم من قبلهم حتى جاءهم القرآن، ورسول مبين هو محمد ﷺ.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِآهْدَىٰ وَمِمَّا وُجِدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٣٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ أَهْمُ يَقْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤١﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٩﴾ ولما جاءهم هذا القرآن الذي هو الحق الذي لا مزية فيه قالوا: هذا سحر يسحرنا به محمد، وإنا به كافرون فلن نؤمن به.

﴿٤٠﴾ وقال المشركون المكذبون: هلاً أنزل الله هذا القرآن على أحد رجلين عظيمين من مكة أو الطائف، وهما الوليد بن عقبة وعروة بن مسعود الثقفي بدلاً من إنزاله على محمد الفقير اليتيم.

﴿٤١﴾ أهم يقسمون رحمة ربك - أيها الرسول - فيعطونها من يشاؤون ويمنعونها من يشاؤون؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ لبصير بعضهم مسخرًا لبعض، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا الفاني.

﴿٤٢﴾ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر لجعلنا لبيوت من يكفر بالله سقوفًا من الفضة، وجعلنا لهم مصاعد عليها يرقون.

﴿٤٣﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - التقليد من أسباب ضلال الأمم السابقة.
- ٢ - البراءة من الكفر والكافرين لازمة.
- ٣ - بقاء التوحيد في ذرية إبراهيم ﷺ.
- ٤ - النبوة تكريم إلهي، ولا علاقة لها بالموازين البشرية.
- ٥ - تقسيم الأرزاق خاضع لحكمة الله.
- ٦ - حقارة الدنيا عند الله، فلو كانت تزن عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء.

﴿٣٤﴾ وجعلنا لبيوتهم أبواباً، وجعلنا لهم أسرة عليها يتكئون استدراجاً لهم وقتة .

﴿٣٥﴾ ولجعلنا لهم ذهباً، وليس كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، فنفعه قليل لعدم بقائه، وما في الآخرة من النعيم خير عند ربك - أيها الرسول - للمتقين لله بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

﴿٣٦﴾ ومن يعرض عن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ نسلط عليه شيطاناً يغويه ويغريه بالباطل، فهو له ملازم أينما حل .

﴿٣٧﴾ وإن هؤلاء القراء الذين يُسلطون على المعرضين عن القرآن ليصدونهم عن دين الله؛ فلا يمثلون أوامره، ولا يجتنبون نواهيه، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق، ومن ثم فهم لا يتوبون من ضلالهم .

﴿٣٨﴾ حتى إذا جاءنا المعرض عن ذكر الله يوم القيامة قال متمنياً: يا ليت بيني وبينك - أيها القرين - مسافة ما بين المشرق والمغرب، ففُجِّحت من قرين .

﴿٣٩﴾ قال الله للكافرين يوم القيامة: ولن ينفعكم اليوم - وقد ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي - اشتراككم في العذاب كما كنتم مشتركين في الدنيا في الكفر والمعاصي .

﴿٤٠﴾ إن هؤلاء صم عن سماع الحق، عمي عن إيصاره، أفانت - أيها الرسول - تستطيع

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرًا وَأِنْ كُلِّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لِّمَ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ نَاقَالُ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرَفَيْنِ فَيَسَّ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَكْثَرًا فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الْأَصْرَ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَأَيُّ مَآذِهِبَ يَكُ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

إسماع الصم، أو هداية العمي، أو هداية من كان في ضلال واضح عن الطريق المستقيم؟

﴿٤١﴾ فإن ذهبنا بك - بأن أمتنا قبل أن نعذبهم - فإننا منتقمون منهم بتعذيبهم في الدنيا والآخرة .

﴿٤٢﴾ أو نريتك بعض ما نعدهم من العذاب، فإننا عليهم مقتدرون، لا يستطيعون مغالبتنا في شيء .

﴿٤٣﴾ فتمسك - أيها الرسول - بما أوحى إليك ربك، واعمل به، إنك على طريق حق لا لبس فيه .

﴿٤٤﴾ وإن هذا القرآن لشرف لك، وشرف لقومك، وسوف تسألون يوم القيامة عن الإيمان به، واتباع هديه، والدعوة إليه .

﴿٤٥﴾ واسأل - أيها الرسول - من بعثنا من قبلك من الرسل: أجبنا من دون الرحمن معبودات تُعبد؟

﴿٤٦﴾ ولقد بعثنا موسى بآياتنا إلى فرعون والأشرف من قومه فقال لهم: إني رسول رب المخلوقات كلها .

﴿٤٧﴾ فلما جاءهم بآياتنا صاروا منها يضحكون؛ سخرية واستهزاء .

﴿٤٨﴾ فإذن الآيات:

١ - خطر الإعراض عن القرآن .

٢ - وجوب التمسك بما نزل على رسول الله ﷺ من الوحي .

٣ - القرآن شرف لرسول الله ﷺ ولأمة .

٤ - اتفاق الرسالات كلها على نبذ الشرك .

٥ - السخرية من الحق صفة من صفات الكفر .

وما نري فرعون والأشرف من قومه من حجة على صحة ما جاء به موسى ﷺ إلا كانت أعظم من الحججة التي قبلها، وأخذناهم بالعذاب في الدنيا؛ رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الكفر، ولكن دونما فائدة.

فقالوا لما نالهم بعض العذاب لموسى ﷺ: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك بما ذكر لك من كشف العذاب إن آمننا، إنا لمهتدون إليه إن كشفه عنا.

فلما صرفنا عنهم العذاب إذا هم ينقضون عهدهم، ولا يفون به.

ونادى فرعون في قومه قائلاً في تبجح بملكه: يا قوم، أليس لي ملك مصر، وهذه الأنهار من النيل تجري تحت قصورى؟ أفلا تبصرون ملكي وتعرفون عظمتي؟!

فأنا خير من موسى الطريد الضعيف الذي لا يحسن الكلام.

فهلأ ألقى الله الذي أرسله أسورة من ذهب عليه؛ لتبين أنه رسوله، أو جاء معه الملائكة يتبع بعضهم بعضاً.

فأغرى فرعون قومه، فأطاعوه في ضلاله، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.

فلما أغضبونا باستمرارهم على الكفر انتقمنا منهم، فأغرقناهم كلهم.

وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةِ الْإِلَهِ أَكْبَرَ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدْتَ عِنْدَنَا لَمَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ بِيِّنٌ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْجَاءَ مَعَهُ الْمَلَأَتْ بِكَ مَقْتَرِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلِهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

فصيرنا فرعون وملاه سلفاً لمن عمل عملهم أن يهلك كما هلكوا، وصيرناهم عبرة لمن يعتبر؛ لئلا يعمل بعلمهم فيصيبه ما أصابهم.

ولما حسب المشركون أن عيسى الذي عبده النصارى داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٥٨) وقد نهى الله عن عبادته كما نهى عن عبادة الأصنام إذا قومك - أيها الرسول - يلجئون في الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله رداً عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٦٠).

وقالوا: أمعبوداتنا خير أم عيسى؟ ما ضرب لك ابن الزبيرى وأمثاله هذا المثل حياً للتوصل إلى الحق، ولكن حياً للجدل، فهم قوم مجبولون على الخصومة.

ما عيسى ابن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وصيرناه مثلاً لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله حين خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أبوين.

ولو نشاء إهلاككم - يا بني آدم - لأهلكناكم، وجعلنا بدلکم ملائكة يخلفونكم في الأرض، يعبدون الله لا يشركون به شيئاً.

فولاد من الآيات:

١ - نكث العهود من صفات الكفار. ٢ - الفاسق خفيف العقل يستخفه من أراد استخفافه. ٣ - غضب الله يوجب الخسران. ٤ - أهل الضلال يسعون إلى تحريف دلالات النص القرآني حسب أهوائهم.

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونَّ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْآلِيمِ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَتَعَبَادُونَ لِحُكْمِهِمْ فَاصْبِرْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكَ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

﴿٦١﴾ وإن عيسى لعلامة من علامات الساعة الكبرى حين ينزل آخر الزمان، فلا تشكوا أن الساعة واقعة، واتبعوني فيما جئتكم به من عند الله، هذا الذي جئتكم به هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٦٢﴾ ولا يصرفنكم الشيطان عن الصراط المستقيم بإغوائه وإغرائه، إنه لكم عدو بين العداوة.

﴿٦٣﴾ ولما جاء عيسى ﷺ قومه بالأدلة الواضحة على أنه رسول، قال لهم: قد جئتكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، فاتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه.

﴿٦٤﴾ إن الله هو ربي وربكم، لا رب لنا غيره، فأخلصوا له وحده العبادة، هذا التوحيد الذي دعوتكم إليه، وإخلاص العبادة لله، هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

﴿٦٥﴾ فاختلقت طوائف النصارى في شأن عيسى؛ فمنهم من يقول: هو إله، ومن يقول: هو ابن الله، ومنهم من يقول: هو وأمه إلهان، فويل للذين ظلموا أنفسهم - بما وصفوا به عيسى من الألوهية، أو البُنُوَّة، أو أنه ثالث ثلاثة - من عذاب موجه ينتظرهم يوم القيامة.

﴿٦٦﴾ هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في شأن عيسى إلا الساعة تأتيهم فجأة وهم لا يحسبون بإتيانها؟ فإن جاءتهم وهم على كفرهم فإن مصيرهم العذاب الأليم.

﴿٦٧﴾ المتخالون والمتصادقون على الكفر والضلال بعضهم لبعض أعداء يوم القيامة إلا المتقين لله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، فخلتكم دائما لا تنقطع.

﴿٦٨﴾ ويقول لهم الله: يا عبادي، لا خوف عليكم اليوم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

﴿٦٩﴾ الذين صدقوا بالقرآن المنزل على رسولهم، وكانوا منقادين للقرآن؛ يأترون بأوامره، ويتهون عن نواهيه.

﴿٧٠﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأمثالكم في الإيمان، تسرون بما تلقونه من النعيم المقيم الذي لا ينفد ولا ينقطع.

﴿٧١﴾ يطوف عليهم خدامهم بأنية من ذهب وبأكواب لا عرى لها، وفي الجنة ما تشتهي النفس، وتلذذ الأعين برويته، وأنتم فيها ماكثون، لا تخرجون منها أبدا.

﴿٧٢﴾ تلك الجنة التي وصفت لكم هي التي أورثكم الله إياها بأعمالكم فضلا منه.

﴿٧٣﴾ لكم فيها فاكهة كثيرة لا تنقطع، منها تأكلون.

﴿٧٤﴾ فوازل من الآيات:

- ١ - نزول عيسى من علامات الساعة الكبرى.
- ٢ - عداوة الشيطان لبني آدم.
- ٣ - انقطاع حُلَّة الفساق يوم القيامة، ودوام حُلَّة المتقين.

ولما ذكر الله جزاء المتقين ذكر جزاء من هم
ضدهم وهم المجرمون فقال:

﴿٧٤﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في عذاب
جهنم يوم القيامة ما كانوا فيه أبدًا.

﴿٧٥﴾ لا يُخَفَّف عنهم العذاب، وهم فيه آيسون
من رحمة الله.

﴿٧٦﴾ وما ظلمناهم حين أدخلناهم النار، ولكن
كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

﴿٧٧﴾ ونادوا خازن النار مالكًا قائلين: يا مالك،
لِمَ تَأْتِيكَ رِبْكُ فَتَسْتَرِيحُ مِنَ الْعَذَابِ، فِيجِيبُهُمْ مَالِكٌ

بقوله: إنكم ما كنتم في العذاب دائمًا لا
تموتون، ولا ينقطع عنكم العذاب.

﴿٧٨﴾ لقد جئناكم في الدنيا بالحق الذي لا مِرْيَةَ
فيه، ولكن معظمكم للحق كارهون.

﴿٧٩﴾ فإن مكروا بالنبي ﷺ وأعدوا له كيدًا فإنما
محكمون لهم تديبًا يفوق كيدهم.

﴿٨٠﴾ أم يظنون أنا لا نسمع سرهم الذي أضمره
في قلوبهم، أو سرهم الذي يتناجون به خفية،

بلى إنا نسمع ذلك كله، والملائكة لديهم
يكتبون كل ما عملوه.

﴿٨١﴾ قل - أيها الرسول - للذين ينسبون البنات لله
تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً: إن كان لله

- على سبيل الفرض - ولد فأنما أول العابدين
لذلك الولد.

﴿٨٢﴾ تنزه رب السماوات والأرض ورب العرش
عما يقوله هؤلاء المشركون من نسبة الشريك والصاحبة والولد إليه.

﴿٨٣﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم عليه من الباطل، ويلعبوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون،
فسيعلمون عاقبة ما كانوا عليه من ذلك ويندمون.

﴿٨٤﴾ وهو سبحانه المعبود في السماء بحق، وهو المعبود في الأرض بحق، وهو الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره،
العليم بأحوال عباده، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿٨٥﴾ وتزايد خير الله وبركته سبحانه، الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض وملك ما بينهما، وعنده وحده
علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، لا يعلمها غيره، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء.

﴿٨٦﴾ ولا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عند الله، إلا من شهد أن لا إله إلا الله، وهو يعلم
ما شهد به؛ مثل عيسى وعزير والملائكة.

﴿٨٧﴾ ولئن سألتهم: من خلقهم؟ ليقولن: خلقنا الله، فكيف يُصِرُّونَ عن عبادته بعد هذا الاعتراف؟
وعنده سبحانه علم شكوى رسوله من تكذيب قومه، وقوله فيها: يا رب، إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بما أرسلتني

به إليهم.
﴿٨٨﴾ فأعرض عنهم، وقل لهم ما تدفع به شرهم - وكان هذا في مكة - فسوف يعلمون ما يلاقونه من العقاب.

﴿٨٩﴾ فإذ من الآيات:

﴿٧٤﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَمُوتُ عَنْهُمْ وَهُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادُوا وَيَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ
جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ لِحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ تَرْمِزُونَ
فَأَنَّا مُرْمِزُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرَّهُمْ وَيَخْتَبِرُونَ
وَرُسُلَنَا لَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أُولَى
الْعَرْشِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ
الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾
وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن
شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

١ - تبييض الكفار من الخروج من النار. ٢ - كراهة الحق خطر عظيم. ٣ - مكر الكافرين يعود عليهم ولو بعد
حين. ٤ - اختصاص الله بعلم وقت الساعة. ٥ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

— مَكِّيَّةٌ —

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حَمَّ ۝۱ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝۲ اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ
مُبْرَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنذِرِيْنَ ۝۳ فِيْهَا يُفْرَقُ كُلُّ اَمْرٍ حَكِيْمٍ ۝۴
اَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا اِنَّا كُنَّا مُرْسِلِيْنَ ۝۵ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ اِنَّهُ هُوَ
السَّمِیْعُ الْعَلِیْمُ ۝۶ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
اِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِيْنَ ۝۷ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ یُحِیُّ وَیُمِیْتُ رَبُّكُمْ
وَرَبُّ اَبَآئِكُمْ اِلٰوَلٰیئِ ۝۸ بَلْ هُمْ فِیْ شَكٍّ مِّنْ یَّلْعَبُوْنَ
۝۹ فَارْتَقِبْ یَوْمَ تَأْتِی السَّمٰوٰتُ بِدُخَانٍ مُّبِیْنٍ ۝۱۰ یَغْشٰی
النَّاسَ هٰذَا عَذَابٌ اَلِیْمٌ ۝۱۱ رَبَّنَا اَكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ
اِنَّا مُّؤْمِنُوْنَ ۝۱۲ اِنَّیْ لَهُمْ الذِّكْرٰی وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ مُّبِیْنٌ ۝۱۳
ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنّٰهُ وَقَالُوْا مَعْجُوْنُوْنَ ۝۱۴ اِنَّا كٰشِفُوْا الْعَذَابَ قَلِیْلًا
اِنَّكُمْ عٰیْدُوْنَ ۝۱۵ یَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرٰی اِنَّا مُنْقِمُوْنَ
۝۱۶ وَلَقَدْ قَتَلْنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُوْلٌ
كَرِیْمٌ ۝۱۷ اَنْ اَدُوْا اِلَیَّ عِبَادًا اللّٰهُ اِنِّیْ لَكُمْ رَسُوْلٌ اٰمِیْنٌ ۝۱۸

لا محيي ولا يميت غيره، ربكم ورب آبائكم المتقدمين.

۱) ليس هؤلاء المشركون بموقنين بذلك، بل هم في شك منه يلهون عنه بما هم فيه من الباطل.

۲) فانظر - أيها الرسول - عذابهم القريب يوم تأتي السماء بدخان واضح.

۳) يعم الناس، ويقال لهم: هذا العذاب الذي أصابكم عذاب موجه.

۴) فيتضرعون إلى ربهم سائلين: ربنا اصرف عنا العذاب الذي أرسلته علينا، إنا مؤمنون بك وبرسولك إن صرفته عنا.

۵) كيف لهم أن يتذكروا وينبوا إلى ربهم وقد جاءهم رسول بين الرسالة، وعرفوا صدقه وأمانته؟

۶) ثم أعرضوا عن التصديق به، وقالوا عنه: هو معلم يعلمه غيره وليس برسول، وقالوا عنه: هو مجنون.

۷) إنا حين نصرف عنكم العذاب قليلاً، إنكم عائدون إلى كفركم وتكذيبكم.

۸) وانتظروهم - أيها الرسول - يوم نبطش بالكفار البطشة الكبرى بإدخالهم النار يوم القيامة خالدين فيها، إنا منتقمون منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله.

۹) ولقد اخترنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم رسول من الله كريم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، وهو موسى عليه السلام.

۱۰) قال موسى لفرعون وقومه: اتركوا لي بني إسرائيل، فهم عباد الله، ليس لكم حق أن تستعبدوهم، إني لكم رسول من الله، أمين على ما أمرني أن أبلغكم، لا أنقص منه شيئاً ولا أزيده.

﴿فَوَاللَّاسِ اِلَآئَاتِ﴾

١ - كان بدء نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ في ليلة القدر. ٢ - أن ليلة القدر في شهر رمضان. ٣ - رسالات الأنبياء تحرير للمستضعفين من قبضة المتكبرين.

﴿مَقْصَدُ السُّورَةِ﴾ :

التركيز على الإنذار بالعذاب المرتقب، من خلال تخويف المكذبين من عذاب الدنيا والآخرة.

﴿التفسير﴾ :

﴿حَمَّ﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿١﴾ أقسم الله بالقرآن الموضح لطريق الهداية إلى الحق.

﴿٢﴾ إنا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، وهي ليلة كثيرة الخيرات، إنا كنا محوقين بهذا القرآن.

﴿٣﴾ في هذه الليلة يفصل كل أمر محكم يتعلق بالأرزاق والآجال وغيرهما مما يحدثه الله تلك السنة.

﴿٤﴾ نفصل كل أمر محكم من عندنا، إنا كنا باعئين الرسل.

﴿٥﴾ نبعث الرسل رحمة من ربك - أيها الرسول - لمن أرسلوا إليهم، إنه سبحانه هو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم ونياتهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٦﴾ رب السماوات ورب الأرض ورب ما بينهما إن كنتم موقنين بذلك فأمنوا برسولي.

﴿٧﴾ لا معبود بحق غيره، يحيي ويميت،

١٦) وَأَنْ لَا تَتَكَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ بِتَرْكِ عِبَادَتِهِ، والاستعلاء على عباده، إني آتيكم بحجة واضحة.

١٧) وَإِنِّي اعْتَصَمْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ أَنْ تَقْتُلُونِي بِالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ.

١٨) وَإِنْ لَمْ تَتَّصِفُوا بِمَا جِئْتُ بِهِ فَاعْتَزِلُونِي، وَلَا تَقْرُبُونِي بِسُوءٍ.

١٩) فَدَعَا مُوسَى ﷺ رَبَّهُ: أَنْ هُوَ لَا يَقُومُ الْقَوْمُ - فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ - قَوْمٌ مُجْرِمُونَ يَسْتَحِقُّونَ تَعْجِيلَ الْعِقَابِ.

٢٠) فَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يَسْرِيَ بِقَوْمِهِ لَيْلًا، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ سَيَتَّبِعُونَهُمْ.

٢١) وَأَمْرُهُ إِذَا اجْتَازَ هُوَ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْ يَتْرَكَ الْبَحْرَ سَاكِنًا كَمَا كَانَ، إِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ جَنَدٌ مَهْلُكُونَ بِالْغَرَقِ فِي الْبَحْرِ.

٢٢) كَمْ خَلَّفَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَرَاءَهُمْ مِنْ بَسَاتِينٍ وَعِيُونَ جَارِيَةٍ!

٢٣) وَكَمْ خَلَفُوا وَرَاءَهُمْ مِنْ زُرُوعٍ وَمَجْلِسٍ حَسَنٍ!

٢٤) وَكَمْ خَلَفُوا وَرَاءَهُمْ مِنْ عَيْشَةٍ كَانُوا فِيهَا مُتَنَعِمِينَ!

٢٥) هَكَذَا حَدَّثَ لَهُمْ مَا وَصَفَ لَكُمْ، وَأَوْرَثْنَا جَنَاتِهِمْ وَعِيُونَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ وَمَقَامَاتِهِمْ قَوْمًا آخِرِينَ هُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ.

٢٦) فَمَا بَكَتَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ حِينَ غَرَقُوا، وَمَا كَانُوا مُمَهَّلِينَ حَتَّى يَتُوبُوا.

٢٧) وَلَقَدْ أَنْقَذْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُؤَلَّمِ، حَيْثُ كَانَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ.

٢٨) وَأَنْقَذْنَا هُمْ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ، إِنَّهُ كَانَ مُسْتَكْبِرًا مِنَ الْمُتَجَاوِزِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَدِينِهِ.

٢٩) وَلَقَدْ اخْتَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عِلْمٍ مِنَّا عَلَى زَمَانِهِمْ لِكثْرَةِ أَنْبِيَائِهِمْ.

٣٠) وَأَعْطَيْنَاهُمْ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الَّتِي أُيِّدْنَا بِهَا مُوسَى مَا فِيهِ نِعْمَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمْ كَالْمَنْ وَالسَّلْوَى وَغَيْرَهُمَا.

٣١) إِنْ هُوَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى فَلَا حَيَاةَ بَعْدَهَا، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَوْتِ.

٣٢) فَآتَ - يَا مُحَمَّدَ - أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنْ أَتْبَاعِكَ بِأَبَائِنَا الَّذِينَ مَاتُوا أَحْيَاءَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَدْعُونَهُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْمَوْتَى أَحْيَاءَ لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ.

٣٣) أَهْؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذُوبُونَ بِكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - خَيْرٌ فِي الْقُوَّةِ وَالْمَنْعَةِ، أَمْ قَوْمٌ تُبَعُّ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِثْلَ عَادَ وَثَمُودَ، أَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا، إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ.

٣٤) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ يَخْلُقُهَا.

٣٥) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَلَكِنْ مَعْظَمُ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

فَوَالَّذِينَ لَا يَدْرُونَ الْآيَاتِ:

١ - وَجُوبُ لُجُوءِ الْمُؤْمِنِ إِلَى رَبِّهِ أَنْ يَحْفَظَهُ مِنْ كَيْدِ عَدُوِّهِ.

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِيَّاءَ اتِّكُمُ سُلْطَنٍ مُبِينٍ ١٦) وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ ١٧) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِبُوا ١٨) فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَا يَقُومُ الْقَوْمُ - فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ - قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ١٩) فَاسْرِعْ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ٢٠) وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ هَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَفُونَ ٢١) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْوُنٍ ٢٢) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٢٣) وَنِعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَكَّاهِينَ ٢٤) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ٢٥) فَمَا بَكَتَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ٢٦) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي إِسْرَائِيلَ رَسُولًا مِنْ أَنْبِيَائِ الْمُصْطَفِينَ ٢٧) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ٢٨) وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٩) وَعَايَنَّا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ٣٠) إِنْ هُوَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ٣١) فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٢) أَهْمَ خَيْرًا أَمْ قَوْمٌ تُبَعُّ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ٣٣) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ٣٤) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٥)

٤٠) إن يوم القيامة الذي يفصل الله به بين العباد ميعاد للخلائق جميعاً يجمعهم الله فيه .
٤١) يوم لا ينفع قريب قريبه، ولا صديق صديقه، ولا هم يمنعون من عذاب الله؛ لأن الملك يومئذ لله، لا أحد يستطيع ادعائه .

٤٢) إلا من رحمه الله من الناس، فإنه ينتفع بما قدم من عمل صالح، إن الله هو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدبيره .

ولما ذكر الله القيامة ذكر افتراق الناس فيها حسب الجزاء، فقال:

٤٣) إن شجرة الزقوم التي أنبتها الله في أصل الجحيم .

٤٤) طعام كثير الآثام يأكل من ثمرها الخبيث .
٤٥) مثل الزيت الأسود، يغلي في بطونهم من شدة حرارته .

٤٦) مثل غلي الماء المتناهي في الحرارة .
٤٧) ويقال لزبانية النار: خذوه فجزؤه بعنف وغلظة إلى وسط الجحيم .

٤٨) ثم صبوا فوق رأس هذا المُعَذَّب الماء الحار فلا يفارقه العذاب .

٤٩) ويقال له تهكُّماً: ذق هذا العذاب الأليم؛ إنك أنت العزيز الذي لا يُضام جنابك الكريم في قومك .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٠ يَوْمَ لَا يَعْنَى مَوْلَى
عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٤٢ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ ٤٣
طَعَامُ الْأَثِيمِ ٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٤٥ كَغَلْيِ
الْحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ
صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٤٨ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ
٥٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ٥٢
كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٥٣ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ
فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ٥٤ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْحَمِيمِ ٥٥ فَضَلًا
مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٦ فَاِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٧ فَأَرْقَبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ٥٨

سُورَةُ الدَّحْخَانِ
٢٧ آياتها
٤٥ آياتها

٥٠) إن هذا العذاب هو الذي كنتم تشكِّون في وقوعه يوم القيامة، فقد زال عنكم الشك بمعابنته .
٥١) إن المتقين لربهم بامتثال أوامره واجتناب نواهيه في موضع إقامة آمنون من كل مكروه يصيبهم .
٥٢) في بساتين وعيون جارية .
٥٣) يلبسون في الجنة رقيق الديباج وغلظه، يقابل بعضهم بعضاً، ولا ينظر أحدهم قفا الآخر .
٥٤) كما أكرمناهم بذلك المذكور زوجناهم في الجنة بالحسان من النساء واسعات الأعين في جمالها .
٥٥) يدعون خدمهم فيها ليأتوهم بكل فاكهة أرادوها آمنين من انقطاعها، ومن مضارها .
٥٦) خالدين فيها، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى في الحياة الدنيا، ووقاهم ربهم عذاب النار .
٥٧) تفضلاً وإحساناً من ربك - أيها الرسول - بهم، ذلك المذكور - من إدخالهم الجنة، ووقايتهم من النار - هو الفوز العظيم الذي لا يذانيه فوز .
٥٨) وإنما يسرنا هذا القرآن وسهلناه يانزاله بلسانك العربي - أيها الرسول - لعلهم يتعظون .
٥٩) فانتظر نصرك وهلاكهم، إنهم منتظرون هلاكك .

فوائد من الآيات:

- ١ - الجمع بين العذاب الجسمي والنفسي للكافر .
- ٢ - الجمع بين النعيم الجسمي والنفسي للمؤمن .
- ٣ - الفوز العظيم هو النجاة من النار ودخول الجنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ١ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ إِنَّا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَائِبَةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ٥ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ٦ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ آيَاتُ
اللَّهِ تُنثَرُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بَعْدَ آيَاتِ
اللَّهِ وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ٨ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩ هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحِ الْأَيْمَنِ ١٠
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِي أَلْفَاكٌ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ
فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٢

● مقصد السورة:

تركز على معالجة أصحاب الهوى المستكبرين عن الحق، من خلال عرض الآيات والتذكير بالآخرة.

● التفسير:

١- تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

٢- تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وقدره وتدييره.

٣- إن في السماوات والأرض دلائل على قدرة الله ووحدانيته للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات.

٤- وفي خلقكم - أيها الناس - من نطفة، ثم من مضع، ثم من علقه، وفي خلق ما يبثه الله من دابة تدب على وجه الأرض دلائل على وحدانيته لقوم يوقنون بأن الله هو الخالق.

٥- وفي تعاقب الليل والنهار، وفيما أنزل الله من السماء من المطر فأحيا به الأرض بإنباتها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها، وفي تصريف الرياح بالإتيان بها مرة من جهة، ومرة من أخرى لمنافعكم؛ دلائل لقوم يعقلون، فيستدلون بها على وحدانية الله وقدرته على البعث، وقدرته على كل شيء.

٦- هذه الآيات والبراهين تتلوها عليك - أيها الرسول - بالحق، فإن لم يؤمنوا بحديث الله

المنزل على عبده وبحججه، فبأي حديث بعده يؤمنون، وبأي حجج بعده يصدقون؟

٧- عذاب من الله وهلاك لكل كذاب كثير الأثام.

٨- يسمع هذا الكافر آيات الله في القرآن تقرأ عليه، ثم يستمر على ما كان عليه من الكفر والمعاصي؛ متعاليًا في نفسه عن اتباع الحق، كأنه لم يسمع تلك الآيات المقروءة عليه، فأخبره - أيها الرسول - بما يسوؤه في آخرته، وهو عذاب موجه ينتظره فيها.

٩- وإذا بلغه شيء من القرآن اتخذته سخرية يسخر منه، أولئك المتصفون بصفة السخرية من القرآن لهم عذاب مذل يوم القيامة.

١٠- من أمامهم نار جهنم تنتظرهم في الآخرة، ولا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال من الله شيئًا، ولا يدفع عنهم شيئًا ما اتخذوه من دونه من الأصنام التي يعبدونها من دونه، ولهم يوم القيامة عذاب عظيم.

١١- هذا الكتاب الذي أنزلناه على رسولنا محمد هاد إلى طريق الحق، والذين كفروا بآيات ربهم المنزلة على رسوله لهم عذاب سيئ موجه.

١٢- الله وحده هو الذي سخر لكم - أيها الناس - البحر لتجري السفن فيه بأمره، ولتطلبوا من فضله بأنواع المكاسب المباحة، ولعلكم تشكرون نعمة الله عليكم.

١٣- وسخر لكم سبحانه ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم، وما في الأرض من أنهار وأشجار وجبال وغيرها، إن في تسخير ذلك لكم دلائل على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يتفكرون في آياته، فيعتبرون بها.

● قولها من الآيات:

١ - الكذب والإصرار على الذنب والكبر والاستهزاء بآيات الله: صفات أهل الضلال، وقد توعد الله المتصف بها.

٢ - نعم الله على عباده كثيرة، ومنها تسخير ما في الكون لهم. ٣ - النعم تقتضي من العباد شكر المعبود الذي منحهم إياها.

﴿١٤﴾ قل - أيها الرسول - للذين آمنوا بالله، وصدقوا رسوله: تجاوزوا عن أساء إليكم من الكفار الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون عقابه، فإن الله سيجزي كلًا من المؤمنين الصابرين، والكفار المعتدين، بما كانوا يكسبون من الأعمال في الدنيا.

﴿١٥﴾ من عمل عملاً صالحاً فنتيجة عمله الصالح له، والله غني عن عمله، ومن أساء عمله فنتيجة عمله السيئ عقابه عليه، والله لا تضرة إساءته، ثم إلينا وحدنا ترجعون في الآخرة لنجازي كلًا بما يستحقه.

﴿١٦﴾ ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة والفصل بين الناس بحكمها، وجعلنا معظم الأنبياء منهم من ذرية إبراهيم ﷺ، ورزقناهم من أنواع الطيبات، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

﴿١٧﴾ وأعطيناهم دلائل توضح الحق من الباطل، فما اختلفوا إلا من بعدما قامت عليهم الحجج ببعثة نبينا محمد ﷺ، وما جرهم إلى هذا الاختلاف إلا بغى بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة والجاه، إن ربك - أيها الرسول - يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، فيبين من كان محقاً، ومن كان مبطلاً.

﴿١٨﴾ ثم جعلناك - أيها الرسول - على شريعة من أمر الإسلام تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح،

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّا بَعَدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمَا إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنَوْا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَجْيَاهُمْ وَمِمَّا كَسَبَتْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

فاتبع هذه الشريعة، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون الحق؛ فأهواؤهم مضلة عن الحق.

﴿١٩﴾ إن الذين لا يعلمون الحق لن يكفوا عنك من عذاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين من جميع الملل والنحل بعضهم ناصر بعض، ومؤيده على المؤمنين، والله ناصر المتقين؛ له بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

﴿٢٠﴾ هذا القرآن المنزل على رسولنا يبصر بها الناس الحق من الباطل، وهداية إلى الحق، ورحمة لقوم يوقنون؛ لأنهم هم الذين يهتدون به إلى الصراط المستقيم ليرضى عنهم ربهم، فيدخلهم الجنة، ويزحزحهم عن النار.

﴿٢١﴾ يتوهم الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نجعلهم في الجزاء مثل الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات، بحيث يستون في الدنيا والآخرة، قبح حكمهم هذا.

﴿٢٢﴾ وخلق الله السماوات والأرض لحكمة بالغة، ولم يخلقهما عبثاً، ولنجزى كل نفس بما كسبته من خير أو شر، والله لا يظلمهم بتقص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

﴿٢٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - العفو والتجاوز عن الظالم إذا لم يُظهر الفساد في الأرض، ويعتدي على حدود الله؛ خلق فاضل أمر الله به المؤمنين إن غلب على ظنهم العاقبة الحسنة.

٢ - وجوب اتباع الشرع والبعد عن اتباع أهواء البشر.

٣ - كما لا يستوي المؤمنون والكافرون في الصفات، فلا يستون في الجزاء.

٤ - خلق الله السماوات وفق حكمة بالغة يجعلها الماديين الملحدون.

﴿٢٢﴾ انظر أيها الرسول إلى من اتبع هواه وجعله بمنزلة المعبود له الذي لا يخالفه، فقد أضله الله على علم منه؛ لأنه يستحق الإضلال، وختم على قلبه فلا يسمع سماعاً ينتفع به، وجعل الله على بصره غطاء يمنعه من إِبصار الحق، فمن الذي يوقفه للحق بعد أن أضله الله؟ أفلا تتذكرون ضرر اتباع الهوى، ونفع اتباع شرع الله؟

﴿٢٣﴾ وقال الكافرون المنكرون للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه فقط، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود وتحيا أجيال، وما يميتنا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

﴿٢٤﴾ وإذا تقرأ على المشركين المنكرين للبعث آياتنا واضحات ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا قولهم للرسول ﷺ وأصحابه: أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا إن كنتم صادقين في دعوى أننا نبعث بعد موتنا.

﴿٢٥﴾ قل لهم - أيها الرسول -: الله يحييكم بخلقكم من نطفة، ثم يميتكم، ثم يجمعكم بعد موتكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء، ذلك اليوم الذي لا شك فيه أنه آت، ولكن معظم الناس لا يعلمون، لذلك لا يستعدون له بالعمل الصالح.

﴿٢٦﴾ ولله وحده ملك السماوات وملك الأرض، فلا يُعبد بحق غيره فيهما، ويوم تقوم الساعة التي يبعث الله فيها الموتى للحساب والجزاء يخسر أصحاب الباطل الذين كانوا يعبدون غير الله، ويسعون لإبطال الحق، وإحقاق الباطل.

﴿٢٧﴾ وترى - أيها الرسول - في ذلك اليوم كل أمة باركة على ركبها تنتظر ما يفعل بها، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها الذي كتبه الحفظة من الملائكة، اليوم تجزون - أيها الناس - ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

﴿٢٨﴾ هذا كتابنا - الذي كانت ملائكتنا تكتب فيه أعمالكم - ينطق عليكم بالحق فاقروه، إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب ما كنتم تعملون في الدنيا.

﴿٢٩﴾ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم سبحانه في جنته برحمته، ذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الواضح الذي لا يدانيه فوز.

﴿٣٠﴾ وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم تَبَكُّيًّا لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم فتعاليتم على الإيمان بها، وكنتم قوماً مجرمين، تكسبون الكفر والآثام؟

﴿٣١﴾ وإذا قيل لكم: إن وعد الله - الذي وعد به عباده أنه سيبعثهم ويجازيهم - حق لا مِرْيَةَ فيه، والساعة حق لا شك فيها فاعملوا لها، قلت: ما ندري ما هذه الساعة، إن نظن إلا ظناً ضعيفاً أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

﴿٣٢﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - اتباع الهوى يهلك صاحبه.

٢ - الظن لا يغني من الحق شيئاً، خاصة في مجال الاعتقاد.

﴿٣٣﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مَن بَعَدَ اللَّهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَابَتُنَا بَيْنَتٍ مَّا كَانَ حُجَّتْهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا أَتُورَا بَابِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِارِيبٍ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِي خَسِرَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٣٨﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٤١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَأَتُّوا تَكَرُّرًا عَلَيَّ تَكْرُرًا فَاسْتَكْبَرُوا وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِذْ قِيلَ لِنَارٍ وَعَدَا لِلَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَارِيبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٣﴾ وظهر لهم سيئات ما عملوه في الدنيا من الكفر والمعاصي، ونزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به عندما يحذرون منه.

﴿٣٤﴾ وقال لهم الله: اليوم تترككم في النار كما أنكم نسيتم لقاء يومكم هذا، فلم تستعدوا له بالإيمان والعمل الصالح، ومستقركم الذي تأوون إليه هو النار، وليس لكم من ناصرين يدفعون عنكم عذاب الله.

﴿٣٥﴾ ذلكم العذاب الذي عذبتم به بسبب أنكم اتخذتم آيات الله هزواً تسخرون منها، وخذعتكم الحياة بلذاتها وشهواتها، فاليوم لا يخرج هؤلاء الكفار المستهزئون بآيات الله من النار، بل يبقون فيها خالدين أبداً، ولا يردون إلى الحياة الدنيا ليعملوا عملاً صالحاً، ولا يرزقي عنهم ربهم.

﴿٣٦﴾ فله وحده الحمد، رب السماوات ورب الأرض، ورب جميع المخلوقات.

﴿٣٧﴾ وله الجلال والعظمة في السماوات وفي الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدييره.

سورة الاحقاف

— مكية —

﴿٣٨﴾ مقصد السورة:

تركز على إقامة الحججة على المكذبين وإنذارهم

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾
وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾

ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَضْتُمْ أَحْيَاةَ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَفُونَ ﴿٣٥﴾

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة الاحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾

بالعذاب، وكذا تكرر فيها لفظ الإنذار.

﴿٣٩﴾ التفسير:

﴿١﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.

﴿٢﴾ تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.

﴿٣﴾ ما خلقنا السماوات وما خلقنا الأرض وما خلقنا ما بينهما عبثاً، بل خلقنا ذلك كله بالحق لحكم بالغة، منها أن يعرفه العباد من خلالها فيعبده وحده، ولا يشركوا به شيئاً، وليقوموا بمقتضيات استخلاصهم في الأرض إلى أمد محدد يعلمه الله وحده، والذين كفروا بالله معرضون عما أُنذروا به في كتاب الله، لا يبالون به.

﴿٤﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المعرضين عن الحق: أخبروني عن أصنامكم التي تعبدونها من دون الله ماذا خلقوا من أجزاء الأرض؟ هل خلقوا جبلاً؟ هل خلقوا نهرًا؟ أم لهم شرك ونصيب مع الله في خلق السماوات؟ جيئوني بكتاب منزل من عند الله من قبل القرآن، أو ببقية علم مما تركه الأولون إن كنتم صادقين في دعواكم أن أصنامكم تستحق العبادة.

﴿٥﴾ ولا أحد أضل ممن يعبد من دون الله صنماً لا يستجيب لدعائه إلى يوم القيامة، وهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله غافلة عن دعاء عبّادها لها؛ لأنها جماد، لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل.

﴿٤٠﴾ فوائد من الآيات:

١ - الاستهزاء بآيات الله كفر. ٢ - خطر الاغترار بلذات الدنيا وشهواتها. ٣ - ثبوت صفة الكبرياء لله تعالى.

① ومع كونها لا تنفعهم في الدنيا فإنهم إذا حُشروا يوم القيامة يكونون أعداء لمن كانوا يعبدونهم، ويتبرؤون منهم، وينكرون أنهم كانوا على علم بعبادتهم إياهم.

② وإذا تقرأ عليهم آياتنا المنزلة على رسولنا قال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم على يد رسولهم: هذا سحر واضح، وليس حياً من الله.

③ هل يقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن، ونسبه إلى الله؟ قل لهم - أيها الرسول -: إن اختلقته من تلقاء نفسي فلا تملكون لي حيلة إن أراد الله أن يعذبني، فكيف أعرض نفسي للعذاب بالاختلاق عليه؟ الله أعلم بما تخوضون فيه من الطعن في قرآنه والقدح في، كفى به سبحانه شهيداً بيني وبينكم، وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.

④ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين بنوتك: ما كنت أول رسول يبعثه الله، فقد سبقني رسل كثيرون، ولا أعلم ما يفعله الله بي، ولا ما يفعله بكم في الدنيا، إن أتبع إلا ما يوحى الله إليّ، فلا أقول ولا أفعل إلا وفق ما يوحى، وما أنا إلا نذير أنذركم عذاب الله، بين النذارة.

⑤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أنه من عند الله؛ اعتماداً على ما جاء في التوراة بشأنه، فأمن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به، أستم حينئذ ظالمين؟ إن الله لا يوفق القوم الظالمين للحق. وقال الذين كذبوا بالقرآن وبما جاءهم به رسولهم: لو كان ما جاء به محمد حقاً يهدي إلى الخير ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء، ولأنهم لم يهتدوا بما جاءهم به رسولهم فسيقولون: هذا الذي جاءنا به كذب قديم، ونحن لا نتبع الكذب.

⑥ ومن قبل هذا القرآن التوراة الكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ إماماً يُقتدى به في الحق، ورحمة لمن آمن به واتبعه من بني إسرائيل، وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ كتاب مصدق لما سبقه من الكتب بلسان عربي لينذر به الذين ظلموا أنفسهم؛ بالشرك بالله وبفعل المعاصي، وهو بشارة للمحسنين الذين أحسنوا علاقتهم مع خالقهم، وعلاقتهم مع خلقه.

⑦ إن الذين قالوا: ربنا الله لا رب لنا غيره، ثم استقاموا على الإيمان والعمل الصالح، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ولا على ما خلفوه وراءهم.

⑧ أولئك الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة ما كانوا فيها أبداً؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا.

⑨ قولوا من الآيات:

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ① وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَبْسُتُونَ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ② أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ③ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُونَ وَلَا يَكْفُرُونَ إِنْ أَنْجَيْتَهُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ④ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفِّرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرَأْسِهِ قَالُوا لِمَ تَأْتِيكَ الْكَلِمَاتُ بِالْحَقِّ وَأَنْتَ كَافِرٌ مِمَّنْ كَفَرُوا ⑤ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْخَلْقَ لَأَنْزِلُنَّهُمْ كَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْآنَ فَهُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ⑥ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑦ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑧ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑨ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑪ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑫ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑬ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑭ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑮ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑯ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑰ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑱ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑲ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ⑳ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉑ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉒ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉓ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉔ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉕ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉗ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉘ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉙ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉛ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉜ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㉟ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊱ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊲ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊳ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊴ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊵ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊶ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊷ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊸ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊹ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊺ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊻ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊼ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊽ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ ㊿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَنزِلُ السَّمَاءَ بَرَقًا فَآرَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوجَ كَانَتْ هُدًى لِّلنَّاسِ

① أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أنه من عند الله؛ اعتماداً على ما جاء في التوراة بشأنه، فأمن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به، أستم حينئذ ظالمين؟ إن الله لا يوفق القوم الظالمين للحق. وقال الذين كذبوا بالقرآن وبما جاءهم به رسولهم: لو كان ما جاء به محمد حقاً يهدي إلى الخير ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء والعبيد والضعفاء، ولأنهم لم يهتدوا بما جاءهم به رسولهم فسيقولون: هذا الذي جاءنا به كذب قديم، ونحن لا نتبع الكذب.

② ومن قبل هذا القرآن التوراة الكتاب الذي أنزله الله على موسى ﷺ إماماً يُقتدى به في الحق، ورحمة لمن آمن به واتبعه من بني إسرائيل، وهذا القرآن المنزل على محمد ﷺ كتاب مصدق لما سبقه من الكتب بلسان عربي لينذر به الذين ظلموا أنفسهم؛ بالشرك بالله وبفعل المعاصي، وهو بشارة للمحسنين الذين أحسنوا علاقتهم مع خالقهم، وعلاقتهم مع خلقه.

③ إن الذين قالوا: ربنا الله لا رب لنا غيره، ثم استقاموا على الإيمان والعمل الصالح، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ولا على ما خلفوه وراءهم.

④ أولئك الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة ما كانوا فيها أبداً؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة التي قدموها في الدنيا.

١ - كل من عُبد من دون الله ينكر على من عبده من الكافرين. ٢ - النبي محمد ﷺ ليس أول الرسل، لكنه آخرهم. ٣ - عدم معرفة النبي ﷺ بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه منه. ٤ - وجود ما يثبت نبوة نبينا ﷺ في الكتب السابقة. ٥ - بيان فضل الاستقامة وجزاء أصحابها.

﴿١٥﴾ وأمرنا الإنسان أمرًا مؤكدًا أن يحسن إلى والديه، بأن يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما بما لا مخالفة فيه للشرع، وعلى وجه الخصوص أمه التي حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ومدة حملته التي مكثها وبدء فطامه ثلاثون شهرًا، حتى إذا بلغ اكتمال قوته العقلية والبدنية قال: رب، ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وألهمني أن أعمل عملاً صالحًا ترضاه، وتقبله مني، وأصلح لي أولادي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المنقادين لطاعتك، المستسلمين لأوامرك.

﴿١٦﴾ أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الصالحات، ونتجاوز عن سيئاتهم، فلا نؤاخذهم بها، وهم في جملة أهل الجنة، هذا الوعد الذي وعدوا به وعد صدق، سيتحقق لا محالة.

ولما ذكر مثلاً للبار بأبويه تربيًا في البر ذكر مثلاً للعاق تفريرًا من العقوق، فقال:

﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه: تبًا لكما، أتعداني أن أخرج من قبري حيًّا بعد موتي، وقد مضت القرون الكثيرة، ومات الناس فيها فلم يبعث أحد منهم حيًّا؟! ووالداه يطلبان الغوث

من الله أن يهدي ابنهما للإيمان، ويقولان لابنهما: هلاك لك إن لم تؤمن بالبعث، فأمن به، إن وعد الله بالبعث حق لا مزية فيه، فيقول هو مجددًا إنكاره للبعث: ما هذا الذي يقال عن البعث إلا منقول من كتب المتقدمين وما سطره، لا يثبت عن الله.

﴿١٨﴾ أولئك الذين وجب لهم العذاب في جملة أمم من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين؛ حيث خسروا أنفسهم وأهلهم بدخولهم النار.

﴿١٩﴾ ولكلا الفريقين - فريق الجنة، وفريق السعير - مراتب حسب أعمالهم، فمراتب أهل الجنة درجات عالية، ومراتب أهل النار درجات سافلة، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون يوم القيامة بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم.

﴿٢٠﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله وكذبوا رسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيخًا لهم وتقريعًا: أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بما فيها من الملذات، أما في هذا اليوم فتجزون العذاب الذي بهينكم ويدلكم بسبب تكبركم في الأرض بغير الحق، وبسبب خروجكم عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٢١﴾ فإذ من الآيات:

١ - بيان مكانة البر في الإسلام، بخاصة في حق الأم، والتحذير من العقوق.

٢ - بيان خطر التوسع في ملاذ الدنيا؛ لأنها تشغل عن الآخرة.

٣ - بيان الوعيد الشديد لأصحاب الكبر والفسوق.

١١) واذكر - أيها الرسول - هودًا أخا عاد الذي النسب حين أنذر قومه من وقوع عذاب الله عليهم، وهم بمنزلهم بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل منذرين قومهم قبل هود وبعده، قائلين لأقوامهم: لا تعبدوا إلا الله وحده، فلا تعبدوا معه غيره، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

١٢) قال له قومه: أجتئنا لتصرفنا عن عبادة الهتنا؟ لن يكون لك ذلك، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقًا فيما تدعيه.

١٣) قال: إنما علم وقت العذاب عند الله، وأنا لا أعلم لي به، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قَوْمًا تجهلون ما فيه نفعكم فتتكونه، وما فيه ضرركم فتأتونه.

١٤) فلما جاءهم ما استعجلوا به من العذاب، فأروه سبحانه عارضًا في جهة من السماء متجهًا لأوديتهم قالوا: هذا عارض مصيبنا بالمطر، قال لهم هود: ليس الأمر كما ظننتم من أنه سحب ممطركم، بل هو العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم.

١٥) تدمر كل شيء مرت عليها مما أمرها الله بإهلاكه، فأصبحوا هلكى، لا يرى إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها شاهدة على وجودهم فيها من قبل، مثل هذا الجزاء المؤلم نجزي المجرمين المصيرين على كفرهم ومعاصيهم.

وَأَذْكُرُ أَخَاعَادَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُورُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١١) قَالُوا أَلِجْتَنَا لَنَا فَمَا كُنَّا عَنْ آلِهَتِنَا فَأَتَانَا
بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٢) قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْبَهُونَ ١٣)
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٤) تَدْمِرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاجِدُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ١٥) وَلَقَدْ مَكَنْتُمْ فِيهَا وَإِن مَّكُنْتُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَفُؤَادًا مَا آعَنُوا عَنْهُمْ سَمْعَهُمْ
وَلَا أَبْصَرَهُمْ وَلَا أَفْئِدَتَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ
بِتَايَبَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ١٦) وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِيبَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
١٧) فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً
بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ١٨)

١٦) ولقد أعطينا قوم هود من أسباب التمكين ما لم نعظكم إياه، وجعلنا لهم أسماعًا يسمعون بها، وأبصارًا يبصرون بها، وقلوبًا يعقلون بها، فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم من شيء، فلم تدفع عنهم عذاب الله لما جاءهم، إذ كانوا يكفرون بآيات الله، ونزل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب الذي خوفهم منه نبيهم هود ﷺ.

١٧) ولقد أهلكنا ما حولكم - يا أهل مكة - من القرى، فقد أهلكنا عادًا وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، ونوعنا لهم الحجج والبراهين؛ رجاء أن يرجعوا عن كفرهم.

١٨) فهلاً نصرتهم الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله يتقربون إليها بالعبادة والذبح؟ لم تنصركم قطعًا، بل غابت عنهم أحوج ما كانوا إليها، وذلك كذبهم وافتراءهم الذي متوا به أنفسهم أن هذه الأصنام تنفعهم وتشفع لهم عند الله.

❁ فإذ من الآيات:

- ١ - لا أعلم للرسول بالغيب إلا ما أطلعهم ربهم عليه منه.
- ٢ - اغترار قوم هود حين ظنوا العذاب النازل بهم مطرًا، فلم يتوبوا قبل مباحثته لهم.
- ٣ - قوة قوم عاد فوق قوة قريش، ومع ذلك أهلكهم الله.
- ٤ - العاقل من يتعظ بغيره، والجاهل من يتعظ بنفسه.

﴿٢١﴾ واذكر - أيها الرسول - حين أرسلنا إليك فريقًا من الجن يستمعون القرآن المنزل عليك، فلما حضروا لسماعه قال بعضهم لبعض: أنصتوا حتى تتمكن من سماعه، فلما أنهى الرسول ﷺ قراءته رجعوا إلى قومهم يندرونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

﴿٢٢﴾ قالوا لهم: يا قومنا، إنا سمعنا كتابًا أنزله الله من بعد موسى مصدقًا لما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله، هذا الكتاب الذي سمعناه يرشد إلى الحق، ويهدي إلى طريق مستقيم، وهو طريق الإسلام.

﴿٢٣﴾ يا قومنا، أجبوا محمدًا إلى ما دعاكم إليه من الحق، وآمنوا أنه رسول من ربه، يغفر لكم الله ذنوبكم، ويسلمكم من عذاب موجه ينتظركم إذا لم تجيبوه إلى ما دعاكم إليه من الحق، ولم تؤمنوا أنه رسول من ربه.

﴿٢٤﴾ ومن لا يجب محمدًا ﷺ إلى ما يدعوه إليه من الحق فلن يعجز الله بالهرب في الأرض ولن يفوته، وليس له من دون الله من أولياء ينقذونه من العذاب، أولئك في ضلال عن الحق واضح.

﴿٢٥﴾ أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرَمَكَم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَمَهْلِكُ بِهِكَ يَوْمَ الْقَوْمِ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾

سورة الحنقلة

الأرض ولم يعجز عن خلقهن مع ضخامتهن واتساعهن قادر على أن يحيي الموتى للحساب والجزاء؟ بلى، إنه لقادر على إحيائهم، إنه سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجز عن إحياء الموتى.

﴿٢٦﴾ ويوم يعرض الذين كفروا بالله ويرسله على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم توبيحًا لهم: أليس هذا الذي تشاهدونه من العذاب حقًا؟ أم أنه كذب كما كنتم تقولون في الدنيا؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله.

﴿٢٧﴾ فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك لك مثل ما صبر أولو العزم من الرسل، وهم بالإضافة إلى رسولنا ﷺ: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، ولا تستعجل لهم العذاب، كأن المكذبين من قومك يوم يرون ما يوعدون من العذاب في الآخرة لم يمشوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لطول عذابهم، هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بلاغ إلى الناس جميعًا وإلى الجن كذلك، فإنه لا يهلك بالعذاب إلا القوم الخارجون عن طاعة الله بالكفر والمعاصي.

﴿٢٨﴾ فوازم الآيات:

- ١ - من حسن الأدب الاستماع إلى المتكلم والإنصات له.
- ٢ - سرعة استجابة المهتدين من الجن إلى الحق رسالة ترغيب إلى الإنس.
- ٣ - الاستجابة إلى الحق تقتضي المسارعة في الدعوة إليه.
- ٤ - الصبر خلق الأنبياء ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على قضية تحريض المؤمنين على القتال، تقوية لهم وتوهيناً للكافرين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ الذين كفروا بالله، وصرفوا الناس عن دين الله أبطل الله أعمالهم.

﴿٢﴾ والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، وآمنوا بما نزله الله على رسوله محمد - وما نزله على رسوله محمد هو الحق من ربهم - وكفر عنهم سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها، وأصلح لهم شؤونهم الدنيوية والأخروية.

﴿٣﴾ ذلك الجزء المذكور للفريقين هو بسبب أن الذين كفروا بالله اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا بالله وبرسوله اتبعوا الحق من ربهم، فاختلف جزاؤهما لاختلاف سعيهما، كما بين الله حكمه في الفريقين: فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، يضرب الله للناس أمثالهم، فيلحق النظر بالنظر.

﴿٤﴾ فإذا لقيتم - أيها المؤمنون - المحاربين من الذين كفروا فاضربوا رقابهم بسيوفكم، واستمروا في قتالهم حتى تكثروا فيهم القتل، فستأصلوا شوكتهم، فإذا أكثرتم فيهم القتل فشدوا قيود الأسرى، فإذا أسرتموهم فلکم

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ بَصُرَ بِاللهِ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخِثَّتُمْهُم مِّنْ قُدْرَتِكُمْ فَاقْتُلُوا أَوْ رَأْسَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَنُصِرُّهُمْ لِئَلَّا يُصِرُّنَّهُمْ وَلٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلِحَ بِأَلْفِهِمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ نُنصِرُوا اللهُ يَنْصِرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

الخيار حسب ما تقتضيه المصلحة؛ بين المَنّ عليهم بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو مفادتهم بمال أو غيره، أو قتلهم أو استرقاقهم، واصلوا قتالهم وأسرهم حتى تنتهي الحرب بإسلام الكفار أو معادتهم، ذلك المذكور من ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام وانتصار بعضهم على بعض، هو حكم الله، ولو يشاء الله الانتصار من الكفار دون قتال لا تنصر منهم، لكنه شرع الجهاد ليختبر بعضكم ببعض، فيختبر من يقاتل من المؤمنين ومن لا يقاتل، ويختبر الكافر بالمؤمن، فإن قتل المؤمن دخل الجنة، وإن قتل المؤمن دخل هو النار، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل الله أعمالهم.

﴿٥﴾ سيوفهم لاتباع الحق في حياتهم الدنيا، ويصلح شأنهم. ﴿٦﴾ ويدخلهم الجنة يوم القيامة، بيئتها لهم بأوصافها في الدنيا فعرفوها، وعرفهم منازلهم فيها في الآخرة. ﴿٧﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع لهم، إن تنصروا الله ينصركم وينصر نبيه ودينه، وبقتال الكفار، ينصركم بمنحكم الغلبة عليهم، ويثبت أقدامكم في الحرب عند لقاءهم.

﴿٨﴾ والذين كفروا بالله وبرسوله فلهم الخسران والهلاك، وأبطل الله ثواب أعمالهم. ﴿٩﴾ ذلك العقاب الواقع بهم بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن لما فيه من توحيد الله، فأحبط الله أعمالهم، فخسروا في الدنيا والآخرة.

﴿١٠﴾ أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض، فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من قبلهم، فقد كانت نهاية مؤلمة، دمر الله عليهم مساكنهم، فأهلكهم وأهلك أولادهم وأموالهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال تلك العقوبات. ﴿١١﴾ ذلك الجزء المذكور للفريقين؛ لأن الله ناصر الذين آمنوا به، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

﴿١٢﴾ قوله من الآيات: ١ - النكاية في العدو بالقتل وسبلة مثلى لإخضاعه. ٢ - المن والفداء والقتل والاسترقاق خيارات في الإسلام للتعامل مع الأسير الكافر، يؤخذ منها ما يحقق المصلحة. ٣ - نصر الله للمؤمنين مشروط بنصرهم لدينه.

﴿١٦﴾ إن الله يدخل الذين آمنوا بالله وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحات، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، والذين كفروا بالله وبرسوله يتمتعون في الدنيا باتباع شهواتهم، ويأكلون كما تأكل الأنعام، لا هم لهم إلا بطونهم وفروجهم، والنار يوم القيامة هي مستقرهم الذي يأوون إليه.

﴿١٧﴾ وكم من قرية من قرى الأمم المتقدمة هي أشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً من مكة التي أخرجك أهلها منها، أهلكتهم لما كذبوا رسلهم، فلا ناصر لهم ينقذهم من عذاب الله لما جاءهم، فلا يعجزنا إهلاك أهل مكة إذا أردناه.

﴿١٨﴾ هل من كان له برهان بين وحجة واضحة من ربه، فهو يعبد على بصيرة، كمن زين له الشيطان سوء عمله، واتبعوا ما تملبه عليهم أهواؤهم من عبادة الأصنام وارتكاب الإثم، والتكذيب بالرسول؟

﴿١٩﴾ صفة الجنة التي وعد الله المتقين له - بامثال أوامره واجتناب نواهيه - أن يدخلهم فيها: فيها أنهار من ماء غير متغير ريحاً ولا طعماً لظول مكث، وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وفيها أنهار من خمر لذيذة للشاربين، وأنهار من عسل قد صُفي من السوائب، ولهم فيها من كل أنواع الثمرات ما يشاؤون، ولهم

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٨﴾ مِثْلَ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَأَبَىٰ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَوَسَّعَتْ لَهُمْ نُجُودَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذْ جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٢٢﴾ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُونَ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثُورَكُمْ ﴿٢٣﴾

فوق ذلك كله محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزاءه مع من هو ماكث في النار لا يخرج منها أبداً، وسقوا ماءً شديد الحرارة، فقطع أمعاء بطونهم من شدة حره؟

﴿٢٤﴾ ومن المنافقين من يستمع إليك - أيها الرسول - سماعاً لا قبول معه، بل مع إعراض، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أعطاهم الله علماً: ماذا قال في حديثه قريباً؟ تجاهلاً منهم وإعراضاً، أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم، فلا يصل إليها خيراً، واتبعوا أهواءهم، فأعمتهم عن الحق.

﴿٢٥﴾ والذين اهتدوا إلى طريق الحق، واتباع ما جاء به الرسول ﷺ، زادهم ربه هداية وتوفيقاً للخير، وألهمهم العمل بما يقيهم من النار.

﴿٢٦﴾ فهل ينظر الكفار إلا أن تأتيهم الساعة فجأة من غير سابق علم لهم بها؟ فقد جاءت علاماتها، ومنها بعثته ﷺ، وانشقاق القمر، فكيف لهم أن يتذكروا إذا جاءتهم الساعة؟ وبعيد أن يتفجعوا بالذكرى.

﴿٢٧﴾ فأيقن - أيها الرسول - أنه لا معبود بحق غير الله، واطلب من الله المغفرة لذنوبك، واطلب المغفرة منه لذنوب المؤمنين وذنوب المؤمنات، والله يعلم تصرفكم في نهاركم، ومستقركم ليلتكم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿٢٨﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَأْتِي:

- ١ - اقتصار هم الكافر على التمتع في الدنيا بالمتع الزائلة.
- ٢ - المقابلة بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين تبين الفرق الشاسع بينهما؛ ليختار العاقل أن يكون مؤمناً، ويختار الأحق أن يكون كافراً.
- ٣ - بيان سوء أدب المنافقين مع رسول الله ﷺ.
- ٤ - العلم قبل القول والعمل.

﴿٢٥﴾ ويقول الذين آمنوا بالله متمنين أن ينزل الله على رسوله سورة تشتمل على حكم القتال: هلاً أنزل الله سورة فيها ذكر القتال، فإذا أنزل الله سورة محكمة لا نسخ فيها مشتملة على ذكر القتال، رأيت - أيها الرسول - الذين في قلوبهم شك من المنافقين ينظرون إليك نظر من غشي عليه من شدة الخوف والرعب، فأولى لهم من النكوص عن القتال والخوف منه.

﴿٢٦﴾ أن يطيعوا أمر الله، وأن يقولوا قولاً معروفاً لا نكر فيه خبير لهم، فإذا فرض القتال وجد الجِدِّ، فلو صدقوا الله في إيمانهم به، وطاعتهم له لكان خيراً لهم من النفاق وعصيان أوامر الله.

﴿٢٧﴾ ويغلب على حالكم إن عرضتم عن الإيمان بالله وطاعته أنكم تفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وتقطعون أواصر الرحم؛ كما كانت حالكم في الجاهلية.

﴿٢٨﴾ أولئك المتصفون بالإفساد في الأرض وتقطع الأرحام هم الذين أبعدهم الله عن رحمته، وأصم أذانهم عن سماع الحق سماع قبول وإذعان، وأعمى أبصارهم عن إبصاره إبصار اعتبار.

﴿٢٩﴾ فهلاً تدبر هؤلاء المعرضون القرآن وتأملوا ما فيه، فلو تدبروه لدلهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شر، أم على قلوب هؤلاء أفعالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى؟

﴿٣٠﴾ إن الذين ارتدوا عن إيمانهم إلى الكفر والنفاق، من بعدما قامت عليهم الحجة، وتبين لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان هو الذي زين لهم الكفر والنفاق، ومباهم بطول الأمل.

﴿٣١﴾ ذلك الإضلال الحاصل لهم بسبب أنهم قالوا سرّاً للمشركين الذين كرهوا ما نزل على رسوله من الوحي: سنطيعكم في بعض الأمر كالثبيط عن القتال. والله يعلم إسرارهم، ويعلم إعلانهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، فيظهر ما شاء منه لرسوله.

﴿٣٢﴾ فكيف ترى ما هم فيه من العذاب والحال الشنيعة التي هم عليها إذا قبضت أرواحهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، يضربون وجوههم وأدبارهم بمقامع الحديد.

﴿٣٣﴾ ذلك العذاب الشديد الحاصل عند قبض أرواحهم بسبب أنهم اتبعوا كل ما أسخط الله عليهم؛ من الكفر والنفاق ومحادة الله ورسوله، وكرهوا ما يقربهم من ربهم، ويحلّ عليهم رضوانه؛ من الإيمان بالله واتباع رسوله، فأبطل أعمالهم.

﴿٣٤﴾ هل يظنّ الذين في قلوبهم شك من المنافقين أن لن يخرج الله أحقادهم ويظهرها، ليخرجنّها بالابتلاء بالمحن؛ لتمييز صادق الإيمان من الكاذب، ويتضح المؤمن، ويفتضح المنافق.

﴿٣٥﴾ فإلامن الآيات:

١ - التكليف بالجهاد في سبيل الله يميّز المنافقين من صفّ المؤمنين.

٢ - أهمية تدبر كتاب الله، وخطر الإعراض عنه.

٣ - ثبوت عذاب البرزخ، وبيان أن الكفر والنفاق من أسباب عذاب القبر.

﴿٣٠﴾ ولو نشاء لآريناكنهم فلعرفنهم بسيمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴿٣١﴾ ولنبؤنكم حتى نعلم المجتهدين منكم والصددين ونبؤوا أخباركم ﴿٣٢﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحيط أعمالهم ﴿٣٣﴾ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يعفر الله لهم ﴿٣٥﴾ فلا تهنؤا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركة أعمالكم ﴿٣٦﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتنفقوا يؤتكم أجوركم ولا يستلكم أموالكم ﴿٣٧﴾ إن يسئلكموا في حفاكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ﴿٣٨﴾ هاتنم هؤلاء تدعون لننفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿٣٩﴾

﴿٣٠﴾ ولنو نشاء لآريناكنهم فلعرفنهم بسيمهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ﴿٣١﴾ ولنبؤنكم حتى نعلم المجتهدين منكم والصددين ونبؤوا أخباركم ﴿٣٢﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحيط أعمالهم ﴿٣٣﴾ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يعفر الله لهم ﴿٣٥﴾ فلا تهنؤا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركة أعمالكم ﴿٣٦﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتنفقوا يؤتكم أجوركم ولا يستلكم أموالكم ﴿٣٧﴾ إن يسئلكموا في حفاكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ﴿٣٨﴾ هاتنم هؤلاء تدعون لننفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴿٣٩﴾

﴿٣٣﴾ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴿٣٤﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن دين الله بأنفسهم، وصدوا عنه غيرهم، وخالفوا رسوله وعادوه من بعد ما تبين أنه نبي، لن يضروا الله، وإنما يضررون أنفسهم، وسيطل الله أعمالهم.

﴿٣٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول بأن تمثلوا أمرهما، وتجنبوا نهيهما، ولا تبطلوا أعمالكم بالكفر والرياء.

﴿٣٥﴾ إن الذين كفروا بالله، وصرقوا أنفسهم، وصرقوا الناس عن دين الله، ثم ماتوا على كفرهم قبل التوبة، فلن يتجاوز الله عن ذنوبهم بسترها، بل سيؤاخذهم بها، ويدخلهم النار خالدين فيها أبداً.

﴿٣٦﴾ فلا تضعفوا - أيها المؤمنون - عن مواجهة عدوكم، وتدعوهم إلى الصلح قبل أن يدعوكم إليه، وأنتم القاهرون الغالبون لهم، والله معكم بنصره وتأييده، ولن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً، بل يزيدكم مثاً منه وتفضلاً.

﴿٣٧﴾ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو، فلا ينشغل بها عاقل عن العمل لآخرته، وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، يعطكم ثواب أعمالكم كاملاً غير منقوص، ولا يطلب منكم أموالكم كلها، وإنما يطلب منكم الواجب من الزكاة.

﴿٣٨﴾ إن يطلب منكم جميع أموالكم، وبلح في طلبها منكم تبخلوا بها، ويخرج ما في قلوبكم من طمع وبخل، فترك طلبها منكم رفقاً بكم.

﴿٣٩﴾ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا جزءاً من أموالكم في سبيل الله، ولا يطلب منكم إنفاق أموالكم كلها، فمنكم من يمنع الإنفاق المطلوب بخلًا منه، ومن يبخل بإنفاق جزء من ماله في سبيل الله، فإنما يبخل في الواقع على نفسه؛ بحرمانها ثواب الإنفاق، والله الغني فلا يحتاج إلى إنفاقكم، وأنتم الفقراء إليه، وإن ترجعوا عن الإسلام إلى الكفر يهلككم، ويأت بقوم غيركم، ثم لا يكونون أمثالكم، بل يكونون مطيعين له.

﴿٤٠﴾ فآيات من الآيات:

- ١ - للمنافقين صفات يُعرفون بها مهما اجتهدوا في إخفائها.
- ٢ - الاختبار سنة إلهية لتمييز المؤمنين من المنافقين.
- ٣ - تأييد الله لعباده المؤمنين بالنصر والتسديد.
- ٤ - من رفق الله بعباده أنه لا يطلب منهم إنفاق كل أموالهم في سبيل الله.

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على الوعد الإلهي بالفتح والتمكين لنبية وللمؤمنين الصادقين في نصره الدين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ إنا فتحنا لك - أيها الرسول - فتحًا مبيّنًا بصلح الحديبية.

﴿٢﴾ ليغفر لك الله ما تقدم قبل هذا الفتح من ذنبك، وما تأخر بعده، ويكمل نعمته عليك بنصر دينك، ويهديك طريقًا مستقيمًا، لا اعوجاج فيه، وهو طريق الإسلام المستقيم.

﴿٣﴾ وينصرك الله على أعدائك نصرًا عزيزًا، لا يدفعه أحد.

﴿٤﴾ الله هو الذي أنزل الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا على إيمانهم، والله وحده جنود السماوات والأرض، يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عليمًا بمصالح عباده، حكيمًا فيما يجريه من نصر وتأيد.

﴿٥﴾ ليدخل المؤمنين بالله وبرسوله والمؤمنات جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ويمحو عنهم سيئاتهم، فلا يؤاخذهم بها، وكان ذلك المذكور - من

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ﴿١﴾ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك

وما تأخر ﴿٢﴾ ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا ﴿٢﴾

وينصرك الله نصرًا عزيزًا ﴿٣﴾ هو الذي أنزل السكينة في قلوب

المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم ﴿٤﴾ ولله جنود السموات

والأرض وكان الله عليمًا حكيمًا ﴿٥﴾ ليدخل المؤمنين والمؤمنات

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم

سيئاتهم ﴿٦﴾ وكان ذلك عند الله فوزًا عظيمًا ﴿٧﴾ ويعذب

المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين

بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم

ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرًا ﴿٨﴾ ولله جنود

السموات والأرض وكان الله عزيزًا حكيمًا ﴿٩﴾ إنا أرسلناك

شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا ﴿١٠﴾ لتؤمنوا بالله ورسوله

وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلًا ﴿١١﴾

نيل المطلوب وهو الجنة، وإبعاد المرهوب وهو المؤاخذه بالسيئات - عند الله فوزًا عظيمًا لا يديانه فوز.

﴿١﴾ ويعذب المنافقين والمنافقات، ويعذب المشركين بالله والمشركات، الظانين بالله أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأن الدائرة ستكون على المؤمنين، فكانت الدائرة عليهم، وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وظنهم السيئ، وطردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة جهنم يدخلونها خالدين فيها أبدًا، وساءت جهنم مصيرًا يرجعون إليه.

﴿٧﴾ والله جنود السماوات والأرض يؤيد بها من يشاء من عباده، وكان الله عزيزًا لا يغالبه أحد، حكيمًا في خلقه وتقديره وتديبه.

﴿٨﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - شاهدًا تشهد على أمتك يوم القيامة، ومبشرًا للمؤمنين بما أعد لهم في الدنيا من النصر والتمكين، وبما أعد لهم في الآخرة من النعيم، ومخوفًا للكافرين بما أعد لهم في الدنيا من الذلة والهزيمة على أيدي المؤمنين، وبما أعد في الآخرة من العذاب الأليم الذي ينتظرهم.

﴿٩﴾ رجاء أن تؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعظمووا رسوله وتجلوه، وتسبحوا الله أول النهار وآخره.

﴿١٠﴾ فإذ من الآيات:

١ - صلح الحديبية بداية فتح عظيم على الإسلام والمسلمين.

٢ - السكينة أثر من آثار الإيمان تبعث على الطمأنينة والثبات.

٣ - خطر ظن السوء بالله، فإن الله يعامل الناس حسب ظنهم به سبحانه.

٤ - وجوب تعظيم وتوقير رسول الله ﷺ.

١٠١ إن الذين يبايعونك - أيها الرسول - ببيعة الرضوان على قتال أهل مكة المشركين، إنما يبايعون الله؛ لأنه هو الذي أمرهم بقتال المشركين، وهو الذي يجازيهم، يد الله فوق أيديهم عند البيعة، وهو مطلع عليهم لا يخفى عليه منهم شيء، فمن نقض بيعته، ولم يف بما عاهد عليه الله من نصره دينه، فإنما ضرر نقضه لبيعته ونقضه لعهدده، عائد عليه، فالله لا يضره ذلك، ومن أوفى بما عاهد عليه الله من نصره دينه، فسيعطيه جزاءً عظيمًا وهو الجنة.

١٠٢ سيقول لك - أيها الرسول - من خلفهم الله من الأعراب عن مرافقتك في سفرك إلى بيته إذا عاتبته: شغلنا رعاية أموالنا ورعاية أولادنا عن المسير معك، فاطلب لنا المغفرة من الله لذنونا، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم من طلب استغفار النبي ﷺ لهم؛ لأنهم لم يتوبوا من ذنوبهم، قل لهم: لا أحد يملك لكم من الله شيئًا إن أراد بكم خيرًا، أو أراد بكم شرًا، بل كان الله بما تعملون خبيرًا لا يخفى عليه شيء من أعمالكم مهما أخفيتموها.

١٠٣ ليس ما اعتذرتم به من الانشغال برعاية الأموال والأولاد سبب تخلفكم عن المسير معه، بل ظننتم أن الرسول وأصحابه

سورة التوبة

١٠٤

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِمْ اللَّهُ فَمَا لِيُبَدِّلَ أَعْرَابَ سِخْلَاتِنَا أَمْؤَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ ١٠٥

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۗ ١٠٦

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۗ ١٠٧

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ ١٠٨

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِنَاخِذُهَا ذُرُوفًا تَدْعِكُمْ بَرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَكَ ذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ۖ فَسَيُقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونََنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۗ ١٠٩

سيهلكون جميعًا، ولا يرجعون إلى أهلهم في المدينة، وزين الشيطان لكم ذلك في قلوبكم، وظننتم ظنًا سيئًا بربكم أنه لن ينصر نبيّه، وكنتم قومًا هلكى بسبب ما أقدمتم عليه من ظن السوء بالله والتخلف عن رسوله.

١٠٣ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو كافر، وقد أعدنا يوم القيامة للكافرين بالله نارًا مستعرة يعذبون فيها.

١٠٤ والله وحده ملك السماوات وملك الأرض، يغفر ذنوب من يشاء من عباده، فيدخله الجنة بفضله، ويعذب من يشاء من عباده بعذله، وكان الله غفورًا للذنوب من تاب من عباده، رحيمًا بهم.

١٠٥ سيقول الذين خلفهم الله - إذا انطلقتم - أيها المؤمنون - إلى غنائم خيبر التي وعدكم الله إياها بعد صلح الحديبية لتأخذوها: اتركونا نخرج معكم لنصيب منها، يريد هؤلاء المخلفون أن يبدلوا بطلبهم هذا وعد الله الذي وعد به المؤمنين بعد صلح الحديبية أن يعطيهم وحدهم غنائم خيبر، قل لهم - أيها الرسول -: لن تتبعونا إلى تلك الغنائم، فقد وعدنا الله أن غنائم خيبر خاصة بمن شهد الحديبية، فسيقولون: متعكم لنا من اتباعكم إلى خيبر ليس بأمر من الله، بل بسبب حسدكم لنا. وليس الأمر كما زعم هؤلاء المخلفون، بل هم لا يفقهون أوامر الله ونواهيه إلا قليلًا؛ لذلك وقعوا في معصيته.

١٠٦ فاولاد من الآيات:

- ١ - مكانة بيعة الرضوان عند الله عظيمة، وأهلها من خير الناس على وجه الأرض.
- ٢ - الاعتذار بالأعذار الكاذبة شأن ضعاف الإيمان.
- ٣ - ضعاف الإيمان قليلون عند الفرع، كثيرون عند الطمع.

﴿١٦﴾ قل - أيها الرسول - للذين تخلفوا من الأعراب عن المسير معك إلى مكة مختبراً إياهم: ستدعون إلى قتال قوم أصحاب بأس قوي في القتال، تقاتلونهم في سبيل الله، أو يدخلون في الإسلام من غير قتال، فإن تطيعوا الله فيما دعاكم إليه من قتالهم يعطكم أجراً حسناً هو الجنة، وإن تولوا عن طاعته - كتوليكم عنها حين تخلفتم عن السير معه إلى مكة - يعذبكم عذاباً موجعاً.

﴿١٧﴾ ليس على المعذور بعمى أو عرج أو مرض إثم إذا تخلف عن القتال في سبيل الله، ومن يطع الله ويطع رسوله يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومن يعرض عن طاعتهما يعذبه الله عذاباً موجعاً.

﴿١٨﴾ لقد رضي الله عن المؤمنين وهم يبايعونك في الحديبية ببيعة الرضوان تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان والإخلاص والصدق، فأنزل الطمانينة على قلوبهم، وجزاهم على ذلك فتحاً قريباً هو فتح خيبر؛ تعويضاً لهم عما فاتهم من دخول مكة.

﴿١٩﴾ وأعظاهم مغنم كثيرة يأخذونها من أهل خيبر، وكان الله عزيزاً لا يغالبه أحد، حكيماً في خلقه وتقديره وتدبيره.

قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَتَظُنُّوهُمْ أَوْسِيَاءُ لِمَنْ تُبْغُوا بِذُنُوبِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبُرُ لَمْ يَدْبُرُوا لَكُمْ وَلَا يَنْصُرُوا لَكُمْ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٢﴾

﴿٢٠﴾ وعدكم الله - أيها المؤمنون - مغنم كثيرة تأخذونها في الفتوحات الإسلامية في المستقبل، فعجل لكم مغنم خيبر، وكف أيدي اليهود لئلا هموا أن يصيبوا عيالكم بعدكم، ولتكون هذه المغنم المعجلة علامة لكم على نصر الله وتأييده لكم، ويهديكم الله طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿٢١﴾ ووعدكم الله مغنم أخرى لم تقدرُوا عليها في هذا الوقت، الله وحده هو القادر عليها، وهي في علمه وتدبيره، وكان الله على كل شيء قديراً، لا يعجزه شيء.

﴿٢٢﴾ ولو قاتلكم - أيها المؤمنون - الذين كفروا بالله ورسوله لولوا هاربين منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون ولياً يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيراً ينصرهم على قتالكم.

﴿٢٣﴾ وغلبة المؤمنين وهزيمة الكافرين، ثابتة في كل زمان ومكان، فهي سنة الله في الأمم التي مضت قبل هؤلاء المكذبين، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله تبديلاً.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

- ١ - إخبار القرآن بمغيبات تحققت فيما بعد مثل الفتوح الإسلامية، دليل قاطع على أن القرآن الكريم من عند الله.
- ٢ - تقوم أحكام الشريعة على الرفق واليسر.
- ٣ - جزاء أهل بيعة الرضوان منه ما هو معجل، ومنه ما هو مرصد لهم في الآخرة.
- ٤ - غلبة الحق وأهله للباطل وأهله سنة إلهية.

﴿٤٤﴾ وهو الذي منع أيدي المشركين عنكم حين جاء نحو ثمانين رجلاً منهم يريدون إصابتكم بسوء بالحديبية، وكف أيديكم عنهم فلم تقتلوهم ولم تؤذوهم، بل أطلقتهم سراحهم بعد أن أقدركم على أسرهم، وكان الله بما تعملون بصيراً، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.

﴿٤٥﴾ هم الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعواكم عن المسجد الحرام، ومنعوا الهدى فبقي محبوباً عن الوصول إلى الحرم محل ذبحه، ولولا وجود رجال مؤمنين بالله ونساء مؤمنات به لا تعرفونهم أن تقتلوهم مع الكفار، فيصيبكم من قتلهم إثم وديات بغير علم منكم؛ لأذن لكم في فتح مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء مثل المؤمنين في مكة، لو تميز الذين كفروا عن المؤمنين في مكة لعذبنا الذين كفروا بالله وبرسوله عذاباً موجعاً.

﴿٤٦﴾ إذ جعل الذين كفروا بالله ورسوله في قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية التي لا ترتبط بإحقاق الحق وإنما ترتبط بالهوى، فأنفوا من دخول رسول الله ﷺ عليهم عام الحديبية؛ خوفاً من تعبيرهم بأنه غلبهم عليها، فأنزل الله الطمأنينة من عنده على رسوله وأنزلها على المؤمنين، فلم يؤذ بهم الغضب إلى مقابلة

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَٰعِثٌ عَلَيْهِمْ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤٥﴾ إِذْ جَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلْنَا اللَّهُ سَكِينَةً عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مَحْلِقِينَ رِءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٤٨﴾

المشركين بمثل فعلهم، وألزم الله المؤمنين كلمة الحق وهي لا إله إلا الله، وأن يقوموا بحققها فقاموا به، وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من غيرهم، وكانوا أهلها المستأهلين لها لما علم الله في قلوبهم من الخير، وكان الله بكل شيء عليماً، لا يخفى عليه شيء.

﴿٤٧﴾ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق حين أراه إياها في منامه وأخبر بها أصحابه، وهي أنه هو وأصحابه يدخلون بيت الله الحرام آمنين من عدوكم، منكم المحلقون رؤوسهم، ومنكم المقصرون إيداناً بنهاية نسكهم، فعلم الله من مصلحتكم - أيها المؤمنون - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون تحقيق الرؤيا بدخول مكة تلك السنة فتحاً قريباً، وهو ما أجراه الله من صلح الحديبية، وما تبعه من فتح خيبر على أيدي المؤمنين الذين حضروا الحديبية.

﴿٤٨﴾ الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالبيان الواضح ودين الحق الذي هو دين الإسلام؛ ليعليه على الأديان المخالفة له كلها، وقد شهد الله على ذلك، وكفى بالله شاهداً.

﴿٤٩﴾ فإول من الآيات:

- ١- الصد عن سبيل الله جريمة يستحق أصحابها العذاب الأليم.
- ٢- تدبير الله لمصالح عباده فوق مستوى علمهم المحدود.
- ٣- التحذير من الاعتزاز بالأباء والجنس على حساب الدين.
- ٤- رؤيا النبي حق، وهي جزء من الوحي.
- ٥- لا يلزم من رؤيا الحق أن تتحقق في حينها.
- ٦- ظهور دين الإسلام سنة ووعده إلهي تتحقق.

﴿١٦﴾ محمد رسول الله وصحابته الذين هم معه أشداء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متعاطفون متوادون، تراهم - أيها الناظر - ركعًا سجدًا لله سبحانه، يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالمغفرة والثواب الكريم، وأن يرضى عنهم، علامتهم في وجوههم من آثار السجود طاعة لله، ذلك وصفهم الذي وصفتهم به التوراة الكتاب المنزل على موسى ﷺ، وأما مثلهم في الإنجيل الكتاب المنزل على عيسى ﷺ فهو أنهم في تعاونهم وكمالهم كزرع أخرج صفاره، فقوي فاستوى على سيقانه، يعجب الزراع قوته وكماله؛ ليغيب بهم الله الكفار لما يرونه فيهم من القوة والتماسك والكمال، وعد الله الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات من الصحابة مغفرة لذنوبهم، فلا يؤاخذون بها، وثوابًا عظيمًا من عنده وهو الجنة.

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

— مَدِينَةٌ —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على الرقي بالمجتمع المسلم لكمالات الإيمان والأخلاق، بعد كثرة الذين أسلموا عام الوفود واختلافهم.

﴿٢﴾ التفسيرين:

- ﴿١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله بقول أو فعل، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيكم عليها.
- ﴿٢﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، واتبعوا ما شرع، تأدبوا مع رسوله، فلا ترفعوا أصواتكم بحضرته، ولا تجهروا له بالكلام احترامًا له؛ كما يجهر بعضكم لبعض عندما يخاطبه؛ خوف أن يبطل ثواب أعمالكم بسبب ذلك وأنتم لا تحسبون ببطان ثوابها.
- ﴿٣﴾ إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقواه، وأخلصهم لها، لهم مغفرة لذنوبهم فلا يؤاخذهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، وهو أن يدخلهم الله الجنة.
- ﴿٤﴾ إن الذين ينادونك - أيها الرسول - من الأعراب من وراء حجرات نسائك معظمهم لا يعقلون، فلا تبال بهم، إذ لو كانوا يعقلون لتأدبوا معك، ولصبروا حتى تخرج إليهم، فإذا خرجت إليهم خاطبوك بخفض أصواتهم فيما يبتغونه من أمورهم، لكن أكثرهم حصل منه غير هذا.

﴿٥﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - فضل أصحاب رسول الله ﷺ على سائر الناس منذ آدم باستثناء الأنبياء.
- ٢ - تشريع الرحمة مع المؤمن، والشدة مع الكافر المحارب.
- ٣ - التماسك والتعاون من أخلاق أصحابه ﷺ.
- ٤ - من يجد في قلبه كرهًا للصحابة الكرام يُخشى عليه من الكفر.
- ٥ - وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ ومع سنته وورثته (العلماء).

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ مُنَافِقٌ قَبْلَ إِفْتِيَانِهِ أَنْ تُصَيِّبُوا قَوْمًا يَجْعَلُ اللَّهُ فَضْلَهُ غَلِيظًا عَلَيَّ مَا عَلِمْتُمْ تَدْمِينَهُ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَنَعِمْنَا وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَافَيْتُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتِنَاوَا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبْغَى إِلَى الْأَمْرِ فَإِن فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ خَرَفُومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

﴿٥﴾ ولو أن هؤلاء الذين ينادونك - أيها الرسول - من وراء حجرات نساءك، صبروا فلم ينادوك حتى تخرج إليهم، فيخاطبوك مخفوضة أصواتهم؛ لكان ذلك خيراً لهم من ندائك من ورائها؛ لما فيه من التوقير والتعظيم، والله غفور لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، وغفور لهم لجهلمهم، رحيم بهم. ﴿٦﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، إن جاءكم فاسق بخبير عن قوم، فثبثوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ خوف أن تصيبوا - إذا صدقتم خبره دون ثبث - قوماً بهجالة، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره. ﴿٧﴾ واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، فاحذروا أن تكذبوا فينزل عليه الوحي يخبره بكذبكم، وهو أعلم بما فيه مصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لوقعتم في المشقة التي لا يرضاها لكم، ولكن الله من فضله حبب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم فآمنتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن طاعته، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الرشد والصواب.

﴿٨﴾ وما حصل لهم - من تحسين الخير في قلوبهم، وتكرية الشر - إنما هو فضل من الله، تفضل به عليهم، ونعمة أنعمها عليهم، والله عليم بمن يشكره من عباده فيوقفه، وحكيم إذ يضع كل شيء في محله المناسب له. ﴿٩﴾ وإن فرقان من المؤمنين تقاتلا فأصلحوا - أيها المؤمنون - بينهما بدعوتهما إلى تحكيم شرع الله في خلافهما، فإن أبت إحداهما الصلح واعتدت فقاتلوا المعتدية حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت إلى حكم الله فأصلحوا بينهما بالعدل والإنصاف، واعدلوا في حكمكم بينهما، إن الله يحب العادلين في حكمهم. ﴿١٠﴾ إنما المؤمنون إخوة في الإسلام، والأخوة في الإسلام تقتضي أن تصلحوا - أيها المؤمنون - بين أخويكم المتنازعين، واتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه؛ رجاء أن ترحموا. ﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما شرع، لا يستهزئ قوم منكم بقوم، عسى أن يكون المستهزأ بهم خيراً عند الله، والعبرة بما عند الله، ولا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزأ بهن خيراً عند الله، ولا تعيبوا أنفس إخوتكم فهي بمنزلة أنفسكم، ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، كما كان حال بعض الأنصار قبل مجيء رسول الله ﷺ، ومن فعل ذلك منكم فهو فاسق، بثت الصفة صفة الفسق بعد الإيمان، ومن لم يتب من هذه المعاصي فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب ما فعلوه من المعاصي.

﴿١٢﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

١ - وجوب الثبث من صحة الأخبار، خاصة التي ينقلها من يُتهم بالفسق. ٢ - وجوب الإصلاح بين من يتقاتل من المسلمين، ومشروعية قتال الطائفة التي تصر على الاعتداء وترفض الصلح. ٣ - من حقوق الأخوة الإيمانية: - الصلح بين المتنازعين. - البعد عما يجرح المشاعر من السخرية والعيب والتنازب بالألقاب.

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله وَعَمَلُوا بما
 شرع، ابتعدوا عن كثير من التهم التي لا
 تستند لما يوجبها من أسباب وقرائن، إن
 بعض الظن إثم، كسوء الظن بمن ظاهره
 الصلاح، ولا تتبعوا عورات المؤمنين من
 ورائهم، ولا يذكر أحدكم أخاه بما يكره،
 فإن ذكره بما يكره مثل أكل لحمه ميتاً،
 أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً؟
 فاكروها اغتيايه فهو مثله، واتقوا الله بامثال
 أوامره، واجتنب نواهيه، إن الله تواب على
 من تاب من عبادته، رحيم بهم.

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
 واحد وهو أبوكم آدم، وأنثى واحدة وهي
 أمكم حواء، فنسبكم واحد، فلا يفخر
 بعضكم على بعض في النسب، وصيرناكم
 بعد ذلك شعوباً عديدة وقبائل منتشرة؛ ليعرف
 بعضكم بعضاً، لا ليفخر عليه؛ لأن الفخر لا
 يكون إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله
 أتقاكم، إن الله عليم بأحوالكم، خبير بما
 تكونون عليه من كمال ونقص، لا يخفى عليه
 شيء من ذلك.

﴿١٤﴾ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لَمَّا قَدَّمُوا عَلَى
 النَّبِيِّ ﷺ: آمَنَّا بالله وبرسوله. قل لهم - أيها
 الرسول -: لم تؤمنوا، ولكن قولوا:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
 وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ
 يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
 رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
 شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
 قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
 وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ
 الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
 ﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ
 يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

استسلمنا وانقدنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، ويتوقع له أن يدخلها، وإن طيعوا - أيها الأعراب - الله
 ورسوله في الإيمان والعمل الصالح، واجتنب المحرمات لا ينقصكم الله شيئاً من ثواب أعمالكم، إن الله
 غفور لمن تاب من عبادته، رحيم بهم.

﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَخَالطْ إِيمَانُهُمْ شُكًّا، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ، لَمْ يَضُنُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَأُولَئِكَ الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ الصَّادِقُونَ فِي إِيمَانِهِمْ.

﴿١٦﴾ قُلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - لِهَؤُلَاءِ الْأَعْرَابِ: أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ، وَتَشْعُرُونَهُ بِدِينِكُمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ،
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى إِعْلَامِكُمْ إِيَّاهُ بِدِينِكُمْ.

﴿١٧﴾ يَمُنُّ عَلَيْكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ إِسْلَامَهُمْ، قُلْ لَهُمْ: لَا تَمْنُوا عَلَيَّ دُخُولِكُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، فَنَفَعُ ذَلِكَ - إِنْ
 حَصَلَ - عَائِدَةً عَلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ وَقَفْتُمْ لِلدُّخُولِ فِي دِينِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْتُمْ دَخَلْتُمْ فِيهِ.

﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ، وَيَعْلَمُ غَيْبَ الْأَرْضِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، لَا
 يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْازِيكُمْ عَلَى حَسَنَتِهَا وَسَيُثَبِّتُهَا.

﴿١٩﴾ فَوَائِدٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - سوء الظن بأهل الخير معصية، ويجوز الحذر من أهل الشر بسوء الظن بهم. ٢ - وحدة أصل بني البشر تقتضي نبد التفاخر بالأنساب. ٣ - الإيمان ليس مجرد نطق لا يوافقه اعتقاد، بل هو اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان. ٤ - هداية التوفيق بيد الله وحده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَمْ دَامَتْنَا وَكُنَّا نُرَآهَا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ٥ أَفَأَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهُا مِنْ فُرُوجٍ ٦ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَبْجُوعٍ ٧ تَبَصَّرُوا فَكُنَّا حَسْبَهُمْ ٨ مَنِيْبٌ ٩ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ١٠ وَالنَّخْلَ بَاسْقِنَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ١١ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ١٢ كَذَّبَتْ قَلْبَهُمْ قَوْمٌ نُوْحٌ وَأَصْحَبُ الرَّيْسِ وَثَمُودُ ١٣ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ١٤ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبَعِّعُ كُلَّ كَذِّبٍ الرَّسُلَ حَقَّ وَعِيدِ ١٥ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ١٥

﴿مقتصد السُّورَة﴾: التركيز على إيقاظ القلوب الغافلة وهزها لإدراك حقائق البعث والجزاء وبراهينها ومشاهدتها.

﴿التفسير﴾:

﴿ق﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، أَسْم الله بالقرآن الكريم لما فيه من المعاني وكثرة الخير والبركة؛ لتبعثن يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١﴾ لم يكن سبب رفضهم توقعهم أن تكذب فهم يعرفون صدقك، بل تعجبوا أن يأتيهم رسول من جنسهم، وليس من جنس الملائكة، وقالوا من تعجبهم: مجيء رسول من البشر إلينا شيء عجيب!

﴿٢﴾ أنبعث إذا متنا وصرنا تراباً؟ ذلك البعث، ورجوع الحياة إلى أجسامنا بعدما بليت شيء مستعد، لا يمكن أن يقع.

﴿٣﴾ قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد موتهم، لم يخف علينا منه شيء، وعندنا كتاب حافظ لكل ما يقدره الله عليهم في حياتهم وبعد موتهم.

﴿٤﴾ بل كذب هؤلاء المشركون بالقرآن لما جاءهم به رسوله، فهم في أمر مضطرب، لا يثبتون على شيء بشأنه.

ولما ذكر إنكار المشركين للبعث ذكرهم بالأدلة على وقوعه فقال:

﴿١﴾ أفلم يتأمل هؤلاء المكذبون بالبعث السماء فوقهم؛ كيف خلقناها وبنيناها وزيناها بما وضعنا فيها من نجوم، وليس لها شقوق تعيها؟ فالذي خلق هذه السماء لا يعجز عن بعث الموتى أحياء.

﴿٢﴾ والأرض بسطناها صالحة للسكنى عليها، وألقينا فيها جبلاً ثوابت حتى لا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف من النبات والشجر حسن المنظر.

﴿٣﴾ خلقنا ذلك كله ليكون تبصرة وتذكيراً لكل عبد راجع إلى ربه بالطاعة.

﴿٤﴾ ونزلنا من السماء ماءً كثير النفع والخير، فأنبتنا بذلك الماء بساتين، وأنبتنا ما تحصدونه من حب الشعير وغيره.

﴿٥﴾ وأنبتنا به النخل طوالاً عاليات، لها طلع متراكب بعضه فوق بعض.

﴿٦﴾ أنبتنا ما أنبتنا من ذلك رزقاً للعباد يأكلون منه، وأحيينا به بلدة لا نبات فيها، كما أحيينا بهذا المطر بلدة لا نبات فيها نحوي الموتى، فيخرجون أحياء.

﴿٧﴾ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بك - أيها الرسول - أقوام بأبيائهم، فكذبت قوم نوح وأصحاب البشر، وكذبت ثمود.

﴿٨﴾ وكذبت عاد وفرعون، وقوم لوط.

﴿٩﴾ وكذب قوم شعيب أصحاب الأيكة، فثبت عليهم ما وعدهم الله من العذاب.

﴿١٠﴾ أفعجزنا عن خلقكم أول مرة حتى نعجز عن بعثكم؟ بل هم في حيرة من خلق جديد بعد خلقهم الأول.

﴿١١﴾ ﴿فَرَأَى مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - المشركون يستعظمون النبوة على البشر، ويمنحون صفة الألوهية للحجر! ٢ - خلق السماوات، وخلق الأرض، وإنزال المطر، وإنبات الأرض القاحلة، والخلق الأول: كلها أدلة على البعث.

٣ - التأكيد بالرسول عادة الأمم السابقة، وعقاب المكذبين سُنَّة إلهية.

﴿١٦﴾ ولقد خلقنا الإنسان، ونعلم ما تحدث به نفسه من خواطر وأفكار، ونحن أقرب إليه من العرق الموجود في العنق المتصل بالقلب.

﴿١٧﴾ إذ يتلقى الملكان المتلقيان عمله، أحدهما قعيد عن يمينه، والثاني قعيد عن شماله.

﴿١٨﴾ ما يقول من قول إلا لديه ملك رقيب على ما يقوله حاضر.

﴿١٩﴾ وجاءت شدة الموت بالحق الذي لا مهرب منه، ذلك ما كنت عنه - أيها الإنسان الغافل - تكص عنه، وتأخر.

﴿٢٠﴾ ونفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن النفخة الثانية، ذلك يوم القيامة، يوم الوعيد للكفار والعصاة بالعذاب.

﴿٢١﴾ وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها، وملك يشهد عليها بأعمالها.

﴿٢٢﴾ ويقال لهذا الإنسان المسوق: لقد كنت في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم بسبب اغترارك بشهواتك ولذاتك، فكشفنا عنك غفلتك بما تعايته من العذاب والكرب، فبصرك اليوم حاداً تدرك به ما كنت في غفلة عنه.

﴿٢٣﴾ وقال قرينه الموكل به من الملائكة: هذا ما لدي من عمله حاضر دون نقص ولا زيادة.

﴿٢٤﴾ ويقول الله للملكين السائق والشاهد: ألقيا في جهنم كل جحود للحق، معاند له.

﴿٢٥﴾ كثير المنع لما أوجب الله عليه من حق، متجاوز لحدود الله، شك فيما يخبر به من وعد أو وعيد.

﴿٢٦﴾ الذي جعل مع الله معبوداً آخر يشركه معه في العبادة، فألقياه في العذاب الشديد.

﴿٢٧﴾ قال قرينه من الشياطين متبرئاً منه: ربنا ما أضللته، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق.

﴿٢٨﴾ قال الله: لا تختصموا لدي، فلا فائدة من ذلك، فقد قدمت لكم في الدنيا ما جاءت به رسلي من الوعيد الشديد لمن كفر بي وعصاني.

﴿٢٩﴾ ما يغير القول لدي، ولا يخلف وعدي، ولا أظلم العبيد بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم، بل أجزبهم بما عملوا.

﴿٣٠﴾ يوم نقول لجهنم: هل امتلأت بمن ألقى فيك من الكفار والعصاة؟ فتجيب ربه: هل من مزيد؟ طلباً للزيادة؛ غضباً لربها. ولما ذكر الله الوعيد الشديد للكفار ذكر ما أعدّه لعباده المؤمنين فقال:

﴿٣١﴾ وقُرب الجنة للمتقين لربهم بامتنال أوامره واجتناب نواهيه، فشهدوا ما فيها من النعيم غير بعيد منهم.

﴿٣٢﴾ ويقال لهم: هذا ما وعدكم الله لكل رجّاع إلى ربه بالتوبة، حافظ لما ألزمه ربه به.

﴿٣٣﴾ من خاف الله بالسر حيث لا يراه إلا الله، ولقي الله بقلب سليم منيب إليه، خاضع.

﴿٣٤﴾ ويقال لهم: ادخلوا الجنة دخولاً مصحوباً بالسلامة مما تكرهون، ذلك يوم البقاء الذي لا فناء بعده.

﴿٣٥﴾ لهم ما يشاؤون فيها من النعيم الذي لا ينفد، ولدينا مزيد من النعيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومنه رؤية الله سبحانه.

﴿٣٦﴾ فاولئك من الآيات:

١ - علم الله بما يخطر في النفوس من خير وشر. ٢ - من صفات أهل الكفر: منع الخير والشك.

٣ - ثبوت صفة العدل لله تعالى.

﴿٣٦﴾ وما أكثر الأمم التي أهلكتنا قبل هؤلاء المشركين المكذبين من أهل مكة، ففتشوا في البلاد لعلهم يجدون مهرباً من العذاب فلم يجدوه.

﴿٣٧﴾ إن في ذلك المذكور من إهلاك الأمم السابقة لتذكيراً وموعظة لمن كان له قلب يعقل به، أو أنصت بسمعه حاضر القلب، غير غافل.

﴿٣٨﴾ ولقد خلقنا السماوات، وخلقنا الأرض، وما بين السماوات والأرض في ستة أيام مع قدرتنا على خلقها في لحظة، وما أصابنا من تعب كما تقول اليهود.

﴿٣٩﴾ فاصبر - أيها الرسول - على ما يقوله اليهود وغيرهم، وصل لربك حامداً إياه صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وصل العصر قبل غروبها.

﴿٤٠﴾ ومن الليل فصل له، وسبحه بعد الصلوات.

﴿٤١﴾ واستمع - أيها الرسول - يوم ينادي الملك الموكل بالنفخ في الصور النفخة الثانية، من مكان قريب.

﴿٤٢﴾ يوم يسمع الخلائق صيحة البعث بالحق الذي لا مزية فيه، ذلك اليوم الذي يسمعونها فيه هو يوم خروج الأموات من قبورهم للحساب والجزاء.

﴿٤٣﴾ إنا نحن نحيي ونميت، لا محيي غيرنا ولا مميت، وإلينا وحدنا رجوع العباد يوم القيامة للحساب والجزاء.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهِمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْنَا بِالْقُرْآنِ مِنَ الْخَافِ وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

سورة الدارجات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالدَّارِجَاتِ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَأَلْحَمْتِ وَقُرًا ﴿٢﴾ فَأَلْحَمْتِ يَسْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْمَسْتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَوَعْدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِن الدِّينَ لَوْفَعٌ ﴿٦﴾

سورة الدارجات

— مكة —

﴿١﴾ مقصد السورة:

التكرير على تعريف المخلوقين بمصدر رزقهم وهو الله تعالى؛ لكي يفروا إليه ويحققوا العبودية له.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يقسم الله بالرياح التي تذر التراب.

﴿٢﴾ وبالسحب التي تحمل الماء الغزير.

﴿٣﴾ وبالسفن التي تجري في البحر بسهولة ويسر. ﴿٤﴾ وبالملائكة التي تقسم ما أمرها الله بتقسيمه من أمور العباد.

﴿٥﴾ إن ما يعدكم ربكم به من الحساب والجزاء لحق لا مزية فيه. ﴿٦﴾ وإن حساب العباد لواقع يوم القيامة لا محالة.

﴿٧﴾ فإذن من الآيات: ١ - الاعتبار بوقائع التاريخ من شأن ذوي القلوب الواعية. ٢ - خلق الله الكون في ستة أيام لحكم يعلمها الله، لعل منها بيان سنة التدرج. ٣ - سوء أدب اليهود في وصفهم الله تعالى بالتعب بعد خلقه السماوات والأرض، وهذا كفر بالله.

٧) ويقسم الله بالسماء ذات الطرق.

٨) إنكم - يا أهل مكة - لفي قول متناقض متضارب، تارة تقولون: القرآن سحر، وتارة شعر، وتقولون: محمد ساحر تارة، وتارة شاعر. ٩) يُصرف عن الإيمان بالقرآن وبالنبي ﷺ من صُرف عنه في علم الله؛ لعلمه أنه لا يؤمن، فلا يوفق للهداية.

١٠) لعن هؤلاء الكذابون الذين قالوا في القرآن وفي نبيهم ما قالوا.

١١) الذين هم في جهل غافلون عن الدار الآخرة، لا يباليون بها.

١٢) يسألون: متى يوم الجزاء؟ وهم لا يعملون له.

١٣) فيجيبهم الله عن سؤالهم يوم هم على النار يعذبون.

١٤) يقال لهم: ذوقوا عذابكم، هذا هو الذي كنتم تسألون تعجيله عندما تندرون به؛ استهزاء.

١٥) إن المتقين لر بهم بامثال أوامره، واجتتاب نواهيه يوم القيامة في بساتين وعيون جارية.

١٦) أخذين ما أعطاهم ربهم من الجزاء الكريم، إنهم كانوا قبل هذا الجزاء الكريم محسنين في الدنيا.

١٧) كانوا يصلون من الليل، لا ينامون إلا زمناً قليلاً.

١٨) وفي وقت الأسحار يطلبون المغفرة من الله لذنوبهم.

١٩) وفي أموالهم حق للسائل من الناس، وللذي لا يسأل حياءً، فيحرمه الناس من التصدق عليه.

٢٠) وفي الأرض وما وضع الله فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار ونبات وحيوان، دلالات على قدرة الله للموقنين أن الله هو الخالق المصور.

٢١) وفي أنفسكم - أيها الناس - دلالات على قدرة الله، أفلا تبصرون لتعتبروا؟

٢٢) وفي السماء رزقكم الدينوي والديني، وفيها ما توعدون من الجزاء في الدنيا والآخرة.

٢٣) فوبر السماء والأرض إن البعث لحق لا شك فيه، كما أنه لا شك في نطقكم حين تنطقون.

٢٤) هل أتاك - أيها الرسول - حديث ضيوف إبراهيم من الملائكة الذين أكرمهم ﷺ؟ ٢٥) حين دخلوا عليه فقالوا له: سلاماً، قال إبراهيم رداً عليهم: سلام، وقال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم. ٢٦) فمال إلى أهله خفية، فجاء من عندهم بعجل كامل سمين؛ ظناً منه أنهم بشر. ٢٧) فقرَّب العجل إليهم، وخطبهم برفق: ألا تأكلون ما قدَّم لكم من طعام؟ ٢٨) فلما لم يأكلوا أضمر في نفسه الخوف منهم ففطنوا له، فقالوا مطمئنين إياه: لا تخف، إنا رسل من عند الله، وأخبروه بما يسرَّ من أنه يولد له غلام له علم كثير، والمُبشَّر به هو إسحاق ﷺ. ٢٩) فلما سمعت امرأته البشارة أقبلت تصيح من الفرح، فلطمت وجهها، وقالت متعجبة: أتلد عجوز، وهي في الأصل عقيم! ٣٠) قال لها الملائكة: ما أخبرناكِ به قاله ربك، وما قاله لا رادَّ له: إنه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقها وما يصلح لهم.

٣١) فإولئك الآيات: ١ - إحسان العمل وإخلاصه لله سبب لدخول الجنة. ٢ - من آداب الضيافة رد التحية بأحسن منها، وتحضير المائدة خفية، والاستعداد للضيوف قبل نزولهم، وعدم استثناء شيء من المائدة، والإشراف على تحضيرها، والإسراع فيه، وتقريبها للضيوف، وخطابهم برفق.

قَالَ فَاحْطَبِكُمْ أَهْلًا مَّرْسُورًا ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا آرُسُلْنَا إِلَى قَوْمٍ
 جَحْرَمِينَ ﴿٣٧﴾ لَتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةٌ مِّنْ طِينٍ ﴿٣٨﴾ مَسْمُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ
 لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٠﴾ فَمَا وَجَدْنَا
 فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ
 الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤٢﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ
 مُّبِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوبَهُ قَالَ سَحَرُ أَوْ يُحْمُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ
 فَنَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ
 الْعَقِيمَ ﴿٤٦﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءًا أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا أَلْجَلَّةٌ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٧﴾
 وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٨﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
 فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٩﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ
 وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٥٠﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِتْمَهُمْ كَانُوا قَوْمًا
 فَاسِقِينَ ﴿٥١﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٥٢﴾ وَالْأَرْضَ
 فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ﴿٥٣﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٤﴾ فَيَقُولُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾
 وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٦﴾

٣٦ قال إبراهيم للملائكة: ما شأنكم؟ وما الذي تصدونه؟
 ٣٧ قال الملائكة جواباً له: إنا بعثنا الله إلى قوم مجرمين يرتكبون قبائح الذنوب.
 ٣٨ لنبعث عليهم حجارة من طين متصلب.
 ٣٩ معلمة عند ربك - يا إبراهيم - تُبعث على المتجاوزين لحدود الله المبالغين في الكفر والمعاصي.
 ٤٠ فأخرجنا من كان في قرية قوم لوط من المؤمنين حتى لا يصيبهم ما يصيب المجرمين من العذاب.
 ٤١ فما وجدنا في قريتهم هذه غير بيت واحد من المسلمين، هم أهل بيت لوط .
 ٤٢ وتركنا في قرية قوم لوط من آثار العذاب ما يدل على وقوع العذاب عليهم ليعتبر به من يخاف العذاب الموجه الذي أصابهم، فلا يعمل بعملهم لينجو منه.
 ٤٣ وفي موسى حين بعثناه إلى فرعون بالمعجزات والحجج الواضحة آية لمن يخاف العذاب الموجه.
 ٤٤ فأعرض فرعون بجانبه عن الحق، وقال عن موسى : هو ساحر يسحر الناس، أو مجنون يقول ما لا يعقله.
 ٤٥ فأخذناه هو وجنوده كلهم فطرحناهم في البحر، فغرقوا وهلكوا، وفرعون أت بما يلام عليه من التكذيب وادعاء أنه إله.

٤٦ وفي عاد قوم هود آية لمن يخاف العذاب الموجه حين بعثنا عليهم الريح التي لا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً، ولا بركة فيها.
 ٤٧ ما ترك من نفس أو مال أو غيرها أتت عليه إلا دمرته، وتركته كالبالي المتفتت.
 ٤٨ وفي ثمود قوم صالح آية لمن يخاف العذاب الموجه حين قيل لهم: استمتعوا بحياتكم قبل انقضاء آجالكم.
 ٤٩ فتكبروا عن أمر ربهم وعلوا استكباراً على الإيمان والطاعة، فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله، إذ كانوا وعدوا بالعذاب قبل نزوله بثلاثة أيام.
 ٥٠ فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوة يمتنعون بها.
 ٥١ وقد أهلكنا قوم نوح بالغرق من قبل هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله، فاستحقوا عقابه.
 ٥٢ والسماء بنيناها، وأتقنا بنائها بقوة، وإنا لموسعون لأطرافها، وموسعون على عبادنا بيسط الرزق.
 ٥٣ والأرض جعلناها ممهدة للساكين عليها كالفرش لهم، نعم الماهدون نحن إذ مهدناها لهم.
 ٥٤ ومن كل شيء خلقنا صنفين؛ كالذكر والأنثى والسماء والأرض والبر والبحر، لعلكم تتذكرون وحدانية الله الذي خلق من كل شيء صنفين، وتذكرون قدرته.
 ٥٥ فقولوا من عقاب الله إلى ثوابه، بطاعته وعدم معصيته، إني لكم - أيها الناس - نذير من عقابه بين النذارة.
 ٥٦ ولا تجعلوا مع الله معبوداً آخر تعبدونه من دونه، إني لكم نذير منه بين النذارة.

٥٧ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - الإيمان أعلى درجة من الإسلام. ٢ - إهلاك الله للأمم المكذبة درس للناس جميعاً. ٣ - الخوف من الله يقتضي الفرار إليه سبحانه بالعمل الصالح، وليس الفرار منه.

٥٦ مثل ذلك التكذيب الذي كذب به أهل مكة كذبت الأمم السابقة، فما جاءهم من رسول من عند الله إلا قالوا عنه: هو ساحر، أو مجنون.

٥٧ أتواصى المتقدمون من الكفار والمتأخرون منهم على تكذيب الرسل؟ لا، بل جمعهم على هذا طغيانهم.

٥٨ فأعرض - أيها الرسول - عن هؤلاء المكذبين، فما أنت بملوم، فقد بلغتهم ما أرسلت به إليهم.

٥٩ ولا يمنحك إعراضك عنهم من وعظهم، وتذكيرهم، فعظهم وذكرهم، فإن التذكير ينفع أهل الإيمان بالله.

٦٠ وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي وحدي، ما خلقتهم ليجعلوا لي شريكاً.

٦١ ما أريد منهم رزقاً، ولا أريد منهم أن يطمعونني.

٦٢ إن الله هو الرزاق لعباده، فالجميع محتاجون إلى رزقه، ذو القوة المتين الذي لا يغلبه شيء، وجميع الجن والإنس خاضعون لقوته سبحانه.

٦٣ فإن للذين ظلموا أنفسهم بتكذيبك - أيها الرسول - نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم السابقين، له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله.

٦٤ فهلاك وخسار للذين كفروا بالله، وكذبوا رسولهم من يومهم يوم القيامة الذي يوعدون فيه بانزال العذاب عليهم.

كذالك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ

٥٦ أتواصوا به بل هم قوم طاعونٌ ٥٧ فنزل عنهم فما أنت

بملومٌ ٥٨ وذَكَرْ فَإِن الذِّكْرُ نِى نفعُ المؤمنِينَ ٥٩ وما

خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ٦٠ ما أريدُ منهم من رزقٍ

وما أريدُ أن يطعمون ٦١ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين

٦٢ فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون

٦٣ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ٦٤

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ١ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ

الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ

عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ قَعٌ ٧ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ

مُورًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

١١ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ

جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ١٤

سورة الطور

— مكة —

● مقصد السورة:

التركيز على دحض شبهات المكذبين من خلال عرض الحجج والبراهين، إرغاماً على الإذعان والتسليم.

● التفسير:

١ أَسْمِ اللهَ بِالْجَبَلِ الذي كَلَّمَ عليه موسى ﷺ. ٢ وَأَقْسَمَ بِالْقُرْآنِ الذي هو كتاب مَسْطَر. ٣ فِي ورقِ مَبْسُوطٍ مَفْتُوح. ٤ وَأَقْسَمَ بِالْبَيْتِ الذي تعمره الملائكة في السماء بعبادة الله. ٥ وَأَقْسَمَ بِالسَّمَاءِ الْمَرْفُوعَةِ التي هي سقف الأرض. ٦ وَأَقْسَمَ بِالْبَحْرِ الْمَمْلُوءِ ماءً. ٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ - أيها الرسول - لَوَاقِعٌ لا محالة على الكافرين. ٨ لَيْسَ لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْ وَقْعِهِ بِهِمْ. ٩ يَوْمَ تَتَحَرَّكُ السَّمَاءُ تَحْرُكًا، وَتَضْطَرِبُ إِذَائًا بِالْقِيَامَةِ. ١٠ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ مِنْ مَوَاقِعِهَا سَيْرًا. ١١ فَهَلَاكٌ وَخَسَارٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكَذِّبِينَ بِمَا وَعَدَ اللهُ الْكَافِرِينَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ. ١٢ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ فِي الْبَاطِلِ يَلْعَبُونَ، لا يبالون ببعث ولا نشور. ١٣ يَوْمَ يُدْعَوْنَ بِشِدَّةٍ وَعُتْفٍ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَفْعًا. ١٤ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوَيْخًا لَهُمْ: هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ عِنْدَمَا تَخَافُكُمْ رَسَلُكُمْ مِنْهَا.

● فوائد من الآيات:

١ - الكفر ملة واحدة وإن اختلفت وسائله وتنوع أهله ومكانه وزمانه. ٢ - شهادة الله لرسوله ﷺ بتبليغ الرسالة. ٣ - الحكمة من خلق الجن والإنس لتحقيق عبادة الله بكل مظاهرها. ٤ - سوف تتغير أحوال الكون يوم القيامة.

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا
 أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنُ يَمَاءٍ انْتَهَمَ رَبُّهُمْ
 وَوَقَّهْمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْثَا يَمَاءً
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مَثْكَبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ
 بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
 بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ
 رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ
 فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زَمَانٌ
 لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُوهُمْ كَمَا كُنُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ
 ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ رَبُّ اللَّهِ
 عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ
 نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
 رَبِّكَ يَا كَاهِنٍ وَلَا مُجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَبُّنَا
 الْمُؤْمِنِينَ قُلْ تَرَبِّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣٠﴾

﴿١٥﴾ أفسح هذا الذي عاينتموه من العذاب؟ أم
 أنتم لا تعانونه؟
 ﴿١٦﴾ ذوقوا حرَّ هذه النار وعاينوها، فاصبروا
 على معاناة حرِّها، أو لا تصبروا عليه، سواء
 صبركم وعدم صبركم، لا تجزون اليوم إلا ما
 كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي.
 ولما ذكر الله جزاء المكذبين، ذكر جزاء
 المصدقين المتقين، فقال:
 ﴿١٧﴾ إن المتقين لربهم - بامتثال أوامره، واجتناب
 نواهيه - في جنات ونعيم عظيم لا ينقطع.
 ﴿١٨﴾ يتفكحون بما أعطاهم الله من لذائذ المأكَل
 والمشرب والمنكح، ووقاهم ربهم سبحانه
 عذاب الجحيم؛ فجازوا بحصول مطلوبهم من
 الملذات، وبوقايتهم من المكدرات.
 ﴿١٩﴾ ويقال لهم: كلوا واشربوا مما اشتتهته
 أنفسكم، هنيئًا لا تخافون ضررًا، ولا أذى مما
 تأكلون أو تشربون؛ جزاء لكم على أعمالكم
 الطيبة في الدنيا.
 ﴿٢٠﴾ متكئون على الأرائك المزينة قد جعلت
 صفوفًا، وزوجناهم بنساء بيض واسعات العيون
 في جمال.
 ﴿٢١﴾ والذين آمنوا واتبعهم أولادهم في الإيمان،
 أَلْحَقْنَا بِهِمْ أولادهم لتقرُّ أعينهم بهم، ولو لم
 يبلغوا أعمالهم، وما نقصناهم شيئًا من ثواب
 أعمالهم، كل إنسان محبوس بما كسبه من عمل

سيئ لا يحمل عنه غيره من عمله شيئًا.

﴿٢٢﴾ وأمَدَدْنَا أهل الجنة هؤلاء بصنوف من الفاكهة، وأمَدَدْنَاهم بكل ما اشتهوه من لحم.
 ﴿٢٣﴾ يتعاطون في الجنة كأسًا لا يترتب على شربها ما يترتب عليها في الدنيا، من الكلام الباطل والإثم بسبب السكر.
 ﴿٢٤﴾ ويدور عليهم خدم لهم كأنهم لؤلؤ مصون.
 ﴿٢٥﴾ وأقبل بعض أهل الجنة على بعض، يسأل بعضهم بعضًا عن حالهم في الدنيا.
 ﴿٢٦﴾ فيجيبونهم: إنا كنا في الدنيا بين أهلنا خائفين من عذاب الله.
 ﴿٢٧﴾ فمنَّ الله علينا بالهداية إلى الإسلام، ووقانا العذاب البالغ في الحرارة.
 ﴿٢٨﴾ إنا كنا في حياتنا الدنيا نعبده، وندعوه أن يقينا عذاب النار، إنه هو البر بعباده، الرحيم بهم، ومن برّه ورحمته
 بنا أن هدانا للإيمان، وأدخلنا الجنة، وأبعدنا عن النار.
 ﴿٢٩﴾ فذكر - أيها الرسول - بالقرآن، فلست بما أنعم الله عليك به من الإيمان والعقل بكاهن لك رثي من الجن،
 ولست بمجنون.
 ﴿٣٠﴾ أم يقول هؤلاء المكذبون: إن محمدًا ليس رسولًا، بل هو شاعر نتظر به أن يتخطفه الموت، فنستريح منه.
 قل لهم - أيها الرسول -: انظروا موتي، وأنا أنتظر ما يحل بكم من عذاب بسبب تكذيبكم إياي.

فوائد من الآيات:

- ١ - الجمع بين الآباء والأبناء في الجنة في منزلة واحدة وإن قصر عمل بعضهم إكرامًا لهم جميعًا حتى تتم الفرحة.
- ٢ - خمر الآخرة لا يترتب على شربها مكروه.
- ٣ - من خاف من ربه في دنياه آمنه في آخرته.

﴿٣٢﴾ بل أتأمروهم عقولهم بقولهم: إنه كاهن ومجنون؟ فيجتمعون بين ما لا يجتمع في شخص، بل هم قوم متجاوزون للحدود، فلا يرجعون إلى شرع ولا عقل.

﴿٣٣﴾ أم يقولون: إن محمداً اختلق هذا القرآن، ولم يوح إليه به؟ لم يخلقه، بل هم يستكبرون عن الإيمان به، فيقولون: اختلقه.

﴿٣٤﴾ فليأتوا بحديث مثله ولو كان مُحْتَلَقًا إن كانوا صادقين في دعواهم أنه اختلقه.

﴿٣٥﴾ أم خلقوا من غير خالق يخلقهم؟ أم هم الخالقون لأنفسهم؟ لا يمكن وجود مخلوق دون خالق، ولا مخلوق يخلق، فلم لا يعبدون خالقهم؟

﴿٣٦﴾ أم خلقوا السماوات والأرض؟ بل لا يوقنون أن الله هو خالقهم، إذ لو أيقنوا ذلك لوجدوه، ولآمنوا برسوله.

﴿٣٧﴾ أم عندهم خزائن ربك من الرزق فيمنحوه من يشاؤون، ومن النبوّة فيعطوها ويمنعوها من أرادوا؟ أم هم المُتسلطون المتصرفون حسب مشيئتهم؟

﴿٣٨﴾ أم لهم مِرْقَاة يرقون بها إلى السماء يستمعون فيها إلى وحي الله يوحيه أنهم على حق؟ فليأت من استمع منهم إلى ذلك الوحي بحجة واضحة تصدقكم فيما تدعون من أنكم على حق.

﴿٣٩﴾ أم له ﴿بَنَاتٍ﴾ التي تكهونها، ولكم البنون الذين تحبونهم؟

﴿٤٠﴾ أم تطلب منهم - أيها الرسول - أجرًا على ما تبلغهم عن ربك؟ فهم بسبب ذلك مكلفون حملًا لا يقدرين على حمله.

﴿٤١﴾ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون للناس ما يطلعون عليه من الغيوب، فيخبرونهم بما شاؤوا منها؟

﴿٤٢﴾ أم يريد هؤلاء المكذوبون كيدًا بك وبدينك، فتق بالله، فالذين كفروا بالله ورسوله هم الممكور بهم، لا أنت.

﴿٤٣﴾ أم لهم معبود بحق غير الله؟ تنزه الله وتقدس عما ينسبون إليه من الشريك. كل ما تقدم لم يكن ولا يتصور بحال.

﴿٤٤﴾ وإن يروا قطعًا من السماء ساقطة يقولوا عنه: هذا سحاب مركوم بعضه على بعض كالعادة، فلا يتعظون، ولا يؤمنون.

﴿٤٥﴾ فاتركهم - أيها الرسول - في عنادهم وجحودهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يعذبون، وهو يوم القيامة.

﴿٤٦﴾ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئًا قليلًا أو كثيرًا، ولا هم ينصرون بإنقاذهم من العذاب.

﴿٤٧﴾ وإن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي عذابًا قبل الآخرة؛ في الدنيا بالقتل والسبي، وفي البرزخ بعذاب القبر، ولكنّ معظمهم لا يعلمون ذلك، فلذلك يقيمون على كفرهم.

ولما بين الله بطلان ما عليه المشركون أمر رسوله بعدم المبالاة بهم، وبالصبر على تكذيبهم فقال:

﴿٤٨﴾ واصبر - أيها الرسول - لقضاء ربك، ولحكمه الشرعي، فإنك بمرأى منا وحفظ، وسبح بحمد ربك حين تقوم من نومك.

﴿٤٩﴾ ومن الليل فسبح ربك، وصلّ له، وصلّ صلاة الفجر حين إدبار النجوم بأفولها بضوء النهار.

﴿٥٠﴾ فاولد من الآيات:

١ - الطغيان سبب من أسباب الضلال. ٢ - ثبوت إعجاز القرآن من وجوه متعددة. ٣ - ثبوت عذاب البرزخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْمَوْتَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَاوْحَىٰ يُوحَىٰ ۝٤ عِلْمَهُ سُدِّدَ الْقَوْلَىٰ ۝٥
ذُومِرَةً فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَقَدَرَهُ آه
نَزَلَهُ أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنْوَةَ
الَّتِي هِيَ الثَّلَاثَةُ الْآخِرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذْ أَسْمَتْ
ضُبَيْرَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ
الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝٢٦

● مقصد النبوة :
تركز على قضية صدق الوحي وعلو مصدره،
إثباتاً لعقيدة التوحيد، وإبطالاً لعقيدة الشرك.

● التفسيرين :
١ أقسم سبحانه بالنجم إذا سقط .
٢ ما انحرف محمد رسول الله ﷺ عن طريق الهداية، وما صار غوياً، ولكنه رشيد.
٣ وما يتكلم بهذا القرآن تبعاً لهواه.
٤ ليس هذا القرآن إلا وحياً يوحيه الله إليه عن طريق جبريل ﷺ .
٥ علمه إياه ملك شديد القوة هو جبريل ﷺ .
٦ وجبريل ﷺ ذو هيئة حسنة، فاستوى ﷺ ظاهراً للنبي ﷺ على هيئة التي خلقه الله عليها .
٧ وهو بالأفق الأعلى .
٨ ثم اقترب جبريل ﷺ من النبي ﷺ، ثم ازداد قرباً منه .
٩ فكان قربه منه بمقدار قوسين أو هو أقرب .
١٠ فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى .
١١ ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره .
١٢ أفنجدلونه - أيها المشركون - فيما أراه الله ليلة أسرى به؟! .

١٣ ولقد رأى محمد ﷺ جبريل على صورته مرة أخرى ليلة أسرى به .

١٤ عند سدرة المنتهى وهي شجرة في السماء السابعة .

١٥ عند هذه الشجرة جنة المأوى .

١٦ إذ يغشى السدرة من أمر الله شيء عظيم، لا يعرف كنهه إلا الله .

١٧ ما مال بصره ﷺ يمينا ولا شمالا، ولا تجاوز ما حد له .

١٨ لقد رأى محمد ﷺ ليلة عرج به من آيات ربه العظمى الدالة على قدرته، فرأى الجنة، ورأى النار، وغيرهما .

١٩ أفرايتم - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله: اللات والعزى .

٢٠ ومناة الثالثة الأخرى من أصنامكم . أخبروني هل تملك لكم نفعا أو ضرا؟ ٢١ ألكم - أيها المشركون - الذكر

الذي تحبونه، وله سبحانه الأنثى التي تكرهونها؟ ٢٢ تلك القسمة التي قسمتوها بأهوائكم قسمة جائرة . ٢٣ ليست

هذه الأصنام إلا أسماء فارغة من المعنى، فلا حظ لها في صفات الألوهية، سميتموها أنتم وآباؤكم من تلقاء

أنفسكم، ما أنزل الله بها من برهان، لا يتبع المشركون في اعتقادهم إلا الظن وما تهواه أنفسهم مما زين الشيطان في

قلوبهم، ولقد جاءهم من ربهم الهدى على لسان نبيه ﷺ، فما اهتموا به . ٢٤ أم للإنسان ما تمنى من شفاعة الأصنام

إلى الله؟ ٢٥ لا، ليس له ما تمنى، فلله وحده الآخرة والأولى، يعطي منهما ما يشاء ويمنع ما يشاء . ٢٦ وكم من

ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا لو أرادوا أن يشفعوا لأحد إلا بعد أن يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء منهم،

ويرضى عن المشفوع له، فلن يأذن الله لمن جعل شريكا أن يشفع، ولن يرضى عن مشفوعه الذي يعبده من دون الله .

● فوائد من الآيات: ١ - ثناء القرآن على مقام النبي الكريم . ٢ - إثبات أن النبي ﷺ رأى جبريل على صورته

الحقيقية . ٣ - الشفاعة لا تقع إلا بشرطين: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع .

٤٥) وأنه خلق الصنفين: الذكر والأنثى.

٤٦) من نطفة إذا وضعت في الرحم.

٤٧) وأن عليه إعادة خلقهما بعد موتهما للبعث.

٤٨) وأنه أغنى من شاء من عباده بتمليكه المال،

وأعطى من المال ما يتخذه الناس قنية يقتنونه.

٤٩) وأنه هو رب الشجرى النجم الذي يعبده

بعض المشركين مع الله.

٥٠) وأنه أهلك عادًا الأولى؛ وهم قوم هود لَمَّا

أصروا على كفرهم.

٥١) وأهلك ثمود قوم صالح، فلم يَبْقَ منهم أحدًا.

٥٢) وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، إن قوم

نوح كانوا أشد ظلمًا، وأعظم طغيانًا من عاد

و ثمود؛ لأن نوحًا مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين

عامًا يدعوهم إلى توحيد الله، فلم يستجيبوا له.

٥٣) وقرى قوم لوط رفعها إلى السماء، ثم

أسقطها إلى الأرض.

٥٤) فغشاها من الحجارة ما غشاها بعد رفعها

إلى السماء وأسقطها على الأرض.

٥٥) فبأي آيات ربك الدالة على قدرته تجادل

أبها الإنسان فلا تتعظ بها؟

٥٦) هذا الرسول المرسل إليكم من جنس

الرسول الأولى.

٥٧) اقتربت القيامة القريبة.

٥٨) ليس لها دافع يدفعها، ولا مطلع يطلع

عليها إلا الله.

٥٩) أقمّن هذا القرآن الذي يُتلى عليكم تعجبون

أن يكون من عند الله؟

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۗ ٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۗ ٤٦ وَأَنَّهُ عَلِيَهُ الشَّأَةَ الْآخَرَىٰ ۗ ٤٧ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۗ ٤٨ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ

الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

أَهْوَىٰ ۗ ٥٣ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ۗ ٥٤ فَإِيَّاءَ الْآءِ رَبِّكَ نَسَمَائِي ۗ ٥٥ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَىٰ ۗ ٥٦ أَرَأَيْتِ الْأَرْفَةَ ۗ ٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۗ ٥٨ أَفَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ ۗ ٥٩ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَبْكُونَ ۗ ٦٠ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ۗ ٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ۗ ٦٢

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّجَرَىٰ ۗ ٤٩ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۗ ٥٠ وَثَمُودَ إِفْثَىٰ ۗ ٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ۗ ٥٢ وَالْمُؤَنَفَةَ

٧ ذليلة أبصارهم، يخرجون من القبور كأنهم في سعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر.

٨ مسرعين إلى الداعي إلى ذلك الموقف، يقول الكافرون: هذا اليوم يوم عسير؛ لما فيه من الشدة والأهوال.

ولما ذكر الله إعراض الكفار عن دعوة رسولنا ﷺ أخبره بأن الأمم السابقة كذبت رسلها تسلية له فقال:

٩ كذبت قبل هؤلاء المكذبين بدعوتك - أيها الرسول - قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحاً ﷺ لما بعثناه إليهم، وقالوا عنه: هو مجنون، وانتهروه بأنواع السب والشتم والتهديد إذا لم يترك دعوتهم.

١٠ فدعا نوح ربه قائلاً: إن قومي غلبوني، ولم يستجيبوا لي، فانتصر منهم بعقاب تنزله عليهم.

١١ ففتحنا أبواب السماء بماء مندفق متتابع.

١٢ وفجرنا الأرض فصارت عيوناً ينبع منها الماء، فالتقى الماء النازل من السماء مع الماء النابع من الأرض على أمر من الله قدره في الأزل، فأغرق الجميع إلا من نجاه الله.

١٣ وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح ومسامر، فنجيناه ومن معه من الغرق.

١٤ تجري هذه السفينة في أمواج الماء المتلاطمة بمرأى منا وحفظ، انتصاراً لنوح الذي كذبه قومه، وكفروا بما جاءهم به من عند الله.

خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ٧

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ٨

كذبت قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ٩

رَبَّهُ وَأَنَّى مَعْلُوبٌ فَانْتَصَرَ ١٠

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ١١

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ١٢

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وُدُوسٍ ١٣

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرًا ١٤

وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٥

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٦

وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ١٧

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذري ١٨

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ١٩

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ٢٠

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ٢١

وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٢٢

كذبت ثمود بما نذرت ٢٣

فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَبَّعَهُ ٢٤

إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٢٥

أَهُ لَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ٢٦

سَيَعْمَلُونَ عِدًّا مِنَّا وَالْكَذَّابُ أَشْرٌ ٢٧

إِنَّا مَرْسَلْنَا النَّاقَةَ فَنَنَّا لَهُمْ فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ٢٨

٢٥ ولقد تركنا هذا العقاب الذي عاقبناهم به؛ عبرة وعظة، فهل من معتبر يعتبر بذلك؟

٢٦ فكيف كان عذابي للمكذبين؟ وكيف كان إنذاري بإهلاكي لهم؟

٢٧ ولقد سهّلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

٢٨ كذبت عاد نبيها هوذا ﷺ، فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟

٢٩ إنا بعثنا عليهم ريحاً شديدة باردة في يوم شرّ وشؤم مستمرّ معهم إلى ورودهم جهنم.

٣٠ تقتلع الناس من الأرض، وترمي بهم على رؤوسهم كأنهم أصول نخل منقلع من مغرسه.

٣١ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟

٣٢ ولقد سهّلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

٣٣ كذبت ثمود بما أنذرهم به رسولهم صالح ﷺ.

٣٤ فقالوا مستكبرين: أتبع بشرًا من جنسنا واحدًا؟ إنا إن اتبعناه في هذه الحالة لفي ضلال عن الصواب، وفي عناء.

٣٥ أنزل عليه الوحي وهو واحد، واختص به دوننا جميعًا؟ لا بل هو كذاب متجبر.

٣٦ سيعلمون يوم القيامة من الكذاب المتجبر أوصالح أم هم؟

٣٧ إنا مخرجو الناقة من الصخرة وبعثوها اختبارًا لهم، فانتظر - يا صالح - وراقب ما يصنعون بها وما يُصنع بهم، واصبر على أذاهم.

٣٨ فإنا من الآيات:

١ - مشروعية الدعاء على الكافر المصّرّ على كفره.

٢ - إهلاك المكذبين وإنجاء المؤمنين سنّة إلهية. ٣ - تيسير القرآن للحفظ.

﴿٢٨﴾ وأخبرهم أن ماء بثرهم مقسوم بينهم وبين الناقة، يوم لها، ويوم لهم، كل نصيب يحضره صاحبه وحده في يومه المختص به.

﴿٢٩﴾ فنادوا أصحابهم ليقتل الناقة، فتناول السيف وقتلها؛ امثالاً لأمر قومه.

﴿٣٠﴾ فتأملوا - يا أهل مكة - كيف كان عذابي لهم؟ وكيف كان إنذاري لغيرهم بعذابهم؟

﴿٣١﴾ إنا بعثنا عليهم صيحة واحدة فأهلكتهم، فكانوا كالشجر اليابس يتخذ منه المحتظر حظيرة لغنمه.

﴿٣٢﴾ ولقد سهلنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه من العبر والعظات؟

﴿٣٣﴾ كذبت قوم لوط بما أنذرهم به رسولهم لوط عليه السلام.

﴿٣٤﴾ إنا بعثنا عليهم ريحاً ترميهم بالحجارة إلا آل لوط عليهم السلام، لم يصبهم العذاب، فقد أنقذناهم منه، إذ سرى بهم قبل وقوع العذاب من آخر الليل.

﴿٣٥﴾ أنقذناهم من العذاب إنعاماً منا عليهم، مثل هذا الجزاء الذي جزينا به لوطاً نجزي من شكر الله على نعمه.

﴿٣٦﴾ ولقد خوفهم لوط عذابنا فتجادلوا بإنذاره، وكذبوه.

﴿٣٧﴾ ولقد راود لوطاً قومه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه من الملائكة قصد فعل الفاحشة، فطمسنا أعينهم فلم تبصرهم، وقلنا لهم: ذوقوا عذابي،

وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَنادوا أصحابهم

فَعَطَّطِي فَعَفَّرُ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٣٠﴾ إنا أرسلنا عليهم

صِيحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلقد يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطاً بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إنا أرسلنا

عليهم حاصباً إلا آل لوطٍ بحِجَّتِهِمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلقد أَنْذَرَهُمْ بِطُسْنُنَا فَتَمَارَوْا

بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلقد رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا

عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٣٧﴾ وَلقد صَبَّحَهُمْ بِكُورَةٍ عَذَابٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذْرِي ﴿٣٩﴾ وَلقد يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ

﴿٤٠﴾ وَلقد جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ

أَخْذَ عَزِيزٍ مُقَدِّرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ

فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ

وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ

﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ

عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾ كَذَبُوا بِالرَّاهِغِينَ وَالْحَجِجِ التي جَاءَتْهُمْ مِنْ عِنْدِنَا، فَعَاقَبْنَاهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِهَا عِقَابَهُ عَزِيزٌ لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، مُقَدِّرٌ

لَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ. ﴿٤١﴾ أَكْفَارُكُمْ - يا أهل مكة - خير من أولئكم الكفار المذكورين: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه؟

﴿٤٢﴾ أم براءة من عذاب الله جاءت بها الكتب السماوية؟

﴿٤٣﴾ بل أيقول هؤلاء الكفار من أهل مكة: نحن جميع منتصر ممن يريدنا بسوء، ويريد تفريق جمعنا؟

﴿٤٤﴾ سيهزم جمع هؤلاء الكفار ويؤتون الأدبار أمام المؤمنين، وقد حدث هذا يوم بدر.

﴿٤٥﴾ بل الساعة التي يكذبون بها موعدهم الذي يعذبون فيه، والساعة أعظم وأقسى مما لقوه من عذاب الدنيا يوم بدر.

﴿٤٦﴾ إن المجرمين بالكفر والمعاصي في ضلال عن الحق، وعذاب وعناء.

﴿٤٧﴾ يوم يجزون في النار على وجوههم، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار.

﴿٤٨﴾ إنا كل شيء في الكون خلقناه بتقدير سابق منا، ووفق علمنا، وما كتبناه في اللوح المحفوظ.

﴿٤٩﴾ فإنا من الآيات:

١ - شمول العذاب للمباشر للجريمة والمتماليء معه عليها. ٢ - شكر الله على نعمه سبب السلامة من العذاب.

٣ - إخبار القرآن بهزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها من الإعجاز الغيبي.

﴿٥٠﴾ وما أمرنا إذا أردنا شيئاً إلا أن نقول كلمة واحدة هي: كن، فيكون ما نريد سريعاً مثل لمح البصر.

﴿٥١﴾ ولقد أهلكنا أمثالكم في الكفر من الأمم الماضية، فهل من معتبر يعتبر بذلك فينجز عن كفره؟

﴿٥٢﴾ وكل شيء فعله العباد فهو مكتوب في كتب الحفظة لا يفوتهم منه شيء.

﴿٥٣﴾ وكل صغير من الأعمال والأقوال، وكل كبير منهما مكتوب في صحائف الأعمال وفي اللوح المحفوظ، وسيجازون عليه.

﴿٥٤﴾ إن المتقين لربهم بامثال أوامره، واجتناب نواهي، في جنات يتمتعون فيها، وفي أنهار جارية.

﴿٥٥﴾ في مجلس حق لا لغو فيه ولا إثم، عند ملك يملك كل شيء، مقتدر لا يعجز عن شيء، فلا تسأل عما ينالونه منه من النعيم الدائم.

سُورَةُ الْحَجَرِ — مَدِينَةٌ —

﴿٥٦﴾ مقصد السورة:

تركز على الإعلام بالآء الله الباهرة وآثار رحمته الظاهرة في الدنيا والآخرة، ترغيباً في الإيمان، وتحذيراً في الكفران.

﴿٥٧﴾ التفسير:

﴿١﴾ الرحمن ذو الرحمة الواسعة.

﴿٢﴾ علم الناس القرآن بتسهيل حفظه، وتيسير فهم معانيه.

﴿٣﴾ خلق الإنسان سوياً، وأحسن تصويره. ﴿٤﴾ علمه كيف يبين عما في ضميره نطقاً وكتابة.

﴿٥﴾ الشمس والقمر قدرهما يسيران بحساب متقن؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب.

﴿٦﴾ وما لا ساق له من النبات والشجر يسجدان لله سبحانه مقادين مستسلمين له.

﴿٧﴾ والسماء رفعها فوق الأرض سقفاً لها، وأثبت العدل في الأرض، وأمر به عباده.

﴿٨﴾ أثبت العدل لئلا تجوروا - أيها الناس - وتخونوا في الوزن والكيل.

﴿٩﴾ وأقيموا الوزن بينكم بالعدل، ولا تنقصوا الوزن أو الكيل إذا كلتم أو وزنتم لغيركم.

﴿١٠﴾ والأرض وضعها مهياً لاستقرار الخلق عليها.

﴿١١﴾ فيها الأشجار التي تثمر الفواكه، وفيها النخل ذات الأوعية التي تنفلق عن القنوان.

﴿١٢﴾ وفيها الحب ذو الثبن الكبر والشعير، وفيها ما ترزقونه للأكل من أنواع الحبوب، وفيها النباتات التي تستطيبون رائحتها.

﴿١٣﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿١٤﴾ خلق آدم ﷺ من طين يابس تسمع له صلصلة، مثل الطين المطبوخ.

﴿١٥﴾ وخلق أبا الجن من لهب خالص من الدخان.

﴿١٦﴾ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

﴿١٧﴾ فإيا من الآيات: ١ - وجوب الإيمان بالقدر. ٢ - كتابة الأعمال صغيرها وكبيرها في صحائف الأعمال.

٣ - مكانة العدل في الإسلام. ٤ - نعم الله تقتضي منا العرفان بها وشكرها، لا التكذيب بها وكفرها.

١٧ رب مَشْرِقِي الشَّمْسِ وَمَغْرِبِيهَا شَتَاءً وَصَيْفًا .

١٨ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

١٩ خَلَطَ اللَّهُ الْبَحْرَيْنِ الْمَالِحَ وَالْعَذْبَ يَلْتَقِيَانِ فِيمَا تَرَاهُ الْعَيْنُ .

٢٠ بَيْنَهُمَا حَاجِزٌ يَمْنَعُ كُلًّا مِنْهُمَا أَنْ يَطْفِيَ عَلَى الْآخَرِ حَتَّى يَبْقَى الْعَذْبُ عَذْبًا وَالْمَالِحُ مَالِحًا .

٢١ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٢ يَخْرُجُ مِنْ مَجْمُوعِ الْبَحْرَيْنِ اللَّوْلُؤُ، وَيَخْرُجُ الْمَرْجَانُ .

٢٣ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٤ وَلَهُ فِي السَّمَاءِ وَحْدَهُ التَّصَرُّفُ فِي السَّفِينِ الْجَارِيَةِ فِي الْبَحْرِ مِثْلَ الْجِبَالِ .

٢٥ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٦ كُلُّ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ .

٢٧ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - ذُو الْعِظَمَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالتَّفَضُّلِ عَلَى عِبَادِهِ، فَلَا يَلْحَقُهُ فَنَاءٌ أَبَدًا .

٢٨ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٩ يَسْأَلُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ حَاجَاتِهِمْ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ عِبَادِهِ؛ مِنْ أَحْيَاءِ

رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ١٧ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٨

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ٢٠ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ٢٢ فَبَأَيءَ

ءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢٣ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ٢٤

فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٢٥ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ

٢٨ يَسْأَلُهُمْ فِي مَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ٢٩ فَبَأَيءَ

ءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٣٠ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ٣١ فَبَأَيءَ

ءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٣٢ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ تَارٍ وَمِنْ نَارٍ وَأَنْفُذُوا وَالْأَرْضُ فَاَنْفُذُوا وَأَلْتَفُذُوتَ

الْإِبْسَاطِينَ ٣٣ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٣٤ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَمِنْ نَارٍ فَلَا تَنْفَصِرَانِ ٣٥ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا

تُكْذِبَانِ ٣٦ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٣٨ قَوْمٌ مِّدٍ لَا يَسْتَلُ عَنْ ذَنْبِهِمْ

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ٣٩ فَبَأَيءَ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ٤٠

وإماتة ورزق وغير ذلك .

٢١ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٢ سَنَفَعُ لِحِسَابِكُمْ - أَيُّهَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ - فَجَازِي كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ .

٢٣ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٤ وَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُمِعَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَجِدُوا لَكُمْ مَخْرَجًا مِنْ نَاحِيَةِ مَنْ نَوَاحِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْعَلُوا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ إِلَّا بِقُوَّةٍ وَبِرَهَانٍ، وَأَتَى لَكُمْ ذَلِكَ؟

٢٥ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٦ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَمِنْ نَّارٍ فَلَا تَنْفَصِرَانِ ٢٧ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٢٨ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٢٩ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٣٠ فَإِذَا تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَنَزُولِ الْمَلَائِكَةِ مِنْهَا فَكَانَتْ حَمْرَاءَ مِثْلِ الرِّصَاصِ الْمُدَّابِّ وَنَحْوِهِ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

٣١ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٣٢ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ لَا يُسْأَلُ إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ عَنْ ذُنُوبِهِمْ؛ لَعَلَّمَ اللَّهُ بِأَعْمَالِهِمْ .

٣٣ فَبَأَي نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الجمع بين البحر المالح والعذب دون أن يختلطا من مظاهر قدرة الله تعالى .

٢ - ثبوت الفناء لجميع الخلائق، وبيان أن البقاء لله وحده .

٣ - إثبات صفة الوجه لله على ما يليق به سبحانه دون تشبيه أو تمثيل .

٤١ يُعْرَفُ الْمَجْرَمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَلَامَتِهِمْ وَهِيَ سَوَادُ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةُ الْعَيْونِ، فَتُضَمُّ نَوَاصِيَهُمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ فَيُرْمَوْنَ فِي جَهَنَّمَ.

٤٢ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٤٣ وَيُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يَكْذِبُ بِهَا الْمَجْرَمُونَ فِي الدُّنْيَا أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِنكَارَهَا. يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَاءٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ.

٤٤ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٤٥ وَلَمَنْ خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحًا جَنَّاتٍ.

٤٦ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٤٧ وَهَاتَانِ الْجَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَغْصَانٍ عَظِيمَةٍ نَضْرَةٌ مِثْرَةٌ.

٤٨ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٤٩ فِي الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ خِلَالَهُمَا بِالْمَاءِ.

٥٠ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٥١ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ يُتَّفَكُّ بِهَا صَفْنَانِ.

٥٢ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٥٣ مَتَكْتَبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنَ الدَّبِيحِ الْغَلِيظِ، وَمَا يُجْتَنَى مِنَ الثَّمَارِ وَالْفَوَاكِهِ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ قَرِيبٌ يَتَنَاوَلُهُ الْقَائِمُ وَالْجَالِسُ وَالْمَتَكَبِّ.

٥٤ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٥٥ فِيهِنَّ نِسَاءٌ قَاصِرَاتُ نَظَرٍ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، لَمْ يَفْتَضِضْ بَكَارِهَتَهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ.

٥٦ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٥٧ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ جَمَالًا وَصَفَاءً، وَالْمَرْجَانُ كَذَلِكَ.

٥٨ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٥٩ مَا جِزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ بَطَاعَةَ رَبِّهِ إِلَّا أَنْ يُحْسِنَ اللَّهُ جِزَاءَهُ.

٦٠ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٦١ وَمَنْ دُونَ تَبْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ جَنَّاتٌ أُخْرَى.

٦٢ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٦٣ قَدْ اشْتَدَّتْ خَضْرَتُهُمَا.

٦٤ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٦٥ فِي هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ عَيْنَانِ شَدِيدَتَا الْفُورَانِ بِالْمَاءِ، لَا يَنْقَطِعُ فُورَانُ مَائِهِمَا.

٦٦ فَبِأَيِّ نَعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْكُمْ - يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ - تَكْذِبَانِ؟

٦٧ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْأَكْبَاتِ:

١ - تنويع عذاب الكافر. ٢ - أهمية الخوف من الله واستحضار رهبة الوقوف بين يديه. ٣ - الجزاء من جنس العمل.

٦١ في هاتين الجنتين فاكهة كثيرة ونخل عظيم
ورمان.

٦٢ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
الجن والإنس - تكذبان؟

٦٣ في هذه الجنان الأربع نساء طبيبات
الأخلاق حسان الوجوه.

٦٤ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
الجن والإنس - تكذبان؟

٦٥ حور مستورات في الخيام صوتاً لهنّ.

٦٦ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
الجن والإنس - تكذبان؟

٦٧ لم يقترب منهنّ قبل أزواجهنّ إنس ولا جانّ.

٦٨ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
الجن والإنس - تكذبان؟

٦٩ متكئين على وسائل مغطاة بأغطية خضر،
وفرش حسان.

٧٠ فبأي نعم الله الكثيرة عليكم - يا معشر
الجن والإنس - تكذبان؟

٧١ تعاطم وكثر خير اسم ربك ذي العظمة
والإحسان والتفضل على عباده.

سورة الواقعة

— مكية —

● مقصد السورة:

تركز على التذكير بيوم القيامة، وتحقيق وقوعه

فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ٦٨ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٦٦

فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حِسَانٌ ٦٩ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧١ حُورٌ

مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ٧٢ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٣

لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ٧٤ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

٧٥ مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ٧٦ فَبِأَيِّ

آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ نَبْرُكٌ أَشْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ ٧٨

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ

٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ٥

فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَدَّنًا ٦ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ٧ فَأَصْحَابُ

الْمِئْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ ٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ

الْمَشْأَمَةِ ٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١

فِي حَنَّتِ النَّعِيمِ ١٢ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ

١٤ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ١٥ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ١٦

وأحوال أهله.

● التفسير:

١ إذا قامت القيامة الواقعة لا محالة.

٢ لن توجد نفس تكذب بها كما كانت تكذب في الدنيا.

٣ خافضة للكفار الفجار بإدخالهم في النار، رافعة للمؤمنين المتقين بإدخالهم في الجنة.

٤ إذا حُرّكت الأرض تحريكاً عظيماً. ٥ وُقُتت الجبال تفتيتاً.

٦ فكانت من التفتيت غباراً منتشراً لا ثبات لها. ٧ وكنتم أصنافاً ثلاثة في ذلك اليوم.

٨ فأصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ما أعلى وأعظم منزلتهم!

٩ وأصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم، ما أسوأ وأسرأ منزلتهم!

١٠ والسابقون بفعل الخيرات في الدنيا هم السابقون في الآخرة لدخول الجنة.

١١ أولئك هم المقربون عند الله. ١٢ في جنات النعيم، يتنعمون بأصناف النعيم.

١٣ جماعة من هذه الأمة ومن الأمم السابقة.

١٤ وقليل من الناس في آخر الزمان هم السابقون المقربون.

١٥ على أسيرة منسوجة بالذهب. ١٦ متكئين على هذه الأسيرة متقابلين بوجوههم، لا ينظر أحدهم قفا غيره.

● فإذن من الآيات: ١ - انقطاع تكذيب الكفار بمعاناة مشاهد القيامة. ٢ - عظمة الحوادث التي تصاحب القيامة.

٣ - تفاوت درجات أهل الجنة بتفاوت أعمالهم.

٧٧ يدور عليهم لخدمتهم ولدان لا ينالهم هم ولا فناء.

٧٨ يدورون عليهم بأقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا، وكأس من خمر جارية في الجنة لا تنقطع.

٧٩ ليست كخمر الدنيا، فلا يلحق شاربيها صداع، ولا ذهاب عقل.

٨٠ ويدور عليهم هؤلاء الولدان بفاكهة مما يختارون.

٨١ ويدورون بلحم طير مما تشتهي أنفسهم. ولهم في الجنة نساء واسعات العيون في جمال.

٨٢ كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفة. ثوابا لهم على ما كانوا يعملونه من الأعمال الصالحات في الدنيا.

٨٣ لا يسمعون في الجنة فاحش كلام، ولا ما يلحق صاحبه إثم.

٨٤ لا يسمعون إلا سلام الملائكة عليهم، وسلام بعضهم على بعض.

٨٥ وأصحاب اليمين، ما أصحاب اليمين؟ بالعظمة مكانتهم وشأنهم عند الله.

٨٦ في سدر مقطوع الشوك، لا أدى فيه. وفي موز متراكم مصفوف بعضهم إلى بعض.

٨٧ وظل ممدود مستمر لا يزول. وماء جار لا يتوقف.

٨٨ وفاكهة كثيرة لا تنحصر. ولا تنقطع عنهم أبدا، فليس لها موسم، ولا يحول دونها مانع في أي وقت أرادوها.

٨٩ وفرش مرفوعة عالية توضع على الأسرة. إنا أنشأنا الحور المذكورات إنشاء غير مألوف.

٩٠ فصيرناهن أبكارا لم يلْمَسْنَ من قبل. متحبيبات إلى أزواجهن، مستويات في السن. أنشأناهن لأصحاب اليمين الذين يؤخذ بهم ذات اليمين علامة على سعادتهم.

٩١ هم جماعة من أمم الأنبياء السابقين. وجماعة من أمة محمد ﷺ وهي آخر الأمم. وأصحاب الشمال، ما أصحاب الشمال؟ يا لسوء حالهم ومصيرهم.

٩٢ في رياح شديد الحرارة، وفي ماء شديدة الحرارة. وفي ظل دخان مُسَوِّد. لا طيب الهبوب، ولا حسن المنظر.

٩٣ إنهم كانوا قبل ما صاروا إليه من العذاب مُتَنَعِّمين في الدنيا، لا هم لهم إلا شهواتهم. وكانوا يصممون على الكفر بالله وعبادة الأصنام من دونه.

٩٤ وكانوا ينكرون البعث فيقولون استهزاء واستبعادا له: إذا متنا وصرنا ترابا وعظاما نخرة أبعث بعد ذلك؟ أو يبعث أبأؤنا الأولون الذين ماتوا قبلنا؟

٩٥ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: إن الأولين من الناس والمتأخرين منهم. سيُجمعون يوم القيامة لا محالة للحساب والجزاء.

٩٦ فلأمر من الآيات: ١ - العمل الصالح سبب لنيل النعيم في الآخرة. ٢ - تفاوت جزاء الناس يوم القيامة بحسب أعمالهم. ٣ - خطر الإصرار على الذنب.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٧٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَصُدُّونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿٧٩﴾ وَفَكَهْفَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِحَمْرٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٨١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٨٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكُونِ ﴿٨٣﴾ جِزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا الْآفَاتُ الْمَأْسُومَاتُ ﴿٨٥﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مِمَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٨٦﴾ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ﴿٨٧﴾ وَطَلْحٍ مَبْضُودٍ ﴿٨٨﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٨٩﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴿٩٠﴾ وَفَكَهْفَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٩١﴾ لَمْ يَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٩٢﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٩٣﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٩٤﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَتْكَارًا ﴿٩٥﴾ عَرَبِيًّا أَتْرَابًا ﴿٩٦﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٩٨﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٩٩﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿١٠٠﴾ فِي سُمْرٍ وَجَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَظِلِّ مِمَّنْ يَحْمُومِرٍ ﴿١٠٢﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿١٠٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِأْتَانَا أَتَالْمَبْعُوثُونَ ﴿١٠٦﴾ أَوَآبَاءُؤُنَا الْأُولُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلِ إِنَّتِ الْآوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٠٩﴾

فلأمر من الآيات: ١ - العمل الصالح سبب لنيل النعيم في الآخرة. ٢ - تفاوت جزاء الناس يوم القيامة بحسب أعمالهم. ٣ - خطر الإصرار على الذنب.

٥١ ثم إنكم أيها المكذبون بالبعث، الضالون عن الصراط المستقيم.
 ٥٢ لآكلون يوم القيامة من ثمر شجر الزقوم، وهو شرّ ثمر وأخبثه.
 ٥٣ فمالئون من ذلك الشجر المرّ بطونكم الخاوية.
 ٥٤ فشاربون عليه من الماء الحار الشديد الحرارة.
 ٥٥ فمكثرون من شربه كما تكثر الإبل من الشرب بسبب داء الهيام.
 ٥٦ هذا المذكور من الطعام المرّ والماء الحارّ هو ضياتهم الذي يُسْتَقْبَلون به يوم الجزاء.
 ٥٧ نحن خلقناكم - أيها المكذبون - بعد أن كنتم عدماً، فهلاً صدقتم بأنا سنبعثكم أحياء بعد موتكم.
 ٥٨ أفرأيتم - أيها الناس - ما تقدفونه من المني في أرحام نساءكم؟
 ٥٩ أنتم تخلقون ذلك المني، أم نحن الذين نخلقه؟
 ٦٠ نحن قدرنا بينكم الموت، فلكل واحد منكم أجل لا يتقدم عليه ولا يتأخر، وما نحن بعاجزين.
 ٦١ على أن نبدل ما أنتم عليه من الخلق والتصوير مما علمتموه، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الخلق والتصوير.

٥٢ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ٥١ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ٥٢
 فَتَأْتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥٣ فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمِيمِ ٥٤ فَتَشْرَبُونَ شَرِّبَ الْهَمِيرِ ٥٥ هَذَا نَزَّهْتُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦ فَخَنَّا خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونَ ٥٨ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩ فَخَنَّا قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠ عَلَيَّ أَنْ نَبْدِلَ أَهْلَكُم مِّمَّنْ لَمِمْتُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ ٦١ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَتَذَكَّرُونَ ٦٢ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ءَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ٦٧ أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ٧٠ أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ٧٢ فَخَنَّا جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٣ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٧٤ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦

٦٢ ولقد علمتم كيف خلقناكم الخلق الأول، أفلا تعتبرون، وتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على بعثكم بعد موتكم؟
 ٦٣ أفرأيتم ما تلقونه من البذر في الأرض.
 ٦٤ أنتم الذين تنبتون ذلك البذر، أم نحن الذين ننتبه؟
 ٦٥ لو نشاء جعل ذلك الزرع حطاماً لجعلناه حطاماً بعد أن أوشك على النضج والإدراك، فظلمتم بعد ذلك تتعجبون مما أصابه.
 ٦٦ تقولون: إنا لخاسرون ما أنفقناه، مُعَذَّبون. ٦٧ بل نحن محرومون من الرزق.
 ٦٨ أفرأيتم الماء الذي تشربون منه إذا عطشتم؟ ٦٩ أنتم أنزلتموه من السحاب في السماء، أم نحن الذين أنزلناه؟
 ٧٠ لو نشاء جعل ذلك الماء شديد الملوحة لا يُنتفع به شرباً ولا سقياً لجعلناه شديد الملوحة، فلولا تشكرون الله على إنزاله عذباً رحمة بكم.
 ٧١ أفرأيتم النار التي توقدونها لمنافعكم.
 ٧٢ أنتم الذين أنشأتم الشجرة التي توقد منها، أم نحن الذين أنشأناها رفقا بكم؟
 ٧٣ نحن صيرنا هذه النار تذكرة لكم تذكركم بنار الآخرة، وصيرناها منفعة للمسافرين منكم.
 ٧٤ فنه - أيها الرسول - ربك العظيم عما لا يليق به. ٧٥ أقسم الله بأماكن النجوم ومواقعها.
 ٧٦ وإن القسم بهذه المواقع - لو تعلمون عظمه - لعظيم؛ لما فيه من الآيات والعبر التي لا تنحصر.
 ﴿فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - دلالة الخلق الأول على سهولة البعث ظاهرة. ٢ - إنزال الماء وإنبات الأرض والنار التي ينتفع بها الناس نعم تقتضي من الناس شكرها لله، فإله قادر على سلبها متى شاء.

٧٧) إن القرآن المقروء عليكم - أيها الناس - قرآن كريم؛ لما فيه من المنافع العظيمة.

٧٨) في كتاب مضمون عن أعين الناس، وهو اللوح المحفوظ.

٧٩) لا يمسه إلا الملائكة المطهرون من الذنوب والعيوب.

٨٠) نزل من رب الخلائق على نبيه محمد ﷺ.

٨١) أفبهذا الحديث أنتم - أيها المشركون - مكذبون غير مصدقين؟

٨٢) وتجعلون شكركم لله على ما رزقكم به من النعم أنكم تكذبون به، فتنسبون المطر إلى النوء، فتقولون: فطرنا بنوء كذا ونوء كذا؟

٨٣) فهلاً إذا وصلت الروح الحلقوم.

٨٤) وأنتم في ذلك الوقت تنظرون المُنْحَضِرَ بين أيديكم.

٨٥) وملائكتنا أقرب إلى ميتكم منكم، ولكن لا تشاهدونهم.

٨٦) فهلاً إن كنتم - كما تزعمون - غير مبعوثين لمجازاتكم على أعمالكم.

٨٧) ترجعون هذه الروح التي تخرج من ميتكم إن كنتم صادقين، ولا تستطيعون ذلك.

٨٨) فأما إن كان الميت من السابقين إلى الخيرات.

٨٩) فله راحة لا تعب بعدها، ورزق طيب، ورحمة، وله جنة يتنعم فيها بما تشتهي نفسه.

٩٠) وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين فلا تهتم لشأنهم، فلهم السلامة والأمن.

٩١) وأما إن كان الميت من المكذبين بما جاء به الرسول ﷺ الضالين عن الصراط المستقيم.

٩٢) فله نزل يُقَدَّمُ إليه، وهو ماء حارٌّ شديد الحرارة.

٩٣) وله احتراق بنار الجحيم.

٩٤) إن هذا الذي قصصناه عليك - أيها الرسول - لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه.

٩٥) فنزه اسم ربك العظيم، وقُدِّسه عن النقائص.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ٨٢) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَلُقُومَ ٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٌ تَنْظُرُونَ ٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ٩٣) وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ ٩٤) إِنْ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٩٦)

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٣)

سورة المائدة

— مَدِينَةٌ —

مقصد السورة:

تركز على بناء القوة الإيمانية والمادية الباعثة على الدعوة والجهاد، وتخليص النفوس من عوائقها، ولذا تكرر فيها ذكر الإنفاق والإيمان.

التفسير:

١) نزهة الله وقُدِّسه ما في السماوات والأرض من مخلوقاته، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.

٢) له وحده ملك السماوات والأرض، يحيي من يشاء أن يحييه، ويميت من يشاء أن يميته، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

٣) هو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الآخر الذي لا شيء بعده، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يفوته شيء.

١) الاعتقاد بأن للكواكب أثراً في نزول المطر كفر، وهو من عادات الجاهلية. ٢ - الأصل أن البشر لا يرون الملائكة إلا إن أراد الله لحكمة. ٣ - تفاوت درجات المؤمنين حسب أعمالهم.

① هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام بدأت بيوم الأحد، وانتهت بيوم الجمعة، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم استوى سبحانه على العرش استواءً يليق به سبحانه، يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وبذر وغيرهما، وما يخرج منها من نبات ومعادن وغيرهما، وما ينزل من السماء من المطر والوحي وغيرهما، وما يعرج فيها من الملائكة ومن أعمال العباد وأرواحهم، وهو معكم أينما كنتم - أيها الناس - بعلمه، لا يخفى عليه منكم شيء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

② له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وإليه وحده ترجع الأمور، فيحاسب الخلائق يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.

③ يدخل الليل على النهار فتأتي الظلمة، وينام الناس، ويدخل النهار على الليل فيأتي الضياء، فينطلق الناس إلى أعمالهم، وهو عليم بما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.

④ آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، وأنفقوا من المال الذي جعلكم الله مستخلفين فيه، تتصرفون فيه وفق ما شرع لكم، فالذين آمنوا

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ⑤ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑥ ءَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَ لَهُمْ سِتْرًا فِيهِ فَالَّذِينَ ءَأَمِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ⑦ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ⑧ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَأَيَّتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ⑨ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاكِ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ أَحْسَنَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑩ مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَأَلَّهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ⑪

منكم بالله، وبذلوا أموالهم في سبيل الله، لهم ثواب عظيم عنده، وهو الجنة.

⑧ وأي شيء يمنعكم من الإيمان بالله؟ والرسول يدعوكم إلى الله رجاء أن تؤمنوا بربكم سبحانه، وقد أخذ الله منكم العهد أن تؤمنوا به حين أخرجكم من ظهور آبائكم، إن كنتم مؤمنين فآمنوا.

⑨ هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحة؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بكم لرؤوف رحيم حين أرسل إليكم نبيه هاديًا وبشيرًا.

⑩ وأي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السماوات والأرض، لا يستوي منكم - أيها المؤمنون - من أنفق ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاته من قبل فتح مكة، وقاتل الكفار لنصرة الإسلام، وأولئك المنفقون من قبل الفتح، والمقاتلون في سبيل الله أعظم منزلة عند الله، وأرفع درجة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيله بعد فتحها، وقاتلوا الكفار، وقد وعد الله كلا الفريقين الجنة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

⑪ من ذا الذي يبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله، فيعطيه الله ثواب ما بذله من ماله مضاعفًا، وله يوم القيامة ثواب كريم، وهو الجنة.

⑫ فوائد من الآيات:

١ - المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه. ٢ - تفاوت درجات المؤمنين بحسب السبق إلى الإيمان وأعمال البر. ٣ - الإنفاق في سبيل الله سبب في بركة المال ونمائه.

﴿١٦﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يتقدمهم نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ويقال لهم في ذلك اليوم: بُشراكم اليوم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ما كثين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

ولما ذكر الله حال المؤمنين في ذلك اليوم ذكر حال المنافقين فقال:

﴿١٧﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا بالله وبرسوله: انتظرونا - أيها المؤمنون، والمؤمنات - رجاء أن نقتبس من نوركم ما يعيننا على عبور الصراط، ويقال للمنافقين استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم، فاطلبوا نوراً تستتيرون به، فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بَسُورًا، لذلك السور باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب.

﴿١٨﴾ ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم تكن معكم على الإسلام والطاعة؟ قال لهم المسلمون: بلى، كنتم معنا، لكنكم فتنتم أنفسكم بالنفاق فأهلكتموها، وتربصتم بالمؤمنين أن يُغلبوا فغلبناو كفركم، وشككتم في نصر الله للمؤمنين، وفي البعث بعد الموت، وخذعتكم الأطماع الكاذبة حتى جاءكم الموت وأنتم على ذلك، وغرَّكم بالله الشيطان.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورًا لَبَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ ينادونهم ألم كنتم معكم قائلوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وازتبرتم وعررتكم الأمان حتى جاء أمر الله وعرتكم بالله العزور ﴿١٨﴾ قائلوم لا تؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما أولئك إلا لئلا يفتنوا من قبل الله فلو لم يكن أولئك من قبل الله لم يزل من الحق ولا يكونوا كالأولئك أو توالى الكذب من قبل فقال عليهم الأمد فقسست قلوبهم وكثير منهم ففسقوا ﴿١٩﴾ اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿٢٠﴾ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ فالיום لا تؤخذ منكم - أيها المنافقون - فدية من عذاب الله، ولا تؤخذ فدية من الذين كفروا بالله علناً، ومصيركم ومصير الكافرين النار، هي أولى بكم، وأنتم أولى بها، وبش المصير.

﴿١٦﴾ ألم يحن للذين آمنوا بالله ورسوله أن تلين قلوبهم وتطمئن لذكر الله سبحانه، وما نزل من القرآن من وعد أو وعيد، ولا يكونوا مثل الذين أعطوا التوراة من اليهود، والذين أعطوا الإنجيل من النصارى، في قسوة القلوب، فطال الزمن بينهم وبين بعثة أنبيائهم فقسست بسبب ذلك قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله إلى معصيته.

﴿١٧﴾ اعلموا أن الله يحيي الأرض بآياتها بعد جفافها، قد بينا لكم - أيها الناس - الأدلة والبراهين على قدرة الله ووحدانتيه رجاء أن تعقلوها؛ فتعلموا أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعثكم بعد موتكم، وقادر على جعل قلوبكم لينة بعد قسوتها.

﴿١٨﴾ إن المتصدقين ببعض أموالهم، والمتصدقات ببعض أموالهن، الذين ينفقونها طيبة بها نفوسهم دون من ولا أذى، يُضاعف لهم ثواب أعمالهم: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ولهم مع ذلك ثواب كريم عند الله وهو الجنة.

﴿٢١﴾ فإذ من الآيات:

١ - امتنان الله على المؤمنين بإعطائهم نوراً يسعى أمامهم، وعن أيمانهم.

٢ - لا نور للمنافقين يوم القيامة.

٣ - التربص بالمؤمنين والشك في البعث، والانخداع بالأمانى، والاعتزاز بالشیطان: من صفات المنافقين.

٤ - خطر قسوة القلوب.

١١) والذين آمنوا بالله، وآمنوا برسله دون تفريق بينهم، أولئك هم الصديقون، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الكريم المعد لهم، ولهم نورهم الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة، والذين كفروا بالله وبرسله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا أولئك أصحاب الجحيم، يدخلونها يوم القيامة خالدين فيها أبداً، لا يخرجون منها.

١٢) اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب تلعب به الأبدان، وهو تلهو به القلوب، وزينة تتجملون بها، وتفاخر بينكم بما فيها من ملك ومتاع، وتباه بكثرة الأموال وكثرة الأولاد، كمثّل مطر أعجب الزّراع نباته، ثم لا يلبث هذا النبات المخضّر أن يببّس، فتراه - أيها الرائي - بعد اخضراره مصفراً، ثم يجعله الله قُتَاتًا يتكسر، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار والمنافقين، ومغفرة من الله لذنوب عباده المؤمنين، ورضوان منه، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل لا ثبات له، فمن آثر متاعها الزائل على نعيم الآخرة فهو خاسر مغبون.

١٣) سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ١٤) ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ١٥) لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ١٦) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ١٧)

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١٢) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَتُهُمْ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يهيجُ فَترتهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ١٣) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ١٤) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ١٥) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ١٧)

هذه الجنة أعدّها الله للذين آمنوا به وآمنوا برسله، ذلك الجزاء فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله سبحانه ذو الفضل العظيم على عباده المؤمنين.

١٢) ما أصاب الناس من مصيبة في الأرض من الجدب وغيره، ولا أصابهم من مصيبة في أنفسهم إلا وهي مثبتة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة، إن ذلك على الله سهل.

١٣) وذلك لكي لا تحزنوا - أيها الناس - على ما فاتكم، ولكي لا تفرحوا بما أعطاكم من النعم فرح بظّر، إن الله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما أعطاه الله.

١٤) الذين يبخلون بما يجب عليهم بذله، ويأمرون غيرهم بالبخل خاسرون، ومن يتولّى عن طاعة الله فلن يضرّ الله وإنما يضرّ نفسه، إن الله هو الغني، فلا يفتقر إلى طاعة عبده، المحمود على كل حال.

فوائد من الآيات:

- ١ - الزهد في الدنيا وما فيها من شهوات، والترغيب في الآخرة وما فيها من نعيم دائم يعينان على سلوك الصراط المستقيم.
- ٢ - وجوب الإيمان بالقدر.
- ٣ - من فوائد الإيمان بالقدر عدم الحزن على ما فات من حظوظ الدنيا.
- ٤ - البخل والأمر به خصلتان ذميتان لا يتصف بهما المؤمن.

﴿٢٥﴾ لقد أرسلنا رسلنا بالحقجج الواضحة والبراهين الجليلة، وأنزلنا معهم الكتب، وأنزلنا معهم الميزان؛ ليقوم الناس بالعدل، وأنزلنا الحديد فيه بأس قوي، فمنه يُصنَع السلاح، وفيه منافع للناس في صناعاتهم وحرفهم، وليعلم الله علماً يظهر للعباد من ينصره من عباده بالغيب، إن الله قوي عزيز لا يغلبه شيء، ولا يعجز عن شيء.

﴿٢٦﴾ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم ﷺ، وجعلنا في ذريتهما النبوة، فلم نبعث نبياً إلا من ذريتهما، وجعلنا فيهم الكتب المنزلة، فلم ننزل كتاباً إلا على أولادهم، فمن ذريتهما مهتد إلى الصراط المستقيم، موقف، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

﴿٢٧﴾ ثم أتبعنا رسلنا، فبعثناهم تترى إلى أممهم، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم وأعطيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا به واتبعوه رافة ورحمة، فكانوا متوادين متراحمين فيما بينهم، وابتدعوا الغلو في دينهم، فتركوا بعض ما أحل الله لهم من النكاح والملاذ، ولم نطلب منهم ذلك، وإنما ألزموا به أنفسهم؛ ابتداءً منهم في الدين، وإنما طلبنا اتباع مرضاة الله فلم يفعلوا، فأعطينا الذين آمنوا منهم ثوابهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله بالتكذيب بما جاءهم به رسوله محمد ﷺ.

﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ وَرَسُولِهِ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَجَعْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَفَجَعْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَةٌ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِفْكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَتَأْتِيَ أُمَّةٌ أُمَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿٢٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، يعطكم نصيبين من الثواب والأجر على إيمانكم بمحمد ﷺ، وإيمانكم بالرسل السابقين، ويجعل لكم نوراً تهتدون به في حياتكم الدنيا، وتستتبرون به على الصراط يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبكم فلا يؤاخذكم بها، والله سبحانه ذو الفضل العظيم على عباده، فلا يستطيع أن يحدّ فضله حادّ، ولا يحصيه عادّ.

﴿٢٩﴾ وقد بيّنا لكم فضلنا العظيم بما أعددناه لكم - أيها المؤمنون - من الثواب المضاعف؛ ليعلم أهل الكتاب السابقون من يهود ونصارى أنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله بحيث يمنحونه من يشاؤون، ويمنعونه من يشاؤون، وليعلموا أن الفضل بيد الله سبحانه يعطيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم الذي يختص به من يشاء من عباده.

﴿٣٠﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - بيان مكانة العدل في الشرائع السماوية.
- ٢ - صلة النسب بأهل الإيمان والصلاح لا تُغني شيئاً عن الإنسان ما لم يكن هو مؤمناً.
- ٣ - بيان تحريم البدع في الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَائِرَهُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يُظَاهَرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ لَهُمْ تَوْعُظُونَ
بِهِ ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ
مُتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ
مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنْ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا
كَكَابِتٍ الَّذِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

● مقصد السورة :
تركز على إظهار علم الله الشامل وإحاطته
البالغة، تربية لمراقبته، وتحذيرًا من مخالفته .

● التفسير :

① قد سمع الله كلام المرأة (وهي حولة بنت ثعلبة) التي تراجعت - أيها الرسول - في شأن زوجها (وهو أوس بن الصامت) لما ظهر منها، وتشتكي إلى الله ما صنع بها زوجها، والله يسمع تراجعتكما في الكلام، لا يخفى عليه منه شيء، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بأفعالهم، لا يخفى عليه منها شيء .

② الذين يُظَاهَرُونَ من نساءهم؛ بأن يقول أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر أمي، كذبوا في قولهم هذا، فليست زوجاتهم بأمهاتهم، ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم، وإنهم إذ يقولون ذلك القول ليقولون قولاً فظيماً، وكذباً، وإن الله لعفو غفور، فقد شرع لهم الكفارة؛ تخليصاً لهم من الإثم .

③ والذين يقولون هذا القول الفظيع، ثم يريدون الجماع لمن ظاهروا منهم فعليهم أن يكفروا بعقوبة من قبل أن يجامعوهن، ذلك الحكم المذكور تؤمرون به جزاً لكم عن الظهار، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء .

④ فمن لم يجد منكم رقبة يعقتها فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يجامع زوجته التي ظاهرها، فمن لم يستطع صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام ستين مسكيناً، ذلك الحكم الذي حكمنا به لتؤمنوا بأن الله أمر به، فتمثلوا أمره، وتلك الأحكام التي شرعناها لكم حدود الله التي حدّها لعباده فلا تتجاوزوها، وللكافرين بأحكام الله وحدوده التي حدّها عذاب موجه .

⑤ إن الذين يعادون الله ورسوله أدلوا وأخزوا كما أدلّ الذين عادوه من الأمم السابقة وأخزوا، وقد أنزلنا آيات واضحة، وللكافرين بالله ورسوله وآياته عذاب مذل .

⑥ يوم يبعثهم الله جميعاً لا يغادر منهم أحداً، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، أحصاه الله عليهم، فلم يفته من أعمالهم شيء، ونسوه هم فوجدوه مكتوباً في صحائفهم التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، والله على كل شيء مطلع لا يخفى عليه من أعمالهم شيء .

● فوائد من الآيات :

١ - لُطْفَ اللَّهِ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ من عباده من حيث نصرتهم وتخفيف العبادة عنهم .

٢ - دعاء المظلوم مستجاب ولو بعد حين .

٣ - الظهار من كبائر الذنوب؛ لأنه تحريم ما أحل الله .

﴿٧﴾ ألم تر - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض، لا يخفى عليه شيء مما فيهما، ما يكون من حديث ثلاثة إلا هو سبحانه رابعهم بعلمه، ولا يكون من حديث خمسة إلا هو سبحانه سادسهم بعلمه، ولا أقل من ذلك العدد، ولا أكثر منه إلا كان معهم بعلمه أينما كانوا، لا يخفى عليه من حديثهم شيء، ثم يخبرهم الله بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿٨﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا مؤمناً، فنهاهم الله عن النجوى، ثم هم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتناجون فيما بينهم بما فيه إثم مثل اغتياب المؤمنين، وبما فيه عدوان عليهم، وبما فيه معصية للرسول، وإذا جاؤوك - أيها الرسول - حيّوك بتحية لم يحيك الله بها؛ وهي قولهم: السام عليك، ويقولون تكديباً للنبي ﷺ: هلاً يعذبنا الله بما نقول، إذ لو كان صادقاً في دعواه أنه نبي لعذبنا الله بما نقول فيه، كافيهم جهنم عقاباً على ما قالوه، يعانون حرها، فقبح المصير مصيرهم.

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تتناجوا بما فيه إثم أو عدوان أو

ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكوث من نجوى ثلثته إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينتههم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شيء عليم ﴿٧﴾ ألم تر إلى الذين هؤا عن النجوى ثم يعودون لما هؤا عنه وينتجون بالأثم والعدوان ومعصيت الرسول وإذا جاءوك حيوك بما أرىئك يه الله ويقولون في أنفسهم لوأ بعدبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴿٨﴾ يتأها الذين ءاموا إذا تنجيم فلا تنجوا بالأثم والعدوان ومعصيت الرسول وتنجوا بالبر والنقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴿٩﴾ إنما النجوى من الشيطان ليحزك الذين ءاموا وليس بضارهم شيئاً إلا ياذن الله وعلى الله فليستوكل المؤمنون ﴿١٠﴾ يتأها الذين ءاموا إذا قيل لكم فأنشروا فأنشروا يرفع الله الذين ءاموا منكم والذين أووا العلم درجت وأه الله بما تعملون خبير ﴿١١﴾

معصية للرسول حتى لا تكونوا مثل اليهود، وتناجوا بما فيه طاعة لله وكف عن معصيته، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، فهو الذي إليه وحده تحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء.

﴿١٠﴾ إنما النجوى - المشتملة على الإثم والعدوان ومعصية الرسول - من تزيين الشيطان ووسوسته لأوليائه؛ ليدخل الحزن على المؤمنين أنهم يكاد لهم، وليس الشيطان ولا تزيينه بضار المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون في جميع شؤونهم.

ولما ذكر الله الأدب في الأقوال ذكر الأدب في المجالس فقال:

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس فأوسعوا فيها، يوسع الله لكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، وإذا قيل لكم: ارتفعوا من بعض المجالس ليجلس فيها أهل الفضل فارتفعوا عنها، يرفع الله سبحانه الذين آمنوا منكم والذين أعطوا العلم درجات عظيمة، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿١٢﴾ فإذ من الآيات:

١ - سعة علم الله سبحانه.

٢ - تحريم تنأجي ثلاثة دون الواحد؛ لما في ذلك من إدخال الحزن عليه؛ لأنه قد يظن أنهم يتكلمون فيه.

٣ - الشيطان يدعو إلى الشر والتفريق بين القلوب.

٤ - من آداب المجالس التوسيع فيها للآخرين.

٥ - الجزاء من جنس العمل؛ فمن أراد الجزاء الحسن فعليه بالعمل الحسن.

يَتَابِعُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ
صَدَقَةَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٣﴾ أَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذ لَّمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَآهُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَمْنَهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَاهْمُهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧﴾ لَن نَّغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا
إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ
اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْيَانِ ﴿٢١﴾
كُتِبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَعَمِلُوا بِمَا شَرَعَهُ
لَهُمْ، إِذَا أَرَدْتُمْ مُسَارَّةَ الرَّسُولِ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ
مُسَارَّتِكُمْ صَدَقَةً، ذَلِكَ التَّقْدِيمُ لِلصَّدَقَةِ خَيْرٌ لَّكُمْ
وَأَطْهَرُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ الَّتِي تَرْكِي
الْقُلُوبِ، فَإِن لَّمْ تَجِدُوا مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ فَلَا حَرَجَ
عَلَيْكُمْ فِي مُسَارَّتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِّذُنُوبِ عِبَادِهِ،
رَحِيمٌ بِهِمْ حَيْثُ لَمْ يَكْلِفْهُمْ إِلَّا مَا فِي وَسْعِهِمْ .
﴿١٤﴾ أَخَفْتُمْ الْفَقْرَ بِسَبَبِ تَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ إِذَا
نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ؟ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
مِنْهَا، وَتَابَ عَلَيْكُمْ حَيْثُ رَخَّصَ لَكُمْ فِي تَرْكِهَا
فَاتَوَّأُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَأَعْطَوْا زَكَاةَ
أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ،
وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا .
﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ
وَالَّوُا الْيَهُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ
كُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، لَيْسَ الْمُنَافِقُونَ مِنْكُمْ - أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ - وَلَيْسُوا مِنَ الْيَهُودِ، بَلْ هُمْ مُدْبِئُونَ
لَا إِلَى هَوْلَاءِ وَلَا إِلَى هَوْلَاءِ، وَيَحْلِفُ هَوْلَاءُ
الْمُنَافِقُونَ كَاضِبِينَ - وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاضِبُونَ -
أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، وَأَنَّهُمْ مَا نَقَلُوا أَخْبَارَ الْمُسْلِمِينَ
إِلَى الْيَهُودِ .
﴿١٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الْآخِرَةِ،
حَيْثُ يَدْخُلُهُمُ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ، إِنَّهُمْ
قَبِيحٌ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا .

﴿١٧﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَحْلِفُونَهَا وَقَايَةَ مِنَ الْقَتْلِ بِسَبَبِ الْكُفْرِ، حَيْثُ أَظْهَرُوا بِهَا الْإِسْلَامَ لِيَعَصِمُوا دِمَاءَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ، فَصَرَفُوا النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ لِمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ التَّوْهِينِ وَالتَّشْبِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَلَهُمْ عَذَابٌ مِّثْلُ الَّذِي يَدْلُهُمْ وَيَخْزِيهِمْ .
﴿١٨﴾ لَن نَّغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ، وَلَن نَّغْنِي عَنْهُمْ أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهَا مَا كَانُوا
فِيهَا أَبَدًا لَا يَنْقُطُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ .
﴿١٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا لَا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا بَعَثَهُ لِلْجَزَاءِ، فَيَحْلِفُونَ لِلَّهِ مَا كَانُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالنَّفَاقِ، وَإِنَّمَا
كَانُوا مُؤْمِنِينَ عَامِلِينَ بِمَا يَرْضَى اللَّهُ، يَحْلِفُونَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ كَمَا كَانُوا يَحْلِفُونَ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ
مُسْلِمُونَ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ بِهَذِهِ الْإِيمَانِ الَّتِي يَحْلِفُونَهَا لِلَّهِ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا يَجْلِبُ لَهُمْ نَفْعًا أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرًّا، أَلَّا إِنَّهُمْ
هُمُ الْكَاضِبُونَ حَقًّا فِي أَيْمَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِي أَيْمَانِهِمْ فِي الْآخِرَةِ .
﴿٢٠﴾ اسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ، فَلَمْ يَعْمَلُوا بِمَا يَرْضَاهُ، وَإِنَّمَا عَمِلُوا بِمَا يَغْضِبُهُ، أُولَئِكَ
الْمُتَصَفُّونَ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ هُمُ جُنُودُ إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعُهُ، أَلَّا إِنَّ جُنُودَ إِبْلِيسَ وَأَتْبَاعَهُ هُمُ الْخَاسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
فَقَدْ بَاعُوا الْهَدْيَ بِالضَّلَالَةِ، وَالْجَنَّةَ بِالنَّارِ .
﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُعَادُونَ اللَّهَ وَيُعَادُونَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ أَدْلِهِمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَخْرَاهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ الْكَافِرَةِ .
﴿٢٢﴾ قَضَى اللَّهُ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ لَأَنْتَصِرَ أَنَا وَرَسُولِي عَلَى أَعْدَائِنَا بِالْحُجَّةِ وَالْقُوَّةِ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَلَى نَصْرِ رَسُلِهِ، عَزِيزٌ
يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ .

﴿٢٣﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - التَّبَذُّبُ وَعَدَمُ الثَّبَاتِ عَلَى مَوْقِفٍ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ . ٢ - الْإِيمَانُ الْكَاذِبَةُ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ .
- ٣ - خَسْرَانُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَغَلْبَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ سُنَّةٌ إِلَهِيَّةٌ قَدْ تَنَاطَرَ، لَكِنهَا لَا تَتَخَلَّفُ .

لا تجد - أيها الرسول - قوماً يؤمنون بالله ويؤمنون بيوم القيامة يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء لله ورسوله آباءهم، أو كانوا أبناءهم، أو كانوا إخوانهم، أو كانوا عشيرتهم التي ينتمون إليها؛ لأن الإيمان يمنع من موالة أعداء الله ورسوله، ولأن رابطة الإيمان أعلى من جميع الروابط، فهي مُقدّمة عليها عند التعارض، أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ورسوله - ولو كانوا أقباء - هم الذين أثبت الله الإيمان في قلوبهم فلا يتغير، وقواهم بنصر منه على أعدائهم في الحياة الدنيا، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، لا ينقطع عنهم نعيمها ولا يفنون عنه، رضي الله عنهم رضا لا يسخط بعده أبداً، ورضوا هم عنه لما أعطاهم من النعيم الذي لا ينفد، ومنه رؤيته سبحانه، أولئك الموصوفون بما ذكر جند الله الذين يمثلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالونه من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم في الدنيا والآخرة.

سُورَةُ الْحَشْرِ

مَدِينَةٌ

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٣﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ
فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يَخْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

مَقْصِدُ السُّورَةِ:

تركز على إظهار قوة الله وعزته في توهين الكافرين والمنافقين، وإظهار تفرقهم، في مقابل إظهار تآلف المؤمنين.

التفسير:

﴿١﴾ نَزَّهَ اللَّهُ وَقَدَّسَهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرَعِهِ وَقَدْرِهِ.
﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ بَنِي النَّضِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ دِيَارِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، وَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ أَصْحَابِ التَّوْرَةِ، بَعْدَ نَقْضِهِمْ لِعَهْدِهِمْ وَصِيورَتِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ، مَا ظَنَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِزَّةِ وَالْمَنْعَةِ، وَظَنُّوا هُمْ أَنْ حُصُونَهُمُ الَّتِي شَيَّدُوها مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، فَجَاءَهُمْ بَأْسُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يُقَدَّرُوا مَجِيئَهُ حِينَ أَمَرَ رَسُولَهُ بِقِتَالِهِمْ وَإِجْلَائِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَدْخَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، يَدْمُرُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ دَاخِلِهَا، وَيَدْمُرُهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ خَارِجِهَا، فَاتَعَطَّوْا يَا أَصْحَابَ الْأَبْصَارِ بِمَا حَلَّ بِهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَلَا تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، فَتَنَالُوا جَزَاءَهُمْ وَعِقَابَهُمُ الَّذِي عَاقَبُوا بِهِ.
﴿٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَإِجْلَاءَهُمْ مِنْهَا، لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّ، كَمَا فَعَلَ بِإِخْوَانِهِمْ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ يَنْتَظِرُهُمْ خَالِدِينَ فِيهِ أَبَدًا.

فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الإيمان بالله ينافي موالة أعدائه. ٢ - رابطة الإيمان أوثق الروابط بين أهل الإيمان.
- ٣ - الإيمان بالله سبب الفلاح في الدنيا والآخرة.

① ذلك الذي حصل لهم حصل لأنهم عادوا الله وعادوا رسوله بكفرهم ونقضهم للعهود، ومن يعاد الله فإن الله شديد العقاب، فسيناله عقابه الشديد.

② ما قطعتم - معشر المؤمنين - من نخلة في غزوة بني النضير أو تركتموها قائمة على جذوعها فبأمر الله، وليس من الفساد في الأرض كما زعموا، وليذل الله به الخارجين عن طاعته من اليهود الذين نقضوا العهد، واختاروا سبيل الغدر على طريق الوفاء.

③ وما رده الله على رسوله من أموال بني النضير فما أسرعتم في طلبه مما تركبونه خيلاً ولا إبلاً، ولا أصابتكم فيه مشقة، ولكن الله يسلب رسوله على من يشاء، وقد سلط رسوله على بني النضير ففتح بلادهم صلحاً، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

④ ما أنعم الله على رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال فلله، يجعله لمن يشاء، وللرسول مثلها، ولذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب؛ تعويضاً لهم عما مُنعوه من الصدقة، وللأيتام، وللفقراء، وللغريب الذي

نفدت نفقته؛ لكي لا يقتصر تداول المال على الأغنياء دون الفقراء، وما أعطاكم الرسول من أموال الفيء فخذوه - أيها المؤمنون - وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، إن الله شديد العقاب فاحذروا عقابه.

⑤ ويُصْرَفُ جزء من هذا المال للفقراء المهاجرين في سبيل الله الذين أُجبروا على ترك أموالهم وأولادهم، يرجون أن يتفضل الله عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة، وينصرون الله وينصرون رسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الراسخون في الإيمان حقاً.

⑥ ولما ذكر الله المهاجرين وأثنى عليهم، ذكر الأنصار وأثنى عليهم كذلك، فقال سبحانه:

⑦ والأَنْصَارُ الَّذِينَ نَزَلُوا الْمَدِينَةَ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَارُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ غِظًا وَلَا حَسَدًا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا مَا أُعْطُوا شَيْئًا مِنَ الْفِيءِ وَلَمْ يُعْطُوا هُمْ، وَيَقْدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ فِي الْحِظُوظِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَلَوْ كَانُوا مُتَصِفِينَ بِالْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، وَمَنْ يَقِهِ اللَّهُ حِرْصَ نَفْسِهِ عَلَى الْمَالِ فَيُذِلُّهُ فِي سَبِيلِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِنَيْلِ مَا يَرْتَجُونَهُ، وَالنَّجَاةُ مِمَّا يَرْتَجُونَهُ.

⑧ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - معاداة الله ورسوله سبب مباشر لخسران الدنيا والآخرة. ٢ - مشروعية الفيء ومصارفه. ٣ - فضل المهاجرين والأنصار. ٤ - الإيثار منقبة عظيمة من مناقب الإسلام ظهرت في الأنصار أحسن ظهور.

﴿١٢﴾ والذين جاؤوا من بعد هؤلاء واتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان بالله وبرسوله، ولا تجعل في قلوبنا غشاً ولا حسداً لأحد من المؤمنين، ربنا إنك رؤوف بعبادك، رحيم بهم.

﴿١٣﴾ ألم تر - أيها الرسول - إلى الذين أضمروا الكفر وأظهروا الإيمان، يقولون لإخوانهم في الكفر من اليهود أتباع التوراة المحرفة: اثبتوا في دياركم فلن نخذلكم، ولن نسلمكم، فلئن أخرجكم المسلمون منها لنخرجن تضامناً معكم، ولا نطيع أحداً يريد أن يمنعنا من الخروج معكم، وإن قاتلكم لنعيننكم عليهم، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما ادعوه من الخروج مع اليهود إذا أخرجوا، والقتال معهم إذا قوتلوا.

﴿١٤﴾ لئن أخرجهم المسلمون لا يخرجون معهم، وإن قاتلوهم لا ينصرونهم ولا يعينونهم، ولئن نصرهم وأعانهم على المسلمين ليهربن فراراً منهم ثم لا يُنصر المنافقون بعد ذلك، بل يذلهم الله ويخزيهم.

﴿١٥﴾ لأنتم - أيها المؤمنون - أشد تخويفاً في قلوب المنافقين واليهود من الله، ذلك المذكور - من شدة خوفهم منكم، وضعف خوفهم من الله - بسبب أنهم قوم لا يفقهون ولا يفهمون، إذ لو كانوا يفقهون لعلموا أن الله أحق أن يُخاف وأن يُرهب، فهو الذي سلطكم عليهم.

﴿١٦﴾ لا يقاتلكم - أيها المؤمنون - اليهود والمنافقون مجتمعين إلا في قري مُحَصَّنَة بالأسوار، أو من وراء جدران، فهم لا يستطيعون مواجعتكم لجبنهم، بأسهم فيما بينهم قوي لما بينهم من العداوة، تظن أنهم على كلمة واحدة، وأن صفهم واحد، والواقع أن قلوبهم متفرقة مختلفة، ذلك الاختلاف والتعادي بسبب أنهم لا يعقلون، إذ لو كانوا يعقلون لعرفوا الحق واتبعوه، ولم يختلفوا فيه.

﴿١٧﴾ مثل هؤلاء اليهود في كفرهم وما حل بهم من عقاب كمثل الذين من قبلهم من مشركي مكة في زمن قريب، فذاقوا سوء عاقبة كفرهم، فقتل من قتل، وأسير من أسير منهم يوم بدر، ولهم في الآخرة عذاب موجه.

﴿١٨﴾ مثلهم في سماعهم من المنافقين كمثل الشيطان حين زين للإنسان أن يكفر، فلما كفر بسبب تزيينه الكفر له قال: إني بريء منك لما كفرت، إني أخاف الله رب الخلائق.

﴿١٩﴾ فوالله من الآيات:

- ١ - رابطة الإيمان لا تتأثر بتطاول الزمان وتغير المكان.
- ٢ - صداقة المنافقين صداقة وهمية تتلاشى عند الشدائد.
- ٣ - ظهور جبن اليهود عند مواجهة المؤمنين حقاً.

﴿٧﴾ فكان نهاية أمر الشيطان ومن أطاعه
أنهما (أي: الشيطان المُطاع، والإنسان
المُطيع) يوم القيامة في النار ماكثين فيها
أبدًا، وذلك الجزاء الذي ينتظرهم هو جزاء
الظالمين لأنفسهم بتعدّي حدود الله.

﴿٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه
لهم، اتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب
نواهيه، ولتأمل نفس ما قدمت من عمل
صالح ليوم القيامة، واتقوا الله، إن الله خبير
بما تعملون، لا يخفى عليه من أعمالكم
شيء، وسيجازيكم عليها.

﴿٩﴾ ولا تكونوا مثل الذين نسوا الله بترك
امثال أمره واجتنب نهيهِ، فأنساهم الله
أنفسهم، فلم يعملوا بما ينجيها من غضب الله
وعقابه، أولئك الذين نسوا الله، فلم يمتثلوا
أمره، ولم يكفوا عن نهيهِ، هم الخارجون
عن طاعة الله.

﴿١٠﴾ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب
الجنة، بل هم مختلفون في جزائهم مثل
اختلاف أعمالهم في الدنيا، أصحاب الجنة
هم الفائزون بنيل ما يطلبونه، الناجون مما
يرهبونه.

﴿١١﴾ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
القرءان على جبلٍ لرأيته خَشَعًا مُتَصِدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ
اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿١٢﴾ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣﴾ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١٤﴾ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
يَسْبُحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾

سورة المؤمنة

﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَنْتَهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ
نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ
هُمْ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا
الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ
اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
يَسْبُحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

متشققًا من شدة خشية الله؛ لما فيه من المواعظ الزاجرة والوعيد الشديد، وهذه الأمثال نضربها للناس لعلهم
يتعظون بما تشتمل عليه من العظات والعبير.

﴿٢١﴾ هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، رحمن
الدنيا والآخرة ورحيمهما، وسعت رحمته العالمين، الملك، المنزه والمقدس عن كل نقص، السالم من كل
عيب، المصدق رسله بالآيات الباهرة، الرقيب على أعمال عباده، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي
قهر بجبروته كل شيء، المتكبر، تنزهه الله وتقدس عما يشرك معه المشركون من الأوثان وغيرها.

﴿٢٢﴾ هو الله الخالق الذي خلق كل شيء، الموجد للأشياء، المصور لمخلوقاته وفق ما يريد، له سبحانه
الأسماء الحسنى المشتملة على صفاته العلا، ينزهه ما في السماوات وما في الأرض عن كل نقص، العزيز
الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

﴿٢٤﴾ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

- ١ - وجوب محاسبة النفس في الدنيا قبل حسابها يوم القيامة.
- ٢ - الجزاء يوم القيامة وفق العمل.
- ٣ - للقرآن تأثير عظيم على النفس.
- ٤ - وجوب استحضار عظمة صفات الله العلي وأسمائه الحسنى.

① هذه القدوة الحسنة إنما يتأسى بها من كان يرجو من الله الخير في الدنيا والآخرة، ومن يعرض عن هذه القدوة الحسنة فإن الله غني عن عبادته، لا يحتاج إلى طاعتهم، وهو المحمود على كل حال.

⑦ عسى الله أن يجعل بينكم - أيها المؤمنون - وبين الذين عاديتهم من الكفار محبة بحيث يهديهم الله للإسلام، فيكونون إخوة لكم في الدين، والله قدير يقدر أن يقلب قلوبهم إلى الإيمان، والله غفور لمن تاب من عبادته، رحيم بهم.

⑧ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم بسبب إسلامكم، ولم يخرجوكم من دياركم أن تحسنوا إليهم، وتعذلوا بينهم بأن تعطوهم ما لهم من حق عليكم، مثل ما فعلت أسماء بنت أبي بكر الصديق بأماها لما قدمت إليها بعد أن استأذنت النبي ﷺ في ذلك، فأمرها بأن تصلها، إن الله يحب العادلين الذين يعدلون في أنفسهم وأهلبيهم وما ولوا.

⑩ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب إيمانكم، وأخرجوكم من دياركم، وأعانوا على إخراجكم، ينهاكم أن تولوهم، ومن يوالهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بإيرادها موارد الهلاك بسبب مخالفة أمر الله.

⑫ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فاخبروهن في صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، لا يخفى عليه شيء مما تنطوي عليه قلوبهن، فإن علمتموهن مؤمنات بعد الاختبار بما يظهر لكم من صدقهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لا يحل للمؤمنات أن يتزوجن بالكفار، ولا يحل للكفار أن يتزوجوا بالمؤمنات، وأعطوا أزواجهن ما بذلوا من مهرهن، ولا إثم عليكم - أيها المؤمنون - أن تتزوجوهن بعد انقضاء عدتهن إذا أعطيتوهن مهرهن، ومن كانت زوجته كافرة أو ارتدت عن الإسلام فلا يمسهن؛ لانقطاع نكاحهما بكفرها، واسألوا الكفار ما بذلتهم من مهر زوجاتكم المُرْتَدَّات، وليسألواهم ما بذلوا من مهر زوجاتهم اللاتي أسلمن، ذلك المذكور - من رد المهور من جهتك ومن جهتهم - هو حكم الله، يحكم بينكم سبحانه بما يشاء، والله عليم بأحوال عبادته، وأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، حكيم فيما يشرعه لعباده.

⑬ وإن فُرِضَ خروج بعض نسائكم إلى الكفار مُرْتَدَّات وطلبت مهرهن من الكفار ولم يعطوها، فغنمتم من الكفار فأعطوا الأزواج الذين خرجت زوجاتهم مُرْتَدَّات مثل ما بذلوا من المهور، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

❁ فَوَالَّذِينَ بَخِلُوا

١ - يجب على المسلم سؤال الله الثبات؛ فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء، فيصرفها من الكفر إلى الإيمان، ومن العداوة إلى المودة. ٢ - التفريق في الحكم بين الكفار المحاربين والمسلمين. ٣ - حرمة الزواج بالكافرة غير الكتابية ابتداءً ودواماً، وحرمة زواج المسلمة من كافر ابتداءً ودواماً.

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ، إِذَا جَاءَكَ النِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ - مثل ما حدث في فتح مكة - على أن لا يشركن بالله شيئاً، بل يعبدنه وحده، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن جرياً وراء عادة أهل الجاهلية، ولا يُلحِقن بأزواجهن أولادهن من الزنا، ولا يعصينك في معروف من مثل نهيهِ عن النياحة والحلق وشق الجيب؛ فبايعهن، واطلب لهنَّ المغفرة من الله لذنوبهنَّ بعد مبايعتهنَّ لك، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم. ولما بدأت السورة بالتحذير من موالات أعداء الله اختتمت بالتحذير منه تأكيداً لما سبق، فقال تعالى:

﴿١٣﴾ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَا يُوَفَّوْا بِآخِرَتِهِمْ بَلْ هُمْ يَأْتِسُونَ مِنْهَا مِثْلَ مَا يَأْتِسُونَ مِنْ رِجْوَعِ مَوْتَاهُمْ إِلَيْهِمْ كَفَرَهُمْ بِالْبَيْعِ.

سُورَةُ الصَّفَاتِ

— مَدَنِيَّةٌ —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على تحفيز المؤمنين لنصرة دين الله، والجهاد في سبيله.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ نَزَّ اللَّهُ ﷻ وَقَدَّسَهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَقَدْرِهِ وَشَرَعِهِ.

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، لَمْ تَقُولُوا: فَعَلْنَا شَيْئاً، وَلَمْ تَفْعَلُوهُ فِي الْوَاقِعِ؟ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: قَاتَلْتُ بِسَيْفِي وَضُرِبْتُ، وَهُوَ لَمْ يَقَاتِلْ بِسَيْفِهِ وَلَمْ يَضْرِبْ.

﴿٣﴾ عَظُمَ مَقْتًا وَسَخَطًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَهُ، فَلَا يَلِيْقُ بِالْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ، يُصَدِّقُ عَمَلُهُ قَوْلَهُ.

﴿٤﴾ إِنْ اللَّهُ يَحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ صَفًّا بَعْضُهُمْ جَنْبَ بَعْضٍ كَأَنَّهُمْ بِنْيَانٌ مِتْلَاصِقٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

ولما ذكر الله القتال وامتدح المؤمنين المُتَرَاصِّينَ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِهِ، ذَكَرَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ مُوسَى وَعِيسَى مِنْ مَخَالَفَةِ رُسُولِهِمَا، تَحْذِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَخَالَفَةِ نَبِيِّهِمْ فَقَالَ:

﴿٥﴾ وَاذْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُولُ - حِينَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ، لَمْ تُوَدِّدُونِي بِمَخَالَفَةِ أَمْرِي وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؟ فَلَمَّا مَالُوا وَانْحَرَفُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ أَمَالَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَاللَّهُ لَا يُوَفِّقُ لِلْحَقِّ الْقَوْمَ الْخَارِجِينَ عَنِ طَاعَتِهِ.

﴿٦﴾ فَوَازِلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - مشروعية مبايعة ولي الأمر على السمع والطاعة والتقوى.
- ٢ - طاعة ولي الأمر إنما تكون بالمعروف.
- ٣ - سوء عاقبة من خالف فعله قوله.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوضٌ ﴿٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ كُمْ مَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَمِ عُذْبِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِمْ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَنَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْحَبُوا ظَهْرَهُنَّ ﴿١٤﴾

﴿٦﴾ واذكر - أيها الرسول - حين قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا بني إسرائيل، إنني رسول الله بعثني إليكم مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، فليست يبدع من الرسل، ومبشراً برسول يجيء من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات الدالة على صدقه قالوا: هذا سحر واضح، فلن نتبعه.

﴿٧﴾ ولا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب حيث جعل له أن داداً يعبدهم من دونه وهو يدعى إلى الإسلام دين التوحيد الخالص لله، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي إلى ما فيه رشدهم وسدادهم.

﴿٨﴾ يريد هؤلاء المكذبون أن يطفئوا نور الله بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ومن التشويه للحق، والله مكمل نوره على رغم أنوفهم بإظهار دينه في مشارق الأرض ومغاربها وإعلاء كلمته.

﴿٩﴾ الله هو الذي بعث رسوله محمداً عليه السلام بدين الإسلام، دين الهداية والإرشاد للخير، ودين العلم النافع والعمل الصالح؛ ليُعَلِّمَهُ على جميع الأديان على رغم أنوف المشركين الذين يكرهون أن يُمكن له في الأرض.

﴿١٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله، وعملوا بما

شرعه لهم، هل أرشدكم وأهدىكم إلى تجارة رابحة، تنقذكم من عذاب مؤلم؟

﴿١١﴾ هذه التجارة الربحية هي أن تؤمنوا بالله، وتجاهدوا في سبيله سبحانه بإتفاق أموالكم وبذل أنفسكم ابتغاء مرضاته، ذلك العمل المذكور خير لكم إن كنتم تعلمون، فسارعوا إليه.

﴿١٢﴾ وربح هذه التجارة هو أن يغفر الله لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ويدخلكم مساكن طيبة في جنات إقامة لا انتقال عنها، ذلك الجزاء المذكور هو الفوز العظيم الذي لا يدانيه أي فوز.

﴿١٣﴾ ومن ربح هذه التجارة خصلة أخرى تحبونها وهي عاجلة في الدنيا، أن ينصرمكم الله على عدوكم، وفتح قريب يفتح عليكم وهو فتح مكة وغيرها، وأخبر - أيها الرسول - المؤمنين بما يسرهم من النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

﴿١٤﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، كونوا أنصار الله بنصركم لدينه الذي جاء به رسولكم مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام: من أنصاري إلى الله؟ فأجابوه مبادرين: نحن أنصار الله، فأمن فريق من بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، وكفر به فريق آخر، فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على الذين كفروا به، فأصبحوا غالبيين عليهم.

﴿١٥﴾ فَوَلِّمْهُمُ الْأُمَمَ:

١ - تبشير الرسالات السابقة بنيينا عليه السلام.

٢ - التمكين للدين سنّة إلهية.

٣ - الإيمان والجهاد في سبيل الله من أسباب دخول الجنة.

٤ - جزاء المؤمن من الله تعالى؛ منه ما هو عاجل، ومنه ما هو آجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٤ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥
قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٧ قُلْ إِنْ
الْمَوْتَ الَّذِي تَتَّقُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَأَقِيكُمْ تَضَرُّدًا
إِلَىٰ عِلْمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨

﴿مقصد السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان منة الله على هذه الأمة في تفضيلها وهدايتها بالرسول بعد ضلالها، إلزاماً بطاعته، وتحذيراً من مشابهة اليهود.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ يُنَزَّهُ اللهُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ، وَيُقَدِّسُهُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَائِقِ، هُوَ الْمَلِكُ الْمُنْفَرِدُ وَحْدَهُ بِالْمَلِكِ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نِقْصٍ، الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِي الْعَرَبِ الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ وَلَا يَكْتُبُونَ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ، وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُهُمُ السُّنَّةَ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ وَاضِحٍ، حَيْثُ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ، وَيَقْطَعُونَ الرَّحِمَ.

﴿٣﴾ وَبَعَثَ هَذَا الرَّسُولَ إِلَىٰ قَوْمٍ آخَرِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ، وَسَيَأْتُونَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

﴿٤﴾ ذَلِكَ الْمَذْكُورُ - مِنْ بَعَثَ الرَّسُولَ إِلَىٰ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ - فَضَّلَ اللهُ يَعْطِيهِ مِنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ، وَمِنْ إِحْسَانِهِ الْعَظِيمِ إِرْسَالَهُ رَسُولًا هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَةً.

ولما ذكر الله ما امتن به من بعثة الرسول، ومن إنزال القرآن، ذكر ما كان عليه بعض أتباع موسى ﷺ من الإعراض عن العمل بما في التوراة؛ تحذيراً لهذه الأمة من اتباعهم، فقال:

﴿٥﴾ مثل اليهود الذين كلفوا القيام بما في التوراة فتركوا ما كلفوا به، كمثل الحمار يحمل الكتب الكبيرة، لا يدري ما حُبل عليه: أهو كتب أم غيرها؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين لإصابة الحق.

﴿٦﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الذين بقوا على اليهودية بعد تحريفها، إن زعمتم أنكم أولياء الله اختصكم بالولاية دون الناس فتمنوا الموت؛ ليعجل لكم ما اختصكم به - حسب زعمكم - من الكرامة إن كنتم صادقين في دعوكم أنكم أولياء الله من دون الناس.

﴿٧﴾ ولا يتمنوا الموت أبداً، بل يتمنون الخلود في الدنيا بسبب ما عملوه من الكفر والمعاصي والظلم، وتحريف التوراة وتبديلها، والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿٨﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء اليهود: إن الموت الذي تهربون منه ملائكم لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً، ثم ترجعون يوم القيامة إلى الله عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه شيء منهما، فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، ويجازيكم عليه.

﴿فوائد من الآيات﴾:

١ - حالة العرب قبل الإسلام كانت في جاهلية وضياح. ٢ - عموم رسالة نبينا ﷺ للإنس والجن. ٣ - تكذيب دعوى اليهود أنهم أولياء الله؛ بتحديهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين في دعوهم.

١ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إذا نادى المؤذن للصلاة من يوم الجمعة بعد صعود الخطيب على المنبر، فاسعوا إلى المساجد لحضور الخطبة والصلاة، واتركوا البيع؛ لئلا يشغلکم عن الطاعة، ذلك المأمور به من السعي وترك البيع بعد الأذان لصلاة الجمعة خير لكم - أيها المؤمنون - إن كنتم تعلمون ذلك، فامتثلوا ما أمركم الله به .

٢ فإذا أنهيت صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض بحثاً عن الكسب الحلال، وعن قضاء حاجاتكم، واطلبوا من فضل الله عن طريق الكسب الحلال والريح الحلال، واذكروا الله في أثناء بحثكم عن الرزق ذكراً كثيراً، ولا يُنسك ببحثكم عن الرزق ذكر الله؛ رجاء الفوز بما تحبونه، والنجاة مما ترهبونه .

٣ وإذا عاين بعض المسلمين تجارة أو لهواً تفرقوا خارجين إليها، وتركوك - أيها الرسول - قائماً على المنبر، قل - أيها الرسول -: ما عند الله من الجزاء على العمل الصالح خير من التجارة واللغو الذي خرجتم إليه، والله خير الرازقين .

سورة المنافقين

— مدنية —

● مقصد الشورى :

تركز على كشف المنافقين وصفاتهم وبيان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

سورة المنافقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا فُطِيعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ بِئْسَ الْيَوْمَاقُونَ ﴿٤﴾

موقفهم من الإسلام وأهله، تحذيراً منهم ومن التشبه بهم .

● النفسيين :

١ إذا حضر مجلسك - أيها الرسول - المنافقون الذين يُظهرون الإسلام، ويُضمِّرون الكفر قالوا: نشهد أنك رسول الله حقاً، والله يعلم أنك لرسوله حقاً، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون فيما يدعون أنهم يشهدون من صميم قلوبهم أنك رسول .

٢ جعلوا أيمانهم التي يحلفونها على دعواهم الإيمان سترة ووقاية لهم من القتل والأسر، وصرفوا الناس عن الإيمان بما يبثونه من التشكيك والإرجاف .

٣ ذلك بسبب أنهم آمنوا نفاقاً، ولم يصل الإيمان إلى قلوبهم، ثم كفروا بالله سرّاً، فحتم على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يدخلها إيمان، فهم بسبب ذلك الحتم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشدهم .

٤ وإذا رأيتهم - أيها الناظر - تعجبك هيئاتهم وأشكالهم؛ لما هم فيه من النضارة والنعيم، وإن يتكلموا تسمع لكلامهم لما فيه من البلاغة، كأنهم في مجلسك - أيها الرسول - خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ، لا يفهمون شيئاً ولا يعونه، يظنون كل صوت يستهفهم لما فيه من الجين، هم العدو حقاً، فاحذرهم - أيها الرسول - أن يفشوا لك سرّاً أو يكيدوا لك مكيدة، لعنهم الله، كيف يُصرفون عن الإيمان مع وضوح دلائله، وجلاء براهينه؟!

● فوائد من الآيات :

١ - وجوب السعي إلى الجمعة بعد النداء . ٢ - حرمة البيع بعد النداء الثاني يوم الجمعة .

﴿٥﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله معتردين عما بدر منكم، يطلب لكم من الله المغفرة لذنوبكم، عطفوا رؤوسهم استهزاءً وسخرية، ورأيتهم يُعرضون عما أمروا به، وهم مستكبرون عن قبول الحق والإذعان له.

﴿٦﴾ يستوي طلبك - أيها الرسول - المغفرة لذنوبهم وعدم طلبك المغفرة لهم، لن يغفر الله لهم ذنوبهم، إن الله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، المُصِرِّين على معصيته.

﴿٧﴾ هم الذين يقولون: لا تنفقوا أموالكم على من عند رسول الله من الفقراء والأعراب حول المدينة حتى يتفرقوا عنه، والله وحده خزائن السماوات، وخزائن الأرض، يرزقها من يشاء من عباده، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الرزق بيده سبحانه.

﴿٨﴾ يقول رأسهم عبد الله بن أبي: لئن عدنا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الأعز وهم أنا وقومي منها الأذل وهم محمد وأصحابه، والله وحده العزة ولرسوله وللمؤمنين، وليست لعبد الله بن أبي وأصحابه، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ولما بين الله حرص المنافقين على البخل بالإنفاق للصد عن سبيل الله حذر المؤمنين من ذلك، وأمرهم بالإنفاق في سبيله، فقال:

﴿٩﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن الصلاة أو غيرها من فرائض الإسلام، ومن شغلته أمواله وأولاده عما أوجبه الله عليه من الصلاة وغيرها فأولئك هم الخاسرون حقاً الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

﴿١٠﴾ وأنفقوا مما رزقكم الله من الأموال من قبل أن يأتي أحدكم الموت، فيقول لربه: رب هلا أخرجتني إلى مدة يسيرة، فأتصدق من مالي في سبيل الله، وأكن من عباد الله الصالحين الذين صلحت أعمالهم.

﴿١١﴾ ولن يؤخر الله سبحانه نفساً إذا حضر أجلها، وانقضى عمرها، والله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

﴿١٢﴾ فَوَاذِلْ مِنَ الْآيَاتِ:

- ١ - الإعراض عن النصح والتكبر من صفات المنافقين.
- ٢ - العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والذلة لأعدائهم.
- ٣ - خطر الأموال والأولاد إذا شغلت عن ذكر الله.
- ٤ - وجوب المسارعة إلى الطاعات قبل الموت.

سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ
وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
فَدَأَفُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَالُوا أَشْرَكُوا وَأَنكَرُوا فَرَأَوْهُمُ كَافِرِينَ
وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْتَبُوا وَرَبُّهُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَى كُفْرِهِمْ شَرِيفٌ ﴿٦﴾ زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يَبْعَثُوا قُلُوبًا وَرَبِّي
لَتُبْعَثَنَّهُمْ لِنُبَيِّنَهُنَّ لِمَا عَمِلْنَ وَأَنَّ اللَّهَ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ
يَجْمَعُهُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ
صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة النجم

— مدينة —

﴿١﴾ مقصد النبوة:

تركز على قضية التغابن والمغبونين من الكافرين، تحذيراً من الكفر وأهله.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يُنَزَّهُ اللهُ وَيُقَدِّسُهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، كُلِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلَاتِقِ، لَهُ وَحْدَهُ الْمُلْكُ، فَلَا مِلْكَ غَيْرَهُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَمِنْكُمْ كَافِرٌ بِهِ وَمَصِيرُهُ النَّارُ، وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ بِهِ وَمَصِيرُهُ الْجَنَّةُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٣﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَخَلَقَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَخْلُقْهُمَا عَبَثًا، وَصَوَّرَكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ مِنْهُ وَتَفَضَّلًا، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا قَبِيحَةً، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ الرَّجُوعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْزِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

﴿٤﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَيَعْلَمُ مَا تَعْلَمُونَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

﴿٥﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - خَيْرُ الْأُمَّمِ الْمَكْنُذِيَةِ مِنْ قَبْلِكُمْ مِثْلَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ وَغَيْرِهِمْ، فَذَاقُوا عِقَابَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُوجِعٌ، بَلَى، قَدْ أَتَاكُمْ ذَلِكَ، فَاعْتَبَرُوا بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ فَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ.

﴿٦﴾ ذَلِكَ الْعَذَابُ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنْمَا أَصَابَهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالْحُجُجِ الْوَاضِحَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْجَلِيلَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ، فَقَالُوا مُسْتَكْرِبِينَ أَنَّ تَكُونَ الرُّسُلُ مِنْ جِنْسِ الْبَشَرِ: أَبْشَرُ يَرشُدُونَا إِلَى الْحَقِّ؟ وَأَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِمْ، فَلَمْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا، وَاسْتَعْنَى اللَّهُ عَنِ إِيْمَانِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ؛ لِأَنَّ طَاعَتَهُمْ لَا تَزِيدُهُ شَيْئًا، وَاللَّهُ غَنِيٌّ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى عِبَادِهِ، مَحْمُودٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ.

﴿٧﴾ زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ أَحْيَاءً بَعْدَ مَوْتِهِمْ، قُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لَهُؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ: بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ لَتُخْبَرْنَ بِمَا عَمِلْتُمْ فِي الدُّنْيَا، وَذَلِكَ الْبَعْثُ عَلَى اللَّهِ سَهْلٌ؛ فَقَدْ خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ أَحْيَاءً لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ.

﴿٨﴾ فَآمَنُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - بِاللَّهِ، وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ، وَآمَنُوا بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَنزَلْنَاهُ عَلَى رَسُولِنَا، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيْهَا.

﴿٩﴾ وَادْكُرْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ النَّعَابِ حَقًّا، حَيْثُ يَرِثُ الْمُؤْمِنُونَ مَنَازِلَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْجَنَّةِ، وَيَرِثُ أَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي النَّارِ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، وَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا يَكْفُرُ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَأَشْجَارُهَا الْأَنْهَارُ مَآكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ نَعِيمُهَا، ذَلِكَ الَّذِي نَالُوهُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يَدَانِيهِ فَوْزٌ.

﴿١٠﴾ فَوَازِلٌ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - انقسام الناس إلى أشقياء وسعداء. ٢ - الإيمان والعمل الصالح سبب للفوز في الدنيا والآخرة.

﴿١٦﴾ والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا التي أنزلناها على رسولنا، أولئك أصحاب النار ماكثين فيها أبداً، وقبح المصير مصيرهم.

﴿١٧﴾ ما أصابت أحداً مصيبةٌ في نفسه أو ماله أو ولده إلا بقضاء الله وقدره، ومن يؤمن بالله وقضائه وقدره يهد قلبه إذا نزلت به مصيبة، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

﴿١٨﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن أعرضتم عما جاءكم به رسوله فإنم ذلك الإعراض عليكم، وليس على رسولنا إلا تبليغ ما أمرناه بتبليغه، وقد بلغكم ما أمر بتبليغه.

﴿١٩﴾ الله هو المعبود بحق، لا معبود بحق غيره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في جميع أمورهم.

﴿٢٠﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم لكونهم يشغلونكم عن ذكر الله، والجهاد في سبيله ويشبطونكم، فاحذروهم أن يؤثروا فيكم، وإن تعفوا عن زلاتهم وعن تشبيطهم لكم عن الجهاد في سبيل الله، فإن الله يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم، والجزاء من جنس العمل.

﴿٢١﴾ إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء واختبار لكم، يحملونكم على كسب الحرام، وترك طاعة الله، والله عنده ثواب عظيم لمن أثار طاعته على طاعة الأولاد، وعلى الانشغال بالمال، وهذا الجزاء العظيم هو الجنة.

﴿٢٢﴾ فاتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه ما استطعتم إلى طاعته سبيلاً، واسمعوا وأطيعوا الله ورسوله، وابدلوا أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ومن يقه الله حرص نفسه فأولئك هم الفائزون بما يطلبونه، والناجون مما يرهبونه.

﴿٢٣﴾ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً؛ بأن تبدلوا من أموالكم في سبيله، يُضاعف لكم الأجر بجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويتجاوز لكم عن ذنوبكم، والله شكور يعطي على العمل القليل الأجر الكثير، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

﴿٢٤﴾ الله سبحانه عالم ما غاب، وعالم ما حضر، لا يخفى عليه من ذلك شيء، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه وقدره.

﴿٢٥﴾ فَوَالَّذِينَ نُنزِّلُ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَعَدُوِّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ فَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاغْوَىٰ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ وَأُولَادَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة الطلاق

﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾

﴿٢٧﴾

﴿٢٨﴾

﴿٢٩﴾

﴿٣٠﴾

﴿٣١﴾

﴿٣٢﴾

﴿٣٣﴾

﴿٣٤﴾

﴿٣٥﴾

﴿٣٦﴾

﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾

﴿٣٩﴾

﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾

﴿٤٢﴾

﴿٤٣﴾

﴿٤٤﴾

﴿٤٥﴾

﴿٤٦﴾

﴿٤٧﴾

﴿٤٨﴾

﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا
 الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
 وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ
 اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ
 اللَّهُ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ
 يَعْرِوْفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ يَعْرِوْفٍ وَأَشْهَدُوا أَدْوَى عَدَلٍ مِنْكُمْ
 وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ
 بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يُبَيِّنُ
 مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
 وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَتْ الْأُحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
 وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
 إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

﴿١﴾ مقصد النبوة: تركز على تعظيم أمر الطلاق وحدوده، وبيان عاقبة التقوى والتعدي على حدود الله.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ يا أيها النبي، إذا أردت أنت أو أراد أحد من أمتك طلاق زوجته فليطلقها لأول عدتها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم يمسه فيها، واحفظوا العدة، لتتمكنوا من مراجعة زوجاتكم فيها إن أردتم مراجعتهم، واتقوا الله ربكم بامثال أوامره، واجتنب نواهيها، لا تخرجوا مطلقاتكم من البيوت التي يسكن فيها، ولا يخرجن بأنفسهن حتى تنقضي عدتهن إلا أن يأتين بفاحشة ظاهرة مثل الزنا، تلك الأحكام هي حدود الله التي حد لعباده، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه حيث أوردتها موارد الهلاك بسبب عصيانه لربه، لا تعلم - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الرغبة في قلب الزوج فيراجع زوجته.

﴿٢﴾ فإذا قاربن انقضاء عدتهن فراجعوهن عن رغبة وحسن معاشره أو اتركوا مراجعتهم حتى تنقضي عدتهن، فيملكن أمر أنفسهن مع إعطائتهن ما لهن من حقوق، وإذا أردتم مراجعتهم أو مفارقتهم فأشهدوا عدلين منكم حسماً للنزاع، واتوا - أيها الشهود - بالشهادة مبتغين وجه الله، ذلك المذكور من الأحكام يُذكر به من كان يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة؛ لأنه هو الذي ينتفع بالتذكير والموعظة، ومن يتق الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيها، يجعل الله له مخرجاً من كل ما يقع فيه من الضيق والحرَج.

﴿٣﴾ ويرزقه من حيث لا يخطر له على بال، ولا يكون في حسبانها، ومن يعتمد على الله في أموره فهو كافيه، إن الله بالغ أمره، لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، قد جعل الله لكل شيء قدراً ينتهي إليه، فللشدة قدر، وللرخاء قدر، فلا يدوم أحدهما على الإنسان.

﴿٤﴾ والمطلقات اللاتي يبسن من أن يحضن لكبر سنهن، إن شككنكم في كيفية عدتهن فعدهن ثلاثة أشهر، واللاتي لم يبلغن سن الحيض لصغرهن فعدهن ثلاثة أشهر كذلك، والحوامل من النساء نهاية عدتهن من طلاق أو وفاة إذا وضعن حملهن، ومن يتق الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيها يُيسر الله له أموره، ويسهل له كل عسير.

﴿٥﴾ ذلك المذكور من أحكام الطلاق والرجعة والعدة حكم الله أنزله إليكم - أيها المؤمنون - لتعملوا به، ومن يتق الله بامثال أوامره واجتنب نواهيها يمح عنه سيئاته التي ارتكبها، ويعطه أجراً عظيماً في الآخرة، وهو دخول الجنة، والحصول على النعيم الذي لا ينفد.

﴿٦﴾ فوائد من الآيات:

- ١ - خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته ما لم تثبت له الخصوصية. ٢ - وجوب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية.
- ٣ - مشروعية رجعة المطلقة قبل انقضاء عدتها. ٤ - الندب إلى الإشهاد حسماً لمادة الخلاف. ٥ - عدة المطلقة بعد الدخول ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض لكبر أو صغر. ٦ - عدة الحامل مطلقاً أو متوفى عنها زوجها وضع حملها. ٧ - كثرة فوائد التقوى وعظمتها.

ولما بين الله حكم الطلاق والرجعة بين حكم النفقة والسكنى فقال:

① أسكنوهن - أيها الأزواج - من حيث سكنتم من وسعكم، فلا يكلفكم الله غيره، ولا تدخلوا عليهن الضرر في النفقة والسكنى ولا في غيرهما رجاء التضييق عليهن، وإن كانت المطلقات حوامل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن، فإن أرضعن لكم أولادكم فأعطوهن أجر إرضاعهن، وتراجعوا في شأن الأجرة بالمعروف، فإن بخل الزوج بما تريده الزوجة من أجرة، وشحت هي فلم ترض إلا بما تريده؛ فليستأجر الأب مرضعة أخرى تُرضع له ولده.

② لينفق من كان له سعة في المال على مطلقته وعلى ولده من سعته، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله منه، لا يكلف الله نفساً إلا ما أعطاه، فلا يكلفها فوقه، ولا فوق ما تطيقه، سيجعل الله بعد ضيق حاله وشدتها سعة وغنى.

ولما ذكر الله جملة من الأوامر حذر من الإعراض عن تلك الأوامر، وبين أن عاقبته سيئة فقال:

③ وما أكثر القرى التي لَمَّا عصت أمر ربها سبحانه وأمر رسوله ﷺ، حاسبناها حساباً عسيراً على أعمالها السيئة، وعذبناها عذاباً فظيماً في الدنيا بالجوع والعري وغيرهما، وفي الآخرة بعذاب النار.

④ فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خساراً في الدنيا، وخساراً في الآخرة.

⑤ هيأ الله لهم عذاباً قوياً، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بامثال أوامره واجتنب نواهيها، حتى لا يحل بكم ما حل بهم، الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله قد أنزل الله إليكم ذكراً يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته.

⑥ هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبینات لا لبس فيها؛ رجاء أن يُخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

⑦ الله هو الذي خلق سبع سماوات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سماوات، يتنزل أمر الله الكوني والشرعي بينهما؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

⑧ فإيا من الآيات:

أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا نَضَارُوهُنَّ لِنَضِفُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَيْنِكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ① لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ② وَكَانَ مِنْ قَرَابَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ ③ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثَكْرًا ④ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا حَسْرًا ⑤ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ⑥ رَسُولًا بَيَّنَّا لَكُمُ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ⑦ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ⑧

عسيراً على أعمالها السيئة، وعذبناها عذاباً فظيماً في الدنيا بالجوع والعري وغيرهما، وفي الآخرة بعذاب النار.

④ فذاقت عقوبة أعمالها السيئة، وكان نهايتها خساراً في الدنيا، وخساراً في الآخرة.

⑤ هيأ الله لهم عذاباً قوياً، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - بامثال أوامره واجتنب نواهيها، حتى لا يحل بكم ما حل بهم، الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله قد أنزل الله إليكم ذكراً يذكركم سوء عاقبة معصيته، وحسن مآل طاعته.

⑥ هذا الذكر هو رسول منه يتلو عليكم آيات الله مبینات لا لبس فيها؛ رجاء أن يُخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً، يدخله الله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله جنة لا ينقطع نعيمها.

⑦ الله هو الذي خلق سبع سماوات، وخلق سبع أرضين مثل خلقه سبع سماوات، يتنزل أمر الله الكوني والشرعي بينهما؛ رجاء أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علماً، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.

⑧ فإيا من الآيات:

١ - وجوب السكنى والنفقة للمطلقة طلاقاً رجعيّاً ما دامت في عدتها ووجوبها للحامل. ٢ - عدم وجوب الإرضاع على الحامل إذا طلقت. ٣ - التكليف لا يكون إلا بالمستطاع. ٤ - ثبوت وجود سبع أرضين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ١ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ
وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ
فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ إِقَامَتْ مِنْ أَتْبَاقِكَ هَذَا قَالَتْ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ
٣ إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَطَاهَرَ عَلَيْهِ
فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ
بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِنْكَ مَسَامِحَةً مَوْمِنَاتٍ فَنِلْتَّ تَيْبَاتٍ عِيدَاتٍ سَيِّحَاتٍ
تَيْبَتٍ وَأَنْكَارًا ٥ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُعَذِّبُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٧

● مقصد السورة: تركز على تربية البيت النبوي؛ ليكون أسوة للأسرة والمجتمع.

● التفسير: ١ يا أيها الرسول، لم تُحَرِّمَ ما أباح الله لك؛ من شرب العسل، ومن الاستمتاع بجاريتك مارية، تتبغى بذلك إرضاء زوجاتك لما غرُنَ منها، والله غفور لك، رحيم بك؟ ٢ قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم إذا حننتم أن تكفروا عنها، والله ناصركم، وهو العليم بأحوالكم وما يصلح لكم، الحكيم في شرعه وقدره. ٣ لقد أخبر النبي ﷺ إحدى زوجاته أنه لن يقترب من جاريتته مارية، ففرحت هذه الزوجة وأخبرت بهذا الخبر نسياناً منها وعجلة، فعاتبها النبي ﷺ بعد أن أخبره الله تعالى وسألته من أخبرك؟ فقال لها: الله تعالى العلي الخبير بكل خفي. ٤ يوجه الله زوجات النبي ﷺ إلى أهمية استحضار أنه رسول الله تعالى فوق أنه زوج،

فحقهن الغيرة عليه والرغبة في دوام الاقتراب منه، لكن هذا الشيء المشروع لا يأذن بأي تجاوز في حق النبي ﷺ، فتجب التوبة من مثل هذا التصرف، والله تعالى إلى جانب رسوله، وكذلك الملائكة والمؤمنون. ٥ عسى ربه سبحانه إن طلقك نبيّه أن يبديله أزواجاً خيراً منك، منقادات لأمره، مؤمنات به وبرسوله، مطيعات لله، ثابتات من ذنوبهن، عابדות لربهن، صائمات، تيبات، وأبكاراً لم يدخل بهن غيره، لكنه لم يطلقهن.

٦ يا أيها الذين آمنوا بالله وعملوا بما شرعه لهم، اجعلوا لأنفسكم وقاية، واجعلوا لأهلكم وقاية من نار عظيمة توقد بالناس وبالْحِجَارَةَ، على هذه النار ملائكة غلاظ على من يدخلها شِدَاد، لا يعصون أمر الله إذا أمرهم، ويفعلون ما يأمرهم به دون تراخ ولا توان. ٧ ويقال للكافرين يوم القيامة: يا أيها الذين كفروا بالله، لا تعتذروا اليوم مما كنتم عليه من الكفر والمعاصي، فلن تُقبَلَ أعذاركم، إنما تجزون في هذا اليوم ما كنتم تعملونه في الدنيا من الكفر بالله وتكذيب رسله.

● فوائده من الآيات:

- ١ - مشروعية الكفارة عن اليمين.
- ٢ - بيان منزلة النبي ﷺ عند ربه ودفاعه عنه.
- ٣ - مسؤولية المؤمن عن نفسه وعن أهله.

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
 الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن
 تَفَوتٍ فَإِرجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
 يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
 الدُّنْيَا بِمَصْبُحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ
 السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ
 ﴿٦﴾ إِذَا الْفُؤَادُ مِن جُوفِهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فُجُجٌ سَأَلْتُمُ خَزَائِنَهَا أَلْيَسَ يَوْمَئِذٍ
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٨﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ
 السَّعِيرِ ﴿٩﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾
 إِنْ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿١﴾ مقصد السورة :
 تركز على إظهار كمال ملك الله وقدرته ؛ بعثاً
 على خشيته، وتحذيراً من عقابه .

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ تعظم وكثر خير الله الذي بيده وحده الملك،
 وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء .

﴿٢﴾ الذي خلق الموت وخلق الحياة
 ليختبركم - أيها الناس - أيكم أحسن عملاً،
 فأحياكم للاختبار، ثم أماتكم، ثم أحياكم؛
 ليجزيكم، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد،
 الغفور لذنوب من تاب من عباده .

﴿٣﴾ الذي خلق سبع سماوات، كل سماء
 طبقة فوق ما قبلها دون تماس بين سماء
 وسماء، ما ترى - أيها الرائي - فيما خلق الله
 أي تفاوت أو عدم تناسب، فارجع البصر
 هل ترى من تشقق أو تصدع، لن ترى ذلك،
 وإنما ترى خلقاً محكماً متقناً .

﴿٤﴾ ثم ارجع البصر مرة بعد مرة يرجع إليك
 بصرك ذليلاً دون أن يرى عيباً أو خللاً في
 خلق السماء، وهو كليل منقطع عن النظر .

﴿٥﴾ ولقد زيننا أقرب سماء إلى الأرض
 بنجوم مضيئة، وجعلنا تلك النجوم شهباً
 تُرجم بها الشياطين التي تسترق السمع فتحرقهم، وهيأنا لهم في الآخرة عذاب النار المُستعرة .

﴿٦﴾ وللذين كفروا بربههم يوم القيامة عذاب جهنم، وساء المصير مصيرهم الذي يرجعون إليه .

﴿٧﴾ إذا طرخوا في النار سمعوا صوتاً قبيحاً شديداً، وهي تغلي مثل غليان الجوزجل .

﴿٨﴾ يكاد ينفصل بعضها عن بعض، ويتميز من شدة غضبها على من يدخل فيها، كلما رُميت فيها دفعة من
 أصحابها سألتهم الملائكة الموكلون بها سؤال تفرغ : ألم يأتكم في الدنيا رسول يخوفكم من عذاب الله؟

﴿٩﴾ قالوا : بلى، قد جاءنا رسول يخوفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا له : ما نزل الله من وحي، لستم - أيها
 الرسل - إلا في ضلال عظيم عن الحق .

﴿١٠﴾ وقالوا : لو كُنَّا نسمع سماعاً يُنتفع به، أو نعقل عقل من يميز الحق من الباطل، ما كنا في جملة أصحاب
 النار، بل كُنَّا نؤمن بالرسول، ونصدق بما جاؤوا به، ونكون من أصحاب الجنة .

﴿١١﴾ فأقرؤا على أنفسهم بالكفر والتكذيب فاستحقوا النار، فبعُدوا لأصحاب النار .

ولما ذكر الله صفات أهل الكفر وجزاءهم، عقبها بذكر صفات أهل الإيمان وجزائهم فقال :

﴿١٢﴾ إن الذين يخافون الله بالغيب، لهم مغفرة لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم وهو الجنة .

﴿١٣﴾ فإذ من الآيات :

١ - خَلَقَ اللَّهُ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِاخْتِبَارِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ . ٢ - خَلَقَ اللَّهُ خَالٍ مِنَ الْعُيُوبِ مُتَّقَنٌ .

٣ - حَتَّىٰ جَهَنَّمَ عَلَى الْكُفْرَانِ وَغَيْظِهَا غَيْرَةَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ . ٤ - الْإِقْرَارُ حِجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ .

١٣ وأخفوا - أيها الناس - كلامكم أو أعلنوه،
فإنه يعلمه، إنه سبحانه عليم بما في قلوب
عباده، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

١٤ ألا يعلم الذي خلق الخلائق كلها السرّ
وما هو أخفى من السرّ؟ وهو اللطيف بعباده،
الخبير بأمرهم، لا يخفى عليه منها شيء.

١٥ هو الذي جعل لكم الأرض سهلة لينة
للسكن عليها، فسيروا في جوانبها وأطرافها،
وكلوا من رزقه الذي أعد لكم فيها، وإليه وحده
بعضكم للحساب والجزاء.

١٦ أم أنتم الله الذي في السماء أن يقلع
الأرض من تحتكم كما اقتلعها من تحت قارون
بعد أن كانت سهلة مذلة للسكن عليها، فإذا
هي تضطرب بكم بعد استقرارها؟

١٧ أم أنتم الله الذي في السماء أن يبعث
عليكم حجارة من السماء مثل ما بعثها على قوم
لوط؟ فستعلمون حين تعابنون عقابي إنذاري
لكم، لكنكم لن تنتفعوا به بعد معاناة العذاب.

١٨ ولقد كذبت الأمم التي سبقت هؤلاء
المشركين، فنزل عليهم عذاب الله لما أصرّوا
على كفرهم وتكذيبهم، فكيف كان إنكاري
عليهم؟ لقد كان إنكارًا شديدًا.

١٩ أولم يشاهد هؤلاء المكذبون الطير فوقهم
مضطفا بعضها جنب بعض، ما يمسكهن أن
يقعن على الأرض إلا الله، إنه بكل شيء
بصير، لا يخفى عليه منه شيء.

٢٠ وأسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور ١٣

١٤ يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ١٤ هو الذي جعل لكم
الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور

١٥ أم أنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي

تمور ١٦ أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا

فستعلمون كيف نذير ١٧ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف

كان نكير ١٨ أولم يروا إلى الطير فوقهم صفتت ويقضن ما

يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير ١٩ أم هذا الذي

هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور

٢٠ أم هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوف عنق

ونفور ٢١ أم من يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً

على صراط مستقيم ٢٢ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع

والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ٢٣ قل هو الذي ذرأكم

في الأرض وإليه تحشرون ٢٤ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم

صادقين ٢٥ قل إنما العلام عند الله وإنما أنا نذير مبين ٢٦

٢٧ قل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الله وأطيعوا

رسله فاعلموا أن الله شديد العقاب

٢٠ لا جند لكم - أيها الكفار - يمنعكم من عذاب الله إن أراد أن يعذبكم، ليس الكافرون إلا مخدوعين، خدعهم
الشیطان فاغترّوا به.

٢١ ولا أحد يرزقكم إن منع الله رزقه أن يصل إليكم، بل الحاصل أن الكفار تمادوا في العناد والاستكبار،
والامتناع عن الحق.

٢٢ أم من يمشي واقفاً على وجهه؛ مُكَبًّا عليه - وهو المشرك - أهدى أم المؤمن الذي يمشي مستقيماً على طريق
مستقيم؟

٢٣ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم، وجعل لكم أسماعاً تسمعون بها،
وأبصاراً تبصرون بها، وقلوباً تعقلون بها، قليلاً ما تشكرونه على نعمه التي أنعم بها عليكم.

٢٤ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المكذبين: الله هو الذي خلقكم في الأرض، لا أصنامكم التي لا تخلق
شيئاً، وإليه وحده يوم القيامة تُجْمَعون للحساب والجزاء، لا إلى أصنامكم، فخافوه واعدوه وحده.

٢٥ ويقول المكذبون بالبعث استبعاداً للبعث: متى هذا الوعد الذي تعدنا - يا محمد - أنت وأصحابك إن كنتم
صادقين في دعواكم أنه أت؟

٢٦ قل - أيها الرسول -: إنما علم الساعة عند الله، لا يعلم متى تقع إلا هو، وإنما أنا منذر لكم مبين واضح في نذارتني.

٢٧ قل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الله وأطيعوا رسله فاعلموا أن الله شديد العقاب

٢٨ قل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الله وأطيعوا رسله فاعلموا أن الله شديد العقاب

٢٩ قل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا الله وأطيعوا رسله فاعلموا أن الله شديد العقاب

١٦) سنضع علامة على أفئه تُشبهه وتلازمه .

١٧) إنا اختبرنا هؤلاء المشركين بالحقط والجوع كما اختبرنا أصحاب الحديدية حين حلفوا ليقطعن ثمارها وقت الصباح مسارعين حتى لا يطعم منها مسكين .

١٨) ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم : (إن شاء الله) .

١٩) فأرسل الله إليها نارا ، فأكلتها وأصحابها نيام لا يستطيعون دفع النار عنها .

٢٠) فأصبحت سوداء كالليل المظلم .

٢١) فتأدى بعضهم بعضا وقت الصباح .

٢٢) قائلين : اخرجوا مبكرين على حرثكم قبل مجيء الفقراء إن كنتم قاطعين ثماره .

٢٣) فساروا إلى حرثهم . مسرعين يحدث بعضهم بعضا بصوت منخفض .

٢٤) يقول بعضهم لبعض : لا يدخلن الحديدية عليكم اليوم مسكين .

٢٥) وغدوا على منع ثمارهم وإساکها عازمين .

٢٦) فلما شاهدوها على ما صارت عليه قال بعضهم لبعض : لقد ضللنا طريقها .

٢٧) بل نحن ممنوعون من جني ثمارها بما حصل منا من عزم على منع المساكين منها .

٢٨) قال أفضلهم : ألم أقل لكم حين عزمتم على ما عزمتم عليه من حرمان الفقراء منها : هلا تسبحون الله ، وتوبون إليه؟

٢٩) قالوا : سبحان ربنا ، إنا كنا ظالمين لأنفسنا حين عزمنا على منع الفقراء من ثمار حديقتنا .

٣٠) فأقبل بعضهم على بعضهم يلومهم .

٣١) قالوا من الندم : يا خسارنا إنا كنا متجاوزين الحد بمنعنا الفقراء حقهم .

٣٢) عسى ربنا أن يعوضنا خيرا من الحديدية ، إنا إلى الله وحده راغبون ، نرجو منه العفو ، ونطلب منه الخير .

٣٣) مثل هذا العذاب بالحرمان من الرزق نعذب من عصانا ، ولعذاب الآخرة أعظم لو كانوا يعلمون شدته ودوامه .

٣٤) إن للمؤمنين الله بامثال أوامره واجتباب نواهيهِ ، عند ربهم جنات النعيم يتنعمون فيها ، لا ينقطع نعيمهم .

٣٥) أفنجعل المسلمين كالكفار في الجزاء كما يزعم المشركون من أهل مكة؟

٣٦) ما لكم - أيها المشركون - كيف تحكمون هذا الحكم الجائر الأعوج؟

٣٧) أم لكم كتاب فيه تقرؤون المساواة بين المطيع والعاصي؟

٣٨) إن لكم في ذلك الكتاب ما تخبرونه لكم في الآخرة .

٣٩) أم لكم علينا عهود مؤكدة بالإيمان مقتضاها أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم؟

٤٠) سل - أيها الرسول - القائلين هذا القول : أيهم كفيل به؟

٤١) أم لهم شركاء من دون الله يساوونهم في الجزاء مع المؤمنين؟ فليأتوا بشركائهم هؤلاء إن كانوا صادقين فيما يدعون من أنهم ساوونهم مع المؤمنين في الجزاء .

٤٢) يوم القيامة يبدو الهول ، ويدعى الناس إلى السجود فيسجد المؤمنون ، ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون أن يسجدوا .

٤٣) فإذ من الآية : ١ - منع حق الفقير سبب في هلاك المال . ٢ - لا يستوي المؤمن والكافر في الجزاء ، كما لا تستوي صفاتهما .

٤٦ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة وندامة، وقد كانوا في الدنيا يُدْعون إلى أن يسجدوا لله وهم في معافاة مما هم فيه اليوم.
 ٤٧ فاتركني - أيها الرسول - ومن يكذب بهذا القرآن المنزل عليك، سنسوقهم إلى العذاب درجة درجة من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم واستدراج لهم.
 ٤٨ وأمهلهم زمناً ليتدادوا في إنهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفوتوني، ولا يسلمون من عقابي.

٤٩ هل تطلب منهم - أيها الرسول - ثواباً على ما تدعوهم إليه، فهم بسبب ذلك يتحملون أمراً عظيماً، فهذا سبب إعراضهم عنك، والواقع خلاف ذلك، فأنت لا تطلبهم أجراً، فما المانع لهم من اتباعك؟
 ٥٠ أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يحلو لهم من الحجج التي يحاجونك بها؟
 ٥١ فاصبر - أيها الرسول - لما حكم به ربك من استدراجهم بالإمهال، ولا تكن مثل صاحب الحوت يونس عليه السلام في التضجر من قومه؛ إذ نادى ربه وهو مكروب في ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.

٥٢ لولا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت إلى أرض خلاء وهو مَلُوم، لكن رحمة الله أدركته فلم ينبذه الحوت مَلُوماً.
 ٥٣ فاختاره ربه، وأكرمه بالنبوة، فجعله من عباده الصالحين.

٥٤ وإن يكاد الذين كفروا بالله، وكذبوا رسوله ليصّرعونك بأبصارهم من شدة إحداد النظر إليك، لما سمعوا هذا القرآن المنزل عليك، ويقولون اتباعاً لأهوائهم، وإعراضاً عن الحق: إن الرسول الذي جاء به لمجنون.
 ٥٥ وما القرآن المنزل عليك إلا موعظة وتذكيراً للإنس والجن.

خَشِيعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ
 ٤٧ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٨ وَأَمَلْ لَهُمْ أَنْ كِيدِي مَتِينٌ ٤٩ أَمْ قَسَمَلَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرُومٍ مُثْقَلُونَ ٥٠ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ٥١ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ٥٢ تَوَلَّى أَنْ تَدْرِكَهُ نِعْمَةُ رَبِّهِ لَنْ يُبَدِّلَهَا لِلْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ٥٣ فَاجْنِبْ رِبِّيهِ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٥٤ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْ جُنُونٌ ٥٥ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥٦

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١ الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَصَّصَتْ عَلَيْهِمْ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ مُنْخَلٍ خَاوِبَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨

٩ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ مِنْ شِدَّةِ إِحْدَادِ النَّظَرِ إِلَيْكَ، لَمَّا سَمِعُوا هَذَا الْقُرْآنَ الْمُنزَلَ عَلَيْكَ، وَيَقُولُونَ اتِّبَاعًا لِأَهْوَائِهِمْ، وَإِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ: إِنَّ الرَّسُولَ الَّذِي جَاءَ بِهِ لَمَجْنُونٌ.
 ١٠ وَمَا الْقُرْآنَ الْمُنزَلَ عَلَيْكَ إِلَّا مَوْعِظَةً وَتَذَكِيرًا لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

سورة الفرقان
 — مَكْتَبَةٌ —

مقصد السورة: تركز على حتمية وقوع القيامة تأكيداً لصدق القرآن، ووعداً للمؤمنين بالفرحة، ووعيداً للمكذابين بالحسرة.
 التفسير:
 ١ يذكر الله ساعة البعث التي تحق على الجميع.
 ٢ ثم يعظم أمرها بهذا السؤال.
 ٣ ثم يسأل رسوله تعظيماً لشأنها مرة أخرى قائلاً: ما تدري من أخبارها يوم تحاسب الأمم الكافرة؟
 ٤ كذبت ثمود قوم صالح، وعاد قوم هود بالقيامة التي تفرع الناس من شدة أهوالها.
 ٥ فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة التي بلغت الغاية في الشدة والهول.
 ٦ وأما عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم.
 ٧ أرسلها الله عليهم مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام تفنيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هلكتي مصروعين في الأرض، كأنهم بعد إهلاكهم أصول نخل ساقطة على الأرض بالية.
 ٨ فهل ترى لهم نفساً باقية بعدما أصابهم من العذاب؟
 ٩ فإن من الآيات: ١ - الصبر خلق محمود لازم للدعاة وغيرهم. ٢ - تنوع ما يرسله الله على الكفار والعصاة من عذاب.

١١ وجاء فرعون ومن قبله من الأمم، وقرى قوم لوط بالأفعال الخاطئة من الشرك والمعاصي.

١٢ فعصى كل منهم رسوله الذي بعث إليهم وكذبه، فأخذهم الله أخذة زائدة على ما يتم به هلاكهم.

١٣ إنا لما تجاوز الماء حدّه في الارتفاع حملنا من كنتم في أصلابهم في السفينة الحارية التي صنعها نوح عليه السلام بأمرنا، فكان حملاً لكم. لنجعل السفينة وقصتها موعظة يُستدل بها على إهلاك أهل الكفر، وإنقاذ أهل الإيمان، وتحفظها أذن حافظة لما تسمع.

١٤ فإذا نفخ الموكل بالنفخ في القرن نفخة واحدة وهي النفخة الثانية.

١٥ ورُفعت الأرض، ورُفعت الجبال فدُفنت دفة واحدة شديدة فرقت أجزاء الأرض وأجزاء جبالها.

١٦ فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة.

١٧ وتشقق السماء يومئذ لنزول الملائكة منها، فهي في ذلك اليوم ضعيفة بعد أن كانت شديدة متماسكة.

١٨ والملائكة على أطرافها وحافاتهما، ويحمل عرش ربك في ذلك اليوم العظيم ثمانية من الملائكة المقربين.

١٩ في ذلك اليوم تُعرضون - أيها الناس -

على الله، لا تخفي على الله منكم خافية أيًا كانت، بل الله عليم بها مطلع عليها.

٢٠ فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فهو يقول من السرور والبهجة: خذوا أقرؤوا كتاب أعمالى.

٢١ إني علمت في الدنيا وأيقنت أي مبعوث، وملاق جزائي.

٢٢ فهو في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.

٢٣ في جنة رفيعة المكان والمكانة. ٢٣ ثمارها قريبة ممن يتناولها.

٢٤ يقال تكريمًا لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً لا أذى فيه بما قدمتم من الأعمال الصالحات في الأيام الماضية في الدنيا.

٢٥ وأما من أعطى كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالى لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي.

٢٦ ويا ليتني لم أعرف أي شيء حسابي. ٢٦ يا ليت الموتة التي متها كانت الموتة القاضية، فلا أُنعت بعدها أبدًا.

٢٧ لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئاً. ٢٧ غابت عني حجتي وما كنت أعتد عليه من قوة وجه.

٢٨ ويقال: خذوه - أيها الملائكة - واجمعوا يده إلى عنقه. ٢٨ ثم أدخلوه النار ليعاني حرّها.

٢٩ ثم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً أدخلوه.

٣٠ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.

٣١ ولا يحث غيره على إطعام المسكين.

٣٢ **فوائد من الآيات: ١ -** أخذ الكتاب باليمين يوم القيامة علامة السعادة، وأخذ بالشمال علامة الشقاء.

٢ - أهمية إطعام الفقير، والحض عليه في الإسلام.

﴿٣٥﴾ فليس له يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب .
 ﴿٣٦﴾ وليس له طعام يطعمه إلا من عصارة أبدان
 أهل النار .

﴿٣٧﴾ لا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب الذنوب
 والمعاصي .

﴿٣٨﴾ فلا أقسم بما تشاهدون .

﴿٣٩﴾ ولا أقسم بما لا تشاهدون .

﴿٤٠﴾ إن القرآن لكلام الله، يتلوه على الناس
 رسوله الكريم .

﴿٤١﴾ وليس بقول شاعر، قليلاً ما تؤمنون .

﴿٤٢﴾ وليس بقول كاهن، فالكهانة أمر مُغَايِر لهذا
 القرآن، قليلاً ما تتذكرون، إذ لو تذكركم لعلمتم
 أنه ليس قول كاهن إذ لا يشبهه .

﴿٤٣﴾ ولكنه منزل من رب الخلائق كلهم .

﴿٤٤﴾ ولو تَقَوَّلَ علينا محمد بعض الأقاويل التي
 لم نقلها .

﴿٤٥﴾ لا نتقننا منه وأخذنا منه باليمين .

﴿٤٦﴾ ثم لقطنا منه العرق المتصل بالقلب .

﴿٤٧﴾ فليس منكم من يمنعا منه، فبيد أن يَقَوَّلَ
 علينا من أجلكم .

﴿٤٨﴾ وإن القرآن لموعظة للمتقين لربهم بامثال
 أوامره واجتناب نواهيهِ .

﴿٤٩﴾ وإنا لعلم أن من بينكم من يكذب بهذا القرآن .

﴿٥٠﴾ وإن التكذيب بالقرآن لندامة عظيمة يوم
 القيامة .

﴿٥١﴾ وإن القرآن لهو حق اليقين الذي لا مِرْيَةَ
 ولا ريب أنه من عند الله .

﴿٥٢﴾ فترّه - أيها الرسول - ربك عما لا يليق به، واذكر اسم ربك العظيم .

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :

تركز على تأكيد وقوع العذاب على الكافرين، والنعيم للمصدقين بيوم الدين .

﴿٢﴾ التفسير :

﴿١﴾ دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بعذاب إن كان هذا العذاب حاصلاً، وهو سخرية منه، وهو واقع بهم
 يوم القيامة .

﴿٢﴾ للكافرين بالله، ليس له دافع يدفعه عنهم .

﴿٣﴾ من الله ذي العلو والدرجات والفواضل والنعيم .

﴿٤﴾ تصعد إليه الملائكة وجبريل في تلك الدرجات، في يوم القيامة . هذا العذاب واقع بهم في يوم طويل هو يوم
 القيامة، ومقداره خمسون ألف سنة .

﴿٥﴾ فاصبر - أيها الرسول - صبراً لا جَزَع فيه ولا شكوى . ﴿٦﴾ إنهم يرون هذا العذاب بعيداً مستحيل الوقوع .

﴿٧﴾ ونراه نحن قريباً واقعاً لا محالة . ﴿٨﴾ يوم تكون السماء مثل المذاب من النحاس والذهب .

﴿٩﴾ وتكون الجبال مثل الصوف في الخفة . ﴿١٠﴾ ولا يسأل قريب قريباً عن حاله؛ لأن كل واحد مشغول بنفسه .

﴿١١﴾ فإن من الآيات: ١ - تنزيه القرآن عن الشعر والكهانة . ٢ - خطر التَقَوُّلِ على الله والافتراء عليه سبحانه .

١١ يشاهد كل إنسان قريبه لا يخفى عليه، ومع ذلك لا يسأل أحد أحدًا لهول الموقف، يود من استحق النار أن يفتدي من عذاب ذلك اليوم بأولاده.

١٢ ويفتدي بزوجته وأخيه.

١٣ ويفتدي بعشيرته الأقربين منه، الذين يقفون معه في الشدائد.

١٤ ويفتدي بمن في الأرض جميعًا من الإنس والجن وغيرهما، ثم يسلمه ذلك الافتداء، وينقذه من عذاب النار.

١٥ ليس الأمر كما تمنى هذا المحرم، إنها نار الآخرة تلتهب وتشتعل.

١٦ نزاعة لجلدة الرأس من شدة حرها واشتعالها.

١٧ تنادي من أدبر عن الحق، وتولى عنه ولم يؤمن به ولم يعمل.

١٨ وجمع المال، وضم بالإتفاق منه في سبيل الله.

١٩ إن الإنسان خلق شديد الحرص.

٢٠ إذا أصابه ضر من مرض أو فقر كان كثير الجزع.

٢١ وإذا أصابه ما يسر به من خصب وغنى كان كثير المنع لبلذله في سبيل الله.

٢٢ إلا المصلين، فهم سالمون من تلك الصفات الذميمة.

٢٣ الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا ينشغلون عنها، ويؤدونها في وقتها المحدد لها.

٢٤ والذين في أموالهم نصيب محدد مفروض.

٢٥ يدفعونه لمن يسألهم من الفقراء، ولمن لا يسألهم منهم.

٢٦ والذين يصدقون بيوم القيامة، يوم يجازي الله كلًا بما يستحقه.

٢٧ والذين هم من عذاب ربهم خائفون، لا ينظرون إلى أعمالهم الصالحة. ٢٨ إن عذاب ربهم لا يأمنه عاقل.

٢٩ والذين هم لفروجهم حافظون بإبعادها عن الفواحش.

٣٠ إلا من زوجاتهم أو ما ملكوا من الإماء السبايا في قتال في سبيل الله، فإنهم غير ملومين في التمتع بهن بالطوء فما دونه.

٣١ فمن طلب الاستمتاع بغير ما ذكر من الزوجات والإماء السبايا في قتال في سبيل الله، فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله.

٣٢ والذين هم لما اتتموا عليه من الأموال والأسرار وغيرهما، ولعهودهم التي عاهدوا عليها الناس حافظون، لا يخونون أماناتهم، ولا ينقضون عهودهم. ٣٣ والذين هم قائلون بشهادتهم على الوجه المطلوب، لا تؤثر قرابة ولا عداوة فيها.

٣٤ والذين هم على صلاتهم يحافظون؛ بأدائها في وقتها، وبطهاره وطمأنينة، لا يشغلهم عنها شاغل.

٣٥ أولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات مكرمون؛ بما يلقونه من النعيم المقيم، والنظر إلى وجه الله الكريم.

٣٦ ما الذي جر هؤلاء المشركين من قومك - أيها الرسول - حوَاليك مسرعين إلى التكذيب بك؟

٣٧ محيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات.

٣٨ يأمل كل واحد منهم أن يدخله الله جنة النعيم، يتنعم بما فيها من النعيم المقيم، وهو باق على كفره؟

٣٩ ليس الأمر كما تصوّروا، إنا خلقناهم مما يعرفونه، فقد خلقناهم من ماء حقيق، فهم ضعفاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فكيف يتكبرون؟

٤٠ فإن من الآيات: ١ - يود أهل النار أن ينجوا منها بكل وسيلة مما كانوا يعرفونه من وسائل الدنيا، ولكن لا سبيل إلى هذا أبدًا.

﴿٤١﴾ فلا أقسم برب مشارق الشمس والقمر،
وغيرهما من الكواكب، فإننا لقادرون.

﴿٤٢﴾ على تبديلهم بغيرهم ممن يطيع الله،
ونهلكهم هم، لا نعجز عن ذلك، ولسنا
بمغلوبين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.

﴿٤٣﴾ فاتركهم - أيها الرسول - يخوضوا فيما هم
فيه من الباطل والضلال، ويلعبوا في حياتهم
الدنيا إلى أن يلاقوا يوم القيامة الذي كانوا
يوعدون به في القرآن.

﴿٤٤﴾ يوم يخرجون من القبور سراعاً كأنهم إلى
علم يتسابقون.

﴿٤٥﴾ ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم
الذي كانوا يوعدون به في الدنيا، وكانوا لا يبالون به.

سورة نوح

مكية

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على قضية صبر الدعاة وجهادهم في
الدعوة، من خلال قصة نوح، تشبيهاً للمؤمنين،
وتهديداً للمكذبين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ إنا بعثنا نوحاً إلى قومه يدعوهم ليخوف
قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجه بسبب ما
هم عليه من الشرك بالله.

﴿٢﴾ قال نوح لقومه: يا قوم، إني لكم منذر بين
الإنذار من عذاب موجه ينتظركم إن لم تتوبوا

﴿٤٦﴾ فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقديرون ﴿٤٧﴾ على أن نبديل خيرا بينهم
وما نحن بمسبوقين ﴿٤٨﴾ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون ﴿٤٩﴾ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون
﴿٥٠﴾ خشعة أبصرهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴿٥١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا
اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَعْبُرْ لَكُمْ مِنَ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُرَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾
ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ
لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

إلى الله.

﴿١﴾ ومقتضى إنذاري لكم أن أقول لكم: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه بامتثال أوامره، واجتنب
نواهي، وأطيعوني فيما أمركم به.

﴿٢﴾ إنكم إن فعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويُطلِّأمد أمتكم في الحياة إلى وقت
محدد في علم الله، تعملون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون لبادرتم
إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.

﴿٣﴾ قال نوح: يا رب، إني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيدك ليلاً ونهاراً باستمرار.

﴿٤﴾ فلم تزدتهم دعوتي لهم إلا نفوراً وبعداً مما أدعوهم إليه.

﴿٥﴾ وإني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم من عبادتك وحدك ومن طاعتك وطاعة رسولك سدوا آذانهم
بأصابعهم؛ ليمنعوها من سماع دعوتي، وغطوا وجوههم بثيابهم حتى لا يروني، واستمروا على ما هم عليه من
الشرك، وتكبروا عن قبول ما أدعوهم إليه، والإذعان له.

﴿٦﴾ ثم إني - يا رب - دعوتهم علانية.

﴿٧﴾ ثم إني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسرتت إسراً خفياً، ودعوتهم بصوت منخفض، متوَعاً لهم أسلوب دعوتي.

﴿٨﴾ فقلت لهم: يا قوم، اطلبوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه سبحانه كان غفاراً لذنوب من تاب إليه من عباده.

﴿٩﴾ فوائد من الآيات:

١ - خطر الغفلة عن الآخرة. ٢ - عبادة الله وتقواه سبب لغفران الذنوب. ٣ - الاستمرار في الدعوة، وتنويع
أساليبها حق واجب على الدعاة.

﴿١١﴾ فَإِنكُمْ إِن فَعَلْتُمْ ذَلِكَ يَنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمَطْرَ مُتَابِعًا كَمَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ، فَلَا يَصِيْبِكُمْ قَطْ.

﴿١٢﴾ وَيُكَثِّرُ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، وَيَجْعَلُ لَكُمْ بَسَاتِينَ تَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَرِهَا، وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا تَشْرَبُونَ مِنْهَا وَتَسْقُونَ زُرُوعَكُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ.

﴿١٣﴾ مَا شَأْنِكُمْ - يَا قَوْمَ - لَا تَخَافُونَ عِظْمَةَ اللَّهِ حَيْثُ تَعْصُونَ دُونَ مِثَالِهَا؟

﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقْنَا فَمُضْغَةً.

﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، سَمَاةً فَوْقَ سَمَاةٍ.

﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِنْهُنَّ ضِيَاءً لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَجَعَلَ الشَّمْسُ مَضِيئَةً.

﴿١٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِخَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَتَغَدَّوْنَ بِمَا تُنْتِجُهُ لَكُمْ.

﴿١٨﴾ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا بَعْدَ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ لِلْبَيْتِ مِنْهَا إِخْرَاجًا.

﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَبْسُوطَةً مَهِيئَةً لِلشُّكْنِ.

﴿٢٠﴾ رَجَاءً أَنْ تَسْلُكُوا مِنْهَا طَرِيقًا وَاسِعَةً سَعِيًّا لِلْكَسْبِ الْحَلَالِ.

﴿٢١﴾ قَالَ نُوحٌ: يَا رَبِّ، إِنَّ قَوْمِي عَصَوْني فِيمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِكَ وَعِبَادَتِكَ وَحَدِّكَ، وَاتَّبَعَ السَّفَلَةَ مِنْهُمْ رُؤْسَاءَهُمُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ

إِلَّا خُسْرًا، حَيْثُ زَادُوا ضَلَالًا فِي الدُّنْيَا، وَزَادُوا عِقَابًا فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢٢﴾ وَمَكَرَ الْأَكْبَارُ مِنْهُمْ مَكْرًا عَظِيمًا بِتَحْرِيشِهِمْ سَفَلَتَهُمْ عَلَى نُوحٍ.

﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لِأَتْبَاعِهِمْ: لَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ آلِهَتِكُمْ، وَلَا تَتْرُكُوا عِبَادَةَ وَدٍّ وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْوْثَ وَلَا يَعْوْقَ وَلَا نَسْرَ، وَهَذِهِ مِنْ أَصْنَامِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا بِأَصْنَامِهِمْ هَذِهِ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، وَلَا تَزِدُ - يَا رَبِّ - الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا ضَلَالًا عَنِ الْحَقِّ.

﴿٢٥﴾ بِسَبَبِ خَطِيئَاتِهِمُ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا أُغْرِقُوا بِالطُّوفَانِ فِي الدُّنْيَا، فَأَدْخَلُوا النَّارَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ مُبَاشِرَةً، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا يَنْقُذُونَهُمْ مِنَ الْغُرُقِ وَالنَّارِ.

﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ لَمَّا أَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ: يَا رَبِّ، لَا تَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ أَحَدًا.

﴿٢٧﴾ إِنَّكَ - رَبَّنَا - إِن تَتْرُكُهُمْ وَتَمَهِّلُهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَلِدُوا إِلَّا صَاحِبَ فُجُورٍ لَا يَطِيعُكَ، وَشَدِيدَ كُفْرٍ لَا يَشْكُرُكَ عَلَى نِعْمِكَ.

﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَاغْفِرْ لِرِجَالِي، وَاغْفِرْ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا، وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَلَا تَزِدْ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمُ بِالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا هَلَاكًا وَخُسْرَانًا.

﴿٢٩﴾ فَوَيْلٌ مِنَ الْآيَاتِ:

١ - الاستغفار سبب لنزول المطر وكثرة الأموال والأولاد.

٢ - دور الأكاير في إضلال الأصاغر ظاهر مُشَاهِد.

٣ - الذنوب سبب للهلاك في الدنيا، ولعذاب الآخرة.

﴿١١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنِينَ وَيَجْعَلُ

لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾

وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

طَبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٧﴾

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾ لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا

سَبِيلًا فَيَجَاجِبَ ﴿٢١﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ

مَالًا وَوَلَدَةً إِلَّا خُسْرًا ﴿٢٢﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا

لَا نَذَرُكَ يَا إِلَهَتَكُمُ وَلَا نَذَرُكَ وَدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعْوْثَ وَيَعْوْقَ

وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا النَّارَ فَتَمَّ يَحْدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ

اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ

دِيَارًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا

كَفَارًا ﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِرِجَالِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي

مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَابَارًا ﴿٢٩﴾

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَىٰ أَنِّي أَنَا سَمِعَ نَفْرَمِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ٢ وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَيْتَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَبًا بَارِصًا ٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ١٠ وَأَنَّا مَنَّا الصَّالِحُونَ وَمَنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ١١ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَعْجَزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نَّعْجِزَهُمْ هَرَبًا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهْدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ١٣

﴿١﴾ مقصد الشوكة: تركز على تصديق نزول القرآن وأنه من عند الله، من خلال نموذج إيمان الجن، إبطالا لمزاعم المشركين فيهم.

﴿٢﴾ التفسير: قل - أيها الرسول - لأمتك: أوحى الله إلي أنه استمع إلى قراءتي للقرآن جماعة من الجن بيطن نخلة، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا لهم: إنا سمعنا كلامًا مقروءًا مُعْجَبًا في بيانه وفضاحته.

﴿٣﴾ هذا الكلام الذي سمعناه يدل على الصواب في الاعتقاد والقول والعمل، فصدقتنا به، ولن نشرك بربنا الذي أنزله أحدًا.

﴿٤﴾ وأما بأنه - تعالت عظمة ربنا وجلاله - ما اتخذ زوجة ولا ولدًا كما يقول المشركون.

﴿٥﴾ وأنه كان يقول المشرك الجاهل منا على الله ما هو غلو من نسبة الزوجة والولد إليه سبحانه.

﴿٦﴾ وأنا حسبنا أن المشركين من الإنس والجن لا يقولون الكذب حين كانوا يزعمون أن له صاحبة وولداً، فصدقتنا قولهم تقليداً لهم.

﴿٧﴾ وأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يستعيذون برجال من الجن عندما ينزلون بمكان مخوف، فيقول أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فازداد رجال الإنس خوفاً ورعباً من رجال الجن.

﴿٨﴾ وأن الإنس ظنوا كما ظننتم - أيها الجن - أن لن يبعث الله أحدًا بعد موته للحساب والجزاء.

﴿٩﴾ وأنا طلبنا خبر السماء، فوجدنا السماء مُلئت حرساً قوياً من الملائكة يحرسونها من استراق السمع الذي كانوا يقوم به، ومُلئت شُهَبًا يُرمي بها كل من يقرب منها.

﴿١٠﴾ وأنا كنا في السابق نتخذ من السماء مواقع نستمع منها ما يتداوله الملائكة، فنخبر به الكهنة من أهل الأرض، وقد تغير الأمر، فمن يستمع منا الآن يجد مُشْتَعَلًا معداً له، فإذا اقترب أُرسِلَ عليه فأحرقه.

﴿١١﴾ وأنا لا نعلم ما سبب هذه الحراسة الشديدة؛ أأريد شرُّ بأهل الأرض، أم أن الله أراد بهم خيراً، فقد انقطع عنا خبر السماء.

﴿١٢﴾ وأنا - معشر الجن - بعد ما سمعنا من القرآن: منَّا المتقون الأبرار، ومنَّا من هم كفار وفساق، كُنَّا أَصْنَافًا مختلفة وأهواء متباينة.

﴿١٣﴾ وأنا أيقننا أننا لن نفوت الله سبحانه إذا أراد بنا أمراً، ولن نفوته هرباً لإحاطته بنا.

﴿١٤﴾ وأنا لما سمعنا القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم آمنا به، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصاً لحسناته، ولا إنمناً يضاف إلى آثامه السابقة.

﴿١٥﴾ قوله من الآيات:

- ١ - تأثير القرآن البالغ في مَنْ يستمع إليه بقلب سليم.
- ٢ - الضلال كما يوجد في الإنس يكون في الجن، بل هو أكثر.
- ٣ - الاستغاثة بالجن من الشرك بالله.
- ٤ - بطلان الكهانة ببعثة النبي ﷺ.
- ٥ - من أدب المؤمن أن لا يُنسب الشر إلى الله.

﴿١٤﴾ وأنا منا المسلمون المقادون لله بالطاعة، ومنا الجاثرون عن طريق القصد والاستقامة، فمن خضع لله بالطاعة والعمل الصالح فأولئك الذين قصدوا الهداية والصواب.

﴿١٥﴾ وأما الجاثرون عن طريق القصد والاستقامة فكانوا لجهنم حطباً توقد به مع أمثالهم من الإنس.

﴿١٦﴾ وأوحى الله إلي أنه لو استقام الجن والإنس على طريق الإسلام، وعملوا بما فيه، لسقاهم الله ماءً كثيراً، وأمدهم بنعم متنوعة.

﴿١٧﴾ لنختبرهم فيه أيشكرون نعمة الله أم يكفرونها؟ ومن يُعرض عن القرآن، وعمّا فيه من المواعظ، يدخله ربه عذاباً شاقاً لا يستطيع تحمّله.

﴿١٨﴾ وأوحى الله إلي أن المساجد له سبحانه لا لغيره، فلا تدعوا مع الله فيها أحداً، فتكونوا مثل اليهود والنصارى في كنانسهم وبيعهم.

﴿١٩﴾ وأوحى الله إلي أنه لما قام عبد الله محمد ﷺ يعبد ربه ببطن نخلة، كاد الجن يكونون مُتراكمين عليه من شدة الزحام عند سماعهم قراءته للقرآن.

﴿٢٠﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنما أدعو ربي وحده، ولا أشرك به غيره في العبادة كائناً من كان.

﴿٢١﴾ قل لهم: إني لا أملك لكم دفع ضرّ قدره الله عليكم، ولا أملك جلب نفع منعكم الله إياه.

﴿٢٢﴾ قل لهم: لن ينجينني من الله أحد إن عصيته، ولن أحد من دونه مُلتجأً ألبأ إليه.

﴿٢٣﴾ لكنّ الذي أملكه أن أبلغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ورسالته التي بعثني بها إليكم، ومن يعص الله ورسوله فإن مصيره دخول نار جهنم خالداً مخلداً فيها، لا يخرج منها أبداً.

﴿٢٤﴾ ولا يزال الكفار على كفرهم حتى إذا عاينوا يوم القيامة ما كانوا يوعدون به في الدنيا من العذاب، حينئذ سيعلمون من أضعف ناصراً، وسيعلمون من أقلّ أعواناً.

﴿٢٥﴾ قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث: لا أدري أقرب ما توعدون من العذاب، أم أن له أجلاً لا يعلمه إلا الله.

﴿٢٦﴾ هو سبحانه عالم الغيب كله، لا يخفى عليه منه شيء، فلا يُطلّع على غيبه أحداً، بل يبقى مختصاً بعلمه.

﴿٢٧﴾ إلا من ارتضاه سبحانه من رسول، فإنه يطلعه على ما شاء، ويرسل من بين يدي الرسول حرساً من الملائكة يحفظونه حتى لا يطلّع غير الرسول على ذلك.

﴿٢٨﴾ رجاء أن يعلم الرسول أن الرسل من قبله قد بلغوا رسالات ربهم التي أمرهم بتبليغها لما أحاطها الله به من العناية، وأحاط الله بما لدى الملائكة والرسل علماً، فلا يخفى عليه من ذلك شيء، وأحصى عدد كل شيء، فلا يخفى عليه سبحانه شيء.

﴿٢٩﴾ فوازل من الآيات:

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْنِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَالْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أملكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ ناصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

١ - الجور سبب في دخول النار. ٢ - أهمية الاستقامة في تحصيل المقاصد الحسنة. ٣ - عصيان الله ورسوله سبب في دخول النار. ٤ - حُفِظ الوحي من عبث الشياطين برجمهم بالشهب لو حاولوا الاستماع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ١ قِرَآئِلٌ إِلَّا قَلِيلًا ٢ نِصْفَهُ وَأَوْنَقُصٌ مِنْهُ قَلِيلًا ٣
 أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَيْلَ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا
 نَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي
 النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ٧ وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ٨
 رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبِرْ
 عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
 أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا ١٢
 وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
 وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
 عَلَيْكُمْ وَإِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
 فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ
 الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧ السَّمَاءُ مِنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨
 إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخِذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩

﴿١﴾ مقصد السورة :
 تركز على الزاد الروحي للدعاة في مواجهة
 الشدائد ومصاعب الحياة، تثبيتاً للنبي ﷺ
 وتوعداً للمكذبين به.

﴿٢﴾ التفسيرين:
 ﴿١﴾ يا أيها المتكفف بشيابه (يعني: النبي ﷺ).

﴿٢﴾ صل بالليل إلا قليلاً منه.

﴿٣﴾ صل نصفه إن شئت، أو صل أقل من
 النصف قليلاً حتى تصل الثلث.

﴿٤﴾ أو زد عليه حتى تبلغ الثلثين، واقرأ القرآن
 بتمهل وإعطاء الحروف حقها ومُسْتَحَقَّهَا،
 وبمراعاة الوقوف.

﴿٥﴾ إنا سنلقي عليك - أيها الرسول - القرآن،
 وهو قول ثقيل؛ لما فيه من الفرائض والحدود
 والأحكام والآداب وغيرها.

﴿٦﴾ إن النافلة التي تُتَشَأُّ في الليل هي أشدَّ
 ثقلًا؛ لأن الليل للنوم، وأسدُّ قولًا وأثبتة،
 وأثبت قراءة.

﴿٧﴾ إن لك في النهار تصرفًا في أعمالك،
 فتشغل بها عن قراءة القرآن، فصل بالليل.

﴿٨﴾ واذكر الله بأنواع الذكر، وانقطع إليه
 سبحانه انقطاعًا.

﴿٩﴾ رب المشرق ورب المغرب، لا معبود بحق
 إلا هو، فاتخذه وكيلًا تعتمد عليه في أمورك كلها.

﴿١٠﴾ واصبر على ما يقوله المكذوبون من الاستهزاء والسب، واهجرهم هجرًا لا أذية فيه.

﴿١١﴾ ولا تهتم بشأن المكذبين أصحاب المتع بملذات الدنيا، واتركني وإياهم، وانتظرهم قليلاً حتى يأتيهم أجلهم.

﴿١٢﴾ إن لدينا في الآخرة قيودًا ثقيلة، ونارًا مُسْتَعْرَةً.

﴿١٣﴾ وطعامًا تغصُّ به الحلوقة لشدة مرارته، وعذابًا موجعًا؛ زيادة على ما سبق.

﴿١٤﴾ ذلك العذاب حاصل للمكذبين يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملاً سائلاً متناثرًا من شدة هوله.

﴿١٥﴾ إنا بعثنا إليكم رسولاً شاهداً على أعمالكم يوم القيامة مثلما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى ﷺ.

﴿١٦﴾ فعصى فرعون الرسول المرسل إليه من ربه فعاقبناه عقاباً شديداً في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بعذاب النار،
 فلا تعصوا أنتم رسولكم فيصيبكم ما أصابه.

﴿١٧﴾ فكيف تمنعون أنفسكم وتُفَوِّها - إن كفرتم رسوله - يوماً شديداً طويلاً، يُصِيرُ الْوِلْدَانَ شِيبًا من
 شدة هوله وطوله.

﴿١٨﴾ السماء مشققة من هوله، كان وعد الله مفعولاً لا محالة.

﴿١٩﴾ إن هذه الموعظة - المشتملة على بيان ما في يوم القيامة من هول وشدة - تذكرة، ينتفع بها المؤمنون، فمن شاء
 اتخذ طريق موصل إلى ربه اتخذها.

﴿١﴾ فإعلام من الآيات:

١ - أهمية قيام الليل وتلاوة القرآن وذكر الله والصبر للداعية إلى الله.

٢ - تحمّل التكليف يقتضي تربية صارمة.

٣ - الترف والتوسع في التمتع يصد عن سبيل الله.

﴿١﴾ إن ربك - أيها الرسول - يعلم أنك تصلي أقل من ثلثي الليل تارة، وتقوم نصفه تارة، وثلثه تارة، وتقوم طائفة من المؤمنين معك، والله يقدر الليل والنهار، ويحصي ساعاتهما، علم سبحانه أنكم لا تقدرون على إحصاء وضبط ساعاته، فيشق عليكم قيام أكثره تحريًا للمطلوب، فلذلك تاب عليكم، فصلوا من الليل ما تيسر، علم الله أن سيكون منكم - أيها المؤمنون - مرضى أجهدهم المرض، وآخرون يسافرون يطلبون رزق الله، وآخرون يقاتلون الكفار ابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمة الله هي العليا، فهؤلاء يشق عليهم قيام الليل، فصلوا ما تيسر لكم من الليل، واثتوا بالصلاة المفروضة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وما تقدموا لأنفسكم من أي خير، تجدوه هو خيرًا وأعظم ثوابًا، واطلبوا المغفرة من الله، إن الله غفور لمن تاب عباده، رحيم بهم.

سُورَةُ الْمَدِينَةِ — مَكِّيَّةٌ —

﴿٢﴾ مقصد السورة:

تركز على الأمر بالنهوض بالدعوة ومقوماتها، وتوعد المكذبين بها.

﴿٣﴾ التفسير:

﴿١﴾ يا أيها الْمُتَعَشِّي بِشِيَابِهِ (وهو النبي ﷺ).

﴿٢﴾ انهض وخوف من عذاب الله.

﴿٣﴾ وربك فعظيم.

﴿٤﴾ واترك عبادة الأوثان.

﴿٥﴾ واصبر لله على ما تلاقيه من الأذى.

﴿٦﴾ فإذا نُفِخَ فِي الْقُرْنِ النْفِخَةَ الثَّانِيَةَ. فذلك اليوم شديد.

﴿٧﴾ على الكافرين بالله وبرسوله غير سهل.

﴿٨﴾ اتركني - أيها الرسول - ومن خلقته وحيدًا في بطن أمه دون مال أو ولد (وهو الوليد بن المُغيرة).

﴿٩﴾ وجعلت له مالًا كثيرًا.

﴿١٠﴾ وجعلت له بنين حاضرين معه لا يحتاجون لسفر لكثرة ماله.

﴿١١﴾ وبسطت له في العيش والزرق والولد بسطًا.

﴿١٢﴾ ثم يطمع مع كفره بي أن أزيده بعد ما أعطيته من ذلك كله.

﴿١٣﴾ ليس الأمر كما تصوّر، إنه كان معاندًا لآياتنا المنزلة على رسولنا مكذبًا بها.

﴿١٤﴾ ساكلفه مشقة من العذاب لا يستطيع تحمّلها.

﴿١٥﴾ فَاذْكُرُوا الْآيَاتِ: ١ - المشقة تجلب التيسير. ٢ - وجوب الطهارة من الحَبْثِ الظاهر والباطن. ٣ - الإنعام على الفاجر استدراج له وليس إكرامًا.

﴿١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامْتَسِرْ مِنَ الْقُرْآنِ إِنَّ عِلْمَ أَنْ سَيَكُونَ مِنْكُمْ مَرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامْتَسِرْ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ غَفْوَرٍ رَحِيمٍ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْمَدِينَةِ ٧٦ آياتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ﴿٢﴾ قُرْآنًا نَذِيرًا ﴿٣﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرًا ﴿٤﴾ وَيَا بَيْتَكَ فَطَهِّرْ ﴿٥﴾ وَالرَّجْرَ فَاهْجُرْ ﴿٦﴾ وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٧﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٨﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّافِرِ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ عَسِيرٌ يَسِيرٌ ﴿١٢﴾ ذَرْفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١٣﴾ رَجَعْتُ لَهُ مَالًا مَسْدُودًا ﴿١٤﴾ وَبَنِينَ شُرُودًا ﴿١٥﴾ وَمَهْدَتْ لَهُمْ مَهِيدًا ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ ﴿١٧﴾ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٨﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٩﴾ سَأَرْهَقَهُ صَعُودًا ﴿٢٠﴾

١٨ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١
 ٢٢ ثُمَّ عَسَىٰ وَبَسَرَ ٢٣ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٤ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سَعِيرٌ
 يُؤْتِرُهُ ٢٥ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٦ سَأَصْلِيهِ سَقْرًا ٢٧ وَمَا أَدْرَاكَ
 مَا سَقْرٌ ٢٨ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٩ لَوَاحِةٌ لِلْبَشَرِ ٣٠ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
 ٣١ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّةَ لَهُمْ إِلَّا فَتَنَةً
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا
 وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي
 مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ٣٢ كَلَّا
 وَالْقَمَرِ ٣٣ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ٣٤ وَالصُّبْحِ إِذَا اسْفَرَّ ٣٥ إِنَّهَا لَإِحدى
 الْكُتُبِ ٣٦ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ٣٧ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقُوا أَوْ يَسْتَكْبِرُوا ٣٨ كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ٣٩ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ٤٠ فِي جَنَّتِ نِسَاءُ لَوْنٌ
 ٤١ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ٤٢ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ٤٣ قَالُوا لَوْ نَرَاكَ وَمِن
 الْمُصَلِّينَ ٤٤ وَلَوْ نَرَاكَ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ٤٥ وَكُنَّا تَخَوِّضُ مَعَ
 الْحَائِضِينَ ٤٦ وَكَانَ كَذِبٌ يَوْمَ الَّذِينَ ٤٧ حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ٤٨

١٨ إن هذا الكافر الذي أنعمت عليه بتلك
 النعم فكر فيما يقوله في القرآن لإبطاله، وقدر
 ذلك في نفسه.
 ١٩ فلعن وعذب كيف قدر.
 ٢٠ ثم لعن وعذب كيف قدر.
 ٢١ ثم أعاد النظر والتروي فيما يقول.
 ٢٢ ثم قطب وجهه، وكلح حين لم يجد ما
 يطعن به في القرآن.
 ٢٣ ثم أدبر عن الإيمان، واستكبر عن اتباع
 النبي ﷺ.
 ٢٤ فقال: ليس هذا الذي جاء به محمد
 كلام الله، بل هو سحر يرويه عن غيره.
 ٢٥ ليس هذا كلام الله، بل هو كلام الإنس.
 ٢٦ سادخل هذا الكافر نار سقر يقاسي حرها.
 ٢٧ وما أعلمك - يا محمد - ما سقر؟
 ٢٨ لا تبقي شيئاً من المعدب فيها إلا أتت
 عليه، ولا تتركه، ثم يعود كما كان، ثم تأتي
 عليه، وهكذا دواليك.
 ٢٩ شديدة الإحراق والتغيير للجلود.
 ٣٠ عليها تسعة عشر ملكاً، وهم خزنتها.
 ٣١ وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة، فلا طاقة
 للبشر بهم، وقد كذب أبو جهل حين ادعى أنه
 وقومه يقدرون على البطش بهم، ثم يخرجون
 من النار، وما جعلنا عددهم هذا إلا اختياراً
 للذين كفروا بالله؛ ليقولوا ما قالوا فيضاعف
 عليهم العذاب، وليتيقن اليهود الذين أعطوا
 التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل حين
 نزل القرآن مصدقاً لما في كتابيهم، وليزداد المؤمنون إيماناً عندما يوافقهم أهل الكتاب، ولا يرتاب اليهود
 والنصارى والمؤمنون، وليقول المنافقون مرضى القلوب، والكافرون: أي شيء أَرَادَ اللهُ بهذا العدد الغريب؟ مثل
 إضلال منكر هذا العدد وهداية المصدق به، يضلُّ اللهُ من شاء أن يضلَّهُ ويهدي من شاء أن يهديه، وما يعلم جنود
 ربك من كثرتها إلا هو سبحانه، فليعلم بذلك أبو جهل القائل: (أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر) استخفافاً
 وتكديماً، وما النار إلا تذكرة للبشر يعلمون بها عظمة الله سبحانه.
 ٣٢ ليس القول كما يزعم بعض المشركين أنه يكفي أصحابه خزنة جهنم حتى يُجهضهم عنها، أقسم الله بالقمر.
 ٣٣ وأقسم بالليل حين ولي.
 ٣٤ وأقسم بالصبح إذا أضاء.
 ٣٥ إن نار جهنم لإحدى البلايا العظيمة.
 ٣٦ ترهيباً وتخويفاً للناس. ٣٧ لمن شاء منكم - أيها الناس - أن يتقدم بالإيمان بالله والعمل الصالح، أو يتأخر
 بالكفر والمعاصي. ٣٨ كل نفس بما كسبته من الأعمال مأخوذة، فإما أن توبقها أعمالها، وإما أن تخلصها وتقذها
 من الهلاك. ٣٩ إلا المؤمنين فإنهم لا يؤخذون بذنوبهم، بل يتجاوز عنها لما لهم من عمل صالح. ٤٠ وهم يوم
 القيامة في جنات يسأل بعضهم بعضاً. ٤١ عن الكافرين الذين أهلكوا أنفسهم بما عملوا من المعاصي. ٤٢ يقولون
 لهم: ما أدخلكم في جهنم؟ ٤٣ فيجيبهم الكفار قائلين: لم نكن من الذين يؤدون الصلاة الواجبة في الحياة الدنيا.
 ٤٤ ولم نكن نطعم الفقير مما أعطانا الله. ٤٥ وكنا مع أهل الباطل ندور معهم أينما داروا، وتحدث مع أهل الضلال
 والغواية. ٤٦ وكنا نكذب بيوم الجزاء. ٤٧ وتمادنا على التكذيب به حتى جاءنا الموت، فحال بيننا وبين التوبة.
 ٤٨ فإذن من الآيات: ١ - مسؤولية الإنسان عن أعماله في الدنيا والآخرة. ٢ - عدم إطعام المحتاج سبب من أسباب
 دخول النار.

﴿٢١﴾ كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ادْعَيْتُمْ مِنْ اسْتِحْلَاةِ الْبَعْثِ، فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِكُمْ ابْتِدَاءً لَا يَعْزُزُ عَنْ إِحْيَائِكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، لَكِنْ سَبَبُ تَكْذِيبِكُمْ بِالْبَعْثِ هُوَ حُبُّكُمْ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَعَلُّقِكُمْ بِهَا.

﴿٢٢﴾ وَتَرْكُكُمْ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَةِ الَّتِي طَرِيقُهَا الْقِيَامُ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ.

﴿٢٣﴾ وَجْهَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالسَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَهِيَّةً لَهَا نُورٌ.

﴿٢٤﴾ نَاطِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا مَتَمِّتَةٌ بِذَلِكَ.

﴿٢٥﴾ وَوَجْهَ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشَّقَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَابِسَةٌ.

﴿٢٦﴾ تَوْقِنَ أَنْ يَنْزَلَ بِهَا عِقَابٌ عَظِيمٌ، وَعَذَابٌ أَلِيمٌ. ﴿٢٧﴾ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَتَوَصَّرُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنْهُمْ إِذَا مَاتُوا لَا يُعَذَّبُونَ، فَإِذَا وَصَلَتْ نَفْسٌ أَحَدَهُمْ أَعَالِي صَدْرِهِ. ﴿٢٨﴾ وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: مَنْ يَرْفِي هَذَا لَعَلَّهُ يُشْفَى؟ ﴿٢٩﴾ وَأَيُّقِنُ مِنْ فِي التَّرْعِ حَيْثُذَ أَنْهُ فِرَاقُ الدُّنْيَا بِالمَوْتِ.

﴿٣٠﴾ وَاجْتَمَعَتِ الشَّدَائِدُ عِنْدَ نَهَايَةِ الدُّنْيَا وَبَدَايَةِ الْآخِرَةِ. ﴿٣١﴾ إِذَا حَصَلَ ذَلِكَ يُسَاقُ الْمَيِّتُ إِلَى رَبِّهِ. ﴿٣٢﴾ فَلَا صَدَقَ الْكَافِرُ بِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ، وَلَا صَلَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ. ﴿٣٣﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ بِمَا جَاءَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ. ﴿٣٤﴾ ثُمَّ ذَهَبَ هَذَا الْكَافِرُ إِلَى أَهْلِهِ يَخْتَالُ فِي مَشِيئَتِهِ مِنَ الْكِبَرِ. ﴿٣٥﴾ وَلَيْكَ - أَيُّهَا الْكَافِرُ - مَا تَكْرَهُ. ﴿٣٦﴾ ثُمَّ

﴿٣٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ يَوْمًا نُظْفَةُ مِنْ مَنِي بَعْضِ الرِّجَمِ. ﴿٣٨﴾ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قِطْعَةً مِنْ دَمٍ جَامِدٍ، ثُمَّ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ خَلْقَهُ سَوِيًّا. ﴿٣٩﴾ فَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهِ النَّوْعَيْنِ: الذَّكَرَ وَالْأُنثَى؟ ﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

﴿٤١﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

﴿٤٢﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

﴿٤٣﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

﴿٤٤﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

﴿٤٥﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ فَعَلَقَهُ بِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى لِلْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ مِنْ جَدِيدٍ؟ بَلَى، إِنَّهُ لِقَادِرٌ.

﴿٢٢﴾ كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٣﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٤﴾ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٥﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٦﴾ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ﴿٢٧﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٨﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ مِنْ رَأَقٍ ﴿٣٠﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٣١﴾ وَالنَّفْسُ السَّاقِي بِالسَّاقِ ﴿٣٢﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٣﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صُلِّيَ ﴿٣٤﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٥﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمْتَطِعٌ ﴿٣٦﴾ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٣٨﴾ أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَهُ مِنْ مَنِي بَعْضٍ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٤١﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٢﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٤٣﴾

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة الشرح

— مَدِينَةٌ —

﴿١﴾ مقصد السورة:

تركز على تذكير الإنسان بأصله وحكمة خلقه ومصيره في الدارين، وإظهار نعيم الجنة، تهيئةً للمؤمنين ودعوة للكافرين.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ قَدَّمَ عَلَى الْإِنْسَانِ دَهْرًا طَوِيلًا كَانَ فِيهِ مَعْدُومًا لَا يُذَكَّرُ لَهُ. ﴿٢﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُظْفَةٍ خَلِيطَةٍ بَيْنَ مَاءِ الرَّجُلِ وَمَاءِ الْمَرْأَةِ، نَخْتَبِرُهُ بِمَا نُلْزِمُهُ بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِيُقِومَ بِمَا كَلَّفْنَاهُ بِهِ مِنَ الشَّرْعِ. ﴿٣﴾ إِنَّا بَيَّنَّا لَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِنَا طَرِيقَ الْهُدَايَةِ، فَاسْتَبَانَ لَهُ بِذَلِكَ طَرِيقَ الضَّلَالِ، فَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَهْتَدِيَ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَيَكُونُ عَبْدًا مُؤْمِنًا شَاكِرًا لِلَّهِ، وَإِمَّا أَنْ يَضَلَّ عَنْهَا فَيَكُونُ عَبْدًا كَافِرًا جُحُودًا لِآيَاتِ اللَّهِ. وَلَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ نَوْعِي الْمَهْتَدِي وَالضَّالِّ بَيْنَ جِزَاءِهُمَا فَقَالَ: ﴿٤﴾ إِنَّا أَعْدَدْنَا لِلْكَافِرِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ سَلَاسِلَ يُسْحَبُونَ بِهَا فِي النَّارِ، وَأَغْلَالًا يُعَلَّقُونَ بِهَا فِيهَا، وَنَارًا مُسْتَعْرَةً. ﴿٥﴾ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ يَشْرَبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كَأْسٍ خَمْرٍ مَمْلُوءَةٍ مَمزُوجَةٍ بِالْكَافُورِ طَلِيبٍ رَائِحَةٍ.

﴿٦﴾ فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - خطر حب الدنيا والإعراض عن الآخرة. ٢ - ثبوت الاختيار للإنسان، وهذا من تكريم الله له.

٦ هذا الشراب المُعدّ لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول غزيرة لا تنضب، يروى بها عباد الله، يفجّرونها تفجيرًا متى شاؤوا.

٧ وصفات العباد الذين يشربونها أنهم يوفون بما أُلزموا به أنفسهم من الطاعات، ويخافون يومًا كان شرّه منتشرًا فاشيًا وهو يوم القيامة.

٨ ويطعمون الطعام مع كونهم في حال يحبونه لحاجتهم إليه واشتياؤهم له، يطعمونه المحتاجين من الفقراء واليتامى والأسارى.

٩ ويسرون في أنفسهم أنهم لا يطعمونهم إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناءً على إطعامهم إياهم.

١٠ إنا نخاف من ربنا يومًا تكلّح فيه وجوه الأشقياء لشدة غضبه وفضاعته.

١١ فوقاهم الله بفضلهم شرّ ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاءً ونورًا في وجوههم؛ إكرامًا لهم، وسرورًا في قلوبهم.

١٢ وأثابهم الله - بسبب صبرهم على الطاعات، وصبرهم على أقدار الله، وصبرهم عن المعاصي - جنة يتمتعون فيها، وحريرًا يلبسونه.

١٣ متكئون فيها على الأسرة المزيّنة، لا يرون في هذه الجنة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظل دائم لا حرّ معه ولا برد.

١٤ قريبة منهم ظلالها، وسُخّرت ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها ببسر وسهولة، بحيث ينالها المضطجع والقاعد والقائم.

١٥ ويطوف عليهم الخدم بآنية الفضة، وكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.

١٦ هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدرة وفق ما يريدون، لا تزيد عنه ولا تنقص.

١٧ ويسقى هؤلاء المُكْرَمُونَ كأسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل.

١٨ يشربون من عين في الجنة تسمى سلسبيلاً.

١٩ ويدور عليهم في الجنة ولدان باقون على شبابهم، إذا رأيتهم ظننتهم لؤلؤًا منثورًا لنضارة وجوههم وحسن ألوانهم.

٢٠ وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا لا يمكن وصفه، ورأيت ملكًا عظيمًا لا يُدانيه ملك.

٢١ قد علت أبدانهم الثياب الخضراء الفاخرة وهي من الحرير الرقيق، وغلظ الديباج، وألْبَسُوا فيها أسورة من فضة، وسقاهاهم الله غير ما ذكر سابقًا شرابًا خاليًا من أي منغص.

٢٢ ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيتموه كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مقبولًا عند الله.

٢٣ إنا نحن أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن مفرقًا، ولم ننزله عليك جملة واحدة.

٢٤ فاصبر لما يحكم به الله قدرًا أو شرعًا، ولا تطع أنما فيما يدعو له من الإثم، ولا كافرًا فيما يدعو إليه من الكفر.

٢٥ واذكر ربك بصلوة الفجر أول النهار، وصلوة الظهر والعصر آخره.

﴿فَوَازِلَ مِنَ الْآيَاتِ﴾

١ - الوفاء بالندى وإطعام المحتاج، والإخلاص في العمل، والخوف من الله: أسباب للنجاة من النار، ولدخول الجنة.

﴿٣٦﴾ واذكره بصلاتي الليل: صلاة المغرب وصلاة العشاء، وتَهَجَّد به بعدها.

﴿٣٧﴾ إن هؤلاء المشركين يحبون الحياة الدنيا ويحرصون عليها، ويتكون وراءهم يوم القيامة، وهو يوم ثقيل؛ لما فيه من الشدائد والمحن.

﴿٣٨﴾ نحن خلقناهم وقوينا خلقهم بتقوية مفاصلهم وأعضائهم وغيرها. وإذا شئنا إهلاكهم وإبدلهم بأمثالهم أهلكتناهم وأبدلناهم.

﴿٣٩﴾ إن هذه السورة موعظة وتذكير، فمن شاء اتخذ طريق توصله إلى رضا ربه اتخذها.

﴿٤٠﴾ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إلى رضا الله إلا أن يشاء ذلك منكم، فالأمر كله إليه، إن الله كان عليماً بما يصلح لعباده، وبما لا يصلح لهم، حكيمًا في خلقه وقدره وشرعه.

﴿٤١﴾ يُدْخِل من يشاء من عباده في رحمته، فيوفقهم للإيمان والعمل الصالح، والظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي أعد لهم في الآخرة عذابًا موجعًا، وهو عذاب النار.

سورة المرسلات

— مكية —

﴿٤٢﴾ مقصد السورة:

تركز على إثبات القيامة من خلال محاجة المكذبين بالأدلة، وملاحقتهم بالوعيد والتهديد.

﴿٤٣﴾ التفسير:

- ﴿١﴾ أقسم الله بالرياح المتتابعة مثل عرف الفرس. ﴿٢﴾ وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب.
- ﴿٣﴾ وأقسم بالرياح تنشر المطر. ﴿٤﴾ وأقسم بالملائكة تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.
- ﴿٥﴾ وأقسم بالملائكة تنزل بالوحي. ﴿٦﴾ تنزل بما تنزل به من الوحي إعدارًا من الله إلى الناس، وإنذارًا للناس من عذاب الله.
- ﴿٧﴾ إن الذي توعدون به من البعث والحساب والجزاء لواقع لا محالة.
- ﴿٨﴾ فإذا النجوم مُجِي نورها وذهب ضوءها. ﴿٩﴾ وإذا السماء سُقَّت لتنزل الملائكة منها.
- ﴿١٠﴾ وإذا الجبال اقتلعت من مكانها فُسِّفَتْ حتى تصير هباءً.
- ﴿١١﴾ وإذا الرسل جُمِعت لوقت محدد. ﴿١٢﴾ ليوم عظيم أُجِلَّت للشهادة على أممها.
- ﴿١٣﴾ ليوم الفصل بين العباد، فبين المحق من المبطل، والسعيد من الشقي.
- ﴿١٤﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الفصل؟
- ﴿١٥﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.
- ﴿١٦﴾ ألم نهلك الأمم السابقة لما كفرت بالله وكذبت رسلها؟
- ﴿١٧﴾ ثم تبعهم المكذبين من المتأخرين، فنهلكهم كما أهلكتناهم.
- ﴿١٨﴾ مثل الإهلاك لتلك الأمم نهلك المجرمين المكذبين بما جاء به محمد ﷺ.
- ﴿١٩﴾ هلاك وعذاب وخسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.

﴿٢٠﴾ فإذن من الآيات: ١ - خطر التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة. ٢ - مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله. ٣ - إهلاك الأمم المكذبة سنَّة الهية.

﴿٢١﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - مِنْ مَاءٍ حَقِيرٍ وَهُوَ الطُّفْلَةُ .

﴿٢٢﴾ فَجَعَلْنَا ذَلِكَ الْمَاءَ الْمَهِينِ فِي مَكَانٍ مَعْرُوزٍ وَهُوَ الرَّحِمُ .

﴿٢٣﴾ إِلَى مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ هِيَ مُدَّةُ الْحَمْلِ .

﴿٢٤﴾ فَقَدَرْنَا صِفَةَ الْمَوْلُودِ وَقَدْرَهُ وَلَوْنَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ ، فَنَعْمَ الْقَادِرُونَ لِذَلِكَ كُلِّهِ نَحْنُ .

﴿٢٥﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

﴿٢٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ تَضَمُّ النَّاسِ جَمِيعًا .

﴿٢٧﴾ تَضَمُّ أَحْيَاءِهِمْ بِالسُّكْنِ عَلَيْهَا وَعِمَارَتِهَا ، وَأَمْوَاتِهِمْ بِالدَّفْنِ فِيهَا .

﴿٢٨﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جِبَالًا ثَوَابِتًا ، تَمْنَعُهَا مِنْ

الاضطراب ، عَالِيَاتٍ ، وَأَسْفِينَاكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ -

مَاءً عَذْبًا ، فَمَنْ خَلَقَ ذَلِكَ لَيْسَ عَاجِزًا عَنْ بَعْتِكُمْ .

﴿٢٩﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

﴿٣٠﴾ وَيُقَالُ لِلْمُكْذِبِينَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُمْ : سَيَرُوا

- أَيُّهَا الْمُكْذِبُونَ - إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُونَ مِنَ الْعَذَابِ .

﴿٣١﴾ سَيَرُوا إِلَى ظِلٍّ مِنْ دِخَانٍ مَفْتَرَقٍ ثَلَاثَ فُرُوقٍ .

﴿٣٢﴾ لَيْسَ فِيهِ بَرْدٌ الظَّلَالِ ، وَلَا يَمْنَعُ لَهَبِ النَّارِ وَحَرَّهَا أَنْ يَنْفِذَ إِلَيْكُمْ .

﴿٣٣﴾ إِنْ النَّارُ تَقْذِفُ بِشَرَارَاتٍ ، كُلِّ شَرَارَةٍ مِثْلِ

القصر في عظمها .

﴿٣٤﴾ كَأَنَّ الشَّرَارَاتِ الَّتِي تَقْذِفُ بِهَا فِي سَوَادِهَا وَضَخَامَتِهَا جَمَالَ سُودٍ .

﴿٣٥﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

﴿٣٦﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ بِشَيْءٍ .

﴿٣٧﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ أَنْ يَعْتَذِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ ، فَيَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ .

﴿٣٨﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

﴿٣٩﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ، جَمْعُنَاكُمْ وَالْأُمَّمِ السَّابِقَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ .

﴿٤٠﴾ فَإِنَّ كَانَتْ لَكُمْ حِيلَةٌ تَحْتَالُونَ بِهَا لِلنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَاحْتَالُوا عَلَيَّ .

﴿٤١﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

﴿٤٢﴾ إِنْ الْمُتَّقِينَ لِرَبِّهِمْ بِامْتِتَالٍ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، فِي ظِلَالِ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ الْوَارِقَةِ ، وَعِيُونَ الْمَاءِ الْعَذْبَةِ الْجَارِيَةِ .

﴿٤٣﴾ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ أَكَلَهُ . ﴿٤٤﴾ وَيُقَالُ لَهُمْ : كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَاشْرَبُوا شَرَابًا هَنِئًا لَا مُتَّعَصَ فِيهِ ؛ بِمَا كُتِبَ

تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ . ﴿٤٥﴾ إِنَّا مِثْلَ هَذَا الْجِزَاءِ الَّذِي جِزَيْنَاكُمْ بِهِ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ لِأَعْمَالِهِمْ .

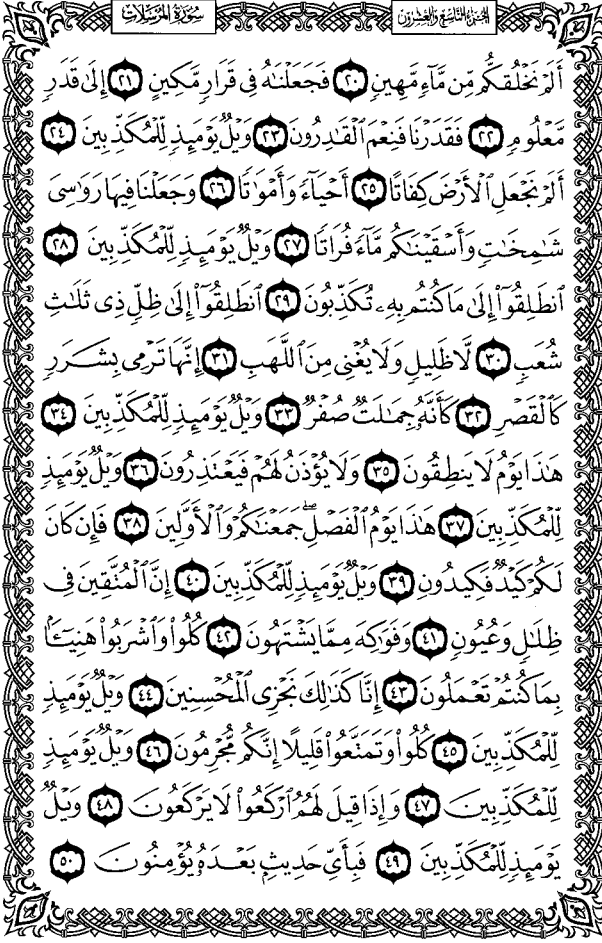
﴿٤٦﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . ﴿٤٧﴾ وَيُقَالُ

لِلْمُكْذِبِينَ : كُلُوا وَتَمَتَّعُوا بِمِلْدَاتِ الْحَيَاةِ وَقَتًا قَلِيلًا فِي الدُّنْيَا ، إِنَّكُمْ بِكُفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبِكُمْ رُسُلَهُ مُجْرِمُونَ . ﴿٤٨﴾

﴿٤٩﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . ﴿٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ

لَهُؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ : صَلُّوا لِلَّهِ لَا يَصَلُّونَ لَهُ . ﴿٥١﴾ هَلَاكٌ وَعَذَابٌ وَخُسْرَانٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْمُكْذِبِينَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . ﴿٥٢﴾ فَإِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْهَرَّانِ الْمَنْزُولِ مِنْ رَبِّهِمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ غَيْرِهِ يُؤْمِنُونَ ؟

﴿٥٣﴾ فَإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ : ١ - رِعَايَةَ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . ٢ - اتِّسَاعَ الْأَرْضِ لِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْيَاءِ ، وَلِمَنْ فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ .



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

عَمَّ بَسَاءَ لَوْ نَ ۖ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِیْمِ ۚ الَّذِی هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۚ
 كَلَّا سِعَامُونَ ۚ تَوَكَّلَا سِعَامُونَ ۚ اَلَمْ جَعَلْ لِّلْاَرْضِ مَهْدًا ۙ
 وَالْجِبَالِ اَوْتَادًا ۙ وَخَلَقْتُمْ اَزْوَاجًا ۙ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
 ۙ وَجَعَلْنَا اَيُّلَ لَبَاسًا ۙ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۙ وَبَنَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۙ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ۙ وَانزَلْنَا
 مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجَّاجًا ۙ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۙ وَجَعَلْنَا
 اَلْاَفَاقًا ۙ اِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ۙ يَوْمَ تُفْجَعُ فِي الصُّورِ
 فَنَاتُونَ اَفْوَاجًا ۙ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ اَبْوَابًا ۙ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۙ اِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۙ لِلطَّالِعِينَ
 مَنَابًا ۙ لَّيْلَتَيْنِ فِيهَا اَحْقَابًا ۙ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
 ۙ اِلَّا اَحْمِيمًا وَعَسَاقًا ۙ جَزَاءً وَفَاقًا ۙ اِنَّهُمْ كَانُوْا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۙ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۙ وَكُلُّ شَيْءٍ
 اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۙ فَذُوقُوْا فَلَنْ نَّزِيْدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ۙ

● مقصد السورة: تركز على إثبات البعث والجزاء بالأدلة والبراهين.
 ● التفسير: عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بعدما بعث الله إليهم رسوله ﷺ؟ يسأل بعضهم بعضاً عن الخبر العظيم، وهو هذا القرآن المنزل على رسولهم.
 ● هذا القرآن الذي اختلفوا فيما يصفونه به؛ من كونه سحراً أو شعراً أو كهانة أو أساطير الأولين.
 ● ليس الأمر كما زعموا، سيعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن عاقبة تكذيبهم السيئة.
 ● ثم سيتأكد لهم ذلك.
 ● ألم نصير الأرض مُمَهَّدة لهم سالحة لاستقرارهم عليها؟
 ● وجعلنا الجبال عليها بمنزلة أوتاد تمنعها من الاضطراب.
 ● وخلقناكم - أيها الناس - أصنافاً: منكم الذكور والإناث.
 ● وجعلنا نومكم انقطاعاً عن النشاط لتستريحوا.
 ● وجعلنا الليل ساتراً لكم بظلمته مثل اللباس الذي تسترون به عوراتكم.
 ● وجعلنا النهار ميداناً للكسب والبحث عن الرزق.
 ● وبنيينا فوقكم سبع سماوات متينة البناء

محكمة الصنع. ۙ وصيرنا الشمس مصباحاً شديداً الانقاد والإنارة.

ۙ وأنزلنا من السحب التي حان لها أن تمطر ماءً كثير الانصباب.

ۙ لنخرج به أصناف الحب، وأصناف النبات. ۙ ونخرج به بساتين مُلْتَمَّةٌ من كثرة تداخل أغصان أشجارها.

ولما ذكر الله هذه النعم الدالة على قدرته أتبعها بذكر البعث والقيامة؛ لأن القادر على خلق هذه النعم قادر على بعث الموتى وحسابهم، فقال:

ۙ إن يوم الفصل بين الخلائق كان موعداً محددًا بوقت لا يتخلف.

ۙ يوم ينفخ الملك في القرن النفخة الثانية، فئاتون - أيها الناس - جماعات جماعات.

ۙ وفتحت السماء فصار لها فروج مثل الأبواب المفتحة.

ۙ وجعلت الجبال تسير حتى تتحول هباءً منثورًا، فتصير مثل السراب.

ۙ إن جهنم كانت راصدة مُرْتَقِيَةً. ۙ للطالعين مرجعًا يرجعون إليه.

ۙ ماكثين فيها أزمنة ودهورًا لا نهاية لها. ۙ لا يذوقون فيها نومًا، ولا يذوقون فيها شرابًا يتلذذ به.

ۙ لا يذوقون إلا ماءً شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار. ۙ جزاءً موافقًا لما كانوا عليه من الكفر والضلال.

ۙ إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون حسابًا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فلو كانوا يخافون البعث لآمنوا بالله، وعملوا صالحًا.

ۙ وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا تكذيبًا.

ۙ وكل شيء من أعمالهم ضبطناه وعددناه، وهو مكتوب في صحائف أعمالهم.

ۙ فذوقوا - أيها الطغاة - هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذابًا على عذابكم.

● فإلزام الآيات: ١ - كثرة نعم الله على عباده. ٢ - الطغيان سبب دخول النار. ٣ - مضاعفة العذاب على الكفار.

٣١ إن للمتقين ربهم بامثال أوامره، واجتناب نواهي، مكان فوز يفوزون فيه بمطوبهم وهو الجنة.

٣٢ بساتين وأعبابًا.

٣٣ وجواري مستويات السن.

٣٤ وكأس خمر ملأى.

٣٥ لا يسمعون في الجنة كلامًا باطلاً، ولا يسمعون كذبًا.

٣٦ كل ذلك مما منحهم الله منه وعطاء منه كافيًا.

٣٧ رب السماوات والأرض ورب ما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملك جميع من في الأرض أو السماء أن يسأله إلا إذا أذن لهم.

٣٨ يوم يقوم جبريل والملائكة مُصْطَقِينَ، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا من أذن له الرحمن أن يشفع، وقال سدادًا وصوابًا.

٣٩ ذلك الموصوف لكم هو اليوم الحق الذي لا ريب أنه واقع، فمن شاء النجاة فيه من عذاب الله فليتخذ سبيلًا إلى ذلك من الأعمال الصالحة التي ترضي ربه.

٤٠ إنا حذرناكم - أيها الناس - عذابًا قريبًا يحصل، يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنيًا الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت ترابًا مثل الحيوانات عندما يقال لها يوم القيامة: كوني ترابًا.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على هزِّ القلوب المكذبة بالبعث والجزاء، من خلال عرض مشاهد الموت والبعث والحشر والقيامة.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

- ١ أقسم الله بالملائكة التي تأخذ أرواح الكفار بشدة وعنف.
 - ٢ وأقسم بالملائكة التي تأخذ أرواح المؤمنين بسهولة ويسر.
 - ٣ وأقسم بالملائكة التي تُسَّحُّج من السماء إلى الأرض بأمر الله.
 - ٤ وأقسم بالملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.
 - ٥ وأقسم بالملائكة التي تنفذ ما أمرهم الله به من قضائه مثل الملائكة الموكلين بأعمال العباد، أقسم بذلك كله ليعتثهم للحساب والجزاء.
 - ٦ يوم تهتزُّ الأرض عند النفخة الأولى.
 - ٧ تتبع هذه النفخة نفخة ثانية.
 - ٨ قلوب بعض الناس في ذلك اليوم خائفة.
 - ٩ أصحاب تلك القلوب ذليلة.
 - ١٠ يقولون: هل نرجع إلى الحياة بعد أن متنا؟
 - ١١ إذا كنا عظامًا بالية نرجع بعد ذلك؟
 - ١٢ قالوا: إذا رجعنا تكون تلك الرجعة خاسرة، مغبونًا صاحبها.
 - ١٣ أمر البعث سير، وإنما هي صيحة واحدة من الملك الموكل بالنفخ.
 - ١٤ فإذا الجميع أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا أمواتًا في بطنها.
 - ١٥ هل جاءك - أيها الرسول - خبر موسى مع ربه ومع عدوه فرعون؟
- ﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - التقوى سبب دخول الجنة. ٢ - كل ما في الجنة طيب ممتع. ٣ - تَمَنَّى الكافر أن يصير ترابًا مثل الدواب التي يقال لها يوم القيامة: كوني ترابًا. ٤ - قبض روح الكافر بشدة وعنف، وقبض روح المؤمن برفق ولين.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْأَوْدِ الْمَقَدِسِ طُورَى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾
 فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرَكَنِي ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرِنَهُ
 آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ سَعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
 فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَارِكُمْ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرِ وَالْأُولَى
 ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ أَلَمْ أَشْذُ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءَ بَنَدَهَا
 ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْعَهَا فَسَوَّيْتُهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشْتُ لَيْلَهَا وَأَخْرَجْتُ ضَعْفَهَا ﴿٢٩﴾
 وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾
 وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا ﴿٣٢﴾ مَتْنَعًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ فَأِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ
 الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْأِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَتُرْزَقُ الْجَحِيمُ
 لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَاتَّخَذَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ قَانًا الْجَحِيمِ
 هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ
 ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ تُرْسَدُهَا
 ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَنًا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ
 مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّهَا لِئَلَيْسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَعْفًا ﴿٤٦﴾

سورة الفرقان

﴿١٦﴾ حين ناداه ربه سبحانه بوادي طوى المطهر .
 ﴿١٧﴾ قال له فيما قال: سر إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في الظلم والاستكبار .
 ﴿١٨﴾ فقل له: هل لك - يا فرعون - أن تتطهر من الكفر والمعاصي؟
 ﴿١٩﴾ وأرشدك إلى ربك الذي خلقك ورعاك فتخشاه، فتعمل بما يرضيه، وتتجنب ما يسخطه؟
 ﴿٢٠﴾ فأظهر له موسى ﷺ العلامة العظمى الدالة على أنه رسول من ربه، وهي اليد والعصا .
 ﴿٢١﴾ فما كان من فرعون إلا أنه كذب بهذه العلامة، وعصى ما أمره به موسى ﷺ .
 ﴿٢٢﴾ ثم أعرض عن الإيمان بما جاء به موسى .
 ﴿٢٣﴾ ورجع يجمع جنوده لمغالبة موسى، فنادى قومه قائلًا:
 ﴿٢٤﴾ أنا ربكم الأعلى، فلا طاعة لغيري عليكم .
 ﴿٢٥﴾ فأخذه الله فعاقبه في الدنيا بالغرق في البحر، وعاقبه في الآخرة بإدخاله في أشد العذاب .
 ﴿٢٦﴾ إن فيما عاقبنا به فرعون في الدنيا والآخرة لموعظة لمن يخشى الله؛ فهو الذي ينتفع بالمواعظ .
 ﴿٢٧﴾ أليجادكم على الله - أيها المكذبون بالبعث - أصعب، أم إيجاد السماء التي بناها؟
 ﴿٢٨﴾ جعل سميتها في جهة العلو رفيعًا، فجعلها مستوية، لا فطور فيها ولا شقوق ولا عيب .
 ﴿٢٩﴾ وأظلم ليلها إذا غربت شمسها، وأظهر نورها إذا أشرقت .
 ﴿٣٠﴾ والأرض بعد أن خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها .

﴿٣١﴾ أخرج منها ماءها عيونًا تجري، وأنبت فيها من النبات ما ترعاه الدواب .
 ﴿٣٢﴾ والجبال جعلها ثابتة على الأرض .
 ﴿٣٣﴾ كل ذلك منافع لكم - أيها الناس - ولأنعامكم، فالذي خلق هذا كله لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد .
 ﴿٣٤﴾ فإذا جاءت النفخة الثانية، وقامت القيامة .
 ﴿٣٥﴾ يوم تجيء بتذكر الإنسان ما قدم من عمل، خيرًا كان أو شرًا .
 ﴿٣٦﴾ وجيء بجهنم وأظهرت عيانًا لمن يبصرها . ﴿٣٧﴾ فأما من تجاوز الحد في الضلال .
 ﴿٣٨﴾ وفضل الحياة الدنيا الفانية على الحياة الأخرى الباقية . ﴿٣٩﴾ فإن النار هي مستقره الذي يأوي إليه .
 ﴿٤٠﴾ وأما من خاف قيامه بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ما تهواه مما حرمه الله، فإن الجنة هي مستقره الذي يأوي إليه .
 ﴿٤١﴾ يسألك - أيها الرسول - هؤلاء المكذبون بالبعث: متى تقع الساعة؟
 ﴿٤٢﴾ ليس لك علم بها حتى تذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك، إنما شأنك الاستعداد لها .
 ﴿٤٣﴾ إلى ربك وحده مُنتهى علم الساعة .
 ﴿٤٤﴾ إنما أنت منذر من يخشى الساعة؛ لأنه الذي ينتفع بإنذارك .
 ﴿٤٥﴾ كأنهم يوم يرون الساعة مشاهدة، لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلا عشيبة يوم واحد أو بكرة .
 ﴿٤٦﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - وجوب الرفق عند خطاب المدعو . ٢ - ادعاء فرعون الربوبية . ٣ - عقاب الفجار عبرة للمعتبرين . ٤ - الخوف من الله وكف النفس عن الهوى من أسباب دخول الجنة . ٥ - علم الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّيْكَ يَرْكَى ۝٣ أَوْ
يَذْكُرُ فَتُنْفَعُهُ لِذِكْرَى ۝٤ أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَى ۝٥ فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى ۝٦
وَمَا عَلَيْكَ الْأَلْبَرْكَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأَنْتَ
عَنْهُ لَهْفَى ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٣ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٤ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٥ قُلْ لِلْإِنْسَانِ
مَا أَكْفَرَهُ ۝١٦ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٧ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۝١٨ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۝١٩ ثُمَّ أَمَانَةً وَأَقْرَبَهُ ۝٢٠ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۝٢١ كَلَّا لَمَّا
بَقِيَضَ مَا أَمْرُهُ ۝٢٢ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٣ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
۝٢٤ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٥ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٦ وَعَبْنَا وَقَضًّا ۝٢٧
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٨ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٢٩ وَفَكْهَةً وَأَبَا ۝٣٠ مَنَعًا كَرْهًا
وَلَا تَعْلَمُ كَرْهًا ۝٣١ فَاذْجَأَتْ الصَّاعْتَةُ ۝٣٢ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٣
وَأُمِّهِ وَأُيُوبِهِ ۝٣٤ وَصَحْبِهِ وَوَلَدِهِ ۝٣٥ لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ۝٣٦ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ۝٣٧ ضَاكِرَةٌ مُّسْتَشِيرَةٌ ۝٣٨ وَجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيَّاءُ ۝٣٩ تَرَهَّقَهَا قِرَّةٌ ۝٤٠ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ۝٤١

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

التركيز على حقيقة دعوة القرآن وكرامتها وعلو مقامها، وكرامة من ينتفع بها، وحقارة من يعرض عنها.

﴿التفسير﴾:

﴿١﴾ عبس وجه رسول الله ﷺ وأعرض .
﴿٢﴾ لأجل مجيء عبد الله ابن أم مكتوم يسترشده، وكان أعمى، جاء والرسول ﷺ مشغول بأكابر المشركين أملاً في هدايتهم .
﴿٣﴾ وما يعلمك - أيها الرسول - لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه؟
﴿٤﴾ أو يتعظ بما يسمع منك من المواعظ، فينتفع بها .
﴿٥﴾ أما من استغنى بما لديه من المال عن الإيمان بما جئت به .
﴿٦﴾ فأنت له تتعرض، وتقبل إليه .
﴿٧﴾ وما عليك من ضرر إذا لم يتطهر من ذنوبه بالتوبة إلى الله .
﴿٨﴾ وأما من جاءك يسعى بحثاً عن الخير .
﴿٩﴾ وهو يخشى ربه .
﴿١٠﴾ فأنت تتشاكل عنه بغيره من أكابر المشركين .
﴿١١﴾ ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكير لمن يقبل .
﴿١٢﴾ فمن شاء أن يذكر الله ذكره، واتعظ بما في هذا القرآن .

﴿١٣﴾ فهذا القرآن في صحف شريفة عند الملائكة .

﴿١٤﴾ مرفوعة في مكان عال، مطهرة لا يصبها دُرس ولا رجس .

﴿١٥﴾ وهي بأيدي رسل من الملائكة .

﴿١٦﴾ كرام عند ربهم، كثيري فعل الخير والطاعات . ﴿١٧﴾ لئن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله! ﴿١٨﴾ من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر في الأرض ويكفره؟ ﴿١٩﴾ من ماء قليل خلقه، فقدّر خلقه طوراً بعد طور . ﴿٢٠﴾ ثم يسر له بعد هذه الأطوار الخروج من بطن أمه . ﴿٢١﴾ ثم بعد ما قدر له من عمر في الحياة أماته، وجعل له قبراً يبقى فيه إلى أن يبعث . ﴿٢٢﴾ ثم إذا شاء بعثه للحساب والجزاء بعثه . ﴿٢٣﴾ ليس الأمر كما يتوهم هذا الكافر أنه أدى ما عليه لربه من حق، فهو لم يؤد ما أوجب الله عليه من الفرائض . ﴿٢٤﴾ فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل؟ ﴿٢٥﴾ فأصله أننا صببنا الماء من السماء صباً بإنزال المطر . ﴿٢٦﴾ ثم فتقنا الأرض فانشقت عن النبات . ﴿٢٧﴾ فأنبتنا فيها الحبوب من قمح وذرة وغيرهما . ﴿٢٨﴾ وأنبتنا فيها عنباً وقتاً وطماً؛ ليكون علفاً . ﴿٢٩﴾ وأنبتنا فيها زيتونا ونخلاً . ﴿٣٠﴾ وأنبتنا فيها حدائق كثيرة الأشجار . ﴿٣١﴾ وأنبتنا فيها فاكهة، وأنبتنا فيها ما ترعاه بهائمكم . ﴿٣٢﴾ لاتنفعكم، وانتفاع بهائمكم . ﴿٣٣﴾ فإذا جاءت النفخة الثانية . ﴿٣٤﴾ يوم يهرب المرء من أخيه . ﴿٣٥﴾ ويفرّ من أمه وأبيه . ﴿٣٦﴾ ويفرّ من زوجته وأولاده . ﴿٣٧﴾ لكل واحد منهم ما يشغله عن الآخر من شدة الكرب في ذلك اليوم . ﴿٣٨﴾ وجوه السعداء في ذلك اليوم مضبئة . ﴿٣٩﴾ ضاحكة فرحة بما أعدّ الله لها من رحمته . ﴿٤٠﴾ وجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار . ﴿٤١﴾ تغشاها ظلمة . ﴿٤٢﴾ أولئك الموصوفون بتلك الحال هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور .

﴿٤٣﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - عتاب الله نبيه في شأن عبد الله ابن أم مكتوم دل على أن القرآن من عند الله . ٢ - الاهتمام بطالب العلم والمُستَشْرِد . ٣ - شدة أهوال يوم القيامة حيث لا يشغل المرء إلا نفسه، حتى الأنبياء يقولون: نفسي نفسي .

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ
مَكِّيَّةٌ —

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا
الْمَوءُ دَسَّيَلَتْ ٨ بَأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤ فَلَا أَقِيمُ بِالْخَيْسِ ١٥
الْبُجُورِ الْكَيْسِ ١٦ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا انْفَسَسَ ١٨
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٍ
تَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ
٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥
فَإِن تَذَهَبُونَ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

● مقصد السُّورَةِ :
تركز على تصوير القيامة بانفراط الكون بعد إحكامه ؛
إظهاراً لصدق القرآن، وإلزاماً بسبيل الرحمن .
● التفسيرين :
١ إذا الشمس جُمِعَ جِزْمُهَا، وَذَهَبَ ضَوْوُهَا .
٢ وإذا الكواكب تساقطت ومُجِي ضَوْوُهَا .
٣ وإذا الجبال حُرِّكَتْ من مكانها حتى تصير هبَاءً .
٤ وإذا النُّفُوسُ الحَوَامِلُ الَّتِي هِيَ أَنْفُسُ
أَمْوَالِهِمْ أَهْمِلَتْ بِتَرْكِ أَهْلِهَا لَهَا .
٥ وإذا الوحوش جُمِعَتْ مع البشر في صعيد واحد .
٦ وإذا البحار أُوقِدَتْ حتى تصير ناراً .
٧ وإذا النفوس قُرُنَتْ بَمَنْ يَمَانِلُهَا، فَيُقْرَنُ
الْفَاجِرُ بِالْفَاجِرِ، وَالتَّقِيُّ بِالتَّقِيِّ .
٨ وإذا الطفلة المدفونة وهي حَيَّةٌ سَأَلَهَا اللَّهُ .
٩ بأي جريمة قُتِلَتْ من قَتْلِكَ؟
١٠ وإذا صحف أعمال العباد نُشِرَتْ؛ لِيَقْرَأَ كُلُّ
وَاحِدٍ صَحِيفَةَ أَعْمَالِهِ .
١١ وإذا السماء نُزِعَتْ كَمَا يُنْرَعُ الْجِلْدُ عَنِ الشَّاةِ .
١٢ وإذا النار أُوقِدَتْ .
١٣ وإذا الجنة قُرِبَتْ لِلْمُتَّقِينَ .
١٤ عندما يحصل ذلك تعلم كل نفس ما
أحضرت من الأعمال لذلك اليوم .

١٥ أقسم الله بالنجوم الخفية قبل بزوغها في الليل .
١٦ الحاربات التي تغيب في مواطن غيابها مثل الأطباء تدخل كِنَاسِهَا؛ أَي: ببيتها .
١٧ وأقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر .
١٨ وأقسم بالصبح إذا بزغ نوره .
١٩ إن القرآن المنزل على محمد ﷺ لكلام الله بلغه ملك أمين، وهو جبريل عليه السلام، ائتمنه الله عليه .
٢٠ صاحب قوة عند رب العرش سبحانه ذي منزلة عظيمة .
٢١ يطيعه أهل السماء، مؤتمن على ما يبلغه من الوحي .
٢٢ وما صاحبكم الذي تعرفون عقله وأمانته وصدقه بمجنون كما تدعون بهتأناً .
٢٣ ولقد رأى صاحبكم جبريل على صورته التي خُلِقَ عليها بأفق السماء الواضح .
٢٤ وليس صاحبكم بيخيل عليكم بيخل أن يبلغكم ما أمر بتبليغيه إليكم، ولا يأخذ أجراً كما يأخذ الكهنة .
٢٥ وليس هذا القرآن من كلام شيطان مطرود من رحمة الله .
٢٦ فأَي طريق تسلكونها لإنكار أنه من الله بعد هذه الحجج؟
٢٧ ليس القرآن إلا تذكيراً وموعظة للجن والإنس .
٢٨ لمن شاء منكم أن يستقيم على طريق الحق .
٢٩ وما تشاؤون استقامة ولا غيرها إلا أن يشاء الله ذلك، رب الخلائق كلها .

● فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ : ١ - حُسْرُ الْمَرْءِ مَعَ مَنْ يَمَانِلُهُ فِي الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ . ٢ - وَأُدُّ الْبِنَاتِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ يَسْأَلُ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِنْ فِعْلِهِ . ٣ - مَشِيئَةُ الْعَبْدِ تَابِعَةٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ .

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ — مَكِّيَّةٌ —

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :

تركز على تصوير القيامة بتبعثر مخلوقات المنتظمة وتغير حالها ومسارها، تأكيداً للسورة السابقة.

﴿٢﴾ التفسيرين :

﴿١﴾ إذا السماء تشققت لنزول الملائكة منها.

﴿٢﴾ وإذا الكواكب تساقطت متناثرة.

﴿٣﴾ وإذا البحار اختلط بعضها ببعض.

﴿٤﴾ وإذا القبور قلبت تراها لبعث من فيها من الاموات.

﴿٥﴾ عند ذلك تعلم كل نفس ما قدمت من عمل، وما أخرت منه فلم تعمله.

﴿٦﴾ يا أيها الإنسان الكافر بربك، ما الذي جعلك تخالف أمر ربك حين أمهلك ولم يعاجلك بالقوية تكرماً منه؟

﴿٧﴾ الذي أوجدك بعد أن كنت عدماً، وجعلك سوي الأعضاء معتدلاً.

﴿٨﴾ في أي صورة شاء أن يخلقك خلقتك، وقد أنعم عليك إذ لم يخلقك في صورة حمار ولا فرد ولا كلب ولا غيرها.

﴿٩﴾ ليس الأمر كما تصورتهم - أيها المغترون -، بل أنتم تكذبون بيوم الجزاء فلا تعملون له.

﴿١٠﴾ وإن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم كراماً عند الله، كاتبين يكتبون أعمالكم.

﴿١١﴾ يعلمون ما تفعلون من فعل فيكتبونه.

﴿١٢﴾ إن كثيري فعل الخير والطاعة لفي نعيم دائم يوم القيامة. ﴿١٣﴾ وإن أصحاب الفجور لفي نار تستعر عليهم يدخلونها يوم الجزاء يعانون حرّها. ﴿١٤﴾ وليسوا عنها بغائبين أبداً، بل هم خالدون فيها.

﴿١٥﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الدين؟ ﴿١٦﴾ ثم ما أعلمك ما يوم الدين؟

﴿١٧﴾ يوم لا يستطيع أحد أن ينفع أحداً، والأمر كله في ذلك اليوم لله وحده، يتصرف بما يشاء، لا لأحد غيره.

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ — مَكِّيَّةٌ —

﴿١﴾ مقصد السُّورَةِ :

تركز على بيان حال الناس في الموازين والمنازل الأخروية، تهديداً للمطففين والمكذبين، وتأييماً للمؤمنين المستضعفين.

﴿٢﴾ التفسيرين :

﴿١﴾ هلاك وخسار للمطففين. ﴿٢﴾ وهم الذين إذا اکتلوا من غيرهم يستوفون حقهم كاملاً دون نقص.

﴿٣﴾ وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والميزان، وكان ذلك حال أهل المدينة عند هجرة النبي ﷺ إليهم.

﴿٤﴾ ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا المنكر أنهم مبعوثون إلى الله؟!

﴿٥﴾ للحساب والجزاء في يوم عظيم لما فيه من المحن والأحوال. ﴿٦﴾ يوم يقوم الناس للحساب لرب الخلائق كلها.

﴿٧﴾ فوازي من الآيات: ١ - التحذير من الغرور المانع من اتباع الحق. ٢ - تسجيل الملائكة أعمال العباد بأمر من الله.

٣ - قدرة الخالق على خلق الإنسان على أي صورة شاءها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ إِذَا السَّمَاءُ انفطرت ﴿٢﴾ وَإِذَا الْكُوكَبَاتُ انشترت ﴿٣﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ

فجرت ﴿٤﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتِ ﴿٥﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدِمْتَ

وَأَخَّرْتَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٧﴾ الَّذِي

خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٨﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٩﴾

كَلَّا بَلْ تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحِفْظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا

كِنِينِ ﴿١٢﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ إِنْ الْأَبْرَارُ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ

الْفَجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٥﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٦﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِعَائِينَ

﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ

﴿١٩﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ إِذَا كَالُوا عُلَّ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٣﴾

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٤﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ

مَبْعُوثُونَ ﴿٥﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾

﴿٨﴾

﴿٩﴾

﴿١٠﴾

﴿١١﴾

﴿١٢﴾

﴿١٣﴾

﴿١٤﴾

﴿١٥﴾

﴿١٦﴾

﴿١٧﴾

﴿١٨﴾

﴿١٩﴾

﴿٢٠﴾

﴿٧﴾ ليس الأمر كما تصوّرتُم من أنه لا بعث بعد الموت، إن كتاب أهل الفجور من الكفار والمنافقين لفي سجين.

﴿٨﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما سجين؟

﴿٩﴾ هو كتاب مكتوب، لا يُزاد فيه ولا يُنقص.

﴿١٠﴾ هلاك وخسار في ذلك اليوم للمكذبين.

﴿١١﴾ الذين يكذبون بيوم الجزاء الذي يجازي فيه الله عباده على أعمالهم في الدنيا.

﴿١٢﴾ وما يكذب بذلك اليوم إلا كل متجاوز لحدود الله، كثير الآثام.

﴿١٣﴾ إذا تُقرأ عليه آياتنا المنزلّة على رسولنا قال: هي أقاصيص الأمم الأولى، وليست من عند الله.

﴿١٤﴾ ليس الأمر كما تصور هؤلاء المكذبون، بل غلب على عقولهم ما كانوا يكسبون من المعاصي، فلم يبصروا الحق بقلوبهم.

﴿١٥﴾ حقا إنهم عن رؤية ربهم يوم القيامة لممنوعون.

﴿١٦﴾ ثم إنهم لداخلو النار، يعانون حرّها.

﴿١٧﴾ ثم يقال لهم يوم القيامة تقرّيبا لهم: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا عندما يخبركم به رسولكم.

﴿١٨﴾ ليس الأمر كما تصوّرتُم من أنه لا حساب ولا جزاء، إن كتاب أصحاب الطاعة لفي عليين.

﴿١٩﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما عليون؟

﴿٢٠﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِ اسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْرُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّمَا لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْقُوعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِّسْكَ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَرِزْقُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ ءَأَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿٢٠﴾ كتاب مكتوب، لا يُزاد فيه ولا يُنقص.

﴿٢١﴾ يحضر هذا الكتاب مقربو كل سماء من الملائكة.

﴿٢٢﴾ إن المكثرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.

﴿٢٣﴾ على الأسرة المزينة ينظرون إلى ربهم، وإلى كل ما يبهج نفوسهم ويسرهم.

﴿٢٤﴾ إذا رأيتهم رأيت في وجوههم أثر التمتع حسنا وبهاء. ﴿٢٥﴾ يسقيهم خدمهم من خمر مختوم على إنائها.

﴿٢٦﴾ نفوح رائحة المسك في نهايته، وفي هذا الجزاء الكريم يجب أن يتسابق المتسابقون، بالعمل بما يرضي الله، وترك ما يسخطه.

﴿٢٧﴾ يُخلط هذا الشراب المختوم من عين تسنيم.

﴿٢٨﴾ وهي عين في الجنة يشرب منها المقربون، ويشرب سائر المؤمنين منها، مخلوطة بغيرها.

﴿٢٩﴾ إن الذين أجروا بما كانوا عليه من الكفر كانوا من الذين آمنوا يضحكون استهزاء بهم.

﴿٣٠﴾ وإذا مروا بالمؤمنين غمز بعضهم لبعض سخرية وتندرا.

﴿٣١﴾ وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين.

﴿٣٢﴾ وإذا شاهدوا المسلمين قالوا: إن هؤلاء لضالون عن طريق الحق، حيث تركوا دين آبائهم.

﴿٣٣﴾ وما وكلهم الله على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.

﴿٣٤﴾ فيوم القيامة الذين آمنوا بالله يضحكون من الكفار كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.

﴿٣٥﴾ فَوَالَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ ١ - خطر الذنوب على القلوب. ٢ - حرمان الكفار من رؤية ربهم يوم القيامة. ٣ - السخرية من أهل الدين صفة من صفات الكفار.

﴿٣٥﴾ على الآرايك ينظرون ﴿٣٥﴾ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴿٣٦﴾ لهم من النعيم الدائم .
﴿٣٦﴾ لقد جُوزي الكفار على أعمالهم التي عملوها في الدنيا بالعذاب المهين .

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

— مكية —

﴿٣٧﴾ مقصد السُّورَةِ :

تركز على تصوير القيامة باستسلام الكون وخضوعه لربه في أمره، إلزاماً بالاستسلام، واستنكاراً للجحود.

﴿٣٨﴾ التفسير :

﴿١﴾ إذا السماء تصدّعت لنزول الملائكة منها .
﴿٢﴾ واستمعت لربها منقادة، وحق لها ذلك .
﴿٣﴾ وإذا الأرض مدّها الله كما يمدّ الأديم .
﴿٤﴾ وألقت ما فيها من الكنوز والأموات، وتخلّت عنهم .

﴿٥﴾ واستمعت لربها منقادة، وحق لها ذلك .
﴿٦﴾ يا أيها الإنسان، إنك عامل إما خيراً أو شراً، فملاقية يوم القيامة؛ ليجازيك الله عليه .
ولما ذكر عمل الإنسان مجملاً فضّل حال العاملين يوم القيامة، فقال :

﴿٧﴾ فأما من أعطى صحيفة أعماله بيده اليمنى .
﴿٨﴾ فسوف يحاسبه الله حساباً سهلاً .
﴿٩﴾ ويرجع إلى أهله مسروراً .
﴿١٠﴾ وأما من أعطى كتابه بشماله من وراء ظهره .
﴿١١﴾ فسنادي بالهلاك على نفسه .

﴿١٢﴾ ويدخل نار جهنم يقاسي حرّها .
﴿١٣﴾ إنه كان في الدنيا في أهله فرحاً بما هو عليه من الكفر والمعاصي .
﴿١٤﴾ إنه ظنّ أنه لن يرجع إلى الحياة بعد موته .
﴿١٥﴾ بلى، ليرجعه الله إلى الحياة كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيراً لا يخفى عليه منه شيء، وسيجازهه على عمله .
﴿١٦﴾ أقسم الله بالحُمْرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس .

﴿١٧﴾ وأقسم بالليل وما جُمع فيه . ﴿١٨﴾ والقمر إذا اجتمع وتمّ وصار بدرًا .
﴿١٩﴾ لتركن - أيها الناس - حالاً بعد حال من تُظفّعة فَعَلَقَة مُضْغَة، فحياة فموت فبعث .
﴿٢٠﴾ فما لهؤلاء الكفار لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر؟
﴿٢١﴾ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لربّهم؟
﴿٢٢﴾ بل الذين كفروا يكذبون بما جاءهم به رسولهم .

﴿٢٣﴾ والله أعلم بما تُوعيه صدورهم، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء .
﴿٢٤﴾ فأخبرهم - أيها الرسول - بما ينتظرهم من عذاب مؤلم .
﴿٢٥﴾ إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم ثواب غير مقطوع؛ وهو الجنة .

﴿٢٦﴾ فَوَالَّذِينَ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - خضوع السماء والأرض لربهما . ٢ - كل إنسان ساع إما لخير وأما لشر . ٣ - علامة السعادة يوم القيامة أخذ الكتاب باليمين، وعلامة الشقاء أخذه بالشمال .

عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثَوْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

آياتها ٣٥

سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

آياتها ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ

﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ

كُتُبِهِ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا بَاصِيرًا ﴿٨﴾ وَيُنْقَلَبُ

إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كُتُبِهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ

يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنْ رَأَىٰ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ

بِالسَّعْتِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ

عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يُسْجِدُونَ لِلَّهِ الَّذِي كَفَرُوا وَيَكْدِبُونَ ﴿٢١﴾

﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سورة البروج

مكة

سورة البروج

١٣ آياتها

١٣ آياتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ٢ وَشَاهِدٍ مَّشْهُودٍ ٣
 قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ٥ إِذْ هُرِّعَتْهَا ٦
 قُعُودٌ ٧ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٨ وَمَا نَقَمُوا ٩
 مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١٠ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١ إِنَّ الَّذِينَ
 فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَهُمْ
 فِيهَا فِي الْحَرِيقِ ١٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١٣ إِنَّ بَطْشَ
 رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٤ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ١٥ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٦
 ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٧ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ١٨ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٩
 فِرْعَوْنَ وَنَمُودٍ ٢٠ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ٢١ وَاللَّهُ مِنْ
 وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٢ بَلْ هُوَ فَوْقَهُمْ أَنْ مَجِيدٌ ٢٣ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٤

سورة الطلاق

١٧ آياتها

١٧ آياتها

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على إظهار قوة الله وإحاطته الشاملة وتوعده للمترصين بالمؤمنين بالعذاب الشديد.

﴿٢﴾ التفسير:

﴿١﴾ أقسم الله بالسماء المشتملة على منازل الشمس والقمر وغيرهما.

﴿٢﴾ وأقسم بيوم القيامة الذي وعد أن يجمع فيه الخلائق.

﴿٣﴾ وأقسم بكل شاهد وكل مشهود.

﴿٤﴾ لعن الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً.

﴿٥﴾ وأوقدوا فيه النار، وألقوا المؤمنين فيه أحياء.

﴿٦﴾ إذ هم قعود على ذلك الشق المملوء ناراً.

﴿٧﴾ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب والتكليل شهود؛ لحضورهم ذلك.

﴿٨﴾ وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.

﴿٩﴾ الذي له وحده ملك السماوات وملك الأرض، وهو مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده.

﴿١٠﴾ إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ليصرفوهم عن الإيمان بالله وحده، ثم لم يتوبوا إلى الله من ذنوبهم، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم؛ جزاء على ما فعلوه بالمؤمنين من الإحراق بالنار.

﴿١١﴾ إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم الذي لا يدانه فوز.

﴿١٢﴾ إن أخذ ربك - أيها الرسول - للظالم - وإن أمهله حيناً - لقوي. إنه هو يُبْدِي الخلق والعذاب، ويعيدهما.

﴿١٣﴾ وهو الغفور لذنوب من تاب من عباده، وإنه يحب أولياءه من المتقين.

﴿١٤﴾ صاحب العرش الكريم.

﴿١٥﴾ فعال لما يريد من عفو ذنوب من شاء، وعقاب من شاء، لا مكره له سبحانه.

﴿١٦﴾ هل جاءك - أيها الرسول - خبر الجنود الذين تجندوا لمحاربة الحق، والصد عنه؟ فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام.

﴿١٧﴾ ليس المانع من إيمان هؤلاء أنهم لم تأتهم أخبار الأمم المكذبة وما حصل من إهلاكهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم اتباعاً لأهوائهم.

﴿١٨﴾ والله محيط بأعمالهم محصيها، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿١٩﴾ وليس القرآن شعراً، ولا سجعاً كما يقول المكذبون، بل هو قرآن كريم.

﴿٢٠﴾ في لوح، محفوظ من التبديل والتحريف، والنقص والزيادة.

﴿٢١﴾ فآيات من الآيات: ١ - يكون ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه. ٢ - إيثار سلامة الإيمان على سلامة الأبدان من علامات النجاة يوم القيامة. ٣ - التوبة بشروطها تهدم ما قبلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣ إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَمَّا عَلِمَهَا حَافِظٌ ٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خَلِقَ ٥ خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧ إِنَّهُ عَلَّمَ رَجْعَهُ لِقَادِرٌ ٨
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩ فَمَا لَهُمْ قُوَّةَ وَلَا نَاصِرٌ ١٠ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ ١١
وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ ١٢ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْمَزَلِ ١٤ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُوبِدًا ١٧

سُورَةُ الرَّاعِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ٥ سَنُقَرِّبُكَ
فَلَا تَسْتَوِي ٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ٧ وَيُنِيرُكَ
لِلْيَسْرَى ٨ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ٩ سِيدَّرْكَ مِنْ يَخْشَى ١٠
وَيَجْنِبُهَا الْأَشْفَى ١١ الَّذِي يُصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَى ١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَى ١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ١٥

سُورَةُ الرَّاعِي

وَدَحَضَ الْبَاطِلَ ١٧ فَمَهْلُ - أيها الرسول - هؤلاء المكذبين، أمهلهم قليلاً، ولا تستعجل عذابهم وإهلاكهم.

● مقصد السورة: تركز على تذكير النفوس بيمنة الله الأعلى، وتعلقها بالحياة الأخرى، وتخليصها من التعلقات الدنيا.
● التفسير: ١ نزه اسم ربك الأعلى عن القائص كالشريك، وعظمه عما لا يليق به. ٢ الذي خلق الإنسان سوياً، وعدل قامته. ٣ والذي قدر الخلائق أجناسها وأنواعها وصفاتها، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه ويوائمه. ٤ والذي أخرج من الأرض ما ترعاه دوابكم. ٥ فصيره هشيماً أسود بعد أن كان أخضر غضاً. ٦ سنقرئك - أيها الرسول - القرآن، ونجمه في صدرك ولن تنساه، فلا تسابق جبريل في القراءة كما كنت تفعل حرصاً على أن لا تنساه. ٧ إلا ما شاء الله أن تنساه منه لحكمة، إنه سبحانه يعلم ما يعلن وما يخفي، لا يخفي عليه شيء من ذلك. ٨ ونهون عليك العمل بما يرضي الله من الأعمال التي تدخل الجنة. ٩ فعض الناس بما نوحيه إليك من القرآن، وذكرهم ما دامت الذكرى مسموعة. ١٠ سيتعظ بمواعظك من يخاف الله؛ لأنه الذي يتنفع بالموعظة. ١١ ويتعد عن الموعظة وينفر منها الكافر؛ لأنه أشد الناس شقاءً في الآخرة لدخوله في النار. ١٢ الذي يدخل نار الآخرة الكبرى يقاسي حرها ويعانيه أبداً. ١٣ ثم يخلد في النار بحيث لا يموت فيها فيستريح مما يقاسيه من العذاب، ولا يحيى حياة طيبة كريمة. ١٤ قد فاز بالمطلوب من تطهر من الشرك والمعاصي. ١٥ وذكر ربه بما شرع من أنواع الذكر، وأدى الصلاة بالصفة المطلوبة لأدائها.

● فوائد من الآيات: ١ - تحفظ الملائكة الإنسان وأعماله خيراً وشرها ليحاسب عليها. ٢ - ضعف كيد الكفار إذا قوبل بكيد الله سبحانه. ٣ - خشية الله تبعث على الاتعاض.

١١ بل تقدمون الحياة الدنيا، وتفضلونها على الآخرة على ما بينهما من تفاوت عظيم.
 ١٢ ولآخرة خير وأفضل من الدنيا وما فيها من متع ولذات وأدوم؛ لأن ما فيها من نعيم لا ينقطع أبداً.
 ١٣ إن هذا الذي ذكرنا لكم من الأوامر والأخبار لفي الصحف المنزلة من قبلك.
 ١٤ هي الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

سورة العنكبوت
 — مكة —

١ مقصد السورة:
 تركز على تذكير النفوس بمشاهد القدرة الإلهية في العذاب والنعيم، ودلائل ذلك في الآيات الحاضرة، لتمتلي النفوس رغبة ورهبة.
 ٢ التفسير:
 ١ هل أتاك - أيها الرسول - حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟
 ٢ فالناس في يوم القيامة إما أشقياء وإما سعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة.
 ٣ متعبة مجهدة بالسلاسل التي تُسحب بها، والأغلال التي تُغَلُّ بها.
 ٤ تدخل تلك الوجوه ناراً حارة تقاسي حرّها.
 ٥ تُسقى من عين شديدة حرارة الماء.
 ٦ ليس لهم طعام يتغذون به إلا من أخبث الطعام وأنته من نبات يسمى الشيريق إذا يبس يصير مسموماً.
 ٧ لا يُسمن أكله، ولا يسدّ جوعته.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٢ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ٣ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ٤
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثَ النَّفْسِيفَةِ ١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَّعَتْ ٢
 عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ٣ تَصَلَّى نَارًا رَاحِمِيَّةً ٤ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيِنَةٍ ٥
 لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرْبٍ ٦ لَا يَسْمَنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ٧
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ٨ لَسَعِيَهَا رَاضِيَةٌ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠
 لَا تَسْمَعُ فِيهَا لُغِيَّةً ١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ١٣
 وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٤ وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ١٥ وَزَرَائِبٌ مُنَبِّوَةٌ ١٦
 أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨
 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠
 فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ٢٢ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ٢٣ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ٢٤
 إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ٢٦

١ ووجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وبهجة وسرور؛ لما لاقوه من النعيم.
 ٢ لعمليها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، فقد وجدت ثوابه مدخراً لها مضاعفاً.
 ٣ في جنة مرتفعة المكان والمكانة. لا تسمع في الجنة كلمة باطل ولغو، فضلاً عن سماع كلمة محرمة.
 ٤ في هذه الجنة عيون جارية يفجرونها، ويصرفونها كيف شاؤوا. فيها أسرة عالية.
 ٥ وأكواب مطروحة مهيأة للشرب. وفيها وسائل مرصوص بعضها إلى بعض.
 ٦ وفيها بسط وطنافس مبسوطة هنا وهناك. ولما ذكر الله تفاوت أحوال الأشقياء والسعداء في الآخرة، وجّه أنظار الكفار إلى ما يدلهم على قدرة الخالق وحسن خلقه ليستدلوا بذلك على الإيمان؛ ليدخلوا الجنة فيكونوا من السعداء فقال: ٧ أفلا ينظرون نظر تأمل إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لبني آدم؟ ٨ وينظرون إلى السماء كيف رفعها حتى صارت فوقهم سقفاً محفوظاً، لا يسقط عليهم؟ ٩ وينظرون إلى الجبال كيف نصبها وثبت بها الأرض أن تضطرب بالناس؟ ١٠ وينظرون إلى الأرض كيف بسطها، وجعلها مهيأة لاستقرار الناس عليها؛ ولما وجههم إلى النظر إلى ما يدل على قدرته تعالى وجّه رسوله، فقال: ١١ فعض - أيها الرسول - هؤلاء، وخوفهم من عذاب الله، إنما أنت مذكر، لا يطلب منك إلا تذكيرهم، وأما توفيقهم للإيمان فهو بيد الله وحده. ١٢ لست عليهم بمصيطر حتى تكرهمهم على الإيمان. ١٣ لكن من تولى منهم عن الإيمان، وكفر بالله وبرسوله. ١٤ فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأعظم بأن يدخله جهنم خالداً فيها. ١٥ إن إلينا وحدنا رجوعهم بعد موتهم. ١٦ ثم إن علينا وحدنا حسابهم على أعمالهم، وليس لك ولا لأحد غيرك ذلك.

١ فإذن من الآيات: ١ - أهمية تطهير النفس من الخبائث الظاهرة والباطنة. ٢ - الاستدلال بالمخلوقات على وجود الخالق وعظمته. ٣ - مهمة الداعية الدعوة، لا حمل الناس على الهداية؛ لأن الهداية بيد الله.

سُورَةُ الْفَجْرِ

الآيات

٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ١
وَلَيْلٍ عَشِيرٍ ٢
وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣
وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ٤
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦
إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧
الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ٨
وَشُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ ٩
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠
الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْعَالَمِ ١١
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطٌ عَذَابٍ ١٣
إِنَّ رَبَّكَ لِيَا لَمْرِصَادٍ ١٤
فَأَمَّا
الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٥
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ١٦
كَلَّا بَلْ لَأَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ١٧
وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ ١٨
وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثِ أَكْلًا لَمًّا ١٩
وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠
كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا
دَكًّا ٢١
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢
وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِرُ الْإِنْسَانَ وَفِي لَهُ الذِّكْرَى ٢٣

﴿مَقْصَدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على عرض مشاهد العظمة والقدرة الإلهية في الكون وأحوال الإنسان، وبيان عاقبة المغترين.

﴿التفسيرين﴾:

١ أقسم الله سبحانه بالفجر.

٢ وأقسم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة.

٣ وأقسم بالزوج والفرد من الأشياء.

٤ وأقسم بالليل إذا جاء، واستمر وأدبر.

٥ هل في ذلك المذكور قَسَمٌ يقنع ذا عقل؟

٦ ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا رسوله؟

٧ عاد إرم ذات الطول.

٨ التي لم يخلق الله مثله في البلاد.

٩ أولم تر كيف فعل ربك بشمود قوم صالح لما

عقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم؟ ثمود الذين

شقوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتاً بالحجر.

١٠ أولم تر كيف فعل ربك بفرعون الذي

كانت له أوتاد يعذب بها الناس؟

١١ كل هؤلاء تجاوزوا الحد في الجبروت

والظلم، كل تجاوزه في بلده.

١٢ فأكثروا فيها الفساد بما نشره من الكفر

والمعاصي.

١٣ فأذقهم الله عذابه الشديد، واستأصلهم من الأرض.

١٤ إن ربك - أيها الرسول - ليرصد أعمال الناس ويراقبها؛ ليجازي من أحسن بالجنة، ومن أساء بالنار.

ولما كانت الأمم التي أهلكها الله منعماً عليها بالقوة والمنعة بين أن الإنعام بذلك ليس دليلاً على رضا الله عنهم، فقال:

١٥ فأما الإنسان فمن طبعه أنه إذا اختبره ربه وأكرمه، وأنعم عليه بالمال والأولاد والجاه، ظن أن ذلك لكرامة له

عند الله، فيقول: ربي أكرمني لاستحقاقي لإكرامه.

١٦ وأما إذا اختبره وضيَّقَ عليه رزقه، فإنه يظن أن ذلك لهوانه على ربه فيقول: ربي أهانني.

١٧ كلا، ليس الأمر كما تصور هذا الإنسان من أن النعم دليل على رضا الله عن عبده، وأن النقم دليل على هوان

العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم مما أعطاكم الله من الرزق.

١٨ ولا بحث بعضكم بعضاً على طعام الفقير الذي لا يجد ما يقتات به.

١٩ وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلاً شديداً دون مراعاة حليته.

٢٠ وتحبون المال كثيراً، فتبتخلون بإنفاقه في سبيل الله حرصاً عليه.

٢١ لا ينبغي أن يكون هذا عملكم، إذا حُرِّكت الأرض تحريكاً شديداً وزلزلت.

٢٢ وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفاً.

٢٣ وجيء في ذلك اليوم بجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، في ذلك اليوم

يتذكر الإنسان ما فرط في جنب الله، وأنى له أن ينفعه التذكر في ذلك اليوم؛ لأنه يوم جزاء لا يوم عمل.

﴿قَوْلُهُ مِنَ الْآيَاتِ﴾: ١ - فضل عشر ذي الحجة على أيام السنة. ٢ - ثبوت المجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما

يليق به؛ من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

١٤ يقول من شدة الندم: يا ليتني قدمت الأعمال الصالحة لحياتي الأخروية التي هي الحياة الحقيقية.

١٥ في ذلك اليوم لا يُعَذَّب أحد مثل عذاب الله؛ لأن عذاب الله أشد وأبقى.

١٦ ولا يُوثق في السلاسل أحد مثل وثاقه للكافرين فيها.

ولما ذكر الله جزاء الكفار ذكر جزاء المؤمنين فقال:

١٧ وأما نفس المؤمن فيقال لها عند الموت ويوم القيامة: يا أيتها النفس المطمئنة إلى الإيمان والعمل الصالح.

١٨ ارجعي إلى ربك راضية عنه بما تنالين من الثواب الجزيل، مرضية عنده سبحانه بما كان لك من عمل صالح.

١٩ فادخلي في جملة عبادي الصالحين.

٢٠ وادخلي معهم جنتي التي أعدتها لهم.

سورة البقرة

— مكة —

مقصد السورة:

تركز على الإنسان؛ بين كبد الكفر والعذاب وبين الصعود لسلم الرحمة والإيمان في الدارين.

التفسير:

١ أقسم الله بالبلد الحرام الذي هو مكة المكرمة.

٢ وأنت - أيها الرسول - حلال لك ما تصنع فيها؛ من قتل من يستحق القتل، وأسر من يستحق الأسر.

٣ وأقسم الله بوالد البشر، وأقسم بما تناسل منه من الولد.

٤ لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة؛ لما يعانیه من الشدائد في الدنيا.

٥ أظن الإنسان أنه إذا اقترف المعاصي لا يقدر عليه أحد، ولا ينتقم منه، ولو كان ربه الذي خلقه؟

٦ يقول: أنفقت ما لا كثيراً متراكماً بعضه فوق بعض.

٧ أظن هذا المتباهي بما ينفقه أن الله لا يراه؟ وأنه لا يحاسبه في ماله؛ من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟

٨ ألم نجعل له عينين يبصر بهما؟ ٩ ولساناً وشفقتين يتحدث بهما؟

١٠ وعرفناه طريق الخير، وطريق الباطل؟ ١١ وهو مطالب بأن يتجاوز العقبة التي تفصله عن الجنة فيقطعها

ويتجاوزها.

١٢ وما أعلمك - أيها الرسول - ما العقبة التي عليه أن يقطعها ليدخل الجنة؟

١٣ هي إعتاق رقبة ذكراً كانت أو أنثى. ١٤ أو أن تطعم في يوم مجاعة يندر فيه وجود الطعام.

١٥ طفلاً فقد أباه، له به قرابة. ١٦ أو فقيراً ليس له شيء يملكه.

١٧ ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء،

وأوصى بعضهم بعضاً بالرحمة بعباد الله.

١٨ أولئك المتصفون بتلك الصفات هم أصحاب اليمين.

١٩ والذين كفروا بآياتنا المنزلة على رسولنا هم أصحاب الشمال. ٢٠ عليهم نار مغلقة يوم القيامة يعذبون فيها.

٢١ فإذ من الآيات: عتق الرقاب، وإطعام المحتاجين في وقت الشدة، والإيمان بالله، والتواصي بالصبر والرحمة:

من أسباب دخول الجنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ٣
وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَدَّهَا ٥ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ٦
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَعُونِهَا ١١ إِذِ ابْتِغَتْ أَشْقَاهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ١٥

سُورَةُ الْجِيَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣
إِنْ سَعَيْكُمْ لَشِقَى ٤ فَمَا مَنَ أَعْطَى وَاتَّقَى ٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦
فَسَنَسِرُهُ لِلْعُسْرَى ٧ وَأَمَّا مَنْ يَحْتَلْ وَاسْتَعْتَى ٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩
فَسَنَسِرُهُ لِلْعُسْرَى ١٠ وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ١١ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَى ١٢ وَإِن لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ١٣ فَأَنْذَرْتُمْ كُنَارًا تَلَطَّى ١٤

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ : تركز على بيان الاختلاف بين الآيات والأنفس وأعمالها، إظهارًا للتفاضل بين المؤمنين والكافرين.

﴿التفسير﴾ : ١) أقسم الله بالليل إذا يغطي ما بين السماء والأرض بظلمته. ٢) وأقسم بالنهار إذا تكشف وظهر. ٣) وأقسم بخلقه النوعين: الذكر والأنثى. ٤) إن عملكم - أيها الناس - لمختلف، فمنه الحسنات التي هي سبب دخول الجنة، والسيئات التي هي سبب دخول النار. ٥) فأما من أعطى ما يلزمه بذله؛ من زكاة ونفقة وكفارة، واتقى ما نهى الله عنه. ٦) وصدق بما وعده الله به من الخلف. ٧) فسنسهل عليه العمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله. ٨) وأما من يخل بماله فلم يبذل فيما يجب عليه بذله فيه، واستغنى بماله عن الله فلم يسأل الله من فضله شيئًا. ٩) وكذب بما وعده الله من الخلف ومن الثواب على إنفاق ماله في سبيل الله. ١٠) فسنسهل عليه عمل الشر، ونعسر عليه فعل الخير. ١١) وما يغني عنه ماله الذي يخل به شيئًا إذا هلك، ودخل النار. ١٢) إن علينا أن نبين طريق الحق من الباطل. ١٣) وإن لنا للحياة الآخرة ولنا الحياة الدنيا، نتصرف فيهما بما نشاء، وليس ذلك لأحد غيرنا. ١٤) فحذرتكم - أيها الناس - من نار تتوقد إن أتمت عصيتم الله.

﴿فوائد من الآيات﴾ : ١ - أهمية تزكية النفس وتطهيرها. ٢ - المتعاونون على المعصية شركاء في الإثم. ٣ - الذنوب سبب للعقوبات الدنيوية.

- ١٥ لا يقاسي حرّ هذه النار إلا الأشقى وهو الكافر .
 ١٦ الذي كذب بما جاء به الرسول، وأعرض عن امتثال أمر الله .
 ١٧ وسياعد عنها أتقى الناس أبو بكر رضي الله عنه .
 ١٨ الذي ينفق ماله في وجوه البر ليتطهر من الذنوب .
 ١٩ ولا يبذل ما يبذل من ماله ليكافئ نعمة أنعم بها أحد عليه .
 ٢٠ لا يريد بما يبذله من ماله إلا وجه الله سبحانه .
 ٢١ ولسوف يرضى بما يعطيه الله من الجزاء الكريم .

سورة الضحى

— مكية —

﴿ مقصد السورة ﴾ :

تركز على رعاية الله لنبيه ﷺ والامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له، تأنيساً له، وتذكيراً للمؤمنين بالشكر.

﴿ التفسير ﴾ :

- ١ أقسم الله بأول النهار .
 ٢ وأقسم بالليل إذا أضلم و سكن الناس فيه عن الحركة .
 ٣ ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك؛ كما يقول المشركون لما فتر الوحي .
 ٤ وللدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ لما فيها من النعيم الدائم الذي لا ينقطع .

- ٥ ولسوف يعطيك من الثواب الجزيل لك ولأمتك حتى ترضى بما أعطاك وأعطى أمتك .
 ٦ لقد وجدك صغيراً قد مات عنك أبوك، فجعل لك ماوى، حيث عطف عليك جدك عبد المطلب، ثم عمك أبو طالب .
 ٧ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك من ذلك ما لم تكن تعلم . ٨ ووجدك فقيراً فأغناك . ٩ فلا تسيء معاملته من فقد أباه في الصغر، ولا تذله . ١٠ ولا تزجر السائل المحتاج . ١١ واشكر نعم الله عليك وتحدث بها .

سورة الشرح

— مكية —

﴿ مقصد السورة ﴾ :

تركز على إتمام منة الله على نبيه ﷺ بزوال الغم والحرج والعسر عنه، وما يوجب ذلك .

﴿ التفسير ﴾ :

- ١ لقد شرح لك صدرك فحبب إليك تلقي الوحي . ٢ ثم خففنا عليك ثقل هم الدعوة والتبليغ فشعرت بسهولةها . ٣ بعد أن كانت ثقيلة عليك، وكنت تشعر بثقل أمانة التبليغ . ٤ وأعلينا لك ذكرك، فقد أصبحت تُذكر في الأذان والإقامة وفي غيرهما . ٥ فإن مع الشدة والضيق سهولة واتساعاً . ٦ إن مع الشدة سهولة واتساعاً، إذا علمت ذلك فلا يهولك أذى قومك، ولا يصدنك عن الدعوة إلى الله . ٧ فإذا فرغت من أعمالك، وانتهيت منها فاجتهد في عبادة ربك . ٨ واجعل رغبتك وقصدك إلى الله وحده .

- ﴿ فآيات من الآيات ﴾ : ١ - منزلة النبي ﷺ عند ربه لا تدانيها منزلة . ٢ - شكر النعم حقّ لله على عبده . ٣ - وجوب الرحمة بالمستضعفين واللين لهم .

سُورَةُ التَّيْنِ

الآيات: ٨

آياتها: ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ٣
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ٥
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦
فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ٨

سُورَةُ الْعَاقِقَةِ

الآيات: ١٦

آياتها: ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ٦ أَلَمْ يَرَهُ إِذَا خَلَقَهُ عَلَقًا ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجُوعُ ٨ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ١١ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٣ أَرَأَيْتَ إِنْ تَوَلَّىٰ ١٤ كَلَّا لَئِنْ
لَمْ يَنْتَهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فليدع ناديه ١٧
سَنَدَعُ الرِّيَابِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تَطْعَمُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ١٩

سُورَةُ الْعَاقِقَةِ

مقصد السورة:

تركز على بيان كمال الإنسان بالعلم والوحي الباعث على تعلق العبد بربه وخضوعه له، ونقصه بمخالفة ذلك.

التفسير:

١ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك؛ فمفتتحاً باسم ربك الذي خلق جميع الخلائق. ٢ خلق الإنسان من قطعة دم متجمدة بعد أن كانت نطفة. ٣ اقرأ - أيها الرسول - ما يوحيه الله إليك، وربك الأكرم الذي لا يداني كرمه كريم، فهو كثير الجود والإحسان. ٤ الذي علم الخلق والكتابة بالقلم. ٥ علم الإنسان ما لم يكن يعلمه. ٦ حقاً إن الإنسان الفاجر مثل أبي جهل ليتجاوز الحد في تعدي حدود الله. ٧ لأجل أن رآه استغنى بما لديه من المال. ٨ إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة فيجازي كل ما يستحقه. ٩ أ رأيت أعجب من أمر أبي جهل الذي ينهى ١٠ عبداً إذا صلى لله؟ والمنهي هو رسول الله ﷺ. ١١ أ رأيت إن كان هذا المنهي على هدى وبصيرة من ربه؟ ١٢ أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، أنبئني من كان هذا شأنه؟ ١٣ أ رأيت إن كذب هذا الناهي بما جاء به الرسول، وأعرض عنه، ألا يخشى الله؟ ١٤ ألم يعلم ناهي هذا العبد عن الصلاة أن الله يرى ما يصنع، لا يخفى عليه منه شيء؟ ١٥ ليس الأمر كما تصور هذا الجاهل، لئن لم يكف عن أذاه لعبدنا، وتكذيبه له لناخذته مجذوباً إلى النار بمقدم رأسه بعنف. ١٦ تلك الناصية كاذبة في القول، خاطئة في الفعل. ١٧ فليدع حين يؤخذ بمقدم رأسه إلى النار أصحابه وأهل مجلسه يستعين بهم لينقذوه من العذاب. ١٨ سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة الغلاظ الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فلينظر أي الفريقين أقوى وأقدر. ١٩ ليس الأمر كما توهم هذا الظالم أن يصل إليك بسوء، فلا تطعمه في أمر ولا نهي، واسجد لله، واقرب منه بالطاعات، فإنها تقرب إليه.

فوائد من الآيات: ١ - رضا الله هو المقصد الأسمى. ٢ - أهمية القراءة والكتابة في الإسلام. ٣ - خطر الغنى إذا جر إلى الكبر، والبعد عن الحق. ٤ - النهي عن المعروف صفة من صفات الكفر.

سورة القدر

— مكة —

﴿ مقصد السورة ﴾ :

تركز على بيان عظم ليلة القدر وفضلها وما أنزل فيها .

﴿ التفسير ﴾ :

﴿ ١ ﴾ إنا ابتدأنا إنزال القرآن على النبي في ليلة القدر من شهر رمضان .

﴿ ٢ ﴾ وهل تدري أيها النبي ما في هذه الليلة من الخير والبركة ؟

﴿ ٣ ﴾ هذه الليلة ليلة عظيمة الخير، فهي خير من ألف شهر لمن قامها إيماناً واحتساباً .

﴿ ٤ ﴾ تنزل الملائكة، وينزل جبريل ﷺ فيها بإذن ربهم سبحانه بكل أمر قضاه الله في تلك السنة رزقاً كان أو موتاً أو ولادة أو غير ذلك مما يقدره الله .

﴿ ٥ ﴾ هذه الليلة المباركة خير كلها من ابتدائها حتى نهايتها بطلوع الفجر .

سورة البقرة

— مدينة —

﴿ مقصد السورة ﴾ :

تركز على قيمة الرسالة المحمدية، ووضوحها وكمالها .

﴿ التفسير ﴾ :

﴿ ١ ﴾ لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين إجماعهم واتفقهم على الكفر حتى يأتيهم برهان واضح، وحجة جلية .

﴿ ٢ ﴾ هذا البرهان الواضح والحجة الجلية هو رسول من عند الله بعثه يقرأ صحفاً مطهرة لا يمسه إلا المطهرون .

﴿ ٣ ﴾ في تلك الصحف أخبار صدق وأحكام عدل، ترشد الناس إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم .

﴿ ٤ ﴾ وما اختلف اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل، إلا من بعد ما بعث الله نبيه إليهم، فمنهم من أسلم، ومنهم من تمادى في كفره مع علمه بصدق نبيه .

﴿ ٥ ﴾ ويظهر جرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في كتابهم من عبادة الله وحده، ومجانبة الشرك، وإقامة الصلاة وإعطاء الزكاة، فما أمروا به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه .

﴿ ٦ ﴾ إن الذين كفروا - من اليهود والنصارى ومن المشركين يوم القيامة - يدخلون في جهنم ماكنين فيها أبداً، أولئك هم شر الخليفة؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله .

﴿ ٧ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وعمِلوا الأعمال الصالحات أولئك هم خير الخليفة .

﴿ فإذن من الآيات ﴾ : ١ - فضل ليلة القدر على سائر ليالي العام . ٢ - الإخلاص في العبادة من شروط قبولها . ٣ - الكفار شر الخليفة، والمؤمنون خيرها . ٤ - خشية الله سبب في رضاه عن عبده . ٥ - شهادة الأرض على أعمال بني آدم .

جَزَاءُ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ۗ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الزُّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۗ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۗ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۗ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۗ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ۗ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْعَنْكَابَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۗ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۗ فَالْمُعِيرَاتِ صُبْحًا ۗ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۗ فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۗ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ ۗ وَإِنَّهُ لِحَبِيبِ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۗ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ۗ

٨ ثوابهم عند ربهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبداً، رضي الله عنهم لما آمنوا به وأطاعوه، ورضوا عنه لما نالهم من رحمته، هذه الرحمة ينالها من خاف ربه، فامتثل أمره، واجتنب نهيه.

سُورَةُ الزُّلْزَلَةِ

— مَدِينَةٌ —

● مقصد السورة:

تركز على هز القلوب الغافلة لليقين بالحساب والإحصاء الدقيق.

● التفسير:

١ إذا حُرِّكَتِ الْأَرْضُ التَّحْرِيكَ الشَّدِيدِ الَّذِي يَحْدُثُ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٢ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى.

٣ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَتَحَيِّرًا: مَا شَأْنُ الْأَرْضِ تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ؟

٤ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ تَخْبِرُ الْأَرْضُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

٥ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُهَا وَأَمْرُهَا بِذَلِكَ.

٦ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الَّذِي تَتَزَلْزَلُ فِيهِ الْأَرْضُ يَصْدُرُ النَّاسُ مِنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ فِرْقًا لِيُشَاهِدُوا أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمَلُوهَا فِي الدُّنْيَا.

٧ فَمَنْ يَعْمَلُ وَزْنَ ذَرَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ يَرَهُ أَمَامَهُ.

٨ وَمَنْ يَعْمَلُ وَزْنَهَا مِنْ أَعْمَالِ الشَّرِّ يَرَهُ كَذَلِكَ.

سُورَةُ الْعَنْكَابَاتِ

— مَكِّيَّةٌ —

● مقصد السورة:

تركز على بيان حقيقة الإنسان في اهتماماته الدنيوية، تذكيراً له بمآله، وبعثاً له على تصحيح مساره.

● التفسير:

١ أقسم الله بالخيال التي تجري حتى يُسْمَعُ لِنَفْسِهَا صَوْتٌ مِنْ شِدَّةِ الْجَرِيِّ.

٢ وأقسم بالخيال التي توقد بحوافرها النار إذا لامست بها الصخور لشدة وقعها عليها.

٣ وأقسم بالخيال التي تُغَيِّرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَقْتَ الصَّبَاحِ.

٤ فَأَطْرَقَ بِجَرِيهَتِهِمْ غَبَارًا. ٥ فَوَسَّطْنَ بِفَوَارِسِهِنَّ جَمْعًا مِنَ الْأَعْدَاءِ.

٦ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَشْوُوعٌ لِلْخَيْرِ الَّذِي يَرِيدُهُ مِنْهُ رَبُّهُ. ٧ وَإِنَّهُ عَلَىٰ مَنَعِهِ لِلْخَيْرِ لِشَاهِدٍ، لَا يَسْتَطِيعُ إِنْكَارَ ذَلِكَ لَوْضُوحِهِ. ٨ وَإِنَّهُ لَفَرَطُ حَبِّهِ لِلْمَالِ يَبْخُلُ بِهِ. ٩ أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْمَغْتَرَّ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِذَا بَعَثَ اللَّهُ مَا فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَمْوَاتِ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِلْحِسَابِ وَالنَّجْزَاءِ أَنْ الْأَمْرُ لَمْ يَكُنْ كَمَا كَانَ يَتَوَهَّمُ.

● فوائد من الآيات:

١ - الإنسان مجبول على حب المال.

١٢ وأبرز وُيِّن ما في القلوب من النيات والاعتقادات وغيرها .
١٣ إن ربهم بهم في ذلك اليوم لخبير، لا يخفى عليه من أمر عباده شيء، وسيجازيهم على ذلك .

سورة القارعة

— مكة —

١ مقصد السورة :
تركز على قرع القلوب لاستحضار هول القيامة .

٢ التفسير :
١ الساعة التي تفرع قلوب الناس لعظم هولها .
٢ ما هذه الساعة التي تفرع قلوب الناس لعظم هولها؟

٣ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه الساعة التي تفرع قلوب الناس لعظم هولها؟ إنها يوم القيامة .
٤ يوم تفرع قلوب الناس يكونون كالفرش المُنشَر المتناثر هنا وهناك .

٥ وتكون الجبال مثل الصوف المُنذوف في خفة سيرها وحركتها .
٦ فأما من رجحت أعماله الصالحة على أعماله السيئة .

٧ فهو في عيشة مرضية ينالها في الجنة .
٨ وأما من رجحت أعماله السيئة على أعماله الصالحة .
٩ فمسكنه ومستقره يوم القيامة هو جهنم .
١٠ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هي؟

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ١٥ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ١٦

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الْقَارِعَةُ ٢ مَا الْقَارِعَةُ ٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ

٤ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٥ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٦ فَأَمَّا

٧ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٩ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ١٠ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ

١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٢ نَارُ حَامِيَةٍ ١٣

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ٢ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٣ كَلَّا سَوْفَ

٤ تَعْلَمُونَ ٥ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٦ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ٧ عِلْمَ الْيَقِينِ ٨ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٩ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

١٠ عَيْنَ الْيَقِينِ ١١ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ١٢

هي نار شديدة الحرارة .

سورة التكاثر

— مكة —

١ مقصد السورة :

تركز على تذكير المشغلين بالدنيا بالموت والحساب، ولذلك تسمى سورة التجار .

٢ التفسير :

١ شغلكم - أيها الناس - التفاخر بالأموال والأولاد عن طاعة الله .

٢ حتى تتم ودخلتم قبوركم .

٣ ما كان لكم أن يشغلكم التفاخر بها عن طاعة الله، سوف تعلمون عاقبة ذلك الانشغال .

٤ ثم سوف تعلمون عاقبته .

٥ حقًا لو أنكم تعلمون يقينًا أنكم مبعوثون إلى الله، وأنه سيجازيكم على أعمالكم؛ لما انشغلتم بالتفاخر بالأموال والأولاد .

٦ والله لتشاهدنَّ يوم القيامة النار . ٧ ثم لتشاهدنها مشاهدة يقين لا شك فيه .

٨ ثم ليسألنكم الله في ذلك اليوم عما أنعم به عليكم من الصحة والغنى وغيرهما .

٩ فإذ من الآيات: ١ - خطر التفاخر والتباهي بالأموال والأولاد . ٢ - يشاهد الكفار النار يوم القيامة .

٣ - يوم القيامة يُسأل الناس عن النعيم الذي أنعم به الله عليهم في الدنيا .

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على بيان حقيقة الربح والخسارة في الحياة، والتنبيه على قيمة العصر الذي يعيشه الإنسان.

﴿التفسيرين﴾:

﴿١﴾ أقسم سبحانه بوقت العصر.

﴿٢﴾ إن الإنسان لفي نقصان وهلاك.

﴿٣﴾ إلا الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحات، وأوصى بعضهم بعضاً بالحق، وبالصبر على الحق، فالمتصفون بهذه الصفات ناجون من الخسران والنقص.

سُورَةُ الْهُجُرَةِ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على وعيد المتعالمين الساخرين بالدين وأهله.

﴿التفسيرين﴾:

﴿١﴾ وبال وشدة عذاب لكثير الاغتياب للناس، والطعن فيهم.

﴿٢﴾ الذي همته جمع المال وإحصاؤه، لا هم له غير ذلك.

﴿٣﴾ يظن أن ماله الذي جمعه سينجيهِ من الموت، فيبقى خالدًا في الحياة الدنيا.

﴿٤﴾ ليس الأمر كما تصوّر هذا الجاهل،

ليطرحن في نار جهنم التي تحطم كل ما طرح فيها لشدة بأسها.

﴿٥﴾ وما أعلمك - أيها الرسول - ما هذه النار التي تحطم كل ما طرح فيها؟

﴿٦﴾ إنها نار الله الموقدة.

﴿٧﴾ التي تنفذ من أجسام الناس إلى قلوبهم.

﴿٨﴾ إنها على المُعذِّبين فيها مغلقة. ﴿٩﴾ بعمد ممددة حتى لا يخرجوا منها.

سُورَةُ الْفَيْلِ

— مَكِّيَّة —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على إظهار قدرة الله على حماية بيته الحرام، تذكيرًا وامتنانًا.

﴿التفسيرين﴾:

﴿١﴾ ألم تعلم - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأبرهته وأصحابه أصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة؟

﴿٢﴾ لقد جعل الله تدبيرهم السيئ لهمدما في ضياع، فما نالوا ما تمناه من صرف الناس عن الكعبة، وما نالوا منها شيئًا.

﴿٣﴾ وبعث عليهم طيرًا أتتهم جماعات جماعات.

﴿٤﴾ ترميهم بحجارة من طين مُتَّحَجَّرٍ. ﴿٥﴾ فجعلهم الله كورق زرع أكلته الدواب وداسته.

﴿٦﴾ فإِنَّ مِنَ الْآيَاتِ: ١ - خسران من لم يتصفوا بالإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

٢ - تحريم الهَمْزِ واللَّمْزِ في الناس. ٣ - دفاع الله عن بيته الحرام.

سُورَةُ الْقُرَيْشِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾: تركز على الامتنان على قريش وما يلزمهم تجاه ذلك.

﴿التَّفْسِيرُ﴾: لتعود قريش وإفهم.
 ① رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام آمنين.

② فليعبدوا الله رب هذا البيت الحرام وحده، الذي يسر لهم هذه الرحلة، ولا يشركوا به أحدًا.
 ③ الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف؛ بما وضع في قلوب العرب من تعظيم الحرم، وتعظيم سكانه.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾: تركز على بيان أخلاق المكذبين بالدين والآخرة، تحذيرًا للمؤمنين، وتشنيعًا على الكافرين.

﴿التَّفْسِيرُ﴾: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟ فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بغلظة عن حاجته.

- ① ولا يبحث نفسه، ولا يبحث غيره على إطعام الفقير.
 ② فهلاك وعذاب للمصلين.
 ③ الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يبالون بها حتى ينقضى وقتها.
 ④ الذين هم يراؤون بصلاتهم وأعمالهم، لا يخلصون العمل لله.
 ⑤ ويمنعون إعانة غيره بما لا ضرر في الإعانة به.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾:

تركز على منة الله على النبي ﷺ وقطع سبيل المبغضين له.

﴿التَّفْسِيرُ﴾:

- ① إنا أعطيناك - أيها الرسول - الخير الكثير، ومنه نهر الكوثر في الجنة.
 ② فآذ شكر الله على هذه النعمة، فصل له وحده واذبح؛ خلافًا لما يفعله المشركون من التقرب لأوثانهم بالذبح.
 ③ إن مبيغضك هو المنقطع عن كل خير المنسي الذي إن ذكر ذكر بسوء.

﴿فَوَازٍ مِنَ الْآيَاتِ﴾:

- ① - أهمية الأمن في الإسلام. ② - دفع اليتيم وعدم الحض على طعام المساكين من صفات الكفار. ③ - بيان مكانة الصلاة في الإسلام. ④ - الرياء أحد أمراض القلوب، وهو يبطل العمل. ⑤ - مقابلة النعم بالشكر يزيد بها.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تركز على تقرير توحيد العبادة والبراءة من الشرك، والتمايز التام بين الإسلام والشرك.

﴿التَّفْسِيرِينَ﴾ :

﴿١﴾ قل - أيها الرسول -: يا أيها الكافرون بالله .
﴿٢﴾ لا أعبد في الحال ولا في المستقبل ما
تعبدون من الأصنام.

﴿٣﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا؛ وهو الله وحده .
﴿٤﴾ ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام .
﴿٥﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد أنا، وهو الله وحده .
﴿٦﴾ لكم دينكم الذي ابتدئتموه لأنفسكم، ولي
ديني الذي أنزله الله عليّ .

سُورَةُ النَّصْرِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تركز على بيان عاقبة الإسلام بالنصر والفتح، وما يُشْرَعُ عند حصول ذلك، كما ترمز لقرب أجل النبي ﷺ .

﴿التَّفْسِيرِينَ﴾ :

﴿١﴾ إذا جاء نصر الله لدينك - أيها الرسول -
وإعزازه له، وحدث فتح مكة .

﴿٢﴾ ورأيت الناس يدخلون في الإسلام وفدًا بعد وفد .

﴿٣﴾ فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعِثْتُ بها، فسبح بحمد ربك؛ شكرًا له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، إنه كان توابًا يقبل توبة عباده، ويغفر لهم .

سُورَةُ الْمَسِيدِ

— مَكِّيَّةٌ —

﴿مَقْصِدُ السُّورَةِ﴾ :

تركز على توعد المعادين للدعوة بالهوان والعذاب في الدنيا والآخرة، وحُصَّ أبو لهب وامرأته؛ لعظم عداوتهم للنبي ﷺ .

﴿التَّفْسِيرِينَ﴾ :

﴿١﴾ خسرت يدا أبي لهب بن عبد المطلب بخسران عمله، إذ كان يؤذي النبي ﷺ، وخاب سعيه .

﴿٢﴾ أي شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعه عنه عذابًا، ولم يجلب له رحمة .

﴿٣﴾ سيدخل يوم القيامة نارًا ذات لهب، يقاسي حرَّها .

﴿٤﴾ وستدخلها زوجته أم جميل التي كانت تؤذي النبي ﷺ بإلقاء الشوك في طريقه .

﴿٥﴾ في عنقها جبل مُحْكَمُ الْقَتْلِ تساق به إلى النار .

﴿فَوَائِدُ مِنَ الْآيَاتِ﴾ :

١ - المفاضلة مع الكفار . ٢ - مقابلة النعم بالشكر . ٤ - شقاء أبي لهب وزوجته .

سورة الألقاب

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على إثبات تفرد الله بالكمال والألوهية وتزهره عن النقص.

﴿٢﴾ التفسير: قل - أيها الرسول -: هو الله المنفرد بالألوهية، لا إله غيره.

﴿٣﴾ هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد في صفات الكمال والجمال.

﴿٤﴾ الذي لم يلد أحدًا، ولم يولد له أحد، فلا ولد له - سبحانه - ولا والد.

﴿٥﴾ ولم يكن له مماثل في خلقه.

سورة الفلق

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.

﴿٢﴾ التفسير: قل - أيها الرسول -: أعتصم برب الصبح، وأستجير به.

﴿٣﴾ من شر ما يؤدي من المخلوقات.

﴿٤﴾ وأعتصم بالله من الشرور التي تظهر في الليل من دواب ولصوص.

﴿٥﴾ وأعتصم به من شر السواحر اللائي ينقطن في العقد.

سورة الألقاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ
وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ
النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي
يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦

﴿٥﴾ وأعتصم به من شر حاسد إذا عمل بما يدفعه إليه الحسد.

سورة الناس

— مكية —

﴿١﴾ مقصد السورة: تركز على الاعتصام والتحصن بالله من شر الشيطان ووسوسته، ومن الشرور الخفية.

﴿٢﴾ التفسير: قل - أيها الرسول -: أعتصم برب الناس، وأستجير به.

﴿٣﴾ ملك الناس، يتصرف فيهم بما يشاء، لا ملك لهم غيره.

﴿٤﴾ معبودهم بحق، لا معبود لهم بحق غيره.

﴿٥﴾ من شر الشيطان الذي يلقي وسوسته إلى الإنسان إذا غفل عن ذكر الله، ويتأخر عنه إذا ذكره.

﴿٦﴾ يلقي بوسوسته إلى قلوب الناس.

﴿٧﴾ وهو يكون من الإنس كما يكون من الجن.

﴿٨﴾ فوائد من الآيات:

١ - إثبات صفات الكمال لله، ونفي صفات النقص عنه.

٢ - ثبوت السحر، ووسيلة العلاج منه.

٣ - علاج الوسوسة يكون بذكر الله والتعوذ من الشيطان.

فَهْرَسْتٌ بِأَسْمَاءِ السُّورِ وَبَيَانِ الْبَيِّنَاتِ مِنْهَا

السُّورَة	رَقْمَهَا	الصَّفْحَة	الْبَيَان	السُّورَة	رَقْمَهَا	الصَّفْحَة	الْبَيَان
الْفَاتِحَة	١	١	مَكِّيَة	العَنْكَبُوت	٢٩	٣٩٦	مَكِّيَة
البَقَرَة	٢	٢	مَدَنِيَة	الرُّوم	٣٠	٤٠٤	مَكِّيَة
آلِ عِمْرَان	٣	٥٠	مَدَنِيَة	لُقْمَانَ	٣١	٤١١	مَكِّيَة
النِّسَاء	٤	٧٧	مَدَنِيَة	السَّجْدَة	٣٢	٤١٥	مَكِّيَة
المَائِدَة	٥	١٠٦	مَدَنِيَة	الأَحْزَاب	٣٣	٤١٨	مَدَنِيَة
الْأَنْعَام	٦	١٢٨	مَكِّيَة	سَبَأ	٣٤	٤٢٨	مَكِّيَة
الأَعْرَاف	٧	١٥١	مَكِّيَة	فَاطِر	٣٥	٤٣٤	مَكِّيَة
الْأَنْفَال	٨	١٧٧	مَدَنِيَة	يَس	٣٦	٤٤٠	مَكِّيَة
التَّوْبَة	٩	١٨٧	مَدَنِيَة	الصَّافَّات	٣٧	٤٤٦	مَكِّيَة
يُونُس	١٠	٢٠٨	مَكِّيَة	ص	٣٨	٤٥٣	مَكِّيَة
هُود	١١	٢٢١	مَكِّيَة	الرُّمَر	٣٩	٤٥٨	مَكِّيَة
يُوسُف	١٢	٢٣٥	مَكِّيَة	عَافِر	٤٠	٤٦٧	مَكِّيَة
الرَّعْد	١٣	٢٤٩	مَدَنِيَة	فُصِّلَت	٤١	٤٧٧	مَكِّيَة
إِبْرَاهِيم	١٤	٢٥٥	مَكِّيَة	الشُّورَى	٤٢	٤٨٣	مَكِّيَة
الحِجْر	١٥	٢٦٢	مَكِّيَة	الرُّحُف	٤٣	٤٨٩	مَكِّيَة
التَّحَل	١٦	٢٦٧	مَكِّيَة	الدِّخَان	٤٤	٤٩٦	مَكِّيَة
الإِسْرَاء	١٧	٢٨٢	مَكِّيَة	الجاثِيَة	٤٥	٤٩٩	مَكِّيَة
الكَهْف	١٨	٢٩٣	مَكِّيَة	الأَحْقَاف	٤٦	٥٠٢	مَكِّيَة
مَرْيَم	١٩	٣٠٥	مَكِّيَة	مُحَمَّد	٤٧	٥٠٧	مَدَنِيَة
طه	٢٠	٣١٢	مَكِّيَة	الْفَتْح	٤٨	٥١١	مَدَنِيَة
الْأَنْبِيَاء	٢١	٣٢٢	مَكِّيَة	الحِجْرَات	٤٩	٥١٥	مَدَنِيَة
الحَجَّ	٢٢	٣٣٢	مَدَنِيَة	ق	٥٠	٥١٨	مَكِّيَة
المُؤْمِنُون	٢٣	٣٤٢	مَكِّيَة	الذَّارِيَات	٥١	٥٢٠	مَكِّيَة
السُّور	٢٤	٣٥٠	مَدَنِيَة	الطُّور	٥٢	٥٢٣	مَكِّيَة
الْفُرْقَان	٢٥	٣٥٩	مَكِّيَة	التَّجْم	٥٣	٥٢٦	مَكِّيَة
الشَّعْرَاء	٢٦	٣٦٧	مَكِّيَة	القَمَر	٥٤	٥٢٨	مَكِّيَة
التَّمَل	٢٧	٣٧٧	مَكِّيَة	الرَّحْمَن	٥٥	٥٣١	مَدَنِيَة
القَصَص	٢٨	٣٨٥	مَكِّيَة	الوَاقِعَة	٥٦	٥٣٤	مَكِّيَة

السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان	السُّورَة	رَقْمُهَا	الصَّفْحَة	البَيَان
الحديد	٥٧	٥٣٧	مَدِينَة	الطَّارِق	٨٦	٥٩١	مَكِيَّة
المجادلة	٥٨	٥٤٢	مَدِينَة	الأَعْلَى	٨٧	٥٩١	مَكِيَّة
الحشر	٥٩	٥٤٥	مَدِينَة	الغَاشِيَة	٨٨	٥٩٢	مَكِيَّة
الممتحنة	٦٠	٥٤٩	مَدِينَة	الفَجْر	٨٩	٥٩٣	مَكِيَّة
الصَّف	٦١	٥٥١	مَدِينَة	الْبَلَد	٩٠	٥٩٤	مَكِيَّة
الجمعة	٦٢	٥٥٣	مَدِينَة	الشَّمْس	٩١	٥٩٥	مَكِيَّة
المنافقون	٦٣	٥٥٤	مَدِينَة	اللَّيْل	٩٢	٥٩٥	مَكِيَّة
التغابن	٦٤	٥٥٦	مَدِينَة	الصُّحَى	٩٣	٥٩٦	مَكِيَّة
الطلاق	٦٥	٥٥٨	مَدِينَة	الشُّرْح	٩٤	٥٩٦	مَكِيَّة
التَّحْرِيم	٦٦	٥٦٠	مَدِينَة	التَّيْن	٩٥	٥٩٧	مَكِيَّة
المَلِك	٦٧	٥٦٢	مَكِيَّة	العَلَق	٩٦	٥٩٧	مَكِيَّة
القلم	٦٨	٥٦٤	مَكِيَّة	القَدْر	٩٧	٥٩٨	مَكِيَّة
الحاقة	٦٩	٥٦٦	مَكِيَّة	البَيِّنَة	٩٨	٥٩٨	مَدِينَة
المعارج	٧٠	٥٦٨	مَكِيَّة	الزَّلْزَلَة	٩٩	٥٩٩	مَدِينَة
نُوح	٧١	٥٧٠	مَكِيَّة	العَادِيَات	١٠٠	٥٩٩	مَكِيَّة
الجِن	٧٢	٥٧٢	مَكِيَّة	القَارَعَة	١٠١	٦٠٠	مَكِيَّة
الزَّمَل	٧٣	٥٧٤	مَكِيَّة	النَّكَار	١٠٢	٦٠٠	مَكِيَّة
المدثر	٧٤	٥٧٥	مَكِيَّة	العَصْر	١٠٣	٦٠١	مَكِيَّة
القيامة	٧٥	٥٧٧	مَكِيَّة	الهَمْرَة	١٠٤	٦٠١	مَكِيَّة
الإنسان	٧٦	٥٧٨	مَدِينَة	الفيل	١٠٥	٦٠١	مَكِيَّة
المرسلات	٧٧	٥٨٠	مَكِيَّة	فَرِيش	١٠٦	٦٠٢	مَكِيَّة
النَّبأ	٧٨	٥٨٢	مَكِيَّة	المَاعُون	١٠٧	٦٠٢	مَكِيَّة
التارغات	٧٩	٥٨٣	مَكِيَّة	الكُوثر	١٠٨	٦٠٢	مَكِيَّة
عبس	٨٠	٥٨٥	مَكِيَّة	الكافرون	١٠٩	٦٠٣	مَكِيَّة
التكوير	٨١	٥٨٦	مَكِيَّة	النَّضْر	١١٠	٦٠٣	مَدِينَة
الانفطار	٨٢	٥٨٧	مَكِيَّة	المَسَد	١١١	٦٠٣	مَكِيَّة
المطففين	٨٣	٥٨٧	مَكِيَّة	الإخْلَاص	١١٢	٦٠٤	مَكِيَّة
الانشقاق	٨٤	٥٨٩	مَكِيَّة	الفَلَق	١١٣	٦٠٤	مَكِيَّة
البروج	٨٥	٥٩٠	مَكِيَّة	النَّاس	١١٤	٦٠٤	مَكِيَّة